

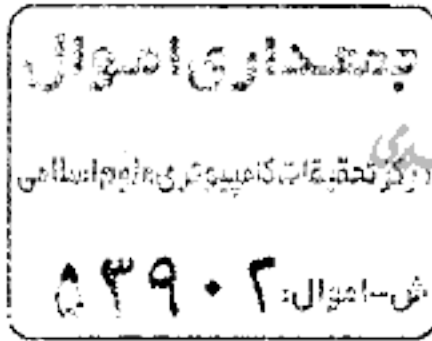
الايحياز في تاريخ البصرة والاحياء ونجد والحجاز



جميع المصادر وتاريخ
عارف مرضي المنتج

المجلد الأول

الحجاز العربية للموسوعات



مرکز تحقیقات اسلامی و اسلامیات

الایچاز فی فاریخ البصرة والاحياء ونجد والحجاز



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كتابخه

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

شماره ثبت: ۳۸۲۳۸

تاریخ ثبت:

الایچاز فی تاریخ البصرة والاحساء ونجد والحجاز

۱-۱۳۸۵هـ / ۶۲۲-۱۹۶۵م



جمع وإعداد وتأليف
عارف مرضي الفتح

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

٣ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

مكتبة الكويت الوطنية

الإيجاز في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز

عارف مرضي ضاوي الفتح ط - ١ -

الكويت : المؤلف ٢٠٠٩

١٢٢٠ ص : خرائط، صور ٢٧×٢٠ سم

ردمك : ١-٢-٦٨٤-٦٩٩٠٦-٩٧٨

١ - العراق تاريخ ٢ - نجد تاريخ ٣ - الحجاز تاريخ

رقم الإيداع : ٢٠٠٩٢٥٥

ردمك : ١-٢-٦٨٤-٦٩٩٠٦-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠٠٩ م - ١٤٣٠ هـ

طباعة وتنفيذ

الدار العربية للموسوعات 

الحازمية - مفرق جسر الباشا - ستر عكاوي - ط ١ - بيروت - لبنان

ص.ب : ٥١١ الحازمية - هاتف : ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس : ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١

هاتف نقال : ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١ - بيروت - لبنان

الموقع الإلكتروني : www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني : info@arabenchouse.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ آيَاتُ نُدَاوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾.

[سورة آل عمران آية، ١٤٠]

وقال الله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة آل عمران آية، ٢٦]



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

الذیہ مملو

ذہری کتابی سے ہندوئی

صاحب سے السمو اللہ القادر

الشیخ صباغ اللہ محمد الجبار الصباغ

رؤیہ قولہ اللوین سے الحفی

حفظہ اللہ ورحمہ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تقديم

أ. د. محمد عيسى صالحية

كان بودي أن تكون هذه المقدمة خاتمة للكتاب وعند صفحاته الأخيرة، يقرأها القارئ مع آخر أوراق الكتاب، وتكون حواراً مع قارئ ينتقد الكتاب وله رأي فيه، وأترك لآخر الأخذ برأي أو لمحاوّر ولمجادل... في بعض ما أثار الكتاب من مشكل لمسأ ونشأ لخفي عميق أو جمعاً لفتاء أخوي.

ما كنت أرغب أن أكون قرصان هذا الكتاب، فأقطع الطريق على الرأي الخاص لقارئ، ولا أقوم بتلوين الشاشة على مناظرين، وما لي والمدح والثناء حيث يجب أن أضع الصمت العميق.

منذ سنوات والأخ عارف يتردد عليّ سائلاً عن مصدر أو مرجع ومخطوط ومكان حفظه وفي أية مكتبات يقتني، وأعجب من استعداده وهمته للسفر والبحث وإحضار مبتغاه، وكثيراً ما كنت أكسر رحاله إشفافاً وتوفيراً، فلقد هام في التاريخ، وعشق القراءة في مظانه، وما أظنه إلا قد زهد بكل ما عداه.

الموضوع الذي شغل بال عارف، وملك عليه زمانه، ليله ونهاره: «تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز» وهي منطقة واسعة ومساحات شاسعة أحداثها تترى وأزماتها مستمرة أبداً، شهدت تبدل الدول وتعاقت عليها القيادات، قبائلها في حركة دائمة ما بين غزو وبناء وهدم وإعمار، تنافست عليها القوى الأجنبية ما بين غازية وطامعة وطامحة ومستعمرة وفارضة للحماية ورجال مضوا وآخرون بنوا، وغيرهم تشاحنوا -تباغضوا، تحاربوا، تجافوا.

المنطقة في حراك عسكري وسياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي.

والأنكى من ذلك أن عارفاً تصدى لحقبة زمانية يعجز الفرد الإمساك بزمامها ويعسر على فريق من الباحثين الجادين رصد أحداثها. من القرن الأول الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري، تاريخ المنطقة منذ دخول الإسلام إليها حتى تكوّن الدول الحديثة المستقلة. وهو أمر دونه خُرب القتاد، والمهم بعد سنوات طويلة من عمله، أرسل إليّ مخطوط الكتاب، وبدوري أحلته لصديق لغوي لينظر فيه، ثم ألقيت نظرة على الكتاب لمدة شهر تقريباً، واستقرّ عندي.

هذا الكتاب ليس تاريخاً، وإنما هو سجل لأحداث تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز. وتضمن السجل أهم الأحداث التي مرّت في هذه الفترة من سياسية واجتماعية وعمرانية وسكانية وعسكرية، وليمثل هذا السجل خطأ بيانياً يساعد على فهم واستيعاب تاريخ المنطقة وبالتالي التأمل

بأحداثها ونتائجها، فالباحث عرض لمعظم الروايات التي وردت في التواريخ المعاصرة للحدث، وقدم الرواية بدقة مقبولة اقتباساً أو تلخيصاً أو مقارنة مع غيرها من الروايات المماثلة، وفي كثير من الأحيان يعلّق على متن الخبر، وقد يعرف بشخص الرواية أو الأماكن الجغرافية نقداً وتصويماً وتصحيحاً وتعديلاً، ولذا فقد استخدم الباحث مئات المصادر والمراجع والوثائق والمخطوطات، وما همّ الباحث انتماء صاحب الأصل أو عرقته وجنسه، بل تعامل مع كافة المصادر بحيادية وأثبت رأي الكاتب دون تدخل فيه، إلا في تعليقات وتعريفات أوردها في الهامش، ولذا فإن الكتاب يُعدُّ مفيداً لكل باحث في تاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز، فقد يغنيك عن النظر والعودة إلى مئات المصادر والمراجع لتوثيق خبر أو إدراك معلومة. ومفيد لمن يرغب في معرفة تاريخ المنطقة أيضاً، وعلاوة على ذلك، فقد أضفى الباحث على الكتاب مسحة أدبية، وزيّنه ببلاغة بديعة، وذلك من خلال الاستشهاد بالعديد من القصائد والأبيات الشعرية والأقوال الحكمية وإثباتها في متون الروايات، مما يريح النفس ويبهج خاطر. إن الجهد المبذول في الكتاب جهد يُعترف به، ويُقرّ لصاحبه بطول معاناته وصبره وجلده، وأمانته في النقل والاقتباس.

ولعلّ سائلاً يسأل ما لرجل أمن ينصرف إلى مثل هذا العمل؟

تلك نزعة وهوى لا يعرفه إلا مَنْ غَمَرَهُ حُبُّ الأمة والوطن من خلال تاريخها، وعبر تطوراتها الاجتماعية والثقافية وغيرها، وانتمى لتراب الوطن، وعَفَّرَ رأسه بحبات رمله، جذوره عميقة، نافذة في أعماق الأعماق. وما أرى الباحث وأمثاله إلا من الأوفياء الخُلُص للوطن والمنطقة تاريخاً وحضارة، أصلاً وفرعاً، جذراً وساقاً.

وله جزاء المجتهد، وليوفقه الله.



أ. د. محمد عيسى صالحية

مركز بحوث ودراسات في تاريخ المنطقة

مقدمة المؤلف

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، الذي جعل سيرة الأولين عبرة للآخرين، وأحاديث الماضين عبرة للباقيين، وفضل الإسلام على كل دين، أما بعد،

لقد مرت أحداث كثيرة بالجزيرة العربية كانت أخبارها متفرقة، ومدفونة في بطون الكتب ومن يريد قراءة تاريخها فإنه مضطراً إلى قراءة مئات الكتب، ولأن آفة العلم النسيان، فإن الانتقال من كتاب إلى آخر، ينسي ما قبله، فرأيت أن غاية المطلوب قراءة التاريخ من خلال كتاب واحد يشتمل على أغلب ما يهمني ويهتم أبناء المنطقة، ولأن هذا الكتاب - بحسب علمي - غير موجود، اضطررت إلى إيجاده بنفسي. ومن هذا المنطلق بدأت بجمع المادة التاريخية، وافتحتها بأحداث السنة الأولى للهجرة النبوية، متناولاً العصر النبوي - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام - بشكل سريع، عبوراً منه إلى العهد الأموي. وكانت فترة الدولة الأموية، تتميز بغزارة التدوين، وكذلك كان الحال إلى بداية قيام الدولة العباسية، ولكننا وجدنا أخبار الجزيرة العربية بعد ذلك تقل بشكل ملحوظ مع نهاية القرن الرابع الهجري. وتعدّ الفترة ما بين القرن الخامس إلى القرن التاسع، هي بحق الحلقة المفقودة من تاريخ الجزيرة العربية، وهي أهم الفترات شهدت كثيراً من التغيرات، وستطرق لسبب ضالة الأخبار عن تلك الفترة بالمقارنة مع غيرها بعد قليل.

أما من القرن العاشر، إلى القرن الثاني عشر، فندين بالفضل إلى الشيخ ابن بسام في كتابه الموسوم (بتحفة المشتاق) الذي سدّ كثيراً من الثغرات، بذكره لكثير من الأخبار لم يكشفها لنا أحد قبله، فجزاه الله عنا أوفى الجزاء.

أما فيما يتعلق بالقرنين الثالث عشر والرابع عشر فقد كانت المعلومات عنهما كثيرة جداً، مقارنة مع غيرهما من القرون، حتى أنهما حازا على ما يقارب ٤٠٪ من عدد صفحات هذا الكتاب، وهذه الفترة هي التي شهدت قيام الدول الحديثة في الخليج والجزيرة العربية، لا سيّما الدولة السعودية، التي حازت على اهتمام كثير من العلماء النجديين الذين تحقّسوا للدين وأرخوا للدولة السعودية التي تمثل الطابع السلفي.

ومع إدراكنا لأهمية كتابات هؤلاء العلماء الأفاضل، واستفادتنا الدائمة منها، إلا أن هذا الشيء لم يمنعنا من انتقادها الانتقاد البناء، حيث يعيب كتابات هؤلاء العلماء النجديين أنه من أراد البحث عن تاريخ الجزيرة العربية من خلال كتبهم فعلى الأغلب لا يجد أمامه سوى التي تتحدث عن تاريخ الدولة السعودية، وأما ما قبلها من أخبار فلا يرقى إلى طموح الباحث.

فكثير من التواريخ النجدية تبدأ بسنة ٨٥٠هـ ذاكراً هجرة مانع المريدي جد الأسرة السعودية الحاكمة إلى نجد قادماً من القطيف، وتذكر شراء ابن معمر للعبينة من آل يزيد، ثم بعد ذلك تقفز عدة قفزات متجاوزة عدة سنين، لتتوحد في خبر انتهاء دولة أجود بن زامل في تمام الألف الهجرية، وتذكر أن الولاة الأتراك الذين تولوا حكم الأحساء هم فقط أربعة، آخرهم عمر الحلبي، وهذان الخبران الأخيران بالذات، أثبتت الدراسات الحديثة التي تعتمد على مصادر أكثر دقة كالأرشيف العثماني، عدم صحتها.

واعتقد أنه يجب إعادة النظر في التواريخ النجدية بسبب بعض الأخطاء التي شابتها، وإهمالها لكثير من الأحداث التاريخية التي نجدها متجلية وظاهرة في أشعار من وصلتنا أشعارهم من أمثال جعيثن اليزيدي وابن زيد وراشد الخلاوي وابن لعبون وغيرهم، وهم يذكرون في قصائدهم عدة وقعات تبدو أنها كانت على درجة عالية من الأهمية، بل ربما أنها غيرت مجرى التاريخ، ومع ذلك لم يتطرق إليها العلماء النجديون.

ونظراً لهذا القصور الواضح في تغطية تاريخنا، لم يكن أمام الكثير من أبناء المنطقة بدءاً من محاولة البحث والتنقيب من جديد، بمزيد من الأمل في أن تسفر محاولاتهم في كشف لثام الحقيقة وتفتيت ظلام الغموض الذي يكتنف تاريخ منطقتنا.

وأما المؤرخون القدماء الذين وصلتنا كتبهم مثل ابن الأثير وابن كثير والطبري وابن عساكر وابن خلكان وغيرهم، فأظن أنهم ساهموا بضياغ تاريخنا بابتعادهم عن الكتابة عنا، وربما يعود هذا الابتعاد إلى عدة أسباب، لعل من أهمها:

١- خلو هذه المنطقة ولعدة قرون من سلطان وحاكم قوي تتوحد البلاد تحت رايته، فظل تاريخها غير مهم بالنسبة لهم لأن تحركات أهل المنطقة لا ترقى إلى مستوى الطموح السياسي المؤدي إلى تأسيس دولة، بل إنها كانت عبارة عن صورة حياتية متكررة بشكل يومي تمثل بقيام قبيلة بغزو قبيلة أخرى أو تحالف قبائل ضد قبائل أخرى، وهذه التحركات بحد ذاتها لا تعطي في النهاية نتائج عملية حاسمة، عدا علو قوم على قوم، ولا يكون لها أي تأثير على المستويين الداخلي أو الخارجي، ولأنها عبارة عن جهد مشتب، ومهدور، ومؤقت، أهم أهدافه هو حيازة المراعي، وفرض الضرائب على المهزوم. ومن الأحداث الروتينية بينهم، غزوات السلب والنهب بهدف زيادة الثروة ومن أجل البقاء، وهذه العمليات تتركز في أغلب الأحيان على طريق الحج والقرى التجارية والزراعية والموانئ البحرية، وأما الحروب الثأرية فلا حصر لها.

٢- أن أكثر المؤرخين كانوا يتورعون عن كتابة تاريخ القبائل لما فيه من الإشكالات، ولا يذكرون - في أغلب الأحيان - إلا ما كان يمس الحكومة القائمة في الإقليم، أي تدوين التاريخ الرسمي. ومن

الحكومات الرسمية التي حكمت الجزيرة العربية قديماً حكومة العباسيين والفاطميين والمغول والمماليك والأتراك وغيرهم.

٣- أن الرئاسة في الإسلام خرجت منذ وقت مبكر من يد العرب وذهبت إلى يد الفرس والسلاجقة والمماليك الذين تمركزوا في مناطق الأنهار والأشجار كبغداد ودمشق والقاهرة وتركوا الصحراء القاحلة لأهلها التي لا يستطيع أحد أن يعيش فيها سواهم، لذلك ترك المؤرخون تدوين أخبارهم، واكتفوا بتدوين أخبار دولهم التي يعيشون فيها ويدينون لها بالولاء، ولولا الحج وطريقه والحرمان الشريفان لما تطرقوا لسكان الجزيرة العربية لا من قريب ولا من بعيد، ولعدمت أخبارهم جملة وتفصيلاً.

٤- من أكبر البراهين التي تدل على عدم اهتمام المؤرخين القدماء بتاريخ الجزيرة العربية هو تجاهلهم لتاريخ الدولة العيونية الإحسانية البحرينية التي سادت ثم بادت، ولم يذكرها أحد منهم في مؤلفاته الأدبية سوى في إشارات عابرة لا يكاد يفتن لها إلا القليل، ولولا شاعر الدولة العيونية الأمير علي بن المقرب العيوني المتوفي سنة ٦٢٨هـ الذي يعتبر ديوانه هو المصدر الأول، إن لم يكن الأوحده لتاريخها لما علمنا من أيامهم شيئاً.

وبناء على ما سبق ذكره، فقد قررت التصدي لهذا الخلل الواضح، المتمثل في قلّة الأخبار عن تاريخ المنطقة، وأن أضع اللبنة الأولى في هذا المضمار لتكون أساساً أولياً للبناء عليه مستقبلاً، فاعتمدت طريقة جمع المعلومات، وصقلها في كتاب واحد، أسميته (الإيجاز بتاريخ البصرة والإحساء ونجد والحجاز)، فذكرت أحداث الأزمنة دون التقيّد بالأمكنة، فعند التحدث عن منطقة الإحساء، من الممكن أن تفتح نافذة أخرى على نجد بغية معرفة أحداثها في السنة التي وصلت إليها قراءتنا بعد أن تجشمت في سبيلها كثيراً من المشقة.

ولمّا كان عنوان الكتاب لا يشتمل على اسم الدولة التي أنتمي إليها وهي (الكويت) - وهو الأمر الذي جعل البعض يسأل لماذا لم أضعها ضمن العنوان؟ فكان لزاماً عليهم أن يعوا ويعرفوا مسبقاً أن العنوان يحدد فقط الإطار الجغرافي لمنطقة البحث، وليس تصنيفاً للدول التي تقع في داخله، ومن ناحية أخرى فالأسماء التي ذكرتها، هي أسماء لأقاليم وليست لدول، ورغم ذلك أعترف أنني قد ركزت نوعاً ما على تاريخ دولة الكويت، ولا يعدّ ذلك انحيازاً، بل لأن المثل يقول: كلّ يقرأ التاريخ من زاويته.

وإن قال قائل إنني بتجميعي لهذه المعلومات لم أضف شيئاً جديداً، فحسبي بذلك أنني أيقظتها من سباتها، وجمعتها بعد شتاتها، لتكون عقداً منتظماً بين يدي القارئ المحبّ للحقيقة، دون أن يبذل جهداً كبيراً، أو أن يضيع وقتاً كثيراً، ودون أن يتحمل عناء البحث عنها من جديد. ومن كان يفضل قراءة جميع ما قرأت على نفس خطاي، كل كتاب على حدة فليكن مستعداً لإضاعة ثماني سنوات من عمره، هي عمر تجميع معلومات هذا الكتاب وأن يضع في حسبانته أنه سوف تكون أمامه توضّحات أخرى.

وأدرك منذ البداية أن جمع مادة هذا الكتاب سيحمل في طياته الكثير من الغث والسمين، والخطأ والصواب، وذلك لأنه نابع من عقل بشر، والبشر خطّآؤون، ولأن الكتاب الوحيد على وجه الأرض الخالي من الأخطاء والعيوب هو كتاب الله عز وجل، وأنا وإن كنت قد تحرّيت الدقة والصواب على قدر

(استطاعتي) إلا أنني لن أصل إلى درجة الكمال، بل أعترف أنني في كل مرة أعيد فيها قراءة هذا الكتاب لمراجعته أجد أمامي أخطاء غفلت عنها في المرة السابقة، وسواء أكانت هذه الأخطاء مني أو من المصادر التي نقلت عنها، فإني أقوم بتصويبها على الفور على قدر معرفتي، وقد كلفتني عملية تصحيح الأخطاء وتدقيق المعلومات والتنقيح عدة شهور من المراجعة في سبيل أن يخرج هذا الكتاب الضخم بصورة ترضي الأغلبية، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنني من أجل هذه الغاية قمت فعلاً بحذف ثلث أوراق هذا الكتاب.

وآخر قولي لكل باحث وقارئ:، إن التاريخ هو المدخل الحقيقي لمعرفة كل ما نريد، ومن خلاله توضع النقاط على الحروف، ولكن الحذر من قراءة التاريخ للتوقف عنده، بل يجب أن نقرأه لننتقل منه.



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية

أحداث القرن الأول الهجري



مركز بحوث ودراسات
التاريخ والعلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أخبار العصر النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

السنة الأولى للهجرة^(١) :

- كان قدوم النبي ﷺ إلى المدينة المنورة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول بلا خلاف، وهذا التاريخ يوافق الرابع والعشرين سبتمبر ٦٢٢م.
- بناء مسجد قباء.
- بناء المسجد النبوي.
- بنى رسول الله ﷺ بعائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان عقد بها في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.
- في ربيع الثاني بعد مقدم الرسول ﷺ المدينة بشهر زيد في صلاة العصر ركعتان.
- وفيها ولد عبدالله بن الزبير، وقيل في السنة الثانية في شوال.
- وفي ربيع الثاني غزوة بواط من ناحية رضى رسول الله ﷺ.
- وفي جمادى الأولى غزوة العشيرة من ينبع.
- أخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ووضع دستور المدينة، وصحيفة الحلف مع اليهود.
- ويذكر أن اليهود الذين دخلوا ديار العرب منهم من أبناء هارون بن عمران، وذلك كان في زمن موسى ويوشع عليهما السلام، فسكنوا المدينة، وخير، ومن حصونهم: مارد في دومة الجندل، والأبلق الفرد حصن تيماء.
- ومنهم: شريح بن عادي الهاروني، ورث ملك دومة الجندل وأرض تيماء عن سلفه الذين دخلوا بلاد العرب من الشام، وغلبوا على ما بأيديهم منها، وإليه تنسب القصيدة التي تنسب لابنه السموأل التي مطلعها:
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ^(٢)

(١) انظر السهمودي ت ٩١١، وفه الوفا ص ٣٦٤-٢٧٠ - وابن الأثير الكامل في التاريخ د. صادر م ٢ ص ١١٠.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠هـ - ٦٨٥هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة =

السنة الثانية^(١):

- في رجب على الأصح زُوج علي بن أبي طالب بفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ وذلك قبل (بدر)، وبنى بها في ذي الحجة وكان عمرها خمس عشرة سنة، وقيل ثمان عشرة، وقيل تزوجها بعد أحد، والله أعلم.

- وفيها (غزوة الأبواء).

- (غزوة بواط) من ناحية رضوى.

- نزلت فريضة الصوم في شعبان فصاموا رمضان، الذي يصادف أوله يوم ٢٦ فبراير ٦٢٤ م

- في ١٥ شعبان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

قال السهودي: عن سعيد بن المسيب قال: صَلَّى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً، وصرفت القبلة قبل بدر بشهرين، والثبت عندنا أنها صرفت في الظهر في مسجد القبلتين. وعن كثير بن عبدالله المزني عن أبيه عن جده قال: صرفت القبلة يوم الاثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً. وقال ابن الأثير: أمره الله أن يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة، وقيل: على رأس ستة عشر شهراً في صلاة الظهر.

- في رمضان كانت (غزوة بدر الكبرى)، وكان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر، وخرجت الأنصار معه ﷺ فيها، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه، ومعهم ثلاث أفراس، وكان المشركون ألفاً، ويقال تسعمائة وخمسين رجلاً معهم مائة فرس، وهذه بدر الثانية لما تقدم والله أعلم.

- فرضت زكاة الأموال وقيل في الثالثة وقيل في الرابعة.

- في شوال غزا بني قينقاع، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات.

- في ذي القعدة (غزوة السوق). مركز تحقيقات مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

السنة الثالثة^(٢):

قال ابن الأثير: في جمادى الأولى، غزا بني سليم ببحران، وسبب هذه الغزوة أن جمعاً من بني سليم تجمعوا ببحران من ناحية القُرْع، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فسار إليهم في ثلاثمائة، فلما بلغ ببحران وجدهم قد تفرقوا فانصرف ولم يلق كيلاً، وكانت غيبته عشر ليال.

وغزا النبي ﷺ (غزوة الكدر) وتعرف بـ (غزوة قرقرة) ويقال نجران. ثم غزا (غزوة أنمار)، ثم كانت

= الأقصى، الأردن، ط١/١٩٨٢م ص٨١٥، وستذكر هذه القصيدة كاملة في الصفحات القادمة.

(١) السهودي، وفاء الوفا ص٣٦١، ٢٧٤ - ابن الأثير الكامل في التاريخ م٢ ص١١٥.

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ م٢ ص١٤٢، ١٤٥ - السهودي وفاء الوفا ٢٨٠ - ابن شدقم ضامن الحسيني المدني كان حياً سنة ١٠٩٠هـ، تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار، تحقيق كامل الجبوري ج١ ص١٠٤ عن الإرشاد ١٨٧.

(غزوة أحد) في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور. وفيها غزوة الفردة، والفردة ماء بنجد. وفيها: كان مولد الحسن السبط عليه السلام بالمدينة المنورة لمنتصف شهر رمضان، في زمن يزدجرد ملك الأكاسرة قبل وقعة بدر بتسعة عشر يوماً.

السنة الرابعة^(١):

- في محرم حادثة بئر معونة، وملخصها أن عامر بن مالك بن جعفر أبو البراء ملاعب الأسنة اقترح على النبي ﷺ بعث وفد إلى نجد لنشر الإسلام ولكن الرسول ﷺ كان يخشى عليهم. فقال له: أرسلهم ووعدهم بإجارتهم، فلما رأهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب استصرخ بني عامر لقتلهم فلم يجيبوه وقالوا: لن ننقض عهد أبي البراء فأتى أحياء رعل وعصيئة وذكوان من بني سليم فأجابوه وقتلوا المسلمين في بئر معونة حيث قتل ٧٠ صحابياً، وذكر ابن الأثير أن مقتل هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كان في صفر.

- وفي صفر كانت غزوة الرّجيع.

إجلاء بني النضير عن المدينة

((وفيها إجلاء بني النضير من المدينة، وكان سبب ذلك أن عامر بن الطفيل أرسل إلى النبي ﷺ يطلب دية العامريين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية، فخرج النبي ﷺ إلى بني النضير يستعينهم فيها ومعه جماعة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي، فقالوا: نعم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض وتآمروا على قتله وهو جالس إلى جنب جدار، فقالوا: من يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب له عمرو بن جحاش، فنهاهم عن ذلك سلام بن مشكم وقال: هو يعلم، فلم يقبلوا منه، وصعد عمرو بن جحاش، فأتى الخبر من السماء إلى رسول الله ﷺ بما عزموا عليه، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم، وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما أبطا قام أصحابه في طلبه، فأخبرهم الخبر وأمر المسلمين بحربهم، ونزل بهم، فتحصنوا منه في الحصون، فقطع النخل وأحرق، وأرسل إليهم عبدالله بن أبي وجماعة معه أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نُسلمكم، وإن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن خرجنا معكم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا النبي ﷺ أن يُجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام...)).

((وفيها غزوة ذات الرقاع، أقام بعد بني النضير في المدينة شهري ربيع.

ثم غزا نجداً بني يربد محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلاً، وهي غزوة ذات الرقاع، سميت بذلك لأجل جبل كانت الوقعة به، وقيل إن هذه الغزوة كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة)).

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ ٢ ص ١٦٧، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٥.

- وفيها: كان زواج عثمان بن عفان بأم كلثوم بنت النبي بعد وفاة أختها رقية، لذا سمّي بذي النورين.

- وفيها: حرّمت الخمر.

- وفي رمضان تزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني هلال، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها.

وفيها غزوة بدر الثانية، وسميت أيضاً غزوة السويق، وفيها تزوج رسول الله ﷺ، أم سلمة.

السنة الخامسة^(١):

((وفيها تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، وهي ابنة عمته، كان زوجها مولاه زيد بن حارثة، وكان يقال له زيد بن محمد. فخرج رسول الله ﷺ، يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعته الريح فرآها وهي حاسرة فأعجبته وكُرّهت إلى زيد، فلم يستطع أن يقربها، فجاء إلى النبي ﷺ، فأخبره، فقال: أراك فيها شيء؟ قال: لا والله. فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾. ففارقها زيد وحلّت، وأنزل الوحي على النبي ﷺ، فقال: من يبشر زينب أن الله قد زوجنيها؟ وقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الآية، فكانت زينب تفخر على نساءه وتقول: زوجكن أهلوكن وزوجني الله من السماء.

- وفيها غزوة دومة الجندل في ربيع الأول.

- وفي شوال كانت غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب.

فتح قريظة

وفيها غزوة بني قريظة، ((حاصر بني قريظة شهراً أو خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن أبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، وهو أنصاري من الأوس، نستشيره، فأرسله، فلما رآوه قام إليه الرجال وبكى النساء والصبيان، فرقّ لهم، فقالوا: ننزل على حكم رسول الله. فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذّبح. قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى عرفت أنّي خُنتُ الله ورسوله وقلت: والله لا أقمت بمكان عصيت الله فيه. وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال: لا أبرح حتى يتوب الله عليّ. فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله ﷺ ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقال الأوس: يا رسول الله افعل في موالينا مثل ما فعلت في موالي الخزرج، يعني بني قينقاع. فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ؟ قالوا بلى. فأتاه قومه فاحتملوه على حمار ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك. فلما كثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فعلم كثير منهم أنه يقتلهم، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى سيدكم، أو

(١) انظر ابن الأثير الكامل في التاريخ ص ١٧٧ - وانظر السهودي، وفاء الوفا ص ٣١٠.

قال: خيركم، فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فقد ردّ رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليك. فقال سعد: عليكم عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم إليّ؟ قالوا: نعم، فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبي ﷺ وغضّ بصره عن رسول الله ﷺ إجلالاً وقال: وعلى من هاهنا العهد أيضاً؟ فقالوا: نعم. وقال رسول الله ﷺ: نعم. قال: فإني أحكم أن تُقتل المقاتلة وتُسبى الذرية والنساء وتُقسم الأموال، فقال له رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة. وكان فتح قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة)).

- وفيها: ((غزوة الخندق)).

- وفيها أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

السنة السادسة^(١):

- أغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاح رسول الله ﷺ فاستنقذها.

- وفي هذه السنة فرض الحج على الصحيح.

- قتل المشركون سرية محمد بن مسلمة فلم يفلت منهم غيره، وكانوا عشرة.

- سرية علي بن أبي طالب إلى فدك في مائة رجل.

- سرية عبدالرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فظهر عليهم فزوجه رسول الله ﷺ تماضر بنت

الأصبع بن عمرو الكلبي وهو ملكهم.

- في جمادى الأولى منها خرج رسول الله ﷺ إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع، خبيب بن

عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة، وأغذّ السير حتى نزل على غرّان منازل بني

لحيان، وهي بين أمج وعسفان، فوجدهم قد حذروا وتمتعوا في رؤوس الجبال، فلما أخطأ ما أراد منهم

خرج في مائتي راكب حتى نزل بعسفان تخويفاً لأهل مكة، وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع

الغميم ثم عاد قافلاً.

- وبعد غزوة بني لحيان غزوة ذي قرد.

- وبعد ذي قرد غزوة بني المصطلق من خزاعة في شعبان على ماء يقال له المريسيع بناحية قديد

وتزوج فيها النبي ﷺ من جويرية بنت قائدهم الحارث بن أبي ضرار بعد أن وقعت في سبي المسلمين.

- وكان حديث الإفاك في غزوة بني المصطلق.

- أجذب الناس فاستسقى رسول الله ﷺ في رمضان في موضع المصلى فسقوا.

- أرسل زيد بن حارثة في سرية، فسبى سلمة بن الأكوع في تلك السرية بنت مالك بن حذيفة.

-بيعة الرضوان في ذي القعدة.

(١). انظر السهمودي، وفاء الوفا ص ٣١٠ - ابن الأثير الكامل في التاريخ م ٢ ص ١٨٨، ١٩١، ٢٠٠.

- صلح الحديبية، وهي عمرة الحديبية، وكان قد خرج رسول الله ﷺ معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً، ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة، وقيل ألف وخمسمائة، وقيل ثلاثمائة، وساق الهدي معه سبعين بدنة ليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً للبيت.

السنة السابعة^(١):

- لما عاد رسول الله ﷺ من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم.
- سار ﷺ إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، وكان مسيره إلى خيبر في المحرم سنة سبع.
- وأسلم أبو هريرة.

قصة سحر النبي ﷺ

قال الواقدي: وفي المحرم منها جاء رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم - وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً - فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمد فلم نصنع شيئاً، ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير، وذكر قصة سحره. وفي رواية عن الزهري بإسناد صحيح أن المدة التي مكث النبي ﷺ فيها في السحر سنة، وفي رواية أربعين ليلة، والله أعلم.

- وفيها جاءته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وتزوج بها.
- عمرة القضية (القضاء)، وهي قضاء عمرة الحديبية وكانت في شوال.
- تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية^(٢).
- سرية عمر بن الخطاب إلى قبائل هوازن^(٣).
- سرية أبي بكر الصديق إلى نجد.
- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة.
- شرحبيل أمير غسان يقتل الحارث بن عمير الأزدي الذي حمل إليه كتاب رسول الله ﷺ.
- قصة أبي سفيان مع هرقل في الشام.
- أهديت مارية القبطية للنبي ﷺ.

السنة الثامنة:

- في صفر قدم عمرو بن العاص مسلماً على النبي ﷺ وقدم معه خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ ٢١٦.

(٢) وفاة الوفا ٣١٥.

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب لأيوب صبري باشا ج ٣ ص ١٨٥.

العبدري^(١). وقد ذكرنا قدوم ابن الوليد وابن العاص في حوادث سنة ٥٥ هـ نقلاً عن السمهودي، وهذه المسألة من المسائل التي يقع فيها الخلاف بشأن وقت حدوثها، وقد نبه ابن الأثير إلى ذلك.

- في جمادى الأولى (غزوة مؤتة) قرب معان والبلقاء وهي من الغزوات العظيمة^(٢). وذكر ابن الأثير أن الذي جمع من الجنود لهذه الحرب مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبلبي عليهم رجل من بلبي يقال له مالك بن رافلة، ونزلوا مؤاب من أرض البلقاء. وكان عدد جنود هرقل مائتي ألف!

- وفيها: غزوة (ذات السلاسل)، وهي غير ذات السلاسل الواقعة المشهورة في أرض كاظمة.

- وفي ١٠ رمضان كان (فتح مكة المكرمة)، وأمر على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية.

- غزو بني خزيمة.

- غزوة الطائف.

- ولادة إبراهيم ابن الرسول ﷺ من جاريته مارية القبطية.

- استشهاد جعفر بن أبي طالب.

- استشهاد زيد بن حارثة.

- زفاف زينب بنت رسول الله ﷺ^(٣)، وفي نفس السنة توفيت رحمها الله^(٤).

- غزوة هوازن بحنين في شوال^(٥).

- وأسلم مالك بن عوف النصري، وتألف المؤلفة من غنائم هوازن.

- انصرف إلى المدينة في آخر ذي القعدة^(٦).

- وفيها بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وبها المنذر بن ساوى، فصالح المنذر

على أن على المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم. وقيل: إن إرساله كان سنة ست من الهجرة مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الملوك^(٧).

السنة التاسعة:

- هجر النبي ﷺ نساء شهرأ.

(١) الكامل في التاريخ م ٢ ص ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣٤.

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج ٣ ص ١٨٦.

(٤) الكامل في التاريخ م ٢ ص ٢٢٩.

(٥) المصدر السابق ص ٢٦١.

(٦) وفاء الوفا للسمهودي ص ٣١٦.

(٧) نفس المصدر ٢٢٩.

- تتابع الوفود.

- فرض الحج، (وسنة فرضه فيها اختلاف)^(١).

- في شهر ربيع الآخر أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ في سرية إلى ديار طي وأمره أن يهدم صنمهم الفلّس، فسار إليهم وأغار عليهم، فغنم وسبى وكسر الصنم^(٢).

غزوة تبوك

لما عاد رسول الله ﷺ أقام بالمدينة بعد عوده من الطائف ما بين ذي الحجة (٥٨هـ) إلى رجب (٥٩هـ)، ثم أمر الناس بالتجهز لغزو الروم وأعلم الناس مقصدهم لبعث الطريق وشدة الحر وقوة العدو، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورى بغيرها^(٣). ذكر السهمودي أن (غزوة تبوك) كانت في رجب وهي آخر غزواته ﷺ^(٤).

((وسببها أن هرقل ومن اجتمع إليه من لخم وجذام وعاملة وغيرهم أظهروا أنهم يريدون غزو الرسول ﷺ، فلما سار إليهم، هابوا محاربتة فلم يلق كيداً. وأتته رسل هرقل، فكساهم وردّهم، وكان جيش رسول الله ﷺ في هذه الغزوة يدعى جيش العسرة، لأن الناس كانوا مضيقين. فجهز عثمان بن عفان ﷺ ثلثهم، ويقال أكثر من ذلك، وأنفق عليهم ﷺ سبعين ألف درهم، ويقال أكثر من ذلك، وأعطاهم أبو بكر ﷺ جميع ما بقي من ماله وهو أربعة آلاف درهم. وكان المسلمون ثلاثين ألفاً، وكانت الإبل اثني عشر ألف بعير والخيول عشرة آلاف. وكان خليفة رسول الله ﷺ بالمدينة ابن أم مكتوم ويقال محمد ابن مسلمة الأنصاري. ويقال كان خليفته أبو رهم، ويقال سباع بن عُرْقُطَة وأثبت ذلك محمد بن مسلمة الأوسي^(٥))).

- وفيها نعى النبي ﷺ النجاشي للمسلمين، وكان موته في رجب سنة تسع.

- وفي شعبان توفيت أم كلثوم بنت النبي ﷺ وهي زوج عثمان بن عفان.

- وفي رمضان: قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ.

- فُرِضَت الصدقات، وفرق رسول الله ﷺ فيها عماله^(٦)، وذكر بعث الأمراء على الصدقات في السنة العاشرة، ويروى أن هذا حدث في خلال السنة الثانية للهجرة^(٧).

(١) نفس المصدر ص ٢٨٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر م ٢ ص ٢٧٦.

(٤) وفاة الوفا ص ٣١٦.

(٥) جمل من أنساب الشراف تصنيف الإمام أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ ج ١ ص ٤٧١، وسوف نختصر عنوان هذا الكتاب في الصفحات القادمة ونسميه أنساب الأشراف.

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير م ٢ ص ٢٨٣-٢٩١.

(٧) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا ج ٣ ص ١٨٨.

السنة العاشرة:

- وفي أولها قدم عدي بن حاتم بوفد طئ.
- وقدم زيد الخيل في وفد طئ.
- وفد بني حنيفة.
- وفد غسان.
- وفد نجران الذين كانت فيهم قصة المباهلة.
- جاء جبريل يعلم الناس دينهم...
- ثم أذن رسول الله ﷺ للناس بالحج في حجة الوداع ورجع^(١).
- وفد عامر بن الطفيل، أتى عامر بن الطفيل النبي ﷺ ومعه أربد بن قيس وهما يريدان برسول الله ﷺ أمراً حال الله بينهما وبينه، فدعا النبي ﷺ عليهما. فأما أربد فأصابته صاعقة فأحرقت، وأما عامر فأصابته غدة كغدة البعير في عنقه فمات. قال ابن خلدون: ثم قدم علقمة بن علاثة بن عوف، وعوف بن خالد بن ربيعة وابنه فأسلموا.
- قدم الجارود بن عمرو في طائفة من قومه عبدالقيس.
- قدم فروة بن مسيك.
- قدم وفد زبيد وعمرو بن معديكرب.
- قدم الأشعث بن قيس في وفد كندة.
- وفد الأزد.
- حجة الوداع.
- بدء حركة الردة.
- هور الأسود العنسي في اليمن.
- سرية أسد الله علي بن أبي طالب على اليمن^(٢).
- ظهور مسيلمة الكذاب في البصرة.



(١) وفاء الوفا ص ٣١٧.

(٢) نفس المصدر.

وفاة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ

١١هـ ((ابتدئ برسول الله ﷺ مرضه في أواخر صفر في بيت زينب بنت جحش، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة، فجمع نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة، ووصلت أخبار بظهور الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة باليمامة، وطلحة في بني أسد، وعسكر بسميراء))^(١).

وتوفي ﷺ لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين (٨ يونيو ٦٣٢ م تقريباً)، وذكر ابن الأثير نفس التاريخ المذكور ثم أضاف: وقيل: مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول^(٢).

اتفقوا على دفنه في بيته، فحمل بالفراش وحفر له في موضع الفراش. وأوصى رسول الله ﷺ في مرضه بإخراج المشركين من جزيرة العرب كما في الصحيح من حديث ابن عباس أنه ﷺ أمر بذلك ولفظه: وأمرهم بثلاث، فقال ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم)) والثالثة إما سكت عنها وإما قالها فنسيتها. قال الداودي: الثالثة هي الوصية بالقرآن، وقال المهلب: بل هي تجهيز جيش أسامة، وقواه ابن بطلان بأن الصحابة لما اختلفوا على أبي بكر في تنفيذ جيش أسامة، قال لهم أبو بكر إن النبي ﷺ عهد بذلك عند موته^(٣).

صفة النبي ﷺ

قال علي بن أبي طالب: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس واللحية، شثن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه حمرة، طويل المسربة، إذا مشى تكفأ تكفؤاً كأنما ينحط من صَبَب، لم أر قبله ولا بعده مثله، وكان أدعج العينين، سبط الشعر، سهل الخدين، ذا وفرة، كأن عنقه إبريق فضة، وإذا التفت التفت جميعاً، كأن العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه. قال أبو عبيدة وغيره: شثن الكفين والقدمين، يعني أنهما إلى الغلظ [أقرب]، وقوله ضخم الكراديس، يعني ألواح الأكتاف، والمسربة الشعر ما بين المسرة واللبة، والصبب الانحدار، والدعج في العين السواد، والسبط من الشعر ضد الجعد.

وكان بين كتفيه، ﷺ، خاتم النبوة، وهي بضعة ناشزة حولها شعر^(٤).

مبايعة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ

لما توفي رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عباد (في ١٢ ربيع الأول)، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء. ثم قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحد هذين

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ م ص ٣١٧.

(٢) نفس المصدر ص ٣٢٣.

(٣) وفاء الوفا ص ٣١٩.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ م ص ٣٠٥.

الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة. فقال عمر: أيكم يطيب نفساً أن يخلف قَدَمَيْنِ قَدَمَهُمَا النبي، ﷺ؟ فبايعه عمر وبايعه الناس. فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً. قال: وتخلف علي وبنو هاشم والزبير وطلحة عن البيعة. وقال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يبايع علي. فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة. وقيل: لما سمع عليّ بيعة أبي بكر خرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلأ حتى بايعه، ثم استدعى إزاره ورداءه فتجمله. والصحيح: أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر، والله أعلم^(١). هذا ما ذكره ابن الأثير، وقد ذكر تفاصيل أخرى كثيرة عن هذه الحادثة يستحسن الرجوع لها لمن أراد الاستزادة والاستفادة. وقد بويح أبو بكر الصديق ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول^(٢).

١٢هـ تصفية حروب الردة، وبدء الفتوح الإسلامية في العراق والشام، فغاض خالد بن الوليد ﷺ المعارك التالية: وقعة المذار، وقعة الولجة، وقعة أليس، وقعة امغيثا، فتح الحيرة صلحاً، وقعة دومة الجندل، وكلها في العراق.

وفيها: كان مسير أبي عبيدة عامر بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة إلى الشام، ثم لحاق عمرو بن العاص بهم، وحصلت معركة دائن، معركة وادي عربة. أمر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير من العراق إلى الشام مدداً لجيش المسلمين في ذي الحجة. ومن أهم الإنجازات في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ إنفاذه لجيش أسامة بن زيد، وجهاده لأهل الردة، وجمعه للقرآن بعد وقعة اليمامة لما رأى من كثرة من قتل من الصحابة لثلا يذهب القرآن، وهزم المرتدين في ذي القصة والبحرين وبزاخة وعبان ومهرة وحضرموت كما صار في عهده بعض الفتوحات الكبرى والمعارك المشهورة، ومنها ذات السلاسل في كاظمة سنة ١٢هـ، وفتح الحيرة، وفتح الأنبار، وفتح عين التمر، ووقعة اليرموك، وفي أثناءها جاء الخبر إلى الجيش بوفاة أبي بكر. رحمة الله على الصديق وجزاه الله خيراً عن الإسلام وأهله.

وفاة أبي بكر ﷺ

١٣هـ قال البلاذري: توفي أبو بكر الصديق ﷺ مساء ليلة الثلاثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، فكانت أيامه سنتين و٣ أشهر و٢٦ يوماً وهذا قول أبي معشر، وقال غيره: سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وتوفي وهو ابن (٦٣ سنة) وذلك المجتمع عليه في سنة، وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين^(٣). قالت عائشة ﷺ: دخل أبو بكر على النبي ﷺ فقال: (يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار) فسمي يومئذ عتيقاً. وقال: (لو كنت متخذاً خليلاً من أمي لأتخذت أبا بكر)^(٤).

(١) نفس المصدر ص ٣٢٥.

(٢) أنساب الأشراف ج ١٠ ص ٧١.

(٣) المصدر نفسه ص ٩١.

(٤) المصدر نفسه ص ٥٣-٦٦.

((قال الواقدي في إسناده: كان أبو بكر أبيض نحيفاً خفيف العارضين أجناً لا يستمسك إزاره في حقويه، معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الأشاجع. وقال غير الواقدي: كان أبو بكر حسن الجسم معصوب اللحم مشرباً صفرة، جعداً، يضرب شعره شحمة أذنيه، مسنون الوجه، أكحل العينين سائل اللحية واضح الثنايا، حمش الساقين، هيناً ليناً متواضعاً كريماً، تعرف فيه الخير حين تراه، وكان يمرّ في الطريق فيتعلق الصبيان بثوبه يقولون: يا أبانا يا أبانا. ويقال: كان أبيض تعلوه صفرة، حسن القامة، نحيفاً أجناً، يسترخي إزاره عن عاتقه وحقويه، أقنى معروق الوجه، يخضب بالحناء والكتم^(١))).

خلافة عمر بن الخطاب

قال ابن الأثير: لما نزل بأبي بكر رضي الله عنه الموت دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر. فقال: إنه أفضل من رأيت إلا أن فيه غلظة. فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه، وقد زمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضاء عنه، وإذا لنت له أراني الشدة عليه. ودعا عثمان بن عفان وقال له: أخبرني عن عمر. فقال: سريره خير من علانيته، وليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكر ما قلت لكما شيئاً، ولو تركته ما عدوت عثمان، والخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئاً، ولوددت أني كنت من أموركم خلواً وكنت فيمن مضى من سلفكم. ودخل طلحة بن عبيدالله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه، وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيته! فقال أبو بكر: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أبا الله تخوفني! إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك.

ثم إن أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خالياً ليكتب عهد عمر، فقال له: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد. ثم أغمى عليه، فكتب عثمان: أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيراً. ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي. قال: نعم. قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر، فكان عمر يقول للناس: أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله ﷺ، فإنه لم يالكم نصحاً. فسكن الناس، فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال: أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا. ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ، وأوصاه بتقوى الله ثم قال:

يا عمر إن الله حقاً بالليل لا يقبله في النهار، وحقاً في النهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله

(١) المصدر السابق ص ٥٧.

عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا باطل أن يكون خفيفاً. ألم تر يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه. أولم تر يا عمر أنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون منهم، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه يجاوز لهم ما كان من سبب ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت، ولست بمعجزه^(١).

قال البلاذري: قالوا: كان عمر أول من دعي أمير المؤمنين وأول من أرخ للكتب في شهر ربيع الأول سنة ١٠هـ وأول من جمع القرآن في الصحف وأول من سن قيام شهر رمضان وجمع الناس على ذلك وكتب به إلى البلدان وذلك في شهر رمضان سنة ١٤هـ، فلما توفي قال علي بن أبي طالب: نور الله لعمر كما نور مساجدنا^(٢).

فيما بين ١٣هـ إلى ١٦هـ كان فتح بلاد الفرس وبلاد الشام، وقد سجل المسلمون فيها أعظم البطولات والانتصارات، وحفظ عمر عنده نصوص القرآن الكريم التي كتبت أيام أبي بكر، وللتحدث عن هذه السنوات لا تكفي صفحة أو صفحتان وإنما تحتاج إلى كتب ومجلدات، لذا نكتفي بالتنويه عنها وهي موجودة بكل تفاصيلها في كتب كثيرة.

وقعة القادسية

١٣هـ قال ابن الأثير: وكتب عمر إلى المشي بن حارثة الشيباني ومن معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم، وأن لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا أحضروه إما طوعاً أو كرهاً. ونزل الناس بالخل وشيراف إلى غضي، وهو جبل البصرة، وبسلمان، بعضهم ينظر إلى بعض ويتبع بعضهم بعضاً، وذلك في ذي القعدة سنة ١٣هـ. وأرسل عمر في ذي الحجة من السنة مخرجه إلى الحج إلى عماله على العرب أن لا يدعوا من له نجدة أو قرس أو سلاح أو رأي إلا وجهوه إليه، فأما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء إليه بالمدينة لما عاد من الحج، وأما من كان أقرب إلى العراق فانضم إلى المشي بن حارثة، وجاءت أمداد العرب إلى عمر^(٣).

١٤هـ وولى عمر بن الخطاب سعد بن مالك^(٤) على حرب العراق، ووصاه بالصبر وسرّحه فيمن اجتمع إليه من نفر المسلمين، وهم أربعة آلاف، فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة على بارق، وعمر

(١) الكامل في التاريخ م ٢ ص ٤٢٥.

(٢) أنساب الأشراف ج ١٠ ص ٣٢٢.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير م ٢ ص ٤٤٨.

(٤) هو سعد بن مالك بن أهيب، ويقال: وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو إسحاق بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتاً. (انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني).

ابن معديكرب، وأبو سبرة بن ذؤيب على مذبح، ويزيد بن الحارث الصدائي على صُداء، وحبيب ومُسلية وبشر بن عبدالله الهلالي في قيس عيلان^(١).

أمدَّ عمر سعداً بعد خروجه بألفي يمانيّ وألفي نجديّ، وكان المثنى بن حارثة في ثمانية آلاف، وسار سعد والمثنى ينتظر قدومه، فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحة انتقضت عليه، واستخلف على الناس بشير بن الخصاصية، وسعد يومئذ بزرود وقد اجتمع معه ثمانية آلاف، وأمر عمر بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبيسطة، فنزلوا في ثلاثة آلاف، وسار سعد إلى شراف فنزلها ولحقه بها الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن، فكان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين ألفاً، وجميع من قُسم عليه فيها نحواً من ثلاثين ألفاً. ولم يكن أحد أجراً على أهل فارس من ربيعة، فكان المسلمون يسمّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس^(٢).

معركة القادسية من أعظم معارك التاريخ الإسلامي ومن أهمها وهي عدة أيام ومنها يوم أرمات وأغواث وعِماس والهريز وغيرها. قال ابن الأثير: قيل: كانت وقعة القادسية سنة ١٦هـ (في المحرم)، قال: وكان بعض أهل الكوفة يقول: إنها كانت سنة ١٥هـ، وقد تقدم أن مبتدأ أمرها كان في سنة ١٤هـ^(٣).

بناء البصرة والكوفة

قالوا: بُصِّرَت البصرة سنة ١٤هـ؟ وكُوِّفَت الكوفة سنة ١٧هـ؟ ثم استأذنوا عمر رضي الله عنه في بنيان القصب فقال: العسكر أجدُّ لحربكم وأزكى لكم، وما أحب أن أخالفكم فشأنكم. فابتنى أهل المصرين بالقصب ثم وقع الحريق بالكوفة والبصرة...، فبعث سعد إلى عمر رضي الله عنه نفرأ يستأذنه في البناء ويخبرونه عن الحريق فأذن لهم وقال: لا يزيد أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلتزمكم الدولة، ولا ترفعوا بنياناً فوق القدر. قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم إلى السُّرف ولا يخرجكم عن القصد، وأن يكون الطريق أربعين ذراعاً وما بين ذلك عشرين والأزقة سبع أذرع. وأول شيء خط بالكوفة المسجد، فوضع في موضع التمارين من السوق، ثم قام رجل في وسطه شديد النزع، فرمى عن يمينه وعن يساره وبين يديه ومن خلفه وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهام^(٤).

ذكر ابن الأثير أن نزول عتبة البصرة كان في ربيع الأول أو الآخر سنة ١٤هـ. وقيل: إن البصرة مُصِّرَت سنة ١٦هـ بعد جلولاء وتكريت، أرسله سعد إليها بأمر عمر. وإن عتبة لما نزل البصرة أقام نحو شهر فخرج إليه أهل الأُبلة، وكان بها خمسمائة سور يحمونها، وكانت مرفأ السفن من الصين، فقاتلهم

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير م ٢ ص ٤٥١.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٥٢.

(٣) نفس المصدر ص ٤٨٥.

(٤) الروض المعطار للحميري ص ٥٠٢.

عُتْبَة فهزمهم حتى دخلوا المدينة، ودخل عتبة إلى عسكره... وكان المسلمون ثلاثمائة، وكان فتحها في رجب أو شعبان^(١).

البصرة: ((مصرها عتبة بن غزوان وهي خطط وقبائل... وبها قبر طلحة بن عبيدالله من الصحابة في المدينة وخارج المربد في البادية قبر أنس بن مالك، والحسن البصري، وابن سيرين.... ولها نهر يعرف بنهر الأبلّة طوله أربعة فراسخ ما بين البصرة والأبلّة وعلى حافتي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مدّت على خيط واحد))^(٢).

نبذة عن عتبة بن غزوان

قال ابن خلدون: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن زيد بن مالك بن عبد عوف بن الحارث بن مازن بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عَيْلان - الصحابي المشهور الذي بنى البصرة لعمر بن الخطاب وإليه ينسب العتبيون الذين سادوا بخراسان.

وقال القيسراني بمن نسبة العتبي^(٣):

الأول: منسوب إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف، منهم محمد ابن عبيدالله بن عمر بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان أبو عبدالرحمن العتبي من أهل البصرة، صاحب أخبار وآداب، حدث عن أبيه وسفيان بن عيينة وغيرهما.

الثاني: منسوب إلى عتبة بن غزوان، منهم شيخنا أبو إبراهيم أسعد بن مسعود بن علي بن محمد ابن محمد بن الحسن العتبي، من ولد عتبة بن غزوان، حدثنا عن أبي بكر الحيري.

وفي: زيادات الحافظ محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد بن عمر أبي موسى الأصبهاني على كتاب الأنساب المتفقة للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن المقدسي، قال^(٤): العتبي: أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه العبدوي العتبي من ولد عتبة بن مسعود، وأبوه أيضاً روى الحديث.

فتح دمشق

في رجب كان فتح دمشق، وقيل إن وقعة اليرموك سنة ١٥هـ، ولم تكن للروم بعدها وقعة. وقد قدم كتاب عمر بن الخطاب عليه السلام بعزل خالد بن الوليد وولاية أبي عبيدة بن الجراح أثناء حصار دمشق، فلم يعرفه أبو عبيدة ذلك حتى فرغوا من صلح دمشق وكتب الكتاب باسم خالد وأظهر أبو عبيدة بعد ذلك عزله^(٥).

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢م ص ٤٨٧.

(٢) مسالك الممالك للإصطخري ص ٨١.

(٣) الأنساب المتفقة للقيسراني ت ٥٠٧ ص ١٦١.

(٤) نفس المصدر ٢٨٤.

(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢م ص ٤٣٢.

١٥هـ وفيها أنشأ عمر بن الخطاب الديوان، وفيها كان قدوم ابن الخطاب إلى الجابية وعقده الصلح مع أهل إيليا (القدس)، وفيها فتح صيدا، وجبيل وبيروت.

١٦هـ في هذه السنة:

- وضع التاريخ الهجري والتاريخ به.
- فتح غزة وسبببية ونابلس وعمواس.
- فتح المدائن عاصمة الفرس.
- هزيمة الفرس في موقعة جلولاء.
- فتح العديد من المدن في العراق.
- وفاة ماري القبطية رحمها الله.

دخول المسلمين بيت المقدس

((روي أن المسلمين لما حاصروا بيت المقدس في السنة ١٦هـ وطال حصارهم، قال لهم أهلها: لا تتعبوا فلن يفتحها إلا رجل نحن نعرفه، له علامة عندنا، فإن كان إمامكم فيه تلك العلامة سلمناها له من غير قتال. فأرسل المسلمون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبرونه بذلك، فركب عمر رضي الله عنه على جمل، خطامه ليف ورحله، ومعه غلامه يعاقبه في الركوب نوبة بنوبة، وقد تزود شعيراً وتمرّاً وزيتاً، وزاده تحته، وعليه مرقعة، ولم يزل يطوي القفار الليل والنهار إلى أن قرب من بيت المقدس، فتلقاه المسلمون وعليه إزار وخفّان وعمامة، وهو آخذ برسن راحته، يخوض الماء قد خلع خفيه وجعلها تحت إبطيه، وقالوا له: يا أمير المؤمنين ما ينبغي أن يرى المشركون أمير المؤمنين في هذه الهيئة، وما زالوا به حتى ألبسوه ثوباً أبيض، وأركبوه فرساً، وفي رواية بردوناً ليرهب العدو، فلما أن استوى عليه ومشى به داخله شيء من العجب، فنادى بأعلى صوته: **أَقْبِلُوا عُمَرَ عَشْرَةَ**، أقالكم الله عثرتكم. فنزل ورجع إلى مرقعته فلبسها وركب جملة ثم سار على هيئته إلى أن وصل، فلما رآه المشركون من أهل الكتاب كبروا وقالوا: هذا هو!! وفتحوا له الباب، فقال: بالإيمان اعتزنا، وفي رواية: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز من غيره))^(١).

فتح مصر

قال ابن الأثير: قيل: في هذه السنة (٢٠هـ) فتحت مصر في قول بعضهم على يد عمرو بن العاص والإسكندرية أيضاً، وقيل فتحت الإسكندرية سنة ٢٥هـ، وقيل فتحت مصر سنة ١٦هـ في ربيع الأول؛ وبالجملية ينبغي أن يكون فتحها قبل عام الرمادة لأن عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القلزم من مصر إلى المدينة، وقيل غير ذلك^(٢).

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج، للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج ٢ ص ١٢٢٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير م ٢ ص ٥٦٤.

عزل المغيرة بن شعبة عن البصرة وولاية أبي موسى الأشعري

١٧هـ قال ابن الأثير: في هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة، واستعمل عليها أبا موسى وأمره أن يُشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول. قال الواقدي. وكان سبب عزله أنه كان بين أبي بكر والمغيرة بن شعبة منافرة، وكانا متجاورين بينهما طريق^(١)، وفيها: اعتمر عمر عليه السلام ووسع في المسجد، وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على من أبي البيع دورهم لذلك. وكانت العمارة في رجب. وفيها:

- زواج عمر بن الخطاب عليه السلام من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام.

- فتح أرمينيا.

- فتح الأهواز (خوزستان).

القحط الشديد واستسقاء عمر بالعباس عليه السلام

١٨هـ: قال ابن خلدون: ((أصاب الناس في سنة ١٨هـ قحط شديد وجذب أعقب جوعاً بعد العهد بمثله مع طاعون أتى على جميع الناس، وحلف عمر لا يذوق السمن واللبن حتى يحيا الناس، وكتب إلى الأمراء بالأمصار يستمدّهم لأهل المدينة فجاء أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من الطعام، وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام من مصر فرخص السعر، واستسقى عمر بالناس فخطب الناس وصلى، ثم قام وأخذ بيد العباس وتوسل به ثم بكى وجثا على ركبته يدعو إلى أن مطر الناس...، ولما هلك يزيد بن أبي سفيان ولّى عمر على دمشق مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان، وعلى الأرض شرحبيل بن حسنة. ولما فحش أثر الطاعون بالشام أجمع عمر المسير إليه ليقسم موارث المسلمين ويتطوف على الثغور، ففعل ذلك ورجع واستسقى في سنة ثمان^(٢))).

وفاة أبي عبيدة عامر بن الجراح عليه السلام في طامون عمواس

(وفاة أمين الأمة): أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أميب بن ضبة بن الحارث بن فهر مات في طامون عمواس في الشام وهو أمير وكان حين توفي ابن (٥٨ سنة). قال له رسول الله ﷺ: (أنت أمين هذه الأمة). وانتزع حلق المغفر من وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، فسقطت ثنيتاه، فلم ير أثرهم قط أحسن فماً منه، وكان نحيفاً معروق الوجه خفيف اللحية طوالاً، أجنى، أشعر، آدم، يصبغ لحيته ورأسه بالحناء والكتم. وقال الهيثم بن عدي: هاجر في المرتين جميعاً - إلى الحبشة - وهاجر أبو عبيدة مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وشهد بدرأ والمشاهد كلها^(٢).

(١) نفس المصدر ص ٥٤٠.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ١١ ص ٦٧.

ولاية معاوية بن أبي سفيان ؓ على الشام

وفيهما توفي يزيد بن أبي سفيان وهو على الشام في طاعون عُمَاس، فولّى مكانه أخاه معاوية وأقرّه عثمان من بعد عمر.

وفيهما: أرسل عمر بن الخطاب ؓ إمدادات لجيش عمرو بن العاص يقودها الزبير بن العوام، وفيها المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت.

وفيهما: معاوية يرمم حصون السواحل ويرتب فيها الحراسات.

وفيهما: فتح تكريت.

وفاة خالد بن الوليد ؓ بحمص

٢٠هـ قال البلاذري: حدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال: توفي خالد بن الوليد بن المغيرة بحمص سنة عشرين، وأوصى إلى عمر بن الخطاب، وكان عبدالرحمن بن خالد يلي الصوائف فيلي ويحسن أثره^(١).

٢١هـ:

- وفاة خالد بن الوليد (على الأصح).

- بناء جامع عمرو بن العاص بالقسطنطينية.

- ولاية أبي هريرة على البحرين.

٢٢هـ:

- الفتوحات في همذان والري وقومس وجرجان وأذربيجان.

- شق خليج أمير المؤمنين في مصر.

استشهاد عمر بن الخطاب ؓ

٢٣هـ خرج عمر بن الخطاب لصلاة الفجر (في يوم الأربعاء ٢٥ ذو الحجة) ولما استوت الصفوف هجم عليه أبو لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة بن شعبة وطعنه عدة طعنات بخنجر ذي رأسين، صنعه أبو لؤلؤة بنفسه لهذا الغرض وكان حداداً، فلما كشف عليه اثنان من الأطباء قال الأخير لعمر ؓ بما معناه: وصّ وصيّتك فإني لا أرى أنك تبقى للعشيّة، فقال عمر: لقد صدقني، فوصّى عمر عدة وصايا من أهمها أنه جعل الأمر من بعده شورى في ستة أنفار من أجلة الصحابة وهم: علي بن أبي طالب (٤٧ عاماً) وعثمان ابن عفان (٧١ عاماً) وعبدالرحمن بن عوف (٥٧ عاماً) وطلحة بن عبيدالله (٥٠ عاماً) والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ؓ أجمعين.

(١) المصدر السابق ج ٥ ص ١١٨.

وكان عمر طويلاً آدم أصلع أعسر يسراً، يعني يعمل بيديه، وكان لطوله كأنه راكب، وقيل: كان أبيض أبهق، يعني شديد البياض، تعلوه حمرة، طوالاً أصلع أشيب، وكان يصفر لحيته ويرجل رأسه. وكان مولده قبل الفجار بأربع سنين، وكان عمره خمساً وخمسين سنة، وقيل ابن ستين، وقيل: ابن ثلاث وستين وأشهر، وهو الصحيح، وقيل: ابن إحدى وستين سنة^(١).

مبايعة عثمان بن عفان

٢٤هـ قال الواقدي: بويع عثمان بالخلافة أول يوم من المحرم سنة ٢٤هـ، وقتل يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ بعد العصر، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حشر كوكب إلى جانب البقيع في موضع نخل، وكوكب رجل، فهي مقبرة بني أمية اليوم... وقتل وهو ابن (٨٢ سنة)^(٢).

٢٨هـ:

- زواج عثمان بن عفان من نائلة بنت الفرافصة الكلبية.
- معاوية بن أبي سفيان يغزو قبرص.
- الروم يعقدون هدنة مع العرب مدتها ثلاث سنوات لقاء جزية.
- ٢٩هـ وفيها تولى عبدالله بن عامر بن كريز على البصرة بدلاً من أبي موسى الأشعري.
- وفاة أبي سفيان بالمدينة.

٣٠هـ وفيها: مات أبو سفيان بن حرب بالمدينة، وهو ابن (٩٣ سنة)، وقد ولد قبل الفيل بعشر سنين^(٣). ومن مآثره (نذكر ما نقله لنا البلاذري من ذكر شهامة أبي سفيان ومروءته قبل إسلامه: ((لطم أبو جهل فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فرأت أبا سفيان فشكت إليه، فرجع معها إليه وقال: أطميه قبحه الله، فلطمته، فقال: أدركتكم المنافئة يا أبا سفيان. وأخبرت فاطمة رسول الله ﷺ بما كان من أبي جهل ومن أبي سفيان فقال: اللهم لا تنسها لأبي سفيان))^(٤). وفي هذه السنة كان جمع القرآن ونسخه في مصاحف.

- سقوط خاتم النبي ﷺ من إصبع عثمان في بئر أريس واتخاذ آخر بدلاً منه.

- نفي أبي ذر إلى الربذة.

- افتتح سعيد بن العاص طبرستان، غزاهم في جيش فيه الحسن والحسين والعبادة الأربعة وحذيفة بن اليمان في خلق من الصحابة فسار بهم فمر على بلدان شتى يصلحونه على أموال جزيلة حتى انتهى إلى بلد معاملة جرجان فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف فسأل حذيفة كيف صلى رسول الله ﷺ فأخبره

(١) الكامل في التاريخ ٢م ص ٤٥٣.

(٢) أنساب الأشراف ج ٦ ص ٢٠٥.

(٣) نفس المصدر ج ٥ ص ١٩.

(٤) نفس المصدر ص ١٤.

فصلّى كما أخبره ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً.

وفاة أبي ذر الغفاري ؓ في بلدة الربذة

٣١هـ قال الواقدي: صلى عليه ابن مسعود بالربذة في آخر ذي القعدة سنة ٣١هـ. وهو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبدمناة بن كنانة، وقيل اسمه بربر ابن جنادة. وكان خامساً في الإسلام. قالوا: وكان أبو ذر رجلاً يصيب الطريق فارساً ورجلاً كأنه سبع، ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام حين سمع بالنبى ﷺ وما يدعو إليه، والنبى ﷺ يومئذ بمكة مُسْتَحْفٍ من المشركين، فتوصل إليه حتى دخل عليه وعنده أبو بكر بعد ما أسلم بيومين أو ثلاثة، قال أبو ذر: فقلت: يا محمد إلام تدعو؟ فقال: إلى الله وحده لا شريك له وخلع الأوثان وأني رسول الله. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. ثم قلت: إني منصرف إلى أهلي فإذا أمرت بالقتال لحقت بك، فإني أرى قومك جميعاً عليك. فقال رسول الله ﷺ: صدقت، وأصبحت فانصرف. فكان أبو ذر يكون بأسفل ثنية غزال، وكان يعترض غير قريش فيأخذها، فمن شهد - الشهادة - رد عليه ماله وإلا فلا، فكان كذلك حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ومضى يوم بدر ويوم أحد ثم قدم فأقام مع رسول الله ﷺ. قالوا: كان أبو ذر نحيفاً آدم، أبيض الرأس واللحية^(١).

قال رسول الله ﷺ حين رأوا أبا ذر ماشياً على قدميه ليلحق بالجيش الذي توجه إلى غزو الروم في سنة ٩هـ والتي تسمى معركة تبوك: (يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَث وحده، ويشهده عصاة من المؤمنين)^(٢).

وفاة عدد من أجلة الصحابة ؓ

٣٢هـ توفي عبدالرحمن بن عوف (وهو ابن ٧٥ سنة) ودفن بالبقيع وهو من العشرة المبشرين بالجنة، رحمه الله تعالى. وفيها مات عبدالله بن مسعود ؓ وله بضع وستون سنة ودفن بالبقيع وكان نحيفاً قصيراً شديد الأدمة، يغيّر شيبه، ويكنى أبا عبدالرحمن^(٣)، ومنهم أيضاً أبو الدرداء، وعبدالرحمن بن ربيعة الباهلي.

وفاة العباس ؓ

وتوفي العباس في شهر رمضان ٣٢هـ وهو ابن (٨٨ سنة)، وكان معتدل القناة، ودفن بالمدينة بالبقيع وصلى عليه عثمان بن عفان، وكان يقول حين نشب الناس في أمر عثمان: اللهم اسبق بي أمراً لا أحب أن

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ت ٢٧٩ ج ٦ ص ١٧٠ / ج ١١ ص ٨٧-١٢٨.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير م ٢ ص ٢٨٠.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ت ٢٧٩ ج ٦ ص ١٤٩.

أدركه. قال ابن عباس: كان أبي أبيض بضاً رَجُلَ الشعر، حسن اللحية في رقة، تَأَمَّ القامة رحب الجبهة أهدب الأشفار أو قال أوطف، أقى الأنف عظيم العينين سهل الخدين بادناً جسيماً، وكان قبل أن تكبر سنه ذا ضفيرتين، وكَفَّ بصره قبل موته بخمس سنين، وقد كان خضب ثم ترك الخضاب^(١).

ومما نقله عن ابن الأثير قوله: كان أمير المؤمنين عمر حين أراد المسير إلى أرض فلسطين في سنة ١٦هـ واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، (قال له علي: أين تخرج بنفسك؟ إنك تريد عدواً كلباً. فقال عمر: أبادر بالجهاد قبل موت العباس، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل. فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان، فانتقض بالناس الشر). وقال ابن الأثير أيضاً: (ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علي وعبدالرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك. قال: لا. بل ابدأ بعن رسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض للعباس وبدأ به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن ألق أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف)^(٢).

ولادة علي زين العابدين ؑ

٣٣هـ ولد بالمدينة الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن علي، وقيل إن ولادته كانت في سنة ٣٥هـ في وقعة الجمل، وقيل سنة ٣٨هـ، وقد اختلف الناس في أمه واسمها، قال الطبراني: اسمها غزالة من بنات كسرى، وقال المبرد: اسمها سلامة من ولد يزدجرد، وقال ابن قتيبة: إنها سندي اسمها سلافة أو غزالة من سبي فارس من خيرات العجم، وقال ابن خلكان: والأصح ما قاله المجدي أنها شاه زنان بنت كسرى بن يزدجرد بن أبرويز كانت ذات عفة وفضل سيدة نساء الفرس وبنت ملكهم. ويذكر ابن شدقم أنه توفي سنة ٩٥هـ، وله من العمر سبع وخمسون سنة، وعلى هذا يكون عمره الشريف يوم الطف ٢٨ سنة^(٣).

الفتنة العظمى في الإسلام

٣٥هـ وفيها كان مسير أهل الأمصار إلى عثمان ؑ في المدينة: أظهروا أنهم يريدون البصرة وكان خروجهم في رجب^(٤). بعد حصارهم لبيته تسللوا وهجموا عليه وقتلوه ظلماً وعدواناً.

تعتبر حادثة مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ؑ من الحوادث الأليمة والفظيعة في الإسلام، فلم يأت على الإسلام شرّ بمثل ما آتت هذه الحادثة من تبعات سيئة لها إلى يومنا هذا، لأن المسلمين

(١) المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٧-٣٩ // ج ٤ ص ٣٠-٢٩.

(٢) الكامل في التاريخ ص ٥٠٠، ٥٠٢.

(٣) تحفة الأزهار لضامن بن شدقم ج ٢ ص ١٥٤، ١٣٥: سنة الطف هي ٦١هـ، فإذا قيل عمره حين وفاته في سنة (٩٥هـ) كان ٥٧ سنة، فإن عمره يوم الطف يكون ٢٣ سنة وليس ٢٨، لكن إذا قلنا إنه ولد في سنة ٣٣هـ فعمره بالطف يكون ٢٨ سنة. والله أعلم.

(٤) أنساب الأشراف ج ٦ ص ١٧٦.

انقسموا لأول مرة وتحاربوا فيما بينهم وتطاحنوا، وكان الله يعاقبهم على ما اقترفت أيديهم من قتل خليفتهم.

فقد حوَّصر هذا الخليفة المظلوم في بيته وهو لا يريد قتالاً، وهجموا عليه في بيته وهو يتلو القرآن وقتلوه، والمصيبة أنهم قتلوه وهم بقتله فرحون ومفتخرون، فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا إليه راجعون. لو أن الذين قتلوا ذا النورين زوج ابنتي رسول الله ﷺ ومجهز جيش العسرة رأوا ما عليه الحكام بعده من العتو والفجور وظلم الرعية لترحموا عليه وعلى أيامه ألف رحمة ولندموا ألف مرة وتحسروا على ما صنعت أيديهم من فتنة لا تزال آثارها باقية بشكل سلبي.

قال الواقدي: وكان عثمان رجلاً ليس بالقصير ولا الطويل، حسن الوجه رقيق البشرة كبير اللحية عظيمها أسمر اللون عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس يصفر لحيته، وكان يشد أسنانه بالذهب.... وقال جرير بن حازم: كان رجلاً مربوعاً حسن الشعر والوجه أصلع أرواح الرجلين^(١).

مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ولما قتل عثمان جعل الناس يبايعون علياً، فجاء طلحة فقال له علي: هات يدك أبايعك. فقال له طلحة: أنت أحق بها مني. وقد بايع الناس علياً يوم السبت لتسع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة^(٢) سنة ٣٥ هـ.

يوم الجمل ويوم صفين

٣٦ هـ يوم الجمل هو يوم الخميس لعشر ليالٍ خلون من جمادى الآخرة^(٣). ويوم صفين حين نزل علي بن أبي طالب لليلتين من ذي الحجة سنة ٣٦ هـ، فغلب وأصحابه على الماء، فأمر رضي الله تعالى عنه أصحابه أن لا يمنعوا أصحاب معاوية رضي الله عنه الماء فجعل السقاء يزدحمون عليه.

ويقال: إن معاوية رضي الله عنه لما رأى شدة قتالهم على تلك الشريعة أرسل إلى أصحابه أن خلّوا عن الماء ليشربوا وتشربوا. فلما أهلّ هلال صفر سنة ٣٧ هـ، أمر علي - كرم الله وجهه - فنودي في أهل الشام بالإعذار إليهم، وحرّض الناس وأوصاهم يفضوا الأبصار ويخفضوا الأصوات، ويقلّوا الكلام، ويوطنوا أنفسهم على المجالدة والمنازلة ويستشعروا بالصبر^(٤). وبعد الجمل وصفين^(٥) كانت وقعة النهروان في

(١) المصدر نفسه ص ٢٠٧-٢١٠.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ١٦ / ج ٦ ص ٢٠٦.

(٣) المصدر السابق ج ٩ ص ٤٣٣.

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٨٣-٨٤، كلما أردت أن أكتب عن الأحداث الكبيرة في الإسلام مثل يوم الجمل وصفين كنت مختصراً لها، لما فيها من المأسى التي وقعت بين أجلة الصحابة رضي الله عنهم، وتلك جراح لا تعيش عليها غير الجرائيم، التي تبحث دائماً عن موضع الألم في الجسد، ليس لتداويه وتظهره بل لتغذي عليه..

(٥) صفين تقع: في جهة الغرب بمسافة ٢٠ كم تقريباً من منطقة الرقة السورية..

المحرم من سنة ٣٨هـ حينما سار علي عليه السلام إلى الخوارج فدعاهم، فاعتزل بعضهم فلم يقاتلوه، وبقي الآخرون فقاتلهم بالنهروان فقتلوا لتسع خلون من صفر^(١). وكان مع أمير المؤمنين - علي عليه السلام - من عنزة في يوم صفين أربعة آلاف مدرع^(٢).

المؤامرة الكبرى، مقتل علي ومبايعة الحسين عليه السلام

٤٠هـ قال البلاذري: تأمر أشخاص على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص زاعمين الرغبة في تخليص المسلمين من المشاكل التي تسبب بها هؤلاء المذكورون. فأما صاحب علي فقتله حين خرج لصلاة الصبح، وأما صاحب معاوية فطعنه وهو دارع فلم يضره وأما عمرو بن العاص فخرج أمامه خارجة ابن أبي خارجة من بني عدي بن كعب، فظن الرجل أنه عمرو بن العاص، فشد عليه فقتله، ورجع عمرو وراءه.

فلما قتل علي تداعى أهل الشام إلى بيعة معاوية، فقال عبدالرحمن بن خالد بن الوليد: نحن المؤمنون ومعاوية أميرنا وهو أمير المؤمنين، فبايع له أهل الشام وهو بإيليا لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة أربعين، فكان بين قتل عثمان وبيعة الناس لمعاوية أربع سنين وشهرين وسبع عشرة ليلة. وقيل: ضرب البرك معاوية وهو ساجد، فمذ ذاك جعل الحرس يقومون على رؤوس الخلفاء في الصلاة، اتخذ معاوية المقصورة. وروى بعضهم أن معاوية لم يولد بعد هذه الضربة^(٣).

جاء - ابن ملجم - ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٤٠هـ، وهذا الثبت...، وكانت تلك الليلة الميعاد الذي ضربه وصاحبه في قتل علي ومعاوية وعمرو... وقالوا: مكث علي يوم الجمعة ويوم السبت وتوفي ليلة الأحد، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان. قتل وعمره ثلاث وستون سنة^(٤).

وكانت صفة علي كرم الله وجهه: آدم شديد الأدمة، ثقیل العينين، ضخم البطن، أصلع ذا عضلات ومناكب، في أذنيه شعر قد خرج من أذنه، وكان إلى القصر أقرب^(٥).

وعن عمر بن الخطاب عليه السلام قال: كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصحابة، إذ ضرب رسول الله ﷺ منكب علي فقال: (علي، أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى) خرجه ابن السمان^(٦). وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال لعلي: (أنت

(١) المصدر السابق ص ١٣٦.

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لـ محمد بن صالح بن الحسن العصامي الصنعاني ت ١٢٦٣هـ تحقيق محمد الأكوخ ط ١ ص ٢٥٤.

(٣) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٢٥٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٥٣-٢٥٧-٢٥٨.

(٥) نفس المصدر ص ٢٥٤.

(٦) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبد الملك بن حسين الشافعي العاصمي المكي ت ١١١١هـ دار =

مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي). أخرجه البخاري ومسلم. وعن أنس رضي الله عنه قال: كان عنده ﷺ طير أهدي إليه، وكان مما يعجبه أكله فقال: (اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فأكل معه). أخرجه الترمذي والبخاري في المصابيح^(١).
وبعد مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ببيع ابنه الحسن بالخلافة.

عام الجماعة ومبايعة معاوية رضي الله عنه

قال البلاذري: حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثنا وهيب بن جرير عن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: لما قتل علي بن أبي طالب، وباع أهل الشام معاوية بالخلافة، سار معاوية بالناس إلى العراق وسار الحسن بن علي بمن معه من أهل الكوفة، ووجه عبيد الله بن العباس وقيس بن سعد بن عبادة في جيش عظيم حتى نزلوا مسكن من أرض العراق، وقد رُقَّ أمر الحسن، وتواكل فيه أهل العراق، فوثبوا عليه فأنشع رداؤه عن ظهره، وأخذ بساطه من تحته، وخرق سرادقه. فأرسل عبيد الله بن عباس إلى عبدالله بن عامر يأمره أن يأتيه إذا أمسى بأفراس حتى يصير إلى معاوية فيصالحه ففعل، فلحق عبيد الله بمعاوية وترك جنده لا أمير لهم، وفيهم قيس بن سعد فقام بأمر أولئك الجند، وجعل معاوية يرسل إليه أربعين ليلة يسأله أن يبايعه فيأبى حتى أراد معاوية قتاله، فقال له عمرو بن العاص: إنك لن تخلص إلى قتل هؤلاء حتى تقتل أعدادهم من أهل الشام، فصار إلى أن أعطاه ما أراد من الشروط لنفسه ولشييعته، ثم دخل قيس في الجماعة ومن معه وبايعه^(٢). وقد بويع الحسن في شهر رمضان سنة أربعين، وصالح معاوية في شهر ربيع الآخر سنة ٤١هـ، فكان أمره ستة أشهر وأياماً^(٣).

روي عن أبي نعيم في حليته يرفع سنده إلى أبي بكر قال: إن رسول الله ﷺ قام ذات يوم يصلي فجاء سبطه الحسن وهو ساجد فركب على ظهره وركبته فقال رسول الله ﷺ: (إن هذا ريحانتي، والله إن ابني هذا سيد عسى الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)^(٤). وكان عمر الحسن لما بويع ٣٧ سنة^(٥).

وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه

٤٣هـ في هذه السنة توفي عمرو بن العاص، ولم يبلغ الثمانين من عمره وكان أكبر من عمر بن الخطاب بخمس سنين وهذا الأصح، وفي رواية أخرى قيل إنه توفي بمصر سنة ٥٢هـ يوم الفطر، وهو ابن (٩٣ سنة) وقيل: مات وله (٨٨ سنة) والله أعلم^(٦).

= الكتب العلمية بيروت ط ١٩٩٨/١م تحقيق الشيخين عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض م ٣ ص ٢٧.

(١) المصدر نفسه ص ٢٩.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٣ ص ٢٩٢.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٩٥.

(٤) تحفة الأزهار لضمّن بن شدقم ج ١ ص ١٢٦ = راجع صحيح البخاري: الفتن ٢٥.

(٥) المصدر السابق راجع هامش ج ١ ص ١٤٥.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٧٩.

٤٤٤ هـ وفاة أبي موسى الأشعري، وعتبة بن أبي سفيان، وأم حبيبة بنت أبي سفيان رحمهم الله جميعاً.

ولاية زياد بن أبي سفيان على البصرة وغيرها

٤٤٥ هـ قال ابن خلدون: معاوية عزل الحارث بن عبد الله الأزدي عن البصرة وولى عليها زياداً سنة ٤٤٥ هـ وجمع له خراسان وسجستان. ثم جمع له السند والبحرين وعمان، وقدم البصرة فخطب خطبته البتراء وهي معروفة. وإنما سميت البتراء لأنه لم يفتحها بالحمد والثناء، فحذروهم في خطبته ما كانوا عليه من الانهماك في الشهوات والاسترسال في الفسق والضلال، وانطلاق أيدي السفهاء على الجنائيات، وانتهاك الحرم وهم يدنون منهم، فأطال في ذلك عنفهم ووبخهم وعرفهم ما يجب عليهم من الطاعة من المناصحة والانقياد للأمة....، فجرد السيف وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، وخافه السفهاء والذعار، وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم، حتى كان الشيء يسقط من يد الإنسان فلا يتعرض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه، ولا يفلق أحد بابه، وأدّر العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف...، وجعل معه رجالاً على الجباية منهم أسلم بن زرعة الكلابي.

وفاة الحسن عليه السلام بالمدينة المنورة

يذكر ابن خلدون أن الحسن بن علي عليه السلام توفي سنة ٤٩ هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع، وذكر أبو الفرج الأصبهاني أنه توفي سنة ٥١ هـ على فراشه بالمدينة، وتجتمع كل الروايات على أن العقب منه في رجلين فقط هما: زيد والحسن المثنى^(١).

٥٠ هـ وفاة المغيرة بن شعبة الثقفي عليه السلام الذي ولاه معاوية الكوفة بالطاعون سنة ٥٠ هـ رحمه الله^(٢). وجمع معاوية لزياد الكوفة والبصرة في سنة ٥٠ هـ فكان يخلف سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار بالبصرة إذا خرج إلى الكوفة ويخلفه بالكوفة إذا خرج إلى البصرة عمرو ابن حريث المخزومي، وكان يقيم بالبصرة ستة أشهر وبالكوفة ستة أشهر^(٣).

وفاة زياد

٥٣ هـ في رمضان: قال ابن خلدون: مات زياد بن أبيه بطاعون أصابه في يمينه، يقال بدعوة ابن عمر، وذلك أن زياداً كتب إلى معاوية أني ضبغت العراق بشمالي ويميني فارغة فاشغلها بالحجاز، فكتب له عهده بذلك، وخاف أهل الحجاز وأتوا عبد الله بن عمر يدعوا لهم الله أن يكفيهم ذلك، فاستقبل القبلة ودعا معهم وكان من دعائه: اللهم اكفناه، ثم كان الطاعون فأصيب في يمينه. ولما مات استخلف على

(١) سمط النجوم العوالي م ٣ ص ١٠٣.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ١٣ ص ٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه ج ٥ ص ٢١٩.

الكوفة عَبْدُ اللَّهِ بن خالد بن أُسَيْد، وكان خليفته على البصرة عَبْدُ اللَّهِ بن عمر بن غيلان، وعزل بعد ذلك عَبْدُ اللَّهِ بن خالد عن الكوفة وولى عليها الضحاك بن قيس.

ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة

٥٤هـ الضحاك بن قيس بن خالد الفهري ولاء معاوية بن أبي سفيان ؓ الكوفة بعد زياد، وعزله سنة ٥٧هـ^(١)، وقيل كانت التولية سنة ٥٥هـ، والعزل سنة ٥٨هـ.

وفي هذه السنة: تولى مروان بن الحكم على المدينة.

٥٥هـ وفاة سعد بن أبي وقاص.

وفيها قتل توبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية.

وفاة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر

٥٨هـ توفيت أم المؤمنين عائشة ؓ^(٢).

وفاة معاوية بن أبي سفيان ؓ

٦٠هـ مات معاوية بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين وصلى عليه الضحاك بن قيس وهو ابن (٧٣ سنة) ويقال ابن (٨٠ سنة). وكانت له بنت يقال لها عاتكة تزوجها يزيد بن عبد الملك..
يزيد بن معاوية وأمه ميسون ابنة بحدل الكلبي^(٣).
كان أبيض جميلاً، إذا ضحك انقلبت شفته العليا، وكان يخضب بالصفرة. وقال معاوية بن صالح، عن العرياض بن سارية: سمعت رسول الله ﷺ وهو يدعو إلى السحور: (اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب) رواه أحمد في مسنده^(٤).

خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

بعد وفاة معاوية رحمه الله تولى الخلافة ابنه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن (عبد مناف). أمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنعة أحد بني حارثة بن جناب، وكنيته أبو خالد. وكان آدم جعداً مهزوماً، أحور العين، بوجهه آثار جدري حسن اللحية خفيفها^(٥).

(١) المصدر نفسه ج ١١ ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه ج ٥ ص ١٥٣.

(٣) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي ت ٣٢٨ ج ٥ ص ١٠٤.

(٤) سمط النجوم العوالي م ٣ ص ١٥٥.

(٥) العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي ج ٥ ص ١١٧.

قال العاصمي يصف الحالة التي كان عليها يزيد عندما بلغه نبأ وفاة أبيه معاوية رضي الله عنه: فإذا يزيد في ركب مع أخواله من بني كلب وهو على بختي له وريطة مثنية في عنقه، ليس عليه سيف ولا عمامة، وقد كان ضخماً سميناً قد كثر شعره وشعث، فأقبل الناس يسلمون عليه ويعزّونه وهو ترى فيه الكآبة والحزن وخفض الصوت والناس يعيرون ذلك منه، ويقولون: هذا الأعرابي الأمي ^(*) ولي أمر الناس، والله سائل عنه، فسار، فقلنا: يدخل من باب توما، فلم يدخل ومضى إلى باب شرقي، فلم يدخل منه وأجازه، ثم جاز باب كيسان إلى باب الصغير فلما وافاه أناخ ونزل ومشى الضحاك بين يديه إلى قبر معاوية فصففنا خلفه وكبر أربعاً، فلما خرج من المقبرة أتى ببغلة، فركبها إلى الخضراء ثم نودي: الصلاة جامعة لصلاة الظهر، فاعتسل ولبس ثياباً نفيسة ثم جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وذكر موت أبيه وقال: إنه كان يغزيكم البحر والبرّ ولست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر. وإنه كان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتياً أحداً بها، وإنه يخرج لكم العطاء ثلاثاً وأنا أجمعه لكم كله. قال: فافترقوا وما يفضلون عليه أحداً ^(١).

استشهاد الحسين بن علي عليهما السلام

٦١هـ استشهد الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن (عبدمناف) يوم الجمعة يوم عاشوراء بالطّف من شاطئ الفرات بموضع يدعى كربلاء، وهو ابن (٥٦ سنة)، وهو صابغ بالسواد، قتله سنان بن أبي أنس وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير، وحزّ رأسه وأتى به إلى عبيدالله وهو يقول:

أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّجَ خَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ أُمًّا وَأَبَا

فقال له عبيدالله بن زياد - وكان يحكم العراق - : إذا كان خير الناس أمّا وأباً وخير عباد الله، فلم قتله؟ قدموه فاضربوا عنقه! فضربت عنقه ^(٢) بأمر يزيد بن معاوية

قلوب الناس مع من تحب وسيوفهم مع من تهاب

ولما صار الحسين إلى الصفاح - بين حنين وأنصاب الحرم - لقيه الفرزدق بن غالب الشاعر فسأله عن أمر الناس وراءه فقال له الفرزدق: الخير سألت، إن قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين: صدقت ^(٣).

(*) يزيد لم يكن أمياً، وهذه رواية منحازة.

(١) سمط النجوم العوالي م ٣ ص ١٦٢.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ١٢٢.

(٣) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٧٦.

رغبة الحسين بالعودة ورفض ابن زياد

((توافق الحسين وعمر بن سعد بن أبي وقاص خلوين فقال الحسين: اختاروا مني الرجوع إلى المكان الذي أقبلت منه أو أن أضع يدي في يد يزيد فهو ابن عمي ليري رأيه فيّ، وإما أن تُسيروني إلى ثغر من ثغور المسلمين فأكون رجلاً من أهله لي ما له وعليّ ما عليه. ويقال إنه لم يسأله إلا أن يشخص إلى المدينة فقط. فكتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بما سأل فأراد عبيد الله أن يجيبه إلى ذلك، فقال له شمر بن ذي الجوشن الكلابي ثم الضبابي: لا تقبلنّ منه إلا أن يضع يده في يدك فإنه إن لم يفعل ذلك كان أولى بالقوة والعز، وكنت أولى بالضعف والعجز فلا ترض إلا بتزوله على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت كان ذلك لك وإن غفرت كنت أولى بما تفعله، لقد بلغني أن حسيناً وعمر يجلسان ناحية من العسكر يتناحيان ويتحادثان عامة الليل، فقال ابن زياد: نعم ما رأيت. فاخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا ابعث بهم إليّ سلماً، وإن هم أبوا قاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطعه، وإن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.... فلما أوصل شمر الكتاب إليه قال عمر: يا أبرص ويلك لا قرب الله دارك ولا سهل محلّتك، وقبحك وقبح ما قدمت له، والله إني لأظنك ثنيته عن قبول ما كتبت به إليه.

فقال له شمر: أتمضي لأمر الأمير وإلا فخلّ بيني وبين العسكر وأمر الناس، فقال عمر: لا ولا كرامة، ولكنني أتولى الأمر. قال: فدونك. فجعل عمر شمرأً على الرجال ونهض بالناس عشية الجمعة، ووقف شمر فقال: أين بنو أختنا يعني: (العباس وعبد الله وجعفر وعثمان) بني علي بن أبي طالب، وأمههم: أم البنين بنت حزام بن ربيعة الكلابي الشاعر، فخرجوا إليه، فقال: لكم الأمان، فقالوا: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمّتنا وابن بنت رسول الله لا أمان له؟ ثم إن عمر بن سعد نادى: يا خيل الله اركبي واشربي، فركب في الناس وزحف نحو الحسين وأصحابه بعد صلاة العصر والحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه، فقال العباس بن علي: يا أخي، أذاك القوم، فنهض فقال: يا عباس اركب، بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: ما بدا لكم وما تريدون؟ فأتاهم العباس في عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر، فسألوهم عن أمرهم فقالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم. فانصرف العباس وحده راجعاً فأخبر الحسين بقولهم، وقال لهم حبيب بن مظاهر. والله لبش القوم عند الله قوم قتلوا ذرية نبيهم وعترته وعباد أهل المصّر. فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك. وقال عزرة لزهير بن القين: كنت عندنا عثمانياً فما بالك؟ فقال: والله ما كتبت إلى الحسين ولا أرسلت إليه رسولاً ولكن الطريق جمعني وإياه فلما رأيته ذكرت به رسول الله ﷺ، وعرفت ما تقدم عليه من غدركم ونكثكم وميلكم إلى الدنيا، فرأيت أن أنصره وأكون في حربه حفظاً لما ضيعتم من حق رسول الله ﷺ. فبعث الحسين إليهم يسألهم أن ينصرفوا عنه عشيتهم حتى ينظر في أمره، وإنما أراد أن يوصي أهله ويتقدم إليهم فيما يريد))^(١).

ومن حديث أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: كان عندي النبي ﷺ ومعني الحسين، فدنا من النبي ﷺ

(١) المصدر نفسه ص ٣٩١.

فأخذته فبكى فتركته، فدنا منه، فأخذته، فبكى فتركته، فقال له جبريل: أتجبه يا محمد؟ قال: نعم! قال: أما إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها! فبسط جناحه، فأراه منها، فبكى النبي ﷺ^(١).

بدء أمر التوابين

في آخرها: كان ابتداء أمر التوابين بزعامة سليمان بن صرد للمطالبة بدم الحسين، فكانوا يتداعون ويستعدون ويرتأون^(٢).

٦٢هـ التوابون يعلنون الثورة للمطالبة بدم الحسين.

ثورة المدينة المنورة

وفيها (٦٢هـ): أهل المدينة يعلنون خلع يزيد بن معاوية، ويحاصرون بني أمية في دورهم، ويطردون عثمان بن محمد عامل يزيد على المدينة.

وقعة الحرة

في ذي الحجة من سنة ٦٣هـ كانت ((وقعة الحرة الشهيرة)) عندما أمر يزيد بن معاوية بقتال أهل المدينة، وسببها هو ما ذكره الإمام ابن الجوزي قال: ((لما دخلت سنة ٦٢هـ ولى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة، فبعث إلى يزيد وفداً من المدينة، فلما رجع الوفد أظهروا شتم يزيد وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطناير، ويلعب بالكلاب، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه. وقال المنذر: أما والله لقد أجازني مائة ألف درهم، ولا يمنعني ما صنع أن أصدقكم عنه، والله إنه يشرب الخمر، وإنه يسكر حتى يدع الصلاة، ثم بايعوا لعبدالله بن حنظلة الغسيل، وأخرجوا عثمان بن محمد عامل يزيد، وكان ابن حنظلة يقول: يا قوم ما خرجنا على يزيد حتى خفت أن نرمى بالحجارة من السماء، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاء حسناً))^(٣).

وقال ابن الجوزي: قال أبو الحسن المدائني - وكان من الثقات - أتى أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد، فقال عبدالله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي، ونزعها عن رأسه، إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي، ولكن عدو الله سكير. وقال آخر: قد خلعت كما خلعت نعلي، حتى كثرت العمام والنعال. ثم ولوا على قریش عبدالله بن مطيع، وعلى الأنصار عبدالله بن حنظلة. ثم حاصر القوم من كان بالمدينة من بني أمية في دار مروان. فكتب مروان ومن معه إلى يزيد: إنا قد حصرنا ومنعنا العذب، فيا غوثاه. فوصل الكتاب إليه. فبعث إلى مسلم بن عقبة - وهو شيخ كبير -

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٥ ص ١٢٥.

(٢) أنساب الأشراف ج ٦ ص ٣٦٦.

(٣) وفاء الوفا ص ١٢٧.

فجاء حتى دخل عليه وقال له: اخرج وسر بالناس، فخرج مناديه فنادى: أن تسيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كملأ ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته. فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل. وكتب يزيد إلى ابن مرجانة (عبيد الله بن زياد بن أبيه) أن اغز الزبير، فقال: لا والله لا أجمعها للفاسق أبداً قتل ابن رسول الله ﷺ وإغزاء البيت. وقال يزيد لمسلم: إن حدث بك حادث فاستخلف حصين بن نمير السكوني. وقال له: ادع القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، وإذا ظهرت عليهم فأبجها ثلاثاً بما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عنهم وانظر علي بن الحسين فاستوص به، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه، فلما بلغ أهل المدينة إقبال الحصين وثبوا على من كان محصوراً من بني أمية، وقالوا: لا نكف عنكم حتى نضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه ألا تبغوا غائلة، ولا تدلوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدواً، فأعطوهم العهد على ذلك. فأخرجوهم من المدينة، فخرجوا حتى لقوا مسلم بن عقبة، وأرسل إليه مروان ابنه عبد الملك فأشار عليه أن يأتيهم من ناحية الحرة، وأن ينتظرهم ثلاثاً ففعل، فلما مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة، ما تصنعون؟ قالوا نحارب، قال: لا تفعلوا وادخلوا في الطاعة، قالوا: لا نفعل، وكانوا قد اتخذوا خندقاً، فنزل منهم جماعة، وحمل ابن الغسيل على الخيل حتى كشفها وقاتلوا قتالاً شديداً، وجعل مسلم يحرض أصحابه، وكان به مرض، فنصب له سرير بين الصفين وقال: قاتلوا عن أميركم، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً...^(١).

توجه الجيش الأموي من المدينة المنورة إلى مكة المشرفة

قال ابن الجوزي: لما دخلت سنة ٦٤هـ وقد فرغ مسلم من قتال أهل المدينة سار متوجهاً إلى مكة واستخلف على المدينة روح بن زنباع وسار إلى ابن الزبير فمات في الطريق^(٢). وقال القرطبي أهلكه الله منصرفه عن المدينة ابتلاه الله بالماء الأصفر في بطنه، فمات بقديد. وقال الطبري: مات بهرشي بعد الوقعة بثلاث ليال، وكان لحماقته الموفرة يقول عند موته: اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله أحب إلي من قتال أهل المدينة، ولكن دخلت النار بعدها إني لشقي^(٣).

ولاية حصين بن نمير على الجيش الأموي

((ولما انقضى أمر الحرة توجه مسلم بن عقبة بمن معه من أهل الشام إلى مكة يريد ابن الزبير وهو ثقیل، فلما كان بالأبواء حضره أجله، فدعا حصين بن نمير فقال له: إني أرسلت إليك، فلا أدري أقدمك على هذا الجيش أو أقدمك فأضرب عنقك! قال: أصلحك الله، أنا سهمك، فارم بي حيث شئت. قال: إنك أعرابي جلف جاف وإن هذا الحي من قريش لم يمكنهم أحد قط من أذنه إلا غلبوه على رأيه، فسر

(١) المصدر السابق ص ١٢٧، وقعة الحرة مشهورة ومذكورة في الكتب وقد توقفنا عن ذكر بقية الخبر لفظاعته، ولأنه من المواضيع التي نحتاج إلى تحقيق وتدقيق، لذا تركه أسلم..

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٣.

بهذا الجيش فإذا لقيت القوم فإياك أن تمكنهم من أذنك لا يكن إلا على الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف. ومات مسلم بن عقبة لا رحمه الله، ومضى حصين بن نمير بجيشه ذلك، فلم يزل محاصراً لأهل مكة حتى مات يزيد وذلك خمسون يوماً ونصب المجانيق على الكعبة وأحرقها يوم الثلاثاء لخمس خلون من ربيع الأول سنة ٦٤هـ وفيها مات يزيد بن معاوية^(١).

وفاة يزيد بن معاوية

وكان بين الحرة وبين موته ثلاثة أشهر، وقال القرطبي: دون ثلاثة أشهر، لأنه توفي بالذبحة وذات الجنب في نصف ربيع الأول، فلقد ذاب ذوب الرصاص واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام، فذلوا حتى كان لا يتفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها، فقال لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا، ومضى ذلك الجيش حتى دخلوا الشام^(٢). وقد مات يزيد ابن معاوية بحوارين من بلاد حمص، وصلى عليه ابنه معاوية بن يزيد ليلة البدر في شهر ربيع الأول. ومات وهو ابن (٣٨ سنة)^(٣).

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية (٤٠ يوماً)

استخلف معاوية بن يزيد بن معاوية وهو ابن (٢١ سنة)، ومات بعد أبيه بأربعين يوماً. ولم يزل مريضاً طول ولايته، لا يخرج من بيته وحين حضرته الوفاة قيل له: لو عهدت إلى رجل من أهل بيتك واستخلفت

(٢) وفاة الوفا ص ١٣٧.

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ١٣١.

(٣) وكان يزيد رحمه الله إلى جانب حزمه وعزمه وشدة في الحكم، كان يتمتع بفضيلة الأدب والشعر، مما يدل على رقة أحاسيسه، ومما ينسب إليه هذه القصيدة التي تعتبر من عيون الشعر العربي:

مذت مواشطها من كنفها شركاً	نصبت به قلبي من داخل الجسد
أنسية لو رأيتها الشمس ما طلعت	من بعد رؤيتها يوماً على أحد
سألته الوصل قالت لا تغر بنا	من رام منا وصلاً مات بالكمد
فكم قتيل لنا بالحب مات جوى	من الغرام ولم يبدىء ولم يمد
فقلت أستغفر الرحمن من زلل	إن المحب قليل الصبر والجلد
قد خلفتني طريحاً وهي قائمة	تأملوا كيف فعل الظبي بالأسد
قالت: لطيف خيال زارني ومضى	بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال: خلفته لو مات من ظمأ	وقلت: قف عن ورود الماء لم يرد
قالت: صدقت الوفا في الحب شيمته	يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
واسترجعت سألت عني فليل لها	ما فيه من رمي دقت يداً بيدي
وأمرت لؤلؤاً من نرجس وسقت	ورداً وعضت على العناب بالبرد
وأنشدت بلسان الحال قائلة	من غير كره ولا مطل ولا مدد
والله ما حزنت أخت لفقد أخ	حزني عليه ولا أم على ولد
إن يحسدوني على موتي فوا أسفى	حتى على الموت لا أخلو من الحسد

خليفة! قال: لم أنتفع بها حياً فلا أقبلها ميتاً، لا يذهب بنو أمية بحلالتهم وأتجرع مرارتهم، ولكن إذا مت فليصل عليّ الوليد بن عتبة، وليصل بالناس الضحاك بن قيس. حتى يختار الناس لأنفسهم^(١).

ثلاثة رجال يطلبون الخلافة

كان (مروان بن الحكم بن أبي العاص) بالشام فهمّ بالمسير إلى المدينة لمبايعة (ابن الزبير) ويأخذ منه الأمان لبني أمية فقدم عليه عبيد الله بن زياد فقال له: ((استحييت لك من هذا الفعل إذ أصبحت شيخ قريش المشار إليه وتبايع عبدالله بن الزبير وأنت أولى بهذا الأمر منه)). فقال له: لم يفت شيء. وقال ابن زياد: إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام يعني خالد بن يزيد بن معاوية فتزوج أمه فيكون في حرك، ففعل مروان ذلك، ووعدا أن يولي ابنها عهده فتزوج أم خالد وهي فاخنة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ولقبها حبة - لقصرها - وجمع بني أمية فبايعوه بالإمرة عليهم وبايعه مواليهم وأتباعهم وبايعه أهل تدمر ثم سار بجمع عظيم إلى الضحاك وهو يومئذ بدمشق، فلما بلغه خروج مروان إليه خرج بمن معه من أهل دمشق وغيرهم وفيهم زفر بن الحارث فاقتتلوا بمرج راهط...^(٢).

دعوة كلب لخالد بن يزيد

قال حسان: يا أهل الأردن قد علمتم أن ابن الزبير في شقاق ونفاق وعصيان لخلفاء الله. ومفارقة لجماعة المسلمين، فانظروا رجلاً من (بني حرب) - بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - فبايعوه فقالوا: اختر لنا ما شئت من بني حرب وجنبا هذين الغلامين عبدالله وخالد ابني يزيد بن معاوية، فإننا نكره أن يدعوا الناس إلى شيخ ونحن ندعو إلى صبي، وكان هوى حسان في خالد بن يزيد وكان ابن أخته فلما رموه بهذا الكلام أمسك وكتب إلى الضحاك بن قيس الفهري كتاباً... وقال لرسوله اقرأ الكتاب على الضحاك بمحضر بني أمية وجماعة الناس. فلما قرأ كتاب حسان تكلم الناس فصاروا فرقتين، فصارت اليمانية مع بني أمية والقيسية زبيرية ثم اجتلدوا بالنعال ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى حجز بينهم خالد بن يزيد، ودخل الضحاك دار الإمارة فلم يخرج ثلاثة أيام.

دعوة قيس عيلان لابن الزبير

وخرج الضحاك بن قيس إلى مسجد دمشق فجلس فيه، فوقع في يزيد بن معاوية فقام إليه شاب من كلب بعضاً فضربه بها والناس جلوس في الحلق وعليهم سيوفهم، فقام بعضهم إلى بعض فاقتتلوا، وقيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك، وكتب تدعو إلى بني أمية ونصرة خالد بن يزيد...، ودخل الضحاك دار الإمارة ولم يخرج لصلاة الفجر، وبعث إلى بني أمية يعتذر إليهم وقال: لم يقم منكم قائم وكتب إليّ هذا الرجل فولّاني...^(٣).

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ١٣٢.

(٢) أنساب الأشراف ج ٦ ص ٢٧٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦٥.

مبايعة الضحاك أمير دمشق لابن الزبير سرًا

عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان لما أخرجه أهل البصرة بعد موت يزيد بن معاوية قدم دمشق وعليها الضحاك بن قيس بن خالد الفهري عاملاً لعبد الله بن الزبير، وقد ثار زفر بن الحارث الكلابي بقَتْسرين يبايع لابن الزبير، والنعمان بن بشير بحمص على طاعته، وكان حسان بن مالك بن بحدل عاملاً ليزيد بن معاوية على فلسطين^(١).

وكان الضحاك بدمشق يبايع الناس لابن الزبير سرًا خوفاً من بني أمية وكتب، فكتب إليه ابن بحدل كتاباً يشتم فيه ابن الزبير ويعظم له حق بني أمية ويذكر إحسانهم إليه^(٢).

خروج الضحاك عن صمته وإعلانه البيعة لابن الزبير

جاء ثور بن معن بن يزيد السلمي ويقال معن بن يزيد بن الأخنس نفسه إلى الضحاك فقال له: عجباً لك! دعوتنا إلى طاعة رجل فبايعناك، ثم أنت الآن تسير إلى هذا الأعرابي - حسان بن مالك بن بحدل - من كلب ليستخلف ابن أخته خالد بن يزيد وهو صبي غمر قال الضحاك: فما الرأي؟ قال: أن تظهر ما كنا نستره من بيعة ابن الزبير...، فعرج الضحاك بمن معه وعطفهم وأقبل حتى نزل مرج راهط وأظهر بيعة ابن الزبير، وخلع بني أمية^(٣).

مبايعة الأمويين وكتب لمروان فقال خالد: أمر دُبْر بليل

((لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردن وباع أهل مصر أيضاً ابن الزبير، واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهري على أهل الشام. فلما رأى ذلك رجال بني أمية وناس من أشرف أهل الشام ووجوههم، منهم روح بن زنباع وغيره، قال بعضهم لبعض: إن الملك كان فينا أهل الشام، فانتقل عنا إلى الحجاز، لا يُرضى بذلك، هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر... فأتوا [عمرو بن سعيد بن العاص] فقالوا له ارفع رأسك لهذا الأمر. فأروه حدثاً، فجاءوا إلى [خالد بن يزيد بن معاوية] فقالوا له: ارفع رأسك لهذا الأمر، فأروه حدثاً حريصاً على هذا الأمر. فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حدث. فأتوا [مروان بن الحكم] فإذا عنده مصباح وإذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا: يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الأمر. فقال استخبروا الله، واسألوا أن يختار لأمة محمد ﷺ خيرها وأعدلها. فقال له روح بن زنباع: إن معي أربعمئة من جذام، فأنا أمرهم أن يتقدموا في المسجد غداً ومر أنت ابنك عبدالعزيز أن يخطب الناس وأن يدعوهم إليه فإذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد صدقت صدقت! فيظن الناس أن أمرهم واحد.

فلما اجتمع الناس قام عبدالعزيز فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٦٦.

كبير قريش وسيدها، والذي نفسي بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر. فقال الجذاميون: صدقت صدقت! فقال خالد بن يزيد: أمر دبر بليل^(١). وكانت بيعة مروان بالجابية يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من ذي القعدة سنة ٦٤ هـ ويقال في رجب^(٢).

وقعة مرج راهط الحاسمة

((قدم عبيد الله بن زياد فكان مع بني أمية بدمشق فخرج الضحاك بن قيس إلى المرج - مرج راهط - فعسكر فيه وأرسل إلى أمراء الأجناد فاتوه إلا ما كان من كلب - فقدم عليه زفر بن الحارث من قنسرين وأمه النعمان بن بشير بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص، - ودعا مروان إلى نفسه فبايعته بنو أمية، وكتب وغسان والسكاسك وطئ، فعسكر في خمسة آلاف، وأقبل عباد بن يزيد من حوران في ألفين من مواليه وغيرهم من بني كلب، فلحق بمروان وغلب يزيد بن أبي نمس على دمشق فأخرج منها عامل الضحاك.

فكان الضحاك في ستين ألفاً وكان مروان في ثلاثة عشر ألفاً أكثرهم رجاله، وأكثر رجال الضحاك ركباً، فاقتتلوا بمرج راهط عشرين يوماً.. وكان على ميمنة الضحاك، زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي، وعلى ميسرته ميسرة بن أبي بشير الهلالي، فقال عبيد الله بن زياد لمروان: انك على حق وابن الزبير وما دعا إليه على الباطل، وهم أكثر منا عدداً وعدداً ومع الضحاك فرسان قيس واعلم أنك لا تنال منهم ما تريد إلا بمكيدة وإنما الحرب خدعة فادعهم إلى المواجهة، فإذا أمنوا وكفوا عن القتال فكرّ عليهم.... فأصبح الضحاك والقيسية قد أمسكوا عن القتال وهم يطمعون أن يبايع مروان لابن الزبير، وقد أعد مروان أصحابه فلم يشعر الضحاك وأصحابه إلا والخييل قد غشيتهم، فقتل الضحاك بن قيس، وصبرت قيس عند راياتها يقاتلون، فنظر رجل من بني عقيل إلى ما تلقى قيس عند راياتها فقال: اللهم العنها من رايات واعترضها بسيفه فجعل يقطعها فإذا سقطت راية تفرق أهلها ثم انهزم الناس، فنادى منادي مروان: لا تتبعوا من ولاكم اليوم ظهره.

فرغموا أن رجالاً من قيس لم يضحكوا بعد المرج حتى ماتوا جزعاً على من أصيب من فرسان قيس يومئذ، فقتل من قيس يومئذ ممن كان يأخذ شرف العطاء ثمانون رجلاً وقتل من بني سليم ستمائة وقتل لمروان ابن يقال له عبدالعزيز^(٣).

ذكر البلاذري أن على ميمنة جيش الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي، وعلى ميسرته زحر ابن أبي شمر الهلالي من أهل حمص وذكر أن الضحاك في ستين ألفاً وأنه قاتل مروان الضحاك بالمرج عشرين ليلة وقال: ((قتل من قيس من لم يقتل مثلهم قط وقتل الضحاك، وقتل معه من الأشراف ثمانون كلهم كان يأخذ القطيفة))^(٤).

(١) العقد الفريد لابن عبدبره ج ٥ ص ١٣٥.

(٢) أنساب الأشراف ج ٦ ص ٢٧٣.

(٣) العقد الفريد لابن عبدبره ج ٥ ص ١٣٧.

(٤) أنساب الأشراف ج ٦ ص ٢٦٩.

الصراع المير بين قيس عيلان و كلب

وهرب زفر بن الحارث الكلابي إلى قرقيسيا وبها عياض فمنعه من دخولها، فقال له زفر بن الحارث: أوثق لك بالطلاق والعناق إذا أنا دخلت الحمام بها أن أخرج منها، فأذن له، فدخلها، فلم يدخل الحمام، وأقام بها، وأخرج عياضاً عنها وتحصن بها وثابت إليه قيس، وأن قيس رأسوه عليهم^(١).

وكان دخول زفر لقرقيسيا في المحرم سنة ٦٥هـ وذلك قبل مرور التوابين - بقيادة سليمان بن صرد - به بأشهر، وهو زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب^(٢).

وقال زفر بن الحارث الكلابي: وقد فر يومئذ عن ثلاثة بنين له وغلام فقتلوا، وقال في العقد الفريد: عن أبيه وأخيه وفي (أنساب الأشراف) يقول: وكان معه رجلان من سليم فلما حاص يوم المرج تركهما ونجا فلذلك يقول:

لم تر مني نبوة قبل هذه فراري وتركني صاحبي ورائيا
وفيما يلي قصيدته في وقعة مرج راهط التي جمعناها من أكثر من مصدر، من أهمها العقد الفريد وأنساب الأشراف:

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبْقَتْ وَقِيعَةً رَاهِطٍ	لَمَرَوَانَ صَدْعًا بَسِينًا مَتْنَانِيَا
أَتَانِي عَنْ مَرَوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ	مُقِيدٌ دَمِي أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِيَا
فَفِي الْعَيْسِ لِي مَنَجِي وَفِي الْأَرْضِ مَهْرَبٌ	إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا لَهُنَّ الْمَثَانِيَا
فَلَا تَحْسَبُونِي إِنْ تَغَيَّبْتُ غَافِلًا	وَلَا تَفْرَحُوا إِنْ جِئْتُكُمْ بِإِلْقَائِيَا
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَاءْتُ	بِصَالِحِ أَيَّامِي وَخُسْنِ بِلَائِيَا
وَلَمْ تُرِ مِنِّي زَلَّةٌ قَبْلَ هَذِهِ	فَرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَائِيَا
أَنْتَرَكُ كَلْبًا لَمْ تَنْلُهَا رِمَاحُنَا	وَتَذْهَبُ قَتْلَى رَاهِطٍ وَهِيَ مَا هِيََا
أَرِينِي سِلَاحِي لَا أَبَا لِكَ إِنَّنِي	أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
أَبْقَدَ عَمْرٍو وَابْنِ مَعْنٍ تَتَابِعُ	وَمَقْتَلِ هَمَامٍ أَمْنِي الْأَمَانِيَا
فَلَا صُلَحَ حَتَّى تَذْعَسَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا	وَتُثَارَ مِنْ نِسَاءِ كُلِّ نِسَائِيَا
فَقَدْ يَثْبُتُ الْمَرْغَى عَلَى دَمَنِ الثَّرَى	وَتَبْقَى حَزَازَاتُ الثُّفُوسِ كَمَا هِيََا

فأجابه جواس بن القعطل واسم القعطل ثابت وهو أحد بني حصن بن ضمضم بن جناب الكلبي فقال:

لَعْمَرِي لَقَدْ أَبْقَتْ وَقِيعَةً رَاهِطٍ عَسَلَى زُفَرٍ دَاءٌ مِنَ الدَّاءِ بَاقِيَا

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٧٤-٢٧٦ وقرقيسيا: تقع على نهر الفرات جنوب دير الزور بعشرين كيلو متر تقريباً وتسمى الآن البصيرة.

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ٤١-٤٤.

يُبَكِّي عَلَى قَتْلَى سُلَيْمٍ وَعَامِرٍ وَذَبِيَّانَ مَغْذُوراً وَيُبَكِّي الْبَوَاكِيا
دَعَا بِسِلَاحٍ ثُمَّ أَخْجَمَ إِذْ رَأَى سُيُوفَ جَنَابٍ وَالطُّوَالَ الْمَذَاكِيا^(١)

وظل الصراع قائماً بين قيس وکلب والحرب بين الفريقين تزداد لهيباً يوماً بعد يوم، ويلتقي
الجمعان في يوم ((بنات قين)) ويستطيع زفر بن الحارث الکلابي أن يثار ليوم راهط، يقول:

أَقْرَّ الْعُيُونَ أَنَّ زَهْطَ بَحْدَلٍ أَذِيقُوا هَوَاناً بِالَّذِي قُدِّمَ
صَبَحْنَاهُمْ الْبَيْضَ الرَّقَاقَ ظَبَاتُهَا بِجَانِبِ خَبْتٍ وَالْوَشِيحَ الْمُقَوِّمَ

وتقابل الفريقان ((يوم دهمان)) وقتل من الفريقين الكثير، ثم سار عمير بن الحباب وزفر بن
الحارث وجمعا جمعاً كبيراً، فأغاروا عليهم، وقتلوا منهم مقتلة واستاقوا الغنائم والسبي. ثم جمع الفريقان
جمعاً كبيراً والتقيا عند ((الغوير)) فأصابت قيس من كلب. يقول المجير بن أسلم القشيري:

وَصَدْمُنَا كَلْباً، فَبَيْنَ قَتِيلٍ أَوْ سَلِيْبٍ مُشَرَّدٍ مِنْ جِرَاحٍ

وقال زفر بن الحارث:

يَا كَلْبُ قَدْ كَلِبَ الزَّمَانُ عَلَيَّكُمْ وَأَصَابَكُمْ مِنِّي عَذَابٌ مُرْسَلٌ
أَيُّهَوْلَنَا يَا كَلْبُ أَصْدَقُ شِدَّةٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ أَمْ السَّهْوِيلُ الْأَوَّلُ

((لما انقضى أمر المرج بايع عمير مروان بن الحكم وفي نفسه ما فيها من أمر قتلى قيس يوم
المرج، فلما عقد مروان لعبيد الله بن زياد ووجهه إلى الجزيرة والعراق وشخص عمير في جيشه، فجعله
على إحدى مجنبيه وهي الميسرة، وكان معه يوم لقي سليمان بن صرد بغين الوردية، وأتى معه قرقيسية
فكان عمير يشبطه عن المقام عليها ويشير عليه بتلقي جيش المختار بن أبي عبيد الثقفي قبل أن يدخل
الجزيرة، فأخذ ابن زياد السير حتى لقي إبراهيم بن الأشتر، فمال عمير مع ابن الأشتر حتى فضَّ عسكر
عبيد الله بن زياد وقتل عند نهر يقال له الخازر بقرب الزاب، وكره عمير أن يصير إلى المختار، فأتى
قرقيسية فأقام بها مع زفر بن الحارث، فكانا يغيران على كلب واليمانية))^(٢).

وقال البلاذري: قال هشام بن الكلبي وغيره: صار زفر بن الحارث إلى قرقيسية فتحصن بها، وجعل
يغير منها على بلاد كلب لأن كلباً كانوا مروانية وكانت قيس زبيرية...، وكان عمير بن الحباب السلمي
يغير مع زفر أيضاً ببني تغلب وذلك بعد انصراف عمير من جيش عبيد الله بن زياد حين قتل وقبل وقوع
الحرب بين قيس وتغلب، وغزا زفر تدمر وعليها عامر بن الأسود الكلبي من بني عامر الاجدار بن عوف
ابن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ومعه ابنه الهذيل بن زفر فقتلهم جميعاً ففي ذلك قال (القصيد
السابقة: يا كلب قد كلب الزمان عليكم).

فأجابه جواس بن القعطل الكلبي:

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه ج ٧ ص ٦٠.

دُسْنَا وَلَمْ نَفْشَلْ هَوَازِنَ دَوْسَةَ تَرَكْتُ هَوَازِنَ كَسَالْفَرِيدِ الْأَعَزَلِ
فلما رأَت كلب المدر ما لقيته كلب البوادي من زفر بن الحارث وعمير بن الحباب بن جَعْدَةَ
السُّلَمي ابن الصمعاء أمروا عليهم حميد بن حريث بن بحدل الكلبي فخرج حتى نزل بتدمر وعبدالملك
يومئذ يريد أن يزحف إلى زفر بن الحارث، ثم يأتي العراق لمحاربة مصعب بن الزبير^(١).

وقعة اللهاية بين كعب بن العنبر وبني فقيم

في أيام مروان بن الحكم على المدينة المنورة: كان بين بني كعب بن العنبر بن عمرو الذين ينزلون
اللهابة وبين بني فقيم قتال في اللهابة، فقتل منهم قتلى فأدت إليهم بنو فقيم ثلاثمائة بعير وستة أعبد...،
وارتفعوا إلى مروان فقاضى باللهابة لبني كعب، وأمرهم أن يعوضوا بني فقيم إبلًا...، وكسر بنو كعب
رجل مالك بن المخراش سيد بني فقيم يومئذ، فقاد بنو فقيم رجلاً من بني كعب يقال له عامر ليكسروا
رجله، فمروا به على أبيات بني دارم فاستغاث بهم، فجاء عتاب بن عوف بن القعقاع فطلب إلى بني فقيم
فيه وأعطاهم خمسين بعيراً، فأخذوها وخلّوا عن عامر^(٢).

يوم الثرثار الأول بين قيس وتغلب

في يوم ((الثرثار الأول)) أتت جماعة من تغلب إلى مالك بن مسمع قبل يوم الجفرة وقبل مصيره
إلى ناحية اليمامة والبحرين - إلى ثاج سنة ٦٩ هـ - فشكوا إليه قيساً وما كان منهم يوم ماكسين وقبله،
فقال: ما أحسبكم إلا من نبيط تكريت ولو كنتم من بني تغلب لدافعتم عن أنفسكم وحُرْمكم، فقالوا: إنا
حيٌّ فينا ما قد علمت من النصرانية، ومضر مضر وأي السلطانين غلب فهو مع قيس، فقال مالك: اذهبوا
فإن أمدهم السلطان بفارس فلكم عليّ فارسان، وإن أمدهم برجل فلكم رجلان، إن السلطان اليوم لفي
شغل عنكم وعنهم، فانطلقوا وقد غضبوا... ثم إن الربيعين والقيسين التقوا على الثرثار فاقتتلوا قتالاً
شديداً...، ثم إن قيساً انهزمت وقتلت بنو تغلب وألفافهم منهم مقتلة عظيمة وبقروا بطون ثلاثين امرأة من
بني سليم، وقالت ليلي بنت الحُمَارِس التغلبية، ويقال قالها الأخطل:

لَمَّا رَأَوْنَا وَالصَّلِيبَ طَالَعَا وَمَا سَرَّجِيْسَ وَسَمًّا نَاقَعَا
وَالْخَيْلُ لَا تَحْمِلُ إِلَّا دَارِعَا وَالْبَيْضُ فِي أَيْمَانِنَا قَوَاطِعَا
خَلُّوَا لَنَا الثَّرَثَارَ وَالْمَزَارِعَا وَحَنْطَةُ طَيْسَا وَكِرْمَا يَانِعَا
كَأَمَّا كَانُوا غَرَبَا وَاقِعَا

وقال الأخطل:

عَرَبِيَّتُمْ عَلَيْنَا آلَ عِيلَانَ كُلكُمْ وَآئِي عَدُوٌّ لَمْ تُبِثْهُ عَلَى عَثِبِ

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق ج ١٣ ص ٣٤.

فأجابه جرير بن عطية في قصيدة له:

ستعلم ما يُغني الصليب إذا غدت كئيب قيس كالمهنة الجرب
لعلك يا خنزير تغلب فاخر إذا مضى يوماً تسامت بها الحرب^(١)

ثم كان يوم الثرثار الثاني ثم يوم الخابور. واصطدمت قيس وفيها العامريون بتغلب في الجزيرة الفراتية، ودارت بين الفريقين معارك عدة انتصر فيها القيسيون، والتقى الجمعان في ((يوم الخابور)) وبقر القيسيون بطون النساء الحوامل من تغلب، يقول الصفار المحاربي:

بقرنا منكم ألفي بغير فلم نترك لحاملة جنينا
غير أن هذا الحادث لم يسعد زفر بن الحارث وأصحابه، إذ لام زفر عميراً فيمن بقر من النساء فقال: ((ما فعلته ولا أمرت به)). وقال زفر يعاتبه:

ألا من مبلغ عني عميراً رسالة عاتب عليك زاري
أترك حيي ذي كلع وكلب وتجعل خد نايك في نزار
كغثود على إحدى يدي فخائنه يوهي وانكسار

وظلت حروب قيس بقيادة عمير بن الحباب السلمي وزفر بن الحارث الكلابي قائمة، على الكلبيين وتغلب، إلى أن قتل عمير بن الحباب، قتله إياس بن عينان وهنا يستطيع عبدالملك بن مروان جذب قيس وزفر بن الحارث إليه، ليعود العامريون مرة أخرى في طاعة الأمويين^(٢).

قال البلاذري: حدثنا محمد بن الأعرابي قال: قال الأخطل للوليد بن عبدالملك: يا أمير المؤمنين أصلح بين ابني نزار، فقال بيهس بن صهيب الجرهمي: لا أصلح الله بينهم. فقال الأخطل: والله ما أدري ما تكره من ذاك؟ فقال بيهس: وأنا والله ما أدري ما ينفعك من ذاك؟^(٣).
عندما أرسل بشر بن مروان إلى قيس يذكرهم بعصيان زفر بن الحارث لأنه من كندة، اعترز زفر بانتمائه لقيس البدوية، يقول:

لعلك يا بشر بن مروان لاومي على حين أبذت نواجذها الحرب
فتخبر قومي أنني لست منهم وتزعم أنا معشر من بني وهب
أجعل أجلاً عليها عباؤها ككندة تمشي في المطارف والقضب^(٤)

قالوا: قال عبدالملك لزفر: بلغني أنك من كندة؟ فقال: وما خير من لا ينفي حسداً ولا يدعى رغبة^(٥). يقصد أن من كان فيه خير ينفيه البعض حسداً له، ويدّعيه البعض رغبة به.

(٢) شعر بني عامر ص ٦٥ والأغاني ط ٢٩/٢٤.

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ٦٧.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٨ ص ٨٤.

(٤) راجع شعر بني عامر ص ٦٥ وأنساب الأشراف ٣٠/٥.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٧ ص ٥١.

زعم المختار للشيعة بقدومه من المهدي (ابن الحنفية)

٦٤هـ ((عبدالله بن الزبير ولّى عبدالله بن يزيد الخطفي على الكوفة، فقدمها ابن يزيد لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٦٤هـ، ويقال بعد ذلك بأشهر، فكان المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير ابن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قسي الثقفي إذا دعا الشيعة إلى نفسه، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها، فيقول: إن سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال، وقد جئتكم من قبل المهدي محمد - يعني ابن الحنفية - مؤتمناً منتجباً ووزيراً مناصحاً، فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم، وعظمهم مع ابن صرد، فكان سليمان أثقل الناس على المختار))^(١).

التنادي بالكوفة بثارات الحسين

٦٥هـ ((فلما أهل هلال شهر ربيع الآخر سنة ٦٥هـ خرج سليمان إلى النخيلة في أصحابه فعسكر بها، وبعث حكيم بن منقذ والوليد بن غصين بن مسلم الكناني ثم الغفاري في خيل فتناديا بالكوفة: يا ثارات الحسين، فتلاحق به بعد النداء قوم، وكان مبلغ من أثبت في ديوانه ستة عشر ألفاً، ويقال اثنا عشر ألفاً فعرض أصحابه ومن اجتمع إليه من أهل الكوفة فوجدتهم أربعة آلاف، فقال: يا سبحان الله أما وافاني من ستة عشر ألفاً إلا أربعة آلاف؟ ويقال إنه قال: أما وافاني من اثني عشر ألفاً إلا أربعة آلاف؟ فقليل له أن المختار ثبط الناس عنك وقد صار معه ألفان فقال: سبحان الله أما تذكر هؤلاء الله وما أعطونا من الميثاق))^(٢).

يوم المنبجس ويوم الربرة

وفيها: ((وجه مروان بن الحكم جيشاً من فلسطين وغيرها مع جيش بن دلجة القيني أحد بني وائل ابن جشم إلى ابن الزبير في ستة آلاف وأربعمائة فيهم يوسف بن الحكم الثقفي ومعه ابنه الحجاج بن يوسف... وكان عبدالله بن الزبير لما بلغته حركة هذا الجيش حين أنفذ، كتب إلى الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة والحارث هو القباع وكان عامله على البصرة يأمره أن يوجه إليه جيشاً كثيفاً، فوجه الحارث (الحتف)^(٣) بن السجف التميمي، ثم أحد بني العجيف بن ربيعة بن مالك بن حنظلة في ثلاثة آلاف ويقال

(١) نفس المصدر ج ٦ ص ٣٦٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٨.

(٣) قال ابن ماكولا (ت ٤٧٥) في كتاب الإكمال: الحتف بن السجف بن عبدالحارث بن طريف (ابن عمرو بن عامر ابن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة بن أذ) وقد نسب أبو اليقظان فقال الحتف بن السجف بن بشير بن الأدهم بن صفوان بن صباح بن طريف بن عمرو وقال: شاعر وفارس وهو الذي قتل ابني هتيم العامرين عامراً وطارقاً من بني عوف بن عمرو بن كلاب بن ربيعة عادي بينهما قتلتهما وهزمت بنو عامر وقال:

فرقت بين ابني هتيم بطمينة لها هاند يكسو السليب إزارا

وجدت بنفس لا يجاد بمثلها وقد كان نبج النابحات هاراراً =

في ألفين. وكتب إلى ابن مطيع وهو عامله على الكوفة بمثل ذلك، ووجه ابن مطيع محمد بن الأشعث بن قيس في ألفين من أهل الكوفة. ووجه ابن الزبير من مكة مسروقاً النصري، وقدم حبيش بن دلجة فعسكر بالجرف. فالتقى النصري وحبيش بالمنبجس، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان أول الوقعة لابن الزبير ثم صارت الدولة لحبيش وأهل الشام، فقتلوا من أصحاب النصري خلقاً وهزموهم...، وقدم محمد بن الأشعث بن قيس، فلما بلغه خبر الوقعة تداخله وأصحابه رعب وهيبة، فانكفاً منصرفاً إلى الكوفة...، ودخل حبيش المدينة^(١).

وبلغ حبيشاً قرب الحتف بن السجف، فأشير عليه أن يتلقاه ولا يمهل حتى يصير إلى المدينة فيعيه أهلها ومن حولها، ويأتيه مدد عبدالله بن الزبير، فجمع حبيش أصحابه وقواهم بالسلاح والعدة، وسار ليلقى الحتف فيحاربه دون يثرب، فسار في أربعة آلاف من أصحابه، وخلف بالمدينة سائر من معه...، فلما انتهى إلى الربرة وجد الحتف قد ورد لها قبله بيوم، فجعل حبيش يدعو إلى طاعة مروان، والحتف يدعو إلى طاعة عبدالله بن الزبير، ثم إنهما التقيا في وقت الظهر، وكان للحتف ألف فارس قد أكنهم في غيابة من الأرض، أي هبطة، وعليهم رجل من قومه يقال له رياح، فاقتل البصريون والشاميون ساعة والشاميون ظاهرون، ثم إن كمين الحتف خرج عليهم، فلم يشعروا إلا وهم من ورائهم فانهزم أصحاب حبيش في كل وجه وقتل حبيش بن دلجة عند حوافر الخيل وتقطع أصحابه^(٢).

وقعة شبكة الدوم أو وادي القرى

بعد يوم الربرة ودخول الحتف إلى المدينة منتصراً: أمر ابن الزبير حتفاً أن يقيم بالمدينة ليعاضد عامله، فلم يزل مقيماً حتى وجه عبدالملك طارقاً مولى عثمان إلى وادي القرى فلقبه الحتف بموضع يقال له شبكة الدوم فقتله طارق - بن عمرو - وقال بعضهم: واقعة بوادي القرى والله أعلم^(٣).

= حفاظاً وذباً عن حريمي ونصرة ولم أتحمل في المواطن عارا
قال البلاذري: الحتف بن السجف بن بشير بن الأدهم بن صفوان بن صباح قاتل ابني هتيم: (عامر وطارق) من بني عامر بن كلاب، فقال الفرزدق:

ونحن قتلنا ابني هتيم وأدركت بجبيراً بنا رُكضُ الجياد الصلادم

وأضاف البلاذري: ومنهم مالك بن المتفق، وكان له طعام يدعو عليه، ولا يدعو عاصم بن خليفة فيمن يدعو، إذ أغار بسطام بن قيس على إبل المتفق، فحمل عليه عاصم فقتله، وقال للمتفق: هذا للطعام لا تدعوني. وكان مالك يكنى أبا سيف، وكان له ألف بعير. قال: ولعاصم بن خليفة قاتل بسطام بالكوفة ولذ وخطة، وقد حسن إسلامه. راجع: أنساب الأشراف ج ١١ ص ٣٩٠.

(١) المصدر نفسه ج ٦ ص ٢٩٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٢.

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٩٣.

خلافة عبدالملك بن مروان

((مات بالشام مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف لثلاث خلون من رمضان سنة ٦٥ وهو ابن ٦٣ سنة، وصلى عليه ابنه عبدالملك، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً. وبويع لعبدالملك بدمشق. وولد عبدالملك بالمدينة سنة ٢٣هـ ويقال سنة ٢٦هـ ويقال ولد لسبعة أشهر...، وكان يلقب أبا الأملاك وذلك أنه ولي الخلافة أربعة من ولده: الوليد وسليمان ويزيد وهشام))^(١).

خروج نجدة الخارجي الحنفي في اليمامة على الخلافة

٦٧هـ ((رجع نجدة بن عامر بن عبد الله بن سيار بن مفرج الحنفي إلى اليمامة وكثر أصحابه فصاروا ثلاثة آلاف فخاف أن يطأ الجنود اليمامة، وأن يغزى أهلها، فاستخلف باليمامة عمارة بن سلمى من ولد الدؤل بن حنيفة، وهو عمارة الطويل وأتى البحرين في سنة ٦٧هـ، فقالت الأزدي: نجدة أحب إلينا من ولاتنا، لأنه منكر للجور، وولاتنا يجورون، فعزموا على مسالمته، واجتمعت عبدالقيس ومن بالبحرين غير الأزدي على محاربتة، فقال بعضهم: نجدة أقرب إليكم منه إلى الأزدي فلا تحاربوه، وقال بعضهم: أندع نجدة وهو حروري مارق تجري أحكامه علينا، فالتقوا بالقطيف، وأقبل وكيع أحد بني جذيمة من عبدالقيس يرتجز...، فقتل وكيع وجماعة من العبديين، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف))^(٢).

- عبدالله بن الزبير يولي أخاه مصعباً البصرة.
- وقعة نهر الخازر ومقتل عبيدالله بن زياد.
- مصعب بن الزبير يحاصر المختار الثقفي في حروراء.

وفاة عبدالله بن عباس ؓ

٦٨هـ ((مات عبدالله بن عباس ؓ بالطائف وهو ابن (٧١ سنة وأشهر أو ٧٢) وكان يصفر لحيته، وكان مرضه ثمانية أيام، وصلى عليه ابن الحنفية. كان عبدالله بن عباس مديد القامة جيد الهامة مستدير الوجه جميله أبيضه، وليس بالمفرط البياض، سبط اللحية، في أنفه قن، معتدل الجسم، وكان أحسن الناس عيناً قبل أن يكف بصره، وكف قبل موته بست سنين أو نحوها))^(٣).

وفيها كان استيلاء الخوارج النجدات على الطائف وقطع ميرة البحرين واليمامة عن الحجاز.

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٥ ص ١٣٨ وكان مروان بن الحكم ؓ دقيقاً وطويلاً.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٧ ص ١٧٦.

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٧١.

هزيمة الجيش الزبيري على يد نجدة الحنفي قرب القطيف

٦٩هـ ((أقام نجدة بالبحرين، فلما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة ٦٩هـ، بعث إليه عبدالله بن عمير الليثي الأعور في أربعة عشر ألفاً ويقال في عشرين ألفاً، ويقال إن حمزة بن عبدالله بن الزبير الموجه له حين ولي البصرة، فجعل ابن عمير يقول: اثبت يا أبا المطرح فإننا لا نفر، فقدم ونجدة بالقطيف فنزل على ميل من عسكره، وصير البحر خلفه، والأثقال أمامه وأناخ الإبل أمام الأثقال، وقال لآخذن نجدة أخذاً، وحض نجدة أصحابه فرغبهم في الشهادة والجنة وزهدهم في الدنيا، واعتزل قوم من أصحابه منهم ذواد العكلي فلم ينهض معه، فقال نجدة: إن إخوانك هؤلاء أحبوا البقاء وثبت نجدة فيمن بقي معه وأتى ابن عمير في عسكره وهو غار فقاتلهم طويلاً، وأصبح ابن عمير فهاله أمر من رأى في عسكره من القتلى، والقطعي والجرحى، وتشاغل ومن في عسكره بموتاهم وجرحاهم، فأتاهم نجدة فحمل عليهم فلم يلبثوا أن انهزموا فلم يلو أحد منهم على أحد، وحوى نجدة العسكر وأصاب جوارى لابن عمير وفيهن أم ولد له، فعرض نجدة عليها أن يردها عليه، فقالت: لا حاجة لي فيمن فرّ عني. وورد ابن عمير البصرة فاراً))^(١)، فهجاه الفرزدق.

قتال أصحاب نجدة لبني تميم بكازمة

في الكامل في التاريخ يقول ابن الأثير: بعث نجدة إلى البوادي بعد هزيمة ابن عمير أيضاً من يأخذ من أهلها الصدقة، فقاتل أصحابه بني تميم بكازمة وأعان أهل طويلع^(٢) بني تميم فقتلوا من الخوارج رجلاً، فأرسل نجدة إلى أهل طويلع أن أغار عليهم وقتل منهم نيفاً وثلاثين رجلاً وسبى.

وقوع الطاعون في البصرة واقتراق الناس إلى زبيرية واموية

وفيها ((وقع الطاعون الجارف في البصرة، فكثر الموت بالبصرة حتى جعل أهل الدار يموتون عن آخرهم لا يجدون من يدفنهم، وأمير البصرة يومئذ عمر بن عبيدالله بن معمر بها، استعمله عليها مصعب، فقدم خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص على مالك بن مسمع وعسكر بجفرة خالد، ومال إليه كثير من الناس... فكان القوم يغدون إلى المربد ثم يفترقون: فرقة إلى خالد وفرقة إلى المصعبية... فلم يزالوا على ذلك حتى هرب خالد بن عبدالله وتفرق أصحابه وهرب مالك إلى اليمامة، فلما قتل عبدالملك مصعباً ودخل الكوفة بعث خالد أميراً على البصرة، واستعمل بشر بن مروان أخاه على الكوفة، وبلغ ذلك مالك بن مسمع وهو باليمامة، فأقبل حتى دخل البصرة، فأتى دار الإمارة على ناقته، ففتح له الباب فدخل حتى أناخ على بساط خالد، وأقطعه عبدالملك قطائع كثيرة ووصله))^(٣).

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١٧٨.

(٢) طويلع: ماء وقيل وادٍ وذكر أنه قريب من اللهاية وهو على طريق المسافر من اليمامة إلى البصرة ويوجد به مائة يقال لها الجربا وغيرها، وبين طويلع والوريفة مسافة ليلة على الجمال.

(٣) أنساب الأشراف ج ٦ ص ٨٢.

((هرب مالك بن مسمع إلى قرية من قرى اليمامة لبكر بن وائل يقال لها ثاج، فلم يزل بها إلى أن صالح عبدالملك زفر بن الحارث الكلابي، وانصرف إلى الشام ثم شخص إلى العراق فقتل مصعباً، ويقال إنه رجع إلى البصرة في أيام حمزة بن عبدالله ثم رجع إلى ثاج، ويقال أيضاً إن مصعباً استأمن له حين رجع إلى البصرة. وأعطى نجدة الحنفي مالك بن مسمع حين هرب إلى ثاج مالا^(١))).

مبايعة الخوارج لقطري بن الفجاءة

٧١هـ ((ولى الخوارج بعد قتل الزبير بن علي: قطري بن الفجاءة، واسم الفجاءة مازن بن زياد بن يزيد بن حنثر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ويقال مازن بن زياد بن يزيد بن حنثر بن حارثة بن صعيبر بن خزاعي بن مازن، بايعوه سنة ٧١هـ، فسار قطري ويكنى أبا نعام من أصبهان حتى الأهواز، ثم رفع إلى كرمان^(٢))).

إيقاع مصعب بأصحاب المختار وإهانة ابن الزبير لوجوه العراق

قتل مصعب من أصحاب المختار ثلاثة آلاف ثم حج في سنة ٧١هـ فقدم على أخيه عبدالله بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق فقال: يا أمير المؤمنين قد جئتكم بوجوه أهل العراق ولم أدع لهم نظيراً فأعطهم من المال. قال: جئتني بعبيد أهل العراق لأعطهم من مال الله! وددت أن لي بكل عشرة منهم رجلاً من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم! فلما انصرف مصعب ومعه الوفد من أهل العراق وقد حرمهم عبدالله بن الزبير ما عنده فسدت قلوبهم فراسلوا عبدالملك بن مروان حتى خرج إلى مصعب فقتله^(٣).

مقتل مصعب في العراق ومحاصرة عبدالله بن الزبير في مكة

٧٢هـ وفي هذا العام قتل عبدالملك مصعب بن الزبير (٣٦ سنة) وولى خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد على البصرة، وأتى الكوفة، ووجه منها الحجاج بن يوسف إلى عبدالله بن الزبير في ألفين، ويقال في ثلاثة آلاف، ويقال في خمسة آلاف من أهل الشام وذلك في سنة ٧٢هـ، فلم يعرض للمدينة ولا طريقها، وسار على الريزة حتى أتى الطائف، فكان يبعث البعوث إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير إليه أصحابه فيقتلون هناك وكل ذلك تهزم خيل ابن الزبير. قالوا: ولما صدر الناس عن الحج أعاد الحجاج الرمي بالمنجنيق، فلقد كان الحجر يقع بين يدي عبدالله بن الزبير وهو يصلي فلا يبرح^(٤).

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١٨٤ - ج ٦ ص ٨٠.

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ١٧١.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨ ج ٥ ص ١٤٥.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٧ ص ١١٦-١٠٦-١٢١.

الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ..

((وقالت أسماء بنت أبي بكر، أم عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم: والله ما أنتظر إلا أن تقتل فأحتسبك، أو تغفر فأسرّ بظفرك، فإن كنت على حق وبصيرة في أمرك فما أولاك بالجد ومنازلة هؤلاء القوم، وإلا فالسلّم منهم أولى بك، فقال: يا أمّهُ^(١) إني أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني، فقالت: يا بني، إن الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ، فامض على بصيرتك فاستعن بالله ربك. فخرج ابن الزبير، فدفع أهل الشام دفعة منكراً، وقتل منهم ثم انكشف وأصحابه فرجع، وبلغ أمه الخبر فقالت: خذلوه وأحبوا الحياة ولم ينظروا لدنياهم ولا آخرتهم، ثم قامت تصلي وتدعو فتقول: اللهم إن عبدالله بن الزبير كان معظماً لحرمته، وقد جاهد فيك أعداءك... اللهم أظهره وانصره، اللهم ارحم طول ذلك السجود والنحيب، وذلك الظمأ في الهواجر، وما أقول هذا القول تركية له، ولكنه الذي أعلمه منه، وأنت أعلم بسريره وعلايته... فلما كان يوم الثلاثاء، وهو اليوم الذي قتل فيه، جاء إلى أمه وعليه درعه ومغفره فودعها وقبل يدها فقالت: لا تبعد إلا من النار، وقال: يا أمه خذلني الناس إلا ولدي وأهل بيتي، وكان الحجاج قد بسط الأمان للناس، فاستأمن إليه خلق واعتزلوا ابن الزبير^(٢) وهكذا قتل عبدالله ابن الزبير رحمه الله يوم الثلاثاء في جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ، وكان الحصار ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، وكان يوم قتله رحمه الله ابن ٧٣ سنة^(٣).

موقف عبدالله بن عمر من ابن الزبير

((قال عوانة بن الحكم: مرّ عبدالله بن عمر حين أخبر بصلب ابن الزبير، فجعلت ناقتة تحتك بخشبتة، أو قال بجذعه، ورائحة المسك تسطع منه فقال: رحمك الله أبا خبيب، رحمك الله أبا خبيب، والله لقد كنت صواماً قواماً، ولكنك رفعت الدنيا فوق قدرها وأعظمتها، ولم تكن لذلك بأهل^(٤))).

مبايعة ابن الحنفية لعبد الملك لاجتماع الامة عليه

كتب محمد بن الحنفية^(٥) يبيعه لما قتل ابن الزبير وكان في كتابه:

- (١) لاحظت في كتاب البلاذري أن لهجة قريش في ذلك الزمن في قولها ((يا أمه)) عندما يخاطب الشخص أمّه، وقولها ((يا أبه)) عندما يخاطب الشخص والده، مقارنة للهجتنا في هذه الزمن، فقد تطورت الكلمتان وخففتا، وقول (يمه بيه): هي لهجة أكثر أهل الجزيرة العربية اليوم، وهي بهذا النقل من البلاذري تكون كلمات عربية فصيحة وليست عامية، ولعل استخدام كلمة يا أمي أو يا أمه في ذلك الوقت تختلف من إقليم إلى آخر، والله أعلم.
- (٢) أنساب الأشراف ج ٧ ص ١٢٤.
- (٣) المصدر نفسه ج ٧ ص ١٢٨.
- (٤) المصدر نفسه ج ٧ ص ١٢٩.
- (٥) الحنفية: قيل من سبي اليمامة فصارت لعلي كرم الله وجهه وإنما كانت أمة لبني حنيفة سندية سوداء ولم تكن من أنفسهم، أعطاه إياها أبو بكر رضي الله عنه من سبي بني حنيفة. راجع: سمط النجوم العوالي م ٣ ص ٧٣.

إني اعتزلت الأمة عند اختلافها فقعد في البيت الحرام الذي من دخله كان آمناً لأحرز ديني وأمنع دمي، وتركت الناس... وقد رأيت الناس اجتمعوا عليك ونحن عصاة من أمتنا لا نفارق الجماعة، وقد بعثت إليك منا رسولاً ليأخذ لنا منك ميثاقاً، ونحن أحق بذلك منك فإن آيت فأرض الله واسعة والعاقبة للمتقين. فكتب إليه عبدالملك: قد بلغني كتابك بما سألت.. فلك عهد الله وميثاقه...

وكتب إلى الحجاج بن يوسف: ((لا تعرض لمحمد ولا لأحد من أصحابه)). وكان في كتابه: ((جنبي دماء بني عبدالمطلب، فليس فيه شفاء من الحرب، وإني رأيت بني حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي))^(١).

خضوع اليمامة والبحرين للأمويين بعد مقتل أبي فديك

٧٤هـ قتل أبو فديك على يد جيش عبد الملك بقيادة عمر بن عبيد الله بن معمر وابني ابن أخيه وهم محمد وعمر ابنا موسى بن طلحة بن عبيدالله ومعهم أهل الكوفة والبصرة وكندة وربيعة وتميم وهمدان ومذحج وأسد، وساروا بالناس حتى بلغوا الوفرا وحفر خندقاً وبكل منزل ينزله يحفر إلى أن وصل هجر وحدث اللقاء، وهزم جيش الخوارج، فخضعت البحرين واليمامة للحكم الأموي بعد أن قتل أبو فديك وحمل رأسه إلى عبد الملك بن مروان وكانت خسارة الخوارج ٦ آلاف قتيل و٨٠٠ أسير وولي على البحرين عبد الله بن الجارود العبدي.

وفيها: عبدالملك بن مروان يضرب الدنانير الذهبية لأول مرة في الإسلام.

وفيها: توفيت هند بنت النعمان.



ولاية الحجاج على العراق بعد وفاة بشر بن مروان.

٧٥هـ قال ابن خلدون: ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف على الكوفة والبصرة سنة ٧٥هـ وأرسل إليه وهو بالمدينة يأمره بالمسير إلى العراق، فسار على النجف في اثني عشر راكباً حتى قدم الكوفة في شهر رمضان، وقد كان بشر بعث المهلب إلى الخوارج، فدخل المسجد وصعد المنبر وقال: علي بالناس فظنوه من بعض الخوارج فهموا به، حتى تناول عمير بن ضابئ البرجمي الحصباء وأراد أن يحصبه، فلما تكلم جعل الحصباء يسقط من يديه وهو لا يشعر به، ثم حضر الناس فكشف الحجاج عن وجهه وخطب خطبته المعروفة، ذكرها الناس وأحسن من أوردها المبرّد في الكامل، يتهدد فيها أهل الكوفة ويتوعددهم عن التخلف عن المهلب، ثم نزل وحضر الناس عنده للعطاء واللحاق بالمهلب.

ويقال إن الحجاج أول من عاقب على التخلف عن البعوث بالقتل، قال الشعبي كان الرجل إذا أخل بوجهه الذي يكتب إليه زمن عمر وعثمان وعلي تنزع عمامته ويقام بين الناس، فلما ولي مصعب أضاف إليه حلق الرؤوس واللحى، فلما ولي بشر أضاف إليه تعليق الرجل بمسمارين في يده في حائط فيخرق

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨ ج ٥ ص ١٤٠.

المسماران يده وربما مات، فلما جاء الحجاج ترك ذلك كله وجعل عقوبة من تخلى بمكانه من الثغر أو البعث في القتل.

ولى عبدالملك الحجاج الحجاز ثلاث سنين، فكان يصلي بالناس في الموسم كل سنة، ثم ولّاه عبدالملك العراق وهو ابن (٣٣ سنة)، فوليه لعبدالملك (١٤ سنة) ثم للوليد حتى هلك بواسط في رمضان سنة ٩٥ هـ وهو ابن (٥٣ سنة) ودفن بواسط^(١).

مقتل صالح بن مسرّح زعيم الخوارج ومبايعة شبيب بن يزيد

٧٦ هـ قال هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف: كان صالح بن مسرّح أحد بني امرئ القيس بن زيد مائة بن تميم ويكنى أبا مالك متخشعاً، فأثاه شبيب بن يزيد الشيباني، فقال له صالح: ((إن الحكيم السعيد إذا سمع الحق نور الله قلبه وجلا العمى عن بصره)).

وبعث صالح الرسل إلى أصحابه فتواعدوا للخروج في صفر سنة ٧٦ هـ ليلة أربعاء، فاجتمعوا جميعاً للميعاد، فقال شبيب لصالح أرى أن نستعرض الناس فإن الكفر قد علا وإن الظلم قد فشا. فقال صالح: بل ندعوهم فإن الدعاء أقطع للحجة، ولا نريد أن نعيب على قوم أعمالاً ندخل فيها، وكان رأي صالح البسط بعد الدعاء، فأقاموا بأرض دارا.... ثم بعث لهم محمد بن مروان جيشاً فالتقوا في آمد وقتل صالح. فلما رأى شبيب صالحاً قتيلاً قال: إليّ يا معشر المسلمين. فلاثوا به واجتمعوا إليه وحامى بعضهم على بعض حتى دخلوا حصناً بجواثا فقال لهم شبيب: بايعوني أو من شئتم منكم، ثم اخرجوا بنا حتى نبينهم فإن الليل أخفى للويل وهم آمنون لكم. فبايعوا شبيباً وأتوا باللبود فبلوها بالماء ثم ألقوها على الجمر وخرجوا فلم يشعر الحارث بن عميرة بن مالك بن حمزة بن أنفع بن زبيب بن شراحيل وأصحابه إلا والخوارج يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم، وضارب ابن عميرة حتى صرع فاحتمله أصحابه وانهزموا وخلوا لهم العسكر وما فيه ومضوا إلى المدائن. وكان قتل صالح بن مسرّح في سنة ٧٦ هـ يوم الثلاثاء ثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، ويقال يوم الثلاثاء ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة^(٢).

مسير شبيب^(٣) بن يزيد الشيباني لقتال عنزة

٧٦ هـ قال ابن خلدون: سار شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني إلى أرض الموصل فلقى سلامة بن سنان التميمي من تميم شيبان، وأخاه فضالة من أكابر الخوارج، وكان خرج قبل صالح بن مسرّح التميمي

(١) أنساب الأشراف ج ١٣ ص ٣٥٣.

(٢) المصدر السابق ج ٨ ص ٩.

(٣) غزا يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة الروم فابتاع جارية من السبي ووقع عليها فولدت له شبيب بن يزيد في سنة ٢٥ هـ في يوم النحر، فقال أبوه: ولد في اليوم الذي تهراق فيه الدماء، وأحسبه سيكون صاحب دماء، وكان اسم أمه جميرة). أنساب الأشراف ج ٨ ص ١٧.

من بني امرئ القيس بن زيد مائة في ثمانية عشر رجلاً ونزل على ماء لبني عنزة فقتلوهم وأتوا برؤوسهم إلى عبد الملك يتقربون له بهم، فلما دعا شبيب سلامة إلى الخروج شرط عليه أن ينتخب ثلاثين فارساً ويسير بهم إلى عنزة، فيأثر منهم بأخيه، فقبل شرطه، وسار إلى عنزة فآخن فيهم، وجعل يقتل الحلة بعد الحلة، ثم أقبل شبيب إلى داران في نحو سبعين رجلاً ففرت منهم طائفة من بني شيبان نحو ثلاثة آلاف، فنزلوا ديراً خراباً وامتنعوا منه وسار في بعض حاجاته، واستخلف أخاه مضاد بن يزيد بجماعة من بني شيبان في أموالهم مقيمين، فقتل منهم ثلاثين شيخاً، فيهم حوثة بن أسد، وأشرف بنو شيبان على مضاد وأصحابه، وسألوا الأمان ليخرجوا إليهم ويسمعوا دعوتهم فأخرجوا، ونزلوا إليهم واجتمعوا بهم، وجاء شبيب فاستصوب فعلهم، وصار بطائفة نحو أذربيجان.

الفضل بن سيار قد خرج قبل خروج صالح بن مسرح فقتله عنزة ففرض لهم عبد الملك وأنزلهم بأنقيا من حرة الموصل فاختر سلامة بن سيار من أصحابه ثلاثين فأغار بهم على عنزة فقتل منهم بشراً، وقال شعراً:

قَصَبَتْهُمْ قَبْلَ الشُّرُوقِ بَفْتِيَةٍ مَسَاعِيرَ لَا تُكْشِفُ اللَّقَاءَ وَلَا عُزْلَ
وَلَيْسَتْ دِمَاءُ الْيَقْدُمِيِّينَ بِالَّتِي تُوَاظِي دِمَاءَ الْحَيِّ شَيْبَانَ فِي الْقَتْلِ
لَعَلَّ جِيَادِي أَنْ تَعُودَ عَلَيْهِمْ فَتُنْزِلَهُمْ دَارَ الصَّغَارِ مِنَ الدَّلِّ^(١)

خروج المحاربي بالبحرين وهزيمته على يد والي اليمامة

٧٨ هـ خرج رجل من بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بالبحرين على محمد بن صعصعة في سنة ٧٨ هـ قبل أن يقتل قطري، فكتب الحجاج إلى عبد الملك: إن قطرياً قد شغل من قبلي من المقاتلة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلى إبراهيم بن عربي في أمر هذا الخارجي. فكتب إلى إبراهيم وهو باليمامة: ((أن سر إلى البحرين فإن ظفرت بالمحاربي فلا تقتله وأحسن إليه وأحفظ له بلاءه عند أمير المؤمنين مروان، فإنه لجأ إليهم يوم الجمل، ثم تحول إلى بني تميم)). فخرج إبراهيم إلى البحرين في ألفين فهزم الخوارج وتفرقوا، ورجع إبراهيم إلى اليمامة^(٢).

فتنة ريان النكري وميمون الخارجي في بلاد البحرين

((وخرج بعد هذا المحاربي على محمد بن صعصعة الكلابي: ريان النكري، نُكْرَة بني لكيز بن أفصى سنة (٧٧ هـ؟) على فراسخ من الخط، وقدم ميمون الخارجي من عمان في أصحابه فنزل دارين، فكتب إليه الريان أن أقبل اليّ. فصار ميمون إلى الزارة وأتاه الريان. فندب محمد بن صعصعة الناس، فأبطل عنه العبديون، وأتاه قوم من أهل الخط فوجه إلى الخوارج رجلاً من الأزدي، ويقال وجه إليهم عبدالله ابن عبد الملك العوذلي، فهزمهم الخوارج وقتلوا أميرهم، ورجع الفل إلى محمد بن صعصعة، فخافهم

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٨ ص ١٧.

(٢) نفس المصدر ج ٨ ص ٤٧.

محمد ولم يكن معه جند سواهم، وخذله العبيدون فخرج من البحرين. وأقام ميمون بالبحرين أربعين يوماً ثم انصرف إلى عمان وأقام الريان بالزارة. وبلغ الحجاج الخبر فبعث يزيد بن أبي كبشة السكسكي وهو يزيد بن حيويل بن يسار بن حي بن قرط بن شبل بن المقلد، مدداً لمحمد بن صعصعة، فسار يزيد وقدم محمد على الحجاج فهم بقتله فقال: إن الناس خذلوني ولم يكن معي أحد من أهل الشام وانهزم من وجهت إلى الخوارج وفروا عن أميرهم حتى قتل، فحبسه في السجن حتى مات. وقدم يزيد بن أبي كبشة البحرين في اثني عشر ألفاً، وكان الريان في ألف وخمسمائة فالتقوا، وقتل الريان وهزم أصحابه وأسر منهم أسرى فقتلهم يزيد وصلبهم، وصلب الريان وكتب إلى الحجاج بالفتح وبعث بالرؤوس، فولى الحجاج زياد بن الربيع بن زياد على البحرين، وقدم ابن أبي كبشة والشاميون على الحجاج^(١).

وقد ذكرت هذه الفتنة في سنة ٧٩هـ - ٦٩٨م حيث يوجد اختلاف في سنة وقوعها إذا ما قارنا المصدر السابق في المصدر الذي سنتناوله الآن وهو من كتاب تاريخ الإمارة العيونية للأستاذ عبدالرحمن الملا حيث يذكر: إنه في سنة ٧٩هـ - ٦٩٨م انتفض بالخط جماعة بقيادة رجل يدعى ريان النكري وقويت شوكتها حين قدم من عمان جماعة أخرى بقيادة رجل يدعى ميمون ما كادت تستقر في دارين وتعلم بثورة الخط حتى بادرت بالانضمام إليها فحاول مولى الأمويين محمد بن صعصعة القضاء على تلك الانتفاضة بيد أنه لم يجد أذنًا صاغية من عبدالقيس فأعد جيشاً من الأزدي لكنه لم ينجح فأثر النفاذ بجلده ولكن الخلاف لم يلبث أن ثار بين ميمون والريان فاضطر ميمون إلى ترك البحرين والعودة إلى عمان واستقر الريان بالزارة.

فتنة داود بن محرز العبقي في البحرين

٨٠هـ - ٦٩٩م أرسل الحجاج جيشاً من البحرين بقيادة يزيد بن أبي كبشة في اثني عشر ألف مقاتل والتقى بالريان وكان عدد أصحابه لا يزيد على ألف وخمسمائة مقاتل، فدارت بين الفريقين معركة بالغة العنف في ميدان الزارة أسفرت عن مصرع الريان وقتل عدد كبير من أتباعه.

وقد ثار بالبحرين على أثر مصرع الريان داود بن محرز بن عبدالقيس في جماعة من قومه فاستولى على القطيف وأمر بإزالة جثة الريان وغيره من المصلوبين ودفنهم، وألحق الهزيمة بجيش أعدده لقتاله ((البهاء)) صاحب شرطة القطيف، كما ألحق الهزيمة بجيش تشكل معظم أفرادها من الأزدي بقيادة عبدالرحمن بن النعمان العوذلي^(٢).

وفي هذا العام: فتك الطاعون بالبصرة.

وفيه: جرفت السيول الحجاج في مكة وجرفت أحمالهم وغرقت بيوت مكة وعرف هذا العام بـ (عام الجفاف).

(١) المصدر نفسه ج ٨ ص ٤٩.

(٢) تاريخ الإمارة العيونية لعبد الرحمن الملا.

وفاة محمد بن الحنفية عليه السلام

٨١هـ وفيها توفي محمد بن الحنفية بالمدينة ودفن بالبقيع ويقال إن ذلك في سنة ٨٢هـ وله ٦٥ سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان وهو والي المدينة^(١).

وفيها: عبد الملك بن مروان ينقل الدواوين من الرومية إلى العربية.

تشدد الحجاج في أمر الخراج ومبايعة الناس لابن الأشعث

٨٢هـ قال ابن خلدون: اشتد الحجاج على الناس في الخراج، وأمر من دخل الأمصار أن يرجع إلى القرى، يستوفي الجزية، فنكر ذلك الناس، وجعل أهل القرى يكون منه، فلما قدم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك.

ثم اشتد القتال بينهم في المحرم سنة ٨٢هـ وتزاحفوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك. وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة، وانهزم منهم خلق كثير. وفشا القتل في القرى، فقتل منهم عتبة بن الغافر الأزدي في جماعة استلحموا معه، وقتل الحجاج بعد الهزيمة منهم عشرة آلاف، وكان هذا اليوم يسمى يوم الزاوية. واجتمع من بقي بالبصرة على عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وبايعوه، فقاتل بهم الحجاج خمس ليالٍ ثم لحق بابن الأشعث بالكوفة ربيعة، طائفة من أهل البصرة. ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجاج عليها عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي، وثب به مطر بن ناجية من بني تميم مع أهل الكوفة، فاستولى على القصر وأخرجه. فلما وصل ابن الأشعث لقيه أهل الكوفة احتفت به همدان وجاء إلى القصر فمنعه مطر فقصد الناس القصر وأخذوه، فحبسه عبد الرحمن وملك الكوفة.

وقعة دير الجماجم بين ابن الأشعث الكندي وبين الحجاج

٨٣هـ قال الحميري عند حديثه عن دير الجماجم: بظاهر الكوفة على شاطئ الفرات... وبهذا الموضع كانت الواقعة بين عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، وبين الحجاج بن يوسف فإنه قد كان خلع عبدالملك بن مروان سنة اثنتين وثمانين، فبعث إليه عبدالملك ابنه عبدالله في أهل الشام وأخاه محمد بن مروان في أهل الجزيرة، ومع عبدالرحمن خيار أهل الأرض من القراء خرجوا منكبين لأمر الحجاج، فخبراه في عزل الحجاج ومراجعة الطاعة فلم يجب إلى ذلك فولى الحجاج حربه، فكانت وقعة ابن الأشعث مع الحجاج بدير الجماجم في شعبان من سنة ثلاث وثمانين، فهزم عبدالرحمن ولحق ببلاد الترك بعد أن كانت بينهما ثمانون وقعة أكثرها على الحجاج، وصار عبدالرحمن إلى رتبيل ملك الترك فقبله وأكرمه وصار إليه في أصحابه وهم زهاء عشرين ألفاً، وكان ابن الأشعث لما انهزم توجه إلى نيسابور ثم إلى كرمان فأغلق الباب دونه فسار إلى رتبيل ملك الترك، فوجه إليه الحجاج من ضمن له ألف

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٨٧.

ألف وأربعمائة ألف درهم على أن يسلم ابن الأشعث إليه، ففعل فقتل نفسه خشية أن يمثل به فحمل إليه رأسه. وقال الأصمعي: كانت لابن الأشعث أربع وقعات: وقعة الأهواز ووقعة الزاوية ووقعة دير الجماجم ووقعة بدجيل^(١). وفي هذه الوقعة هرب ابن الأشعث إلى مسكن. وفي هذه السنة: الحجاج يمني مدينة واسط.

موقف سعيد بن المسيب من مبايعة ابني عبد الملك

٨٦هـ كتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي، وهو بالمدينة، يأمره أن يدعو الناس إلى بيعه الوليد وسليمان، فبايعوا غير سعيد بن المسيب، فإنه قال: لا أبايع لأحد وعبد الملك حي، فضربه هشام ضرباً مبرحاً، وألبسه المسوح، وحمله إلى ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون، فظن أنهم يريدون قتله، فلما انتهى إليها ردوه فقال: لو ظننت أنهم لا يصلبوني ما لبست سراويل مسوح، ولكن قلت يسترني. وبلغ عبد الملك خبر سعيد فقال: قبح الله هشاماً، إنما كان ينبغي له إذ أبى أن يضرب عنقه، وكتب إلى هشام يلومه ويقول: إن سعيداً لم يكن ممن تخافه، وقد كان ينبغي لك أن تدعه^(٢). وفي هذه السنة عُيِّن عمر بن عبدالعزيز بن مروان أميراً على مكة والمدينة والطائف^(٣).

وفاة عبد الملك وخلافة ابنه الوليد

مات عبد الملك بن مروان للنصف الأول من شوال سنة ٨٦هـ وهو ابن (٦٣)^(٤) وقال للوليد: إذا أنا مت فضعني في قبري ولا تعصر علي عينيك عصر الأمة، ولكن شمر واثتر والبس للناس جلد النمر فمن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا. وصلى عليه ابنه الوليد، وفي أيام عبد الملك حولت الدواوين إلى العربية عن الرومية والفارسية.. ويقال حولت في زمن الوليد. وأم الوليد ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث ابن زهير بن جذيمة العبسي^(٥).

كان عبد الملك بن مروان يلقب (رشع الحجر) لبخله، و(أبا الذبان) لثنت فمه وفساد عمور أسنانه واجتماع الذبان عليها وعلى شفثيه. ولم يزل يتنسك قبل الخلافة، وقد روى الحديث عن عثمان وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري... قال المدائني: كان عبد الملك آدم جميلاً أقنى كأنه من رجال يهود في تمامه^(٦).

(١) الروض المعطار للحميري ص ١٧٦.

(٢) أنساب الأشراف ج ٧ ص ٢٥٦.

(٣) إتحاف الوري بأخبار أم القرى، لعمر بن فهد، تحقيق فهم شلتوت جامعة أم القرى ط ١ ج ٢ ص ١١٢.

(٤) هناك اضطراب في تحديد عمر الخليفة عبد الملك عند وفاته. عند البلاذري الذي ذكر عدة أقوال في ذلك ومنها قوله: قال الواقدي: قبض وهو ابن ٥٨ سنة. (ج ٧ ص ٢٠٤) وقال: مات للنصف من شوال سنة ٨٦هـ وهو ابن ٦٣ سنة. (ج ٧ ص ٢٧٠).

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٥ ص ١٤٠ وص ١٥٨.

(٦) أنساب الأشراف ج ٧ ص ١٩٤.

خروج مسعود المحاربي بالبحرين

خرج مسعود بن أبي زينب أحد ولد محارب بن عبد القيس بالبحرين على الأشعث بن عبد الله بن الجارود فخرج الأشعث عن البحرين وأخذ مسعود عبدالرحمن بن النعمان العوزي ومنصور بن أبي رجاء العوزي فقتلها^(١). وذكر أن الخوارج ثاروا أيضاً في سنة ٨٩ هـ بقيادة مسعود بن أبي زينب العبدي واستعادوا نفوذهم على البحرين حتى سنة ١٠٥ هـ.

: ٨٨٨ هـ

- عمر بن عبدالعزيز يحدد بناء الحرم النبوي.
- الوليد بن عبدالملك يأمر بحفر الآبار وعمل الفوارة في المدينة المنورة وجر المياه إليها وإصلاح الطرق وإنشاء المشافي للمرضى.

خروج داود العبدي بالبصرة

٩٠ هـ خرج داود بن عقبة العبدي من عباد الخوارج والمجاهدين بالبصرة في سنة ٩٠ هـ ومروان بن المهلب على البصرة خليفة يزيد، فوجه إليه خيلاً فقتل هو وأصحابه بموقع^(٢).

عزل عمر بن عبدالعزيز عن إمارة المدينة بإشارة الحجاج

٩٣ هـ قال ابن خلدون: الحجاج كتب إلى الوليد: إن كثيراً من المُرَّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر وأصابه من ذلك وهن. فولّى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسريّ وعُثْمَانُ بن حَيَّانَ بإشارة الحجاج، وعزل عمر عن الحجاز وذلك في شعبان من السنة. ولما قَدِمَ خالد مكة أخرج مَنْ كان بها من أهل العراق كرهاً، وتهتَدَ مَنْ أنزل عراقياً أو أجره داراً، وكانوا أيام عمر ابن عبد العزيز يلجأ إلى مكة والمدينة كل مَنْ خاف الحجاج فيأمن.

وفيهما ضمت أسبانيا والبرتغال للخلافة الأموية وكان ملك الأندلس حين فتحت يقال له لوزريق من أهل أصبهان وبأصبهان سمي أهل قرطبة الأسبان^(٣).

وفيهما: توفي الإمام أنس بن مالك.

وفاة زين العابدين وابن المسيب وعروة بن الزبير رحمهم الله

٩٤ هـ مات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في أول السنة بالمدينة. ثم مات بعده سعيد ابن المسيب وهو ابن (٧٥ سنة) ثم مات عروة بن الزبير، ومات في هذه السنة أبو بكر بن عبدالرحمن بن

(١) المصدر نفسه ج ٨ ص ٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه ج ٨ ص ١١٩.

(٣) المسالك والممالك لابن خردادبه ص ٩٠.

الحارث بن هشام، فسميت هذه السنة سنة الفقهاء^(١)، وقد ذكر ابن شدقم أن زين العابدين توفي رحمه الله في سنة ٩٥هـ^(٢).

مقتل سعيد بن جبير على يد الحجاج

٩٥هـ في شعبان: قتل الحجاج بن يوسف الإمام أبا محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي^(٣). فمات الحجاج بعده بعام وشهر تقريباً.

وفاة الوليد بن عبد الملك

٩٦هـ مات الوليد بن عبد الملك في النصف من شهر ربيع الأول سنة ٩٦هـ وهو ابن (٤٤ سنة) وصلى عليه سليمان وكانت ولايته عشر سنين غير شهور. وولي الخلافة من ولد الوليد إبراهيم شهرين ثم خلع وولي يزيد الكامل شهراً ثم مات. كان الوليد أسن ولد عبد الملك وكان يحبه فتراخى في تأديبه لشدة حبه إياه فكان لحاناً. وقال عبد الملك: أضربنا في الوليد حبنا فلم نوجهه إلى البادية. وكان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحاً وأعظمهم نفقة في سبيل الله، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر وأعطى المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً^(٤).

خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان

ثم بويع سليمان بن عبد الملك في ربيع الأول سنة ٩٦هـ بعد وفاة أخيه الوليد، واستمر بالخلافة إلى أن مات سنة ٩٩هـ بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر خلون من صفر وهو ابن ٤٣ سنة وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز. وكانت ولايته ستين وعشرة أشهر ونصفاً. وكان فصيحاً جميلاً وسيماً نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس وولد في المدينة في بني حديلة.

سخط سليمان على الحجاج الثقفي وقتيبة الباهلي

((قالوا: وكان الحجاج بن يوسف وقتيبة^(٥) بن مسلم أشارا على الوليد بتولية ابنه عبدالعزيز العهد مكان سليمان أو بعده، فحقق على قتيبة سليمان، فلما استخلف سليمان قال قتيبة وهو بخراسان: أيها

(١) أنساب الأشراف ج ١٠ ص ٢٣٧.

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ١٥٤.

(٣) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهد شلتوت جامعة أم القرى ط ١/ ١٩٨٣ ج ٢ ص ١٢٨.

(٤) المقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي ت ٣٢٨ ج ٥ ص ١٥٩.

(٥) ولي قتيبة الري للحجاج، وولي خراسان (١٣ سنة) وفتح خوارزم وسمرقند وبخارى، وكانوا قد كفروا، وقتل وهو ابن (٤٥ سنة).

الناس، قد وليكم هَبْنَقَةُ القيسي، وذلك أن سليمان كان يعطي أهل الشرف واليسار والنباهة ولا يرفع خسيصة ولا يصطنع خاملاً، وذلك أن هَبْنَقَةُ كان يخص سِمَانَ إِبْنَهُ بالمرعى والعلف ويضرب المهازِيل، ويقول: أنا لا أُصلِحُ ما أفسد الله، ولا أفسد ما أصلح فُتَيْبٌ إلى الحق، وكان ذلك سبب مخالفة قتيبة حتى قتل بخراسان^(١).

دعوة قتيبة الناس إلى خلع سليمان ثم مقتله

((كان قتيبة مستوحشاً من سليمان بن عبد الملك، وذلك لأنه سعى في بيعه عبدالعزيز بن الوليد فيمن سعى وأراد دفعها عن سليمان، فلما مات الوليد قام قتيبة فخطب الناس فوقع في سليمان ودعا الناس إلى خلعهم فلم يجيبوه، فشتم بني تميم وبكر بن وائل والأزد، فأجمعوا على حربه. فطلبوا إلى حضين بن المنذر الرقاشي أن يتولى أمرهم فأبى ذلك وأشار عليهم بكيع بن أبي سود وقال: هذا أمر لا يقوى عليه غيره، لأنه أعرابي تطيعه عشيرته، وقد قتل قتيبة من قتل آل الأهم فسعوا إلى وكيع فبايعوه، وكان السفير بينه وبينهم حيّان مولى مصقلة بن هيرة، فكان قتيبة يبعث إلى وكيع فيطلي رجله بمغرة ويقول: أنا عليل، ثم إنه دعا بفرسه وأخذ خمار أم ولده فعقده عليه، ولقيه رجل يقال له إدريس فقال له: يا أبا مطرف إنك تريد أمراً وقد تخاف أمراً قد أمنك الله منه والرجل فالله الله. فقال وكيع: هذا وكيع رسول إدريس، أقتيبة يؤمنني؟ والله لا آتيه حتى أوتى برأسه. ودلف نحو فسقاط قتيبة وتلاحق الناس به وقتيبة في أهل بيته وقوم وفوا له، فوثبوا عليه فقتلوه، والثبت أن عمود فسقاط قتيبة وقع على هامته فقتله، وأخذ رأس قتيبة سعيد ابن نجد الأزدي وامتنع من دفع الرأس إلى وكيع... فبعث به إلى سليمان - ابن عبد الملك - مع رجل من بني حنيفة^(٢))).



العداوة القديمة بين وكيع وقتيبة

((قالوا: كتب الحجاج إلى قتيبة: إنه لم يبق بخراسان حمار ينهق غير وكيع بن أبي سود، فإذا أتاك كتابي فاضرب عنقه. فكتب إليه: إنه ليس بخراسان رجل أعظم غناء منه في محاربة العدو. فكتب إليه إنه ليس بوكيع بن أبي سود، ولكنه وكيع بن حسان، لص من أهل سجستان فإذا جاءك كتابي فحُلْ لواءه وقوِّض بناءه. وكان وكيع شهد مع قتيبة قتال الترك فقال له: يا أبا مطرف إنما مثلك اليوم مثل الدرع الحصينة التي يحتاج إليها في يومها، وهذا يومك، فحمل وحملوا فانهزم الترك. وعزل قتيبة وكيعاً عن الرئاسة، وولاهما ضرار بن حصين الضبي، فكتب يزيد بن عمير الأسدي إلى قتيبة: إنك عزلت السباع واستعملت الضباع^(٣))).

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٨ ص ١٠٣.

(٢) المصدر السابق ج ١٢ ص ١٩١.

(٣) المصدر السابق ج ١٢ ص ١٩٢.

وفاة الحجاج وولاية ابنه على العراق

في العقد الفريد: أن الحجاج مات في آخر أيام الوليد بن عبد الملك، فتفجع عليه الوليد، وولّى مكانه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال الوليد: مات الحجاج ووليت مكانه يزيد بن أبي مسلم، فكنت كمن سقط منه درهم فأصاب ديناراً.

تصفية سليمان بن عبد الملك لقوم الحجاج

قال ابن خلدون: ((قام سليمان بن عبد الملك بعزل ولاية الحجاج عن العراق فولّى يزيد بن المهلب على المضربين وعزل عنهما يزيد بن أبي مسلم. فبعث يزيد أخاه زياداً على عمّان وأمر سليمان يزيد بن المهلب بنكبة آل أبي العُقيل قوم الحجاج وبني أبيه وبسط أصناف العذاب عليهم، فولّى على ذلك عبد الملك ابن المهلب)).

إلى أن قال: ((ونقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد بن عبد الملك وعذبتها، وجاءه يزيد بن عبد الملك إلى منزله شافعاً فلم يشفعه، فضمن حمل ما قرر عليها فلم يقبل، فتهدده فقال له ابن المهلب: لئن ولّيت أنت لأرمينك بمائة ألف سيف، فحمل يزيد بن عبد الملك عنها مائة ألف دينار)).

انتقال الإمامة إلى بني العباس سراً

وفيها: ((حين حضرت عبدالله بن محمد - ومحمد هو ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب - الوفاة لشربه لبناً مسموماً على يد قوم لم يعرفهم في بلاد الحجاز وجذام وهو في طريقه لفلسطين، ورد في العقد الفريد الآتي: قال عبدالله: ميلوا بي إلى ابن عمي وما أحسبني أدركه! فأسرعوا حتى أتوا الحميمة من أرض الشراة وبها محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، فنزل بها فقال: يا ابن عمي، اني ميت وقد صرت إليك وأنت صاحب الأمر وولدك القائم به ثم أخوه من بعده والله ليتمنّى الله هذا الأمر حتى تخرج الرايات السود من قعر خراسان ثم ليلغنّ على ما بين حضرموت وأقصى إفريقيا وما بين الهند إلى أقصى فرغانة فعليك بهؤلاء الشيعة واستوص بهم خيراً فهم دعائك وأنصارك ولتكن دعوتك خراسان لا تعدوها لا سيما مرو))^(١).

٩٧هـ ولي على البصرة عبدالله بن هلال الكلبي ثم عزل عنها سنة ٩٨هـ وتولى بعده سفيان بن عبدالله الكندي^(٢).

وفاة سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبدالعزيز

٩٩هـ قال ابن خلدون: توفي سليمان بدابق من أرض قنّسرين في صفر، وقد كان في مرضه أراد أن

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٠٥.

(٢) التحفة النبهانية.

يعهد إلى ولده داود، ثم استصغره وقال له كاتبه رجاء بن حيوة: ابنك غائب عنك بِقُسْطُنْطِينِيَّة ولا يعرف حياته من موته، فعدل إلى عُمَرَ بن عبد العزيز وقال له: اني والله لأعلم أنها تكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده، وكان عبد الملك قد جعل ذلك له، وكتب بعد البسملة: هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبدالعزيز: إني قد وليتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيكم، وختم الكتاب.

ثم مات سليمان وجمع رجاء أهل بيته فقرأ عليهم الكتاب. فلما ذكر عمر قال هشام: والله لا نبايعه أبداً. فقال له رجاء: والله نضرب عنقك. فقام أسفاً يجرّ رجله، حتى جاء إلى عمر بن عبدالعزيز، وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه، فبايعه واتبعه الباقون. كان عمر بن عبدالعزيز بن مروان ابن الحكم يلقب بخامس الخلفاء الراشدين وكان من العلماء والعُباد الزُهاد المنقطعين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي الخلافة يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩هـ وكان على حرسه عمرو المهاجر ويقال أبو العباس الهلالي^(١). وكان عمر بن عبدالعزيز أشج، ضربه حمار وهو بمصر، فلما رآه أخوه الأصبغ قال: هذا والله أشج بني أمية، يملأ الأرض عدلاً^(٢).



مركز تحقيقات كليات العلوم الإسلامية

(١) العقد الفريد لابن عبدبره ج ٥ ص ١٦٨.

(٢) أنساب الأشراف ج ٨ ص ١٢٦.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أحداث القرن الثاني الهجري



مركز بحوث الدراسات الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

موقف عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه من أصحاب الجمل

سئل عمر بن عبدالعزيز عن عليّ، وعثمان رضي الله عنهما وأمر الجمل فقال: ((تلك دماء كَفَّ الله عنها يدي، فإنا أكره أن أغمس بها لساني))^(١).

عمر الخليفة وجريير الشاعر

قال البلاذري: حدثني عبدالرحمن بن حنبل عن جرير بن عطية الخطفي قال: وفد جرير على عمر بن عبدالعزيز فغبر حيناً لا يصل إليه، ثم رأى ذات يوم عون بن عبدالله المسعودي - الهذلي - يريد الدخول عليه وكان قارئاً فقام إليه جرير فقال له:

يا أيُّها القارئُ المُرْجِي عِمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنَّ كُنْتَ لَأَقِيَهُ إِنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنٍ

فقال له عون: إن أمكنتني ذلك فعلت إن شاء الله. فلما دخل عون على عمر سلم وجلس حتى فرغ من حوائج الناس، ثم أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن ببابك جرير بن عطية وهو يطلب الإذن، فقال عمر: أو يمنع أحد من الدخول؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، لكنه يطلب إذناً خاصاً ينشدك فيه. قال: يا غلام أدخل جريراً. فأدخل إليه وعون جالس فأنشد جريراً عمر:

أَذْكُرُ الْجَهْدَ وَالْبَلَوَى الَّتِي شَمَلَتْ
كَمْ بِالْمَوَاسِمِ مِنْ شَعَثَاءَ أَرْمَلَةٍ
مِمَّنْ تُرَجَى لَهُ مِنْ بَعْدِ وَالِدِهِ
أَمْ أَكْتَفَى بِأَلْدِي نُبُتٌ مِنْ خَبَرِ
وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنُّظَرِ
كَالْفَرَخِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِيرِ

(١) نفس المصدر ج ٨ ص ١٧٦.

فبكى عمر حتى بليت دموعه لحيته، وأمر بصدقات تفرق على الفقراء في النواحي، فقال جرير:
هَٰذِي الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهَا فَمَنْ لِحَاجَةٍ هَٰذَا الْأَزْمَلُ الذُّكْرُ
فقال له: يا جرير أنت من أبناء المهاجرين الأولين؟ قال: لا، قال: أفمن أبناء الأنصار؟ قال: لا،
قال: أفمن أبناء التابعين بإحسان؟ قال: لا، قال أفمن فقراء المسلمين أنت فنجريك على ما تُجري عليه
الفقراء؟ قال: قدرتي فوق ذلك، قال أفأنت ابن سبيل فنعينك على سفرك؟ قال: قدرتي فوق ذلك، فقال يا
جرير ما أرى لك بين الدفتين حقاً.

فولى جرير فقال عون: يا أمير المؤمنين إن الخلفاء كانت تعودهم الإحسان، وإن مثل لسانه يتقى،
فقال عمر: ردوه، فرد فقال له عمر: يا جرير إن عندي من مالي عشرين ديناراً وأربعة أثواب فأقسمك
ذلك. فقال: بل تُوفّر يا أمير المؤمنين وتُحَمَّد. فلما خرج تلقاه الناس فقالوا له: ما وراءك؟ قال خرجت
من رجل يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، وإنني له لحامد. ولم يذكره بسوء. وقال فيه حين مات:

فَالشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِمَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ^(١)

وفاة عمر بن عبدالعزيز ؓ وخلافة يزيد

١٠١هـ توفي أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ؓ وهو ابن (٣٩ سنة) وكانت خلافته ثلاثين شهراً،
ودفن بدير سمعان على مقربة من معرة النعمان^(٢). مات في يوم الجمعة لست بقين من رجب، وصلى
عليه يزيد بن عبد الملك، وهو الذي ولي الخلافة بعد عمر، وأم يزيد هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية^(٣).

عشق الخليفة يزيد لحبابة

كان يزيد بن عبد الملك كلفاً بحبابة كلفاً شديداً فلما توفيت اكب عليها أياماً يترشفها ويتشممها، ثم
أنشئت فقام عنها وأمر بجهازها، ثم خرج بين يدي نعشها حتى إذا بلغ القبر نزل فيه حتى إذا فرغ من دفنها
وانصرف لصق إليه مسلمة أخوه يعزيه ويؤنسه فلما أكثر عليه قال: قاتل الله ابن أبي جمعة - كثير عزة -
حيث يقول:

فَإِنْ تَسْلُ عَنْكَ التُّفْسُ أَوْ تَدْعِ الْهَوَى فَبِالْيَاسِ تَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتُّجَلْدِ
وَكُلُّ خَلِيلٍ زَارَنِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ: هَٰذَا هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

وعزة هي بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبدالعزيز بن حاجب بن غفار التي كان كثير بن
عبدالرحمن يشبب بها، وقال الأصمعي: سمع كثير عزة منشداً ينشد شعر جميل بن عبدالله بن معمر
العذري الذي يقول فيه:

(١) أنساب الأشراف ج ٨ ص ١٣٤.

(٢) المصدر السابق ج ٨ ص ١٢٦.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٥ ص ١٧٥.

ما أنتِ والوَعْدُ الذي تَعِدِينِي إِلَّا كَبَرَقِ مَحَابَةِ لَمْ تُمَطِّرِ
تُقْضَى الديونُ وليسَ يُقْضَى عاجلاً هَذَا الْغَرِيمُ وَلَسْتُ فِيهِ بِمَعْسِرِ
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْثَةً إِنَّ كَانَ يَوْمُ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقْدَرِ
بِهَوَاكِ مَا عَشْتُ الْفُؤَادُ وَإِنْ أُمْتُ يَثْبَعُ صَدَائِي صَدَاكِ بَيْنَ الْأَقْبَرِ

فقال كثير: هذا والله الشعر المطبوع، ما قال أحد مثل قول جميل وما كنت إلا رواية لجميل، ولقد أبقى للشعراء مثلاً تحتذي عليه^(١).

ولاية عمر بن هبيرة على العراق

١٠٢ هـ وفيها: قتل يزيد بن المهلب، فولي عمر بن هبيرة الفزاري على العراق، وقال المدائني: يقال إن الهذيل بن زفر قتل يزيد، وإن القحل احتز رأسه^(٢). واستأذنت باهلة في صلب يزيد بن المهلب فأذن لها فصلبوه منكساً وشدوا على بطنه سمكة. قال ذو الرمة:

لَوَدَّتِ الْأَزْدُ إِذْ رَأَتْ حَبَائِلَهُمْ أَنَّ الْمُهْلَبَ لَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدِ
كَأَنُّوا ذَوِي عَدُوٍّ ثَرَّ وَعَائِرَةٌ مِنَ السُّلَاحِ وَأَبْطَالاً ذَوِي نَجْدِ
فَمَا تَرَى مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ كَثَرَتِهِمْ إِلَّا الْأَرَامِلَ وَالْأَيْتَامَ مِنْ أَحَدِ

قالوا: وأقام مسلمة بعد يزيد على العراق ثمانية أشهر ويقال ستة أشهر، فقدح فيه عند يزيد بن عبد الملك...، فعزله وولى العراق عمر بن هبيرة^(٣).

دخول ابن هبيرة من خلال قلب حبابة إلى قلب يزيد

ذكر البلاذري: غلبت حبابة على يزيد بن عبد الملك وانقطع إليها عمر بن هبيرة^(٤) وكان يهدي إليها، فلطفت منزلته من يزيد حتى كان يدخل عليه في أي الأوقات شاء. ولما عزم يزيد على عزل مسلمة ابن عبد الملك عمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة، فكانت تعمل له في ذلك حتى ولاه إياها يزيد.

قيل للقعقاع بن خلود العبسي: إن ابن هبيرة قد أشرف على ولاية العراق. قال: ومن يطيق ابن هبيرة. حبابة بالليل وهدايا بالنهار، فلم تزل حبابة تعمل لابن هبيرة حتى ولي العراق. وولي ابن هبيرة العراق وخراسان وزحزح عنها مسلمة بن عبد الملك فقال الفرزدق:

(١) المصدر السابق ج ٦.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٨ ص ٣٢٨-٣٣٠.

(٣) المصدر نفسه ج ٨ ص ٣٣٨-٣٤٤.

(٤) عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن حديج بن بغيض بن مالك بن سعد بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان.

راحت بمسلمة البغال مُودَعاً فَارَعِي فِزَارَةَ لَا هَنَّاكَ الْمَرْتَعُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا فِزَارَةُ أُمِرَتْ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
وَأَرَى الْبِلَادَ تَنَكَّرَتْ أَعْلَامُهَا حَتَّى أَمِيَّةً عَنْ فِزَارَةِ تَنْزِعُ
نَزَعَ ابْنُ بَشَرٍ وَابْنُ عَمْرٍو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةٍ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ

عبد الملك بن بشر، ومحمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة، وأخو هراة: سعيد بن عبدالعزيز خُدَيْنة^(١).

خروج مسعود بن أبي زينب المحاربي

١٠٥هـ^(٢) خرج مسعود بن أبي زينب العبدي المحاربي إلى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العقيلي ولاه إياها عمر بن هبيرة الفزاري في أيام يزيد بن عبد الملك، فخرج سفيان بن عمرو العقيلي بأهل اليمامة فلقى مسعوداً بالخضرمة فقاتله فانكشف أهل اليمامة عن سفيان، ثم كروا والتقى عضاض بن تميم بن مُحَلِّم العدوي - عدي الرباب - ومسعود فاختلفتا ضربتين فقتل عضاض مسعوداً.

قيام هلال بن مدلج بأمر الخوارج بعد مقتل مسعود فقتل أيضاً

وقام بأمر الخوارج هلال بن مُدَلِّج فقاتلهم يومه كله فقتل ناس من الخوارج، وقتلت زينب أخت مسعود، فلما أمسى هلال تفرق عنه أصحابه، وبقي في عصابة، فدخل قصرًا فتحصن فيه، فقال عبيد الله بن مالك عم تميم بن مُحَلِّم: علام تدع هذا وقد حبس لكم أنفسه، وقد تفرق أصحابه، ولعل طائفة منهم تعود إليه. فطلبوا سلماً فلماً وجدوه أحجم الناس عنه وهابوا الإقدام، فرقي عبيد الله إلى حائط القصر وتلقاه هلال بن مدلج الخارجي على الحائط فاختلفا ضربتين فقتل عبيد الله هلالاً، وجرحه هلال فبرئ من جراحاته، واستأمن من بقي في القصر منهم. وقال الهيثم بن عدي: قتل مسعوداً رقيب بن عبد الرحمن، مولى بني شيبان، واحتز رأسه رجل من بني سعد، والأول أثبت^(٣).

قال الفرزدق:

ولولا سيوف من حنيفة جُرِّدَتْ بَبْرَقَانِ أَمْسَى كَاهِلُ الدِّينِ أَزُورَا
تَرَكْنَ لِمَسْعُودٍ وَزَيْنَبَ أَخِيهِ رِدَاءً وَجَلْبَاباً مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرَا

انقسام الخوارج بين هجر والقطيف

قالوا: لما قتل مسعود قام أخوه سعيد بالبحرين، فقال سعيد: قال الله ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ

(١) المصدر نفسه ج ٨ ص ٢٦٩.

(٢) راجع سنة ٨٦هـ.

(٣) المصدر السابق ج ٨ ص ٣٥٤.

سُكَّرِي حَتَّى تَعْلَمُوا مَا نَقُولُونَ﴾ فلا تحل الصلاة للسكران، وما حُرِّم السكر، ففارقه عون بن بشر أحد بني الحارث بن عامر بن حنيفة وأكفره، فصار أصحاب سعيد فرقتين، فرقة معه وفرقة مع عون، فخرج عون عن هجر وأتى القطيف فجاءه ناس كثير، وبقي سعيد بهجر، فدرس سعيد رجلين ليفتكا بعون أحدهما حبشي يقال له بكير، فقدم القطيف فوجاه بكير بخنجر في خاصرته، وأخذ بكير فدفن إلى الوالي فقيل له: من أمرك بهذا؟ قال: أنت. فدفعه إلى عون فقتله، ومات عون بن بشر، وأقام سعيد بن أبي زينب بهجر ولم يعتقد^(١).

وفاة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفي هذا العام مات ببلاد البلقاء يزيد بن عبد الملك يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان وهو ابن (٣٤ سنة)، وصلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك، وكانت ولايته أربع سنين وشهراً. وكان يزيد صاحب لهو ولذات وهو صاحب حباة وسلامة وفي ولايته خرج يزيد بن المهلب^(٢).

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

بويح هشام بن عبد الملك بن مروان بعد وفاة أخيه يزيد، وأم هشام هي أم هشام عائشة بنت إسماعيل ابن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكانت عائشة أم هشام حمقاء فطلقها عبد الملك لحملها، وولدت هشاماً وهي طالق ولم يكن في ولد عبد الملك أكمل من هشام^(٣).

اهتمام هشام بنفائس الخيل

في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ هـ) صار إبراهيم بن عربي الكناني^(٤) والياً على اليمامة. يقول ابن الكلبي في كتابه أنساب الخيل ص ١٢٤: أخبرني بعض علماء أهل اليمامة أن هشام بن عبد الملك كتب إلى إبراهيم بن عربي الكناني أن أطلب في أعراب باهلة، لعلك تصيب لي من ولد الحرون شيئاً فإنه - مسلم بن عمرو الباهلي - كان يُطرقهم، ويُحب أن يبقى فيهم نسله. فبعث إلى مشايخهم، فسألهم،

(١) المصدر السابق ج ٨ ص ٣٥٥.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ١٧٦.

(٣) نفس المصدر.

(٤) وذكر عبد الرحمن ابن السويدي أن إبراهيم بن عربي ولي اليمامة فيما بين (٧٦-٩٦ هـ) ثم إنه حددها فيما بين (٨٦-٩٦ هـ) وقد ذكرت ولاية ابن عربي على اليمامة في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ) على اليمامة والبحرين ثم تولى اليمامة في عهد هشام بن عبد الملك.

قال البيهقي الشاعر يهجو ابن عربي:

نرى منبر العهد اللئيم إذا بدا ثلاثة غربان عليه وقوع

يقصد كفيه ووجهه وهي سوداء على بياض ثيابه، وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن نافع بن عربي بن منكب الكناني كلما ذكر هذا البيت قال: قاتل الله البيهقي. راجع: الأمانة الغامضة لابن السويدي ط ١ ص ٢٠٤.

فقالوا: ما نعلم شيئاً غير فرس عند الحكم بن عرعة الثُميري يقال له «الحموم»، فبعث إليه، فجيء بها. وجاء رجل من سعد بفرس أشقر أقرح، من ولد لاحق، فلما نظر إليه الحكم بن عرعة ويقال إنه أبصر الناس بفرس، فقال: ماله قاتله الله! إن سبقنا شيء فهذا خليف. وكان يحاكيها عشر غلاء ويتقدمها، ثم تغضب وتدركيها عروق كرام فتسبقه. فلما أرسلت الخيل، صدر الأشقر السعدي عليها. وانقطعا من الخيل. فرجز السعدي، فأنشأ يقول:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً فِي دَارِهَا أَرْوَعَ يَطْوِي الْخَيْلَ مِنْ أَقْطَارِهَا
يَفَادِرُ الْخَيْلَ عَلَى أَنْبَهَارِهَا مُقَوَّرَةٌ تَعْتَشِرُ فِي غُبَارِهَا
قال: فوالله لكانها فهمت رجزه! فصرت أذنيها، ثم اعتمدت في اللجام، فبدرت بين أيديها، فجاءت أمامها كأنها كتاب أعسر، فنهض النميري يرتجز، فقال:

مَا إِنْ صَبَحْتُ عَامِراً فِي دَارِهَا إِلَّا جَلالاً كُنْتُ مِنْ مُيَّارِهَا
مَنْخَرَقُ الْمَنْزِرِ مِنْ تَجَرَّارِهَا قَدْ تَرَكْتُ عودَكَ فِي غُبَارِهَا
خِيفَانَةٌ لَا يُصْطَلَى بِنَارِهَا تَحْمِي بَنَاتِ أُمِّهَا مِنْ عَارِهَا

قال: فكلمه فيها إبراهيم بن عربي، فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصيب له فرساً من نسل الحرون قد جلت عن نفسها بالسبق. فخذ مني ثمنها! فقال الحكم: إن لها صحبةً وحقاً، وهي عندي نفيسة، ما تطيب نفسي عنها. ولكن أهب لأمر المؤمنين ابناً لها سبق الناس عاماً أول، وإنه لرابض. قال: فضحك القوم. فقال: ما يضحككم؟ أرسلت أمه عاماً أول بجو في حلبة ربيعة، وإنها لعقوق به، قد ربض في بطنها. فسبقت. فبعث به إلى هشام، فسبق الناس عليه، وما انغمر.

حدوث خلاف بين بني عباس وبني زبيد التميميين

وقد حدث أن بني عباس وقع بينهم وبين زبيد بن ضباب بن سليط بن يربوع من تميم خلاف في ماء (خف) بحذاء عيون ابن عامر أدى ذلك الخلاف إلى قتل رجل زبيدي يدعى عنقوش فهرب العباسيون إلى الشام حتى أخذوا من الوليد (٨٦-٩٦ هـ) وكانوا (أخواله) كتاباً إلى إبراهيم بن عربي عامله على اليمامة يجبر بني زبيد على أخذ الدية، فلما قدموا على إبراهيم سجن من الزبيديين ثلاثة عشر رجلاً من (دوار سجن اليمامة) فأبوا على قبول الدية فخرج أحد الزبيديين ويدعى أبا خنساء فوجد رفقة لبني عباس يسوقون إبل الدية فعرف ميسمهم على أقفاء الابل ووجد بينهم رجلاً ظنه قاتل عنقوش الزبيدي فقتله، عند ذلك قال الفرزدق:

كُلُّوا مَا جَمَعْتُمْ مِنْ دِيَارٍ فَلِئَلَّهِمْ بَنُو مُخَصَّنَاتٍ لَمْ تُدْنَسْ ثِيَابُهَا
وَأَنْ زَبِيداً لَا تَزَالُ رَمَاحُهَا صَوَارِمٌ أَوْ مُسْتَوْدِ الْمَوْتِ غَائِبُهَا
وقال غسان السليطي:

فَدَى لِأَبِي الْخَنْسَاءِ رَحْلِي وَنَاقَتِي إِذَا ذَكَرْتَ أَخْبَارَهُ بِالْمَوَاسِمِ
سَقَيْتِ الْغُلَامَ الْجَذِيمِي صَفِيحَةً بِمَقْتَلِ عَنْقُوشٍ غَدَاةَ الصَّرَائِمِ

رحيل بني زيد التميميين إلى الجزيرة الفراتية

ثم رحل الزبيديون من البادية فلاحقوا بالجزيرة الفراتية من جريرة ذلك، وأصبح ذكر أمير اليمامة وسجنه يفرغ الخائف وظل سجن اليمامة (دوار) مشهوراً حتى عهد الخليفة العباسي المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ) الذي سجن فيه أحد قواده^(١).

خروج خارجي من يذكر من عنزة في الموصل

((وفي أيام هشام (١٠٥-١٢٥هـ) خرج خارجي (يذكر) من عنزة بالموصل في ثلاثة عشر رجلاً، فوجه إليه الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم: المستنير بن عجلان العنزي، أحد (بني يذكر)، فقال المستنير: لا ألقاه إلا في عدة من معه، فقاتلهم فظهر عليهم، فأوفده الحر إلى هشام، فقال له: ألك حاجة؟ فقال: تخرجنا من ربيعة وتردنا إلى بني أسد، فقال: نعم. فقال (بنو يقدم بن عنزة): لا نتحول، وقالت (يذكر بن عنزة): بلى. فاصطلحوا على أن صُيروا سبعا على حدة))^(٢).

ولاية المهاجر الكلابي على اليمامة

قال خليفة بن خياط عن اليمامة: ولأها هشام بن عبد الملك المهاجر^(٣) بن عبد الله من أبي بكر بن كلاب. ((لقد سار المهاجر على طريقة من سبقه من الولاة في استخدام العرفاء الذين يسومون الرعية سوء العذاب وخاصة أبناء البادية عند جباية الزكوات))^(٤).

منازعة ابن بيض وأبي الحويرث على بئر في اليمامة

في عهد المهاجر (١٠٥ - ١٢٠) حدثت مخاصمة بين حمزة بن بيض الحنفي^(٥) وأبي الحويرث السحيمي أو أبي العجون السحيمي في بئر تقع في منازل بني حنيفة من إقليم اليمامة وتطور الأمر بينهما حتى عرضاه على المهاجر بن عبد الله الكلابي والي اليمامة، فقال حمزة أربعة أبيات يستدر بها عون المهاجر على خصمه وهي:

غمضت عن حاجة كانت تؤرقني لولا الذي قلت فيها قلّ تُغميضي

(١) المصدر السابق ص ٢١٧.

(٢) أنساب الأشراف ج ٩ ص ١٧.

(٣) كان المهاجر بن عبد الله الكلابي من أجمل الناس وأدبهم، وكان طويل القامة إلى درجة أنه ذات مرة كان يمر في مسجد دمشق فعُدل عن القناديل لئلا يكسرها بطوله، وقد مدحه جرير، وذكر أنه حج في السنة التي حج فيها الخليفة هشام بن عبد الملك في سنة ١٠٦هـ والتقى به هناك.

(٤) السنة الغامضة ط ١ ص ٢٠٥.

(٥) حمزة بن بيض بن يمن بن عبد الله بن شمر بن عمرو بن عبيد الله بن عمرو بن عبد العزيز بن سحيم بن مرة بن الدول ابن حنيفة. راجع: أنساب الأشراف ج ٩ ص ٩٠.

حلفت بالله لي أن سوف تُصِفُنِي فسأغ في الحلقي ريتي بعد تجريضي
سَلْ هؤلاء إلى ماذا شهادتُهُمْ أم كيف أنت وأصحاب المعارضي
وسل سحيماً إذا وافتاك جَمْعُهُمْ هل كان بالبئر حَوْضٌ قَبْلَ تَحْوِيضِي
غير أن الشهود شهدوا لأبي الحويرث على حمزة فحكم له بالبئر فقال السحيمي غامزاً مفتخراً
بقوله:

أنت ابن بيضٍ لعمري لست أنكره حقاً يقيناً، ولكن من أبو بيضٍ؟!
إن كنت أنبضت لي قوساً لتزميني فقد رميتك رمياً غير تبيضي
أو كنت خضضت لي وطباً لتسقينني فقد سقيتك وطباً غير منحوض
إن المهاجر عدل في حكومته والعدل يعدل عند كل عريض^(١)

ولاية خالد القسري على العراق والقبض على ابن هبيرة

كانت ولاية خالد بن عبدالله القسري البجلي العراق في شوال ١٠٥هـ، وفي يوم دخول خالد بن عبدالله القسري للعراق قبض على عمر بن هبيرة وحبسه. قال الفرزدق:

لعمري لئن نابت فزارة نوبة لمن حدث الأيام تسجتها قسر
لقد حبس القسري في سجن واسط فتى شيطوياً لا ينهيه الزجر
فتى لم توركه الإمام ولم يكن غداء له لحم الخنازير والخمر
فقال ابن هبيرة: ما رأيت أكرم من الفرزدق: هجاني أميراً ومدحني أسيراً^(٢).

هروب ابن هبيرة واستجارته بمسلمة بن عبد الملك

استطاع عمر بن هبيرة الفزاري الهرب من سجنه: وسمع ابن هبيرة في طريقه امرأة من قيس تقول لا والذي أسأله أن ينجي عمر بن هبيرة، فقال: يا غلام أعطها ما معك وأعلمها أنني قد نجوت. وقدم ابن هبيرة فأشارت عليه قيس بأن يستجير بأمر حكيم بنت يحيى امرأة هشام، فقال: امرأة؟ قالوا: فاستجر بأبي شاعر مسلمة بن هشام، قال: صبي، ولكنني أستجير بأبي سعيد مسلمة بن عبد الملك، قالوا: أستجير به وقد وليت ما كان يليه ولم تبق عليه؟ فقال: هو كريم ولا يسلمني أبداً، فتوجه إليه ومعه وجوه القيسية، فلما رآه كره مصيره إليه، وانطلق إلى هشام فكلمه فيه وقال: هذا رجل خاف تحامل خالد عليه للمضرية، فأمنه هشام على أن يؤدي ما طولب به فأداه^(٣).

(١) المصدر السابق ص ٢٠٦.

(٢) أنساب الأشراف ج ٩ ص ١٠٢ - ٣٢ - ٣٣.

(٣) المصدر السابق ج ٩ ص ٣٤.

ولاية خالد القسري على البصرة

لما ولي خالد بن عبدالله العراق، ولّى البصرة أبان بن ضبارة من أهل اليمن، ثم عزله، وولّى عقبة ابن عبدالأعلى الكلاعي من أهل الشام، ثم عزله، وولّى عامر بن نفيل الكلاعي أو الكلابي، فكلهم كانوا على الصلاة بالبصرة. وعلى الشرط والأحداث مالك بن المنذر بن الجارود العبدي من قبل خالد^(١).

نظرة خالد القسري لأهل البادية

خطب خالد بن عبدالله القسري فقال: يا أهل البادية، ما أحسن بلدكم وأغلظ معاشكم وأجفى أخلاقكم، لا تشهدون جمعة ولا تجالسون عالماً. فقام إليه رجل منهم دميم فقال: أما ما ذكرت من خشونة بلدنا وأغلظ طعامنا فهو كذلك ولكنكم معشر أهل الحضرة فيكم ثلاث خصال هي شرّ من كل ما ذكرت. قال له خالد: وما هي؟ قال: تنقبون الدور وتنشون القبور...! قال: قبحك الله وقبح ما جئت به!

وفاة الفرزدق وجرير وابن سيرين والحسن البصري

١١٠هـ وفي هذه السنة توفي الفرزدق وهو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقّال. وغالب هذا هو سيد بادية تميم، وأما صعصعة فكانت أمة من الإماء، لذلك كان جرير يعبّره بها. وأما الفرزدق فاسمه همام وكان قصيراً غليظاً فشبهه بالفرزدقة وهي الجرذقة التي تدق ويشربها النساء، ويكنى أبا فراس، وكان ولد الفرزدق: لبطة وسبطة وخبطة، وركضة وزمعة.

قال البلاذري: سمعت محمد بن زياد الأعرابي (ت ٢٣١هـ وهو ابن ٨٠ سنة) يقول: بقي جرير بعد الفرزدق أربعين يوماً، وكان يوم بلغه موت الفرزدق عند المهاجر بن عبدالله الكلابي^(٢) من اليمامة. وفيها توفي جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي باليمامة وعمره ٨٢ عاماً، وله من الأولاد ثمانية ذكور. ومن أحفاده (عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير، أبو عقيل) كان يسكن البصرة^(٣). وفيها مات (ابن سيرين) و(الحسن البصري).

١١٢هـ حج بالناس فيها إبراهيم بن هشام المخزومي وهو أمير الحرمين والطائف، وأمير العراق خالد القسري، وأمير خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المُرّي.

وقعة بين بني عقيل وبني الحارث بن كعب في سحبل

بمناسبة ذكرنا لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي وحجه في هذه السنة سنورد الخبر التالي نقلاً عن معجم البلدان لياقوت الحموي عند ذكره لسحبل. قال ياقوت: سحبل، موضع في ديار بني

(١) المصدر نفسه ج ٩ ص ٣٩.

(٢) المصدر نفسه ج ١٢ ص ٦٥ وص ٧٨.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للنمري.

الحارث بن كعب كان جعفر بن علبة الحارثي يزور نساء بني عقيل فنذر به القوم فقبضوه وكشفوا دبر قميصه وربطوه إلى جمته وجعلوا يضربونه بالسياط ويقبلون ويدبرون به على النساء اللواتي قد كان يتحدث إليهن حتى فضحوه وهو يستعفيهم ويقول: يا قوم الموت خير مما تصنعون، فلما بلغوا منه مرادهم أطلقوه فمضت أيام أخذ جعفر أربعة رجال من قومه رصد العقيليين حتى ظفر برجل ممن كان يصنع به ذلك فقبضوا عليه وفعلوا به شراً مما فعل بجعفر ثم أطلقوه فرجع إلى الحي فأنذرهم فتبعهم سبعة عشر فارساً من بني عقيل حتى لحقوا بهم بوادٍ يقال له سحبل فقاتلهم جعفر فيقال: إنه قتل فيهم حتى لم يبق من العقيليين إلا ثلاثة نفر... فمضى العقيليون إلى والي مكة إبراهيم بن هشام المخزومي (١١٢-١١٤) وقيل السري بن عبدالله بن الحارث بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي - أزيح عن ولاية مكة سنة ١٤٦هـ - فطلب جعفرأ ومن كان معه يومئذ حتى ظفر بهم وحبسهم فذلك قول جعفر بن علبة في محبسه:

فَدَى لِبَنِي عَمِّي أَجَابُوا لِدَعْوَتِي شَفَوْا مِنْ بَنِي الْقَرْعَاءِ عَمِّي وَخَالِيَا
كَأَنَّ بَنِي الْقَرْعَاءِ يَوْمَ لَقِيَتْهُمْ فَرَاخُ الْقَطَا لَأَقِينُ صَقْرًا يَمَانِيَا
أَقُولُ وَقَدْ أَجَلْتُ مِنَ الْقَوْمِ عَرْكَةً لِيَبْكُ الْعُقَيْلِيُّونَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
شَفِيتُ غَلِيلِي مِنْ حُشَيْنَةٍ بَعْدَمَا كَسَوْتُ هَذِيلَ الْمَشْرِفِيِّ الْيَمَانِيَا

وفاة الشاعر ذو الرمة غيلان وذكر موقع فلجة

١١٧هـ توفي الشاعر ذو الرمة^(١) غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي المضري. وقد جاء ذكر لموضع [فلجة] الواقعة على درب حجاج البصرة الذي تقطنه الخرقاء مئة بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرية العامرية، عشيقه الشاعر ذي الرمة غيلان...، وبسبب سكنى الخرقاء على ((فلجة)) التي يمر بها الحجاج قال ذو الرمة مخاطباً هؤلاء الحجاج بأن عليهم أن يتموا حجهم بالتوقف في فلجة بعض الوقت لرؤية وجه حبيبته الخرقاء عندما تضع لثامها، يقول:

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءٍ وَاضِعَةِ اللَّشَامِ

فلما سمعت الخرقاء هذا البيت من حبيبها قالت لجموع الحجاج الذين يمرون بديرتها فلجة: (أنا منسك من مناسك الحج)!. ويقول الأستاذ القدير أحمد محارب الظفيري: تقع قارة فلجة في جهة الشمال الشرقي عن (آبار الدليمية)، وتبعد عن هذه الآبار باثني عشر كيلومتراً، وهذه القارة الآبار تقع ضمن بادية الظفير القريبة من حفر الباطن^(٢). وفي مجلة العرب يقول عن فلجة: تقع تقريباً من الخضارة وحبر والذئاب، أي بقرب خط الطول ٤٢/١٥ - ٢٣/٤٠ شرق الدفينة بميل نحو الشمال بما يقارب ٥٠ كيلو. ليس من المستبعد أن تكون فلجة هي المنهل المعروف بالخضارة^(٣).

(١) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ثعلبة بن دودان ابن أسد. أنساب الأشراف ج ١١ ص ٢٨٦.

(٢) راجع بحث لأحمد محارب الظفيري في جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ١٥ سبتمبر ٢٠٠٥ م ص ٥.

(٣) مجلة العرب ج ٢ السنة السابعة ١٩٧٢/٩ م.

وفاة علي بن عبدالله بن العباس بالخمينة

١١٨هـ توفي علي بن عبدالله بن العباس وله (٧٨ سنة) وإنه لمعتدل القناة، وقال الهيثم بن عدي: توفي علي بن عبدالله بالخمينة من عمل دمشق سنة سبع عشرة ومائة وله ثمان وسبعون سنة، وذلك في أيام هشام بن عبدالملك^(١).

ولاية يوسف الثقفي على العراق وعزل خالد القسري

١٢٠هـ عزل هشام بن عبدالملك خالد عبدالله القسري عن العراق في جمادى الأولى، وولى عليه يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي، وقد قدم عليه يوسف واسطاً فحبسه بها ثم شخص إلى الحيرة، فلم يزل خالد محبوساً ثمانية عشر شهراً وحبس معه أخوه إسماعيل بن عبدالله وابنه خالد بن يزيد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبدالله، ثم كتب هشام يأمر يوسف بتخليه سبيله في شوال سنة ١٢١هـ^(٢).

((وكان يوسف قصيراً عظيم اللحية يلبس ثياباً طوالاً يجرها، وكان شديد العقوبة مسرفاً في ضرب الأبخار وكان يأخذ الثوب اليوسفي فيمر ظفره عليه فإن تعلق به خيط ضرب صاحبه وربما قطع يده))^(٣). وقال ابن خلدون: لما ولي يوسف نزلت الذلة بالعراق في العرب، وصار الحكم فيه إلى أهل الذمة.

ولاية علي بن المهاجر الكلابي على اليمامة

تولى علي اليمامة علي بن المهاجر بن عبدالله الكلابي من قبل والي العراق يوسف بن عمر من (١٢٠-١٢٥هـ)^(٤).

مطاردة الإمام زيد

بعد أن ((خرج زيد بن علي - من عند يوسف بن عمر بعدما أخلى سبيله - حتى إذا كان بالقادسية لحقته الشيعة فيما ذكره لوط بن يحيى أنهم قالوا: أين تخرج عنا ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل خراسان يضربون بها دونك بني أمية غداً وليس قبلنا من أهل الشام إلا عدة قليلة، لو أن قبيلة من قبائلنا نصبت لهم لكفتهم بإذن الله فأبى عليهم، فقالوا: نناشدك الله إلا ما رجعت، قال: إني لست آمن من غدركم كفعلكم بجدي الحسين. قالوا: لن نفعل، وإن أنفسنا دونك ونعطيك من العهود والمواثيق ما تثق به فإنا نرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزمان الذي تهلك فيه بنو أمية، فلم يزالوا به حتى ردّوه. قالوا: ولما رجع زيد إلى الكوفة أقبلت الشيعة تختلف إليه ويبايعونه حتى أحصى ديوانه

(١) أنساب الأشراف ج ٤ ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق ج ٩ ص ٥٨-١٠٢.

(٣) المصدر نفسه ج ٩ ص ١٢٠.

(٤) ال ١٠٠٠ سنة الغامضة لابن السويدي ط ١ ص ٢٠٧.

خمسة عشر ألفاً من أهل الكوفة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وأهل خراسان والري وجرجان والجزيرة، وأقاموا بالكوفة بضعة عشر شهراً إلا أنه قد كان من ذلك بالبصرة نحواً من شهر، ثم أقبل إلى الكوفة فأرسل دعاة إلى السواد والكور. يدعون الناس إلى بيعته^(١).

يبدو أن الأجهزة الأمنية للدولة الأموية في ذلك الوقت المبكر من نشأة الدولة كانت يقظة ونشطة ومتطورة، فقد استطاعت رصد تحركات الإمام زيد ومتابعته وكشف مخططه من بدايته، فقد قال البلاذري: ((كان قد وجه دعائه إلى الآفاق فأجابه ناس من أهل كل ناحية، وكان قد نزل بالكوفة في منزل مولى له يقال له حميد بن دينار في أحمر، وفي منزل نصر بن خزيمة العبسي، فبلغ يوسف أنه بالكوفة في عبس. فتحول إلى بارق، فنزل فيهم في منزل نصر بن عبدالرحيم البارقي. ثم تحول إلى بني يربوع. ثم إلى بني بكر بن وائل، وكتب إلى هلال بن خباب فأجابه. وكان إذا بويج قال: أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء على أهله ورد المظالم وإقبال الحجارة ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعون على هذا؟ فيبايعونه ويضع يده على يد الرجل، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه لتفني لنا ولتنصحننا في السر والعلانية والرخاء والشدة والعسر واليسرة، فيسامح على ذلك^(٢)). وبعث الإمام زيد إلى أحد أئمة المذهب السني أبي حنيفة يطلب منه التأيد والخروج والمبايعه ((فكاد يغشى عليه فرقاً، وقال: من أتاه من الفقهاء؟ فقبل له: سلمة بن كهيل ويزيد بن أبي زياد، وهاشم البرند، وأبو هاشم الرماني وغيرهم. فقال: لست أقوى على الخروج، وبعث إليه بمال قواه به^(٣)). وأما على مستوى الأوساط الشيعية فقد ((اجتمع إلى زيد جماعة من الرؤساء، فقالوا: يرحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال: كنا أحق البرية بسُلطان رسول الله ﷺ فاستأثرا علينا، وقد وُلّيا علينا وعلى الناس فلم يألوا عن العمل بالكتاب والسنة، ففارقوه ورفضوا بيعته، وقالوا: إن أبا جعفر (محمد بن علي بن الحسين) هو الإمام، وجعفر بن محمد إمامنا بعد أبيه، وهو أحق بها من زيد، وإن كان زيد أخاه، فسامهم زيد حين رفضوا بيعته الرفضة^(٤)...، وكان زيد يقول: رفضتني الرفضة كما رفضت الخوارج علياً^(٥))).

قالوا: فلما خفقت الألوية على رأس زيد بن علي. قال: الحمد لله الذي أكمل ديني، والله إنني كنت أستحيي من رسول الله أن أردّ عليه الحوض غداً ولم أمر في أمته بمعروف ولم أنه عن منكر^(٥).

(١) غاية الاختصار للشريف تاج الدين الحسيني نقيب حلب كان حياً سنة ٧٥٣، ص ١٣٨.

(٢) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٣٤.

(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٣٥.

(*) مصطلح الرفضة أو الرفضة أو الروافض، هذه مسميات مما لا يؤمن بها المؤلف، فالمسلمون جميعهم إخوة وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْزُوا بِآلِ قَلْبٍ﴾ صدق الله العظيم، ونحن وإن ذكرناها في الكتاب فمن أجل إعطاء فكرة عن الثقافة السائدة في تلك العصور، ولكي لا يفقد النص معناه..

(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٣٦.

(٥) غاية الاختصار ص ١٣٨.

بداية خروج الامام زيد بن علي في الكوفة

وبعد أن شعر الإمام زيد أن دعوته قد بلغت الآفاق واستوت ((خرج ليلة الأربعاء لسبع ليال بقين من محرم ١٢٢هـ في جماعة كانوا حوله، وآخرين بعث إليهم رسله فوافوه، وأمر فاشتعلت النيران في الجرادي، فكلما أكلت جردتاً رفعوا آخر فلم يزالوا كذلك إلى طلوع الفجر، وكانت ليلة باردة، فلم يتنام إليه فيها إلا أربعمائة، فقال: أين الناس؟ أتراهم تخلفوا للبرد؟ فقليل له: لا، ولكنهم جمعوا في المسجد وأغلقت الدروب ليُقطعوا عنك. وقد ذكر بعض أهل الكوفة أنه اجتمع إلى زيد أربعة آلاف لم يصبح إلا وهو في ثلاثمائة أو أقل منها))^(١).

((وعن يحيى بن الحسن قال: حدثنا عباد حدثنا سعيد قال: تفرق أصحاب زيد عنه وحضرت معه دار رزق في ثلاثمائة رجل، وجاء يوسف بن عمر في عشرة آلاف، ونحن في ثلاثمائة قال فصّف أصحابه صفّاً خلف صفّ حتى لا يستطيع أحد أن يلوي عنقه، جعلنا نضرب ولا نرى إلا النار تخرج من الحديد فقتلنا منهم مقتلة عظيمة وجاء سهم فأصاب جبين زيد فأنزلناه وانحزنا به، وكان رأسه في حجر محمد بن مسلم بن الخياط، ورجلاه في حجر أخ له. فقال: ادعوا يحيى فجاء يحيى فأكبّ عليه فقال: ابشر يا أبتاه ترد على رسول الله وعلى فاطمة والحسن والحسين، قال: أجل يا بني، ولكن أي شيء تريد أن تصنع قال: أريد والله يا أبتاه أن أقاتلهم ولو لم أجد أحداً إلا نفسي. قال: فافعل يا بني فإنك والله لعلى الحق وإنهم على الباطل وإن قتلنا في الجنة وإن قتلهم في النار. قال ثم قال: قين قين. قال فجثناه بحداد فنزع السهم، فكانت فيه نفسه))^(٢). كان سنة يوم قتل فيما قالوا (٤٢ سنة)^(٣).

مقتل يحيى بن زيد بخراسان

لما قتل زيد بن علي رحمه الله بالكوفة استخفى ابنه يحيى ثم هرب حين سكن عنه الطلب إلى خراسان فقتل بها، رماه رجل من أصحاب نصر بن سيار فقتله، وأخذ رأسه فبعث به نصر إلى يوسف بن عمر^(٤). وقد قتل يحيى يوم الجمعة وقت العصر بقرية يقال لها أرغوي سنة ١٢٥هـ ولا عقب ليحيى وكانت له بنت ترضع^(٥).

وفاة هشام وخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

١٢٥هـ مات هشام بن عبد الملك بالرصافة يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الأول وهو ابن (٥٣ سنة) وصلى عليه الوليد بن يزيد وكانت خلافته عشرين سنة. ثم بويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٣٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٠.

(٤) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٤٥٣.

(٥) تحفة الأزهار ج ٢ ص ٥٠٧، راجع سنة ١٢٥.

يوم الأربعاء لستُ خلون من ربيع الآخر، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف، أخي الحجاج بن يوسف. وكانت ولايته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً^(١).

وفاة محمد بن علي العباسي الذي أوصى إليه ابن الحنفية بالإمامة

وفيهما توفي (محمد بن علي بن عبدالله بن عباس): قال الواقدي: الثبت أنه توفي سنة ١٢٥ هـ قبل قتل الوليد بن يزيد بقليل، وكان له يوم مات سبعون سنة. وولد المهدي العباسي أمير المؤمنين في السنة التي مات فيها محمد بن علي فسمي باسمه. وكني أبا عبدالله بكنيته، وكانت وفاة المهدي سنة ١٦٩ هـ وله ٤٣ سنة^(٢).

قالوا: وكانت الشيعة تروي أن الإمام محمد بن علي (فُيْظَنُ أنه ابن الحنفية)، فلما مات ابن الحنفية قالوا: الإمام ابنه (عبدالله بن محمد بن علي) وهو أبو هاشم، فلما سَمَّ أبو هاشم في طريقه وهو يريد الحجاز عدل إلى (محمد بن علي بن عبدالله بن عباس) بالحميمية فأوصى إليه وأعطاه كتبه وجمع بينه وبين قوم من الشيعة، فقال: إنا كنا نظن أن الإمامة والأمر فينا، فقد زالت الشبهة وصرح اليقين بأنك الإمام والخلافة في ولدك، فمال إليه الناس فثبتوا إمامته وإمامة ولده^(٣).

نظر عبدالملك بن مروان إلى محمد بن علي وهو غلام وكان جميلاً فقال: هذا والله يفتن المرأة الشريفة. فقال خالد بن يزيد بن معاوية: (أما والله إن ولده لأصحاب هذا الأمر) فقال عبدالملك: كلاً، فقال خالد: هو والله ذاك، إن تبعاً أخبرني عن كعب أن هذا الأمر (يصير إلى بني العباس وأنه لا يليه رجل من آل أبي طالب إلا أن يخرج عن والٍ فيقتل، وأنها لولد العباس إلى أن ينزل المسيح). قال: وتبع ابن امرأة كعب^(٤).



انقلاب الأمويين على الوليد بن يزيد

١٢٦ هـ قتل الوليد بن يزيد بن عبدالملك بالبحراء من تدمر على ثلاثة أميال، يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة وهو ابن ثلاثين أو ست وثلاثين. وقيل ابن خمس وأربعين وأشهر^(٥). وكان الشيب قد وخطه، ولم يُصَلَّ عليه أحد، وحمل رأسه إلى يزيد بن الوليد بن عبدالملك فنصب عند باب الفرديس^(٦).

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ١٧٩.

(٢) أنساب الأشراف ج ٤ ص ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٠٨.

(٤) أنساب الأشراف ج ٤ ص ١١٣.

(٥) العقد الفريد ج ٥ ص ١٨٥.

(٦) أنساب الأشراف ج ٩ ص ١٨٥.

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك مدة خمسة أشهر

بويح يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب ١٢٦هـ وأمه ابنة يزدجرد بن كسرى، سباها قتيبة ابن مسلم بخراسان وبعث بها إلى الحجاج بن يوسف فبعث به الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك فاتخذها فولدت له يزيد الناقص ولم تلد غيره. ومات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ١٢٦هـ وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك. وكانت ولايته خمسة أشهر واثنى عشر يوماً.

قال عبدالعزيز: بويح وهو ابن ٣٩ سنة ومات ولم يبلغ الأربعين^(١). وكان يزيد بن الوليد أسمر، مديد القامة، صغير الرأس، وكان جميلاً وفي فمه بعض السعة^(٢).

تولية أبي لطيفة العُقيلي إمارة العقيق

في خلافة يزيد بن الوليد عام ١٢٦هـ - ٧٤٣م تولى أبو لطيفة بن مسلم العقيلي إمارة العقيق، وقبله كان الأمير عقبة بن شريح الحرشي في ولاية المهاجر بن عبدالله على اليمامة^(٣).

ثورة المهير الحنفي على ابن المهاجر في اليمامة

لما قتل الوليد بن يزيد كان علي بن المهاجر على اليمامة عاملاً ليوسف بن عمر الثقفي. فقامت ثورة في اليمامة، قام بها المهير بن سلمى بن هلال من بني الدئل بن حنيفة. جاء إلى ابن المهاجر فقال: أخل لنا بلادنا، فأبى، فجمع له المهير وسار إليه وهو في قصره بقاع هجر فالتقوا بالقاع بسوق هجر فهزمه المهير حتى أدخله قصره وخرج من ناحية القصر فهرب إلى المدينة، وقتل المهير بن سلمى ناس من أصحابه، وكان يحيى بن أبي حفصة وقيل (مروان بن أبي حفصة اليمامي) قد أشار على ابن المهاجر أن لا يقاتل فعصاه فقال:

بَذَلْتُ نَصِيحَتِي لِبَنِي كَلَابٍ فَلَمْ تُقْبَلْ مُشَاوَرَتِي وَتُصَحِّي

فَدَا بَنِي حَنِيفَةً مِنْ سَوَاهِمٍ فَلَهُمْ فَوَارِسُ كُلِّ فُتْحٍ

وتأمر المهير على اليمامة، وكان على شرطه عبد الحكم بن حكام العبيدي فركب المهير والناس معه فشدّ قوم على عبد الحكم فقتلوه. ثم مات المهير واستخلف عبدالله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل. فاستعمل عبدالله بن النعمان المندلث بن إدريس الحنفي على الفلج قرية من قرى بني عامر بن صعصعة، وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي: هي لبني نمير - فجمع له بنو كعب ابن ربيعة بن عامر، ومعهم بنو عقيل وأتوا الفلج، فقاتلهم المندلث بالفلج فقتل المندلث، قتله رجال بن

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ١٩٤.

(٢) أنساب الأشراف ج ٩ ص ١٩٠.

(٣) ال ١٠٠٠ سنة الغامضة ج ٣ ط ١ ص ٢٢١.

فروة القشيري وقتل أكثر أصحابه. وظفرت بنو عامر ولم يقتل منهم كبير أحد، وقتل يومئذ يزيد بن المنتشر، وأمه الطثرية من طثر بن عنز بن وائل - بن قاسط بن هنب - وكان معهم فقال القحيف:
 إِنَّ تَقْتُلُوا مَثَا شَهِيداً صَابِراً فَقَدْ تَرَكْنَا مِثْكُمْ مَجَازِراً
 خُمْسَ مَنِينَ لَمْ يَدْخُلُوا الْمَقَابِرَا

وقال ثور بن الطثرية يرثيه:

أَرَى الْأَثْلَ مِنْ نَحْرِ الْعَقِيقِ مُجَاوِرِي مُقِيماً وَقَدْ غَالَتْ يَزِيداً غَوَائِلُهُ
 مَضَى فُورَثْنَاهُ دَلَاصاً مُفَاضَةً وَأَبْيَضَ هَنْدِيّاً طَوَالاً حَمَائِلُهُ
 وَقَدْ كَانَ يَحْمِي الْمَحْجَرِينَ بِسَيْفِهِ وَيَبْلُغُ أَقْصَى حَجَرَةِ الْحَيِّ نَائِلُهُ
 فِي آيَاتٍ. وقال القحيف:
 أَتَانَا بِالسَّعْقِيقِ صَرِيخُ كَعْبٍ فَخَلَّ السَّبْعُ وَالْأَسَلُ السُّهَالِ

يوم الفلج الثاني

لما أتى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانِ خَلِيفَةُ الْمُهَيَّرِ قَتَلَ الْمُنْدَلِثَ جَمْعَ جَمْعاً بَلَغَ أَلْفاً مِنْ حَنْفَةٍ وَغَيْرِهَا مِنْ سَاكِنِي الْيَمَامَةِ، فَغَزَا الْفَلَجَ، فَلَمَّا تَصَافَّ النَّاسُ انْهَزَمَ أَبُو لَطِيفَةَ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَقِيلِي فَقَالَ الرَّاجِزُ:

فَرَّ أَبُو لَطِيفَةَ الْمُنَافِقُ وَالْجَمْعُونِيَانِ وَفَرَّ طَارِقُ
 لَمَّا أَحَاطَتْ بِهِمُ السَّوَارِقُ وَالْمَوْتُ حَيْثُ الْخُرْقُ الْخَوَافِقُ

طارق بن عبدالله القشيري، والجمعونيان من بني قشير، وتجللت بنو جعدة البراذع، وقتلوا حتى قتلوا إلا نفرأ منهم، وقطعت يد زياد بن حيان الجعدي... ثم قتل، وقال الأسوار بن عمرو مولى بني هزان:

سَلُّوا الْفَلَجَ عَنَّا وَعَنكُمْ وَأُطِمَّةً إِذْ سَالَتْ مَدَامُعُهَا دَمَا
 عَشِيَّةً لَوْ شِئْنَا سَبَيْنَا نِسَاءَكُمْ وَلَكِنْ صَفَحْنَا عِفَّةً وَتَكْرُماً

وقال بعض الربيعيين:

سَمَوْنَا لِكَعْبٍ بِالصَّفَائِحِ وَالْقَنَا وَبِالْخَيْلِ شُعْثاً تَنْتَحِي فِي الشُّكَايِمِ
 فَمَا غَابَ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى رَأَيْتَنَا نَسُوقُ بَنِي كَعْبٍ كَسُوقِ الْبَهَائِمِ
 بِضَرْبِ يُزَيْلِ الْهَامِ عَنْ سَكَنَاتِهِ وَطَعْنِ كَأَفْوَاهِ الْمَزَادِ الشُّوَاجِمِ
 وَفَرَّ أَبُوكَ يَا لَطِيفَةً هَارِباً وَلَمْ يَسْتَجِ مِنْ أَسْيَافِنَا وَهُوَ سَالِمِ

يوم معدن الصحراء

وأغارت بنو عُقِيلٍ وَقَشِيرٍ وَجَعْدَةُ بْنُ كَعْبٍ، وَنَمِيرُ بْنُ عَامِرٍ بَعْدَ الْفَلَجِ الثَّانِي، وَقَدْ تَجَمَّعَ عَلَيْهِمُ

((بنو سهلة)) النميري، على من كان من بني حنيفة بمعدن الصحراء، فقتلوا من وجدوا من بني حنيفة، وسلبوا نساءهم، وكفت بنو نمير عن النساء، غير أن رباح بن جندل بن الراعي سبى امرأة واحدة مُحَصِّلَةً بخصل الفضة، فقال القحيف:

وَرِثْنَا أَبَانَا عَامِراً مَشْرِفِيَّةً صفائحَ فيها اليوم أنصاف ما بها
ضَرَبْنَا بِهَا أَعْنَاقَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ جهاراً وجاوزنا بها من ورائها
وبمناسبة الحديث عن بني نمير، فقد ذكرهم ابن سعيد^(١) المغربي الأندلسي بميزة ليست في غيرهم، وذلك عندما قال: ((ويقولون: إن دم الأشراف ينفع من عضّة الكلب الكلب)). ثم ذكر قول الشاعر:
مَنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهُ بَنُو نَمِيرٍ دماؤهم من الكلب الشفاء
وكانت نمير تفتخر بنسبها، بأن يقول أحدهم: ((أنا نميري، فلما قال جرير:
قُضِيَ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
صارت تعدل عن النسب إلى نمير، وتتسبب إلى عامر))^(٢)، وربما انتسبوا إلى إحدى بطونهم القوية كبني سهلة.

يوم النشاش

قالوا: ولما أوقع بالعامرين يوم الفلج الثاني قال عمر بن الوازع الحنفي: لست بدون عبدالله بن النعمان وغيره ممن يغير، وهذه فترة يؤمن فيها من السلطان، فمضى يريد أضاح، فلما كان بأرض الشريف بثّ خيله فأغارت وأغار فملاً يده من الغنائم، وأقبل ومن معه حتى نزلوا النشاش، وأقبلت بنو عامر حاشدة حتى أغارت فلم يرغ عمر بن الوازع إلا رغاء الإبل، فجمع ابن الوازع النساء في فسطاط وأقام عليهن حرساً من ثقاته، ولقي القوم فقاتلهم فهزمت حنيفة ومن معها، وهرب ابن الوازع فلاحق باليمامة، وتساقط منهم خلق في قلب النشاش من العطش وشدة الحر، فطلب ابن الوازع فلم يقدر عليه، ورجعوا بالأسرى والنساء. فقال بعض نمير:

إِذَا عُدَّ الْقَعَالُ وَجَدَتْ قَوْمِي نَمِيرًا بَدَّ فَعَلَهُمُ الْفَعَالَا
هُمْ قَتَلُوا الْبَهِيمَ بِهَا وَجُونًا عَلَانِيَةً وَمَا قُتِلَ اغْتِيَالَا
بهيم بن عزة، وقال القحيف العقيلي:
مَنْ مُبْلَغُ عَنَّا قَرِيشاً رَسَالَةً وأفناء قيس حيث سارت وحلت
بِأَنَّا تَرَكْنَا مِنْ حَنِيفَةٍ بَعْدَمَا أغارت على أهل الحمى ثم ولت
تَسُكُّ نَمِيرٌ بِالْقَنَا صَفْحَاتِهِمْ فكم ثم من نذر لها قد أحلت

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ت ٦٨٥هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط ١/١٩٨٢م ج ٢ ص ٧٩١.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠١.

في أبيات: وقال سعد بن عياش الغنوي:
نَحْنُ صَبَحْنَا عَمَرَ بْنَ الْوَاظِ
وقال القحيف:

تَرَكْنَا عَلَى النَّشَاشِ بَكَرَ بْنَ وَائِلٍ
قَتَلْنَاهُمْ حَتَّى رَفَعْنَا كُفُوفَنَا
وَشَيْبَانٌ قَدْ كَانَتْ لِحَيْنٍ وَشِقْوَةٍ
بُطُونُ السَّبَاعِ الْعَاوِيَاتِ قُبُورُهَا
بِمَشْهُورَةٍ بَيْضَ حَدَادٍ ذُكُورُهَا
كَبَاحِثَةٍ عَنْ شَفَرَةٍ تَسْتَثِيرُهَا

قالوا: وكفت قيس يوم النشاش عن السلب، فجاءت عكل من الحلة فسلبتهم، ولم يكن لحنيفة بعد هذا اليوم جمع، غير أن عبيد الله بن مسلم الحنفي جمع جمعاً وأغار على ماء لقشير يقال له حلبان، فقال الشاعر:

لَقَدْ لَأَقْتُ قُشَيْرَ يَوْمَ لَأَقْتُ
لَقَدْ لَأَقْتُ عَلَى حَلْبَانَ لَيْثاً
وَأَغَارَ عَلَى عَكْلٍ فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشْرِينَ رَجُلًا، فقال نوح بن جرير بن عطية:
وَضَبَّيْتُمْ يَا عَكْلُ بِالسَّرَةِ نِسْوَةً
فَبَاتَتْ عُجُوجُ الْقُرَيْشِيِّينَ تَكُومُهَا^(١)

قدوم المثنى الفزاري والياً على اليمامة

ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري الغطفاني القيسي والياً على اليمامة من قبل أبيه، حين ولي العراق من قبل مروان الجعدي (١٢٧-١٣٢) فوردها وهي سلم فلم يحارب، وتشاهدت بنو عامر على بني حنيفة، فتعصب لهم المثنى بالقيسية، فضرب عدّة من بني حنيفة فقال بعضهم:

إِنْ تَضْرِبُونَا بِالسُّيَاطِ فَإِنَّا
وَلَوْ تَحْلِقُوا مِنَّا الرُّؤُوسَ فَإِنَّا
ضَرَبْنَاكُمْ بِالْمُرْهَقَاتِ الصَّوَارِمِ
قَطَعْنَا رُؤُوساً مِنْكُمْ بِالْغَلَاصِمِ

ثم إن المثنى جعل يرفعهم إلى قاضيه طلحة بن إلياس العدوي فلم يقبل شهادة عامري فهدأت البلاد وسكنت^(٢).

مقتل المثنى بعد قتل أبيه يزيد

في أول قيام الدولة العباسية عام ١٣٢هـ قتل يزيد بن عمر بن هبيرة والد المثنى بن يزيد، فامتنع

(١) كام المرأة: نكحها. وعكل أمة حضنت بني عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبدمناة بن أد بن طابخة فغلبت عليهم...

(٢) أنساب الأشراف ج ٩ ص ٢٠٧-٢١٤.

المنى باليمامة فبعث إليه زياد بن عبدالممدان الذي ولاه السفاح مكة والمدينة والطائف واليمامة بالعساكر من المدينة مع إبراهيم بن حيان السلمي فقتله وقتل أصحابه سنة ١٣٣هـ^(١).

قال البلاذري: ولم يزل عبيدالله بن مسلم مستخفياً حتى قدم السري بن عبدالله بن الحارث بن عباس ابن عبدالمطلب والياً على اليمامة، من قبل بني العباس، فذل عليه فقتله لما صنع، فقال نوح بن جرير: **فَلَوْلَا السَّرِيُّ الْهَاشِمِيُّ وَسَيْفُهُ أَعَادَ عُبَيْدُاللهُ شَرًّا عَلَى كُلِّ**^(٢)

خلافة إبراهيم بن الوليد بن عبدالمك أربعه أشهر

((بويح إبراهيم المخلوع في أول سنة ١٢٧هـ بعد موت أخيه يزيد الناقص وأمه بربرية فلم يتم له الأمر، وكان يدخل عليه قوم فيسلمون عليه بالخلافة وقوم يسلمون بالإمرة وقوم لا يسلمون بخلافة ولا بإمرة فمكث أربعة أشهر حتى قدم مروان بن محمد فخلع إبراهيم وقتل عبدالعزيز بن الحجاج وولي الأمر بنفسه.

وفي رواية خليفة بن خياط: لما أتى مروان بن محمد وفاة يزيد بن الوليد دعا قيساً وربيعه ففرض لستة وعشرين ألفاً من قيس وسبعة آلاف من ربيعة وأعطاهم أعطياتهم وولى على قيس إسحاق بن مسلم العقيلي، وعلى ربيعة المساور بن عقبة، ثم خرج يريد الشام واستخلف على الجزيرة أخاه عبدالعزيز بن محمد بن مروان فتلقيه وجوه قيس الوثيق بن الهذيل بن زفر، ويزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، وأبو الورد ابن الهذيل بن زفر، وعاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي في خمسة آلاف من قيس فساروا معه^(٣).

خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

ولد مروان بالجزيرة سنة ٧٢هـ وأمه بنت إبراهيم بن الأشتر، وقال بعضهم: بل لخباز لمصعب بن الزبير، أو لابن الأشتر واسم الخباز رزبا وقال بعضهم: كان رزبا عبداً لمسلم بن عمرو الباهلي. ودفع إلى مروان أبيات قالها الحكم بن الوليد بن يزيد وهو محبوس، وهي:

أَسَاوِي فِي الْحَدِيدِ مُكَبَّلِينَ	أَلَا فِتْنَانٌ مِنْ مُضَرٍّ فَيَحْمُوا
فَلَا غَسًّا أَصَبْتُ وَلَا سَمِينًا	أَتَذْهَبُ عَامِرٌ بِدَمِي وَمَلِكِي
فَمَرْوَانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ	فَإِنْ أَهْلِكَ أَنَا وَوَلِيَّ عَهْدِي
فَتَخْرُجُ مِنْهُمْ الدَّاءُ الدَّفِينَا	فَأَذُبْ لَا عَدِمْتُكَ حَرْبَ قَيْسٍ
وَعَمِي الْقُمَرُ طَالَ بَذَا حَنِينَا	أَلَا مَنْ مَبْلَغُ مَرْوَانَ عَنِّي
لَدَى الْبَخْرَاءِ فِي لَحْفٍ مَهِينَا	بَأَنِّي قَدْ ظَلِمْتُ وَطَالَ حَبْسِي

(١) الأ ١٠٠ سنة الغامضة ٣ لابن السرياء ط ١ ص ٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٢١٤.

(٣) المصدر السابق ج ٩ ص ١٩٩.

قبيلة عامر المذكورة في القصيدة: هي عامر الكلبية التي منها منصور بن جمهور وقومه الذين قاموا هم وغيرهم من الشاميين والأمويين وانقلبوا على الخليفة الوليد بن يزيد ولم يعترفوا بولاية العهد للحكم ابن الوليد، بل رموه مع أخيه في السجن وصار يزيد بن الوليد خليفة للمسلمين.

قال البلاذري: وجه إبراهيم المخلوع سليمان بن هشام بن عبد الملك في خيول أهل دمشق فالتقيا - بمروان - بعين الجر من البقاع من عمل بعلبك، وذلك في صفر سنة ١٢٧هـ فتناوشوا يومهم، ثم بكروا على الحرب فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه، فانهزم سليمان ومن معه، وكان محدوداً، فلحقوا بإبراهيم.

ونزل مروان بن محمد الغوطة فخرج إليه خلق من الناس فبايعوه، فلما رأى ذلك عبدالعزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ويزيد بن خالد بن عبدالله القسري أخذاً عثمان والحكم ابني الوليد بن يزيد فقتلاه في محبسهما وخافاً أن يتخلصا...، وقال بعض الرواة إنهما قتلا يومئذ يوسف بن عمر، وقال بعضهم قتل في أيام يزيد بن الوليد، قتله يزيد بن خالد. وقال الشاعر حين أقبل مروان:

أَتَلَكَ مَرَوَانُ شَبِيهَ مَرَوَانَ يَجْرُ الْجَيْشَ غَضَباً لِلرَّحْمَنِ
بِتَغْلِبِ الْعُلَبَاءِ وَقَيْسِ عَيْلَانَ

مالت قيس كلها، ويزيد بن عمر بن هبيرة إلى مروان^(١). ويقال إن مروان أقبل فتلقيه أبو محمد السفيناني بالخلافة وعزاه عن الوليد وابنيه وقال له: يا أمير المؤمنين إن الحكم وعثمان - ابني الوليد بن يزيد - جعلاً لك العهد بعدهما، وكان مع مروان حوثة بن سهيل الباهلي، والكوثر الغنوي، والوثيق بن الهذيل، وأبو الورد الكلابي، وعبدالرحمن بن الأشهب الجعدي، ونباة العقيلي، وابن سعيد الحرشي فقال مروان: إن هذين الغلامين جعلاً لي الأمر بعدهما، والله يعلم أنني لم أطلبهما في ليل ولا نهار. ثم ارتحل فنزل مرج راهط...، فبوع مروان ثم دخل دمشق^(٢).

ولما بوع لمروان بالغوطة، وقوي أمره، ووهن أمر إبراهيم استخفى إبراهيم بن الوليد حتى أخذ له الأمان فكان مع مروان وفي طاعته، ولم يزل حياً حتى قتله عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس سنة ١٣٢هـ^(٣).

حرب اسد وطئىء مع فزارة

في ولاية عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان للحجاز عام ١٢٩هـ - ٧٤٦م ولّى أمية بن عبدالله العثماني على قبيلتي أسد وطئىء فانقادت له القبيلتان. ولكنه عندما أراد الذهاب لجباية زكاة طئىء انضم إليه قوم من فزارة ليغيروا على طئىء لئلا كان لهم، فخرج بهم، فتلاقى هو ومعدان الطائي في جماعة من قومه في المنتهب غرب جبل رمان فهزم أمية بن عبدالله وقومه.

(١) أنساب الأشراف ج ٩ ص ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه ج ٩ ص ٢٠٠.

وقال أنيف بن زبان الطائي قصيدة يعتذر فيها إلى والي المدينة ويذكر امتثال قومه طيئ لدفع الزكاة لأمية إذا ردّ فزارة فقال:

وجئنا على فرتاج سمعاً وطاعة نوذي الزكاة حين حلّ عقالها
وفي فيد صدقنا فجاءت وفودنا إلى فيد حتى ما يحد رجالها
فقالوا أغرّ بالناس تأتلك طيئ إذا وطئتها الخيل واجتث مالها
دعوا بنزار فاعتزينا بطيئ هنالك زلت من نزار نعالها^(١)

في كتاب شعر طيئ وأخبارها عن يوم المتهب: تزوج معدان بن عبدالله الطائي امرأة من بني بدر من فزارة، فكان شباب بني بدر يجتمعون ذات يوم على نبيذ لهم مع شباب من طيئ فأسرع فيهم الشراب، فوقع بينهم كلام، فوثب غلام طائي فضرب شاباً من بني بدر فشجّه فمات منها، فقال أدهم بن أبي الزعراء الطائي للبدرين: لكم دية صاحبكم فأبوا إلا أن يدفع الطائي إليهم، فأبى أن يفعل، فأتوا صاحب المدينة في ذلك، وقال أدهم: وكنا قد منعنا الصدقة من حين وقعت الفتنة فكتب أمية بن عبدالله أحد بني عثمان ابن عفان، وكان عامل صدقة الحليفين أسد وطيئ، ويكتب إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (١٢٧-١٣٢) يخبره بمنعنا الصدقة وقتلنا الرجل، فكتب إليه مروان أن سير إليهم جيشاً وكتب إلى أدهم: إن مكن البدرين من صاحبهم وأد الصدقة وإلا فقد أمرت رسولي أن يأتيني بك، وإن آيت أتانني برأسك، ثم والله لأبليّن الخيل في عرصاتك. قال أدهم: فأمرت بضرب عنق الرسول، فقال الرسول: إن الرسل لا تقتل وإنني لأسير فيكم استحياء. فقلت صدقت، وخليت سبيله وقلت له: قل لمروان: آليت أن تبيل الخيل في عرصاتي، وبينني وبينك رمل عالج، وعديد طيئ حولي، والجبلان خلف ظهري، فاجهد جهدك فلا أبقي الله عليك، وكتبت إليه أنا وبعض قومي شعراً فيه ذم وتنقص به، قال معدان بن عبيدالله الطائي:

ألا من مبلّغ مروان عني على ما كان من نار المزار
ألم تر للخلافة كيف ضاعت إذا كائن بأبناء الساراري
إذا كائن بذي حمق نراه إذا ما ناب أمر كالحمار^(٢)

فكتب مروان إلى عبدالواحد بن منيع السعدي وإلى أمية: أن سيروا بأهل الشام وأهل المدينة والبوادي وقيس وغيرهم إلى معدان حتى تأخذوا منه الصدقة وتقيدوا البدرين من صاحبهم، وأوطئوا الخيل بلاد طيئ، وأتوني بمعدان.

فصار أمية في عدد كبير وبعث إلى كل صاحب دم وثار يطلبه من طيئ، فثارت قيس تطلب النار من طيئ. قال معدان: وكنت في اثني عشر ألفاً، فلما انتهيت إلى معسكر أمية إذا جبال من حديد وعسكر لا يرى طرفاه، فرفعت طيئ النار على أجأ ونحروا الجزر وجعلوا من جلودها حمماً وطعموا من لحومها

(١) الأ ١٠٠٠ سنة الغامضة ج ٣ ط ١ ص ١٨٦.

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٧.

فقلت: يا بني خير، ويا معشر طيئ هذا والله يومكم، البقاء الدهر أو الهلاك، فإذا وقع النبل عندكم فقبح الله أجزع الفريقين. ثم تواقف الفريقان، ووقع بينهم الشر وصارت الغلبة لطيئ^(١).

انتقال قبيلة حرب من صعدة في اليمن إلى الحجاز

ذكر الهمداني الذي عاش حتى أوائل القرن الرابع (ت ٢٠٦هـ) أن قبيلة حرب انتقلت في سنة ١٣١هـ من بلادها صعدة إلى الحجاز وهم بنو حرب بن سعد بن سعد بن خولان.

بداية دولة الخلفاء العباسيين

بويح أبو العباس السفاح في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ بالكوفة. فسير عبدالله بن علي بن عبدالله ابن العباس في جمع عظيم للقاء مروان بن محمد وكان مروان في جيوش كثيفة فالتقيا بالزاب من أرض الموصل في جمادى الآخرة. فهزم مروان واستولى علي على عسكره وسار مروان منهزماً حتى عبر الفرات من جسر منبج فأحرقه. فلما مر على قنسرين وثبت به طيئ وتنوخ واقتطعوا مؤخرة عسكره ونهبوه، وقد كان تعصب عليهم وجفاهم أيام دولته وقتل منهم جماعة^(٢).

خروج السفيناني

نزل عبدالله بن علي على نهر أبي فطرس، وكانت بيالس ابنة لمسلمة بن عبدالملك، فخطبها عامل عبدالله بن علي، وهو رجل من أهل خراسان، فأنعمت له وقالت: أتهياً لك، وكتبت إلى أبي الورد مجزأة ابن الهذيل بن زفر الكلابي تستجير به، فخرج أبو الوازع أخو أبي الورد في جماعة فأتوا بالس والخراساني في الحمام فدخلوا عليه فقتل.

ولحق بهم أبو الورد ودعا الناس فأجابوه من قيس وغيرها زهاء سبعة آلاف أكثرهم من قيس وبلغ أبا محمد ((زياد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية)) وذلك الثبت^(٣)، فطمع وقال: أنا السفيناني الذي يروى أنه يرد دولة بني أمية، ونزل دير حنينا، وبايعه الوليد والناس وكتب إلى هشام بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط يدعوه إلى الخروج معه فاعتل عليه.

وبلغ عبدالله بن علي الخبر فقتل جميع من كان معه من بني أمية ومن يهدي هداهم، ووجه عبدالصمد إلى السفيناني وأصحابه وهم بقنسرين في سبعة آلاف فاقتتلوا، فانهزم الناس عن عبدالصمد حتى أتوا حمص، وأقبل ابن علي حتى نزل على أربعة أميال من حمص، ووجه بسام بن إبراهيم وخفافاً المازني بين يديه إلى حمص، وكتب إلى حميد بن قحطبة فقدم عليه. وصار السفيناني وأبو الورد إلى مرج الأخرم،

(١) المصدر نفسه ص ١٨٨.

(٢) تاريخ حلب لابن العديم.

(٣) وقيل إن اسم هذا السفيناني ((العباس بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية))، وإن زياداً كان خرج طالباً بدم الوليد بن يزيد وليس هو بالخارج أيام عبدالله بن علي، ولكن الثبت أنه زياد.

وأَتاهم عبدالله بن علي ومعه عبدالصمد وحמיד بن قحطبة فاقتتلوا في آخر ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ وعلى ميمنة أبي محمد أبو الورد، وعلى ميسرته الأصبع بن ذؤالة الكلبي، فانهزم أهل الشام وهرب السفياي وجرح أبو الورد، فحمل إلى أهله فمات، ولجأ قوم من أصحاب أبي الورد إلى أجمة فأحرقت عليهم^(١).

مقتل آخر خليفة اموي

قتل - مروان بن محمد - بقرية من قرى مصر يقال لها بوضير يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجة ١٣٢ هـ وكانت ولايته خمس سنين وستة أشهر وعشرة أيام^(٢)، قتل وهو ابن ٦٩ سنة^(٣) قائلاً قوله المشهورة: (انفرجت عني قيس انفراج الرأس ما تبقى منهم أحد، وذلك أننا وضعنا الأمر في غير موضعه)^(٤).

الوضع في البصرة

((أما في البصرة فقد اعتصم مسلم بن قتيبة الباهلي ولم يسلم الإمارة للوالي العباسي سفيان المهلبى ولكن اعتصامه هذا لم يدم طويلاً حيث ترك البصرة إلى الحجاز لما علم بمقتل ابن هبيرة))^(٥).

ضربة بين بني جعفر بن كلاب وبني جعفر العباسيين

((لما ولي أبو العباس السفاح، وكانت تحته أم سلمة المخزومية، وأمها من بني جعفر، وكان خاله معروف بن عبدالله بن حيان بن سلمى بن مالك، فوفد إلى أبي العباس، فأكرمه وقضى حوائجه، فسأله معروف أن يقطعه ضريبة وما سقت، ففعل فنزلها معروف، وكان من وجوه بني جعفر وكان ذا نعم كثير فغشيه الضيفان وكثروا، وجعل يجني لهم الرطب ويحلب اللبن، فأقام كذلك شهرين، ثم أتاه ضيفان بعدما ولّى الرطب، فأرسل رسوله فلم يأت إلا بشيء يسير قليل، فأنكر ذلك عليه فقال: ما في نخلك رطب، فإنه قد ذهب - فقال: ثكلتك أمك! أما هو إلا ما أرى؟ والله لشولي أعود على ضيفاني وعبالي من نخلكم هذا، قبحه الله من مال. وأتاه قِيْمُهُ هناك بقتاء وبطيخ، فقال: قبح الله ما جئت به، احذر أن يراه أهلي، فأسوءك. فكره معروف ضريبة وأراد أن يبيعها فذكرها للسري بن عبدالله الهاشمي، وهو يومئذ عامل اليمامة وقد دخل إليه معروف، فاشتراها منه بألفي دينار...، ثم إن جعفر بن سليمان بن عبدالله بن العباس كتب إلى السري أن يوليه إياها بالثمن، ففعل وورثها عنه بنوه، واشترى سليمان أكثر سُهمان من بقي فيها، فعائتها اليوم لولد سليمان بن جعفر))^(٦).

(١) أنساب الأشراف ج ٤ ص ٢٢٣.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ١٩٨.

(٣) أنساب الأشراف ج ٩ ص ٢١٨.

(٤) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ١٢٧.

(٥) المصدر السابق ص ١٢٧.

(٦) في كتاب أبي علي الهجري مؤلف النوادر سنة ٣١٦ هـ بقلم حمد الجاسر دار اليمامة ص ٢٦٠، ترد هذه القصة بشكل =

١٣٤هـ وفيها ضربت الأميال بين مكة والكوفة، وفيها كان أمير الحرمين والطائف واليمامة زياد بن عبيد الله الحارثي الذي عزل في سنة ١٣٥هـ عن مكة والطائف واليمامة، بالعباس بن عبدالله بن معبد بن العباس بن عبدالمطلب^(١).

وفاة أبي العباس السفاح وخلافة أبي جعفر المنصور

١٣٦هـ توفي بالأنبار أمير المؤمنين أبو العباس وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وأياماً، وكان له يوم توفي (٣٦ سنة) ويقال أقل من ذلك، وكان آخر ما تكلم به أن تشهد ثم قال: إليك ربي لا إلى النار. وكان أبو العباس طويلاً أبيض أقى ذا شعر أسود جعد حسن اللحية جعدها، قدم من الشام ثم قدم أهله بعده^(٢).

وبويع (عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس أبو جعفر المنصور) في اليوم الذي توفي فيه أخوه لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ، وكان مولده بالشراة لسبع خلون من ذي الحجة ٩٥هـ أي أن عمره عند خلافته كان ٤١ عاماً، وأمه أمة اسمها سلامة، وجنسها بربري، وكان أسمر طوالاً نحيف الجسم خفيف العارضين يخضب بالسواد، وتزوج أروى بنت منصور الحميرية وولدت له: محمد وهو المهدي وجعفر وأكانت شرطت عليه ألا يتزوج ولا يتسرى إلا عن أمرها، ووزر له ابن عطية الباهلي ثم أبو أيوب المورياني ثم الربيع مولاة.

* آخر: فقد قال أيوب صبري باشا: عندما انقضت دولة بني العباس - ويبدو أنه يقصد بني أمية - كانت زوجة الشخص الذي يتصرف في ملك عثمان بن عتبة - بن أبي سفيان - من قبيلة بني جعفر بن كلاب المخزومي - والصحيح من عامر بن صعصعة - وجاء مرة عمها ضيفاً - الصحيح الشيخ معروف - وبات على ساحل نهر ضرية، طلب منها بعض الأراضي فتركت لعمها بعض الأراضي وطبقت خاطره، ولما كان عمها من البدو كان يمتلك كثيراً من الحيوانات، وفي وقت ترطيب البلح وحينما طاب للأكل هاجر العم مع أولاده وعياله وخدمه ودوابه إلى شاطئ ذلك النهر، وأخذ يطعم الضيوف الواردين ويحلب نياقه وأخذ يسقي اللبن للواردين ويظهر مظاهر كرمه.

ولما تجاوز البلح وقت ترطيبه جاء عنده اثنان من الضيوف فبعث إلى صاحبة الأرض وطلب منها بعضاً من الرطب الطازج، ولما كان وقت البلح الطازج قد مر فقطف خادمها مقداراً من البلح وأحضره وأخطره بأنه لم يجد بلحاً طازجاً في الحديقة.

قال البدوي: إن صنعكم هذا من أجل ضيوفي غيث، وأعاد الخادم المكين، وجاء الخادم مرة ثانية بمقدار من المعجوز وبين أن موسم الرطب قد مر، فعاتبه قائلاً: ((فليسود وجهك مثل الشيء الذي أحضرته))، ولما وكره ما أهدي له من حقائق النخيل وباعها لعامل اليمامة عبدالله الهاشمي بألفي قطعة من الذهب، وهذا ما يروونه، وأما عبدالله الهاشمي فقسم ما اشتراه من الحديقة إلى قسمين، وبني في وسطها كثيراً من الدكاكين وسماها سوق ضرية وأجرها بثمانية آلاف درهم سنوياً. راجع: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب. أيوب صبري باشا ج ٤ ص ٨٤١.

(١) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهم شلتوت جامعة أم القرى ط ١/١٩٨٣ ج ٢ ص ١٧١.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ت ٢٧٩هـ ج ٤ ص ٢٣٧.

من أخطاء المنصور الفاحشة

١٣٨هـ في هذا العام قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني. وكان المنصور يقول: أخطأت مرّات وقاني الله شرّها، قتلت أبا مسلم وحولي من يقدّم طاعته على طاعتي، فلو وثبوا بي وأنا في خَرْقٍ لذهبت ضياعاً، وخرجت يوم الرواندية ولو أصابني سهم غُرِبَ لذهبت ضياعاً، وخرجت إلى الشام ولو اختلف بالعراق سيفان لذهبت الخلافة ضياعاً^(١).

وفيه: كانت موقعة مرج دابق بين الروم بقيادة إمبراطورهم قسطنطين الخامس، وصالح بن علي العباسي وهزيمة الروم.

ظهور جحا بالكوفة

((كان أبو مسلم آنس الناس بيقطين، فلما قدم الكوفة وهو يريد الحج قال له: يا يقطين بلغني أنه نشأ بالكوفة رجل يقال له جحا ظريف مليح، وأن أهلها عملوا بعدنا جوذابة - طعام يصنع بسكر وأرز ولحم - تنسب إلى رجل يكنى أبا جرير، فأطعمني من الجوذابة وأرني جحاكم، فاتخذت جوذابات وأتى بها مع طعام كثير، فلما تغدى أبو مسلم قال: أرني الآن جحا هذا، فطُلب حتى وُجد، وأتى به يقطين وأبو مسلم وهما في غرفة ليس فيها غيرهما، فأخذ بعضادة الباب ثم قال: يا يقطين أيكم أبو مسلم؟ فضحك أبو مسلم فاستملحه فوهب له خمسة آلاف درهم))^(٢).

بناء بغداد

١٤٥هـ في هذا العام تمّ بناء بغداد على يد أبي جعفر المنصور، ليجعلها مركزاً عسكرياً وإدارياً^(٣). وقيل إن ابتداء بناء بغداد كان في سنة ١٤٦هـ. ومن أسباب بنائها أن المنصور كان يكره أهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم، خاصة بعد ما فعله بأهل بيت الرسول ﷺ (وأهل الكوفة شيعتهم) وأهملت وصية السفاح الذي قال في أول خطاب له (الكوفة منزلكم لا تتخلون عنها)^(٤).

ثورة النفس الزكية في المدينة

في هذا العام قام النفس الزكية ((محمد بن عبدالله المحض بن حسن المثنى بن حسن السبط ابن علي بن أبي طالب)) في المدينة طالباً الخلافة، وبايعه العلماء الذين في طبقة الإمام أبي حنيفة، والإمام مالك من الأئمة الأربعة^(٥). وقد تخلف القليل من الأهالي عن بيعته برأ بأيمانهم التي سبقت في بيعه بني العباس، فساعد الإمام مالك في تذليل هذه العقبة بفتواه، فقد قال لأهل المدينة: إنما بايعتم

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٧٤. (٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٦٩.

(٣) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ١٣٠.

(٤) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٦٢ عن ابن خلدون المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٩٦ وص ١١٧.

(٥) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب. أيوب صبري باشا ج ٥ ص ٥٢.

(٦) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨ ص ١٣٨.

مكرهين وليس على مكره يمين. فتحمسون مع الثارين حتى أجلوا والي المدينة عنها^(١).
وقد كتب المنصور كتاباً إلى محمد النفس الزكية وأرسل له تسعة آلاف درهم خوفاً وإشفاقاً منه
وهذه صورته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ وَإِنْ لَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَوْمَنْتَ وَجَمِيعَ إِخْوَتِكَ
وَأَهْلَ بَيْتِكَ وَعَشِيرَتِكَ وَأَتَبَاعِكَ عَلَى جَمِيعِ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَسْتَوْدِعْكُمْ مَا أَصَبْتُمْ مِنْ دَمٍ وَمَالٍ وَلَكِ
أَلْفُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ وَمَا سَأَلْتَ مِنَ الْخَرَاجِ، وَأَعْمَرَ لَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْبِلَادِ، وَأَطْلَقَ مِنْ فِي حَبْسِي مِنْ
أَقْوَامِكَ، وَأَوْمَنْ كُلِّ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكَ وَاتَّبَعَكَ وَأَبَايَعَكَ، وَلَا أَدْخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَلَا أَتَّبَعَ مِنْ تَبَعِكَ
بِضَرٍّ أَبَدًا، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَوَثَّقَ لِنَفْسِكَ فَوَجْهِي إِلَيَّ مِنْ أَرَدْتَ لِيَأْخُذَ لَكَ مِنْي الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ وَالْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ
كَلِمَا أَرَدْتَ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثم إن النفس الزكية محمداً كتب إليه جواباً على رسالته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّرَ يَلَاكَ، أَيْتُ الْكِتَابِ الْيُمِينِ * نَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنُ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِيعُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْرِغُ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَنَحِي، نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَرِيدُ أَنْ
نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَاعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُكِنَ لَمْ فِي الْأَرْضِ وَرَبِّي فِرْعَوْنُ وَهَمَنَنْ
وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾. وقد عرضت عليّ الأمان فما أعرضت إلا الحق وهو حقنا، وأنتم
ادعيتهم ما هو لنا، وخرجتم علينا بشيعتنا، وخطبتهم بفضلتنا....

ومما قاله محمد النفس الزكية، وما قال المنصور في باب التفاضل بينهما نلخصه في الجدول الآتي:

محمد النفس الزكية:	المنصور:
١- علي ولد بالكعبة ومن حين خروجه من بطن أمه أقر بالوحدانية لله والرسالة ولرسوله ﷺ.	١- جل فخرك بقرابة النساء... وإن الله جعل العمّ أباً وبدأ به على الوالد،... ولم يجعل الله النساء كالعمومة.
٢- خديجة أول النساء إسلاماً وأزكاهم نسباً واختار الله تعالى منها سيدة نساء العالمين فاطمة.	٢- محمد ﷺ له أربعة عمومة.. أنذرهم مراراً فأجابه اثنان أحدهما أبي، وأبي اثنان أحدهما أبوك فقطع الله ولايتهما ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثاً.
٣- الله أمر جبرئيل أن يقول لرسول الله ﷺ أن يزوج ابنته فاطمة من عليّ وهي بضعة رسول الله فولدت له السبطين	٣- زعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً... وليس في الكفر بالله صغير.
٤- هاشم ولد عليّاً مرتين، وعبدالمطلب قد ولد الحسن مرتين، والرسول ﷺ ولدني مرتين وأنا أوسط بني هاشم.	

المنصور:	محمد النفس الزكية:
<p>٤- زعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً وفخراً ولم تلك العجم، ولا تعرقت بك الأمهات... فانظر إلى أين أنت غداً من الله عز وجل، تفخرت على من هو خير منك نسباً وأباً وهو إبراهيم ابن رسول الله ﷺ.</p> <p>٥- أما قولكم إنكم بنو رسول الله ﷺ فقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ولكنكم بنو ابنته.</p> <p>٦- وقد قال رسول الله ﷺ ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث)). ولا خلاف بين المسلمين في عدم توريث الجد بالأم والخال والخالة، فكيف تورث وقد بالغ أبوك في ذلك وطلبها فلم تحصل له.</p> <p>٧- وأما افتخارك بعلي لما أدركت الوفاة رسول الله ﷺ أمر بالصلاة لغيره فاختارت الناس رجلاً بعد رجل حتى قتل الثالث فقام بها فطلبه طلحة والزبير وأبو سعيد بالبيعة فأغلق بابه عليه. ثم بايع معاوية بعد قتال شديد وافترق شيعته عنه.</p> <p>ثم ابنه الحسن السبط ولحق بالحجاز.</p> <p>ثم أخوه الحسين مع ابن مرجانة حتى قتل.</p> <p>ثم خرج زيد ابن الإمام علي زين العابدين على بني أمية فقتلوه وصلبوه وأحرقوه، وكذا ابنه يحيى بخراسان.</p>	

إلى أن قال النفس الزكية: فإن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أو منك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته إلا حدود الله وحق عباده...، وأنا أولى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأوفى بالعهد والمقال. وأي العهود والأمانات تعطيني؟ أمان ابن هبيرة^(١)؟ أم أمان ابن عمك عبدالله بن علي؟ أم أمان أبي مسلم؟ والسلام.

(١) المذكورون هم ممن غدر بهم المنصور بعد أن أعطاهم الأمان، وذكر أن المنصور كان يتحدث مع ابن هبيرة فكان ابن هبيرة يتكلم وبعد انتهائه من الحديث: نهض ونهض معه سبعمائة من القيسية فقال المنصور: لا يعز ملك هذا فيه. (أنساب الأشراف للبلاذري) ت ٢٧٩ هـ ج ٤ ص ٢٠١.

فلما وصل الكتاب إلى المنصور وقراه كتب إليه الجواب :

أما بعد فقد ورد إليّ كتابك وفهمت خطابك، فإذا جلّ فخرك بقرابة النساء.....^(١). إلى أن قال :
وأسروا الصبية من نسائكم وحملوهم إلى بلدانهم وطاقوا بهم بأسواقهم حتى خرجنا عليهم وطلبناهم
بثأركم وطلبناهم وعرفناهم بمقامكم، وقد علمت مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام وولاية زمزم والمقام.. ولم نزل عليها في الجاهلية والإسلام، ونازعنا فيها أبوك وغيره من بني
عبدالمطلب وبني هاشم في خلافة عمر فحكم بها للعباس من بين أخويه وكان استيلاؤه عليها من ميراث
عمومته فلا يبقى شرف ولا فضل في الجاهلية والإسلام إلا والعباس وارثه ومورثه.

وما ذكرت عن بدر فإن الأزمنة جاءت والعباس مشغول بموت أبي طالب وعياله مشغولون واتفقت
عليهم الأزمنة التي أصابته، فلو خرج إلى بدر لمات طالب وعقيل جوعاً فأقام ليطعمهم وأذهب العار
عنهم، وطلبنا بشاركم وأدركنا ما عجزتم عنه... والسلام

ثم بعد إرسال الكتاب أمر ابن أخيه عيسى بن موسى بن علي بن عبدالله بن العباس أن يتجهز في
عسكر ويسير إلى محمد في المدينة، وسير معه من أركان دولته مثل محمد بن أبي العباس السفاح وكثير
ابن حصين وحميد بن قحطبة وهزار مرد، فقال له : إن ظفرت به فأعطه الأمان ثم أغمد به سيفك، ومن
لقبك من آل أبي طالب فاكتب، عرفني به ومن لم يلقك فاقبض على ماله، فسار حتى وصل الأعواض،
وفي يوم السبت ٢٢ رمضان سنة ١٤٥هـ وصل عيسى إلى الحرف فأقام به يوماً وثانيه، ووقف بسلع يوم
الاثنين ونادى أهل المدينة : إن الله حرّم دماء بعضنا على بعض فهلّموا إلينا وإليكم الأمان فمن قام تحت
رايتنا فهو آمن وخلوا بيننا وبينه فشتموه وانصرف من يومه وعاد من الغد وتفرق القواد من سائر الجهات،
وأخلى ناحية أبي الجراح لمن ينهزم، فبرز محمد وأصحابه وكان صاحب رايته عثمان بن محمد بن خالد
الزبيري، وعلى مقدمة محمد النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن : يزيد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر
الطيّار، وعلى مقدم جيش عيسى بن موسى ولده الحسن بن زيد بن الحسن المثنى، وقاسم بن زيد، وعلي
وإبراهيم ابنا الحسن بن زيد، فانهزم يزيد بن معاوية، ونزل عيسى بذياب، وصار القتال، استشهد محمد
الزكي... يوم الاثنين ١٤ رمضان ١٤٥هـ وقيل ٢٥ رجب وعمره خمسة وأربعون^(٢)، وعندما علم محمد بن
حسن المستولي على ولاية مكة من يد سري بن عبدالله أن جيشاً قد أرسل من بغداد تحت قيادة داود بن
عيسى بن موسى بن علي بن عبدالله بن عباس لمحاربته فأخذ أمراً بالعودة إلى المدينة، وقبل وصوله إلى
المدينة بمرحلة سمع بشهادة النفس الزكية فهرب إلى جهة ما فعاد سري بن عبدالله وتولى الولاية إلى سنة
١٤٦هـ^(٣).

قالوا : كان محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليه السلام أسمر أرقط مخضوب الرأس بصفرة من

(١) انظر الجدول للتكملة المقارنة..

(٢) تحفة الأزهار لضا من بن شدقم ج ١ ص ٣٢٧.

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا ج ٥ ص ٥٢.

أبناء ستين، وكان أخوه إبراهيم شاباً قد وخطه الشيب حلو الوجه خفيف اللحية فأفاء، وكان أيّداً شديد البطش...^(١).

ثورة إبراهيم أخي محمد النفس الزكية ﷺ

وفي نفس العام في رمضان أي بعد حوالي شهرين من ثورة أخيه محمد، ثار إبراهيم وساعدته قبائل عبدالقيس والأزد وأفخاذ من قبائل مختلفة أخرى دفعتها المصلحة الشخصية أو الظروف السياسية^(٢). ولم تزل العالم تأتي لمبايعته زمراً زمراً، فاستولى على واسط والأهواز وفارس، فبلغه استشهاد أخيه فتوجه إلى المسجد وهو مريض وصعد المنبر وخطب الناس وحمد الله وأثنى عليه وعرفهم استشهاد أخيه واستسرعهم بالخروج، فكان ظهوره ليلة الإثنين غرة شهر رمضان ١٤٥ متأخر عن الوعد الذي كان بينه وبين أخيه لمرض معه، فسار عليه عيسى بن موسى، وعلي بن عبيد الله بن العباس من المدينة فالتقيا بباخمرا بالقرب من الكوفة، فاحتربا حرباً شديداً، فانكسر عيسى وولى منهزماً، فأمر إبراهيم عسكره أن لا يتبعوا المدبر، إلا أن إبراهيم هذا قد توفي قبيل نهاية شهر ذي القعدة وقيل ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ وعمره ٤٨ سنة فحزوا رأسه ومضوا به إلى المنصور فوضع في طشت بين يديه فقال للحسن بن زيد بن الحسن السبط: أتعرف هذا؟ فأخذته العبرة...

فإبراهيم الشهيد بباخمرا العقب منه منحصر في ابنه الحسن، أمه أمانة بنت عصمة العامرية من بني جعفر بن كلاب، كان سيداً وجيهاً بالغ المنصور في طلبه وطلب عيسى بن زيد فلم يظفر بهما، ولما مات وتولى ابنه المهدي توجهت إليه مليكة بنت عبدالله زوجة الحسن والتمست منه لهما العفو والأمان فلما حج أمهما.

ولاية جعفر بن سليمان على المدينة ثم مكة والطائف

١٤٦ هـ في ربيع الآخر ولي جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس المدينة حتى سنة ١٥٠ هـ ثم صار عاملاً على مكة والطائف واليمامة. وكانت وفاته سنة ١٧٧ هـ^(٣). فصارت ضرية بعد ذلك لجعفر ابن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ولآله بعده، وينسب إليهم حمى ضرية حيث يقول الأصفهاني عنها: ((ضرية: سرّة الحمى وهي قرية عظيمة غناء يطؤها الطريق، فيها بنو عامر والتجار، وعامتها لآل جعفر بن سليمان))^(٤). ولجعفر أخ اسمه محمد ولاء الرشيد على بعض الإمارات وقد ذكرناه في سنة ١٧٠ هـ وسنة ١٧٣ هـ، وذكر ابن خلدون أن محمد هذا توفي في سنة ١٩٣ هـ، وأن أخاه جعفر كان كثير السعاية فيه عند الرشيد بقوله ((إنه يحدث نفسه بالخلافة وإن أمواله كلها فيء من أموال المسلمين، فاستصفاه الرشيد وبعث من قبضها)).

(١) أنساب الأشراف ج ٣ ص ٣٣٣.

(٢) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ١٣٠.

(٣) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢٠٩.

(٤) بلاد العرب للأصفهاني تحقيق حمد الجاسر ود. صالح العلي دار اليمامة، ص ٣٩١.

ولاية عقبة بن سلم الباهلي على البصرة

وفي هذا العام وجّه أبو جعفر المنصور: محمد بن أبي العباس عاملاً على البصرة، فاشتكى واستعفى فأعفاه، واستخلف على البصرة عقبة بن سلم بن قتيبة بن مسلم فأقره المنصور بعده إلى سنة ١٥١هـ^(١).

وفاة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام

١٤٨هـ توفي الإمام الصادق الذي أجمعت الأمة الإسلامية على إمامته وهو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولجعفر هذا ابنان (إسماعيل وموسى الكاظم) وإسماعيل ابنه اسمه محمد، أما موسى فيجيء من أحفاده محمد بن الحسن العسكري. والدة الإمام جعفر الصادق هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم أم فروة هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عليه السلام. لذلك كان الصادق يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين.

نشأة بعض المذاهب الشيعية مثل الإسماعيلية والجعفرية

وبوفاة الإمام جعفر الصادق نشأت [جماعة جديدة] تقول إن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل، وهذه الجماعة هي [الأقلية] التي تقول إن إسماعيل لم يمّت بل تغيب ليظهر بعد حين في البصرة. [أما الأغلبية] فاعتقدت أن إسماعيل مات في حياة أبيه جعفر الصادق وأن الإمامة انتقلت إلى ابن إسماعيل محمد (رغم اعتراف هذه الأغلبية بأن جعفر أ الصادق) قد عهدا لابنه موسى الكاظم. وعرف محمد بن إسماعيل - باسم المكتوم، لأن دعوة الفرع الذي قال بإمامته دخل في طور الكتمان الشديد، واتسم هذا الفرع بالتطرف والعلمية والدقة في التنظيم، وباتت الفرقة تعرف بعدة أسماء وهي:

[السبعية] لأن إسماعيل سابع الأئمة وتقديسهم وتأثرهم برقم سبعة (السموات والأراضي والكواكب سبع).

[التعليمية] لأنهم يقولون إن الحق إما أن يعرف بالرأي أو بالتعليم، وباطل أن يعرف بالرأي لتعارض الآراء.

[الباطنية] لأنهم قالوا لكل ظاهر باطن // والعلم علمان: ١- علم ظاهر ٢- علم باطن.

ظهور مذهب الإثني عشرية

قالت الفئة الكبرى من أتباع الإمام موسى: بوفاة إسماعيل عيّن الصادق ابنه موسى الكاظم إماماً سابغاً وتابع خط موسى هذا سلسلة أئمة حتى الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) الذي ذهب

(١) أنساب الأشراف ج ٤ ص ٢٣٩.

في غيبة وسيظهر عندما يحين الوقت - كما يعتقدون هم أنفسهم - لأنه [المهدي المنتظر] وهؤلاء الإمامية الإثنا عشرية.

تذهب المصادر الإمامية إلى أن موسى قد مات مقتولاً من قبل هارون الرشيد وأن محمد بن إسماعيل قد وشى بعمه عند الخليفة وقال له: (ما ظننت أن بالأرض خليفتين إلا عندما رأيت عمي موسى يسلم عليه بالخلافة)^(١).

قمع ثورة العبدى في البحرين على يد والى البصرة

١٥١هـ في هذا العام: انتفض في البحرين جماعة أعلنت التمرد والخروج على أبي جعفر المنصور بزعامه سليمان بن حكيم العبدى فقمعوا. وقال ابن خلدون: سار عقبة بن سالم الباهلي من البصرة واستخلف نافع بن عقبة، فغزا البحرين وقتل ابن حكيم العدوي واستقصره المنصور بإطلاق أسراهم، فعزله وولى جابر بن مومة الكلابي، ثم عزله وولى مكانه عبد الملك بن ظبيان النميري. ثم عزله وولى الهيثم بن معاوية العكي.

اختصاص الغنويين والعثمانيين على عين نفاء

وفي هذا العام اختصم الغنويون والعثمانيون، عند أبي المطرف عبدالله بن محمد بن عطاء الليثي وهو عامل للحسن بن زيد على عين ماء بنفاء. ((وكل آل عثمان عبدالله بن عمرو بن عنبسة العثماني فاجتمعوا عند أبي المطرف عامل الحسن بأضاح وولي الخصومة من غني الحصين بن ثعلبة، أحد بني عمرو الذين امتدحهم ابن عرندس، فشهدت بنو تميم للعثمانيين وشهدت قيس للغنويين فلم يثبت لفريق منهم حق - فلحق العثماني بأهله - وبقيت نفهم مواناً دفيناً))^(٢).

تنازع بين بني جعفر وبني أبي بكر في ضريبة على قنيع

((كان سلمة بن عمرو بن أنس شريفاً قارئاً لكتاب الله عز وجل حسن العلم به، فمدحه - شعراء بني كلاب - حيث إنه قد تنازع بنو جعفر بن كلاب، وكان سيدهم عبود بن خالد، وبنو أبي بكر بن كلاب ورأسهم أبو بكر معروف بن عبدالكريم في قنيع، كلهم ادّعاه، وأخت معروف زوجة عبود وأم ولده طفيل، واجتمعوا بقنيع وسفرت بينهم سفراء من ضريبة، فاصطالحوا على أن يحكموا سلمة بن عمرو بن أنس العتريفي فلم يحكم بينهم حتى عقد لنفسه عقداً ألا يردوا حكمه، وأخذ عليهم الأيمان فلما استوثق قال: ما لأحد من الفريقين حق في قنيع، انه ممات دفن، فرضوا جميعاً وصوبوا رأيه. فقال عقيل بن العرندس أحد بني عمرو بن عبد بن أبي بكر بن كلاب:

يا دار بين كَلْبَاتٍ وَأَظْفَارٍ وَالْحَمَّائِينَ سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ دَارٍ

(١) راجع جامع لأخبار القرامطة للدكتور سهيل زكار.

(٢) أبو علي الهجري، مؤلف النوادر سنة ٣١٦هـ بقلم حمد الجاسر دار اليمامة ص ٢٥٠.

إلى أن قال:

بَلْ أَثْبَاهَا الرَّجُلُ الْمُفْنِي شَيْبَتَهُ
عَدْنَحِي بَنِي عَمْرٍو فَأَثْبَاهُهُمْ
هَيْئَتُونَ لَيْسَتُونَ أَيْسَارَ ذَوُو يَسَرٍ
لَا يَنْطَقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ نَقْلَ لَاقِيَتْ سَيِّدَهُمْ
وَقَالَ فِيهِ وَفِي إِخْوَتِهِ - جَامِعُ أَحَدِ بَنِي بَكْرٍ:

إِذَا مَا غَنِيٍّ فَاخَرَتْهَا قَبِيلُهُ
وَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ
هُمْ رَتَقُوا الْفَتَقَ الَّذِي كَانَ بَادِيًا
فَبِإِنْ غَنِيًّا فِي ذُرَى الْمَجْدِ أَفْخَرُ
وَمِنْ فَارِسٍ يَوْمَ الْكَرْيَةِ مَسْعَرُ
وَقَامُوا بِأَقْنِي الْحَقِّ، وَالْحَقُّ أَنْوَرُ^(١)

خِلاَفَةُ الْمَهْدِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ

بُوعِ صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ أَبُوهُ لَسْتُ خَلُونَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٥٨ هـ وَكَانَ مَوْلَدُهُ بِالْحَمِيمَةِ يَوْمَ الْخَمِيسِ لثَلَاثِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ١٢٦ هـ، فَيَكُونُ سَنَهُ ٢٨ سَنَةً، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَكَانَ أَسْمَرًا طَوِيلًا مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ جَعَدَ الشَّعْرَ بَعِينَهُ الْيَمْنَى نَكْتَةً بَيَاضَ، وَتَزَوَّجَ رَيْطَةَ بِنْتَ السَّفَاحِ وَأَوْلَدَهَا عَلِيًّا وَعَبِيدَ اللَّهِ... وَكَانَ يَتَنَاقَشُ الْجَوَارِي، وَأَوَّلُ مَنْ حَظِيَ مِنْهُمْ عَنْدهُ رَحِيمٌ وَلَدَتْ لَهُ الْعَبَّاسَةُ، ثُمَّ الْخِيزَرَانُ فَوَلَدَتْ لَهُ مُوسَى وَهَارُونَ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَالِكٍ الْخَزَاعِيُّ: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ، قَالَ: فَأَنْشِدْنِي، فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَ السَّمَوَالِ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ
وَأِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا
إِذَا الْمَرْءُ أَغْيَثَهُ الْمُرُوءَةُ يَافِعًا
فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
فَمَطْلَبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ ثَقِيلُ

(١) المصدر السابق ص ٢٥٣.

وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ: هَذَا الْمَحَالُ كِلَابِيٍّ يَمْدَحُ غَنَوِيًّا. ذَكَرَ أَبُو تَمَامٍ أَنَّ الَّذِي كَانَ يَقُولُ (هَذَا الْمَحَالُ) هُوَ أَبُو عَبِيدَةَ، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ هَذَا الشَّعْرَ لِعَبِيدِ بْنِ الْعَرْنَدَسِ لَا لِأَبِيهِ، يَمْدَحُ قَوْمًا نَزَلَ بِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ أَبُو عَبِيدَةَ أَنَّ يَكُونُ كِلَابِيٍّ يَمْدَحُ غَنَوِيًّا، لِأَنَّ فِزَارَةَ كَانَتْ قَدْ أَوْقَعَتْ بَيْنِي أَبِي بَكْرٍ وَجِيرَانِهِمْ مِنْ مُحَارِبٍ وَقَعَةٍ عَظِيمَةٍ، ثُمَّ أَدْرَكَتْهُمْ غِنَى فَاسْتَقْدَتْهُمْ...، فَلَمَّا قَتَلَتْ طَلْحَةَ قَيْسَ التَّدَامِيَّ، وَقَتَلَتْ عَبْسَ هُرَيْمِ بْنِ سَيْنَانَ الْغَنَوِيَّ، اسْتَغَاثَتْ غَنِيٌّ بَيْنِي أَبِي بَكْرٍ وَبَنِي مُحَارِبٍ، فَقَعَدُوا عَنْهُمْ، وَلَمْ يُخْلِبُوهُمْ، فَلَمْ يَزَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ مُتَدَابِرِينَ مُتَغَاوِرِينَ. رَاجِعْ: مُخْتَصَرُ جَمْعَةِ النَّسَبِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ اخْتَصَرَهُ الْمُبَارَكُ بْنُ بَحِيٍّ بْنِ الْمُبَارَكِ الْحَمَصِيُّ ت ٦٥٨ هـ ج ١ ص ٢٦٥.

تَعْيَرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
وَمَا ضَرُّنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
وَنَحْنُ قَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَّى أَنْفِهِ
تَسِيلَ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ نَفْسُنَا
وَنُثَكِّرُ إِنْ ثَمَّنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ
فَنَحْنُ كَمَا الْمُزْنُ مَا فِي نَصَابِنَا
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
فَقَالَ: أَحْسَنْتَ، اجْلِسْ، بِهَذَا بَلَّغْتُمْ...

قدوم أبي زياد الكلابي إلى بغداد في أيام المهدي

ذكر ابن النديم أنه في أيام المهدي قدم إلى بغداد أبو زياد الكلابي يزيد بن عبدالله بن الحر بن همام من بني عبدالله بن كلاب. يبدو مما نقله ياقوت أن أبا زياد اهتم بعشائر بني كلاب ومواطن سكنها حيث نقل عن هذه العشائر نصوصاً كثيرة: لبني أبي بكر، وربيعة، ومالك ووقاص وبني عمرو بن كلاب والعجلان من بني عامر وجعفر بن كلاب ولكل من وبرة بن الأصبط وعبدالله مكانان، ولبني كلاب علمة والضباب^(١).

ولاية بشر البجلي على اليمامة

١٥٩هـ في هذه السنة: ولي أمر اليمامة بشر بن المنذر البجلي، وذلك بعد ولاية قثم بن عباس بن علي بن عبدالله بن عباس^(٢).

((وفيها وفي التي بعدها أمر المهدي بنفي كل من بمكة من المغنين... وأخرج كل من فيها من المتشبهين من الرجال بالنساء، ومن النساء بالرجال، ومنع لعب الشطرنج وغيره من الأمور التي تجر إلى اللهو والطرب، ومنع أشياء كثيرة من المباحات الملهية عن الصلوات))^(٣).

ولاية زفر بن عاصم الهلالي على المدينة المنورة

١٦٠هـ في هذه السنة ولي الخليفة المهدي زفر بن عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي إمارة المدينة

(١) بلاد العرب للأصفهاني ص ٢٠.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢٠٩.

(٣) درر الفرائد المنظمة للحج للجزيري.

المنورة خلفاً لعبد الله بن صفوان الجمحي . وفي بداية عهده زار المهدي المدينة المنورة وأنفق فيها أموالاً طائلة ، وأمر بتوسعة المسجد النبوي الشريف وإجراء بعض التعديلات في مبناه .

وبقي زفر أميراً للمدينة حتى سنة ١٦٣هـ حيث وليها جعفر بن سليمان العباسي للمرة الثانية وفي عهده تم إكمال توسعة المسجد ، بينما ولي زفر الجزيرة خلفاً لعبد الصمد بن علي ، ولم تطل ولايته على الجزيرة ، إذ عزل عنها أواخر سنة ١٦٣هـ ، وولي مكانه عبد الله بن صالح بن علي ، وبقي زفر خارج الولاية حتى عام ١٧٢هـ ، حيث عين قائداً لغزوة الصائفة ، فوصل إلى بلاد صيحيان من وراء خراسان ، وهناك واجهت الغزوة موجة برد شديدة ، فعاد زفر بالجيش من حيث أتى . ويكنى زفر بأبي عبدالله الدمشقي الهلالي ، وكان في بداية أمره من أمراء الجهاد في الدولة العباسية ، حيث ولي غزو الصائفة فيها سنة ١٥٦هـ وما قبلها وما بعدها . وقد ذكر ابن العديم في تاريخ حلب ان زفر بن الحارث ولي على حلب في سنة ١٣٧هـ .

١٦١هـ مات سفيان الثوري بالبصرة رحمه الله . قال الواقدي ولد سفيان سنة ٩٧هـ . وقال أبو اليقظان : خرج بنو ثور من الرباب ، وليس بالبصرة منهم اليوم أحد^(١) .

وفي هذه السنة : أمر المهدي ببناء القصور في طريق مكة وتجديد الأميال والبرك والمصانع (لخزن الماء) .

١٦٢هـ في محرم المهدي يضع ديوان الأزمنة (الديوان المسؤول عن مراقبة كافة الدواوين) .

وفيها : المهدي يجري الأرزاق على المجذومين والسجناء في كل البلاد .

وفي سنة ١٦٣هـ كان علي الحجاز واليامة جعفر بن سليمان ، وعلى البحرين والبصرة والأهواز وفارس محمد بن سليمان فعزله المهدي سنة ٦٤هـ وولى مكانه صالح بن داود .

١٦٥هـ ولى علي البصرة روح بن حاتم ، وعلى البحرين وعمان والأهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدي .

١٦٦هـ المهدي يقيم البريد بين مكة والمدينة واليمن بالبغال والإبل .

١٦٧هـ تولى علي اليمامة عبد الله بن مصعب الزبيري وعلى البصرة محمد بن سليمان .

ثورة الأعراب بين البصرة والبحرين وهجومهم على البصرة

ثارت الأعراب والعشائر القاطنون بين البصرة والبحرين وهجموا على البصرة ونهبوا وقتلوا وخرّبوا ، فكافحهم الوالي فلم يقدر ، فطلب المدد من بغداد فأصلح ما فسد^(٢) .

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج ١١ ص ٣٢٣ .

(٢) التحفة النبهانية .

خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي

١٦٩هـ وفي مستهل صفر بويح أبو محمد موسى الهادي بن المهدي . وقد توفي ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ بعيساباذ وكانت خلافته سنة وشهرين إلا أياماً، وكانت سنة (٢٦ سنة) وكان أبيض طويلاً جسيماً، بشفته العليا تقلص .. واتخذ الفضل بن الربيع حاجباً^(١).

وقعة فخ

وفيها أي (١٦٩هـ) استغل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وعن آل خلافة الهادي وأخيه الرشيد فخرج بالمدينة لابساً البياض رمز المعارضة وجلس في المسجد النبوي وبايعه الناس على الكتاب والسنة والمرتضى من آل البيت^(٢). وكان الحسين لا يملك ما يلبس إلا فروة ليس تحتها إلا قميص، وقد وفد مرة على المهدي فأعطاه أربعمئة ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة^(٣). ثم قدم إلى مكة بعد بيعته بالمدينة ونادى: أيما عبد أتاه فهو حر. فأتاه العبيد، فأنتهى الخبر إلى الهادي^(٤). وحين تمّ للحسين ما أراد انتهت جماعته ما في بيت مال المسلمين، فرفضه أهل المدينة وخرج إلى المدينة وهناك أرسل له الهادي من يقتله^(٥). فجهز الهادي عليه موسى بن عيسى بن علي، ومحمد بن سليمان بن المنصور، فوقع بينهم الحرب الذي لا مثله، فقتلاه وهو محرم وقتل معه أكثر من مائة من أصحابه وقومه بفخ يوم التروية سنة ١٦٩ وقيل سنة سبعين والأرجح أنه قتل في نهاية عام ١٦٩هـ^(٦) وحمل رأسه إلى موسى الهادي فأنكر عليهما، لقتلهما إياه من دون أمره. ونقل عن محمد الجواد عليه السلام أنه قال: لم يكن بعد الطف مصرع أعظم من فخ، فالحسين مات منقرضاً^(٧).

ثم دارت الدوائر على الخليفة الهادي نفسه فمات مسموماً، وفشلت خطته في تولية ابنه جعفر وجاء هارون الرشيد ليحكم بالتعاون مع والدته الخيزران ووزيره يحيى بن خالد البرمكي^(٨).

هروب الشريف إدريس مؤسس حكم أسرة الأدارسة إلى طنجة

حضر إدريس بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى العلوي مع أخيه الحسين بعد وقعة فخ، فلما

- (١) العقد الفريد ج ٥ ص ٣٣٩.
- (٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٦٧.
- (٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي م ص ١٤٠.
- (٤) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٢٢٠.
- (٥) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٦٧.
- (٦) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص ١٤٠.
- (٧) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار لفاضل بن شوق الحسني المدني، تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٢٢٢.
- (٨) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٦٧.

غلب العسكر وانهزموا منكسرين بعد أن قتل الحسين انهزم إدريس بعلامه راشد بن وضع مولى ملحم ومنصور المستعمل على بريد مصر، فقام بالدعوة بأرض طنجة بالمغرب فأجابه أهلها متقادين إليه مطيعين لأمره، فبلغ ذلك هارون الرشيد فاضطرب لذلك اضطراباً شديداً لعلمه بقوته وشدة بأسه^(١).

هروب الشريف يحيى بن عبدالله المحض إلى الديلم

وهرب يحيى بن عبدالله أخو إدريس القائم بطنجة إلى بلاد الديلم حيث حشد له فيها أنصاراً دعوا إلى خلافته وأنشأ منهم قوة كلفت الرشيد خمسين ألف محارب للقضاء عليها^(٢).

خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدي

ببيع هارون الرشيد في اليوم الذي توفي فيه أخوه الهادي، وفي هذه الليلة ولد عبدالله المأمون. وكان مولد الرشيد في المحرم سنة ١٤٨هـ أي أنه عندما ولي الخلافة لم يكن عمره يتجاوز ٢٨ سنة هجرية، وكان الرشيد أبيض جسيماً طويلاً جميلاً، وقد وخطه الشيب. وتزوج زبيدة وهي ابنة جعفر بن المنصور أولدها محمداً الأمين ثم مراجل فأولدها عبدالله المأمون وماردة أولدها محمد المعتصم ووزر له جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وقتله، ثم الفضل بن الربيع^(٣). وقد أرضعت زوجة يحيى بن خالد هارون الرشيد فكان جعفر أخاه من الرضاعة وكان يحيى بن خالد مسؤولاً عن هارون في زمان والده المهدي^(٤).

حج هارون الرشيد ﷺ مشياً على الأقدام

١٧٠هـ وفيها حج بالناس الخليفة هارون الرشيد وفرق بالحرمين مالاً كثيراً وكان حجه ماشياً، يمشي على اللبود، كانت تبسط له من منزل إلى منزل ويقال إن الحجة التي مشى فيها كانت سنة ١٧٧هـ^(٥).

البصرة والبحرين واليمامة وعلان والأهواز وفارس في ولاية رجل واحد

وفيها ولي اليمامة محمد بن سليمان بن علي بن العباس ابن عم المنصور الذي كان والياً على البصرة والبحرين واليمامة وعلان والأهواز وفارس حيث صارت اليمامة تابعة للبصرة بدلاً من تبعيتها للمدينة^(٦).

١٧٣هـ فيها حج بالناس هارون الرشيد وأحرم من بغداد^(٧).

(١) تحفة الأزهار ج ١ ص ٣٥٤.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ م ص ١٤١.

(٣) العقد الفريد ج ٥ ص ٣٤٠.

(٤) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٦٩.

(٥) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٢٢٢.

(٦) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢١٠.

(٧) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٢٢٦.

غزو الحبشة لجدة ورغبة الرشيد بفتح قناة السويس

وفيها جاءت الحبشة في زمن الحج إلى جدة فأوقعوا بمن فيها، فخرج الناس هاربين إلى مكة فخرج معهم أهل مكة لقتال الحبشة ودفعهم، فلما رأت الحبشة ذلك هربوا إلى المراكب فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة في البحر وقيل إن ذلك كان سنة ١٨٣ هـ والله أعلم.

وقالوا إن الرشيد أراد أن يوصل ما بين بحر القلزم وبحر الروم ليتها له أن يغزو الروم ببلادهم. فقال له يحيى بن خالد البرمكي: إن فعلت ذلك دخلت سفن الروم أرض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه.

خروج يحيى بن عبدالله بالديلم

١٧٦ هـ. وفيها خرج يحيى بن عبدالله المحض بن حسن أخي المهدي بالديلم، واشتدت شوكته وكثر جمعه وأتاه الناس من الأمصار، فندب إليه الرشيد الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي في خمسين ألفاً وولاه جرجان وطبرستان والري وما إليها، ووصل معه الأموال، فلما بلغ الفضل الطالقان وقيل الري، تلتطف في استنزاله من بلاد الديلم. ذكر ضامن بن شذقم أن يحيى لم يقد إلى الفضل بن يحيى بمجرد المكاتب إلا بعد أن احتال يحيى الحيل حيث يقول: ((فعلم إن لم يتمكن منه قتله الرشيد، وكان لملك الديلم امرأة يودها إلى الغاية ولم يخالفها قط عما تهواه، فاحتال الفضل بالمراسلة إليها في بلاغ مرامه بما لا مزيد عليه وإيصالها جميع ما حوته يدها، فبذلك إليه مالت ومن الآخرة خابت ولبعلها بدفع يحيى أشارت وأشار بعض خواصها بالصلح، فلما علم يحيى بذلك قال: إذا كان لا بد من فعلكم الخوان فدعني أستوثق منهم لي ولأصحابي الأمان، فوافق خوفاً من القبض عليه، إلا أنه شرط عليه أن يكتب له كتاباً عهداً وميثاقاً وأمناً بخط الرشيد ومهره بخطوط بني هاشم والعباسيين والأعيان ويكون الكفيل عليه أبو الوفاء عبدالصمد بن علي والفضل بن يحيى بن خالد البرمكي، فأجيب لذلك وأرسله مع هدايا...، فقدم يحيى والفضل إلى بغداد فتلقاها الرشيد بالإعزاز والإجلال... ثم بعد مدة أمر بحبسه فلم يزل به إلى أن مات))^(١) حبسه لسعاية كانت فيه من آل الزبير، قال في العمدة: إن يحيى صار إلى الديلم مستجيراً بملكها فابتاعه الفضل بن يحيى بثمانية آلاف درهم، ثم مضى يحيى إلى المدينة، فسعى به عبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري عند الرشيد قائلاً إنه أراد مني المبايعه^(٢). ويقول ابن خلدون: ((فيقال أطلقه بعدها، ووصله بمال، ويقال سمّه لشهر من اعتقاله، ويقال أطلقه جعفر بن يحيى افتتاتاً فكان بسببه نكبة البرامكة)).

اضطرابات وثورة في بلاد البصرة واليمامة والبحرين

١٧٧ هـ عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، خلف جعفر بن سليمان في الولاية ودام

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار لضامن بن شذقم، تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٣٤٨.

(٢) المصدر نفسه.

بها، وفي هذه السنة أفسد العرب في البصرة واليمامة والبحرين فقطعوا الطريق. وانتهكوا المحارم. وحدثت ثورة في البلاد عزلتها عن الخلافة برهة من الزمن حتى أخضعها سويد بن أبي سويد القائد الخراساني واستولى على اليمامة^(١).

تهديد ملك الروم للرشيد بخطاب شديد اللمجة

١٨٧هـ وفي هذه السنة ((خلع الروم ملكتهم وكانت امرأة تدعى رمى وملكوا نقفور فكتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه إليها، لكن ذلك من ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها وإلا السيف بيننا وبينك. فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزّه الغضب وكتب على ظهر الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم وقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه. ثم سار الرشيد من يومه حتى نزل على هرقله ففتح وغنم وخرب فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله في كل سنة فأجابه))^(٢).

نكبة البرامكة

في هذه السنة كانت نكبة البرامكة على يد هارون الرشيد فمات فيها أبو الفضل جعفر بن يحيى الذي كان قد بلغ مكانة عالية عند الرشيد. وقال ابن خلدون في تاريخه: انظر ما نقله ابن عبد ربه في مقايضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم، وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في محاوراة الأصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم، تتفهم أنه إنما قتلهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه، وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالا على إسماعه للخليفة وتحريك حفاظته لهم وهو قوله:

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَعِدُ
وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَسِيدُ

وإن الرشيد لما سمعها قال: «إي والله إنني عاجز» حتى بعثوا بأمثال هذه كامن غيخته، وسلطوا عليهم بأس انتقامه، نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال. وأما ما تفوه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر، واقتران سكره بسكر الندمان، فحاش لله «ما علمنا عليه من سوء». وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة، وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء، ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمري، ومكاتبته سفيان الثوري، وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه، وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢٠٩.

(٢) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ.

وقتها. حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة، وكان يغزو عاماً ويحج عاماً، ولقد زجر ابن أبي مريم مضحكه في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [يس: ٢٢] وقال والله ما أدري لم؟ فما تمالك الرشيد أن ضحك، ثم التفت إليه مغضباً، وقال: يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضاً إياك وإياك والقرآن والدين، ولك ما شئت بعدهما. وأيضاً فقد كان من العلم والسداجة بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك، ولم يكن بينه وبين جده أبي جعفر بعيد زمن، إنما خلفه غلاماً. وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها. وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأ: «يا أبا عبد الله إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك، وإنني قد شغلتنى الخلافة فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به، تجنب فيه رخص ابن عباس، وشذائد ابن عمر، ووطئه للناس توطئة.

١٨٨هـ يقول ابن فهد: ((فيها حج بالناس هارون الرشيد وهي آخر حجة حجها في قول بعضهم، وآخر حجة حجها خليفة وإلى وقتنا هذا))^(١)، وابن فهد نجم الدين عمر بن محمد عاش فيما بين سنة ٨١٢هـ و٨٨٥هـ.

ثورة ابن بكير واستيلائه على البحرين

١٩٠هـ ثار على هارون الرشيد في البحرين سيف بن بكير أحد بني عبد القيس وتمكن من السيطرة على هجر.. فوجه إليه الرشيد جيشاً على رأسه محمد بن مزيد فالتقى الطرفان بالموضع المعروف بعين النورة ودارت معركة عنيفة أسفرت عن قتل سيف بن بكير وهزيمة أتباعه.

إمارة محمد الفقعسي على الحليين أسد وطني

في حدود هذه السنة تولّى محمد بن عبد الملك بن حبيب بن تمام بن معبد، من بني فقعس من أسد إمرة بني أسد وطني، ويعرف بمحمد بن عبد الملك الفقعسي، الأسدي، أديب وشاعر ذكر له ديوان شعر وكتاب مآثر بني أسد ومفاخرها. وقال ابن حبيب: أدركت عبدالله بن وزر (النبهاني) سنة تسعين (ومائة) وهو والي الحليين من طيئ وأسدي، فولى بني أسد وترك قومه، وولي بعده محمد بن عبد الملك الفقعسي، فولى طيئاً وترك قومه، فحمدا جميعاً^(٢).

وفاة أمير المؤمنين هارون الرشيد وخلافة ابنه الأمين

١٩٣هـ في ٣ جمادى الآخرة توفي هارون الرشيد في مدينة طوس، وفيها توفي أبو العباس الفضل ابن يحيى بن خالد بن برمك وزير الرشيد عرف بكرمه وجوده.

بويح الأمين بعد وفاة والده الرشيد، وكان مولده بالرصافة سنة ١٧١هـ في شوال، فكانت خلافته

(١) إتحاف الوري لابن فهد ط١/ ج٢ ص٢٤٥ (المقصود إلى وقت المؤلف ابن فهد).

(٢) راجع هامش: بلاد العرب للأصفهاني تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي. منشورات دار اليعامنة، ص٤٧.

أربع سنين وستة أشهر وأياماً، صفاه له الأمر من جملتها ستين شهراً وكانت الفتنة بينه وبين أخيه ستين، وكان طويلاً جسيماً جميلاً حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين أشقر سبطاً صغير العينين به أثر جدري. ووزر للأمين الفضل بن الربيع إلى آخر أيامه، وكان حاجبه العباس بن الفضل بن الربيع، ثم علي بن صالح ثم السندي بن شاهك^(١).

اقتتال بين بني جعفر والضباب على طخفة

قال الأصفهاني وهو يتكلم عن طخفة: حد الحمى طخفة، وهي يطؤها الطريق، وهي التي اقتتل عليها بنو جعفر، والضباب. أيام مات هارون الرشيد أمير المؤمنين. قال: وطخفة ماء لجعفر والضباب، فظفرت به الضباب، وقتل فيها رجل من جعفر كان شديداً^(٢). وقال أيوب صبري باشا عن طخفة: جبل أحمر مستطيل في مرعى ضرية في محاذاته لسقي الدواب آبار متعددة^(٣). وقالوا تقع في الشمال الشرقي من ضرية غرب جبل منية (منى قديماً) وشرق جبال الأيم (ليم الآن) وجبل اللجاة.

مطالبة حفيد معاوية بن أبي سفيان بالخلافة بدمشق

١٩٥هـ قال ابن خلدون: ((علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقب أبا العميطر لأنه زعم أنها كنية الحردون فلقبوه بها، وكانت أمه نفيسة بنت عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان يقول: أنا ابن شيخي صفين يعني علياً ومعاوية، وكان من بقايا بني أمية بالشام، وكان من أهل العلم والرواية، فادعى لنفسه بالخلافة آخر سنة ١٩٥هـ وأعانه الخطاب بن وجه العلس مولى بني أمية، كان متغلباً على صيدا، فملك دمشق من يد سليمان بن المنصور، وكان أكثر أصحابه من كلب، وكتب إلى محمد بن صالح بن بيهس^(٤) يدعو ويتهده فأعرض عنه، وقصد السفيناني القيسية فاستجاشوا بمحمد بن صالح، فجاءهم في ثلاثمائة فارس من الضباب ومواليه، وبعث السفيناني يزيد بن هشام للقائهم في اثني عشر ألفاً، فانهزم يزيد وقتل من أصحابه ألفان وأسر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن بيهس وحلقهم، ثم جمع جمعاً مع ابنه القاسم وخرجوا إلى ابن بيهس فانهزموا، وقتل القاسم وبعث برأسه إلى الأمين. ثم جمع جمعاً آخر وخرجوا مع مولا المعتمر فانهزموا، وقتل المعتمر فوهن أمر السفيناني وطمعت فيه قيس.

ثم إن ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بني نمير وأوصاهم ببيعة مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد ابن سعد بن مسلمة بن عبد الملك بالخلافة. وقال لهم: تولوه وكيدوا به السفيناني فإنكم لا تتقون بأهل بيته، وعاد ابن بيهس إلى حوران، واجتمعت نمير على مسلمة فبايعوه، فقبل منهم وجمع مواليه، ودخل

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٣٤٠.

(٢) بلاد العرب للأصفهاني تحقيق حمد لبجاسر ود. صالح العلي دار اليمامة، ص ٣٩٠.

(٣) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج ٤ ص ٩٢٧.

(٤) لعل محمد بن صالح بن بيهس هو حفيد بيهس بن زميل الكلابي الموجود في أحداث ١٢٦هـ إلى جانب الخليفة الوليد بن يزيد.

على السفيناني فقيده وحبس رؤساء بني أمية، وأدنى القيسية وجعلهم بطانة، ((وأفاق ابن بيهس من مرضه فجاء إلى دمشق وحاصرها وسلمها له القيسية في محرم سنة ١٩٨هـ وهرب مسلمة، السفيناني إلى المزة، وملك ابن بيهس دمشق إلى أن قدم عبدالله بن طاهر دمشق وسار إلى مصر، ثم عاد إليها فاحتل ابن بيهس معه إلى العراق ومات بها)).

استيلاء طاهر بن الحسين على الأهواز واليمامة والبحرين وعمان

١٩٦هـ في أثناء الخلاف الذي حدث بين الأخوين الأمين والمأمون ابتداء من هذه السنة، قام ((طاهر بن الحسين)) بالاستيلاء على الأهواز وأرسل عماله إلى اليمامة والبحرين وعمان^(١)، وواسط والمدائن، وضرب حصاراً على بغداد.

وفاة العالم وكيع بن الجراح

١٩٧هـ في هذه السنة توفي وكيع بن الجراح الكوفي يوم عاشوراء ودفن بفيد وهو راجع من الحج وكان عمره ٦٨ عاماً، وقد ولد في سنة ١٢٩هـ بقرية من أصبهان، ويقول الذهبي: كان وكيع أسمر ضخماً سمياً، ويضيف أبو داود: وكان أعور. ويقول سعيد بن منصور في سير النبلاء: قدم وكيع إلى مكة، وكان سمياً، فقال له الفضيل بن عياض: ما هذا السمن وأنت راهب العراق؟ قال: هذا من فرحي بالإسلام. وقد أثنى العلماء على وكيع بن الجراح ثناء كبيراً...، يقول أحمد بن حنبل: ما رأيت رجلاً مثل وكيع في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع. فقد جاءه الإمام الشافعي وكان تلميذاً له يشكو إليه سوء حفظه، يقول الإمام الشافعي:

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَفْهَمَنِي أَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

وعن سفينان بن وكيع قال: كان أبي يجلس لأصحاب الحديث من بكرة إلى ارتفاع النهار، ثم ينصرف ليقيل، ثم يصلي الظهر، ويقصد الطريق إلى المشرعة التي يصعد منها أصحاب الروايا فيريحون نواضحهم فيعلمهم من القرآن ما يؤدون به الفرائض إلى حدود العصر، ثم يرجع إلى مسجده فيصلي العصر ثم يجلس يدرس القرآن ويذكر الله إلى آخر النهار، ثم يدخل منزله فيقدم إليه الإفطار، وكان يفطر على نحو عشرة أرطال من الطعام ثم يقدم إليه إناء أو قربة فيها نحو عشرة أرطال من نبيذ فيشرب منها ما طاب له مع طعامه، ثم يضعها بين يديه، ثم يقوم فيصلي ورده من الليل، كلما صلى شيئاً شرب منها حتى تنتهي فينام^(٢).

محاصرة مؤيدي المأمون لبغداد

((حوصرت بغداد بواسطة الفريق المؤيد للمأمون وتضرر الأمين من ذلك الحصار ونفدت أمواله

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢١٠.

(٢) جريدة الوطن الكويتية ٢٢ أكتوبر ٢٠٠ العدد ١٠٦٧٧ ص ٢٩ - أسرار أئمة وفقهاء الإسلام بقلم كريم حسن.

وهرب جنده، وعندها أقدم ابن زبيدة على جريمة جديدة حين أمر بحرق القصور والدور الجميلة في بغداد التي كادت تخرب كلها فرثاها الشعراء وأعلنوا حسرتهم على حاضرة الخلافة، ولم يجد أحدهم تفسيراً لنكبة تلك المدينة (على يد حاكمها) إلا إصابتها بعين حاسد^(١).

خلافة عبدالله المأمون بن هارون الرشيد

بويح المأمون بعد قتل أخيه الأمين يوم الخميس لخمس خلون من صفر سنة ١٩٨هـ، وكان مولده بالياسرية في ليلة الجمعة ١٤ ربيع الأول ١٧٠هـ، وكان أبيض تعلوه شقرة أجناً أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين بخده خال أسود وكان قد وخطه الشيب. ووزر له الفضل بن سهل ذو الرياستين ثم الحسن بن سهل ثم أحمد بن أبي خالد الأحول ثم أحمد بن يوسف ثم نابت بن يحيى ثم محمد بن يزداد. وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً^(٢).

خروج محمد بن إسماعيل ثم مبايعة محمد بن محمد بن زيد

١٩٩هـ خرج الشريف محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن حسن المثنى عليه السلام ودعا لنفسه. وكانت شيعته من الزيدية وغيرهم يدعون إلى إمامته لأنها كانت متوارثة في آباءه من إبراهيم الإمام جدّه، فخرج سنة ١٩٩هـ ودعا لنفسه ووافاه أبو السرايا السريّ بن منصور كبير بني شيان فبايعه وقام بتدبير حربه، وملك الكوفة وكثر تابعوه من الأعراب وغيرهم، وسرح الحسن بن سهل زهير بن المسيب لقتاله فهزّمه طباطبا واستباح معسكره، ثم مات محمد في صبيحة ذلك اليوم فجأة، ويقال إنّ أبا السرايا، سمّه لما منعه من الغنائم.

فبايع أبو السرايا يومه ذلك لمحمد بن محمد بن زيد بن عليّ زين العابدين واستبدّ عليه، وزحفت عليهم جيوش المأمون فهزّمهم أبو السرايا، وملك البصرة وواسط والمدائن. ووجه أبو السرايا إلى مكة الحسين الأفطس بن الحسن بن عليّ زين العابدين، وإلى المدينة محمد ابن سليمان بن داود بن حسن المثنى ابن الحسن، وإلى البصرة زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وكان يقال له زيد النار لكثرة من أحرق من الناس بالبصرة فملكوا مكة والمدينة والبصرة، وكان بمكة مسرور الخادم الأكبر، وسليمان بن داود بن عيسى فلما أحسوا بقدوم الحسين فرّوا عنها، وبقي الناس في الموقف فوضى، ودخلها الحسين من الغد فعاث في أهل الموسم ما شاء الله، واستخرج الكنز الذي كان في الكعبة من عهد الجاهلية، وأقره النبي ﷺ والخلفاء بعده^(٣).

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٧٤.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٤١.

(٣) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

أحداث القرن الثالث الهجري



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مبايعة محمد الديباج بن جعفر الصادق بالخلافة ثم طلبه الأمان

٢٠٠هـ عسف الحسين الأفطس وظلم واستمر إلى أن بلغه قتل أبي السرايا - السري بن منصور الشيباني - سنة ٢٠٠هـ فخاف تغير الناس عليه فعمد إلى محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج لجماله وسأله المبايعة له بالخلافة فكره محمد بن جعفر ذلك فاستمال ابنه علي بن محمد المذكور فلم يزل به حتى بايعوه بالخلافة وجمعوا الناس على مبايعته كرهاً ولقبوه أمير المؤمنين وذلك في ربيع الأول سنة ٢٠٠هـ (أكتوبر ٨١٥م تقريباً) وبقي شهوراً ليس له من الأمر شيء والأمر للأفطس وعلي بن محمد وهما على أقبح سيرة ثم جاء جيش من المأمون وعليه عيسى بن يزيد الجلودي فطلب محمد بن جعفر الديباج الأمان بعد قتال عند بئر معونة وخلع نفسه فأجلوه ثلاثاً فخرج من مكة ودخلها العباسيون ثم سار الديباج إلى العراق واعتذر للمأمون فقبله.

قال الذهبي: إن الجلودي خرج بالديباج إلى العراق واستخلف على مكة ابنه محمداً، وقيل استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وجاء من اليمن إبراهيم بن موسى الكاظم ودخل مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد سنة ٢٠٢هـ^(١).

ال خليفة العباسي يجعل علي الرضا بن موسى الكاظم ولياً لعهد

٢٠١هـ ((اتخذ الخليفة العباسي من علي الرضا بن موسى الكاظم الذي تدور الدعوة باسمه ولياً لعهد سنة ٢٠١هـ فابتعد العلويون عن تأييدها، فاستطاع القائد العباسي هرثمة بن أعين من إلحاق الهزيمة بجيش أبي السرايا وقتله في ربيع الأول ٢٠١هـ))^(٢).

(١) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام للسيد أحمد بن زيني دحلان م.الخيرية بمصر ط١/١٣٠٥هـ ص٨.

(٢) القرامطة بين المد والجزر ل د. مصطفى غالب.

احتلال إبراهيم بن موسى الكاظم لمكة

٢٠٢هـ في هذه السنة: قال أحمد السباعي ((هاجم مكة علوي جديد من اليمن هو إبراهيم بن موسى الكاظم وأخوه علي الرضا الذي ولّاه المأمون ولاية العهد فاحتل مكة وقتل عاملها وأوقع بأنصار العباسيين فيها ثم ما لبث العباسيون أن أجلووه عنها...)).

ثم يعلق السباعي على هذا الخبر تعليقاً منطقيّاً: بأنه يستبعد أن تكون هذه الثورة ما جاءت إلّا انتصاراً لأخيه ولي العهد وللمأمون أمير المؤمنين الذي قامت ضده ثورة في بغداد قام بها إبراهيم بن المهدي العباسي، لأنه ينقل عن تقي الدين الفاسي عن العتيقي أن إبراهيم بن الكاظم كان والياً على مكة من قبل المأمون وبذلك ينفي عنه فكرة الثورة^(١). ويذكر ابن فهد أن في هذه السنة (٢٠٢هـ) ((حج بالناس إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد ودعا لأخيه بعد المأمون بولاية العهد وهو أول طالبي أقام للناس الحج في الإسلام على أنه كان متغلباً لا متولياً من قبل خليفة، ثم مضى إبراهيم إلى اليمن))^(٢).

انقلاب مؤقت على الخليفة قام به عمه المبارك

خلع المأمون في بغداد وبويع بالخلافة عمه إبراهيم بن المهدي ولقب به (إبراهيم المبارك) وكان وافر الفضل سخي الكف وكان ضخيم الجثة أسود اللون لأن أمه جارية سوداء تسمى شكلة^(٣).

خروج الخليفة المأمون عن الاحتجاب ودخوله بغداد

٢٠٤هـ بعد ست سنوات من احتجاب في مرو، الخليفة المأمون ((بناء على نصيحة وزيره الفضل ابن سهل، أدرك خطأ ابتعاده عن دار الخلافة، فعاد إلى بغداد ودخلها بلباسه الأخضر وأعلامه الخضراء وفرض على أهلها لونه الجديد، فالتزم الناس بطاعته إلى أن تراجع عن ذلك القرار وعاد إلى لبس السواد في ٢٨ صفر سنة ٢٠٤هـ ومعه عاد الناس إلى لبس السواد مرة أخرى ومنذ ذلك التاريخ بدأ ملك المأمون الحقيقي))^(٤).

ولاية داود بن ماسحور على البصرة واليمامة والبحرين

٢٠٦هـ جمعت [البصرة واليمامة والبحرين] ووُليت لداود بن ماسحور^(٥).

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص ١٤٥.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ / ج ٢ ص ٢٧٩.

(٣) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخ مكي الخليفة ص ٧٩ عن تاريخ اليمن لعمارة.

(٤) المصدر السابق ص ٧٦.

(٥) التحفة النبهانية.

وفاة المأمون وضم اليمامة لإسحاق القيسي

٢١٨هـ توفي المأمون بطرسوس، وجاء المعتصم وضم إلى إسحاق بن إبراهيم بن أبي حميضة القيسي ولاية اليمامة.

خلافة المعتصم بن هارون الرشيد

ببيع المعتصم بعد أخيه عبدالله المأمون يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٢١٨هـ، وكان مولده في شهر رمضان سنة ١٧٨هـ.. وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وأمه أم ولد يقال لها ماردة. وكان أبيض أصهب اللحية طويلها مربوعاً مشرب اللون حمرة...، وكان شديد البأس حمل باباً من حديد فيه سبعمائة وخمسون رطلاً^(١) وفوقه عكام فيه مائتان وخمسون رطلاً... وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر. ووزر له الفضل بن مروان، ثم أحمد بن عمار، ثم محمد بن عبدالملك الزيات^(٢).

٢٢٢هـ طاعون جارف في البصرة.

وامعتصماه...

٢٢٣هـ وفي هذه السنة حدثت وقعة عمورية، ومن خبرها أنه ((خرج ملك الروم نوفيل في جمع عظيم فبلغ زبطرة وقتل وسبى ومثل بمن وقع في يده من المسلمين ولما بلغ المعتصم ذلك وأن امرأة هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم (وامعتصماه) استعظمه ونهض من وقته وجمع العساكر وسار لليلتين بقيتا من جمادى الأولى لهذه السنة، وبلغ أن عمورية هي عين النصرانية وهي أشرف عندهم من قسطنطينية وأنه لم يتعرض أحد إليها منذ كان الإسلام، وتجهن المعتصم جهازاً لم يعهد قبله مثله من السلاح وخيام الأدم وغير ذلك، وسار المعتصم حتى نزل على نهر قريب من البحر بينه وبين طرطوس يوم وجعل عسكره ثلاثين ألفاً، فرقة مع الأفشين خيزرا بن كاووس ميمنة، وفرقة مع أشناس ميسرة، وفرقة مع المعتصم في القلب، ومن كل فرقة وفرقة فرسخان، وأمرهم المعتصم بحرق القرى وتخريب بلاد الروم، ففعلوا ذلك حتى وصلوا عمورية فأول من قدمها أشناس ثم المعتصم ثم الأفشين فأحدقوا بها، وكان نزوله عليها لست خلون من رمضان من هذه السنة وأقام عليها المنجنيقات، وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد يطول شرحه وآخره أن المسلمين خربوا في السور مواضع بالمنجنيق وهاجموا البلد وقتلوا أهله ونهبوا الأموال والنساء، وأقبل الناس بالسبي والأسرى إلى المعتصم من كل جهة وأمر بعمورية فهدمت وأحرقت وكان مقامه على عمورية خمسة وخمسين يوماً ثم ارتحل راجعاً إلى الثغور...)).

(١) هذه الأوزان التي ذكر أن أمير المؤمنين المعتصم رفعها مبالغ فيها، ثم إنه ليس هناك ربط بين شدة البأس والقوة الجسدية.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٤٣.

وفاة الأصمعي

٢٢٦هـ في صفر، مات الأصمعي - عبد الملك بن قريب - وله ٩١ سنة^(١). وقرأت أنه مات في سنة ٢١٥هـ.

وفاة المعتصم ومصادقات الرقم ٨

٢٢٧هـ وفيها توفي أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد لثمان مضت من ربيع الأول بسامرا وكانت خلافته (٨ سنوات و٨ أشهر ويومين) وهو ثامن الخلفاء العباسيين ومات عن ثمانية بنين وثمان بنات وكان أبيض، أصهب اللحية طويلها مربوعاً مشرب اللون بحمرة.. طيب الأخلاق لكنه إذا غضب لا يبالي من قتل وما فعل.

خلافة هارون الواثق بن المعتصم بن هارون الرشيد

ببيع صبيحة اليوم الذي توفي فيه أبوه يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ. وكان مولده سنة ١٩٦هـ وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. وكان أبيض إلى الصفرة حسن الوجه جسيماً في عينه اليمنى نكتة بياض^(٢).

وفاة محمد العتبي البصري

٢٢٨هـ توفي محمد بن عبدالله بن عمر بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتبي الأموي البصري أبو عبدالرحمن. وكان عالماً بالأخبار والآداب^(٣).

غزوة بغا الكبير لبلاد العرب ما بين مكة والمدينة ونجد

٢٣٠هـ ((كان سبب ذلك أن بني سليم كانت تفسد حول المدينة بالشر، ويأخذون مهما أرادوا من الأسواق بالحجاز بأي سعر أرادوا، وزاد الأمر بهم أن وقعوا بناس من كنانة وباهلة، فأصابوهم، وقتلوا بعضهم في جمادى الآخرة من سنة ٢٣٠هـ، فوجه محمد بن صالح عامل المدينة إليهم حماد بن جرير الطبري وكان مسلحة لأهل المدينة في مائتي فارس، وأضاف إليهم جنداً غيرهم، وتبعهم متطوعة فسار إليهم حماد وأصحابه وقريش والأنصار وقاتلوا قتالاً عظيماً، فقتل حماد وعامة أصحابه وعدد صالح من قريش والأنصار، وأخذ بنو سليم الكراع والسلاح والثياب، فطمعوا ونهبوا القرى والمناهل ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب للشمس.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٤٤، وقد ذكرنا فيما تقدم أن محمداً المهدي جد أبيه كانت في عينه اليمنى نكتة بياض أيضاً.

(٣) الكامل في التاريخ م ٧ ص ٩.

فوجه إليهم الواصل بؤا الكبير؁ أبا موسى في جمع من الجند فقدم المدينة في شعبان فقاتلهم ببعض مياه الحرّة من وراء السوارقية قريتهم التي ياؤون إليها؁ وبها حصون؁ فقتل بؤا منهم خمسين رجلاً وأسر مثلهم وانهزم الباؤون؁ وأقام بؤا بالسوارقية؁ ودعاهم إلى الأمان على حكم الواصل؁ فأتوه متفرقين؁ فجمعهم؁ وترك من يعرف بالفساد وهم زهاء ألف رجل؁ وخلقى سبيل الباقيين؁ وعاد بالأسرى إلى المدينة؁ وذلك في ذي القعدة سنة ثلاثين فحبسهم ثم سار إلى مكة.

فلما قضى حجه سار إلى ذات عرق بعد انقضاء الموسم وعرض على بني هلال مثل الذي عرض على بني سليم فأقبلوا فأخذ من المفسدين نحواً من ثلاثمائة رجل؁ وأطلق الباقيين؁ ورجع إلى المدينة فحبسهم.

وذكر اليعقوبي: أن بني هلال وبني سليم عاثوا بالأرض فساداً فقطعوا الطريق حتى تخلف الناس عن الحج في أوائل القرن الثالث الهجري؁ ونصبوا رجلاً منهم يقال له عزيزة الخفافي؁ وسلموا عليه بالخلافة فما كان من الخليفة العباسي الواصل بالله أن وجه إلى بني سليم أحد قواده وهو بؤا الكبير وأمره بقتل كل من وجده من الأعراب؁ فاجتمعت قيس من كل ناحية وأكثرهم بنو سليم ورئيسهم عزيزة فلقبهم فقاتلوه فقتل منهم خلقاً عظيماً وصلبهم على الشجر وأسر منهم عالماً حبسهم في دار يزيد بن معاوية بالمدينة فنقبوا وخرجوا على أهل المدينة؁ فوثب عليهم أهل المدينة فقتلوا عامتهم وحمل بؤا الباقيين في الأغلال ووافى إسحاق بن إبراهيم في الموسم في تلك السنة.

حبس بؤا من بني سليم ألف نفس فنقبوا الحبس فأخبرت بهم امرأة فأحاط بهم أهل المدينة وحاصروهم يومين ثم برزوا للقتال بكرة الثالث وكان مقدمهم (عزيزة السلمي) فكان يحمل فيهم وهو يرتجز:

لا بُدَّ مِنْ رُحْمٍ وَإِنْ ضَاقَ الْبَابُ إِنِّي أَنَا عَزِيزَةُ بْنُ قَطَّابٍ

لِلْمَوْتِ خَيْرٌ لِّلْقَتْلِ مِنَ الْعَابِ

وكان قد فكَّ قيده وصار يقاتل يومه إلى أن قتل وصلب؁ وقتلت عامة سليم وكثير من الأعراب. وعزيرة بن قطاب السلمي ممن قتل في حدود سنة ٢٣١هـ عندما غزا بؤا الكبير بلاد العرب. قال عزيرة بن قطاب الكبيدي ثم العوفي^(١):

لَقَدْ رُعْتُمُونِي يَوْمَ ذِي الْغَارِ رَوْعَةً

بِأَخْبَارِ سَوْءٍ دُونَهُنَّ مَشِيئِي

نَعَيْتُمْ قَتْلِي قَيْسِ عَيْلَانَ غُدُوَّةً

وَفَارِسَهَا تَتَعَوَّثُهُ لِحَبِيبِ

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٢٣١هـ: قتل أهل المدينة من كان في حبس بؤا من بني سليم وبني هلال. وكان سبب ذلك أن بؤا لما حبس من أخذه من بني سليم وبني هلال بالمدينة؁ وهم ألف وثلاثمائة؁ وكان سار عن المدينة إلى بني مرة؁ فنقب الأسرى الحبس ليخرجوا؁ فرأت امرأة النقب؁ فصرخت بأهل المدينة؁ فجاؤوا؁ فوجدوهم قد قتلوا الموكلين؁ وأخذوا سلاحهم؁ فاجتمع عليهم أهل

(١) أبو علي الهجري مؤلف النوادر سنة ٣١٦هـ بقلم حمد الجاسر دار اليمامة ص ٧٠؁ ١٢٤.

المدينة ومنعواهم من الخروج، وباتوا حول الدار، فقاتلوهم، فلما كان الغد قتلهم أهل المدينة، وقتل
سودان المدينة كل من لقوه بها من الأعراب ممن يريد الميرة، فلما قدم بُغا وعلم بقتلهم شق عليه ذلك.
وقيل إن السجن كان قد ارتشى منهم ليفتح لهم الباب، فعجلوا قبل ميعاده، وكانوا يرتجزون:

السموتُ خيرٌ لِفَتَى مِنَ الْعَارِ قَدْ أَخَذَ الْبَوَّابُ أَلْفَ دِينَارِ

وكان سبب غيبة بُغا عنهم أن فزارة ومرة تغلبوا على فذك، فلما قاربهم أرسل إليهم رجلاً من قواده
يعرض عليهم الأمان، ويأتيه بأخبارهم، فلما أتاها الفزاري حذرهم سطوته، فهربوا، وخلصوا فذك،
وقصدوا الشام.

وأقام بُغا بحيفا وهي قرية من حد عمل الشام مما يلي الحجاز نحواً من أربعين ليلة، ثم رجع إلى
المدينة بمن ظفر به من بني مرة وفزارة.

وفيها سار إلى بُغا من بطون غطفان، وفزارة، وأشجع وثلعة، جماعة، وكان سار إليهم، فلما أتوه
استحلفهم الأيمان المؤكدة أن لا يتخلفوا عنه متى دعاهم، فحلفوا، ثم سار إلى ضرية لطلب بني كلاب،
فأتاه منهم نحو من ثلاثة آلاف رجل، فحبس من أهل الفساد نحواً من ألف رجل، وخلص سائرهم، ثم قدم
بهم المدينة في رمضان سنة ٢٣١هـ، فحبسهم، ثم سار إلى مكة فحج، ثم رجع إلى المدينة^(١).

ولاية إسحاق بن أبي حفصة على اليمامة والبحرين وطريق مكة

٢٣١هـ وفيها ولي الواثق إسحاق بن إبراهيم بن أبي حفصة على اليمامة والبحرين وطريق مكة مما
يلي البصرة^(٢).

وقعة بين بغا الكبير وبني نمير قرب اليمامة

تعرضت اليمامة، لغارات بني نمير^(٣)، فلما كان عام ٢٣٢هـ ((سار بغا الكبير إلى بني نمير فأوقع
بهم، وكان سبب ذلك أن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفي امتدح الواثق بقصيدة، فدخل عليه،
وأشده، فأمر له بثلاثين ألف درهم، فأخبر الواثق بإفساد بني نمير في الأرض، وإغاراتهم على الناس
وعلى اليمامة وما قرب منها.

وكتب الواثق إلى بُغا يأمره بجربهم وهو بالمدينة، فسار نحو اليمامة فلقى من بني نمير جماعة
بالريف فحاربهم، فقتل منهم نيفاً وخمسين رجلاً وأسر أربعين رجلاً، ثم سار حتى نزل مراة، وأرسل
إليهم يدعوهم إلى السمع والطاعة، فامتنعوا، وسار بعضهم نحو جبال السّود، وهي خلف اليمامة، وبث
بُغا سراياه فيهم، فأصاب منهم، ثم سار بجماعة من معه، وهم نحو من ألف رجل، سوى من تخلف في

(١) الكامل في التاريخ م ٧ ص ١٩.

(٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-
٨٧٤هـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ج ٢ ص ٢٥٩، راجع سنة ٢١٨ و ٢٣٠.

(٣) القوى السياسية في كوت الأحساء - يوسف جعفر ص ١٣٥.

العسكر من الضعفاء والأتباع، فلقبهم وقد جمعوا لهم وهم نحو من ثلاثة آلاف بموضع يقال له روضة الأمان على مرحلة من أضاخ، فهزموا مقدمته، وكشفوا ميسرته، وقتلوا من أصحابه نحواً من مائة رجل وعشرين رجلاً، وعقروا من إبل عسكره نحو سبعمائة بعير، ومائة دابة، وانتهبوا الأثقال وبعض الأموال، ثم أدركهم الليل، وجعل بغا يدعوهم إلى الطاعة.

فلما طلع الصبح ورأوا قلة من مع بغا عبأوا، وجعلوا رجالتهم أمامهم، ونعمهم ومواسيهم وراءهم، وحملوا على بغا، فهزموه، حتى بلغ معسكره، وأيقن من معه بالهلكة.

وكان بغا قد أرسل من أصحابه مائتي فارس إلى طائفة منهم، فبينما هو قد أشرف على العطب، إذ وصل أصحابه إليه منصرفين من وجوههم، فلما نظر بنو نمير ورأوهم قد أقبلوا من خلفهم ولوا هارين، وأسلموا رجالتهم، وأموالهم، فلم يفلت من الرجال إلا اليسير، وأما الفرسان فنجوا على خيلهم.

وقيل إن الهزيمة كانت على بغا مذ غدوة إلى انتصاف النهار، ثم تشاغلوا بالنهب، فرجع إلى بغا من كان انهزم من أصحابه، فرجع بهم، فهزم بني نمير، وقتل فيهم من زوال الشمس إلى آخر وقت العصر زهاء ألف وخمسمائة راجل، وأقام بموضع الوقعة، فأرسل أمراء العرب يطلبون الأمان، فأقنهم، فأتوه فقيدهم، وأخذهم معه إلى البصرة، وكانت الوقعة في جمادى الآخرة. ثم قدم واجن الأشروسني على بغا في سبعمائة مقاتل، مدداً له، فسيره بغا في آثارهم حتى بلغ تبالة من أعمال اليمن، ورجع، وكان بغا قد كتب إلى صالح أمير المدينة ليوافيه ببغداد بمن عنده من فزارة، ومرة، وثعلبة، وكلاب، ففعل، فلقبه ببغداد، فساراً جميعاً، وقدم بغا سامراً بمن بقي معه منهم، سوى من هرب ومات وقتل في الحروب فكانوا يزيدون على ألفي رجل، ومائتي رجل من نمير، وكلاب ومرة وفزارة وثعلبة وطيين^(١).

٢٣١هـ وفيها خرج محمد بن عبدالله الخارجي الثعلبي في ثلاثة عشر رجلاً في ديار ربيعة، فخرج إليهم غانم بن أبي مسلم بن أحمد الطوسي وكان على حرب الموصل في مثل عدته، فقتل من الخوارج أربعة، وأخذ محمد بن عبدالله أسيراً، فبعث به إلى سامراً فحبس^(٢).

ولاية عمير بن عمار للبصرة

٢٣٢هـ ولي عمير بن عمار البصرة^(٣).

خلافة جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد

بويج جعفر المتوكل بعد والده المعتصم في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ. وكان مولده يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ٢٠٦هـ وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام، وكان أسمر كبير العينين نحيف الجسم خفيف العارضين. وكان كثير الولد. ووزر له

(١) الكامل في التاريخ م ٧ ص ٢٣٢، راجع النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.

(٢) الكامل في التاريخ م ٧ ص ٢٣.

(٣) ولاية البصرة ومستلموها لابن غملاس ت ١٣٣٣ دار منشورات البصرة ٦٢.

محمد بن عبد الملك الزيات ثم محمد بن الفضل الجرجاني ثم عبيد الله بن يحيى بن خاقان^(١).
٢٣٥هـ وفاة إسحاق بن إبراهيم^(٢).

ولاية محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن أبي حفصة القيسي

٢٣٦هـ ((قتل محمد بن إبراهيم بن مصعب أخو إسحاق بن إبراهيم. وكان سبب ذلك أن إسحاق أرسل ولده محمد بن إسحاق بن إبراهيم إلى باب الخليفة ليكون نائباً عنه ببابه، فلما مات إسحاق عقد المعتز لابنه محمد بن إسحاق على فارس، وعقد له المنتصر على اليمامة والبحرين وطريق مكة في المحرم من هذه السنة، وضم المتوكل إليه أعمال أبيه كلها، وحمل إلى المتوكل وأولاده من الجواهر التي كانت لأبيه، والأشياء النفيسة، كثيراً.

وكان عمه محمد بن إبراهيم على فارس، فلما بلغه ما صنع المتوكل وأولاده بابن أخيه ساء ذلك، وتنكر للخليفة ولابن أخيه، فشكا محمد بن إسحاق ذلك إلى المتوكل، فأطلقه في عمه يفعل به ما يشاء، فعزله عن فارس، واستعمل مكانه ابن عمه الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب، وأمره بقتل عمه محمد بن إبراهيم^(٣).

وفاة الإمام ابن حنبل

٢٤١هـ توفي الإمام أحمد بن حنبل الشيباني الفقيه المحدث في شهر ربيع الأول^(٤) الموافق ليوليو أو أغسطس من سنة ٨٥٥م. وفيها حج بالناس أمير مكة عبدالله بن محمد بن داود بن عيسى العباسي^(٥).

٢٤٢هـ حج إبراهيم بن مطهر بن سعيد الكاتب الأنباري من البصرة على عجلة تجرّها الإبل، عليها كنسية^(٦) ومهراج وقينات، وسلك طريق المدينة فكان ذلك من أعجب ما رآه الناس في الموسم^(٧).

مقتل الخليفة المتوكل

٢٤٧هـ قتل الخليفة العاشر المتوكل على الله بالليل بالسيوف على يد الأتراك وقت خلوته باتفاق مع ابنه المنتصر بالله وبغا الصغير الشرابي، قتل في مجلس شرابه وكان عمره نحو أربعين سنة. وكان أسمر خفيف العارضين. وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان.

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير د. صادر م ٧ ص ٥٣.

(٣) المصدر نفسه م ٧ ص ٢٣٦، وراجع: تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢١١.

(٤) المصدر نفسه م ٧ ص ٨٠.

(٥) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١ ١٩٨٣ ص ٤٢٩.

(٦) وهي شبه هودج تغطي بثوب أو نحوه يستظل بها الراكب.

(٧) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ / ج ٢ ص ٣٢٣.

خلافة محمد المنتصر بن جعفر المتوكل بن المعتصم مدة ستة أشهر

ببيع لأربع خلون من شوال ٢٤٧هـ. وكان مولده يوم الخميس لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٢٢هـ، وكانت خلافته ستة أشهر، وسنه (٢٦ سنة إلا ثلاثة أيام). وكان قصيراً أسمر ضخماً الهامة عظيم البطن جسيماً، على عينه اليمنى أثر. ووزر له أحمد بن الخصيب.

ردُّ فذك لآل الحسن والحسين عليهم السلام

قال ابن الأثير عن الخليفة المنتصر: أمر الناس بزيارة قبر علي والحسين عليهما السلام، فأمن العلويين، وكانوا خائفين أيام أبيه، وأطلق وقوفهم، وأمر بردُّ فذك إلى ولد الحسين والحسن ابني علي بن أبي طالب عليهما السلام ^(١).

خلافة أحمد المستعين بن محمد بن المعتصم

٢٤٨هـ ببيع يوم الإثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر، وكان مولده يوم الثلاثاء لأربع خلون من رجب سنة ٢٢١هـ، وأمه أم ولد يقال لها مخارق، وكان مربوعاً أحمر الوجه، أشقر مسمناً عريض المنكبين ضخماً الكراديس خفيف العارضين، بوجهه أثر جدري، ألثغ بالسين، وزر له أحمد بن الخصيب فنكبه، وقلد مكانه ابن يزداد ثم شجاع بن القاسم كاتب أتماش حاجبه ^(٢).

شكل لباس رجال البادية في زمن المستعين

((رجال البادية كانوا يقتصرون في لبسهم على الإزار ويتركون بقية أجسامهم عارية أو يلتحفون ما يشبه الرداء أو العباءة وقد أمرهم الخليفة المستعين بلبس الأكمام الواسعة، فكانوا يحفظون فيها دنائيرهم وبذلك لا يستبعد أن تكون أقرب شبه بأكمام البادية اليوم)) ^(٣).

أول ظهور صاحب الزنج أو (علوي البصرة) وخروجه إلى البادية

٢٤٩هـ يقول ابن الأثير عن صاحب الزنج أنه: شخّص من سامرا سنة ٢٤٩هـ إلى البحرين فادّعى بها أنه (علي بن عبدالله بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب)، ودعا الناس بهجر إلى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها ومن غيرهم، فجرى بين الطائفتين عصبية قُتل فيها جماعة.

وكان أهل البحرين قد أحلّوه بمحلّ نبي، وجبى الخراج، ونفذ فيهم حكمه، وقاتلوا أصحاب

(١) الكامل في التاريخ م ٧ ص ١١٦ وراجع الكامل في التاريخ م ٢ ص ٢٢٤، فقد كان الخليفة المأمون في سنة ٢١٠هـ قد ردها أيضاً إليهم.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٤٥.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص ١٨٢.

السلطان بسببه، فوتر منهم جماعة، فتنكروا له، فانتقل عنهم إلى الإحساء، ونزل على قوم من بني سعد بن تميم يقال لهم: بنو الشَّمَّاس، وأقام فيهم، وفي صحبته جماعة من البحرين منهم: يحيى بن محمد الأزرق البحراني، وسليمان بن جامع، وهو قائد جيشه^(١).

وذكر في كتاب ساحل الذهب الأسود أن القوم الذين استقرّ بينهم في البحرين قبل انتقاله إلى الإحساء أو إلى البادية هم بنو سعد بن تميم وبنو كلاب ونمير وقال: ((استقرّ بينهم وعكف على نشر دعوته بين مريديه فعظم مقامه حتى جبا له الخراج وقاوموا أصحاب السلطان بسببه، ولكن سرعان ما تكشف لهم حقيقة.. فانتقل إلى البادية في عدد قليل من أصفياه ومنهم يحيى بن محمد بن الأزرق البحراني مولى لبني دارم ويحيى بن أبي ثعلبة تاجر من أهل هجر وقائد جيشه سليمان بن جامع من موالي بني حنظلة وقد جعله قائداً لجيشه من حيّ إلى حي)).

أقوال في نسب صاحب الزنج أو علوي البصرة

قال ابن الأثير: ((وكان اسمه فيما ذكر: علي بن محمد بن عبدالرحيم، ونسبه في عبدالقيس، وأمه ابنة علي بن رحيب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة من قرى الرّي، وكان يقول: جدي محمد ابن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبدالملك مع زيد بن علي بن الحسين، فلما قتل زيد هرب فلحق بالرّي، فجاء إلى قرية ورزنين وأقام بها. وأن أبا أبيه عبدالرحيم رجل من عبدالقيس، كان مولده بالطالقان، وقدم العراق، واشترى جارية سندية، وأولدها محمداً أباه.

وكان متصلاً قبل بجماعة من حاشية المنتصر، منهم غانم الشطرنجي، وسعيد الصغير، وكان معاشه منهم ومن أصحاب السلطان، وكان يمدحهم ويستميحهم بشعره، منهم، ومن غيرهم^(٢).

ويقول ابن عنبه: ما ذكره النسابون مثل الشيخ الشرف أبي الحسن محمد بن أبي جعفر العبيدلي، وأبي الحسن علي بن محمد العمري والشريف أبي عبدالله الحسين بن طباطبا الحسيني وغيرهم، وزعم قوم آخرون منهم (برية) الهاشمي وهو إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي النسابة وأبو الحسين زيد بن كتيلة الحسيني النسابة: أن علي بن محمد (صاحب الزنج) صحيح النسب في آل أبي طالب^(٣).

وقال الشيخ أبو علي أحمد بن مسكويه في كتاب ((تجارب الأمم)): سمعت جماعة من آل أبي طالب يذكرون أنه علوي صحيح النسب في آل أبي طالب، وكان هذا الرجل يدعي أنه علي بن محمد بن أحمد المختفي، فإن كان ما يدعيه صحيحاً بطل عقب علي بن محمد الذي ذكره شيخ الشرف وابن طباطبا والعمري وغيرهم، إذ صاحب الزنج لا يصح له عقب وأولاده قتلوا بالأبلة، ومع هذا فهو لم يقدر على تصحيح نسبه حال حياته فكيف يثبت عقبه بعده. ويقال إنه كان ورزنيئاً وأنه ادعى هذا النسب.

قال السيد ضامن بن شديق: عيسى بن زيد بن علي زين العابدين: لقبه ميثم الأشبال، وكان حامل

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير د. صادر م ٧ ص ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق م ٧ ص ٢٠٥.

(٣) عمدة الطالب ص ٣٢٢.

وحكى صاحب الأغاني: أن أحمد بن عيسى^(١) بن زيد وإسحاق بن إبراهيم الموصللي توفيا معاً في يوم واحد سنة ٢٣٥هـ وبعثا إلى الخليفة المتوكل فقال: تكافأت الحالتان^(٢).

قال ابن زهرة الحسيني أثناء حديثه عن بني زيد الشهيد: ومنهم محمد بن أحمد المختفي، ادعى صاحب الزنج نسبه، أمه قرّة بنت علي بن حبيب من بني أسد بن خزيمه. خرج بالأهواز في خلافة المهدي بالله، ثم سار إلى البصرة فملكها. وكان قد استغوى الزنج، وهم إذ ذاك بالبصرة والأهواز ونواحيها كثيرون، وكان أهل تلك النواحي يشترونهم، ويستعملونهم في أملاكهم وضياعهم وبساتينهم، وتابعه جماعة من الأعراب وغيرهم وفعل ما لم يفعله أحد قبله وتوجه إلى بغداد زمن المعتمد على الله أبي العباس بن المتوكل (٢٥٦-٢٧٩هـ) فقام بحربه طلحة بن المتوكل وهو الملقب بالموفق، وهو إذ ذاك القائم بأمور الخلافة، وإن كان المتسمي بها أخوه، فلم يزل يعمل به حيله، ومكايدته ومنازعه ومصايدته إلى أن قتله بالسيف لليلتين بقيتا من صفر سنة ٢٧٣هـ وكان المدير لأمر الحرب والناظر في أمور الموفق صاعد بن مخلد، وكانت مدة صاحب الزنج من وقت ظهوره إلى وقت قتله ١٤ سنة و٤ أشهر و٦ أيام وكان قاسي القلب، ذميم الأفعال، وحسبك من ذلك تمكينه الزنج من دماء المسلمين ونسائهم وأموالهم.... وقد قيل إنه خارجي المذهب يرى تكفير من ليس على رأيه من أهل القبلة... وهو من أحفاد عيسى ميثم الأشبال، كان عيسى شجاعاً مقداماً قتل الأسد، وكان له أشبال. فسمي ميثم الأشبال. خاف المهدي بن المنصور العباسي (١٥٨-١٦٩هـ) على نفسه، فاستتر في الكوفة واستخفى مدة طويلة^(٣).

قال محمد بن حيدر السليمان في مخطوطة الجواهر اللطاف: ((عن محمد بن زكريا (ال....)) قال سرت إلى أحمد بن عيسى بن زيد وهو يومئذ متوارٍ بالبصرة فقال لي: لما طلبنا هارون يعني الملقب بالرشيد خرجت أنا والقاسم بن إبراهيم وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسين، ففترقنا في البلاد، فوقعنا إلى ناحية الري، ووقع عبدالله بن موسى إلى الشام وخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن، فلما توفي هارون اجتمعنا في الموسم فتشاكينا بما مر علينا، فقال القاسم: أشد ما مر بي أنني لما خرجت من مكة أريد اليمن سرت في مفازة ومعني بنت عمي وهي زوجتي وبها حبل فجاءها المخاض في ذلك الوقت...

وشكا عبدالله بن موسى أنه خرج من بعض قرى الشام وقد حث عليه الطلب وأنه سار إلى بعض المسالحي وقد تزيا بزوي الأكره الفلاحين فسخره بعض الجند وحمل على ظهره شيئاً فكان إذا أعياه وضع ما على ظهره للاستراحة ضربه ضرباً شديداً وقال لعنك الله ولعن من أنت منه.

وقال أحمد بن عيسى: وكان من غليظ ما نالني أنني سرت إلى ورزنيين ومعني ابني محمد وتزوجت إلى بعض الحكام وتكنيت بأبي جعفر الجصاص فكنت أغدو وأقعد مع بعض من آنس به من الشيعة ثم

(١) توفي عيسى في الكوفة في أيام الهادي سنة ١٦٩هـ وله ستون سنة.

(٢) تحفة الأزهار ج ٢ ص ٥١٦.

(٣) غاية الاختصار ص ١٢٣.

أروح إلى منزلي كأنني قد عملت يومي وولدت المرأة بنتاً وتزوج ابني محمد إلى بعض من عبدالقيس هناك فأظهر مثل ما أظهرته ولما صار لابنتي نحو (١٠ سنين) طالبني أخوالها بتزويجها من رجل من الحكام له فيهم قدر، فضقت ذرعاً بما دفعت إليه وخفت من أهلها وبنيها وألح علي القوم في تزويجها ففرغت إلى الله تعالى وتضرعت إليه في أن... ويقبضها ويحسن علي الخلف فأصبحت الصبية عليلة ثم ماتت من يومها فخرجت مبادراً إلى ابني محمد أبشره فلقيني في الطريق وأعلمني أنه ولد له ولد فسميته علياً وهو بناحية ورزنين لا أعرف له خبراً^(١).

إذاً هو علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد. وتشير الروايات التاريخية إلى أنه كان رجلاً أبيض، ولكن تقلب من نسب إلى نسب آخر حسب ظروفه^(٢).

وقال السيد أبو طالب الحسيني رحمه الله: وهذا الخبر طريق إلى إثبات نسب علي بن محمد صاحب البصرة. انتهى

وقال أيضاً في الجواهر اللطاف: أما السيد علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي المعروف بعلوي البصرة، قال الجندي في تاريخه: كان من أكمل أهل الأرض من أبناء زمانه علماً وأدباً وسخاء وشجاعة وكان أحد الدعاة، وفي نسبه مقال لبعض الناس وله القصيدة التي يحث فيها أهل الأدب على مفارقة الأوطان لطلب الرزق والفضائل أولها قوله:

رَأَيْتُ الْمَقَامَ عَلَى الْاِقْتِصَادِ قُتُوعاً بـ... لِلْعِبَادِ
وَعَجَزْتُ بِذِي أدبٍ أَنْ يَضِيقَ مِمِيشَةً بِاتِّسَاعِ الْبِلَادِ

وهي اثنان وعشرون بيتاً، يقال لما أنشدت فقد من البصرة خمسمائة محبرة، فلما علم بذلك رجع بقصيدة أخرى^(٣).

ثلاث حركات قام بها الشيعة في وجه العباسيين

٢٥٠ هـ ظهرت أول هذه الحركات، وكانت بزعامة يحيى بن عمر العلوي الذي ظهر بالكوفة أيام الخليفة المستعين بالله، فالتف حوله كثير من أهلها وبعض الأعراب، لكن الثوار لم ينظموا صفوفهم ولم يهتموا بتسليح أنفسهم مما مكن محمد بن عبدالله عامل الكوفة من إخماد ثورتهم وقتل زعيمهم^(٤).

وقال ابن الأثير: في هذه السنة ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين

(١) الجواهر اللطاف المتوجة بها هجمات الأشراف، مؤلف سنة ١٣٣٣ هـ ل محمد بن حيدر النعمي المخلافي السليمانى الحسنى ص ٤٦.

(٢) تاريخ الخليج العربي.. للدكتور فاروق عمر ص ١٧٤.

(٣) الجواهر اللطاف المتوجة بها هجمات الأشراف ل محمد النعمي المخلافي السليمانى ص ٧.

(٤) قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين تأليف محمد عبدالفتاح عليان مطبوع سنة ١٩٧٠ م.

ابن علي بن أبي طالب المكنى بأبي الحسين عليه السلام، بالكوفة، وكانت أمه فاطمة بنت الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ^(١).

وقال أيضاً: وفيها ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بطبرستان ^(٢).

قطع بني عقيل لطريق جدة

٢٥١هـ قطعت بنو عقيل طريق جدة فاحتربهم أمير مكة جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العباسي الملقب بشاشات فقتل من أهل مكة (٣٠٠ رجل) ومن بني عقيل... وأغارت الأعراب على القرى ^(٣).

تزعم إسماعيل بن يوسف الأخيضر لبني عقيل ومهاجمته مكة

وفيها خرج بمكة إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب فهرب عنها عاملها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العباسي ونهب إسماعيل منزله وقتل الجند وجماعة من أهل مكة نحواً من ثلاثمائة رجل فقال بعض بني عقيل:

عليك ثوبان وأمي عارية فألقي لي ثوبيك يابن الزانية

وفعل بمكة أفعالاً قبيحة من القتل والنهب والإحراق وبلغ به الحال في النهب إلى أن أخذ ما كان حمل لإصلاح العين من المال وما في الكعبة من الذهب وما في خزنتها من الذهب... وأخذ من الناس نحواً من مائتي ألف دينار وخرج من مكة بعد أن نهبها وأحرق بعضها في ربيع الأول بعد خمسين يوماً، فسار إلى المدينة وتوارى عنه عاملها علي بن الحسين بن إسماعيل، ثم رجع إلى مكة في رجب فحصرها حتى مات أهلها جوعاً وعطشاً...، ثم رحل بعد مقامه سبعة وخمسين يوماً إلى جدة فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب... ^(٤).

ثورة علوية أخرى بالكوفة

وفيها: خرج بالكوفة أيضاً الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين الأعرج بن علي زين العابدين، واجتمع إليه الناس من بني أسد وغيرهم من جموعه وأشياعه، وزحف إليه ابن بشكال من أمراء الدولة فهزمه، ولحق بصاحب الزنج فكان معه، وكاتبه أهل الكوفة في العود إليهم، وظهر عليه صاحب

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير م ٧ ص ١٢٦.

(٢) نفس المصدر م ٧ ص ١٣٠.

(٣) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ / ج ٢ ص ٣٢٩.

(٤) المصدر السابق ط ١ / ج ٢ ص ٣٢٩.

الزنج فقتله. وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة قبله بقليل، واجتمعت له جموع العبيد من زنج البصرة وأعمالها^(١).

مقتل المستعين وخلافة المعتز

قتل الخليفة المستعين في واسط الذي اضطر إلى خلع نفسه بسبب الفتنة التي جرت ضده ثم حاربه المعتز لإسقاطه. وبويع المعتز لأربع خلون من المحرم سنة ٢٥٢هـ وكانت الفتنة بينه وبين المستعين سنة. وكان مولده يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٢٣٢هـ. وكانت خلافته منذ بويع له واجتمعت الكلمة عليه ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً. ومنذ بايعه أهل سر من رأى إلى أن قتل أربع سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً، قتله صالح بن وصيف. وكان أبيض شديد البياض، ربعة، حسن الجسم، على خده الأيسر خال أسود الشعر^(٢).

استنقاذ بني فزارة وغيرهم لإدريس بن موسى ابن عم الأخيضر

روى المؤرخ المسعودي في كتابه مروج الذهب: أن سعيداً ((الحاجب)) حمل موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ~~الطوسي~~ من المدينة في أيام المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ) وكان من الزهاد وكان معه ابنه إدريس بن موسى فلما صار سعيداً بناحية زبالة من العراق اجتمع خلق كثير من العرب من بني فزارة وغيرهم لأخذ موسى الثاني^(٣) من يده، فسمه موسى فمات هناك وخلصت بنو فزارة ابنه إدريس من سعيد^(٤).

ولاية ابن أبي عوف للبصرة واليمامة والبحرين ومسير الأخيضر إليه

٢٥٢هـ في هذه السنة عقد المعتز لمحمد بن أبي عوف على لواء البصرة واليمامة والبحرين، وفي عهده سار (محمد بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى من الحجاز إلى اليمامة، حيث تمكن من إقامة الدولة^(٥)). وساعده أخوال أبيه بنو جعفر بن كلاب المتأخمون لليمامة.

(١) ابن خلدون المجلد الرابع ٣٠.

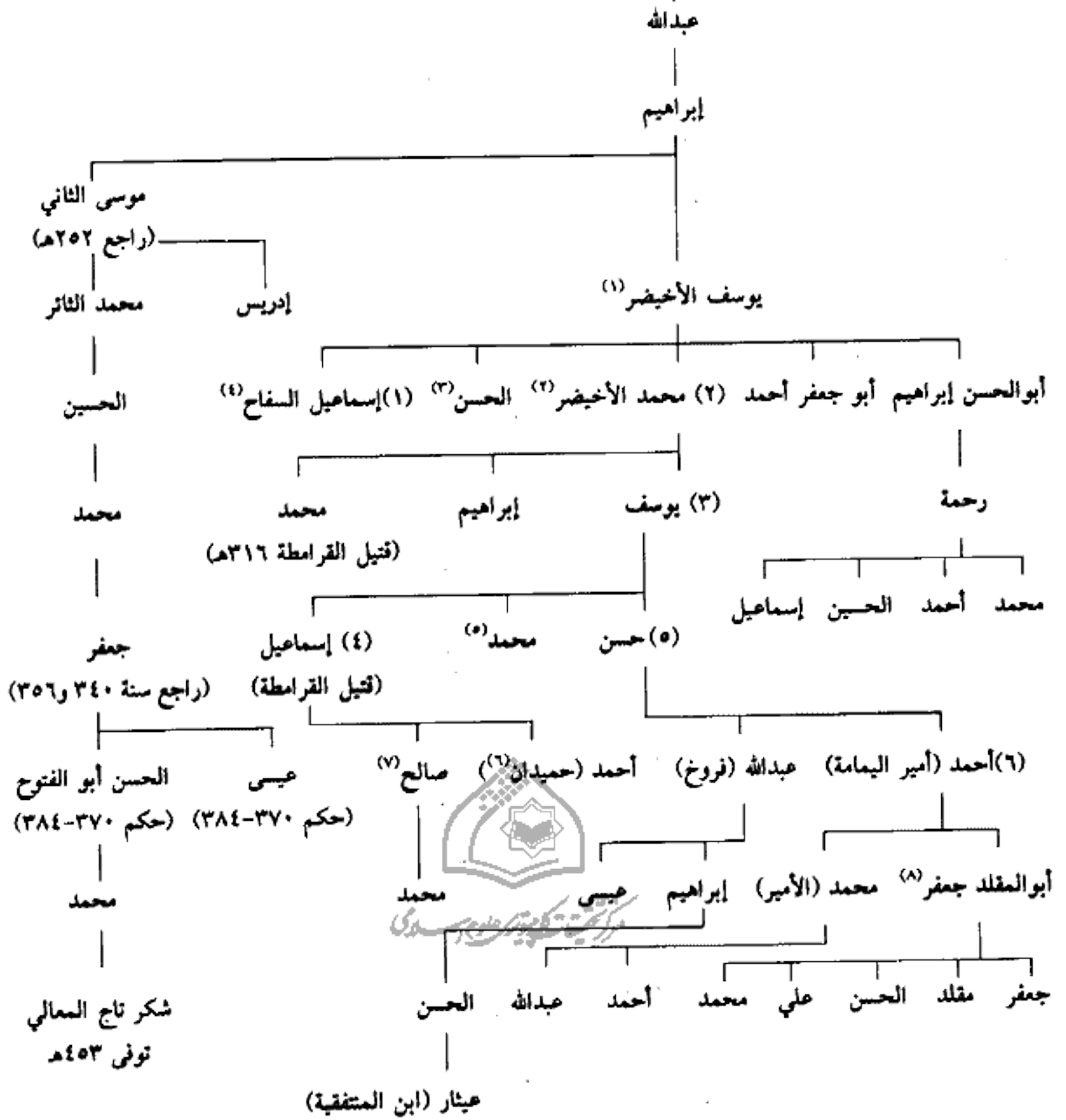
(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٤٦.

(٣) موسى الثاني أمه أمانة بنت طلحة بن صالح بن عبدالله بن عبد الجبار بن منظور بن زبان بن سيار الفزاري وولده يقال لهم ((الموسويون)) وفيهم الإمرة بالحجاز، فولد ثمانية عشر ولداً ذكراً، راجع: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ١٤٨.

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبه ص ١٤٨.

(٥) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢١١.

موسى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى



(١) أمه قطية بنت عامر من بني عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب.

(٢) ملك اليمامة وأولاده بعده.

(٣) ظهر بالحجاز وقتله العباسيون بمكة.

(٤) غلب على مكة أيام المستعين واعترض الحاج، ت ٢٥٢هـ.

(٥) راجع التنبيه والإشراف ص ٣٤٧، يدعى زغبياً وعقبه كثير منتشر.

(٦) له عقب كثير يقال لهم بنو حميدان.

(٧) ولّاه القرامطة ٣١٥ على الكوفة.

(٨) له عقب كثير يلقب عبرية.

نبذة عن الأمراء الأخيضرين

فيما يلي نورد معلومات تتعلق بترتيب أمراء بني الأخيضر على حسب ما ذكره أيوب صبري باشا في كتابه، وإن كان لنا تحفظ على بعض ما جاء فيه من مواضع^(١) ننظر لها بعدم الدقة!

يقول صبري باشا: عدد الأمراء الذين تولوا الحكم منهم ثلاثة عشر شريعاً، حكم ثلاثة منهم في اليمامة فقط، والباقون حكموا في اليمامة وأرض الحجاز. وأول من ظهر من سادات بني الأخيضر هو:

١- إسماعيل بن يوسف الأخيضر بن إبراهيم بن عبدالله بن موسى الجون الحسني. ويحكى أن إسماعيل بن يوسف الأخيضر وجد بمكة، وبايع النفس الزكية^(٢) محمد بن عبدالله المحضن الذي خرج في أواخر حكومة بني أمية، وأن المنصور العباسي وجد أثناء هذه البيعة، ومدح واقعة البيعة بقصيدة طويلة. ولما استولى إسماعيل بن يوسف الأخيضر على البلاد اليمانية^(٣) كان جعفر بن الفضل بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن يوسف بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ﷺ والياً على مكة من قبل المستعين بن المعتصم العباسي. وانتقلت بلاد اليمامة بعد وفاة إسماعيل بن يوسف الأخيضر:

٢- لأخيه الشريف أبي عبدالله محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاته:

٣- لأخيه الآخر الشريف أبي جعفر بن يوسف الأخيضر، وبعد ارتحاله:

٤- انتقلت إلى الشريف حسن بن يوسف الأخيضر أخيه الآخر. بعدما استولى الشريف حسن على بلاد اليمامة صرف جهده لتوسيع حدود حكومته، وفي النهاية شكل إمارة مكة المكرمة واستقل بها. وانتقلت حكومة أم القرى بعد وفاة الشريف حسن إلى:

٥- عمه وإلى أخيه يوسف الأخيضر، ولما مات محمد بن يوسف الأخيضر:

٦- انتقلت الحكومة إلى ابنه الشريف يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر، ومن بعده:

٧- إلى أخيه الشريف أبي عبدالله إبراهيم بن محمد ومن بعده:

٨- إلى أبي عبدالله إلى الشريف محمد بن محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاة محمد بن

محمد:

٩- الشريف حسن بن يوسف الأخيضر وبعده:

١٠- إلى أخيه، ومن بعد:

١١- إلى الشريف محمد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر، وبعد وفاة الشريف

محمد:

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب لأيوب صبري باشا ج ٥ ص ٥٩-٦١.

(٢) النفس الزكية قتل في سنة ١٤٥هـ، والأحداث التي بدأ ذكر إسماعيل الأخيضر فيها وقعت في منتصف القرن الثالث.

(٣) يقصد: بلاد اليمامة.

١٢- إلى الشريف صالح بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف الأخيضر^(١).

وهؤلاء هم الذين فازوا إذ سعدوا بإدارة مكة المكرمة.

وكان أولاد وأحفاد الشريف صالح بن إسماعيل في داخل ممالك السودان، وفي فترة ما هاجروا إلى مدينة غانا القريبة من المحيط الأطلسي وكونوا هناك دولة وحكموا فيها.

وفاة إسماعيل بن يوسف الأخيضر

٢٥٣هـ حج بالناس محمد بن أحمد بن عيسى - كعب البقر - بن جعفر المنصور، وقال العتيقي: حج بالناس إسماعيل بن يوسف العلوي الخارجي. وفيها مات بالجدرى إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم ابن موسى الجون الهاشمي^(٢).

وقال المسعودي: إن الذي حج بالناس عبدالله بن محمد بن سليمان الزيني^(٣).

٢٥٤هـ حج بالناس علي بن إسماعيل بن الحسين بن إسماعيل بن العباس العباسي^(٤).

وفيها: توفي ((علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أحد الأئمة الإثني عشرية، وهو والد الحسن بن علي العسكري المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة. وقد كان عابداً زاهداً...))^(٥).

انتقال صاحب الزنج من البادية إلى البصرة

كان صاحب الزنج ((يتنقل بالبادية، فذكر عنه أنه قال: أوتيت في تلك الأيام بالبادية آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس، منها أني لُقِنْتُ سوراً من القرآن، فجرى بها لساني في ساعة، وحفظتها في دفعة واحدة، منها: سبحان، والكهف، وص، ومنها أني فكرت في الموضع الذي أقصده حيث أتيت في البلاد، فأظلمتني غمامة، وخطبت منها، فقبل لي: أقصد البصرة.

وقيل عنه إنه قال لأهل البادية: إنه يحيى بن عمر العلوي أبو الحسن، المقتول بناحية الكوفة، فخدع أهلها، فأتاه منهم جماعة كثيرة، فزحف بهم إلى الروم (الردم) من البحرين، كانت بينهم وقعة عظيمة، وكانت الهزيمة عليه وعلى أصحابه، قُتلوا قتلاً كثيراً، ففرقت العرب عنه.

فلما تفرقت عنه سار فنزل البصرة في بني ضبيعة، فاتبه جماعة كبيرة منهم: علي بن أبان المهلب،

(١) الشريف صالح وهو الأمير رقم ١٢، الذي ذكر أيوب باشا أن أولاده كونوا لهم دولة في غانا الإفريقية، في سنة ٣١٥هـ القرامطة سلموا الكوفة لوالده الأمير: إسماعيل.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١ ١٩٨٣ ص ٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه ج ١ ط ١ ص ٤٩٥.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط ١/١٩٦٦ م ج ١١ ص ١٥.

وكان قدومه البصرة سنة ٢٥٤هـ، ومحمد بن رجاء الحضاري عاملها، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية، والسعدية، وطمع في إحدى الطائفتين أن تميل إليه، فأرسل إليهم يدعوهم، فلم يجبه أحد من أهل البلد، وطلبه ابن رجاء، فهرب، فحبس جماعة ممن كانوا يميلون إليه، منهم ابنه وزوجته وابنة له، وجارية حامل منه^(١).

وذكر في ساحل الذهب الأسود أن صاحب الزنج بعدما هجم على هجر حاضرة البحرين وتصدى له أهلها ودخلوا معه بمعركة حامية الوطيس في موضع يدعى الردم انهزم ففرقت عنه العرب وكرهوه وفرّ منهزماً عبر الصحراء، فلما كان بالصمان وقع بصره على طائر فقال قصيدته التي أولها:

أيا طائر الصّمان مالِك مُفرداً تأسّيت بي أم عاقِ إلْفَك عائقُ

وفيها يشي على بني تميم ونمير وكلاب، ويهدد بني عامر ومحارب - العبقسين - ويهجو العريان الذي تصدى له في بني عبدالقيس ومحارب بن حفصة وبني عامر فأخرجه من بلاد البحرين ونواحيها.

ذهاب صاحب الزنج إلى بغداد

وسار - صاحب الزنج - يريد بغداد، ومعه من أصحابه محمد بن سلم، ويحيى بن محمد، وسليمان بن جامع، ومرقس القريعي، فلما صار بالبطحية نذر بهم رجل كان يلي أمرها، اسمه عمير بن عمار، فحملهم إلى محمد بن عوف، عامل واسط، فخلص منه وأصحابه، فدخل بغداد فأقام بها حولاً، فانتسب إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد، فزعم بها أنه ظهرت له آيات عرف بها ما في ضمائر أصحابه، وما يفعل كل واحد منهم، فاستمال جماعة من أهل بغداد....

وغُزل محمد بن رجاء عن البصرة، فوثب رؤساء البلالية والسعدية، فأخرجوا من في الحبوس، فخلص أهله فيهم، فلما بلغه خلاص أهله رجع إلى البصرة، وكان رجوعه في رمضان سنة ٢٥٥هـ^(٢).

خلع الخليفة المعتز والمشهد الحقير

٢٥٥هـ ((في يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب، خلع المعتز بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد... وليلتين من شعبان ظهر موته وكان سبب ذلك أن الأتراك طلبوا أرزاقهم فلم يكن عند المعتز مال يعطيهم فتلوا معه إلى خمسين ألف دينار فأرسل المعتز وسأل أمه قبيحة في ذلك فقالت: ما عندي شيء، فاتفق الأتراك والمغاربة والفراغة على خلع المعتز فصاروا إلى بابه فقالوا اخرج إلينا فقال: قد شربت.... وقد أفرط في العمل فإن كان لابد من الاجتماع فليدخل بعضكم إلي فدخل إليه جماعة منهم فجروا المعتز برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر وبقي بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده وأدخلوه حجرة وأحضروا ابن

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير م ٧ ص ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه م ٧ ص ٢٠٨.

أبي الشوارب القاضي وجماعة فأشهدوهم على خلقه، ثم سلموا المعتز إلى من يعذبه ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم أدخلوه سرداباً وجصصوه عليه فمات ودفنوه بسامرا مع المعتصر. وكانت خلافته (٤ سنوات و٧ أشهر) وكان عمره (٢٤ سنة و٢٣ يوماً) وكان أبيض أسود الشعر)).

هذا ما ذكره المؤرخون عن مصير هذا الخليفة المسكين، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كيف عمل ذلك المشهد في خليفة الله في خلقه، وكيف كان أولئك الشذمة من العسكر مسيطرين إلى هذه الدرجة، وأين كان العقل عند الخلفاء العباسيين الذين سبقوه وأوصلوا الأمور إلى هذا السوء؟ هذا الخبر يحتاج إلى صفحات لتحليله واستخلاص العبر منه.

رحمك الله أيها الخليفة قاصر العقل وقصير العمر، اعلم أن الخطأ ليس خطأك بل خطأ أجدادك الذين رموك بتخطيطهم الأعمى في أحضان الأتراك وأيديهم فتمادوا بطغيانهم واستبدوا في الحكم واستخلصوا ثروات الشعوب لأنفسهم! لذا لا تلام الحركات الثورية التي قامت هنا وهناك لما ترى من مهزلة ولعب في بيت الخلافة وشؤون الدولة الإسلامية، فالحزم كان مطلوباً على كل حال.

خلافة محمد المهدي بن هارون الواثق بن المعتصم

((بويج يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٥هـ. كان مولده يوم الأحد لخمس خلون من ربيع الأول سنة ٢١٩هـ، وكانت خلافته أحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً. وكان أبيض مشرباً حمرة، صغير العينين أقنى الأنف، في عارضيه شيب وخضب لما ولي الخلافة. وزر له سليمان بن وهب، وحاجبه باك))^(١).

وفيهما كانت ثورة الزط في جنوب العراق وهم عناصر هندية هاجرت إلى مناطق الخليج واستقرت فيها، وامتدت الثورة من البطيحة إلى الأحواز وكرمان وفارس.

ولاية الأحوص الباهلي على البصرة

ولي على البصرة الأحوص الباهلي وأرسلت العساكر الكثيرة تحت قيادة جعلان التركي نحو البصرة لرد غارات الزنوج^(٢).

خروج صاحب الزنج ثانية في البصرة وخروج الزنج معه

((ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان (أغسطس أو سبتمبر ٨٦٩م تقريباً) فاجتمع معه بشر كثير ولكن لم يكن معهم عدد يقاتلون بها، فأتاهم جيش من ناحية البصرة فاقتلوا جميعاً ولم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة أسياف، وأولئك الجيش معهم عَدَدٌ وَعَدَدٌ ولبوسٌ ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجي ذلك الجيش وكانوا أربعة آلاف مقاتل، ثم مضى نحو البصرة بمن معه فأهدى له رجل من أهل

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٢٤٧.

(٢) التحفة النبهانية للشيخ محمد النبهاني ص ٢٦٦.

جبي فرساً فلم يجد لها سرجاً ولا لجاماً وإنما ألقى عليها حبلاً وركبها وسنف حنكها بليف، ثم صادف رجلاً وتهده بالقتل فأخذ منه مائة وخمسين ديناراً وألف درهم، وكان هذا أول مال نهبه من هذه البلاد وأخذ من آخر ثلاثة براذين ومن موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة، ثم سار في جيش قليل السلاح والخيول ثم جرت بينه وبين نائب البصرة وقعات متعددة يهزمهم فيها وما زال أمره يقوى ويزداد أصحابه ويعظم أمره ويكثر جيشه، وهو مع ذلك لا يتعرض لأموال الناس ولا يؤذي أحداً، وإنما يريد أخذ أموال السلطان وقد انهزم أصحابه في بعض حروبه هزيمة عظيمة ثم تراجعوا إليه واجتمعوا حوله ثم كروا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين. وكان لا يؤتى بأسير إلا قتله ثم قوي أمره وخافه أهل البصرة وبعث الخليفة إليها مدداً ليقاتلوا هذا الخارجي وهو صاحب الزنج قبحه الله ثم أشار عليه بعض أصحابه أن يهجم بمن معه على البصرة فيدخلونها عنوة فهجن آراءهم وقال بل نكون منها قريباً حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها ويخطبوننا عليها...^(١)

ولاية سعيد الحاجب على البصرة ودجلة واليمامة والبحرين

٢٥٦ هـ ((سعيد بن صالح الحاجب، كان قائداً حارب الزنج حرباً شديدة وقد ولاه المهدي بن الواثق سنة ٢٥٦ هـ على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين))^(٢).

مقتل المهدي بالله وخلافة المعتمد على الله

((قابل المهدي شغب الأتراك بكل جرأة حيث استدعى موسى بن بغا وأصحابه وعنفه وأنذره قائلاً: والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن بدلها منكم أو ليذهبن بها أكثركم. أما دين؟ أما حياة؟ أما تستحيون؟ لِمَ هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على الله ﷻ وأنتم لا تبصرون؟

ولكن الأتراك استمروا في جشعهم ومزماراتهم مما اضطر الخليفة إلى إعلان النفي العام مبيحاً دماء الأتراك وأموالهم رافعاً شعار: (يا معشر الناس انصروا خليفتمكم). ولكن العامة خافت الجند فتخاذلت عن القتال، كما انسحب الجند الأتراك من جانبه وانضموا إلى أصحابهم، مما أدى إلى اندحار المهدي حيث أعلنوا خلعه قبل موته ومبايعة أحمد بن المتوكل الذي لقب بالمعتمد على الله سنة ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م))^(٣)، وقتل المهدي بالله بن الواثق بالله بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد بسر من رأى بسهم لحقه على يد الأتراك في رجب.

يقول الدكتور فاروق عمر: ((تعتبر إجراءات المهدي من أكثر الإجراءات السياسية والعسكرية جدية في سبيل استعادة هيئة الخلافة ومركزها، فقد كان إدارياً حازماً ابتعد عن مجالس الغناء والشراب والجواري. كما وأبعد السباع وكلاب الصيد عن البلاط، مما يدل على محاولته الإصلاح... وبدأ يسمع

(١) البداية والنهاية للمحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ مكتبة المعارف بيروت ط ١٩٦٦/١ ج ١١ ص ١٩.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢١١.

(٣) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ١٦٨.

الظلمات ويصرف أمور الدواوين بنفسه، ولكن الطغمة العسكرية لم تمهله. كما وأن الأحوال بصورة عامة لم تساعد حيث وقعت أحداث وتطورات شغلته ولم تكن في حسبانها فقد فضح بايكباك خطته مما أدى إلى توحيد الأتراك ضده^(١).

وُلد أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل بن المعتصم في يوم الثلاثاء لثمان بقين من المحرم سنة ٢٢٩هـ وتوفي ببغداد لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٢٧٩هـ فكانت مدة خلافته ٢٣ سنة.

انضمام الكثير من الأعراب إلى حركة صاحب الزنج

٢٥٧هـ انضم كثير من الأعراب الساخطين إلى صاحب الزنج (علوي البصرة) وقاتلوا معه في هجومهم على البصرة سنة ٢٥٧هـ ومنهم الباهليون في البطائح الذين انضموا إليه عندما صلب رئيسهم عقاباً له^(٢).

ولاية يارجوخ على البصرة ودجلة واليمامة والبحرين

في هذه السنة عقد المعتمد ليارجوخ على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد ابن صالح، فولى من قبله عبدالرحمن بن مفلح إقليم اليمامة ونجد، واستعمل منصور بن جعفر الخياط على البصرة وكور دجلة إلى ما بين الأهواز^(٣)، وهكذا نرى أن الدولة العباسية جمعت كل هذه الأقاليم في ولاية رجل واحد تمتد أراضيه من الأهواز شمالاً إلى البحرين جنوباً إلى نجد غرباً، وهذا التقسيم الإداري يختلف من زمن إلى آخر، فأحياناً يكبر حجم الولاية لتشمل أقاليم أخرى، وأحياناً تقلص حتى لا يبقى في يد الوالي إلا منطقة واحدة، وسنرى هذا كثيراً في هذا الكتاب.

رياح وزلازل وظلمة تنال أهل البادية حول المدينة

٢٥٩هـ ذكر اليعقوبي في تاريخه أنه: نال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة، فمن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد، هربوا إلى المدينة ومكة يستجيرون بقبر النبي ﷺ وبالكعبة وأحضروا معهم متاعاً من متاع الحاج الذين قطعوا عليهم الطريق وذكروا أنه هلك منهم خلق عظيم في البادية.

٢٦٣هـ حج بالناس الفضل بن العباس، وكان أمير مكة محمد بن عيسى المخزومي^(٤).

(١) المصدر نفسه.

(٢) من كلام المترجم في: سياست نامه لوزير السلاجقة الأكبر نظام الملك الطوسي، ترجمة وتعليق الدكتور السيد محمد الغزالي، دار الرائد العربي ص ٢٧٧.

(٣) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢١٢.

(٤) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١ ص ٤٩٨.

بداية الدعوة الإسماعيلية في الكوفة

٢٦٤هـ كان ابتداء أمر القرامطة، أن رجلاً منهم يقال له الحسين الأهوازي قدم من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، فكان بموضع يقال له النهرين يظهر فيه الزهد والتقشف، وقابل كثيرين على رأسهم حمدان بن الأشعث قرمط، فلقنهم أصول الدعوة الإسماعيلية، وأعلمهم أنه يدعو إلى إمام من آل البيت، فواصل حمدان قرمط هذه الدعوة بعد الأهوازي وعرف أنصاره باسم القرامطة^(١).

قال السباعي: يذكر صاحب الإسلام السياسي أنه نقل عن كتاب مخطوط بدار الكتب المصرية للنويري ولم يذكر اسمه: أن حمدان قرمط فرض على كل رجل وامرأة درهماً سماه الفطرة، وعلى كل بالغ ديناراً سماه الهجرة، وأنه استتج هذا من قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ ثم فرض خمس ما يملكه أتباعه معللاً ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا غَنَمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾^(٢).

مسير ابن الأشعث الربيعي إلى صاحب الزنج ومفاوضته

سار قرمط (حمدان بن الأشعث^(٣) الربيعي) إلى سواد الكوفة قبل مقتل صاحب الزنج (ولا يعلم تاريخ مسيره إليه) وقال له: إني على مذهب ومعني ١٠٠ ألف ضارب سيف فتناظرني فإن اتفقنا على المذهب ملت إليك وإن تك الأخرى أنصرف عنك، فتناظرا فاختلفت آراؤهما (فأنصرف قرمط عنه).

قبيلة فزارة تقطع الطريق

٢٦٧هـ وفيها أوقعت فزارة بالتجار، فأخذوا فيما قيل مئة بر^(٤).

وقعة بين العلويين والجعفرين في الحجاز

٢٦٨هـ وفيها كانت وقعة بين العلويين والجعفرين بالحجاز، فقتل ثمانية من الجعفرين وخلّصوا عامل المدينة من أيديهم^(٥). ثم وقع الصلح بين بني علي وبني جعفر على يد يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين. الذي توفي بمكة سنة ٢٧٧هـ عن عمر يناهز الـ (٦٣ عاماً تقريباً)^(٦).

(١) راجع: تاريخ الكوفة: للسيد حسين ابن السيد أحمد البراقي النجفي ت ١٣٣٢هـ وراجع: قرامطة العراق في القرنين ٣-٤ لمحمد عبدالفتاح عليان ط ١٩٧٠م.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨/ ص ١٧٢.

(٣) من المحتمل أن يكون نسب حمدان بن الأشعث من آل الأشعث أهل الكوفة الذين منهم: عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي المذكور في أحداث سنة ٨٢ و ٨٣ و ٨٦هـ..

(٤) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١٩٨٣ ص ٤٩٩.

(٥) تاريخ ابن خلدون المجلد الثالث ص ٤٧٠.

(٦) تحفة الأزهار وزلال الأنهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار لضاامن بن شذقم تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٣٣٥ =

محاولة حاكم مصر الاستيلاء على مكة المشرفة

٢٦٩هـ ((أرسل أحمد بن طولون صاحب مصر إلى مكة قائدين من مصر في (٢٤٩٠ فارساً) لإجلاء العباسيين عنها فوافاهما في أواخر ذي القعدة، وقسموا الأموال في عامة الناس فأعطى لكل رجل دينارين وأعطوا خاصتهم لكل رجل سبعة دنانير. وكأنهم أرادوا الاستعانة بهم ضد والي مكة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشمي، وكان أميراً بمكة في جيش عدته (مائة وعشرون فارساً ومائتا عبد من السودان) ثم أيد في اللحظة الأخيرة بنحو (مائتي فارس) يقودهم جعفر بن الياغمردى فما انتهى المدد إلى مكة في ٣ ذي الحجة سنة ٢٦٩هـ (١٣ يونيو ٨٨٣م تقريباً) حتى اشتبك القتال مع الجيش الطولوني، فانهزم عسكر ابن طولون وقتل منهم نحو مائتي رجل))^(١).

ثورة ابني الشريف الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم بالمدينة

٢٧١هـ وفيها: ثار بالمدينة محمد وعلي ابنا الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم وقتلا جماعة من أهلها، ونهبوا أموال الناس، ومنعوا الجمعة بمسجد رسول الله ﷺ شهراً^(٢).

مقتل صاحب الزنج علوي البصرة

٢٧٢هـ في هذه السنة قتل صاحب الزنج علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد. قال محمد الحميري: ((وكان الذي طاوله في تلك الحروب طلحة بن جعفر المتوكل المعروف بالموفق رحمه الله، ثلاث سنين وثمانية أشهر إلى أن قتله وسبق رأسه إلى بغداد وطيف به. قال بعضهم: رأيت ذلك اليوم فما رأيت مثله حسناً، سار الأمير والجيش أمامه وخلفه والرأس بين يديه محمول على الرمح وصاعد الوزير معه. وكان قيام هذا الدعي في شوال سنة خمس وخمسين في خلافة المهدي بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ)، وقيل في صفر سنة سبعين كذا في تاريخ القضاعي، وفي تاريخ محمد بن سهل أنه قتل سنة ٢٧١هـ وهو خارج من المدينة التي سماها المختارة وهي على دجلة على مسيرة يوم من البصرة بالقرب من عبادان، وسكنها بسودانه الذين جيشوا معه من عبيد أهل البصرة وغيرهم، كان خرج إليهم من البصرة إلى بواديهم وألفهم فأقام معهم بها يقاتل البصرة إلى أن هدمها وحرقها وكانت مدته إلى أن قتل ست عشرة سنة، وكان موته بسهم أصابه في نحره بين الصَّفَيْن وهو ينشد:

لَمِيتَةٌ يَلْقَاهَا الْإِنْسَانُ وَاحِدَةً خَيْرٌ لَهُ مِنْ لِقَاءِ الْمَوْتِ تَارَاتٍ^(٣)

= راجع سنة ٢٦٧هـ.

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص ١٦٧.

(٢) ابن خلدون المجلد الثالث.

(٣) الروض المعطار ص ١٠٨.

نبذة عن احوال صاحب الزنج السياسية

التناقض البارز في عقيدة الحركة: أن صاحبها رغم انتحاله العلوية لم يدعُ إلى خلافة علوية ولا تبني آراء شيعية بل على العكس، فقد دعا إلى آراء أقرب ما تكون إلى الخوارج. فقد رفع شعار [لا حكم إلا لله] وهو شعار خارجي معروف، إضافة إلى تبنيه الآية المفضلة لدى الخوارج حيث نقشها على نقوده: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(١).

وأما أركان قيادته: فجلبهم من العرب من آل المهلب وآل همدان وغيرهم^(٢). وأهم أسباب فشله: أنه أراد أن يحول الزنج من أرقاء إلى مالكين للرقيق وأن يرفعهم إلى السلطة والثراء ففي بداية حركته خطب في أتباعه قائلاً إنه: (يريد أن يرفع من أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمور)، وهذا ما حدد حركته إلى درجة كبيرة وحصرها في فئة الزنج. وأبعد عنه الفئات الأخرى التي شاركت معه في البداية وعلى رأسها زعماء من آل المهلب وباهلة وحمدان وعرب سهول البصرة ومن أهل القرى. كما أن أهل القرى الذين أعانوه في أول الأمر انقلبوا ضده وأغروا بعض أتباعه البارزين بالأموال^(٣).

زيد الإمام الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين

عيسى (أمه أم ولد نوبية اسمها سكن ولد في محرم ١٠٩ ومات بالكوفة ١٦٩ - خرج على المنصور)

أحمد (ت ٢٣٥)



علي (أهلوي البصرة)

محمد^(٤) يحيى سليمان الفضل بنت^(٥) بنت الحسن أبو سعيد^(٦)
ماتوا محبوسين بالمطبق

(١) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ١٧٤.

(٢) نفس المصدر ص ١٧٢.

(٣) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية ص ١٧٥.

(٤) صلبه المؤيد بعد قتل أبيه.

(٥) لصاحب الزنج بتان، متزوجتان من قواد جيشه، فواحدة عند علي بن أبان المهلي، والأخرى عند سليمان بن جامع، فأما التي تزوجها علي بن أبان فقد أنجبت منه ولداً استعبده الموفق وسماه نسيفاً وولاه الولايات وأخرها البصرة، وقتل بها ليلة دخول القرامطة.

(٦) الحسن أبو سعيد هو زعيم قرامطة البحرين ومؤسس دولتهم، وقد أضفناه إلى المشجر اعتماداً على اتعاظ الحنفاء، فيرجى مراجعة سنة ٢٨١هـ.

غزوة عامل البحرين محمد بن نور السامي القرشي لعُمان

٢٧٣هـ في ولاية رشيد بن النضر على عمان، اختلت الأمور فيها، ((حتى اضطر أهالي عمان لمراجعة الخليفة المعتضد العباسي (٢٧٩-٢٨٩)، وكان رجل اسمه عزان الخروسي حاول أن يحكم بالقهر والعسف فلم يتسق له الأمر وصارت الناس فوضى، فذهب اثنان من الأهالي إلى البحرين يتكلمان مع محمد بن نور عامل الخليفة على البحرين في الاستيلاء على عمان وإزالة الفوضى التي فيها. وقد قصد أحدهما فبدأ بمخاطبة الديوان في هذا الأمر، فأصدر الخليفة أمره إلى محمد بن نور عامله على البحرين بالزحف على عمان فسار إليها هذا بجموع وافرة، ففتح نزوة عاصمة عمان وقتل عزان، وفر كثير من الأهالي إلى البحرين وإلى سيرا ف وإلى هرمز. ثم ثار على محمد بن نور بعض القبائل وتكاثروا عليه فترك مقره ولحق بالساحل إلى أن أدركته نجدة عظيمة من مرتزقة مضر، فتمكن من قمع الثورة، وأرهف الحد في الأهالي وقطع الأيدي وصلب الأذان وعطل قنى المياه التي يشرب منها الخلق وأحرق الكتب. ولكن ذلك كله لم يفده شيئاً إذ ما كاد يرجع إلى البحرين محل عمالته حتى ثار الأهالي ثانية وقتلوا العامل الذي استعمله على عمان وذهب دمه هدراً لأن الخلافة عدلت عن ولاية عمان^(١).

القرامطة يقيمون قلعة حصينة بالقرب من الكوفة

٢٧٧هـ «تمكن القرامطة بفضل الأموال من إقامة قلعتهم الحصينة بالقرب من الكوفة، وقد أوا إليها جميعاً وسموها دار الهجرة، وقوي بها جانبهم حتى أطلق عليها بعض الكتاب (ملجأ الفرار) وكان جميع القرامطة سواء منهم الأغنياء أو الفقراء يحملون الأسلحة. يقول النويري: (وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء، وقتلوا جماعة ممن أظهروا خلافاً لهم فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم جزعاً منهم... ولم يبق أحد إلا خافهم ولا بقي أحد يخالفهم لقوتهم ولتملكهم في البلاد)^(٢).

مركز تحقيقات توثيق التراث الحضاري

اختفاء حسين الأهوازي

٢٧٨هـ في هذه السنة اختفى حسين الأهوازي وغاب ذكره عن كتب التاريخ منذ أن اختفى من دار الهيصم الإقطاعي الكوفي الذي حبسه في داره ليتم حلفه فيه بقتله ولكنه لم يجده من الغد^(٣). ويذهب الدكتور محيي الدين اللاذقي إلى افتراض جريء وهو أن حسيناً الأهوازي هو نفسه الحسين ابن منصور الحلاج المتصوف والشاعر المشهور أو الداعية القرمطي حسب استنتاج من ألقوا القبض عليه سنة ٣٠١هـ وقاموا بصلبه وتقطيع أطرافه وقتله سنة ٣٠٩هـ^(٤).

(١) مخطوط: عقد اللآل في تاريخ أوام لمحمد علي التاجر الفصل ١٨.

(٢) قرامطة العراق محمد عبدالفتاح عليان..

(٣) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ١٨١.

(٤) نفس المصدر..

نجاح مؤقت لتحالف قبائلي من مضر وحدان وبني الحارث باحتلال صحار

((توجهت القبائل المتحالفة التي تكونت من المضرية والحدان وبني الحارث من أهل الباطنة برئاسة الحواري بن عبدالله الحداني الذي انتخبوه إماماً لهم إلى ولاية صحار ثاني أكبر ولايات عمان بعد نزوى ودخلوا صحار في ٢٣ شوال ٢٧٨هـ - ٨٩١م واستولوا عليها ودعوا إلى إمامة الحواري بن عبدالله الحداني على منابرهما.

فلما بلغ خبرهم عزان بن تميم أرسل إليهم قوات كبيرة جلّها من اليمانية التي اندحرت في واقعة الروضة بالإضافة إلى قبيلة هناة التي كانت تثير المتاعب للأباطنية نراها هنا تدافع عن إمامة عزان بن تميم، وقد ألجأتها العصبية القبلية للوقوف إلى جانب القبائل الأزدية الموالية لعزان بن تميم، وقد تألفت هذه القبائل من [اليحمد والعتيك وسائر ولد مالك بن فهم] وترأس اليمانية الأهيف بن الحمام الهنائي يعاونه سليمان بن عبدالملك السليمي عن بني سليمة من أولاد مالك بن فهم وشاذان بن الصلت على اليحمد والصلت بن منهل العتكي الهجاري على العتيك. والتقى الطرفان بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع.. وانهزمت النزارية هزيمة منكرة^(١).

وفاة الموفق ومبايعة المعتضد أحمد ولياً للعهد ووفاة المعتمد

ذكر ابن خلدون أنه في هذه السنة (٢٧٨هـ) توفي الموفق وبويع المعتضد بولاية العهد، وفي سنة ٢٧٩هـ خلع جعفر بن المعتمد وقدم عليه المعتضد. ((توفي المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل لعشر بقين من رجب ٢٧٩هـ (٢٣ سنة) من ولايته، ودفن بسامرا، وهو أول من انتقل إلى بغداد، وكان في خلافته مغلباً عاجزاً، وكان أخوه الموفق مستبداً عليه، ولما مات الموفق سنة ثمان وسبعين كما قدمناه أقام مكانه ابنه أبا العباس أحمد المعتضد وحجر المعتمد كما كان أبوه يحجره، وولاه عهده كما كان أبوه، ثم قدمه في العهد على ابنه جعفر ثم هلك فبايع الناس للمعتضد بالخلافة صبيحة موته)).

وفاة عدة من علماء الاتحاديين المشهورين

٢٧٩هـ وممن مات في أيام المعتمد من الأعلام: البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والربيع الجيزي، والزبير بن بكار^(٢).

خلافة أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن المعتصم

بويع في رجب سنة ٢٧٩هـ وكان مولده في جمادى الآخرة ٢٤٣هـ، وكانت خلافته تسع سنين

(١) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ٢٠٤.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ت ٩١١هـ ط ٤ م/ الفجالة الجديدة، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

وتسعة أشهر وأربعة أيام. وأمه ضرار، وكان نحيف الجسم معتدل القامة طويل اللحية أسمر. ووزر له عبيد الله بن سليمان بن وهب ثم ابنه القاسم بن عبيد الله^(١).

ابتداء أمر القرامطة بالقطيف بالبحرين

قال ابن خلدون في تاريخه عن ابتداء أمر القرامطة: كان في سنة ٢٨١ هـ قد جاء إلى القطيف بالبحرين رجل تسمى بيحيى بن المهدي وزعم أنه رسول من المهدي، وأنه قد قرب خروجه، وقصد من أهل القطيف علي بن المعلى بن حمدان الرباديني، وكان غالباً في التشيع، فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدي ليشيع الخبر في سائر قرى البحرين، فأجابوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابي وكان من عظمائهم. ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ورجع بكتاب المهدي يشكرهم على إجابتهم، وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلاثين عن كل رجل منهم ففعلوا. ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا إليه خمس أموالهم فدفعوا، وأقام يتردد في قبائل قيس.

وقال المقرئزي: كان رجل من أهل قرية جَنَابَة^(*) يعمل الفراء يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، أصله من الفرس، سافر إلى سواد الكوفة، وتزوج من قوم يقال لهم: (بنو القصَّار) كانوا من أصول هذه الدعوة، فأخذ عن عبدان، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط وسار داعيةً، فنزل القطيف وهي حيثئذ مدينة عظيمة فجلس بها يبيع الرقيق، فلزم الوفاء والصدق، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر، في قوم ضعفاء، ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك، فبلغه أن بناحيته داعياً يقال له أبو زكريا، أنفذه عبدان قبل أبي سعيد، وكان قد أخذ على بني سنبر من قبل، فعظم أمره على أبي سعيد وقبض عليه وقتله، فحقق عليه بنو سنبر قتله.

واتفق أن البلد كان واسعاً، ولأهله عادة بالحروب، وهم رجال شداد جهال، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، حتى اشتدت شوكته، وكان لا يظفر بقرية إلا قتل من أهلها ونهبها، فهابه الناس، وأجابه كثير منهم، وفر منه خلق كثير إلى بلدان شتى خوفاً من شره، ولم يمتنع عليه إلا هجر، وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها وبها التجار والوجوه فتأزله شهوراً يقاتل أهلها..^(٢).

ويقول المقرئزي في هامش النسختين من كتابه: ((اختلف في أبي سعيد الجنابي فقال قوم: اسمه الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة ٢٥٠ هـ وأن علي بن محمد كان مقيماً بهجر، ويعرف أنه شريف ويعطي ويكرم، ثم

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٣٤٨.

(*) جزيرة جنابة بفتح الجيم وتشديد النون، بلدة صغيرة من سواحل فارس، وهي ليست على الساحل الكبير للخليج العربي إنما يُدخل إليها في المراكب في خليج، يكون بين المدينة والبحر ثلاثة أميال أو أقل، ومقابلها في البحر جزيرة خارك، شمالها مهروبان وجنوبها سينز.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقرئزي د. الشيال ط ١٩٦٧ م ص ١٥٩-١٦٠.

إنه خرج وجمع، فقاتله العريان^(١) بن إبراهيم بأرض البحرين، فانصرف إلى القطيف، وبنى بأم أبي سعيد على سبيل الاستحلال، وخرج من القطيف إلى الأحساء وظهر الحمل بأم أبي سعيد، فلما ولدته سمته الحسن وكنته بأبي سعيد، وكنمته سنة خوفاً عليه، وتزوجت برجل من أهل جنابة، فنسب أبو سعيد إليه، ونشأ على أنه رجل من أهل جنابة، ينتسب إلى من هو ربيب له، وقيل ما ذكر في الأصل^(٢).

محمد بن نور يعتقل يحيى فيفز أبو سعيد إلى البادية

يقول محمد علي التاجر الذي يبدو أنه كان ينقل بعض أخباره حرفياً عن ابن خلدون ونقل أنه في أحد الأيام كان يحيى مدعواً عند أبي سعيد الجنابي وكان لأبي سعيد خادم يدعى إبراهيم له زوجة جميلة، فلما فرغوا من الطعام خرج أبو سعيد من بيته وأمر زوجة الخادم بخدمة ضيفه وإكرامه، فقبل إنه لما خلا بها راودها عن نفسها فأبت عليه وأخبرت زوجها بذلك، فصعب عليه وأغضبه فأخبر مولاه أبا سعيد بالخبر، فأراد كتم الخبر وتلافي الأمر بالتي هي أحسن، ولكن الخادم أبي السكوت فشكا أمره إلى محمد ابن نور أمير البلاد - من بني سامة بن لؤي - فقبض الأمير على يحيى وجلده وطرحه في السجن، وطلب أبا سعيد ففرّ إلى البادية.

فتآمر بعض الخونة ومن لهم هوى في دعوة يحيى من رجال الأمير على إخراج يحيى من السجن، وبالفعل أخرجوه ليلاً من السجن وأطلقوا سراحه، فلحق بأبي سعيد وتلاحق بهم من على دعوتهم من القرامطة واجتمع عليهم خلق كثير، فأغاروا على القرى والسواد وانتهبوا الأموال وقتلوا من لم يكن على طاعتهم ثم أغاروا على القطيف فقتلوا بها جمعاً كبيراً ونشأ أمر أبي سعيد بعد ذلك^(٣).

إجابة بني الأضبط الكلابيين لأبي سعيد ودخول بني عقيل في طاعته

٢٨١هـ ((ودعا أبو سعيد العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب وساروا إليه بحرهم وأموالهم فأنزلهم الأحساء وأطعموا في بني كلاب وسائر من يقرب منه من العرب، فضم إليه رجالاً وساروا فأكثروا من القتل وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة إلى الأحساء، فدخل الناس في طاعته فوجه جيشاً إلى بني عقيل فظفر بهم ودخلوا في طاعته، فلما اجتمع إليه العرب مثاهم ملك الأرض كلها، ورد إلى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد، ولم يرد عبداً ولا أمة ولا إبلاً ولا صبيّاً إلا أن يكون دون الأربع سنين وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قوماً وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووسمهم لثلاً

(١) العريان بن إبراهيم بن الزحاف بن العريان بن مورك بن رجا بن بشر بن صهيان بن الحارث بن وهب بن خبة بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبدالله بن مالك بن عامر بن الحارث.

(٢) اتعاظ الحنفا ص ١٥٩.

(٣) مخطوط: عقد اللال في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل ١٩، ملحقة في كتاب من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة.

يختلطوا بغيرهم، ونصب لهم عرفاء وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب وقد صارت دعوته طبعاً لهم^(١).

إجراءات تأسيس الدولة القرمطية

قبض أبو سعيد كل مال في البلاد وجمع الثمار والحنطة والشعير، وأقام رعاة للإبل والغنم ومعهم قوم لحفظها والتنقل معها على نوب المعرفة، وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه، وأقبل على جمع الخيل وإعداد السلاح ونسج الدروع والمغافر واتخاذ الإبل وإصلاح الرجال وضرب السيوف والأسنة واتخاذ الروايا والمزاد والقرب وتعليم الصبيان الفروسية.

وطرد الأعراب من قريته وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال، وإصلاح أراضي المزارع وأصول النخل وإصلاح مثل هذه الأمور وتفقدتها ونصب الأمناء على ذلك، وأقام العرفاء على الرجال...^(٢).

قال الأستاذ يوسف جعفر: القرامطة لم يسموا جماعتهم بالقرامطة بل سموا أنفسهم ((المؤمنون المنصرون بالله والناصرين لدينه والمصلحون في الأرض))^(٣).

ولاية عباس الغنوي على اليمامة والبحرين وتوجهه للقاء القرمطي

قال ابن خلدون: ثم أظهر أبو سعيد الجنابي الدعوة بالبحرين سنة ٢٨٦هـ واجتمع إليه القرامطة والأعراب، وقتل واستباح، وسار إلى القطيف طالباً البصرة وبلغت النفقة فيه أربعة عشر ألف دينار. ثم قرب أبو سعيد من نواحي البصرة، وبعث المعتضد إليهم المدد مع عباس بن عمرو الغنوي وعزله عن فارس وأقطعه اليمامة والبحرين، وضم إليه ألفين من المقاتلة، وسار إلى البصرة وأكثر من الحشد جنداً ومتطوعة، فسار ولقي أبا سعيد الجنابي، ورجع بمن كان معه من بني ضبة إلى البصرة، ثم كان اللقاء فهزمه الجنابي وأسر واحتوى على معسكره، وحرق الأسرى بالنار، وذلك في شعبان من هذه السنة.

وسار إلى هجر فملكها وأمن أهلها ورجع إلى أهل البصرة وبعثوا إليهم بالرواحل عليها الطعام والماء، فاعترضهم بنو أسد وأخذوا الرواحل وقتلوا القفل واضطربت البصرة وتشوف أهلها إلى الانتقال فمنعهم الوثاقي، ثم أطلق الجنابي العباس الغنوي، فركب إلى الأبله وسار منها إلى بغداد، فخلع عليه المعتضد.

(١) اتعاظ الحنفا ص ١٦٠.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشبيخة مي الخليفة ص ٢٤٥ عن سهيل زكار في الجامع لأخبار القرامطة ص ١٤٨.

(٣) القوى السياسية في كوت الإحساء - ليوسف جعفر ص ١٨٧.

أول رسالة من قرامطة البحرين إلى ديوان الخلافة العباسية

هزم أبو سعيد عباس بن عمرو الغنوي واعتقله ثم أطلق سراحه ليكون حامل أول رسالة رسمية إلى الخليفة العباسي، وجاء فيها: (يا هذا، لم تحرق هيتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك وتتعبها في طلبي وإنفاذ الجيش إليّ، وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع ولا غلة ولا بلد، وإنما رضىت لنفسي بخشونة العيش والأمن على المهجة والعز بأطراف هذه الرماح وما اغتصبتك بلداً كان في يدك. ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل، ومع هذا فوالله لو أنفذت إليّ جيشاً من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيثون من المسافة البعيدة والطريق الشاق وقد قتلهم السفر قبل قتالنا، فإنما غرضهم أن يبدوا عذراً في مواقعتنا ساعة ثم يهربون فإن ثبتوا مع ما لحقهم من وعناء السفر وشدة الجهد التي هي أكثر أعوانهم عليهم، فما هو إلا أن أحقق عليهم حتى انهزموا، وأكثر ما تقدر عليه أن يجيثوا فيستريحوا ويقيموا فيكونوا عدة لا قبل لي بهم فيهموني إذا قاتلوني.

لا يقدر جيشك على أكثر من ذلك، فما هو إلا أن انهزم حتى قد بعدت عن هذا الموضع عشرين فرسخاً أو ثلاثين فأجول في الصحراء شهراً أو اثنين ثم أكبهم على غرة فأقتلهم جميعهم، ولو لم يستو لي هذا، وكانوا متحرزين فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري، فلا ينبغي طلبهم في الصحاري. ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين فإن انصرف الجمهور وبقي الأقل فهم قتلى سيوفي أول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف، هذا إن سلموا من وباء هذا البلد، ورداءة مائه وهوائه للذين نشؤوا في ضده وربوا في غيره ولا عادة لأجسامهم بالصبر عليه، ففكر في هذا وانظر هل يفي تعبك وتغريك بجيشك وعسكرك وإنفاقك الأموال وتجهيزك الرجال وتحملك لهذه المشاق لطلبي، وأنا مع ذلك خالي الدرع منها سليم النفس والأصحاب من جميعها وهيتك تنقص في الأطراف وعند ملوكها كلما جرى عليك شيء من هذا، ثم لا تظفر من بلدي بظائل ولا تصل منه إلى مال أو حال، فإن اخترت بعد هذا محاربتني فاستخر الله تعالى وأنفذ من شئت وإن أمسكت فذاك إليك^(١).

رواية ابن الأثير عن مبتدا أمر القرامطة في إقليم البحرين

ظهر أبو سعيد الجنابي رأس القرامطة وهم أخبث من الزنج وأشد فساداً كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة (٢٨٦هـ) بنواحي البصرة فالتف عليه من الأعراب غيرهم بشر كثير وقويت شوكته جداً وقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلى القطيف قريباً من البصرة ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحسين سورها فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتنت من القرامطة بسبب ذلك وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا في الأرض الفساد. وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا أنه كان سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان، فقدم رجل به يقال له يحيى بن المهدي في سنة ٢٨١هـ فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي فاستجاب له رجل يقال له علي بن العلاء بن حمدان الزيايدي فساعده في الدعوة إلى المهدي وجمع الشيعة

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٢٤٧.

الذين كانوا في القطيف فاستجابوا له وكان في جملة من استجاب أبو سعيد الجنابي هذا قبحة الله ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له والتفوا عليه فتآمر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم وأصله من بلدة هناك يقال لها جنابة^(١).

ظهور أبي عبدالله الشيعي بإفريقيا يدعو لعبيد الله المهدي

وفيها على قول ابن خلدون: ظهر بالمغرب من دعاة الرافضة أبو عبد الله الشيعي في كتامة من قبائل البربر عام ٢٨٦هـ داعياً لعبيد الله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق فظهر على الأغلبة بالقيروان، وبايع لعبيد الله المهدي سنة ٢٩٦هـ. فتم أمره وملك المغربين.

اعتراض قبيلة طيء لركب الحاج

وفيها: اعترضت طيء ركب الحاج بالأجير، وقتلوه ونهبوا أموال التجار ما قيمته ألف ألف دينار، ثم اعترضوا الحاج كذلك سنة تسع وثمانين بالقرن فهزمهم الحاج وسلموا.

اعتراض جموع من الأعراب بقيادة طيء لركب العراق بالمعدن

٢٨٧هـ جمعت طيء من قدرت عليه من الأعراب وقصدت ركب العراق في رجوعه من الحج ليأخذوه وكانوا في ثلاثة آلاف وأمير الحاج أبو الأغر، فوافاهم بالمعدن وقتلهم يومين هما الخميس والجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة والتحم القتال وخذلت الأبطال، ثم أيد الله الوفد وقتل رئيس طيء صالح بن مدرك وجماعة من أشرف قومه، وأسروا خلقاً وانهمز الباقون وسلم الحاج ودخل الركب بالأسرى بالرؤوس على الرماح بغداد^(٢).

إغارة القرمطي على هجر واستيلائه على القطيف

وفيها في ربيع الآخر أغار أبو سعيد على نواحي هجر، بمساندة بني كلاب وعقيل والحريش^(٣).

(١) يقول ياقوت في معجم البلدان عن جنابة: بلدة صغيرة من سواحل فارس وليست على ساحل البحر الأعظم إنما يدخل إليها في المراكب قبالتها جزيرة خارك وشمالها من جهة البصرة مهروبان وجنوبها سينيز وهي فرضة ليست بالطويلة ترسو فيها مراكب من يريد فارس، وشرب أهلها من الآبار الملحة (قال الحازمي): جنابة ناحية بالبحرين... ومنها أبو سعيد الجنابي القرمطي وكان من جنابة بلدة بساحل فارس وكان دقاً فنفى عن جنابة فخرج إلى البحرين فأقام بها تاجراً وجعل يستميل العرب بها ويدعوهم إلى نحلته حتى استجاب له أهل البحرين وما والاها وكان من كسره عساكر السلطان ورعيته وعداوته من أهل عمان، وجمع ما يصاقبه من بلدان العرب قد انتشر حتى قتل على فراشه وكفى الله أمره ثم قام ابنه سليمان بن الحسن... وقال غير الحازمي إنه قتل على يد غلامه في الحمام.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١٩٨٣ ص ٥٠٢.

(٣) محطات تاريخية، سعود الخالدي ص ٧٥ - ثابت بن سنان الصابن تاريخ أخبار القرامطة ص ١٢ - طه الولي، القرامطة ص ١٩٦.

وكان أبو سعيد الجنابي يعتمد في قوته منذ بدايته على تحالف قبائل من عامر بن صعصعة (من أهل البادية) مع أزدية (من أهل عمان).

يبدو أن أبا سعيد عندما هاجم هجر طلب من بني العياش والعريان الجلاء عن ديارهم أو الحرب فاختاروا الحرب، وحصل لهم من جراء ذلك الدمار والهلاك، ويتضح ذلك من خلال قصيدة لعلي بن المقرب يعرض على قومه العيونيين عندما رأى ضعفهم وتشتتهم وظهور غيرهم عليهم الجلاء بأسلوب استخفافي قبل أن تقع الكارثة، أو أن يتحدوا في وجه الأخطار:

٧٢- إِنِّي لَأُخْشَى أَنْ تُلَاقُوا مِثْلَمَا لَاقَى بَنُو الْعَيَّاشِ وَالْعَرِيَانِ

٧٣- كَرِهُوا الْجَلَاءَ عَنِ الدِّيَارِ فَأَهْلِكُوا بِالسَّيْفِ عَنْ عَرْضِ وَبِالنُّيْرَانِ^(١)

يقول شارح ديوان علي بن المقرب: عياش بن سعيد رئيس بني محارب، كان منزله بالجبل المعروف بالشبعان من جبال هجر. وهو في وسطها تحف به أنهارها وبساتينها. والعريان: رئيس بني مالك، وهو العريان بن إبراهيم بن الزحاف بن العريان بن مورك بن رجاء بن بشر بن صهبان بن الحارث ابن وهب بن عصية بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبدالله بن مالك بن عامر بن الحارث.

وذلك أن عبدالقيس حين اختلفت كلمتهم وكثرت بينهم الحروب ضعفوا ووهن أمرهم بالبحرين فوثب القرمطي، وهو أبو سعيد الحسن بن بهرام بن بهرست على القطيف وهو يومئذ ضامن مكوسها وفرضتها وكان قد جمع مالا عظيماً استمال به قلوب الناس وكانت رئاسة القطيف يومئذ وملكها لبني جذيمة^(٢) وكان أولو الأمر منهم:

بنو أبي الحسن علي بن مسمار بن سلم بن يحيى بن سلم^(٣) بن مذخور بن صعصعة بن مالك بن عامر^(٤) بن مخاشن بن سعد بن ثعلبة^(٥) بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة ابن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس.

مركز بحوث التراث العربي

(١) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج ٢ ص ١١٤٤.

(٢) في مخطوط: عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل ١٩ جاء اسم ابن مسمار بشكل مختلف بشكل خفيف: وهنا نذكر الاختلاف للمقارنة جذيمة: وبنو خزيمة أمرهم في يد بني أبي الحسن علي بن مسمار بن سلم ابن يحيى بن أسلم بن مذخور بن صعصعة بن مالك بن عمرو بن مخاشن بن سعد بن (كلب). و(كلب) هذه يمكن أن تكون (ثعلب)، فإذا صح هذا الاحتمال، فإنه يحملنا إلى ترجيح أن الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي يكون من هذه الأرومة حيث إن عبدالقيس لها أن نعترف بأكثريتها في البحرين..

(٣) سلم: أسلم..

(٤) عامر: عمرو. وربما الصحيح هو عامر، وأن عامراً هذا هو الذي تنسب له عامر ربيعة، الذين قضى على حكمهم في سنة ٤٦٧ هـ على يد عبدالله العيوني والقوات العباسية، لأنه قيل إن الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي الذي بنى دولته على أنقاض دولة آل أبي سعيد كان يعرف بزعيم بني عامر، وهناك بنو عامر بن الحارث بن أنمار، وعلى هذا فإنهم يلتقون مع العيونيين (بني مرة بن عامر بن أنمار) في أنمار.

(٥) ثعلبة: كلب. وفي نص آخر يكون الاسم هكذا: ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس.

وجمع جيشاً عظيماً من أهلها ومن البادية ومن أهل عمان وحارب بهم القطيف حتى ملكها بعد حرق الزارة... وسار إلى الإحساء بجموع عظيمة وكان يمكن آل العياش وآل العريان ومن يتعلق بهم الانتقال فلم ينتقلوا فحاربهم أبو سعيد حتى قهرهم وملك الإحساء. فحين استقر له الملك جمع من بها من عبدالقيس في محلة من الإحساء تسمى الرمادة وأضرمتها عليهم ناراً... ومن خرج قتلوه...

قال التاجر محمد علي في مخطوطته عقد اللآل: وجمع - أبو سعيد - جمعاً عظيماً من أهلها ومن البادية ومن أهل عمان وحارب بهم في القطيف حتى تمت له الغلبة على أبي الحسن علي بن مسمار المذكور وقومه حتى ملكها بعد حرق الزارة وهي يومئذ مدينة ودار مملكة... ولم يمكن للعياش والعريان المذكورين وما يتعلق بهما الانتقال منها لما لهم فيها من عرض وثمار فلم ينتقلوا فحاربهم أبو سعيد... وملك الإحساء.

استيلاء القرامطة على صحار واليمامة

وبعد أن استكمل أبو سعيد سيطرته على البحرين سيّر بعض سراياه إلى عمان فدخلها عنوة واستولى على قصبتها صحار، ثم مد نفوذه إلى اليمامة بعد أن قضى على دولة بني الأخيضر بها وصادهم^(١).

اختفاء زكرويه وانتقال نشاطه الثوري إلى الشام

وفيها: ((ثار أهل السواد من القرامطة، وحاولوا الانتقام لعبدان، فاخفى زكرويه في جب تحت الأرض سنة ٢٨٧هـ ولم يجد بداً من نقل نشاطه إلى بلاد الشام، فأرسل ابنه الحسين إلى هناك سنة ٢٨٨هـ))^(٢).

وهكذا بعد أن فشل زكرويه في استغواء من قرب الكوفة من الأعراب أسد وطيح وغيرهم، أرسل أولاده إلى كلب بن وبرة فاستغفروهم فلم يحبه منهم إلا الفخذ المعروف ببني العليص بن ضمضم بن عدي ابن جناب ومواليهم خاصة فبايعوا ابن زكرويه المسمى محمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقيل: لم يكن لمحمد بن إسماعيل ولد اسمه عبدالله. وأتاه جماعة من بني الأصبح. وسموا الفاطميين ودانوا بدينه.

وفي سنة ٢٨٨هـ جرت حروب بالشام بين طغج بن جف أمير دمشق وبين القرامطة^(٣).

حروب محمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل في الشام

٢٨٩هـ قال ابن العديم: في آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له محمد بن عبدالله بن يحيى، من ولد إسماعيل بن جعفر العلوي بنواحي دمشق، يدعو إلى نفسه، واجتمع إليه خلق كثير من الأعراب، وأتباع

(١) تاريخ الإمارة العيونية لعبدالرحمن آل ملا، نقلاً عن كتابي اتعاظ الحنفا للمقرئ والكامل لابن الأثير.

(٢) قرامطة العراق محمد عبدالفتاح عليان.

(٣) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء ت ٧٣٢هـ..

الفتن، فسار بهم إلى دمشق، وكان بها طغج بن جف مولى أمير المؤمنين من قبل هارون بن خمارويه عامل أمير المؤمنين على مصر والشام، فلما بلغه خبره استعد لحربه، وتحصن طغج بدمشق، فحصره هذا العلوي بها، وكانت بينهما وقعات، وانقضت.

تَغْلِبُ سَبْعُمِائَةٍ عَلَى سَبْعَةِ آلَافٍ قَرَبَ الْقَطِيفِ!!

وفيها: ((أرسل المعتضد جيشاً من (٧٠٠٠ رجل) لقتال أبي سعيد وكان على رأس (٧٠٠) فارس وراجل) من بني كلاب وعقيل وبحرانيين وكان ذلك قرب - القطيف - سبخة أفان - فانهزم الجيش العباسي))^(١).

وفاة المعتضد وخلافة المكتفي

وفيها توفي الخليفة المعتضد رحمه الله، وكان ما يزال يذكر أبا سعيد رغم مرضه ويتحسر قائلاً: ((حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ثم لا ألقى أحداً أطول من سيفي إلا ضربت عنقه، وإني أخاف أن يكون هناك حوادث عظيمة))^(٢).

وبويع علي المكتفي بن أحمد المعتضد بن طلحة الموفق يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الآخر ٢٨٩هـ، وكان مولده في رجب سنة ٢٦٤هـ، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوماً، وأمه جيجق وقيل خاضع. وكان ربة حسن الوجه أسود الشعر وافر اللحية عريضها، ولم يشب إلى أن مات^(٣).

مقتل مقدم القرامطة يحيى وقيام أخيه الحسين صاحب الشامة

٢٩٠هـ ((في هذه السنة اشتدت شوكة القرامطة حتى حاصروا دمشق بعد أن هزموا أميرها طغج بن جف ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ، ولما قتل مقدم القرامطة يحيى المذكور قام فيهم أخوه الحسين وتسمى أحمد وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته، وكثر جمعه فصالحه أهل دمشق على مال دفعوه فانصرف عنهم إلى حمص فغلب عليها وخطب على منابرها بالمهدي أمير المؤمنين، وعهد إلى ابن عمه عبدالله ولقبه المدثر وزعم أنه المدثر الذي في القرآن، ثم سار إلى حماة والمعرة وغيرهما فقتل أهلها حتى قتل الأطفال والنساء، وسار إلى سلمية فأخذها بالأمان ثم قتل أهلها حتى صبيان المكتب، ولما اشتد أمر القرمطي صاحب الشامة المذكور خرج المكتفي من بغداد ونزل الرقة وأرسل إليه الجيوش))^(٤).

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٢٤٨.

(٣) العقد الفريد ج ٥ ص ٣٤٨.

(٤) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ.

القبض على صاحب الشامة

٢٩١هـ كتب الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد إلى محمد بن سليمان الكاتب بمناهضة القرامطة فسار إليهم والتقى الجمعان يوم الثلاثاء ٦ محرم على ١٢ ميلاً من حماة فاقتلوا قتالاً شديداً حتى حجز الليل بينهم، والقرمطي لما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ورحل من وقته خوفاً من الطلب إلا أنه قبض عليه بالدالية وهي قرية من عمل الفرات وحمل إلى المكتفي بالرقعة.

انطلاق زكرويه القرمطي من القطيف وقطعه لطريق الحج

٢٩٤هـ يبدو أن زكرويه الذي اختفى في الجب سنة ٢٨٧هـ، وقبض على ابنه صاحب الخال وقمعت حركته في سنة ٢٩١هـ كان ملتجئاً عند قرامطة البحرين، حيث تذكر التواريخ أنه في سنة ٢٩٤هـ ((خرج زكرويه القرمطي من بلاد القطيف يريد الحاج فوافاهم وقاتلهم حتى ظفر بهم في أواخر المحرم سنة ٢٩٤هـ. ولما فرغ القرامطة من مهاجمة الحجاج فكروا في اتخاذ قاعدة لهم بالصحراء لكي يهاجموا منها قوافل الحجاج كل عام، ويغيروا منها على أطراف العراق وبلاد الشام كلما سنحت لهم الفرصة. ووقع اختيارهم على فيد، ولكنهم عجزوا عن الاستيلاء على هذا المكان الحصين فراحوا يجوبون الصحراء بحثاً عن مكان آخر يحقق لهم غرضهم))^(١).

مداومة الجيوش العباسية للقرامطة

((وبينما جيوش القرامطة على هذا الحال إذ دأبتهم جيوش الخلافة العباسية فسدت عليهم جميع منافذ الصحراء، وأخذ قواد العباسيين يرسلون الطلائع لاستكشاف تحركاتهم. ويذكر النويري (في نهاية الأرب) أن هؤلاء القواد كانوا يخشون انضمام زكرويه بن مهرويه إلى أبي سعيد الجنابي أمير قرامطة البحرين. لكن من المرجح أن أبا سعيد لم يقدم على تلك المحاولة، لأنه كان أحد التلاميذ المخلصين لعبدان، عدو زكرويه اللدود...))^(٢).

قال ابن العديم: انتدبت بغداد جيشاً لقتاله فساروا وسار زكرويه إلى زباله فترلها وكانت قد تأخرت القافلة الثالثة وهي معظم الحاج...، فوصلوا إلى فيد وبلغهم الخبر فأقاموا ينتظرون عسكر السلطان فلم يرد عليهم الجند فساروا فوافاهم الملعون بالهيب فقاتلهم.... فعطشوا واستسلموا فوضع فيهم السيف فلم يفلت منهم إلا اليسير وأخذ الحريم والأموال فندب المكتفي لقتاله القائد وصيفاً ومعه الجيوش وكتب إلى شيبان أن يوافوا فجاءوا في ألفين ومائتي فارس فلقبه وصيف يوم السبت رابع شهر ربيع الأول فاقتلوا حتى حجز بينهم الليل وأصبحوا على القتال فنصر الله وصيفاً وقتل عامة أصحاب زكرويه... وتفرق أصحاب زكرويه في البرية وماتوا عطشاً.

(١) قرامطة العراق محمد عبدالفتاح عليان.

(٢) المصدر نفسه.

المكتفي يكافيء الحسين بن حمدان بإقطاعه حلب

ثم إن المكتفي ولّى حلب الحسين بن حمدان عم سيف الدولة فعاشت عليه العرب من كلب واليمن وأسد وغيرهم فاجتمعوا بنواحي حلب فخرج للقائهم في شهر رمضان فهزموه حتى بلغوا به باب حلب وجرى بينه وبين القرامطة في هذه السنة وقعة كسرهم فيها واستأصلهم^(١).

بنو سعد يخرجون بني هذيل من جبل غزوان

قال الهمداني وهو يتحدث عن منازل هذيل: عرنة وعرفة وبطن نعمان ونخلة ورجيل وكبكب والبوية وأوطاس وغزوان، فأخرجهم منه بنو سعد بمعونة عج بن شاخ سلطان مكة، وغزوان من أمنع جبال الحجاز وأكثرها صيداً وعسل^(٢)...

قال الفاسي: لعل عج بن حاج كان أمير مكة في سنة ٢٨١هـ إلى سنة ٢٩٥هـ ويحتمل أن يكون ولي قبل هذا التاريخ وبعده والله أعلم... وذكر عج بن ساج في حوادث سنة ٣٠٠هـ من كتاب (غاية الأمان) كعامل للحرمين، لذا نرجح وقوع هذه الحادثة قريباً من ٢٨١هـ إلى ٣٠٠هـ.

وعن هوية بني سعد هؤلاء من يكونون نقتبس بعض ما جاء في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق قال الشريف الإدريسي (٤٩٣-٥٦٠هـ) حيث يقول: ((والطائف على ظهر جبل غزوان وعلى ظهر جبل غزوان ديار بني سعد المضروب بهم المثل في كثرة العدد وبه جملة من قبائل هذيل)). إلى أن يقول: ((والغالب على نواحي مكة فيما يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل ومن غريبها قبيلة مدلج وغيرها من قبائل مضر))^(٣).

وقال ابن خلدون: قال السهيلي: حضن هو جبل متصل بجبل الطائف الذي أعلى نجد، تبيض فيه النور. وقال: وسكانه بنو جشم بن بكر، وهو أول حدود نجد. وأرض تهامة من الحجاز. وقال الأصفهاني في كتابه بلاد العرب العائد للربيع الأول من القرن الثالث: أما سعد بن بكر، فليست لهم أعداد، إنما مياههم أوшал، بمتزلة مياه هذيل، وهم جيران هذيل، إلا أنهم ربما جلسوا إلى فروع نجد. وهذيل لا تفارق تهامة^(٤).

قال ابن القيسراني^(٥) في ذكره لمن نسبه السعدي فذكر أنهم تسعة وهم كالاتي:

١- منسوب إلى سعد بن بكر بن هوازن، منهم عبدالله بن وقدان، يعرف بابن السعدي لأنه استرضع في بني سعد بن بكر، له صحبه وهو من بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب من قريش.

(١) تاريخ حلب لابن العديم.

(٢) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٢٨٨.

(٣) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

(٤) بلاد العرب للأصفهاني تحقيق الجاسر ود. صالح العلي دار البمامة، ص ١٣.

(٥) الأنساب المصنفة لابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧هـ في الصفحة ١٢١.

٢- سعد تميم وهو سعد بن زيد مناة بن تميم...

٣- سعد الأنصار...

٤- سعد جذام...

٥- سعد خولان...

٦- سعد نجيب...

٧- منسوب إلى سعد بن أبي وقاص...

٨- علي بن حجر السعدي من بني عبدشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم...

٩- سعد هذيم من قضاة...

انتهى.

وفي زيادات الحافظ محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد بن عمر أبي موسى الصبهاني على كتاب الأنساب المتفقة للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن المقدسي، قال^(١):

قال الطبراني وغيره: عطية السعدي من بني جشم بن سعد وهو سعد بن بكر بن هوازن الذي ابتداء فيه فلا يقال إنه سعد من أجل أنه ذكر أبا دون سعد.

ومن بني عبدشمس أيضاً حُتي بن غالب السعدي العبشمي، قاله أبو حاتم، فحصل ممّا ذكر ثمانية ولم يذكر بني سعد بن بكر، وإنما ذكر عبدالله بن وقدان من بني مالك بن حسل بن عامر بن لؤي من قريش يعرف بابن السعدي، لأنه استرضع في بني سعد بن بكر، والأولى بالظن حليلة ظن رسول الله ﷺ وعطية السعدي الذي ذكرناه أيضاً.

وذكر القيسراني فيمن يسمى بالعوفي: رهط عطية العوفي من بني سعد بن بكر بن هوازن، وهم حضنة رسول الله ﷺ^(٢).

مركز توثيق وتحرير علوم سعودي

خلافة جعفر المقتدر بن المعتض بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل

بويح المقتدر في اليوم الذي توفي فيه أخوه المكتفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥هـ وخلع في خلافته دفعتين، الأولى بابن المعتز والثانية بالقاهر، وكان مولده لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٢٨٢هـ. وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة إلا خمسة عشر يوماً. وكان أبيض مشرباً بحمرة حسن الخلق ضخيم الجسم بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر مدور الوجه قد كثر الشيب في وجهه.

ابتداء الخلافة الفاطمية بإفريقية

٢٩٦هـ في هذه السنة كان قيام دولة الفاطميين في إفريقيا، وقد تسموا بهذه التسمية نسبة إلى فاطمة

(١) المصدر نفسه ص ٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه ص ١٧١.

(بنت رسول الله ﷺ)، أي أنهم يدعون أنهم أولادها. وهناك من ينكر عليهم هذا النسب وهناك من يقر لهم به. قال المؤرخون عن بداية قيام دولتهم: دخل أبو عبدالله الشيعي داعية الفاطميين بإفريقيا على أبي نصر زيادة الله بن عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن الأغلب فهرب إلى مصر منه فانتقلت الدولة إلى بني عبيدالله العلوي مؤسس الدولة الفاطمية.

وفي كتاب المختصر لأبي الفداء قال: أول من ولي منهم أبو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل هو عبيدالله بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد اختلف في صحة نسبه، فقال القائلون بإمامته إن نسبه صحيح ولم يرتابوا فيه وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب إلى موافقتهم أيضاً ويشهد بصحته ما قاله الشريف الرضي:

ما مُقامي على الهوان وعندي مَقُولٌ صارمٌ وأئفٌ حَسِيٌّ
الْبَسَ الذَّلَّ في بلادِ الأعادي وبمصر الخليفة العلويُّ
مَنْ أبوه أبي ومولاه مَوْلَاي إذا ضامني البعيدُ القَصِيُّ
لَفَ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدَا النَّاسِ جَمِيعاً محمداً وعليَّ

وذهب آخرون إلى أن نسبهم مدخول ليس بصحيح وبالغت طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبهم في اليهود، فقالوا لم يكن اسم المهدي عبيدالله بل كان اسمه سعيد بن أحمد بن عبدالله القداح بن ميمون بن ديسان.

وقيل عبيدالله بن محمد.

وقيل فيه سعيد بن الحسن وإن الحسين المذكور قدم إلى سلمية فجرى بحضرته حديث النساء فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد بسلمية مات عنها زوجها فتزوجها الحسين بن محمد المذكور ابن أحمد ابن عبدالله القداح المذكور، وكان للمرأة ولد من اليهودي فأحبه الحسين وأدبه ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد إلى ابن اليهودي الحداد، وهو المهدي عبيدالله وعرفه أسرار الدعوة وأعطاه الأموال والعلامات فدعا له الدعوة. وقد اختلف المؤرخون كثيراً في قصة عبدالقداح بن ميمون بن ديسان المذكور.

وكان الخليفة المكتفي بالله قد ((أرسل في طلب المهدي هو وولده نزار اللذين هرباً إلى المغرب مع خاصتهم ومواليهم بعد أن كانت اليمن وجهته السابقة، وحين وصل المهدي إلى سجلماسة قبض عليه واليها وحبسه ولبث هناك إلى أن أخرجه عبدالله الشيعي.

ويقال إن أبا عبدالله الشيعي حين دخل السجن الذي حبس فيه عبيدالله وجد أن صاحب سجلماسة قد قتله (أي قتل المهدي) وأنه وجد في السجن رجلاً محبوساً فأخرجه للناس وقال: هذا هو المهدي! وأوصاه ألا يتكلم إلا بما أمره وإلا قتله، وربما لذلك بادر المهدي المزيف بقتل عبدالله الشيعي^(١)

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ١٤٨، راجع الدمشقي البداية والنهاية مجلد ١١ - ١٢ ص ١٨٠.

قال ضامن بن شدقم عن عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر الشاعر ابن محمد بن إسماعيل الأعرج ابن جعفر الصادق: ويقال لولده العبيديون، فمنهم ملوك المغرب، وخلفاء مصر، فأبو محمد عبيد الله خلف أبا علي ميمون المستنصر بالله، ثم أبو علي ميمون خلف أبا محمد عبيد الله المهدي لدين الله، فهو أول من تسلطن من هذا البيت المغرب، وكان أول ظهوره ليوم الأحد سابع ذي الحجة سنة ٢٩٦هـ، وفي شهر شوال سنة ٣٠٧ غلب على إفريقية من أعمال المغرب..^(١)

وقال السيوطي: لم أورد أحداً من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة لأمر: منها أنهم غير قرشيين، وإنما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام، وإلا فجدهم مجوسي. (قال القاضي عبد الجبار البصري): اسم جد الخلفاء المصريين سعد، وكان أبوه يهودياً حذاداً نشابة. (وقال القاضي أبو بكر الباقلاني): القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسياً ودخل عبيد الله المغرب، وادعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وسماهم جهلة الناس الفاطميين. (وقال ابن خلكان): أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر، حتى أن العزيز بالله بن المعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الآيات:

إِنَّا سَمِعْنَا نَسْباً مَنكَراً	يُثَلَّى عَلَى الْمَثْبَرِ فِي الْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدَّعِي صَادِقاً	فَاذْكُرْ أَباً بَعْدَ الْأَبِ السَّابِعِ
وَإِنْ تُرِذْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ	فَانْسَبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
أَوْ قَدَحِ الْأَنْسَابِ مَسْتَوِرةً	وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ
فَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ	يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ

وقال الإمام الذهبي: المحققون متفقون على أن عبيد الله المهدي ليس بعلوي. ومنها أن أكثرهم زنادقة....، ومنهم من أباح الخمر ومنها أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة، فلا تصح البيعة للإمامين. ومنها أن الحديث ورد بأن هذا الأمر إذا وصل إلى بني العباس لا يخرج عنهم حتى يسلموه إلى عيسى ابن مريم أو المهدي. انتهى كلام الإمام السيوطي^(٢).

هجوم أبي سعيد الجنابي على البصرة

٢٩٩هـ - ٣٠٠هـ (حملة أبي سعيد الجنابي على البصرة) كانت - كما ذهب غويه - بأمر الخليفة عبيد الله المهدي الفاطمي^(٣).

(١) تحفة الأزهار المجلد ٢ القسم ٢ ص ٨٢.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ت ٩١١ هـ ط ٤ م/ الفجالة الجديدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٣) قرامطة العراق محمد عبدالفتاح عليان.

أحداث القرن الرابع الهجري



مركز بحوث الدراسات الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٣٠٠هـ صلب الحسين بن منصور الحلاج لاتهامه بالكفر ورفضه التوبة.

٣٠١هـ في هذه السنة: ولى المُقتدر ابنه أبا العباس العهد، وهو الذي ولي الخلافة بعد القاهر وسمي بالرافضي، فولاه أبوه المُقتدر العهد وهو ابن أربع سنين وقلده مصر والمغرب، واستخلف له عليها مؤنساً الخادم، وولى ابنه الآخر علياً على الريّ ودنباوند وقزوين وأذربيجان وأبهر. وفيها: كثرت الأمراض الدموية بالناس في بغداد.

رسالة من ديوان الخلافة إلى قرامطة البحرين وصلت بعد موت أبي سعيد

حدث في آخر أيام أبي سعيد أن عمدت الخلافة العباسية إلى إرسال سفارة إلى قرامطة البحرين، وعندما وصلت هذه السفارة إلى البصرة علمت بمصرع أبي سعيد فراجعت علي بن عيسى وزير الخلافة فطلب منها الذهاب إلى الإحساء وتسليم الرسالة التي بحوزتها إلى خليفة أبي سعيد، ومما جاء في الرسالة: (زعمت أنك رسول المهدي، وقد قتلت العلويين وسبيت آل الأخضر العلويين ومن باليمامة واسترقت العلويات وغدرت بأهل البحرين).

فأجاب سعيد بن أبي سعيد: (إن أهل البحرين بغوا علينا وغدروا بنا وقالوا إنا نشترك في أزواجنا ونرى الإباحية وتعطيل الشريعة، وقد كذبوا علينا ونحن قوم مسلمون وما نحل من اتهمنا بغير الإسلام). وعلى هذا الأساس شجعت هذه الإجابة الوزير علي بن عيسى فكتب مجدداً يقول: (إن كتتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أسارى المسلمين). فاستجاب القرامطة.

رسالة سعيد بن أبي سعيد لـديوان الخلافة

((يسجل لنا ابن الجوزي في كتابه المنتظم تلك الرسالة التي - بعثها خليفة أبي سعيد الجنابي - تبدأ بحمد الله والصلاة على رسوله وتعظم الخليفة وتظهر عدل الوزير ثم يتطرق إلى الموضوع الرئيسي قائلاً:

(إننا لم نخرج من الطاعة ولكننا كنا قوماً مستورين فنقم علينا ذلك فجأر الناس من لا دين لهم فشنعوا

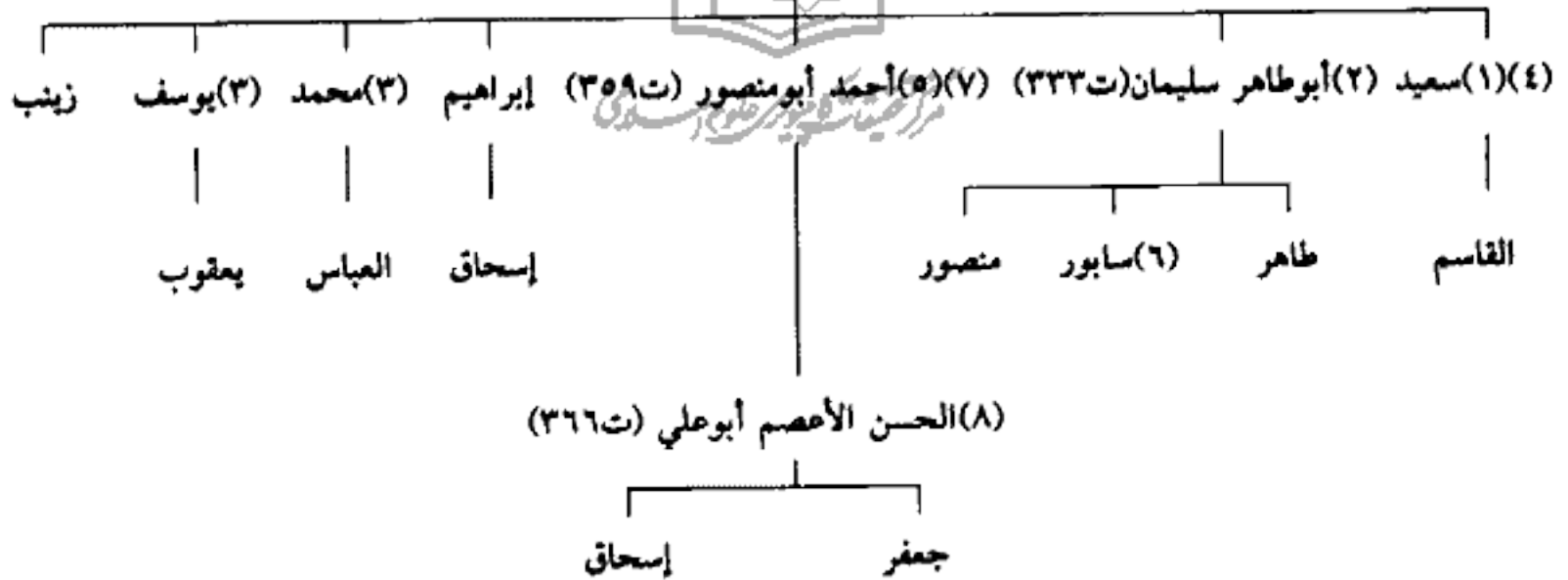
علينا وقذفونا بالكبائر، ثم خرجوا إلى سبنا وضربنا ثم نادوا (أجلناكم ثلاثة أيام فمن قام بعدها أحل بنفسه (العقوبة) فخرجنا فوثبوا علينا قبل الأجل وضربونا وأغرمونا الأموال، فسألناهم أن يؤمنونا على أنفسنا فلم يفعلوا، وأمر صاحب البلد بقتلنا فهربنا، فأخذوا حرمانا وسلبوهم سلباً قبيحاً وانتهبوا منازلنا، فلجأنا إلى البادية، فخرج ناس إلى المعتضد بالله فشنعوا علينا فصدق مقالهم وبعث إلينا من يخاصمنا فدافعنا عن أنفسنا فقويت وحشتنا من الخلق. وأما ما ادعي علينا من ترك الصلاة وغيرها فلا يجوز قبول دعوى إلا بينة، وإذا كان السلطان ينسبنا إلى الكفر بالله تعالى فكيف يسألنا أن ندخل في طاعته))^(١).

هذه الرسالة تضع أمامنا المشهد الذي اضطر أبو سعيد الجنابي إلى الخروج إلى البادية وكيف أنه ضرب وصودر وسب وطُرد، وكاد أن يُقتل لولا أنه هرب بأولاده وقومه، وهذا ما جعله ناقماً على الدولة وحاقداً عليها بسبب ما تعرض له من إهانة وتحقير، فبثّ دعوته في أهل البادية وخرج بهم على أهل البلد وانتصر عليهم تدفعه رغبته العارمة بالانتقام.

مقتل كبير القرامطة مؤسس الدولة

٣٠١ هـ قتل كبير القرامطة أبو سعيد الجنابي بن بهرام .. قتله خادمه بالحمام. يقول الأستاذ محمد عبد الفتاح عليان في كتابه قرامطة العراق: مقتل أبي سعيد الجنابي سنة ٣٠٢ هـ تم على يد خادم كان قد أخذه من الجيش العباسي، ومن المحتمل كثيراً أن يكون ذلك الاغتيال من تدبير الخلافة العباسية دون سواها، (وكان سنه يوم قتله نيفاً وستين سنة)^(٢).

أبو سعيد، أبو ربيعة الحسن بن بهرام



تَلَقَّبَ أولاد آل أبي سعيد بالسادة لادعائهم النسب العلوي

كان القرامطة من آل أبي سعيد يتلقبون باسم السادة^(١)، وذلك إشارة منهم بادعائهم إلى النسب العلوي الشريف، وقد رأيناهم بعد أن انضوا تحت راية الخليفة المطيع العباسي وأرادوا مهاجمة الدولة الفاطمية في الشام ومصر كيف أنهم كتبوا على راياتهم شعار: (السادة العائدون إلى الحق). فالحقيقة أن رؤساء القرامطة يدعون النسب العلوي رغم أن معظم المؤرخين والمحققين قد نسبوهم إلى غير ما ادَّعوه.

وقد قالت د. مَيَّ الخليفة: ((خلاقاً لجميع الحركات التي ظهرت آنذاك، فإن أبا سعيد لم يدَّعِ النسب العلوي، كما فعل صاحب الزنج وأبناء زكرويه ولم يعلن عن نفسه إماماً كما فعل علي بن الفضل في اليمن، وإنما اكتفى بلقب (سيد) وعلى هديه سار أتباعه...))^(٢). لكننا نخالف رأي الدكتور الخليفة ونقول الصحيح هو العكس، فقد ادَّعى أبو سعيد ومن جاء بعده النسب العلوي، فانظر على سبيل المثال سنة ٣١٨هـ عندما يقول محمد بن إياس في بدائع الزهور إن أبا طاهر (كان يدعي النسب العلوي)، ولكن لعلهم لم يطمحوا إلى ادعاء الإمامة أو الخلافة.

ودليل آخر على تسمي أولاد أبي سعيد بالسادة إشارة منهم إلى نسبهم العلوي الرفيع فقد وجد درهم ضرب بصحار في سنة ٣٥٨هـ كتب على الوجه: ((الله - محمد رسول الله - ﷺ - المطيع لله^(٣) - السادة^(٤) - عمر بن محمد^(٥))) وكتب على الظهر: ((لا إله إلا الله - وحده لا شريك له - ركن الدولة^(٦) - أبو علي - عضد الدولة^(٧) - أبو شجاع)).

حال قرامطة البحرين بعد وفاة كبيرهم

كان أبو سعيد الجنابي عهد لابنه الأكبر سعيد بالأمر بعده، فلم يستقم له الأمر، وثار عليه أخوه الأصغر أبو طاهر سليمان فقتله وقام بأمرهم وبنائمه القعدانية وجاءه كتاب عبيد الله المهدي بالولاية^(٨).

- (١) راجع سنة ٢٨١هـ من هذا الكتاب واقرأ كلام المقرئ في اتعاظ الحنفا وقوله في نسب أبي سعيد..
- (٢) من سواد الكوفة إلى البحرين لمي الخليفة ص ٢٤٤.
- (٣) المطيع لله هو الخليفة العباسي من سنة ٣٣٤-٣٦٣هـ.
- (٤) السادة: هو اللقب الذي تلقب به أولاد الحسن الجنابي، كتب على راياتهم ونقودهم بالشام وفلسطين بإضافة كلمة الرؤساء أحياناً.
- (٥) عمر بن محمد هو: أحد الولاة المباشرين لعمان وقد ذكر ابن الأثير أن أبا الفرج بن العباس عندما فارق عمان (٣٥٥هـ) أمر عليها عمر بن نيهان الطائي الذي يبدو أنه هو عمر بن محمد نفسه.
- (٦) ركن الدولة أبو علي هو حسن بن بويه أحد الإخوة الثلاثة الذين أسسوا الكيان البويه في الخلافة العباسية.
- (٧) عضد الدولة أبو شجاع هو: فناخسرو بن ركن الدولة، عهد إليه أبوه بعض المقاطعات، يذكر هنا اسمه ولياً لعهد والده ركن الدولة، وكانت عمان من ضمن المقاطعات الموكلة إليه (مجلة الواحة السعودية الصادرة ببيروت ٣١٤ ص ٢٠٠٣م عمان في عهد الدولة الجنابية بقلم محمود الهاجري ص ١٠).
- (٨) مخطوط: عقد اللاك في تاريخ أوام لمحمد علي التاجر الفصل ١٩.

العقدانية: أبرزهم حسب ما جاء في كتاب دي خويه عن وصف ابن حوقل^(١): الوزيران الأولان:

- ١- الحسين بن سنبر^(٢)، كبير إحدى العائلات المعروفة في القطيف.
- ٢- والد زوجة أبي سعيد^(٣).
- ٣- أبو طريف عدي بن محمد الغمر^(٤) (الذي أسر سنة ٣٢٢هـ).
- ٤- أبو الحسن بن أحمد بن بشر الحارثي^(٥) وزير العدل والشرطة.
- ٥- ثور بن ثور الكلابي^(٦) المشرف العام على إعداد السرايا التي كانت ترسل سنوياً إلى اتجاهات مختلفة.
- ٦- أبو الحسن علي بن عثمان الكلابي الذي كان يشغل منصب إدارة البريد.
- ٧- أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف باسم كشاجم وزير الدولة وهو شاعر ذائع الصيت وابنه نصر بن كشاجم (كاتب الحسن الأعصم).

تعيين أحمد بن هلال على عمان

٣٠٤هـ محمد بن نور بعد رحيله عيّن على عمان أحمد بن هلال^(٧).

ويذكر ابن الجوزي أن الأمير أحمد بن هلال أرسل هدايا ثمينة إلى الخليفة المقتدر في سنة ٣٠٥هـ وأرفقها بطلب لإرسال قوة عسكرية للمساعدة في صد الغزو المتوقع من جانب أعداء الإسلام الذين تحركوا من الإحساء للاعتداء على عمان، ومن ضمن الهدايا كما يقول السيوطي دمية تتكلم، وكانت تردد كلمات هندية وفارسية أفضل من البغواء. وقد بعث الخليفة بالقوة فوراً بحيث إن العملية القرمطية ضد عمان بقيادة أبي طاهر سليمان شقيق سعيد الأصغر فشلت مثل سابقتها، مما جعل القرامطة يصرفون النظر نهائياً عن عمان^(٨).

مركز تحقيق وتطوير علوم

رئاسة أبي طاهر سليمان بن الحسن على القرامطة

٣٠٥هـ خلع سعيد ليحل محله أخوه أبو طاهر سليمان.

وكان وزراء وأمراء الدولة العباسية هم الذين شجعوا أبا طاهر للتمرد والثورة على الخلفاء

- (١) راجع كتاب: من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٣٢٩.
- (٢) هو من قبيلة ثقيف على حسب ما ذكر المسعودي في التنبيه والأشراف.
- (٣) ذكر أن أخوال أبناء أبي سعيد من بني سنبر، وذكر أن أبا سعيد تزوج من قوم يقال لهم بنو القصار.
- (٤) لعله من الأشراف أبناء عبدالله الغمر بن الحسن المثنى.
- (٥) ربما يكون من القبائل الأزدية القحطانية العمانية.
- (٦) الخامس والسادس فإن هذين الاثنين من القبيلة نفسها بني كلاب وربما من بني الأضبط بالتحديد..
- (٧) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١٠٠.
- (٨) المصدر نفسه.

العباسيين، وخاصة الذين تشيعوا منهم، فقد بعث أفراداً من آل الفرات وبني القاسم الذين استبدلوا بالحكم أيام المقتدر بالله العباسي، وأظهروا التشيع فراسلوا أولاد أبي سعيد الجنابي بقولهم: أنتم خرجتم أيام المعتضد والمكثفي فلما صار الأمر إلى هذا الصبي - المقتدر - قعدتم، قوموا فنحن كتابه وأصحابه والدولة لكم^(١).

ويذكر (Zwemer) بأن أحد حكام الحسا القرامطة قام بسك عملة طويلة الحسا في عام ٩٢٠م وإن على جانبيها مكتوب بالخط الكوفي عبارة تكاد تكون ممسوحة هي ((محمد السعدي))^(٢).

انتقال أهل قران إلى البصرة بسبب ابن الأخيضر

٣١٠هـ تذكر المصادر التاريخية أنه في هذه السنة ((انتقل أهل قران^(٣) من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسماتهم وجذب أرضهم، فلما انتهى خبرهم إلى أهل البصرة سعى أبو الحسن أحمد بن الحسين بن المثنى في مال جمعه لهم فقروا به على الشخصوس إلى البصرة فدخلوا على حال سيئة فأمر لهم سبك أمير البصرة بكسوة ونزلوا بالمسامعة)).

نستدل من هذا الخبر إلى أن بني الأخيضر كانوا ما يزال حكمهم سارياً على اليمامة، ولم يتو نهائياً بمجرد هجوم أبي سعيد الجنابي عليهم في سنة ٢٨٧هـ تقريباً، عندما قتلوا في آل الأخيضر وسبوا العلويات، ومن المرجح أن الأخيضرين قد انضبوا تحت راية القرامطة بعد ذلك، بل إن أحد رؤسائهم قد سلم له أبو طاهر الكوفة وأصبح أميراً عليها تقديراً له على ما قام به من جهد وولاء.

هجوم القرامطة على البصرة

٣١١هـ قال المسعودي: ((أبو طاهر سار من الإحساء إلى البصرة في (٤٠٠ فارس) على أربعمئة حجرة لا حصان فيها و(٥٠٠ راجل) ودخلهم ليلاً^(٤) وقتلهم سبكاً المفلحي ومن قدروا عليه من أصحابه ومن ظهر لهم من الرعية، وذلك في ليلة الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣١١هـ وقيل بل ليلة الاثنين لست بقين، وكان مسيرهم من الإحساء إليها في ست ليال، وتهارب الناس منهم إلى الأبله والمفتح والشطوط والأنهار والجزائر وأقاموا في البلد (١٧ يوماً) ثم رحلوا عنها منقلبين بما احتملوا منها إلى بلدهم^(٥)، وحملوا على جمالهم ما قدروا عليه من الأمتعة والنساء والصبيان.

(١) القوى السياسية في كوت الإحساء - يوسف جعفر ص ١٨٤.

(٢) ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ألكسندر أداموف ترجمها عن الروسية د.هاشم صالح التكريتي بغداد، ط ١/ ١٩٨٢ ص ٦٨.

(٣) وادي قران، به قرية يقال لها قران، وبهذه القرية بنو سحيم، وأسفل منها قرية يقال لها ملهم. راجع: صفة جزيرة العرب للهمداني تحقيق الأكرع ص ٢٧٥.

(٤) كانت معه السلاالم الشعر، التي ألقاها على السور وصعد بها، فقتل خلقاً كثيراً، وأقام بالبصرة ١٨ يوماً يحمل منها ما يقدر على حمله.

(٥) التتية والإشراف للمسعودي ت ٣٤٥هـ مراجعة عبدالله الصاوي مكتبة الشرق الإسلامية بمصر ١٩٣٨م ص ٣٣٠.

وقعة الهبير

٣١٢هـ قال المسعودي: اعترض أبو طاهر الحاج في منصرفهم عن مكة بنواحي الهبير، مما يلي الثعلبية وهو في (٥٠٠ فارس) و(٦٠٠ راجل) وقتل من قتل من القواد وسائر الأولياء وغيرهم، وأسر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون أميرهم، وأحمد بن بدر العم، وأحمد بن محمد بن كشمرد، وغيرهم... وذلك في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢هـ^(١).

روايات أخرى لوقعة الهبير

قال الجزري: اعترض أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي الحج عند عودتهم من مكة بعد انقضاء الحج بالسرميل من الهبير في المحرم سنة اثنتي عشرة فأوقع بقافلة تقدمت هي معظم الحاج وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم فنهبهم، واتصل الخبر بياقي الحاج وهم يفيد فأقاموا بها حتى فني زادهم فارتحلوا، وكان أمير الحاج يومئذ أبو الهيجاء عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن حمدان، فأشار على الحاج بالعود إلى وادي القرى وأنهم لا يقيمون بفيد فاستطالوا الطريق ولم يقبلوا منه، فأوقع بهم القرامطة وأخذوهم وأسروا أبا الهيجاء ومن كان معه من القواد، مثل أحمد بن كشمرد ونحير وأحمد بن بدر عم والدة المقتدر، وأخذ أبو طاهر جمال الحاج جميعها، وما أراد من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان وعاد إلى بلاده هجر، وترك الحاج في مواضعهم، فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً ومن حرّ الشمس^(٢).

وقال شارح ديوان ابن المقرب ولم يحدد السنة: ((كان في الحاج يومئذ عشرون أميراً تحت كل أمير ألف فارس، وكان أمير الحاج يومئذ أبو الهيجاء بن حمدان ومعه من بني تغلب ألف فارس، ومن بني شيبان ألف فارس. فحين التقاهم جيش القرمطي وقد جعل لجيشه ميمنة وميسرة وقلباً وجعل يومئذ أبو الهيجاء لأصحابه ميمنة وميسرة وقلباً، فجعل جميع الأمراء ومن تحت أيديهم ميمنة وميسرة، وجعل نفسه والألفي فارس الذين من تغلب وشيبان قلباً وحمل بعضهم إلى بعض فانهزمت ميمنة أبي الهيجاء وميسرته، وهزم أبو الهيجاء والألف فارس الذين معه قلب عسكر القرمطي، فحين أمنت ميمنة أبي الهيجاء وميسرته في الهزيمة، عطف ميمنة القرمطي وميسرته على أبي الهيجاء فقتلوا منهم قتلى كثيرة وأسروا أبا الهيجاء وجماعة من أشرف قومه تغلب وشيبان وأسروا الوزير ابن أبي الساج^(٣))).

وقوع الأزهري عالم اللغة في أسر البدو

((الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهري الأزهري الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة... كان قد رحل وطاف في أرض العرب في طلب اللغة. وحكى بعض الأفاضل أنه رأى بخطه قال: امتحنت بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير وكان القوم الذين

(١) المصدر نفسه.

(٢) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزري ص ٢٣٣.

(٣) ديوان ابن المقرب ط. الباطين ج ٢ ص ٩١١.

وقعت في سهمهم عرباً نشؤوا في البادية يتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرتهم زمان القيظ ويرعون النعم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطباعهم، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في أسرهم دهرًا طويلاً، وكنا نشتي بالدهناء ونرتبع بالصمان ونقيظ بالستارين واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمّة ونوادير كثيرة أوقعت أكثرها في كتابي، يعني التهذيب وستراها في مواضعها. وذكر في تضاعيف كلامه أنه أقام بالصمان شتوتين.. وكانت ولادته سنة ٢٨٢هـ وتوفي في سنة ٣٧٠هـ في أواخرها وقيل سنة إحدى وسبعين بمدينة هراة.. والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة، ولهم مذهب مذموم، وكانوا قد ظهوروا في سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد بالله وطالت أيامهم وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل واستولوا على بلاد كثيرة وأخبارهم مستقصاة في التواريخ وكانت وقعة الهبير التي أشار إليها في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وكان مقدم القرامطة يوم ذاك أبا طاهر الجنابي القرمطي ولما ظهر على الحجاج قتل بعضهم واسترقّ آخرين واستولى على جميع أموالهم وذلك في خلافة المقتدر بن المعتضد^(١).

وذكر الأزهري في معجمه (تهذيب اللغة) قوله: كنت امتحنت بالإيسار سنة عارضت القرامطة بالهبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن، واختلط بهم أصرام من تميم وأسد نشأوا في البادية يتبعون الغيث أيام النجع ويرجعون إلى أعداد المياه في محاضرتهم زمان القيظ ويرعون الغنم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش فبقيت في أسرهم زمناً طويلاً. وكنا نشتي الدهناء ونرتبع الصمان. واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً.

القرمطي يطلب من الخليفة البصرة والأهواز

وفيها: أرسل القرمطي يطلب من المقتدر البصرة والأهواز. وذكر ابن حمدان أن القرمطي قتل من الحاج من الرجال ٢٢٠٠ ومن النساء ٣٠٠ وبقي عنده بهجر ٢٢٠٠ رجل و٥٠٠ امرأة^(٢). وبرأيي أن الذي جعل القرمطي يطلب من الخليفة توليته على البصرة والأهواز إضافة إلى ما تحت يده من حكم الإحصاء والقطيف هو أن الخلفاء فيما سبق يجعلون هذه الأماكن جميعها حسب التقسيم الإداري تحت ولاية رجل واحد وفي هذا الكتاب أمثلة كثيرة قد سبق ذكرها والإشارة إليها.

رسالة لأبي طاهر يرّد بها على تهديد الخليفة المقتدر بالله

رّد أبو طاهر القرمطي على رسالة من الخليفة العباسي المقتدر وجه فيها عدة اتهامات لأبي طاهر، فردّ عليه الأخير برسالة جاء فيها: ((بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين. من

(١) وفیات الأعيان ج ٦.

(٢) درر العقود الفريدة.

أبي طاهر الداعي إلى تقوى الله القائم بأمر الله الآخذ بآثار رسول الله ﷺ إلى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس. أما بعد: عرفك الله مرشد الأمور وجنبك التمسك بحبل الغرور. فإنه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك وذكرك ما وضعته من نظم كلامك ونمت به فخامة إعظامك من التعليق بالأباطيل والإصغاء إلى فحش الأقاويل من الذين يصدون عن السبيل فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك ونفاد منتهى طلبتك وتمكن أولياء الله من رقبتك وهجومهم على معاقل أوطانك صفراً وسيبهم حرملك قسراً وقتل جموعك صبراً أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون وجند الله هم الغالبون)).

((خبرني أيها المحتج لهم والمناظر عنهم في أي حد من كتاب الله أو أي خبر من رسول الله ﷺ إباحة شرب الخمر وضرب الطنبور وعزف القيان ومعانقة الغلمان! وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام واحتووها من وجوه الحرام)).

((وأما ما ذكرت من إحراق مساجد الأبرار فأني مساجد أحق بالخراب بأسانيد من مشايخ فجرة بما أجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة)).

((وأما ما ذكرت بأني تسميت بسمة عدوان فليس أعظم من تسميتك بالمقتدر بالله أمير المؤمنين، أي جيش صدمك فاقتدرت عليه أم أي عدو ساقك فابتدرت إليه، لأنك أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين، وإنك لتقلد بعض خدمك شيئاً من أمرك فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى فأني الأمرين أقرب للتقوى، أو ما علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم، وبعد مقالك والوعيد والإبراق والتهديد اعزم على ما أنت عازم وأقدم على ما أنت عليه قادم والله من ورائي ظهير وهو نعم المولى ونعم النصير والحمد لله وعلا وصلى الله على خير بريته وآل عترته))^(١).

اعتراض القرامطة للحجاج بزبالة

٣١٣هـ فيها اعتراض القرامطة حاج العراق، وكانوا في ألف فارس بزبالة وناوشوهم القتال، فقاتلهم أصحاب الخليفة وانهزموا ووضع القرامطة على الحجاج قطيعة أخذوها وكفوا عنهم، فساروا إلى مكة، كذا قال ابن الأثير، وقال ابن الجوزي: إن الحجاج رجعوا إلى بغداد ولم يحجوا، ولم يحج أحد في هذه السنة خوفاً من القرمطي^(٢)، وذكر المسعودي أن القرمطي كان في خمسمائة فارس وستمئة راجل^(٣).

احتلال القرامطة للكوفة وتولية الأخضر عليها

وفيهما في ذي القعدة: ((مسير أبي طاهر القرمطي إلى الكوفة وموافقته من كان بها من الأولياء الذين جردوا من الحضرة للقاءه وهم جعفر بن ورقاء الشيباني وجني الصفواني الخادم مولى ابن صفوان العقيلي، وثلث الخادم الدلفي، صاحب أنطاكية والثغور الشامية، وطريف السبكري الخادم وإسحاق بن

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٣٠٥.

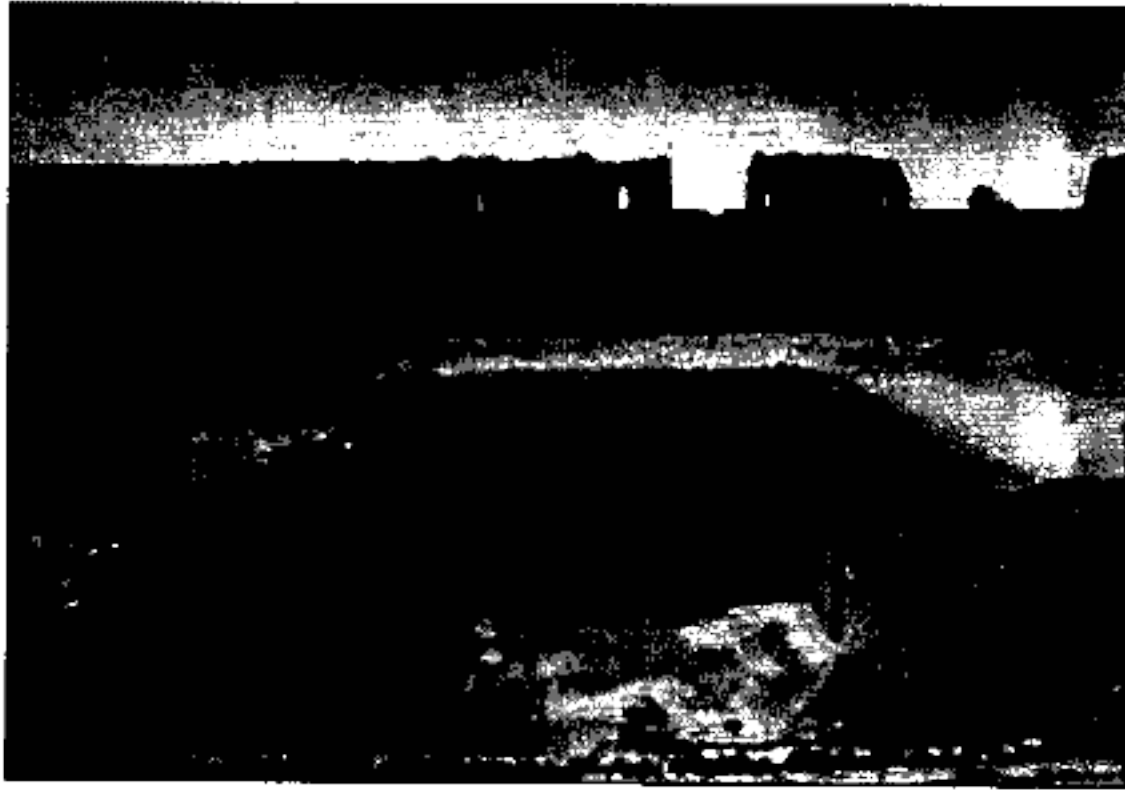
(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ / ج ٢ ص ٣٧١.

(٣) التنبية والإشراف للمسعودي ت ٣٤٥ هـ ص ٣٣٠.

شروين السبكري وغيرهم من رؤساء الأجناد وهزيمته إياهم وقتله من قتل منهم، وأسره جنياً الصفواني وغيره، وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة (٣١٣هـ). ثم مسيره عن الكوفة إلى الإحساء بالذرية والثقلة، وتسليمه البلد إلى إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالأخضر صاحب اليمامة ابن إبراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(١).

بناء حصن الأخضر في صحراء العراق

((عندما قام أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي بمهاجمة الكوفة ساعده عرب الأخضر باليمامة وعهد إليهم أبو طاهر ولايتها سنة ٣١٥هـ في حين أقام الأخضرىون حصناً في صحراء العراق يزاولون من خلاله الإشراف على سلطة القرامطة بالكوفة))^(٢).



٣١٤هـ فيها ردّ حاج خراسان من بغداد خوفاً من القرمطي، وتأخر الحاج من العراق خوفاً من القرمطي، فحج بالناس بمكة الحسن بن عبدالعزيز العباسي على قلة من الناس^(٣). وفيها بعث المقتدر سلامة الطولوني إلى مكة ليحضر علي بن عيسى بن الجراح وكان مجاوراً بمكة. وفيه نزع أهل مكة بأموالهم وأهاليهم من مكة خوفاً من القرمطي وقربه منهم^(٤).

(١) نفس المصدر ص ٣٣١.

(٢) محطات تاريخية لسعود الزيتون الخالدي ص ١٠٧.

(٣) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ / ج ٢ ص ٣٧٢.

(٤) نفس المصدر.

بناء مدينة الإحساء (المؤمنية) على يد أبي طاهر

وفيها وقع بين العقدانية وأهل البحرين خلاف، فخرج أبو طاهر وبنى مدينة الإحساء وسماها المؤمنية، فلم تعرف إلا بهذا الاسم، وبنى بها قصره وأصحابه حوله^(١).

استيلاء القرامطة على عُمان

٣١٥هـ في هذه السنة استولى أبو طاهر القرمطي على عمان، فهرب واليها في البحر إلى فارس^(٢).

وقعة أبي طاهر مع ابن أبي الساج

وفيها في شوال: ((أسر ابن أبي الساج - في يد سليمان بن الحسن القرمطي - واصطلم عسكره وأتى على أكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل مع تفرق كثير من أصحابه عنه في الطريق وتأخرهم عنه، وصاحب البحرين في نحو من ألفين من المقاتلة أكثرهم رجالة. ثم مسيره عن الكوفة حتى جاز الأنبار وقطع عدة من أصحابه الفرات إلى الجانب الشرقي، فقتلوا من كان في الأنبار من القواد منهم المعروف بالحارثي وبرغوث وابن بلال ومحمد بن يوسف الخزري وغيرهم من الأولياء، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي القعدة من هذه السنة))^(٣).

قال أيوب صبري: دخل يوسف بن أبي الساج المغرور بكثرة عساكره - أربعين ألفاً - وحاصر القرامطة - ألف وخمسمائة جندي منهم سبعمائة فارس - في موضع حصين ووجه سفيراً برسالة إلى أبي الطاهر ليحدثه عن كثرة جيشه ويوصيه فيها بالدخول في طاعة الخليفة، فقال أبو طاهر لأحد أتباعه: اقتل نفسك بسلاحك من أجلي، وبعد أن افتدى هذا الكلب أبا طاهر بالروح، قال للرسول: لقد رأيت بعينك كيف يطيعون أوامري!!، قل ليوسف أن يستعد، ويأذن الله ساقبض عليه غداً وأربطه مع الكلب في جبل واحد، وأشار إلى الكلب الذي كان مربوطاً بوثد خيعة.

وصرف الرسول، وفي غد ذلك اليوم استطاع أن يقبض على يوسف بن أبي الساج مع أتباعه، وربطهم في سلسلة ضخمة، وربط يوسف بجانب الكلب الذي أراه للرسول^(٤).

(١) مخطوط: عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل ١٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي ت ٣٤٥هـ ص ٣٣١.

(٤) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج ٢ ص ٨٥٦، وعن هذه الوقعة والتحركات التي تلتها قال ابن خلدون: خرج أبو طاهر سنة خمس عشرة وقصد الكوفة، وجاء الخبر إلى ابن أبي الساج فخرج من واسط آخر رمضان يسابق أبا طاهر إليها، فسبقه أبو طاهر، وهرب العمال عنها واستولى على الأتراك والعلوفات التي أعدت بها. ووصل ابن أبي الساج ثامن شوال بعد وصول أبي طاهر بيوم، وبعث يدعو إلى الطاعة للمقتدر، فقال لا طاعة إلا لله، فأذنه بالحرب وتزاحفوا يوماً إلى الليل. ثم انهزم أصحاب ابن أبي الساج وأسروا وركل أبو طاهر طبيباً يعالج جراحته، ووصل المنهزمون ببغداد فأرجفوا بالهرب، وبرز مؤنس المظفر لقصد الكوفة. وقد سار =

مسير أبي طاهر إلى زبارا على بعد يوم من بغداد

عودة إلى رواية المسعودي وترتيبه للأحداث: ((وخلف السواد والذرية وعبر في جريدة خيل من أصحابه إلى الأنبار، وسار عنها يريد الحضرة، حتى انتهى إلى النهر المعروف بزبارا فوق التل المعروف بعرقوف بفرسخ وذلك على بعض يوم من مدينة السلام، وكان مؤنس الخادم نصر، ونصر المعروف بالقشوري، وأبو الهيجاء عبدالله بن حمدان، وكان أطلقه وغيره ممن سمينا أنه أسر معه قبل رحيله لمواقعة ابن أبي الساج وسائر من كان بالحضرة من عساكر السلطان معسكرين على هذا النهر، فلما أحسوا بدنوهم قطعوا القنطرة التي عليها وصار النهر حاجزاً بين الفريقين فشرع قوم من رجالته فرموا بالنشاب، وذلك اليوم الثاني عشر والثالث عشر من ذي القعدة من هذه السنة ورجع يريد الأنبار))^(١).

لقاء أبي طاهر بيليق غلام مؤنس

((وبعث مؤنس غلامه يلبق في نحو من ثلاثة، وقيل من سبعة آلاف على طريق قصر ابن هيرة من طريق الكوفة، فعبروا على جسر الفرات المعروف بجسر سورا وساروا في البر ليخالفوه إلى سواده. وقد كان قوم من الأولياء، شرعوا في الماء، فأحرقوا الجسر الذي عقده، فحصل في الجانب الشرقي وسواده في الجانب الغربي.

وقيل إنه قطع الجسر عند عبوره، وتآدى إليه خبر يلبق فعبر الفرات في زورق عشرة عشرة من أصحابه، فيهم ثلاثة إخوة له، وعبر خلق سباحة فسبق إلى سواده. وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف، وكانا في السواد ابن أبي الساج حين بلغتهما قرب يلبق منهم، فلقي يلبق. فأتى على أكثر من كان معه ونجا يلبق منكسراً. وذلك يوم الأربعاء إحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة))^(٢).

مركز توثيق وتحرير علوم

مسير أبي طاهر إلى هيت

قال المسعودي: ((وسار إلى مدينة هيت في ثقلته فنزل عليها وحصرها - وأنا يومئذ بها منحدرًا من الشام أريد مدينة السلام - وعبر أصحابه الذين كانوا في جانب الأنبار على أطواف اتخذوها في الموضع

= القرامطة إلى عين التمر فبعث مؤنس من بغداد خمسمائة سرية ليمنعهم من عبور الفرات. ثم قصد القرامطة الأنبار ونزلوا غربي الفرات، وجاؤوا بالسفن من الحديثة، فأجاز فيهم ثلاثمائة منهم، وقاتلوا عسكر الخليفة فهزمهم واستولوا على مدينة الأنبار. وجاء الخبر إلى بغداد فخرج الحاجب في العساكر، ولحق بمؤنس المظفر واجتمعوا في نيف وأربعين ألف مقاتل إلى عسكر القرامطة ليخلصوا ابن أبي الساج، فقاتلهم القرامطة وهزمهم. وكان أبو طاهر قد نظر إلى ابن أبي الساج وهو يستشرف إلى الخلاص، وأصحابه يشيرونه، فأحضره وقتله وقتل جميع الأسرى من أصحابه، وكثر الهرج ببغداد، واتخذوا السفن بالانحدار إلى واسط ومنهم من نقل متاعه إلى حلوان.

(١) التنبية والإشراف ص ٣٣٢.

(٢) نفس المصدر ص ٣٣٢.

المعروف بقم بقة أسفل هيت، فاجتمعوا فيه فواقع أهل هيت يوم الأحد لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة ٣١٥هـ))^(١).

استيلاء القرامطة على الرحبة وقرقيسيا وبث السرايا

((وعاد إلى معسكره وارتحل عنها يوم الإثنين صبيحة الواقعة إلى ناحية رحبة مالك بن طوق وارتفعت من معسكره نار عظيمة عند السحر قبل رحيله، فظننا أنه يريد معاودة الحرب وإذا هو قد ضرب ثقلته بالنار لكثرة الذرية والثقله وقلة الظهر، وصار إلى الرحبة وعليها يومئذ أبو جعفر محمد بن عمرو التغلبي فافتتحها عنوة ونزلها وهي من الجانب الشامي، وقرقيسيا وهي من الجانب الجزري، وبث منها السرايا إلى النواحي، منها سرية إلى كفرنوثا ورأس العين ونصيبين عليها الحسين بن علي بن سنبر الثقفي، ومعاذ الأعرابي الكلابي، فأوقعوا بالأعراب من تغلب والنمر وغيرهم من الحاضرة))^(٢).

توجيه سرية إلى الرقة بقيادة ابن سنبر الثقفي ومعاذ الكلابي

((ووجه بسرية له في نحو ألفين، وقيل دون ذلك إلى الرقة، وهي على ثلاثين فرسخاً من الرحبة، وكان على السرية الحسين بن علي بن سنبر ومعاذ الكلابي أيضاً، وكان نزولهما عليها، لثمان بقين من جمادى سنة ٣١٦هـ، وأميرها غلام جني الصفواني، فكان القتال بينهم يوم الثلاثاء والأربعاء لخمس بقين من هذا الشهر، وانصرفوا في آخر يوم الأربعاء، وقد أصيب عدة من الفريقين، إلا أكثر منهم من السرية، راجعين إلى الرحبة))^(٣).

بناء دار الهجرة والدعوة إلى المهدي

قال ابن تغري بردي: ((في المحرم دخل أبو طاهر القرمطي الرحبة بعد حروب ووضع فيها السيف فبعث إليه أهل قرقيسيا يطلبون الأمان فأمنهم وبعث سراياه في الأعراب فقتلوا ونهبوا وسبوا ثم دخل قرقيسيا ونادى: لا يظهر أحد من أهلها نهراً. فلم يظهر أحد ثم توجه إلى العرقة فأخذها. ولما رأى الوزير علي بن عيسى أن الهجري - أعني القرمطي - استولى على البلاد استعفى من الوزارة. ولما رجع القرمطي من سفره بنى داراً وسماها دار الهجرة ودعا إلى المهدي العلوي وتفاقم أمره وكثر أتباعه فعند ذلك ندب الخليفة المقتدر هارون بن غريب وبعثه إلى واسط وبعث صافياً إلى الكوفة فوقع هارون بجماعة من القرامطة فقتلهم وبعث بجماعة منهم أسارى على الجمال إلى بغداد ومعهم ١٧٠ رأساً))^(٤).

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) النجوم الزاهرة ليوסף بن تغري بردي المتوفى سنة ٨٧٤هـ.

تحركاته حول هيت والكوفة والقادسية والبصرة والبحرين

قال المسعودي: ((وأقام صاحب البحرين بالرحبة يروي في نزول مدينة الرملة من بلاد فلسطين أو مدينة دمشق فيما حكى، ثم عمل على الرجوع إلى بلده لأمر قد ذكرناها في غير هذا الموضع من أخبارهم، فسار عن الرحبة في أول شعبان سنة ٣١٦هـ في البر والماء منحدداً في الفرات، وكان مقامه في الرحبة إلى أن خرج عنها نحواً من سبعة أشهر، فنزل على هيت ثانية فقاتلهم قتالاً شديداً في الماء والبر، ولم يكن معه في الأولى سفن، ثم انحدر عنهم وسار إلى ناحية الكوفة والقادسية، وامتنار واجتاز بظاهر البصرة وعاد إلى البحرين، وذلك في آخر المحرم وأول صفر سنة ٣١٧هـ))^(١).

قصيدة أبي طاهر عند عودته إلى هجر

كان أبو طاهر على يقين من ضعف الخلافة العباسية لذلك كان يأمل في الاستيلاء على العراق وغيره من الأقطار الإسلامية وإقامة الدعوة للمهدي في هذه الأقطار، يتضح ذلك من قوله حين عاد إلى هجر^(٢):

أَغْرَكُم مِّنِّي رُجُوعِي إِلَى هَجَرٍ	فَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يَأْتِيَكُمُ الْخَبِيرُ
إِذَا طَلَعَ الْمَرِيخُ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ	وَقَارَنَهُ النُّجُومَانِ فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ
فَمَنْ مُبْلَغُ أَهْلِ الْعِرَاقِ رِسَالَةً	بِأَنِّي أَنَا الْمَرْهُوبُ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرُ
فَيَا وَيْلَهُمْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدَ وَقْعَةٍ	يُسَاقُونَ سَوْفَ الشَّاءِ لِلذَّبْحِ وَالْبَقَرُ
سَأَصْرِفُ خَيْلِي نَحْوَ مَضَرٍ وَبُرْقَةٍ	إِلَى قَيْسَرَوَانَ الثُّرُكِ وَالرُّومِ وَالْخَزَرِ
أَكْبِلُهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى أُبِيدَهُمْ	فَلَا أَبْقِي مِنْهُمْ نَسْلَ أَنْثَى وَلَا ذَكَرُ
أَنَا الدَّاعِ لِلْمَهْدِيِّ لَا شَكَّ غَيْرُهُ	أَنَا الصَّارِمُ الضَّرْعَامُ وَالْفَارِسُ الذُّكُرُ
أَعْمُرُ حَتَّى يَأْتِيَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ	فَيَسْخَمُدُ آثَارِي وَأَرْضِي بِمَا أَمُرُ ^(٣)

وهذه أبيات أخرى قالها سليمان أبو طاهر يتغنى بها وهو عائد إلى هجر يسخر فيها من مؤنس قائد الخليفة:

قُولُوا لِمُؤْنِسِكُمْ بِالرَّاحِ كُنْ أَيْسَأُ	وَأَسْتَشْبِعِ الرَّاحَ سَرْنَايَا وَمِزْمَارَا
وَقَدْ تَمَثَّلْتُ عَنْ شَوْقِي تَقَادَفَ بِي	بَيْتاً مِنَ الشُّعْرِ لِلْمَاضِينَ قَدْ سَارَا

(١) التبيه والإشراف للمسعودي ص ٣٣٤.

(٢) قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين: لمحمد عبدالفتاح عليان.

(٣) هذه القصيدة تتبعها في أكثر من مصدر وأخرجتها بهذا الشكل بعد أن كانت أبياتاً متفرقة. وقد ذكر بعض أبياتها ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة حين قال: ((وكان أبو طاهر المذكور مع قلة دينه عنده فضيلة وفصاحة وأدب)) ثم ذكر القصيدة.

((تَزُورُكُمْ لَا تُؤَاخِذُكُمْ بِجَفْوَتِكُمْ إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا لَمْ يُسْتَرْزَ زَارًا))
وَلَا تَكُونُ كَأَنْتُمْ فِي تَخْلُفِكُمْ مَنْ عَالَجَ الشَّقْوَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَ^(١)

فرض الإتاوة على أعراب الجزيرة قبل العودة إلى هجر

((خرجت العساكر من بغداد لدفاع القرمطي مع مؤنس المظفر وهارون بن غريب الحال فلم يطبقوا دفاعه، وتوافقوا ثم تحاجزوا، وعاد مؤنس إلى بغداد، وسار هو إلى الرحبة واستباحها ودوخ بلاد الجزيرة بسراياه، وسار إلى هيت والكوفة، وقاتل الرقة فامتنعت عليه، وفرض الإتاوة على أعراب الجزيرة يحملونها إلى هجر، ودخل في دعوته جماعة من بني سليم بن منصور وبني عامر بن صعصعة، وخرج إليه هارون بن غريب الحال فانصرف أبو طاهر إلى البرية، وظفر هارون بفريق منهم فقتلهم وعاد إلى بغداد، وفي سنة سبع عشرة هجم على مكة^(٢))).

ظهور القرامطة النفلية بسواد الفرات

((شجعت الاضطرابات التي أثارها أبو طاهر القرمطي في جنوب العراق أنصار عبدان ويطلق عليهم غريب بن سعد، فتجمعوا من جديد حول زعيمين يدعى أحدهما عيسى بن موسى، وهو ابن أخت عبدان، والآخر حريث بن مسعود. وكانوا من الكثرة بحيث إن ما تجمع حول حريث بن مسعود وحده كان يزيد على عشرة آلاف. وظهر قرامطة يعرفون بالنفلية بسواد الفرات ومعهم قوم من الأعراب من بني رفاعة وذهل وعبس، وأفسدوا، وكان عليهم رؤساء منهم يقال لهم عيسى بن موسى، ابن أخت عبدان القرمطي، وحريث بن مسعود فأوقعوا وقائع عظيمة وأخذوا الجزية ممن خالفهم على رسوم أحدثوها^(٣))).

خلع المقتدر بالله ومبايعة القاهر بالله

٣١٧هـ قال ابن خلدون: في شهر محرم، لما جاء مؤنس إلى الدار هرب ابن ياقوت وسائر الحجة والخدم والوزير وكل من بالدار، ودخل مؤنس فأخرج المقتدر وأمه وولده وخواص جواريه، فنقلهم إلى داره واعتقلهم بها، وبلغ الخبر هارون بن غريب بقطر بل، فدخل إلى بغداد واستتر، ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن المعتضد، وبايعوه ولقبوه القاهر بالله. وأحضروا القاضي أبا عمر المالكي عند المقتدر للشهادة عليه بالخلع، وقام ابن حمدان يتأسف له ويكي ويقول: كنت أخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل، وآثرت قول الخدم والنساء على قلبي، ومع هذا فنحن عبيدك وخدمك. وأودع كتاب الخلع عند القاضي أبي عمر، ولم يظهر عليه أحداً حتى سلمه إلى المقتدر بعد عوده، فحسن موقع ذلك منه وولاه القضاء، ولما تم الخلع عمد مؤنس إلى دار الخليفة فنهباها، ومضى ابن نفيس إلى تربة أم المقتدر فاستخرج من بعض قبورها ستمائة ألف دينار وحملها إلى القاهر.

(١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٢٨٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون.

(٣) راجع تاريخ الطبري.

تعلق القاهر بابن حمدان لإنجاده وعودة المقتدر للخلافة

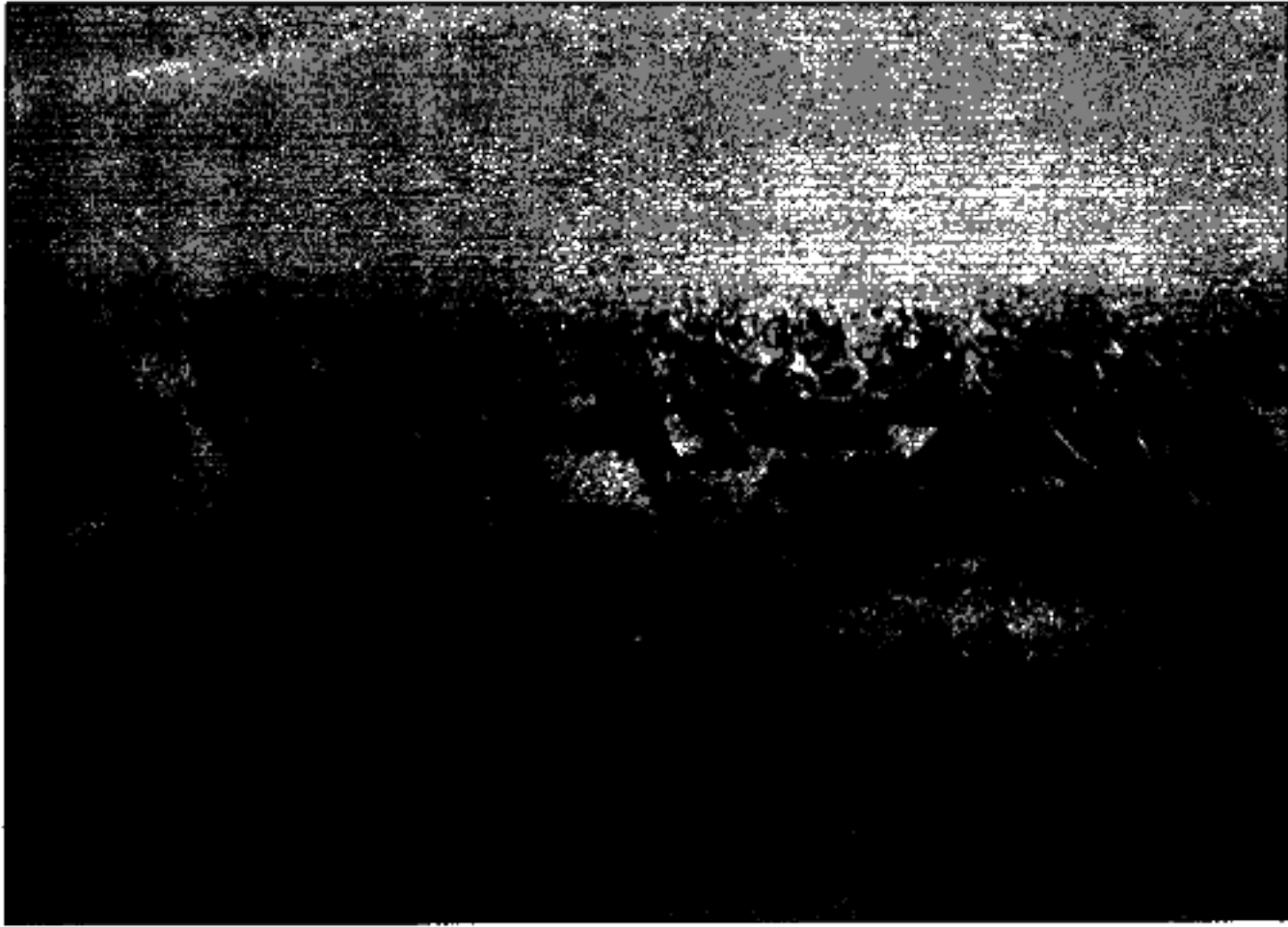
ثم يضيف ابن خلدون في وصف تلك الأحداث قوله: وقصد أبو الهيثم حمدان الفرات فتعلق به القاهر واستقدم به فقال له: اخرج معي إلى عشيرتي أقتل دونك، فوجد الأبواب مغلقة فقال له ابن حمدان: قف حتى أعود إليك، ونزع ثيابه ولبس بعض الخلقان، وجاء إلى الباب فوجده مغلقاً والناس من ورائه، فرجع إلى القاهر وتمالاً بعض الخدام على قتله، فقاتلهم حتى كشفهم ودخل في بعض مسارب البستان، فجاؤوه فخرج إليهم فقتلوه وحملوا رأسه، وانتهى الرجال إلى دار مؤنس يطلبون المقتدر، فسلمه إليهم وحملوه على رقابهم إلى دار الخلافة، فلما توسط الصحن المنيعي اطمأن وسأل عن أخيه القاهر وابن حمدان، وكتب لهما الأمان بخطه، وبعث فيهما فقيلاً له إن ابن حمدان قد قتل، فعظم عليه وقال: والله ما كان أحمد بسيف في هذه الأيام غيره، وأحضر القاهر فاستدناه وقبل رأسه، وقال له لا ذنب لك ولو لقبوك المقهور لكان أولى من القاهر، وهو يبكي ويتطارع عليه حتى حلف له على الأمان، فانبسط وسكن.

٣١٧هـ ذكر ابن الأثير: ((أن القاهر حينما تولى الخلافة لأول مرة بعد المقتدر سنة ٣١٧هـ أقطع أبا الهيثم مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان وحلوان والدينور وهمدان وكنكور وكرمان وشاهان والراذات ودقوقي وخانيخار ونهاوند والصميرة والسيروان وماسبذان وغيرها)). ومن هذا الخبر يتضح لنا حدود الدولة الحمدانية كيف توغلت بحدودها لتشغل أجزاء كبيرة من الإقليم الفارسي الشمالي.

هجوم القرامطة على مكة المشرفة والدعوة للمهدي

٣١٧هـ خرج الحج من بغداد إلى مكة وهم سالمين فلحقهم أبو طاهر بمكة يوم التروية قبل طلوعهم عرفات بساعات، فقاتله أمير مكة ومن معه ولم يكن إلا القليل حتى هزمهم وأعمل فيهم السيف ونهب





الحجيج وقتلهم في المسجد الحرام وفي البيت نفسه ورمى مئذنت القتلى في بئر زمزم وخلع باب الكعبة ووقف يلعب بسيفه على باب الكعبة وهو يقول:

أَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِلَهُهُ أَنَا يَخْلُقُ الْخَلْقَ وَأُقْضِيهِمْ أَنَا

وأخذ كسوة الكعبة فقسمها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة وخلع الحجر الأسود من البيت فوضعه على سبعين جمل فسيرهم به وهم يضربون من ثقله إلى هجر فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبدالله العلوي الفاطمي بإفريقية كتب إليه ينكر عليه فعلته.

وفي اليوم السابع من ذي الحجة، وأقامهم صاحب البحرين عدو الله أبو طاهر سليمان بن أبي ربيعة الحسن القرمطي مكة، في تسعمائة من أصحابه، وقتل في المسجد الحرام ألفاً وسبعمائة وقيل ثلاثة عشر ألفاً من الرجال والنساء.

وقتل في سكك مكة وظاهرها وشعابها من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفاً وشيء من الناس والصبيان مثل ذلك، فكان ممن قتله بمكة أميرها ابن محارب^(١).

ذكر ابن الأثير أن أمير مكة هو ابن محلب، قال: ((فخرج إليه ابن محلب أمير مكة في جماعة من الأشراف فسأله في أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم أجمعين، فلما بلغ ذلك أبا محمد عبيدالله العلوي بإفريقية كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ويقول: قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت، وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وترد الحجر الأسود إلى مكانه وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة)).

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١٩٨٣ ص ٥٠٨-٥٠٩.

قال ابن شدقم: شرع مع أصحابه بضرب رقاب العالم، فالذي قتل ألف وسبعمائة رجل، قيل بل ثلاثة عشر ألف رجل فمنهم الشيخ علي بن بابويه القمي قطع أطرافه وهو يقول:

تَرَى الْمُجَبِّينَ صَرَعَى فِي دِيَارِهِمْ كَفْتِيَةَ الْكَهْفِ لَا يَذُرُونَ كَسْمَ لَيْثُوا
وأراد أخذ المقام قدمه أهل مكة في شعابها، ثم قال: يا حمير أين ما قلتم ومن دخله كان آمناً؟
فرايتهم أنني قد دخلته وفعلت ما أردت وما رأيت منكم من تعرض لي؟ فقال رجل: ليس معنى الآية
الشريفة كما ذكرت، وإنما المراد بقوله «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» أي آمنه. فلم يلتفت إليه. وخطب لعبدالله
المهدي ومضى بالحجر الأسود إلى هجر معتقداً أن العالم يأتونه فيحجونه، فهلك تحته أربعون بغيراً^(١)
فلم تزل العالم تأتي إلى حج بيت الله الحرام، ولم يمض إلى هجر سوى العوام والجهال^(٢).

وقعة هذيل مع القرامطة أثناء رجوعهم

قال المسعودي: ((وجرد البيت مما كان عليه من الكسوة، وحمل ذلك على خمسين جملًا إلا ما أصابه الدم عن عوذ الناس به فإنه ترك، وذلك يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣١٧هـ، وكان مقامهم بمكة ثمانية أيام يدخلونها غدوة ويخرجون منها عشياً يقتلون وينهبون، ورحل عنها يوم السبت من هذا الشهر، وعرضت له هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر وهم رجالة في المضايق والشعاب والجبال وحاربوه حرباً شديداً بالنبل والخناجر ومنعوه من المسير واشتبهت عليهم الطرق فأقاموا بذلك ثلاثة أيام حائرين بين الجبال والأودية.

وتخلص كثير من النساء والرجال المأسورين واقتطعت هذيل مما كان معهم ألوفاً كثيرة من الإبل والثقل، وكانت ثقلته على نحو مائة ألف بغير عليها أصناف المال والأمتعة إلى أن دلّه عبد أسود من عبيد هذيل يقال له زياد استأمن إليه على طريق سلكه فخرج عن المضايق وسار راجعاً إلى بلده)).

نهاية دولة الأخيضرين في اليمامة

تذكر بعض المصادر التاريخية أن نهاية دولة آل الأخيضر كانت في سنة ٣١٧هـ، وقيل ٣٢٥هـ، إلا أن الرحالة ناصر خسرو عندما مرّ باليمامة خلال رحلته في سنة ٤٤٣هـ قال عنها: (وأمرؤها علويون منذ القديم) وإنهم على مذهب الزيدية.

ادعاء أبي طاهر سلمان بن الحسن النسب العلوي

يقول ابن إلياس: في دولة الخليفة القاهر بالله.. تغلبت على الخلفاء طائفة من العربان يقال لهم القرامطة، وكان أميرهم يدعى أبا طاهر القرمطي وكان يدعي أنه علوي من أولاد الإمام علي عليه السلام وكان يقول نحن أفضل من بني العباس، وكانت هذه القبيلة دون الألف إنسان، وكان أبو طاهر القرمطي خارجياً سفاكاً للدماء جاهلاً وكان القرامطة يسكنون بهجر^(٣).

(١) أي أن الجمل يموت تلو الآخر عندما يوضع على ظهره الحجر، فنفتت جمال كثيرة.

(٢) راجع: تحفة الأزهار لضمّن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٤١٦.

(٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إلياس الحنفي ط ١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى.

استيلاء القرامطة على الريزة وتخريبها

٣١٩هـ كانت الريزة في الأصل قرية مشهورة، وقد استولى عليها القرامطة في سنة ٣١٩هـ وخربوها وأجبروا أهاليها على الهجرة.

((وسبب استيلاء القرامطة على الريزة: كان بدعوة أهالي قرية ضرية^(١) للقرامطة، لأن الحروب كانت متوالية ومستمرة بين سكان قريتي الريزة وقرية ضرية وكان النصر دائماً بجانب أهل الريزة. ولما رأى سكان ضرية أن الانتصار على أهل الريزة مستحيل، طلبوا العون من القرامطة، وكان القرامطة يريدون أن يستولوا على الحرمين المحترمين، ولما ساعدوا أهالي قرية ضرية بسوق كتائبهم، فاضطر أهل قرية الريزة إلى ترك قراهم وهاجروا إلى أماكن أخرى ولم يعودوا إليها بعد))^(٢).

تخريب الكوفة أيضاً على يد القرامطة

٣١٩هـ أغار أبو طاهر القرمطي على الكوفة وهدد بغداد ثم رجع إلى بلاده وهو ينشد:

أَغْرَكُم مِّنِّي رُجُوعِي إِلَى مَجَرٍّ فَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يَأْتِيَكُمُ الْخَبَرُ

الآيات المعروفة^(٣). قال المقرئ: فلما كان في رمضان سنة (٣١٩هـ) سار إلى الكوفة، فعاث عسكره في السواد وأسروا خلقاً، واشتروا أمتعة، ورجعوا بعد خمسين ليلة أقاموا بها إلى بلدهم.

وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركباً فوضعوا السيف في أهل الساحل، ولم يلقوا أحداً إلا قتلوه من رجل وامرأة وصبي، فما نجا منهم إلا من لحق بالجمال، وسبوا النساء واجتمع الناس، فقتلوا منهم في الحرب معهم خلقاً كثيراً وأسروا جماعة ثم تحاملوا عليهم وتبادوا بالشهادة، وجدوا فقتلوا أكثرهم، وأخذوا جميع من بقي أسراً بحيث لم يفلت منهم أحد، وحملت الأسرى إلى بغداد مع الرؤوس وهم نحو المائة رجل ومائة رأس فحبسوا ببغداد، ثم خلصوا وصاروا إلى أبي طاهر^(٤).

استشهاد المقتدر بن المعتض وخلافة القاهر بن المعتض

٣٢٠هـ وقع بين مؤنس والمقتدر بالله أبي الفضل جعفر حرب خرج فيه المقتدر فتوغل في المعركة فضربه بربري من خلفه فسقط على الأرض، فقال لضاربه: ويحك أنا الخليفة! فقال: أنت المطلوب. وذبحه بالسيف ورفع رأسه على الرمح وسلب ما على بدنه وبقي مكشوف العورة حتى ستر بحشيش، ثم

(١) راجع كلامنا في بداية الدولة العباسية: من أن أول خليفة عباسي قد أقطع ضرية لبني جعفر بن كلاب، ثم باعوها وصارت في يد بني جعفر بن سليمان بن عبدالله بن العباس، ويقول أبو علي الهجري: فعامتها اليوم لولد سليمان بن جعفر العباسيين. فعلى هذا الأساس فإن سكان ضرية هم بنو جعفر الكلابيين وبنو جعفر العباسيين، والفرق بينهما أن الكلابيين قبيلة والعباسيين عائلة..

(٢) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري باشا ج ٤ ص ٨٣٩.

(٣) انظر مجلة الوثيقة عدد ١ سنة ٨٢ قرامطة البحرين ص ١٦٥.

(٤) اتعاظ الحنفا للمقرئ د. الشيال ط ١٩٦٧ م ص ١٨٢.

حفر له مكانه فدفن وعفي أثره. وكانت وفاته لثمان بقين من شوال سنة ٣٢٠هـ ومدة خلافته أولاً وثانياً وثالثاً (٢٥ سنة) إلا أياماً، وعمره (٣٨ سنة وشهر ونصف)^(١).

وبويع محمد القاهر بن المعتضد ليلتين بقيتا من شوال ٣٢٠هـ وكان مولده سنة ٢٨٧هـ ومدة خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام، ثم أجمعوا على خلع القاهر، واتفق بليق وابنه علي وابن مقله والحسن بن هارون على البيعة لأبي أحمد بن المكتفي فبايعوه، وحلفوا له وأطلعوا مؤنساً على ذلك، فأشار بالمهل وتأنيس القاهر حتى يعرفوا من واطأه من القواد والساجية والحجرية، فأبوا وهونوا عليه الأمر في استعجال خلعه فأذن لهم، فأشاعوا أن أبا طاهر القرمطي ورد الكوفة، وندبوا علي بن بليق للمسير إليه ليدخل للوداع ويقبض على القاهر. وكان القاهر رجلاً ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، أسمر معتدل الجسم أصهب الشعر، طويل الأنف، في مقدم لحيته طول لم يشب.

وبعث القاهر إلى مؤنس بالحضور عنده ليطالعه برأيه فأبى فعزله، وولى طريفاً السيكري مكانه وأعطاه خاتمه وقال: قد فوضت إلى ابني عبد الصمد ما كان المقتدر فوضه إلى ابنه محمد، وقلدتك خلافته ورياسة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال، كما كان مؤنس وامنض إليه واحمله إلى دار الخلافة مرفهاً عليه لئلا يجتمع إليه أهل الشر ويفسد ما بيننا وبينه. فسار طريف إلى مؤنس وأخبره بأمان القاهر له ولأصحابه، وحمله على الحضور عنده وهون عليه أمره، وأن القاهر لا يقدر على مكروهة. فركب وحضر فقبض عليه القاهر وحبسه قبل أن يراه، وندم طريف على ما فعل، واستوحش.

- وطلب أبا أحمد بن المكتفي فظفر به، وبني عليه حائطاً فمات.

- فعمد القاهر إلى بليق في محبسه وأمر به فذبح وحمل الرأسين إلى مؤنس، فلما رآهما مؤنس استرجع ولعن قاتلهما فأمر به فذبح وطيف بالرؤوس.

خلع القاهر وخلافة أحمد الرازي بن المقتدر

٣٢٢هـ قال ابن خلدون: سيما رئيس الساجية، ارتاب بالقاهر وجمع أصحابه وأعطاهم السلاح، وبعث إلى الحجرية فجمعهم عنده وتحالفوا على خلع القاهر، وزحفوا إلى الدور وهجموا عليه، فقام من النوم ووجد الأبواب مشحونة بالرجال، فهرب إلى السطح ودلهم عليه خادم فجاؤوه واستدعوه للنزول فأبى فتهددوه بالرشق بالسهام، فنزل وجاؤوا به إلى محبس طريف السيكري، فحبسوه مكانه وأطلقوه حتى سمل بعد ذلك، وذلك لسنة ونصف من خلافته. وهرب الخصيي وزيره وسلامة حاجبه. وقد قيل في خلعه غير هذا. ولما قبض القاهر بحثوا عن أبي العباس بن المقتدر وكان محبوساً مع أمه فأخرجوه وبايعوه وبعث القضاة إلى القاهر ليخلع نفسه، فأبى فسمل.

وفي رواية أخرى: ركبوا معه وصاروا إلى الدار ورتب على أبوابها غلماناً، ووقف هو على باب العامة، وأمر بالهجوم فهجموا كلهم من سائر الأبواب في وقت واحد، فبلغ الخبر الوزير الخصيي،

(١) سبط النجوم العوالي م ٣ ص ٤٩٠.

فخرج في زي امرأة واستتر، فلما دخلوا على القاهر، هرب إلى سطح الحمام فاستتر فيه، فوجدوه وقبضوا عليه، وصاروا به إلى موضع الحبوس فحبسوه، واكلوا بباب البيت جماعة.

وبويع أحمد الراضي بن المقتدر لست خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ وكان مولده في رجب ٢٩٧هـ وكانت خلافته ست سنين وثمانية أشهر وعشرة أيام. وأمه أم ولد يقال لها ظلوم، وكان قصير القامة نحيف الجسم أسود الشعر رقيق السمرة في وجهه طول^(١).

اعتراض القرامطة للحاج على الجابرية في ثاج

٣٢٢هـ رغبة من أبي طاهر في استعادة ثقة الناس به ورفع معنوياتهم استأنف نشاطه العسكري، فحاول غزو مدن الساحل الشرقي كما عاود اعتراض الحجيج فتصدى لهم (بالجابرية)^(٢) في ٢٢ شوال سنة ٣٢٢ فظفر بعدة قوافل ونهب ما معها من النقائس والأموال.

وفيها حج بالناس قاضي مكة على حاله، وأرسل حاجب الخليفة إلى أبي طاهر يسأله الكف عن الحاج جميعهم وأن يرد الحجر الأسود إلى موضعه، فأجاب: ...، وساروا إلى مكة وعادوا ولم يتعرض لهم القرامطة، ولم يجب على رد الحجر الأسود^(٣).

٣٢٣هـ حج بالناس قاضي مكة على حاله، وبطل الحج من بغداد لاعتراض القرمطي لهم في الطريق فيما بين القادسية والكوفة واستيلائه على أمتعة الناس وأعمالهم، فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبي طاهر القرمطي وسألوه أن يكف عن الحج فكف عنهم، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا ولم يحج من العراق أحد^(٤).

حكام الاقاليم في هذه السنين

٣٢٤هـ قطع ابن رائق حمل واسط والبصرة وقطع البريدي حمل الأهواز وأعمالها، فضاقت أموال بغداد وعجز أبو جعفر الوزير فعزلوه...، واستوزروا سليمان بن الحسن ودام الحال توفقه.... ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم فيها لابن رائق وليس للخليفة فيها حكم، وأما باقي الأطراف: فكانت البصرة في يد ابن رائق المذكور، وخوزستان في يد البريدي، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه، وكرمان في يد أبي علي محمد بن الياشي والري وأصفهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ويد شمكير ابن زياد أخي مرداويج يتنازعان عليها، والموصل وديار بكر ومصر وربيعة في يد بني حمدان، ومصر

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٣٥١.

(٢) الجابرية: هي السودة ذكرها شارح ديوان ابن المقرب ج ٢ ص ١٠٣٤ وهي معروفة وتجمع أرضاً متسعة من أرض عامر، كثيرة المياه وبها زرع وعليها حصون وفيها من الخيل والإبل ما لا يحصى عددها، وملكها محمد بن منصور الجابري، وهو ذو قوة في زمانه.

(٣) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١ ص ٥١٧.

(٤) المصدر نفسه.

والشام في يد الإخشيد محمد بن طنج، والمغرب وإفريقيا في يد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي. ((وفيها عاثت العرب من بني ثُمير وقُشير وملكوا ديار ربيعة ومضر وشنوا الغارات وقطعوا السُّبُل وخلت المدائن من الأقوات لضعف أمر الخلافة، لأن الخليفة الراضي صار مع ابن رائق كالمحجور عليه))^(١).

رحيل بني كلاب من نجد إلى الشام

٣٢٤هـ ولي حلب أبو العباس أحمد بن سعيد بن العباس الكلابي ومدحه أبو بكر الصنوبري وكان بها نائباً عن أبي بكر الإخشيد محمد بن طنج. قال ابن العديم في تاريخ حلب: وفي ولاية أبي العباس الكلابي: وردت بنو كلاب^(٢) إلى الشام من أرض نجد وأغارت على معرة النعمان فخرج إليها والي المعرة معاذ بن سعيد بجنده وتبعهم إلى البراغيثي فعطفوا عليه وأسرّوه وأكثر جنده. وأقام فيهم مدة يعذبونه فخرج إليهم العباس أحمد بن سعيد الكلابي والي حلب فخلصه منهم وكان ورودهم في سنة ٣٢٥هـ. انتهى كلام ابن العديم. وقرأت في مصدر آخر أن ورودهم الشام كان في عام ٣٥٢هـ والله أعلم. من بطون بني كلاب: سبيعة وذؤبية وهي أسماء أمهاتهم وبهن يعرفون.

أولاد كلاب بن ربيعة



(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ج ٣ ص ٢٥٨.

(٢) ذكرت بعض المصادر التاريخية، أن بني كلاب وردوا من نجد إلى حلب في هذه السنة التي ذكرناها، ولكن قد ورد في هذا الكتاب أيضاً أن بني كلاب كانوا في قرقيسيا منذ بداية الدولة المروانية الأموية برئاسة زفر بن الحارث وأولاده من بعده، وهم من بني نفيل بن عمرو بن كلاب. ولعل المقصودين هذه المرة بطون أخرى من بني كلاب غير التي سبقتها في الهجرة وعلى وجه التحديد بني أبي بكر بن كلاب الذين منهم صالح بن مرداس مؤسس الدولة المرداسية في حلب سنة ٤١٤هـ.

اختلال أمر القرامطة

٣٢٦ هـ ((اختل أمر القرامطة وبدأ فساد حالهم وقتل بعضهم بعضاً (يخربون بيوتهم بأيديهم) وسبب ذلك أن رجلاً منهم يدعى ابن سنبر له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك فقصد ابن سنبر إلى أصفهان لصاحب له هناك وقال له: بما أني واقف على أسرار أبي سعيد وغوامض أحوال القرامطة أريد أن أرشدك على ذلك كله حتى أجعلك سيداً عليهم بشرط أن تقتل عدوي أبا حفص فأجابه فأخذ يعلمه ويرشده فجاء إلى أولاد أبي سعيد وأخبرهم بما يعرف وقالوا هذا ما نحن عليه فسيده.

ولكن بعد ذلك عمل أبو طاهر وإخوته حيلة بهذا الرجل الصفوي بعدما شكوا في أمره ولما كشفوه على حقيقته قتلوه بعد ما أهلك منهم خلقاً كثيراً من عظمائهم. وكان هذا سبب تمسكهم بهجر وترك البلاد)).

أول سنة مكس الحاج في الإسلام

٣٢٧ هـ ((حج بالناس أبو علي عمر بن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف العلوي.... فكاتب أبو علي عمر بن يحيى العلوي الفاطمي من العراق أبا طاهر القرمطي وكان يحبه لشجاعته وكرمه أن يخلي سبيل الحاج على مكس يأخذه منهم ويعطيه على كل جمل خمسة دنانير وعلى المحمل سبعة دنانير فأجابه إلى ذلك. فخرج من العراق رفقتان إحداهما على طريق الكوفة والأخرى على طريق البصرة فأخذ أبو طاهر منهم على كل محمل عشرين درهماً، وهي أول سنة مكس الحاج فيها ولم يعهد ذلك في الإسلام فنفذ الحاج وليس معهم أحد من أصحاب السلطان إلا رجل علوي من أهل الكوفة وهو أبو علي عمر بن يحيى العلوي بكتاب القرمطي إليه وذمامه، وكان أمير القافلة ويسبرون بسيره ويتزلقون بتزله إلى أن عادوا سالمين))^(١).

٣٢٨ هـ حج بالناس عمر بن يحيى بن الحسن بن الحسين العلوي من العراق^(٢).

وفاة الراضي وخلافة المتقي بن المقتدر

٣٢٩ هـ وفيها: توفي الراضي أبو العباس أحمد بن المقتدر في ربيع الأول لسبع سنين غير شهر من خلافته وكان آخر خليفة خطب على المنبر وإن خطب غيره فنادر. وآخر خليفة جالس السمر ووصل الندماء، ودولته آخر دول الخلفاء في ترتيب النفقات والجوائز والجرايات والمطابخ والخدم والحجاب^(٣).

وبويع للمتقي لله إبراهيم بن المقتدر بالخلافة يوم موت أخيه الراضي، فصلى ركعتين وركب

(١) در الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٤١.

(٢) در الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١٩٨٣ ص ٥١٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون المجلد الثالث.

السري، وكان ذا دين وورع وزهد ولهذا لقبوه المتقي، ولم يكن له من الخلافة إلا الاسم، والتصرف لتوزون.

ثم إنه زاد استيلائه فخلع المتقي، وسلمه لابن عمه المستكفي فأخرجه إلى جزيرة بقرب السند، وأكحله بعد أن أشهد المتقي على نفسه بالخلع سنة ٣٣٣هـ فكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً. وكان عمر المتقي (٣٢ سنة و٦ أشهر و١٢ يوماً)^(١). وكان المتقي تعلوه حمرة، أصهب شعر اللحية كث اللحية بفكه الأدنى عوج. ووزر له أحمد بن محمد بن ميمون، ثم اليزيدي ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطي ثم محمد بن قاسم الكرخي ثم أحمد بن عبدالله الأصبهاني ثم علي بن محمد بن مقله^(٢).

٣٣٠هـ وفيها وقعة بين الأتراك والقرامطة بناحية باب حرب، فانهزمت القرامطة^(٣) وخرجوا من بغداد بعد أن دخلوها مع علي بن محمد أخي البريدي ومعهم الترك والديلم وحصل لهم نهب بغداد وخرج الخليفة المتقي وابنه هاربن إلى الموصل. ٣٣١هـ حج بالناس القرمطي على مال أخذه منهم.

لجوء رئيس البصرة البريدي إلى هجر مستجيراً

٣٣٢هـ قام بالأمر بالبصرة أبو الحسن البريدي بعد أخويه، فأساء السيرة في الجند فثاروا به ليقتلوه. فهرب منهم إلى هجر مستجيراً بالقرامطة وولوا عليهم بالبصرة أبا القاسم ابن أخيه أبي عبدالله وأمد أبو طاهر القرمطي أبا الحسن، وبعث معه أخويه لحصار البصرة فامتنت عليهم وأصلحوا بين أبي القاسم وعمه، ودخل البصرة وسار منها إلى توزون ببغداد.

وفاة أبي طاهر سليمان والنزاع على الحكم

وفيها مات أبو طاهر وتولى أخوه أحمد بن أبي سعيد القرمطي^(٤)، ولم يحج أحد لموت القرمطي. قال ابن إياس: ((وفيها هلك الخبيث الطريد من رحمة الله أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي الهجري القرمطي في شهر رمضان (مايو ٩٤٤م تقريباً) بالجدري بعد أن رأى في نفسه العبر وتقطعت أوصاله وهو الذي قتل الحجيج واستباحهم غير مرة واقتلع الحجر الأسود وتولى مكانه أبو القاسم سعيد بن الحسن أخوه)).

((هلك لـ (٣١ سنة) من ملكه، ومات عن عشرة من الولد كبيرهم سابور، وولي أخوه الأكبر أحمد

(١) سبط النجوم العوالي م ٣ ص ٤٩٣.

(٢) العقد الفريد ج ٥ ص ٣٥٢.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ج ٣ ص ٢٧٥.

(٤) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١ ١٩٨٣ ص ٥١٩.

ابن الحسن، واختلف بعض العقدانية عليه، ومالوا إلى ولاية سابور بن أبي طاهر، وكاتبوا القائم - الفاطمي - (ت ٣٣٥هـ) في ذلك فجاء جوابه بولاية أحمد وأن يكون الولد سابور ولي عهده، فاستقر أحمد في الولاية عليهم وكنوه أبا منصور وهو الذي رد الحجر الأسود إلى مكانه، ثم قبض سابور على عمه أبي منصور فاعتقله بموافقة إخوته له على ذلك في سنة ٣٥٨هـ^(١).

((مات أبو طاهر بعد أن فرضت له الإتاوة في بغداد من قبل الخلفاء العباسيين وفي دمشق من قبل أمرائها من بني طنج وفي مصر حيث كان كافور الإخشيدي يدفع له كل سنة إتاوة (٨٠٠ ألف). وله من العمر ٣٨ سنة أمضى منها ٢٨ سنة في الحكم زاخرة بالأحداث. وكان (أولاد أبي طاهر) حين وافاه الأجل صغاراً فتضلع للقيام بأعباء الدولة أخواه (أبو العباس محمد) و(أبو يعقوب يوسف) يساعدهما سبعة وزراء يرأسهم (أبو محمد سنبر بن الحسن) - أخته زوجة أبي طاهر القرمطي - وبعد حين قام أخوهم (سعيد) بالثورة على أخويه والاستيلاء على مقاليد الحكم. ولكنه لم ينجح في إحكام السيطرة على البلاد. فذهب أخوه (أحمد) للإطاحة به بالتعاون مع كبار القرامطة والاستعانة بتوجيه العبيدين الفاطميين. وجرى الاتفاق على أن يظل أحمد بن الحسن يمارس مهام الحكم حتى يكبر سابور بن سليمان فيسلمه الحكم باعتباره ولي عهد أبيه)).

انقسام القرامطة إلى فريقين بعد وفاة أبي طاهر

[الفريق الأول]: فيه أبناء أبي طاهر سليمان بن الحسن وعلى رأسهم سابور وعمه أحمد ومعهم بعض كبار القرامطة ويسمون العقدانية ببقائهم على عقيدة أسلافهم في موالة العبيدين. [والفريق الثاني]: وفي مقدمتهم سعيد بن الحسن بن بهرام الجنابي ورأى هؤلاء ضرورة الالتزام بالاستقلال التام وممارسة الحكم بمفاهيم محلية خالصة لا سلطان عليها لأي قوة خارجية.

أبى سعيد الإذعان لهذه الترتيبات وأعد جيشاً من مؤيديه سار به إلى عمان فاستولى عليه ولكن أحمد سير إليه جيشاً بقيادة ابنه الحسن الأعصم، وهناك دارت معركة حامية أسفرت عن هزيمة سعيد.

هجوم فاشل للقرامطة على عُمان

٣٣٢هـ قيام حملة بقيادة أبي علي حسن بن عاصم^(٢)، زحف فيها زعماء القرامطة بجحفل على عمان، غير أن شجاعة جنود يوسف بن وجيه والأتراك قضت عليهم، ولعل هذه المحاولة قد تمت سنة ٣٣٢هـ. ويقول ابن خلدون إن محاولات زعماء القرامطة للاحتفاظ بعُمان ظلت مستمرة ويائسة وإنها لم تتوقف حتى سنة ٣٧٥هـ^(٣).

(١) مخطوط: عقد اللال في تاريخ أوام لمحمد علي التاجر الفصل ١٩.

(٢) أظن المقصود في هذا الخبر هو أبو علي الحسن الأعصم بن أحمد.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١١٤.

خلافة عبدالله المستكفي بن علي

ببيع في صفر ٣٣٣هـ وكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وأياماً. كان مولده في مستهل سنة ٢٩٢هـ وتوفي سنة ٣٣٩هـ وأمّه أم ولد يقال لها غصن وكان أبيض تعلوه حمرة أسود الشعر ضخّم الجسم تامّ الطول خفيف العارضين كبير العينين أشهل جهوري الصوت^(١) أفتى الأنف. وفيها حج أمير العراق بإعطاء القرامطة، وكان أبو طاهر قد مات وولي أخوه أحمد بن أبي سعيد القرمطي^(٢).

سقوط بغداد في أيدي البويهيين وخلع الخليفة المستكفي بالله، ومبايعة المطيع لله

في عام ٣٣٤هـ - ٩٤٦م سقطت بغداد في أيدي البويهيين، والدولة البويهية (٣٢٠-٤٤٧هـ) كانت زيدية في البداية، ثم تحولت تدريجياً إلى إمامية^(٣).

قال أبو الفدا: كان معز الدولة - أبو الحسين، أحمد بن بويه - في الأهواز فلما بلغه موت توزون سار إلى بغداد فلما قرب منها اختفى المستكفي بالله وابن شيرزاد فكانت إمارته ثلاثة أشهر وأياماً، وقدم الحسن بن محمد المهلب صاحب معز الدولة إلى بغداد وسارت الأتراك عنها إلى جهة الموصل فظهر المستكفي واجتمع بالمهلب وأعلمه أنه إنما استتر خوفاً من الأتراك... ثم وصل معز الدولة إلى بغداد (١٢ جمادى الأولى) واجتمع بالمستكفي وبايعه وحلف له المستكفي وخلع عليه... ونزل معز الدولة بدار مؤنس وأنزل أصحابه في دور الناس فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة....

وأضاف أبو الفدا: وفي هذه السنة خلع المستكفي بالله أبو القاسم عبدالله بن المكتفي علي بن المعتضد بن الموفق لثمان بقين من جمادى الآخرة وصورة خلعه أن معز الدولة وعسكره والناس حضروا إلى دار الخليفة بسبب وصول رسول صاحب خراسان فأجلس الخليفة معز الدولة على كرسي ثم حضر رجلاً من نقباء الديلم وتناولوا يد المستكفي بالله فظن أنهما يريدان تقييلها فجذباه عن سريره وجعلاً عمامته في عنقه ونهض معز الدولة فاضطرب الناس وساق المستكفي ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتقل بها ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها شيء وكانت مدة خلافة المستكفي (سنة ٤ أشهر).

ولما بيع المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ) سلم إليه المستكفي فسمله وأعماه وبقي محبوساً إلى أن مات. وأمّه أم ولد اسمها غصن. بيع أبو القاسم الفضل المطيع بن المقتدر بن المعتضد لسبع بقين من شعبان ٣٣٤هـ وكان مولده في النصف من ذي القعدة ٣٠١هـ وكانت خلافته (٢٩ سنة) وأمّه أم ولد تدعى مشعلة وكان شديد البياض أسود شعر الرأس واللحية.

(١) العقد الفريد ج ٥ ص ٣٥٢.

(٢) درر الفرائد للمنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٤٢.

(٣) الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات لسعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع دمشق ط ٢٠٠٤م ص ٢١٣.

تلاشي أمر العرب ودولتهم أثناء الدولة البويهية والسلجوقية

قال ابن خلدون في تاريخه: تلاشي أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم، وصار الأمر للأعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم. وذلك في دولة الديلم والسلجوقية. وخالطوا أهل الأمصار وكثروهم فامتلات الأرض بلغاتهم، واستولت العجمة على أهل الأمصار والحواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته، وصار متعلمها منهم مقصراً عن تحصيلها، وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمثور، وإن كانوا أكثرين منه. وفي هذه السنة بطل الحج من العراق بسبب القرامطة^(١).

وفاة القائم بأمر الله الفاطمي ووفاة الإخشيد

٣٣٥هـ توفي القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله صاحب المغرب (١٣ شوال) وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل بن محمد وتلقب بالمنصور بالله وكنم موت القائم خوفاً من أبي يزيد الخارجي... ثم اتسم بالخلافة وضبط الملك والبلاد. وفي هذه السنة أيضاً مات الإخشيد بدمشق وكان قد سار إليها من مصر وهو محمد بن طنج صاحب مصر ودمشق وكان مولده (٢٨٦هـ) ببغداد^(٢).

إعادة الحجر الأسود

٣٣٩هـ أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة بعد ٢٢ سنة من أخذهم له، بعث به أخو أبي طاهر الجنابي مع محمد بن سنبر إلى المطيع حيث توسط الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي بين الخليفة المطيع لله وبين القرامطة حتى أجابوا.

قال الجزيري: حج بالناس عمر بن يحيى العلوي، فلما كان يوم الثلاثاء يوم النحر وافى سدير بن حسن القرمطي مكة ومعه الحجر الأسود، فلما صار بفناء الكعبة ومعه أمير مكة أظهر الحجر من سقفه وعليه ضباب فضة قد عملت من طوله وعرضه تضبط شقوقاً حدثت عليه بعد قلعه، وأحضر معه حصاً يشد به، فوضع سدير الحجر بيده، ويقال إن الذي أعاد الحجر في مكانه حسن بن المرزوق البناء وشده الصانع بالجص وقال سدير لما رده: أخذناه بقدره الله تعالى، ورددناه بمشيئته ﷻ. ويقال أخذناه بأمر وأعدناه بأمر. ونظر الناس إلى الحجر فتبينوه وقبلوه واشتملوه وحمدوا الله تعالى^(٣).

(١) در الفرائد المنظمة لعبد القادر الجزيري ص ٢٤٢.

(٢) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء، وكان الإخشيد قبل مسيره عن مصر قد وجد بداره رقعة مكتوب عليها: ((قدرتم فأسأتم وملكتم فبخلتم ووسع عليكم فضيقتم وأدرت لكم الأرزاق فقنطتم أرزاق العباد واغترتم بصفو أيامكم ولم تفكروا في عواقبكم واشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات وتهاونتم بسهام الأسحار وهن صائبات ولا سيما أن خرجت من قلوب قرحتموها وأكباد اجتمعتموها وأجساد أعريتموها، ولو تأملتم في هذا حق التأمل لانتبهتم، أو ما علمتم أن الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل إليها الجاهل ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقي فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم...)).

(٣) در الفرائد المنظمة لعبد القادر الجزيري ص ٢٤٢.

وللصلاح الصفدي رحمه الله تعالى من قصيدة له ذكرت منها ما قاله في الحجر الأسود:

فَيَا وَيْحَ الْقَرَامِطَةَ الَّذِينَ	اسْتَطَالُوا بِالْعُتُوِّ وَبِالْفُجُورِ
لَقَدْ نَقَلُوهُ عُذْوَانَا وَظَلَمْنَا	إِلَى هَجَرٍ وَجَدُوا فِي الْمَسِيرِ
أَتَوْا أَمْرًا عَظِيمًا فَاسْتَحَلُّوا	بِذَلِكَ حُرْمَةَ الْأَمْرِ الْخَطِيرِ
تَغَرَّبَ عَنْهُمْ عَشْرِينَ عَامًا	وَتِلْكَ عَامِينَ مِنْ بَعْدِ الْكُسُورِ
وَلَكِنَّ الْمُطِيعَ شَرَاهُ مِنْهُمْ	بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ نَضِيرِ
وَجَاءَ لِأَخْذِهِ ابْنُ عَكِيمٍ	وَكَانَ بِأَمْرِهِ عَيْنُ الْبَصِيرِ
وَمِنْ خُبَيْثٍ وَمَكْرٍ شَبَّهُوهُ	بِأَخَرٍ، فَعَمِلَ بِهِتَانٍ وَزُورِ
وَجَاؤُوا وَالْمَعْبِيرُ يَضُوعٌ مِنْهُ	وَقَدْ لَفُوهُ فِي خَرَقِ الْخَرِيرِ
فَرَدُّوهُ إِلَى مَا كَانَ حَقًّا	وَأَوْضَحَ ذَاكَ بِالْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ ^(١)

أول تمكن الأشراف من الاستقلال بحكم مكة

٣٤٠هـ ((الأمير أبو محمد جعفر - بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر - أول من ملك مكة من بني موسى الجون وهو مبتدأ تمكن الأشراف من حكومتها، وكان ذلك بعد الأربعين والثلاثمائة وكان حاكم مكة أنكجور التركي من قبل العزيز بالله الفاطمي، فقتله الأمير أبو محمد جعفر وقتل من الطلحية والهديلية^(٢) والبكرية خلقاً كثيراً، واستوت له تلك النواحي وبقيت في يده نيافاً وعشرين سنة، وكان له عدة أولاد منهم عبدالله (القود) أرسله أبوه إلى مصر بعد أن قتل أنكجور يفاديه فعفا عنه...^(٣)).

وفاة المنصور إسماعيل بن محمد بن عبدالله وولاية المعز

٣٤١هـ توفي المنصور بالله العلوي أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيدالله المهدي سلخ شوال وكانت خلافته ٧ سنين و ١٦ يوماً وكان عمره ٣٩ سنة، وكان خطيباً بليغاً يخترع الخطبة لوقته...، وعهد إلى ابنه أبي تميم معد ((المعز لدين الله)) وكان عمر المعز (٢٤)^(٤). وفي كتاب غاية الاختصار لابن زهرة يقول: ولد ((المعز)) سنة ٣٢٩هـ وبويع سنة ٣٤١هـ، وهو الذي ملك مصر وخرجت عساكره مع جوهر إلى الشام، مات سنة ٣٦٥هـ

قال ضامن بن شذقم في محمد بن عبدالله بن إسماعيل الأقطع بن محمد بن إسماعيل الأعرج بن

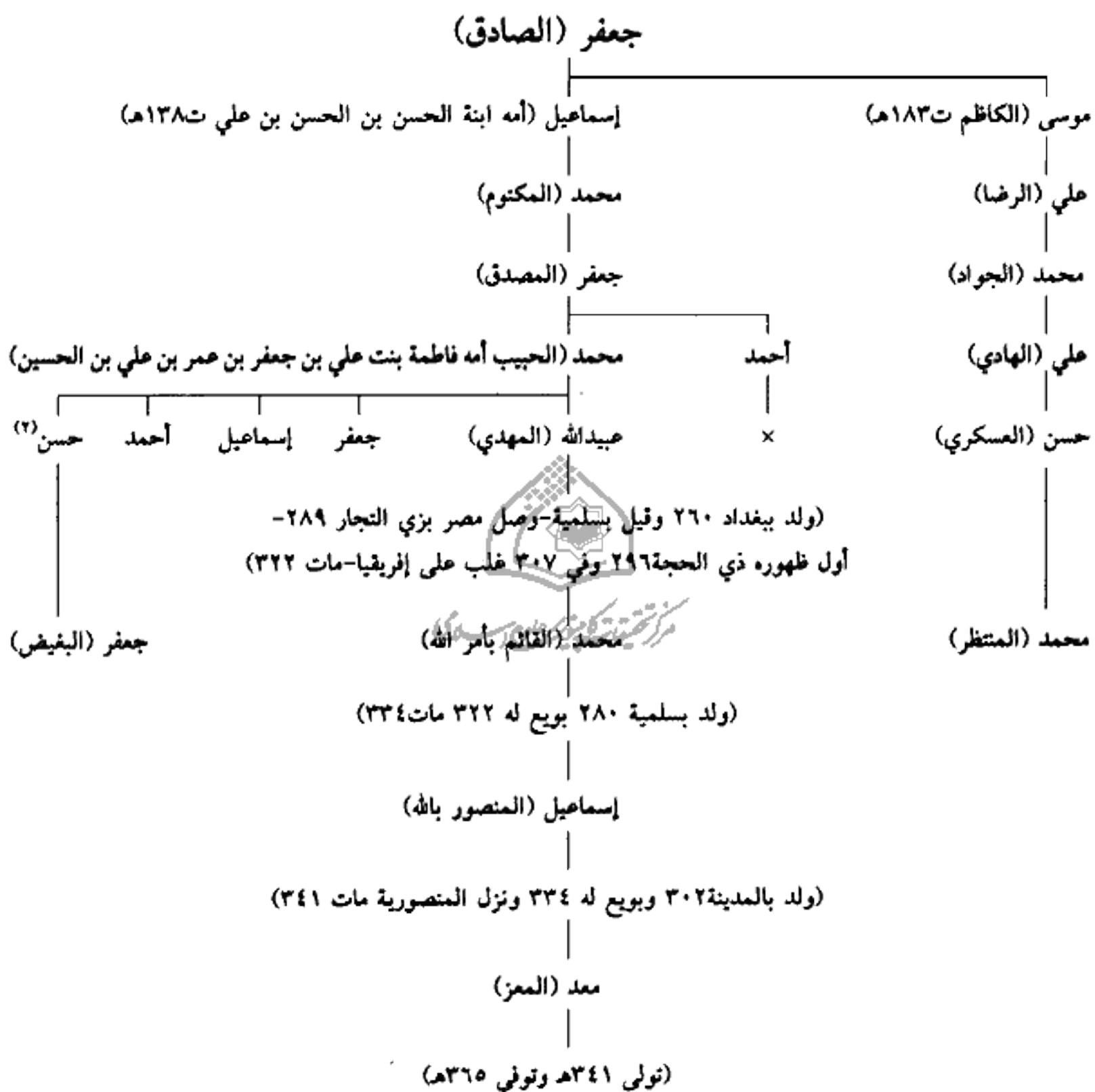
(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١ ١٩٨٣ ص ٥١٢.

(٢) في تحفة الأزهار ص ٤١٠ جاء بدلاً من الهديلية (الهدلية). وقال أيضاً إنها بقيت في يده ١٧ سنة، وقيل إنما كانت ولايته بها سنة ٣٥٦ وقيل سنة ٣٥٨، وقال أيضاً: يقال لولده بنو الحراني الثائر..

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: المعروف بابن عتبة ت ٨٢٨هـ ص ١٥٧.

(٤) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ.

جعفر الصادق: خرج في أيام حياة يحيى بن زكرويه القرمطي وادعى أنه محمد هذا، فأنفذ إليه المقتني بالله العباسي، محمد بن سليمان، فقتل يحيى، ثم إنه ادعى أخوه الحسين بن زكرويه أنه أحمد بن عبدالله هذا لقب بالمهدي لدين الله فعظم أمره وعلت همته وزكت شوكته فملك الشام بأسرها، وفعل بالإسلام ما لا يمكن ذكره، فأنفذ إليه المقتني بالله، محمد بن سليمان فلم يطق على محاربته فانهزم عنه بعد أن قتل أكثر جيشه فأمدّه المقتني بالله بجيش عرمرم وزحف عليه بذاته، ف وقعت بينهم حرب شديدة فلم يطيقوا عليه إلا أن وزيره الحسين وأعيان دولته أسروه وسلموه إليهم فأتوا به إلى بغداد فشهره مع من أسروه معه، ثم أحرقوهم...^(١).



(١) تحفة الأزهار المجلد ٢ القسم ٢ ص ٧٨.

(٢) قال المقرئزي: قال ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ): وادعى عبدالله القائم بالمغرب أنه أخو حسن بن محمد هذا، وشهد =

قصيدة المتنبى المشهورة في سيف الدولة وسبها

٣٤٣هـ سار سيف الدولة نحو الحدث لبنائها وكان أهلها قد أسلموها للدمستق سنة ٣٣٧هـ فاستردها وبدأ بالتخطيط وحفر أول الأسس بيده فما عثم أن جاء الـدمستق في خمسين ألفاً وفيهم الروس والبلغر والأرمن والصقلب والخزر مع ملوك لهم ونشبت المعركة فأظفر الله سيف الدولة وقتل كثيراً وأسر كثيراً ثم قتل أكثرهم واستبقى بعضهم وكان في الأسر بطريق سمندونه ولقندويه وهو صهر الـدمستق..... فأنشد المتنبى:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَغْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَضَعُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ^(١)

وقعة بين العلويين والجعفرين في الحجاز

٣٤٨هـ وبلغ المعز وهو بالمغرب: أمر ((الحرب من بني حسن وبني جعفر بن أبي طالب بالحجاز وأنه قتل من بني الحسن أكثر ممن قتل بنو حسن من بني جعفر، فأنفذ مالا ورجالا سرا، سعوا بين الطائفتين حتى اصطالحوا، وتحملوا الحملات عنهما.

وكان فاضل القتلى لبني حسن عند بني جعفر سبعين قتيلاً، فآدى القوم ذلك إليهم، وعقدوا بينهم في المسجد الحرام صلحاً، وتحملوا دياتهم من مال المعز، وذلك في سنة ٣٤٨هـ، فصار ذلك جميلاً عند بني حسن للمعز، فلما دخل جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسني فملك مكة ودعا للمعز، وكتب إلى جوهر بذلك، فبعث الخبر إلى المعز، فأنفذ من المغرب إليه بتقليد الحرم وأعماله^(٢).

= له بذلك رجل من بني البغيض، وشهد له أيضاً بذلك جعفر بن محمد بن الحسين بن أبي الجن علي بن محمد الشاعر بن علي بن إسماعيل بن جعفر. ومرة ادعى أنه ولد الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، وكل هذه دعوى مفتضحة، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولد اسمه الحسين، وهذا كذب فاحش، لأن مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب، ولا يجهل أهله إلا جاهل..

وعلق المقرئ على النص السابق فقال: وأما ما ذكره أبو محمد - ابن حزم - من انتسابهم إلى الحسين بن محمد ابن إسماعيل قول افتعله معادوهم، فقد كان أبو محمد بقرطبة، وملوكها بنو أمية وهم أعدى أعادي القوم، فنقل هناك ما أشاع ملوك بلده، حتى اشتهر كما هي عادة الأعداء. والذي يقوله أهل هذا البيت ويذهبون إليه: إن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده، وإن الإمام بعد إسماعيل بن جعفر هو ابنه محمد ويلقبونه المكتوم، وبعد المكتوم ابنه جعفر بن محمد بن إسماعيل، ويلقبون جعفرأ هذا ((بالمصدق)) وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق...

قالوا: فولد محمد الحبيب عبيدالله بن محمد بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ابن الإمام إسماعيل، وعبيدالله هذا هو القائم بالمغرب الملقب بالمهدي المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين بالمغرب وبمصر. راجع: اتعاظ الحنفا للمقرئ د. الشيال ط ١٩٦٧م ص ١٦.

(١) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي ل محمد عزة دروزة م ١ ج ١ ص ٥٣.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقرئ د. الشيال ط ١٩٦٧م ص ١٠١.

إسلام الترك

في سنة ٣٤٩هـ الموافق (٩٦٠م تقريباً) كان إسلام الترك وقال ابن الجوزي: أسلم من الترك مائتا ألف خركاه^(١).

مقتل الشاعر المشهور المتنبي

٣٥٤هـ قتل المتنبي وابنه قتلها الأعراب وأخذوا ما معهما واسمه أحمد بن الحسين بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي ومولده سنة ٣٠٣هـ في الكوفة بمحلة تسمى كندة فنسب إليها وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي القبيلة^(٢). ومن شعر المتنبي قصيدة ينتقد فيها عصره:

وَأَتَمَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا يَفْلَحُ عُزْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمٌ
لَا أَدَّبَ عُنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُهْدٌ لَهُمْ وَلَا ذِمٌّ
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمٌّ تُزْعَى بِعَبْدٍ كَانَتْهُمْ غَنَمٌ
يَسْتَخْشَنُ الْخَزْ حِينَ يَلْبَسُهُ وَكَانَ يُبْرَى بِظَفْرِ الْقَلَمِ

أخذ سليم لحجاج مصر والشام

٣٥٥هـ ((ونهبت بنو سليم حاج مصر والشام - والمغرب - وكانوا عالماً كثيراً، وأخذ جميع ما كان معهم من الأموال وكان جزلاً، لأن كثيراً من الناس من أهل الثغور والشام هربوا من خوفهم من الروم بأموالهم وأهلهم وقصدوا مكة ليسيروا منها إلى العراق فأخذوا، وقتل أمير الركب وهلك من الناس ما لا يحصى، وتمزق في البراري، ولم يسلم إلا القليل، ورد على الحجاج بعض ما أخذ منهم في السنة التي بعدها))^(٣).

مركز توثيق وتوزيع علوم رسيدي

فك أسر أبي فراس الحمداني

وفيها: استفك سيف الدولة بن حمدان ابن عمه أبا فراس بن حمدان من الأسر، وكان بينه وبين الروم الفداء فخلص عنده عدة من المسلمين من الأسر^(٤).

وفاة كافور الإخشيدي

٣٥٦هـ ((وفيها مات كافور الإخشيدي وكان خصياً أسود من موالي محمد بن طغج الإخشيدي

(١) العبر في خبر من غير للذهبي ٧٤٨هـ..

(٢) المختصر: تاريخ أبي الفداء.

(٣) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤٠٤.

(٤) المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء.

صاحب مصر واستولى كافور على ملك مصر والشام بعد موت أولاد الإخشيد....، وكان كافور شديد السواد واشتراه الإخشيد بـ ١٨ ديناراً...، وكان يدعى له بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام وكان تقدير عمره (٦٥ سنة) ووقع الخلف فيمن ينصب بعده واتفقوا على أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد وخطب له في جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ^(١).

حكم الاشراف لمكة^(٢)

وفيها (٣٥٦هـ) تم احتلال مكة من قبل الشريف جعفر، لأن حكمه صادم وفاة أبي المسك كافور في مصر، وجعفر هو ((أول مؤسس لحكم العائلة العلوية في مكة قد نجح بفضل ابنه عيسى والذي حكم لمدة ١٤ عاماً أي حتى ٩٩٤م (٣٨٤هـ تقريباً) والتي منع خلالها الجيش الفاطمي من دخول التموين إلى مكة أو المدينة حتى وافق عيسى على الدعاء للخليفة الفاطمي، وقد نجح عيسى بفضل أخيه الأصغر أبي الفتوح والذي حكم لمدة ٤٥ سنة، وقد توافق حكمه مع حكم الخليفة المعتوه في مصر الحاكم^(٣))).
(وكان جعفر بن محمد الحسني قدم إلى مكة مع قافلة حجاج فاطمية من مصر^(٤)).

وفاة معز الدولة الديلمي

وفيها: ((مات السلطان معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي وكان في صباه يحتطب، وأبوه يصيد السمك، فما زال إلى أن ملك بغداد نيفاً وعشرين سنة، ومات بالإسهال عن ٥٣ سنة وكان من ملوك الجور والرفض، ولكنه كان حازماً سائساً مهيباً وقيل إنه مرضه عن الرفض... وقيل إن سابور ذا الأكتاف أحد ملوك الفرس من أجداده وكان أقطع، طارت يده في بعض الحروب وتملك بعده ابنه عز الدولة بختيار^(٥))).

وفاة سيف الدولة الحمداني

وفيها: توفي سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان ابن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب^(٦). وكان عمره عند وفاته ٥٣ عاماً.

(١) المصدر نفسه.

(٢) كنا قد ذكرنا ذلك في سنة ٣٤٠هـ.

(٣) حكام مكة لجيرالد دوغوري ترجمة محمد شهاب مراجعة محمد علي سويد م. مدبولي ط ١/ ٢٠٠٠م ص ٥٨-٥٩.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٥.

(٥) العبر في خبر من غبر للذهبي.

(٦) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٨١٣-٨٧٤هـ ج ٤ ص ١٦.

مقتل الأمير الفارس الشاعر أبي فراس الحمداني

٣٥٧هـ فيها قتل أبو فراس الحمداني^(١)، وكان عمره يوم قتل ٣٧ سنة هجرية، وهو شاعر اشتهرت قصائده باسم الروميات حيث إنه قالها عندما كان في أسر الروم (منذ سنة ٣٥١هـ) وبعث بقصائده إلى ابن عمه سيف الدولة يطلب منه أن يخلصه بأي وسيلة.

ومن شعر أبي فراس المشهور قوله:

أراك عصي الدَّمْعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ
إلى أن يقول في آخرها:

ونسحر أناسٌ لا تَوَسُّطَ بَيْنَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوِ الْقَبْرِ
تَهْوُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ الْمَهْرُ
أعزُّ بني الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ الثَّرَابِ وَلَا فَخْرُ
وفي هذه السنة: لم يحج أحد من الشام ولا مصر... وهلك أكثر الحاج الخراساني وهلك جمالهم بالعطش، ومن سلم منهم وهم الأقل لم يلحق يوم عرفة^(٢).

رئاسة الأعصم على القرامطة

وقع بين القرامطة تحارب فيما بينهم وانقسموا قسمين وكل قسم يريد الانفراد في الحكم، ونلخص هذه الأحداث بالتالي:

١- عندما لم يجد سابور بن أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن الجتابي القرمطي من عمه أبي منصور أحمد بن أبي سعيد أذنًا صاغية عندما طلب منه تسليمه مقاليد الحكم قرر انتزاع الحكم من عمه قبل أن يسلمه لابنه الأعصم بموافقة إخوته له فتجح بالقبض على عمه، وبقي رهن الاعتقال. إلا أن الجزيري في درر الفرائد المنظمة يقول: (قتل سابور بن أبي طاهر عمه أحمد بن سعيد القرمطي بعد أن كان مقدماً على اعتراض ركب العراق وقطع الخطبة لبني بويه بمكة، فاشتغل القرامطة بالحرب بين ولد أبي طاهر وولد عمهم أحمد، وأصلح المطيع بينهم وقدم عليهم الحسين بن أحمد، وكانت الخطبة في الموسم للمطيع وللحسين القرمطي بالإمارة) والظاهر أن الجزيري لم يرتب الأحداث بالشكل الصحيح حيث إن سابور لم يقتل عمه بل إنه اعتقله فقط.

٢- ثار أحد إخوة المعتقل من أبناء أبي سعيد الحسن، وأخرج أحمد بن الحسن من الاعتقال بتهريبه من السجن.

٣- ثم تم اعتقال سابور وسجنه حتى مات وقيل قتل.

(١) راجع: النجوم الزاهرة وبدائع الزهور ج ٤ ص ١٩.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤٠٥.

- ٤- توفي أبو منصور أحمد بن الحسن سنة ٣٥٩هـ ويقال مسموماً على يد شيعة سابور.
- ٥- وبعد وفاة أبي منصور ولي ابنه أبو علي الحسن بن أحمد ويلقب الأعصم، وقيل الأغصم وقيل الأعصم وقيل الأعظم.
- ٦- طالت مدته وعظمت وقائعه في أطراف الشام والعراق وتوصل إلى مصر وحارب جوهرراً قائد المعز، وأسخط عمله المعز ملك إفريقية فكتب بعزله عن القرامطة وتولية أبناء أبي طاهر ذلك فخرجوا من الجزائر (البحرين) ثائرين ونهبوا الإحساء وعاثوا فساداً في البلاد.
- ٧- اشتغل القرامطة بالحرب بين ولد أبي طاهر وولد عمهم أحمد.
- ٨- أصلح بينهم المطيع وقيل الطائع وأمرهم بلزوم السكينة وتجنب الأضرار بالناس والرجوع إلى الجزائر وهو يقطعها لهم، فأطاعوه ورجعوا إلى أوال.
- ٩- قدم المطيع عليهم الحسن الأعصم ابن عمهم أحمد.
- ١٠- جرت للأعصم أمور وفتن ونفى جمعاً كثيراً من ولد أبي طاهر ويقال اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلاثمائة.
- ١١- حج الأعصم بنفسه ولم يتعرض للحاج، ولا أنكر الخطبة للمطيع.
- ١٢- وأخيراً أدت كثرة الفتن إلى قتله.
- ١٣- وبعد موت الأعصم ثار الشقاق بين القرامطة ولعب السيف بينهم مدة مديدة حتى أفناهم وبددهم وشردهم في الأمصار، ولم يبق منهم إلا جعفر وإسحاق ابني الأعصم فما زالا متنازعين متكافحين مدة ثلاثين سنة^(١).

حال القرامطة بعد مقتل سابور

٣٥٨هـ ((لما فتكوا بسابور استوحش بعضهم من بعض وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها. وكان من رسومهم ركوب مشايخهم وأولادهم فرادى فيجتمعون إلى قبلة الإحساء بالمكان المعروف بالجرعاء، ويلعب أحداً منهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذاً بغاية التواضع، وقد لبسوا البياض لا غير. وكان من رسومهم أن تقع شُوراهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لما فدحهم وأهمهم، فإن اتفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لم يتخلفوا ونفذوا وتركوا في البلد أوثقهم وأشفهم منزلة عندهم))^(٢).

استيلاء جوهر قائد العبيدين على حكم مصر

٣٥٨هـ قدم جوهر إلى مصر، ووصلت البشارة بفتحها في نصف رمضان سنة ٣٥٨هـ، فسراً المعز سروراً كثيراً وأنشأ ابن هانيء قصيدة أولها:

(١) مخطوط: عقد اللال في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل ١٩ الملحق بكتاب من سواد الكوفة إلى البحرين للشبيخة مي الخليفة، وراجع تاريخ ابن خلدون.

(٢) صورة الأرض لابن حوقل دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٩٢ ص ٣٤.

يقولُ بنو العباس: هلْ فُتِحَتْ بِمِصْرُ؟ فَقُلْ لِبَنِي العباسِ: قد قُضِيَ الأمرُ ولما وصلت البشارة من الشام بكسر عسكر أبي عبدالله الحسن بن أحمد القرمطي المعروف بالأعصم أنشده ابن هانئ قصيدة منها:

ما شئتُ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاخُكُم فأتت الواحدُ القَهَّارُ^(١)

قال ابن زولاق: سألت أبا جعفر مسلم عند رجوعه - من لقاء جوهر الصقلي قبل دخوله إلى مصر وكتابه الأمان لأهل مصر والشرط - عن مقدار العسكر فقال: ((هو مثل جمع عرفات كثرة وعدة)) وسألته عن سن القائد جوهر، فقال لي: ((نيف وخمسون سنة))^(٢).

قال أبو الفدا: إنه لما مات كافور الإخشيدي اختلفت الأهواء في مصر وتفرقت الآراء فبلغ ذلك المعز فجهاز العساكر إليها فهربت الإخشيدية من جوهر المذكور قبل وصوله... (١٧ شعبان) وأقيمت الدعوة للمعز في الجامع العتيق في شوال.

محاربة ثم صلح بين الأعصم وابن طغج

٣٥٨ هـ ((لما سار جعفر بن فلاح من القاهرة في عسكره كان قد سار الحسن بن عبيدالله بن طغج عن دمشق في شهر رمضان واستخلف عليه شمول الإخشيدي ونزل الرملة، وتأهب لحرب من يسير إليه من مصر، فوردت الأخبار بمسير القرامطة إليه، ووافوه بالرملة، فلقبهم وحاربهم، فانهزم منهم، ثم صالحهم وصاهرهم في ذي الحجة. ورحل عنه القرمطي بعد ما أقام بظاهر الرملة ثلاثين يوماً))^(٣).

تعيين وشاح السلمي أميراً على الرملة

٣٥٨ هـ في ذي القعدة (٩٦٩م): عين وشاح السلمي على إدارة شؤون الرملة التي استولى عليها الأعصم.

مركز تحقيقات كليات العلوم - راسد

استيلاء جعفر بن فلاح على الرملة ودمشق

((سار جعفر بن فلاح أحد أكبر قواد المعز الذي اشترك مع المعز في فتح مصر لفتح الشام، فاستولى على الرملة في آخر سنة ٣٥٨ هـ وعلى دمشق في أول سنة ٣٥٩ هـ، وأقام بها إلى سنة ٣٦٠ هـ حيث قصده الحسن بن أحمد القرمطي وقاتله وقتله))^(٤).

قال المقرئ: ولائتي عشرة - ليلة بقيت من محرم ٣٥٩ هـ - سار جعفر بن فلاح بن أبي مرزوق إلى الشام، وقاتل القرامطة بالرملة وهزمهم. وقبض على ابن غزوان صاحب القرامطة.

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء للمقرئ تحقيق د. جمال الدين الشيال ط ١٩٦٧ م ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٣.

(٤) المصدر نفسه ص ١٠١.

التقى جعفر بن فلاح مع ابن طنج وحاربه، فانهزم منه واحتوى على عسكره، فقتل كثيراً من أصحابه، وأخذ أسيراً في النصف من رجب سنة (٣٥٩هـ) فأقام بالرملة يتبع ما كان لابن طنج ولأصحابه. وكان بحوران والبثنية بنو عقيل من قبل الإخشيد وهم شبيب، وظالم بن موهوب، وملهم بن (...)^(١) قد ملكوا تلك الديار، فأخذ جعفر بن فلاح يستميل إليه من العرب فزاره ومرة ليضرب بهم بني عقيل.

إزاحة مرة وفزارة لبني عقيل من حوران والبثنية

((جهز جعفر من طبرية من استمالهم من مرة وفزارة لحرب بني عقيل بحوران والبثنية، وأردفهم بعسكر من أصحابه، فواقعوا بني عقيل، وهزموهم إلى أرض حمص وهم خلفهم ثم رجعوا إلى الغوطة، وامتدت أيديهم إلى أخذ الأموال وهم سائرون حتى نزلوا بظاهر دمشق فثار عليهم أهل البلد، وقتلوا منهم كثيراً من العرب، فانهزموا عنها، وذلك لثمان خلون من ذي الحجة، فلحقوا بطلائع جعفر، فساروا معها إلى دمشق، وخرج إليهم الناس مستعدين لمحاربتهم في خيل ورجل فاقتتلوا يومهم ثم انصرفوا، وأصبحوا يوم الجمعة فاقتتلوا، وصاح الناس في الجامع بعد الصلاة: ((النفير))، فخرج النفير، واشتد القتال إلى آخر النهار.

ونزل جعفر يوم السبت لعشر خلون منه بالشماسية، وأصبح الناس للقتال، ولم يصلوا ذلك اليوم في المصلى صلاة العيد، فاستمروا طول النهار ومعهم الجند الذين كانوا مع شمول فكلوا، وحملت معهم المغاربة فانهزموا، وتمكن السيف منهم وهم منهزمون إلى أرض عاتكة وقصر الحجاج، فقتل خلق كثير، وكان رئيس الشام في هذه الحروب أبو القاسم بن أبي يعلى العباسي، ومحمد بن عسودا وصدقة الشوا.

قال المقرئ عن مراجعة الناس بطلب الصلح من جعفر بن فلاح أكثر من مرة: فرجع المشايخ إليه، وما زالوا يتضرعون إليه حتى قال: (ما أعفو عنكم حتى تخرجوا إليّ ومعكم نساؤكم مكشوفات الشعور فيتمرغن في التراب بين يدي لطلب العفو). فقالوا له: (نفعل ما يقول القائد). وما برحوا يذلون له حتى انبسط معهم في الكلام، وتقرر الأمر على أنه يدخل يوم الجمعة في الصلاة...^(٢).

لحاق محمد بن عسودا بالقرامطة في الإحساء

((لحق محمد بن عسودا بالقرامطة في الإحساء هو وظالم بن موهوب العقيلي لما انهزم بنو عقيل عن حوران والبثنية، فحثوهم على المسير إلى دمشق))^(٣).

(١) بياض في الأصل.

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا للمقرئ ص ١٢٠ - ١٢٣.

(٣) المصدر نفسه ١٢٥.

ذهاب الحسن الأعصم إلى الحج

٣٥٩هـ حج بالناس نقيب الطالبين أبو أحمد الحسين بن موسى الحسيني، وحج أبو علي الحسين ابن أحمد القرمطي، ولم يتعرض للحاج ولا أنكر الخطبة للمطيع، وخطب بمكة للمطيع بالله وللقرامطة الهجريين من بعده، وقطعت خطبة المعز لدين الله العلوي من مكة وخطب له بالمدينة^(١).

الخليفة المطيع العباسي يجمع كلمة القرامطة ويؤلف بينهم

٣٦٠هـ يقول ابن حوقل عن القرامطة: ((ثم إن المطيع سل سخائهم وسعى في تأليف قلوبهم وجمع كلمتهم في سنة ٣٦٠هـ على ما بلغني سنة ٣٦١هـ من مشافهة أبي الحسين علي بن أحمد الجزري، صاحب أبي الحسين علي بن محمد بن الغمر، ورأيت بصقلية... وأخبرني بأشياء كالسر عنده ثم خمش وجه الحديث وقال: ومن بقي من العقدانية بالإحساء وغيرها هلكوا كلهم.

وكان في جملتهم رجال جلة ذوو حلوم وعقول دون من أصحابهم من الجفافة الأغتام الأغفال الطغام، كبني الغمر، وأجلهم كان المقيم بالجعفرية من ظاهر البصرة وهو أبو الحسين علي بن محمد بن الغمر، ويتلوه أخوه المقيم بالكوفة أبو طريف عدي بن محمد بن الغمر، وأبو الحسن علي بن أحمد بن بشر الحارثي المتولي رجالهم وأموالهم من سائمتهم وكراعهم، وكان المقيم فيهم الحدود على من وجبت منهم وكان قد ناهز المائة سنة.

وثور بن ثور الكلابي صاحب جيشهم مسنّ أيضاً كاف مع كبر سنه، وكان صاحب سراياهم إلى كل مكان، وكان أكبر منه حالة وأتم دراية أبو الحسن علي بن عثمان الكلابي، كان يزعم أن سنه مائة وعشرون سنة، وكان ممن لقي أبا زكريا الطماني وشاهد دعوتهم الأولى وناموسهم القديم فصيح اللسان حسن البيان جريء الجنان وترسل لهم إلى غير مكان، وناب منابة قاضيهم ابن عرفة في أسباب المراسلة إلى بني حمدان وغيرهم، فعقد عليه بيعتهم وأخذ عليهم العهود بموالاتهم^(٢).

٣٦٠هـ لم يحج أحد من العراق والمشرق لاختلاف كان بين القرامطة^(٣).

مسير الحسن الأعصم للشام بدعم عباسي

٣٦٠هـ ((ورد على جعفر بن فلاح خبر هزيمة عسكره على مشارف إسكندرونة على يد عساكر الروم، وخبر مسير القرامطة إلى الشام وأنهم وردوا الكوفة، فأمدهم صاحب بغداد بالسلاح، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب بن حمدان، تقوية على حرب المغاربة. وبعث إليه أبو تغلب يقول: (هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد عليّ خبرك فإن

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري ج ١ ط ١ ١٩٨٣ ص ٥٢٥.

(٢) صورة الأرض لابن حوقل دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٩٢ ص ٣٤.

(٣) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٤٥.

احتجت إلى مسيري سرت إليك). ونادى في عسكره: من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه، فقد أذنّا له في المسير والعسكران واحد.

وقدم القرمطي إلى الرحبة، فأمدّه أبو تغلب بالمال، وبمن كان عنده من الإخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين، وسار بهم القرمطي حتى قدم قرب دمشق، فأشار أصحاب جعفر أن يقاتلهم بطرف البرية فخرج إليهم جعفر بن فلاح وقد استهان بهم وواقعهم، فانهزم منهم، وأخذ السيف أصحابه، وقُتل فلم يدر قاتله لست خلون من ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ وملك القرمطي دمشق وأمن أهلها، ونزل القرمطي ظاهر المزة فجبى مالا وسار يريد الرملة وعليها سعادة بن حيان، فالتجأ إلى يافا، ونزل عليه القرمطي، وقد اجتمعت عليه عرب الشام وأتباع الجند فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة، وهلك أكثرهم جوعاً، ثم سار عنها وترك على حصارها ظالماً العقيلي وأبا الهيجا بن منجى، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسي في كل بلد فتحوه، وسودوا أعلامهم، ورجعوا عما كانوا يمحرقون به، وأظهروا أنهم كأمرء النواحي الذين من قبل الخليفة العباسي^(١).

استيلاء الأعصم على دمشق وعودته لهجر

٣٦٠هـ قال د. جمال الدين الشيال: خرج - الأعصم القرمطي - إلى دمشق فاقتل مع جعفر بن فلاح وقتله بظاهر دمشق، وملك دمشق وولى عليها ظالم بن موهوب العقيلي، ثم عاد إلى بلاد هجر^(٢).

هجوم القرامطة على مدينة القلزم

٣٦٠هـ ((وفي شوال أنفذ جوهر سعادة بن حيان إلى الرملة والياً عليها، وقد كثر الإرجاف بالقرامطة، وأن جعفر بن فلاح قتل منهم، وملكوا دمشق، فتأهب جوهر لقتالهم، وعمل الخندق، ونصب عليه البابين الحديديين...، وبنى القنطرة على الخليج، وفرق السلاح على المغاربة والمصريين... وفي ذي الحجة كبست القرامطة مدينة القلزم، وأخذوا واليها عبدالعزيز بن يوسف وما كان له من خيل وإبل))^(٣).

وصول القرامطة إلى أبواب القاهرة

٣٦١هـ قال المقرئزي: في مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة، وكان يوم الجمعة، فقتل من الفريقين جماعة، وأسر عدة، وأصبحوا يوم السبت متكافئين، وغدوا يوم الأحد للقتال، فسار الحسن بن أحمد بهرام الذي يقال له الأعصم - زعيم عسكر القرامطة - بجميع عسكره على الخندق، والباب مغلق، فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب، واقتتلوا قتالاً شديداً قتل فيه خلق كثير،

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء للمقرئزي تحقيق د. جمال الدين الشيال ط ١٩٦٧م ص ١٢٦-١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، انظر الهامش ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٨.

وانهزم الأعسم ونهب سواده بالجلب، وأخذت صناديقه وكتبه، وهو في الليل على طريق القلزم، فنهب بنو عقيل وبنو طيئ كثيراً من مواده، ونادى جوهر في المدينة: (من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاثمائة ألف درهم، وخمسون خلعة، وخمسون سرجاً بحلى على دوابها)^(١).

تحارب بين أشراف المدينة وأشراف مكة

٣٦١هـ فيها تحارب بنو حسن أهل مكة وبنو حسين أهل المدينة وكانت طاعتهم للعبديين، وجاءوا مع أمراء المعز لما وصل إلى مصر ليقموا له الخطبة بمكة فجاء القرامطة لنصرة بني حسن وانهزم أهل المدينة^(٢). فقد بادر حسن بن جعفر الحسني فملك مكة ودعا للمعز، وكتب إلى جوهر بذلك، فبعث الخبر إلى المعز، فأنفذ من المغرب إليه بتقليد الحرم وأعماله^(٣).

اعتراض بني سليم وبني هلال لركب العراق

٣٦١هـ ((أخذ ركب العراق، اعتراضه بنو هلال، وقتل خلق كثير وبطل الحج ولم تسلم إلا طائفة نجت ومضت مع أمير الحاج أبي أحمد الموسوي والد الشريف الرضي على طريق المدينة النبوية وتم حجهم))^(٤). وذكر في العبر: ((أخذ ركب العراق، اعتراضه بنو سليم وبني هلال، وقتلوا خلقاً وبطل الحج، إلا طائفة نجت))^(٥).

مسير المعز الفاطمي من إفريقية يريد مصر

٣٦١هـ ((سار المعز من إفريقية في أواخر شوال واستعمل على بلاد إفريقية يوسف بلكين بن زيري ابن مناد الصنهاجي... واستصحب المعز معه أهله وخزائنه وفيها أموال عظيمة حتى سبك الدنانير وعملها مثل الطواحين وشالها على جمال ووصل إلى برقة ومعه محمد بن هاني الشاعر الأندلسي... ثم سار المعز حتى وصل إلى الإسكندرية في أواخر شعبان سنة (٣٦٢هـ) وأتاه أهل مصر وأعيانها فلقبهم وأكرمهم))^(٦).

دخول المعز إلى القاهرة

٣٦٢هـ ((في شهر ربيع الآخر تواترت الأخبار بمسير المعز إلى مصر، وورد كتابه من قابس،

(١) المصدر السابق ص ١٣٠.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤٠٨.

(٣) اتعاظ الحنفا للمقرئ د. الشيال ط ١٩٦٧ م ص ١٠١.

(٤) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٤٥.

(٥) العبر في خبر من غير للذهبي ٧٤٨هـ.

(٦) تاريخ أبي الفدا.

فتأهب جوهر لذلك، وأخذ في عمارة القصر والزيادة فيه.. ولخمس بقين من شعبان ورد الخبر بوصول المعز إلى الإسكندرية، ولقيه أبو طاهر القاضي ومن معه، فخاطبهم بخطاب طويل، وأخبرهم أنه لم يسر لزيادة في ملك ولا رجال ولا سار إلا رغبة في الجهاد ونصرة للمسلمين، وخلع على القاضي وأجازه وحمله. وكان دخوله إلى القاهرة وحصوله في قصره يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٢هـ^(١). وذكر أبو الفدا أن دخول المعز القاهرة كان في ٥ رمضان من هذه السنة.

رسالة وجواب بين المعز الفاطمي والأعصم القرمطي

٣٦٢ يوم الثلاثاء ٦ رمضان المعز دخل مصر بعد أن جمع العساكر وسار إليها وكتب كتاباً إلى الأعصم يعرفه فيه أن المذهب واحد وأنهم منهم استمدوا وأنهم سادتهم في هذا الأمر وبهم وصلوا إلى هذه المرتبة ويعظه ويبالغ في تهديده، ولما قرأه الأعصم أجابه:

(وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على أثره والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل)^(٢).

الأعصم يسأل الخلافة الإمداد وولاية الشام ومصر

٣٦٢هـ قطع ما كان على ابن الإخشيد في كل سنة من الإتاوة للقرامطة وهي ثلاثمائة ألف دينار ولما بلغ القرمطي ذلك عظم عليه لأن المعز كان يضافه لما كان بالمغرب ويهاديه، فلما وصل إلى مصر قطع ذلك عنه وسار القرمطي واسمه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد بن بهرام إلى بغداد وسأل الخليفة المطيع بالله العباسي على لسان عز الدولة بختيار أن يمدّه بمال ورجال ويوليه الشام ومصر ويخرج المعز منها فامتنع الخليفة المطيع بالله من ذلك، وقال:

(كلهم قرامطة وعلى دين واحد، فأما المصريون (بنو أبي عبيد) فأما تواتوا السنن وقتلوا العلماء. وأما هؤلاء (القرامطة) فقتلوا الحاج وقتلوا الحجر الأسود وفعلوا ما فعلوا).

فقال عز الدولة بختيار للقرمطي (اذهب وافعل ما بدا لك..)، وقيل إن بختيار أعطاه مالا وسلاحاً فسار القرمطي إلى الشام ومعه أعلام سود وأظهر أن الخليفة المطيع ولّاه وكتب على الأعلام اسم المطيع وتحت مكنوب (السادة الراجعون إلى الحق) وملك القرمطي الشام ولعن المعز هذا على منبر دمشق وقال: هؤلاء من ولد القداح كذابون مخترقون أعداء الإسلام ونحن أعلم بهم ومن عندنا خرج جدهم القداح. ثم أقام القرمطي الدعوة لبني العباس وسار إلى مصر بعساكره.

يقول صاحب النجوم الزاهرة: وفي نسب المعز أقوال كثيرة أخر أضربت عن ذكرها خوف الإطالة، والظاهر أنه ليس بشريف وأنه مدّع والله أعلم^(٣).

(١) اتعاظ الحنفا للمقرئ ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٢.

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٧.

قرامطة البحرين يشنون هجوماً ضخماً على مصر والشام

يقول الأستاذ يوسف جعفر: العباسيون والحمدانيون والإخشيدون والبويهيون وقبائل عربية أخرى كان على رأسها العقيليون وقبائل طيئ يساندون الأعصم في حروبه للفاطميين بالشام، فكيف يكون زعيم القرامطة سيئاً وكافراً وفاسداً في العقيدة والدين والأخلاق وتسانده كل تلك الجهات الإسلامية القوية؟^(١)

استيلاء القرامطة على دمشق والرملة بفلسطين

وصل القرامطة إلى دمشق وأوقعوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقتلوا واليها جعفر بن فلاح بن مرزوق بظاهر دمشق وغنموا ماله وأنعامه وملك القرامطة دمشق...، عزموا على المسير إلى الشام بقيادة الحسن بن بهرام القرمطي وبمعيته محمد بن عصودا من زعماء أحداث دمشق الذين تصدوا للفاطميين وبرفته ظالم بن موهوب العقيلي الذين لجؤوا إلى الإحساء وكثرت الأخبار بمسير القرامطة إلى الشام...، وعينوا دغفل بن الجراح أميراً على الرملة بفلسطين.

يقول ابن السويداء: كان آل الجراح ومن معهم من طيئ يشكلون جزءاً هاماً من جيش القرامطة والذي كان عليه اعتمادهم كما جاء في ذيل تاريخ دمشق وهذه المشاركة من جانب طيئ هي التي أدت إلى قيام الإمارة الطائية.

مع أن المصادر تشير إلى وجود قبيلة طيئ في بلاد الشام الجنوبية قبل هذا الزمن، إلا أن لا علاقة بين هؤلاء وبين آل الجراح الذين قدموا من نجد (بلاد الجبلين) وكانوا عند انهزامهم في حروبهم يعودون إلى برية نجد (الجبلين في منطقة حائل)^(٢).

وصول فلول القرامطة إلى أسيوط وإخميم

٣٦٣ هـ ((في شهر ربيع الآخر كثر الإرجاف بالقرامطة وانتشارهم في أعمال الشام، وكان معهم عبدالله بن عبيدالله أخو أبي جعفر مسلم، فكتب إليه المعز بعدما شكاه إلى أخيه مسلم.

وفي جمادى الأولى أُرْجِف بالقرامطة...، وفي شعبان كثر الإرجاف بالقرامطة ودخول مقدمتهم أرياف مصر وأطراف المحلة، وإنهم نهبوا واستخرجوا الخراج ثم رجعوا إلى أعمال الشام.

ووصلت سرية القرامطة إلى أطراف الحوف، وأنفذ القرمطي عبدالله بن عبيدالله - أخا مسلم - إلى الصعيد، فنزل في نواحي أسيوط وإخميم، وحارب العمال، واستخرج الأموال، فثقل ذلك على المعز، وعاتب أبا جعفر مسلماً، فاعتذر إليه، وتبرأ من أفعاله، ونزل الأعصم القرمطي بعسكره بليس، وتأهب المعز لمنعه ورده))^(٣).

(١) القوى السياسية في كوت الإحساء - يوسف جعفر ص ١٨٥.

(٢) الـ ١٠٠٠ سنة الغامضة لابن السويداء ط ١ ص ١١٧.

(٣) انعاظ الحفا ص ١٤٧-١٤٩-١٥٠.

نشوب المعارك بين القرامطة والفاطميين في مصر

((فتأهب المعز وعرض عساكره في ثالث رجب (٣٦٣هـ)، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال، ووسع عليهم الأرزاق، وسير معهم الأشراف والعرب، وسير معهم المعز ابنه الأمير عبدالله، فسار بمظلمته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع، وسير معه جميع أهله، وجمعاً من جند المصريين خلا الشريف مسلم، فإنه أعفاه من ذلك.

وانبسطت سرية القرمطي في نواحي أسفل الأرض فأنفذ المعز عبده ريان الصقلي في أربعة آلاف فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر.

ولثمان خلون من رجب قدمت سرية القرامطة إلى الخندق فبرز إليهم المغاربة فهزموهم، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا، وفرَّ إليهم علي بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة، وورد الخبر بأن عبدالله بن عبيدالله أخا مسلم أوغل في الصعيد، وقتل، واستخرج الأموال، وأسرف في قتل المغاربة وأسره، ثم كر راجعاً إلى إخميم^(١).

المعز يقدم الرشوة لابن الجراح لإضعاف عسكر الأعصم

((لما استقر المعز الفاطمي بالقاهرة سنة ٣٦٣هـ - ٩٧٣م خرج عليه الحسن بن أحمد القرمطي أتى من الشام بجيش كثيف من العساكر وكان معه الأمير حسان بن الجراح أمير العرب ومعه الجم الغفير من عربان الشام حتى سد بهم الفضاء فكان ينشد ويقول:

رَعَمَتْ رِجَالُ الْعُرْبِ أَنِي هَبْتُهُمْ قَدِمِي إِذَا بَيَسْنَهُمْ مَطْلُولُ
يَا مَضْرُؤُ إِن لَّمْ أَشَقِ أَرْضَكَ مِنْ دَمِي يَرْوِي ثَرَاكَ فَلَا سَقَانِي الثُّيْلُ

فلما رأى المعز أنه لا يقوى على محاربة حسان بن الجراح أرسل إليه يقول في الدس: ارحل عن مصر وأنا أرسل لك ١٠٠،٠٠٠ دينار. فبعث حسان يقول: إن بعثت إليَّ بما تقول رحلت عن مصر. فأرسل إليه المعز مئة ألف بأكياس مختومة، فلما التقت الجيوش للحرب أظهر حسان أنه انكسر فانهزم بمن معه من العربان، فعند ذلك ضعفت شوكة عسكر القرمطي وانهزم من ساعته وقويت شوكة المعز فكسروهم وولوا مدبرين.

هزيمة القرامطة في مصر

((وأما أخبار القرامطة، ففي كتب المؤرخين من المشاركة المتعصبين على الدولة الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطي من عساكر المعز أن العرب لما أنكث بمسير سراياها بأرض مصر رأى المعز أن يقل عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسان بن الجراح الطائي أمير العرب ببلاد الشام، وكان قدم مع القرمطي في جمع عظيم قوى به عسكر القرمطي، فبعث المعز إلى ابن الجراح وبذل له مائة

(١) اتعاظ الحنفيا للمقرئ د. الشبال ط ١٩٦٧م ص ٢٠٢.

ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطي، فأجاب إلى ذلك، وأن المعز استكثر المال، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب، وجعلها في أكياس، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطي ما تحتها، وشدت الأكياس وحملت إلى ثقة من ثقات ابن الجراح بعدما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم، فلما وصل إليه المال تقدم إلى كبراء أصحابه بأن يتبعوه إذا تواقف العسكران وقامت الحرب، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزماً واتبعه أصحابه وكان في جمع كبير^(١).

فلما رآه القرمطي وقد انهزم تحير، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب فخشي على نفسه وانهزم واتبعوه ودخلوا عسكره فظفروا منه بنحو من ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى، وانتهبوا العسكر.

استيلاء ظالم العقيلي على دمشق

٣٦٣هـ ((سار ظالم بن موهوب العقيلي إلى أبي الهيجاء بن منجا القرمطي وهو في دمشق ومعه ألفا رجل، فلما وافى ظالم عقبة دمر خرج إليه أبو الهيجاء وابنه بمن معه، ففر عدة من جنده ولحقوا بظالم مستأمنين إليه فقوي بهم وسار بهم فأحاط بأبي الهيجاء فلم يقدر على الفرار فأخذه وابنه بعد أن وقعت فيه ضربة وانقلب العسكر كله مع ظالم، فملك دمشق لعشر خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٣هـ))^(٢).

تحريض المعز العبيدي لبني هلال وغيرهم على قطع طريق الحج

٣٦٣هـ ((فيها خطب للمعز الفاطمي بالحرمين مكة والمدينة النبوية وفيها خرج طائفة من بني هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام. (البداية والنهاية) ولم يحج أحد من العراق، قال الجزيري: لأن المعز العبيدي صاحب مصر سلب بني هلال وغيرهم على الركب العراقي، فقتل منهم خلق كثير وضاق الوقت وبطل الحج ولم يسلم إلا من مضى مع الشريف أحمد الموسوي على طريق المدينة، وأقيمت الدعوة بالحرمين للمعز العبيدي وقطعت خطبة بني العباس))^(٣).

٣٦٣هـ ((وفيها وصل أهل المدينة إلى مكة، ونفروا عنها بني حسن. وفيها أقيمت الدعوى بالحرمين للمعز العبيدي وقطعت خطبة بني العباس))^(٤).

خلافة الطائع لله بن المطيع لله بن المقتدر

٣٦٣هـ لما تغلب سبكتكين التركي وهو غلام معز الدولة، وقويت شوكته ونفذت كلمته، وانضاف

(١) المصدر نفسه ص ٢٠٥.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقرئ د. الشيال ط ١٩٦٧م ص ٢١٠.

(٣) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٤٥.

(٤) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤١٠.

إلى ذلك ما لحق المطيع من الفالج والمرض، خلع نفسه طائعاً من الخلافة، وسلمها لولده الطائع عبدالكريم ويكنى أبا بكر، ولقبه الطائع لله وذلك في ذي القعدة ٣٦٣هـ. ثم توفي المطيع سنة ٦٤ وكانت خلافته (٢٩ سنة و ٦ أشهر و ١١ يوماً) وعمره (٥٩ سنة و ٧ أشهر و ١٢ يوماً).

وبويج الطائع بالخلافة والأمر مغلوب عليه وما له إلا الاسم، لم يل الخلافة من بني العباس أكبر منه سناً، كان عمره حين استخلف (٤٧ سنة)^(١).

محاولة عضد الدولة الاستيلاء على الإحساء ومحاولة المعز إعادة العلاقات

قال عبدالرحمن آل ملا: مهما تكن نتيجة الصراعات فقد انتهج (المعز) سياسة جديدة تجاه أعداء اليوم وأصدقاء الأمس، فسعى إلى إزالة أسباب الخلاف معهم، وفي هذا الإطار: أطلق سراح من كان لديه من أسراهم وأكرمهم وكان من أبرزهم (أبو المنجا) فقد استدعاه (المعز) بعد إطلاق سراحه في ٢٥ محرم ٣٦٤هـ (١٥ أكتوبر ٩٧٤م تقريباً) وأنعم عليه بالهبات السخية وكلفه أن يبذل كل ما في وسعه للعمل على رأب الصدع الذي منيت به علاقة العبيديين برؤساء البحرين. كما ضمن لهم إتاوة سنوية تحمل إليهم. وصادف ذلك هوى في نفس (الأعصم) لأن أزمة حادة قد نشبت بينه وبين الخلافة العباسية سببها فيما أرى: أن (عضد الدولة بن خسرو بن ركن الدولة علي بن بويه) حين علم بفشل مساعي (الأعصم) في الاستيلاء على مصر ورجوعه إلى الشام خائباً، رغب في الاستيلاء على الإحساء. وأرسل لاحتلالها جيشاً جراراً، وكان واليها من قبل الأعصم عمه (أبا يعقوب يوسف) فتصدى للمهاجمين ولكنه لاذ بالفرار من الإحساء لما وجد نفسه عاجزاً عن صد هجوم العباسيين عليهم. حينذاك: بادر الأعصم للعودة إلى بلاده لمعالجة الوضع فجمع فلول المنهزمين وعمل بالتنسيق مع عمه (أبي يعقوب) على قتال العباسيين وإجلائهم عن البلاد. فتم له ما أراد على أثر معركة طاحنة دارت رحاها بين الطرفين. وقد أحس (الأعصم) بعد انتصاره في تلك المعركة بدماء الثقة تتدفق في شرايينه من جديد فأرسل إلى رجال العشائر يدعوهم للقُدوم عليه والتكتل حوله فبادروا إلى ذلك.

مكاتبة أمير مكة للمعز

٣٦٥هـ ((ورد - إلى المعز بمصر - كتاب أمير مكة جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكتاب أخيه الحسن ابن محمد الحسيني وهو أخو صفية امرأة عبدالله بن عبيدالله أخي مسلم يسأل الإحسان إلى أخته صفية، وكانت مستترة، فأمر برد ضياعها وريعتها وتسليم ذلك إليها))^(٢).

(١) سبط النجوم العوالي م ٣ ص ٤٩٥.

(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزي د. الشيال ط ١٩٦٧م ص ٢٢٥.

وفاة المعز العبيدي الفاطمي وتولي ابنه العزيز

٣٦٥هـ ١٧ ربيع الأول: ((توفي المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي عبيدالله العلوي الحسيني بمصر، وهو ابن ٤٦ سنة. ولما مات المعز أخفى العزيز ابنه موته وأظهره في عيد النحر من هذه السنة وبايعه الناس))^(١).

محاصرة قوات العزيز بن المعز لمكة المشرفة

٣٦٥هـ في موسم الحج خطب أهل مكة والمدينة للمعز المتوفى وتركوا الخطبة للعزيز ابنه، فبعث جيوشه إلى الحجاز ومعهم أمير علوي لتعيينه على مكة فحاصروا مكة والمدينة وضيقوا عليهم، وكان أمير مكة عيسى بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى، وأمير المدينة طاهر ابن مسلم^(٢) الذي مات في هذه السنة فولى ابنه الحسن وابن أخيه مكانه. وبطل الحج من ناحية العراق والمشرق لاضطراب أمور البلاد^(٣). ودخلت سنة ٣٦٦هـ والحصار لا زال مستمراً حتى رجعوا إلى دعوتهم، وخطب للعزيز بمكة.

محاربة القائد الفاطمي جوهر الصقلي لأهل الشام

٣٦٥هـ وصل جوهر الصقلي أحد قادة الفاطميين إلى دمشق وتقاتل مع البتكين التركي الأصل الذي تولى أمر دمشق من قبل معز الدولة ثم استقل بالحكم، ودامت الحرب أكثر من شهر، فأشار أهل دمشق على البتكين بمكاتبة الحسن الأعصم لينجدهم ففعل، فلما قرب منهم رحل جوهر خوفاً من أن يقع بين نارين وعدوين.

استجابة الأعصم لنجدة أهل الشام بجيش فيه أبناء عمه

يقول الملا^(٤): بناء على نصيحة الأهالي البتكين يكتب الحسن بن أحمد الأعصم فأجابه الأعصم إلى ما طلب فأعد جيشاً سيّره إلى الشام لنجدة أهلها فيه من أبناء عمه (إسحاق)^(٥) و(كسرى) و(جعفر)

(١) المختصر في أخبار البشر وهو تاريخ أبي الفدا..

(٢) أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيدالله الحسيني ذكر في أحداث سنة ٣٥٨هـ في مصر. راجع: انعاظ العنفا ص ١٠٣ - ١٠٧.

(٣) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤١٣، وراجع تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

(٤) الإمارة العيونية للملا.

(٥) إسحاق لعله: إسحاق بن إبراهيم بن الحسن. وكسرى لعله: كسرى بن أبي القاسم سعيد بن أبي سعيد الحسن الجنابي. وهناك قول قد ذكرناه في الصفحات السابقة وهو أنه لم يبق من رؤساء القرامطة بعد وفاة الأعصم إلا ابنه جعفر وإسحاق، فلعل هذه الأسماء منتشرة بين الأبناء والأعمام.

وذكر ابن حوقل: كسرى بن أبي القاسم، وصخر بن أبي إسحاق. راجع: صورة الأرض ص ٣٤.

وذلك في سنة ٣٦٥هـ الموافق ٩٧٦م فنزلوا ظاهر دمشق ولقي (ألبتكين) القرامطة وأنعم عليهم بالأموال وأكرمهم وأملهم، فمكثوا بدمشق أياماً ثم ساروا قاصدين الرملة ففرّ منها عامل العبيديين (أبو محمود بن إبراهيم بن جعفر) واعتصم بيافا ونشب القتال بينهم.

مسير الأعصم إلى الشام ووفاته في الرملة

٣٦٦هـ وفي جمادى الأولى وردت البشارة على جعفر بأن ابن عمه الحسن بن أحمد الأعصم في الطريق إلى الشام. ولما صبح الخبر بذلك حاول (جوهر) الاعتصام بمكان آمن، فدخل زيتون الرملة وتحصن بها وسار ألبتكين من دمشق في إثر (الحسن) فأدركه بالرملة. وهناك أدركت الحسن بن أحمد الوفاة.

جوهر يغري العزيز بالسير

قال ابن خلدون: كتب أفتكين إلى الأعصم ملك القرامطة يستنجد، فسار إليه من الإحساء، واجتمع إليهم من رجال الشام والعرب نحو من خمسين ألفاً وأدركوا جوهرًا بالرملة، وقطعوا عنه الماء فارتحل إلى عسقلان فحاصروه بها حتى بلغ الجهد، وأرسل جوهر إلى أفتكين بالمغاربة والوعد، والقرمطي يمنعه، ثم سأل في الاجتماع فجاءه أفتكين، ولم يزل جوهر يعتل له في الدروة والغارب، وأفتكين يعتذر بالقرمطي ويقول: أنت حملتني على مداراته، فلما أيس منه، كشف له عما هم فيه من الضيق، وسأله الصنيعة وأنه يتخذها عند العزيز فحلف له على ذلك، وعزله القرمطي، وأراه جوهر أن يحمل العزيز على المسير بنفسه فصم من عزله وأبى إلا الوفاء، وانطلق جوهر إلى مصر وأغرى العزيز بالسير إليهم، فتجهّز في العساكر وسار وجوهر في مقدمته، ورجع أفتكين والقرمطي إلى الرملة، واحتشدوا ووصل العزيز فاصطفوا للحرب بظاهر الرملة في محرم سنة سبع وستين^(١).

= وذكر المقرئ: أن كسرى بن أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي طالب أصحابه بتسليم الأمر للمعز لدين الله، لما كان يسمعه من أبيه وعمومته أنه الإمام وصاحب الأمر والقائم والمهدي وصاحب الزمان، فاجتمع عمومته ودعوه للمناظرة في هذا، فلما حضر معهم في الدار خبطوه بسيوفهم حتى قتلوه. اتعاط الحنفا ص ٢٣٨.

(١) لو أن ابن خلدون قال إنهم اصطفوا للحرب في محرم ٣٦٦هـ لزال الإشكال، لأن التاريخ الذي ذكره يتنافى مع كثير من المصادر التي تكاد تجمع على أن وفاة الأعصم كانت في سنة ٣٦٦هـ.

ونذكر القارئ بأن ما تراه من المتناقضات في نقلنا للأخبار نحن أيضاً نراه، ولكن ماذا بوسعنا أن نفعل؟ كل الذي نستطيع فعله هو محاولة التوفيق بين الأخبار قدر المستطاع، أما التي تختلف اختلافاً كلياً فنذكرها ونتركها على علتها لعلنا نجد لها فيما بعد التفسير المناسب من مصادر أخرى أكثر دقة. ولعل من أهم هذه التناقضات:

١- بعض المصادر تذكر وجود الأعصم في الشام نصرة لأهل الشام ووفاته في الرملة سنة ٣٦٦هـ، بينما مصادر أخرى تذكر أنه اصطف للقتال سنة ٣٦٧هـ في الشام، وبعد الهزيمة عاد للإحساء ولم نشر إلى وفاته.

٢- وبعض المصادر تذكر ما يفيد بأن الأعصم حين توفي كان عمره ٨٨ سنة^٩، وأظن أن هذا العمر كبير جداً ولا ينسجم مع قائد نشط عسكرياً يكون بين الفينة والأخرى خارجاً للحرب هنا وهناك من مصر إلى عمان إلى الكوفة

حرب البتكين مع العزيز الفاطمي ووقوعه في قبضة العزيز

قال ابن خلدون: وبعث العزيز إلى أفتكين يدعوه إلى الطاعة، ويرغبه ويعدّه بالتقدّم في دولته، ويدعوه إلى الحضور عنده فتقدم بين الصّفين، وترجّل وقبّل الأرض وقال: قل لأمر المؤمنين لو كان قبل هذه لسارعت، وأما الآن فلا يمكنني، وحمل على الميسرة فهزمهم وقتل الكثير منهم، فامتعض العزيز وحمل هو والميمنة جميعاً فهزمهم، ووضع المغاربة السيف فقتلوا نحواً من عشرين ألفاً، ثم نزل في خيامه، وجيء بالأسرى فخلع على من جاء بهم، وبذل لمن جاء بأفتكين مائة ألف دينار، فلقية المفرج بن دغفل الطائي، وقد جهده العطش فاستسقاها، وتركه بعرشه مُكرّماً، وجاء إلى العزيز فأخبره بمكانه، وأخذ المائة ألف التي بذلها فيه، وأمكنه من قياده، ولما حضر عند العزيز وهو لا يشك أنه مقتول أكرمه العزيز ووصله، ونصب له الخيام، وأعاد إليه ما نهب منه، ورجع به إلى مصر فجعله أخصّ خدمه وحجّابه، وبعث إلى الأعصم القرمطيّ من يرده إليه ليصله، كما فعل بأفتكين فأدرك بطبرية، وامتنع من الرجوع فبعث إليه بعشرين ألف دينار، وفرضها له ضريبة. وسار القرمطيّ إلى الإحساء، وعاد العزيز إلى مصر^(١).

وفاة الأعصم الحسن بن أحمد وما حلّ بالقرامطة من بعده

٣٦٦هـ في يوم الأربعاء ٢٣ رجب ٣٦٦هـ الموافق (١٦ فبراير ٩٧٧م تقريباً): ((توفي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بهرام أبو علي، وقيل: أبو محمد القرمطي الجنابي الخارجي. ولد بالإحساء في شهر رمضان سنة ٢٧٨هـ..... مات بالرملة في عوده إلى دمشق في شهر رجب))^(٢)، وقيل كان يلقب بالأعصم وكان يلبس الثياب القصيرة وكان فصيحاً شاعراً.

تقول د. مي الخليفة عن الحسن الأعصم بن أحمد بن الحسن أبي سعيد الجنابي: ولد الأعصم في

= إلى البصرة، وكذلك قيامه بفريضة الحج أكثر من مرة وزيارته لقصر الخلافة في بغداد، إن لم نقل زيارته..

٣- بعض المصادر تسمي الأعصم الحسن وبعضها تسميه الحسين..

٤- وبعض المصادر تفيد أنه بعد موت الأعصم طردوا أولاده ونفوا إلى البحرين وولوا أمرهم إلى اثنين منهم هما إسحاق وجعفر الهجريين؟ بينما بعض المصادر تقول إن إسحاق وجعفرأ هما ابنا الأعصم!! وبعض المصادر تذكر أن إسحاق وجعفرأ وكسرى هم أبناء عم الأعصم..

٥- في الوقت الذي نعلم أنه وقت حكم الأعصم للقرامطة من ٣٥٩هـ تقريباً إلى سنة ٣٦٦هـ تقول بعض المصادر الموثوقة إنه في سنة ٣٦١هـ مات سعيد بن أبي سعيد وإنه لم يبق من أبناء أبي سعيد غيره هو وغير أخيه يوسف أبي يعقوب الذي تولى بعده. ثم تذكر المصادر أن يوسف هذا توفي سنة ٣٦٦هـ وتولى بعده ستة شركاء؟؟، فأين ذهبت سنوات حكم الأعصم.

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٨.

الإحصاء عام ٢٧٨هـ^(١) ولقب بالأعصم لوجود بياض في طرف من أطرافه، وكان قصير القامة وقيل إنه كان يستعين بكرسي حين يمتطي صهوة جواده ولم يكن يركب من الخيل إلا أقواها^(٢).

وكان الأعصم عالماً أديباً لبيباً، ذكروا أنه قال لكتابه أبي نصر كشاجم ذات ليلة: ما يحضرك في هذه الشموع؟ فقال: إنما نحضر مجلس السيد أعزه الله لنسمع كلامه ونستفيد من أدبه، فقال على البديهة شعراً:

ومجدولة مثل صدر القناة
لها مقلدة هي روح لها
إذا غازلتها الضُّبَا حُرُكَتْ
إذا مارمت النعاس كرا
وتنتج في وقت تلقيحها
وقال: فنحن من الثور في أسعد
زعموا أنني قصير لعمري
إنما المرء باللسان وبالقلب
وقال:

إني امرؤ ليس من شائي ولا أربي
ولا اعتكاف على خمير ومجمرة
ولا أبيت بطين البطن من شبع
ولا تسامت بي الدثيما إلى طمع
وقال:

يا ساكن البلد المنيف تعزاً
لا عز إلا للعزيز بنفسه
وبقبة بيضاء قد ضربت على
قرم إذا اشتد الوغى أزدى المدي
لم يرض بالشرف التليد لنفسه
وقال:

(١) إذا كانت ولادته في سنة ٢٧٨هـ فهذا يعني أن عمره حين وفاته كان (٨٨ سنة)؟.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٣٠٩.

(٣) أخبار القرامطة للدكتور سهيل زكار دار الكوثر الرياض ١٩٨٩ ص ٦٠٠.

(٤) وقيل ضيوفه.

(٥) قيل: زحوفه.

(٦) أي: سيفه.

وفاة أمراء من القرامطة

٣٦٦هـ ((توفي يوسف بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر ومولده سنة ٢٨٠هـ وتولى أمر القرامطة نفر شركة وسموا السادة))^(١)، وكنا قد ذكرنا أن الأعصم توفي في الرملة عن عمر يناهز الثامنة والثمانين، وتذكر المصادر أنه في سنة ٣٦٧هـ توفي (أبو يوسف يعقوب بن الحسن أمير القرامطة): ويذكر دي غويه (أن القرامطة في تلك الفترة لم يعودوا مكروهين، وتغيرت مواقف الناس تجاههم، إلى حد أن أسواق الكوفة ظلت مغلقة ثلاثة أيام حين وصلها نبأ وفاة أبي يوسف يعقوب بن الحسن أمير القرامطة عام ٣٦٧هـ)^(٢).

وبوفاة أبي يعقوب بن الحسن بن بهرام القرمطي عقد الأمر بعده لسبعة من أهل بيت الإمارة شركة ومنهم سهل بن همام وكان الأمر بينهم شركة وسموا السادة.

قيام النزاع والشقاق بين القرامطة لمدة ٣٠ سنة

بعد موت الأعصم ثار الشقاق والنزاع بين القرامطة لمدة ٣٠ سنة بين إسحاق وجعفر وفي هذه المدة تغلبت القبائل عليهم وهي: ثعلبة، وعقيل، وسليم. وقال المؤرخون: وعلى أثر موت الأعصم ثار أهل البحرين على أسرة أبي سعيد وأنكروا عليهم خطبتهم وولاءهم لبني العباس واتفقت كلمتهم على إخراج الأمر منهم إذ قرر العقدانية طرد أبناء الحسين فنفوهم بأجمعهم إلى جزيرة أوال وأسندوا مهام الدولة لرجلين منهم هما: إسحاق وجعفر الهجريان يعاونهما ستة أشخاص أطلقوا عليهم اسم السادة ثم أعلنوا ولاءهم للفاطميين في مصر.

قال ابن خلدون: وأنكروا ما فعله الأعصم من البيعة لبني العباس، واتفقوا على إخراج الأمر عن ولد أبي سعيد الجنابي وقدموا رجلين منهم: وهما جعفر وإسحاق، وسار بنو أبي سعيد إلى جزيرة أوال وكان بنو أبي طاهر قبلهم فقتلوا كل من دخل إليهم من ولد أحمد بن أبي سعيد وأشياعه، ثم قام بأمر القرامطة جعفر وإسحاق هذان، ورجعوا إلى دعوة العلوية ومحاربة بني بويه ورجعوا سنة أربع وستين^(٣) إلى الكوفة فملكوها، وبعث صمصام الدولة بن بويه العساكر إليهم فهزمهم على الفرات، وقتل منهم خلقاً واتبعهم إلى القادسية، ثم اختلف جعفر وإسحاق، وطمع كل منهما في الرياسة على صاحبه وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨هـ عليهم، وملك الإحصاء من أيديهم، وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه^(٤).

قال التاجر محمد علي: وبعد موت - الأعصم - ثار الشقاق بين القرامطة ولعب السيف بينهم مدة مديدة حتى أفناهم وبددهم وشردهم في الأمصار ولم يبق منهم إلا جعفر وإسحاق ابنا الأعصم فما زالا

(١) تاريخ أبي الفداء، وهذا الخير يعني أن عمر الأمير يوسف في هذا العام ٨٦ هجرية.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٣٢٠.

(٣) لعله يريد سنة ٣٧٤هـ.

(٤) تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٩١.

متنازعين متكافحين مدة ثلاثين سنة ضعف في أثنائها شأن البحرين وتشتت شملها وانفرط عقد نظامها وتكاثرت فيها الأعراب ذوو المطامع المختلفة والغايات المتضاربة، فقد ذكر أهل السير والمؤرخون أن القبائل العربية قد كثرت في ذلك الوقت في البحرين، وكل منها له شأن وغرض يرمي إليه ويتحين الفرص للحصول عليه وأكثر القبائل وأظهرها بنو ثعلبة وبنو عقيل من بني عامر بن صعصعة وبنو سليم، وأظهرهم بنو ثعلبة وهم الطامحون إلى الملك والرئاسة ورئيسهم يومئذ الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي، وهو الذي أوقع بإسحاق وجعفر ابني أبي علي الحسن بن أحمد القرمطي واحتوى على ملكهم^(١).

إرسال حاكم علوي إلى مكة من قبل العباسيين

٣٦٦هـ في هذه السنة بعث الحسين بن أحمد عساكره إلى الحرمين وقطع الخطبة للعباسيين، وجاء أمير علوي من قبل الطائع إلى مكة، فأقام له الخطبة. وقال ابن كثير: كانت الخطبة في هذه السنة بالحرمين للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين.

وفيها حج بالناس ابن القمر صاحب القرامطة. وقال ابن الجوزي: وحج في هذه السنة بالناس من العراق أبو عبدالله أحمد بن أبي الحسين محمد بن عبدالله العلوي وكذلك إلى سنة ٣٨٠هـ^(٢). في شوال ورد أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه، صاحب القرامطة إلى الكوفة ومعه ألف رجل منهم وأقام الدعوة بها للطائع لله ولعضد الدولة.

تأسيس إمارة الأشراف الحسينيين في المدينة المنورة

٣٦٦هـ تأسست على يد أبي طاهر قاسم بن مسلم بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيدالله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقد أشرنا إلى أن أميرهم في سنة ٣٦٥هـ كان طاهر بن مسلم.

وقال ابن خلدون: قال ابن الحصين في ذيله على الطبري: دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر، قال: وترددت ولاية بني العباس عليها والرياسة فيها بين بني حسين وبني جعفر إلى أن أخرجهم بنو حسين فسكنوا بين مكة والمدينة، ثم أجلاهم بنو حرب من زييد إلى القرى والحصون، وأجازوهم إلى الصعيد فهم هنالك إلى اليوم، وبقي بنو حسين بالمدينة إلى أن جاءهم طاهر بن مسلم من مصر فملكوه عليهم، وفي الخبر عن وصول طاهر هذا أن مسلماً أباه اسمه محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى المحدث ابن الحسن بن جعفر، ويسمى عند الشيعة حجة الله بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن زين العابدين، وكان مسلم هذا صديقاً لكافور المتغلب على الإخشيدية بمصر، وكان يدبر أمره، ولم يكن بمصر لعصره أوجه منه، ولما ملك العبيديون مصر وجاء المعز لدين الله ونزل بالقاهرة التي اختطها وذلك سنة ٣٦٥هـ خطب يومئذ من مسلم هذا كريمته لبعض بني فرده مسلم فسخطه المعز ونكبه، واستصفى

(١) مخطوط: عقد اللال في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل ١٩.

(٢) إتحاف الوري ج ٢ ص ٤١٣.

أمواله، وأقام في اعتقاله إلى أن هلك، ويقال قرّ من محبسه فهلك في مفره، ولحق ابنه طاهر بن محمد بعد ذلك بالمدينة فقدمه بنو حسين على أنفسهم، واستقل بإمارتها سنين، ثم مات سنة ٣٨١هـ وولي مكانه ابنه الحسن^(١).

ثم يقول ابن خلدون: إلا أن أمراء المدينة لهذا العهد - يقصد سنة ٧٩٩هـ -، يتسبون إلى داود ويقولون: جاء من العراق فلعلهم لقنوا ذلك عمن لا يعرفه.

نقل هلال وسليم وربيعة إلى مصر

تقول المصادر التاريخية إن العزيز بالله الفاطمي ((أرسل جيشاً في سنة ٣٦٧هـ لمهاجمة القرامطة في الشام واستطاع أن يهزمهم ويشتت شملهم وبذلك استطاع أن ينفرد بفلول بني هلال وربيعة وسليم فنقلهم إلى منطقة مصر العليا الصعيد. إلا أن هؤلاء بدأت تطفو مشاكلهم وبخاصة ما بين زغبة ورياح))، وفيها أنفذ العزيز من مصر على الركب باديس بن زيري الصنهاجي فاستولى على الحرمين وأقام الخطبة للعزيز بمكة^(٢).

مسيرات العساكر المصرية إلى ابن الجراح بفلسطين والشام

٣٧٠هـ سیرت العساكر من مصر لقتال المفرج بن الجراح لعظم شأنه بفلسطين وكثر جمعه وقوة شوكته.

٣٧١هـ انقطع الحج العراقي إلى سنة ٣٧٨هـ^(٣)
٣٧٢هـ ((اعترض الحاج عند عوده من مكة المفرج بن دعلج المعروف بابن الجراح بعقبة واقصة، فحاصروهم حتى صالحوه على مال أخذه منهم))^(٤)
مركز بحوث ودراسات إسلامية

استيلاء الجيوش المصرية على فلسطين والشام

٣٧٢هـ ((سير العزيز بالله العلوي صاحب مصر جيشاً مع بكتكين إلى الشام فوصلوا إلى فلسطين وكان قد استولى عليها مفرج بن الجراح وكثر جمعه، فجرى بينهم قتال شديد فانهزم ابن الجراح وجماعته وكثر القتل والنهب فيهم، ثم سار بكتكين إلى دمشق فقاتله قسام المتولي عليها فغلبه بكتكين وملك دمشق وأمسك قساماً وأرسله إلى العزيز بمصر واستقر بدمشق وزالت الفتن))^(٥).

(١) تاريخ ابن خلدون م ٤.

(٢) إتحاف الوری لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤١٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٢٠.

(٤) درر الفرائد المنظمة ص ٥٢٩.

(٥) المختصر: تاريخ أبي الفدا.

وفاة عضد الدولة بن ركن الدولة الديلمي فخلفه ابنه صمصام الدولة

٣٧٢هـ في ثامن شوال من هذه السنة مات عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه بمعاودة الصرع مرة بعد أخرى وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام فدفن به^(١). وجلس ابنه صمصام الدولة أبو كليجار المرزبان للعزاء فجاءه الطائع معزياً، وكان عضد الدولة بعيد الهمة شديد الهيبة حسن السياسة ثاقب الرأي^(٢).

قيام دولة بني خفاجة قرب الكوفة

٣٧٤هـ - ٥٦٨م قامت دولة بني خفاجة بالقرب من الكوفة واستمرت ١٩٤ عاماً، أي إلى سنة ٥٦٨هـ، ومؤسسها هو: أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجي.

دخول القرامطة للبصرة واقترابهم من بغداد

٣٧٤هـ دخلت القرامطة البصرة لما علموا بموت عضد الدولة، ولم يكن لهم قوة على حصارها، فجمعوا لهم مالاً فأخذوه وانصرفوا^(٣). وعند اقتراب جيوشهم من أطراف بغداد تم استرضائهم بمختلف التنازلات^(٤).

استيلاء القرامطة على الكوفة ثم اندحارهم

٣٧٥هـ إسحاق وجعفر الهجريان (عضوا مجلس السيادة) يقودان حملة كبيرة واتجها نحو الكوفة واستوليا عليها وخطبا لشرف الدولة البويهي نكاية بأخيه صمصام الدولة لإلقائه القبض على ممثل القرامطة في بغداد أبي بكر - محمد بن علي - بن شاهويه. بعد ذلك سير صمصام الدولة جيشاً جراراً من العرب والأتراك يقوده (إبراهيم بن مرج العقيلي) و(أبو القاسم بن زعفران) و(أبو الفضل المظفر) لمقاتلتهم فاشتبكوا في معركة عنيفة أسفرت عن انهزام القرامطة استطاع (إبراهيم) اختراق القوات القرمطية وأسر عدد من قادتهم وفي مقدمتهم أبو قيس الحسن بن المنذر.

قال ابن خلدون: كان للقرامطة محل من البأس والهيبة عند أهل الدول وكانوا يدافعونهم في أكثر الأوقات بالمال، وأقطعهم معز الدولة وابنه بختيار ببغداد وأعمالها، وكان يأتيهم ببغداد أبو بكر بن شاهويه يحتكم بحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة، وكان على القرامطة في هجر ونيسابور مشتركان في إمارتهما، وهما إسحاق وجعفر فلما بلغهما الخبر سارا إلى الكوفة فملكها وخطبا لمشرف الدولة، وكاتبهما صمصام الدولة بالعتب فذكرا أمرهما ببغداد، وانتشر القرامطة في البلاد وجبوا

(١) المصدر نفسه.

(٢) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع القسم الخامس.

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٤٥.

(٤) من سواد الكوفة إلى البحرين ص ٣٢٠ راجع ميكال يا دي خويه، القرامطة ص ١٥٦.

الأموال، ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر من أكابرهم إلى الجامعين فترح صمصام الدولة العسكر، ومعهم العرب فعبروا الفرات وقاتلوه فهزموه وأسروه، وقتلوا جماعة من قواد القرامطة، ثم عاودوا عسكرياً آخر. ولقيتهم عساكر صمصام الدولة بالجامعين فانهزم القرامطة وقتل مقدمهم وغيره وأسروا منهم العساكر، وساروا في اتباعهم إلى القادسية فلم يدركوهم.

قال ابن الأثير: وفيها (٣٧٥هـ) ورد الخبر بأن اثنين من سادة القرامطة وهما إسحاق وجعفر دخلا الكوفة في حفل عظيم فانزعجت النفوس بسبب ذلك وذلك لصراحتهم وشجاعتهم. ولأن عضد الدولة مع شجاعته كان يصانعهما وأقطعهما أراضي من أراضي واسط، وكذلك عز الدولة من قبله أيضاً فجهز إليهما صمصام جيشاً فطردهما عن تلك النواحي التي قد أكثروا فيها الفساد وبطل ما كان في نفوس الناس منهما.

بداية النهاية لدولة القرامطة

حين دخل القرامطة الكوفة - سنة ٣٧٥هـ بقيادة اثنين من السادة هما إسحاق وجعفر اللذان دخلوها دخول الظافرين، إلا أنهم انهزموا بعد بضعة انتصارات ولم تقم لهم بعدها قائمة في العراق، وكتب ابن الأثير: (وزال من حينئذ ناموسهم).

بعد تلك الهزيمة يضعف أمر القرامطة وينشب خلاف داخلي بين جعفر وإسحاق (كل منهما يريد الاستئثار بالحكم) وينتهي نفوذهم في عمان أيضاً سنة ٣٧٥هـ وتلاشى هيبتهم أمام الأعراب الذين لم يعودوا ينقادون لهم. كما تفقد دولة هجر المصادر المالية التي كانت تأتي عن طريق ضرائب الحج^(١).

يبدو أن السنوات التي تلت وفاة حاكم القرامطة القوي الحسن الأعصم، وما جرت عليه استهانة الدولة الفاطمية به قبيل وفاته بما عمل ضده من انقلابات داخلية كيدية، ثم مهاجمة السلاطين البويهيين له من جهة أخرى ووصلوا إلى عقر داره ومحاولتهم إخضاع منطقتهم لنفوذهم، ما كانت كل هذه التحركات وغيرها إلا إثباتاً للشعوب المحيطة بأن القرامطة لم يعودوا كما كانوا في الماضي يشكلون أسطورة الجيش الذي لا يقهر أو أنهم في عصمة من الهزيمة، بل إن الهزائم المتلاحقة جعلت القبائل المحيطة تنمرد عليهم بمحاولة للاستئثار بالثروات المحلية. وهذا ما كان يتمناه زعماء البويهيين أنفسهم فجعلوا يدعمون ويشجعون رؤساء القبائل ويحرضونهم على الاستقلال، فكان من جراء ذلك النتائج التالية:

١- الأصفر الثعلبي قاد تمرداً في المنطقة باتحاده مع بني عقيل فتم إجلاء بني سليم لتدخل بطون منهم ضمن التغريبة الهلالية.

٢- آل مكرم استطاعوا الاستقلال بحكم عمان، وإنهاء سلطة القرامطة عليها في سنة ٣٧٥هـ.

٣- بقاء ثعلبة وعقيل في المنطقة بعد أن طردوا سليماً منها.

٤- في سنة ٣٧٨هـ أوقع الأصفر الثعلبي بإسحاق وجعفر وبقيّة القرامطة ومن يلوذ بهم وقتلهم جميعاً، واستطاع أن يؤسس دولة على أنقاض دولتهم.

(١) المصدر نفسه ص ٣٢١.

٥- بعد أن عظم شأن بني ثعلبة وبعد أن ضاقوا ذرعاً ببني عقيل أثاروا ضدهم حرباً شعواء وطردوهم من المنطقة، فانتقلوا إلى العراق وأسسوا هناك دولة لهم بالكوفة والبلاد الفراتية.

٦- في سنة ٤١٠هـ مات الأصفر وفقاً لما يذكر ابن كثير.

٧- الأصفر - أو ابن الأصفر كما نرجح - طالت أيامه واتسعت دولته وقوي نفوذه واستطاع أن يلاحق بني عقيل ويحصل على أراضيهم بعين التمر، فقبض عليه أحد السلاطين السلاجقة وحبسه ثم عفا عنه وأطلقه ومات في سنة ٤٣٨هـ.

٨- ثم إن بني عقيل بعد استقرارهم لعدة عقود في العراق وتأسيسهم لدولتهم تأثروا بالمد السلجوقي الجارف على أراضيهم فعادوا في الأربعينات من الأربعمائة الهجرية أدراجهم إلى مواطنهم الأولى في البحرين، فوجدوا بني ثعلبة قد أصابهم الهرم والضعف فاستولوا على دولتهم وساعدوا في قيام الدولة القرامطية مرة أخرى، على الرغم من أن بعض المصادر تنص على أن بني ثعلبة هم أصلاً امتداد للقرامطة.

٩- وفيما بين سنة ٤٤٢هـ إلى ٤٤٣هـ كان هناك أمير عربي يحاصر الإحساء لمدة عام في محاولة منه للاستيلاء على قلعة هجر.

ومن التناقضات التاريخية التي نود الإشارة إليها ذكر أغلب المصادر إلى أن وفاة الأصفر أو الأصفر المتتقي كانت في سنة ٤٣٨هـ، بينما يذكرها ابن كثير في حوادث سنة ٤١٠هـ.

استيلاء بني مكرم على عمان

في مخطوط عقد اللال في تاريخ أوائل للمحمد علي التاجر: ((كان بأعمال البحرين خلق من العرب، وكان القرامطة يستنجدونهم على أعدائهم، ويستعينون بهم في حروبهم، وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات كان أعظم قبائلهم هناك كما قدمنا وأظهرهم في العزة والكثرة بنو ثعلبة، ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين وأحكمت العداوة بينهم وبين بني بويه بعد انقراض ملك بني الجنابي وعظم اختلافهم عند القائم بدعوة العباسية وكان خاصة للقرامطة ودعاه إلى ذهاب دولتهم فأجابوه وداخل بني مكرم رؤساء عمان في مثل ذلك فأجابوه فاستولى بنو مكرم على عمان.

الأصفر بن أبي الحسن الثعلبي زعيم المتفق ينهي حكم القرامطة في الإحساء

في سنة ٣٧٨هـ ((هجم القرامطة على البصرة فنهبوا منها الأغنام والمواشي فلما سمع الأصفر من بني المتفق جمع عربيه وعقب القرامطة فلم يلحق بهم إلا في مكان بقرب الإحساء وهجم عليهم وقتل منهم زهاء ألف وخمسمائة رجل وأخذ منهم الأغنام والأموال وعاد مظفراً^(١).

(١) ولاية البصرة ومستلموها لابن غملاس ت ١٣٣٣.

وكان هذا الهجوم المعاكس على القرامطة من قبل المنتفقي وقع بتحريض من الفقيه الحنفي أبي بكر محمد بن محمد النيسابوري الذي اتصل بـ(الأصفر) أو (الأصغر) رئيس المنتفق وحثه على مهاجمة القرامطة في الإحساء، ورافقه في حصاره لها سنة ٣٧٨هـ وفي نفس الوقت كان هذا الفقيه ينصح المنتفقي بعدم التعاون مع حاكم مصر الملقب بـ(العزیز) حين حاول استمالته إليه وضمه إلى دعوته^(١).

فعندما علم نزار العبيدي بأن الأصفر يحاصر القرامطة في الإحساء ويقتل من يخرج منهم أرسل إليه بهدايا كثيرة وأموال وسأله أن يرسل إليه ثقة له، فأرسل ابن أخته، فلاقى من نزار كل تكريم وتبجيل وأعطاه الأموال على أن يدعو خاله للدخول في دعوتهم على أن يقطعه البلدان العظيمة من أرض الشام، وهنا منعه الفقيه النيسابوري من متابعتها وقال له: لا تعتز بما يظهر نزار من أنه من المسلمين وأنه يدعو إلى الإسلام وإلى الحق، فإنه شر من هؤلاء القرامطة الذين بالإحساء، فهم الأصل في الفساد الذي وقع في الإسلام، وخذ الأموال التي أعطوك فإنما هي هدايا أهدوها لك، وابتدؤوك بها. فأرسل الأصفر إلى نزار في جواب الرسالة: إني لست أجيبك إلى قبول ما بذلت من الإقطاع من الشام إلى أن أفرغ من الإحساء وأهلها وأعرف ما عندي^(٢).

وفي ساحل الذهب الأسود ذكر أن آل بويه ألّبوا على القرامطة ((رجلاً قوي الشكيمة من قبيلة المنتفق يسمى الأصيفر حشد حشداً كثيراً وسار بهم إلى البحرين فخرج القرامطة للقائه وأسفرت عن قتل رئيسهم وفناء معظمهم وأسر عدد كبير منهم وفرار فلولهم حيث اعتصموا بالإحساء فحاصرها الأصيفر فلما يش من فتحها زحف على القطيف فصادر جميع ما كان فيها للقرامطة من الأموال والمواشي والعبيد ثم عاد للبصرة)).

قال ابن فهد: ((هنالك دولة - للقرامطة - انقرضت آخر المائة الرابعة، وتغلب عليهم العرب من بني سليم وبني عقيل))^(٣). وهذا القول هو تعيينه قول ابن خلدون عن قرامطة البحرين: ((كانت لهم هنالك دولة انقرضت آخر المائة الرابعة، وتغلب عليهم العرب من بني سليم وبني عقيل))^(٤).

أظن أن اتحاد سليم وعقيل هذا هو نفس ذلك الاتحاد الذي ناصروا به الأخيضر في نصف القرن الثالث الهجري عند استيلائه على مكة واليمامة، فلعله امتداد لنفس ذلك الاتحاد والذي سيستمر كما سنلاحظ.

قال ابن خلدون عن القرامطة: ((افترق أمرهم وتلاشت دعوتهم إلى أن استولى الأصفر بن أبي

(١) الإمارة العيونية للملا.

(٢) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٣٤٢، نقلاً عن كتاب: تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد ص ١٩١ للقاضي عبد الجبار الهمداني.

(٣) سمط النجوم العوالي للعاصمي ت ١١١١ هـ م ٣ ص ٥٤٠.

(٤) ٦٠٨ ابن خلدون المجلد الثالث.

الحسن الثعلبي سنة ٣٩٨هـ^(*) عليهم، وملك الإحساء من أيديهم، وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه^(١). ((بنو ثعلبة كانوا أقوى شكيمة وأكثر عدداً فتحالفوا مع بني مكرم رؤساء عمان ضد القرامطة وذلك سنة ٣٩٨هـ)^(٢).

هجرة بني سليم إلى إفريقيا وتغريبة بني هلال

غص بنو ثعلبة بسليم واستعانوا عليهم ببني عقيل وطردوهم من البحرين فساروا إلى مصر ومنها كان دخولهم إلى إفريقية سنة ٣٧٨هـ^(٣)، ودخلت سليم ضمن تغريبة بني هلال التي ضمت معها بعض القبائل والبطون الأخرى.

ويقول ابن خلدون في تاريخه مجلد ٦ الكتاب الثالث: ولهؤلاء الهلالين في الحكاية عن دخولهم إلى إفريقية طرق في الخبر غريبة: يزعمون أن الشريف ابن هاشم كان صاحب الحجاز ويسمونه شكر بن أبي الفتوح، وأنه أصهر إلى الحسن بن سرحان في أخته الجازية فأنكحه إياها وولدت منه ولداً اسمه محمد. وأنه حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة، وأجمعوا الرحلة عن نجد إلى إفريقية. وتحيلوا عليه في استرجاع هذه الجازية فطالبته في زيارة أبويها فأزارها إياهم، وخرج بها إلى حللهم فارتحلوا به وبها. وكنتموا رحلتها عنه، وموّهوا عليه بأنهم يياكرون به للصيد والقنص ويروحون به إلى بيوتهم بعد بنائها فلم يشعر بالرحلة إلى أن فارق موضع ملكه، وصار إلى حيث لا يملك أمرها عليهم ففارقوه، فرجع إلى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل، وأنها من بعد ذلك كلفت به مثل كلفه إلى أن ماتت من حبه.

من شعر الشريف شكر في فراق الجازية أم محمد

قال ابن خلدون: لأهل المشرق وأمصار لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره، وتخالفهما أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره. وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر، ثم بعد ذلك ينسبون فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات، نسبة إلى الأصمعي، راوية العرب في أشعارهم، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي والهوراني والقيسي، وربما يلحنون فيه ألحاناً بسيطة، لا على طريقة الصناعة الموسيقية، ثم يغنون به، ويسمون الغناء به باسم الهوراني، نسبة إلى حوران من أطراف العراق والشام، وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم إلى هذا العهد. ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به معصباً على أربعة أجزاء يخالف آخرها الثلاثة في رويته ويلتزمون

(*) التاريخ الذي ذكره ابن خلدون غير صحيح أو أنه مصحف ومحرف لأن خلافة الطائع العباسي كانت ما بين سنة ٣٦٣هـ إلى سنة ٣٨١هـ والسنة المقصودة هي ٣٧٨هـ.

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع.

(٢) ساحل الذهب الأسود. وتحالف بني الأصفر مع آل مكرم كان في سنة ٣٧٨هـ.

(٣) المصدر السابق.

القافية الرابعة في كل بيت إلى آخر القصيدة. فمن أشعارهم على لسان الشريف ابن هاشم ييكي الجازية بنت سرحان، ويذكر ظعنهما مع قومها إلى المغرب:

قَالَ الشَّرِيفُ ابْنُ هَاشِمٍ عَلِي	تَرَى كَيْدِي حَرَّى شَكَّتْ مِنْ زَفِيرِهَا
يَفْزِلُ لِلْأَعْلَامِ أَيْنَ مَا رَأَتْ خَاطِرِي	يَرْدُ غِلَامَ الْبَدْوِ يَلُوي عَصِيرِهَا
وَمَا ذَا شَكَاةَ الرُّوحِ وَمَا طَرَا لَهَا	عُدَاةَ وَزَائِعَ تَلَفَ اللَّهُ خَبِيرِهَا
يَسْحَرْنَ أَنْ قَطَاعَ عَامِرٍ ضَمِيرِهَا	طَوَى وَهْنُ جَافِي ذَكِيرِهَا
وَعَادَتْ كَمَا خَوَارَةٌ فِي يَدِ غَاسِلِ	عَلَى مِثْلِ شَوْكِ الطَّلَحِ عَقَدُوا يَسِيرِهَا
تَجَابَذُوهَا اثْنَيْنِ وَالنَّزْعَ بَيْنَهُم	عَلَى شَوْكِ لَعْنِهِ وَالْبَقَايَا جَرِيرِهَا
وَبَاتَتْ دَمْعُ الْعَيْنِ ذَارِفَاتٍ لَشَانِهَا	شَبِيهَ دَوَارِ السَّوَانِي يَدِيرِهَا
تَدَارِكُ مِنْهَا النُّجُومُ حَذْرًا وَزَادَهَا	مَرُونَ يَجِي مَتْرَاكِبًا مِنْ صَبِيرِهَا
يَصُبُّ مِنَ الْقِيَعَانِ مِنْ جَانِبِ الصِّفَا	عَيُونٌ وَلَجَارُ الْبَرْقِ فِي غَزِيرِهَا
هَذَا الْغَنَى حَتَّى تَسَاهَيْتَ غَزْوَةً	نَاضَتْ مِنْ بَغْدَادَ حَتَّى فَقِيرِهَا
وَنَادَى الْمُنَادِي بِالرُّحَيْلِ وَشَدُوا	وَعَرَجَ عَارِيهَا عَلَى مُسْتَعِيرِهَا
وَشَدَّ لَهَا الْأَدْهَمُ ذِيَابَ بَنِ غَانِمِ	عَلَى أَيْدِي مَاضِي وَلَيْدِ مَقْرَبِ مِيرِهَا
وَقَالَ لَهُمْ حَسَنُ بْنُ سَرْحَانَ غَرِبُوا	وَسُوقُوا النُّجُوعَ إِنْ كَانَ أَنَا هُوَ غَفِيرِهَا
وَيَرْكُضُ وَبِيَدِهِ شَهَامُهُ بِالتَّسَامُحِ	وَبِالْيَمِينِ لَا يَجْدُوا فِي مَغِيرِهَا
غَدَرَنِي زِيَانُ السَّيِّحِ مِنْ عَابَسِ	وَمَا كَانَ يَرْضَى زَيْنَ حَمِيرِ وَمِيرِهَا
غَدَرَنِي وَهُوَ زَعَمًا صَدِيقِي وَصَاحِبِي	وَأَنَا لِيهِ مَا مِنْ دَرَقَتِي مَا يَدِيرِهَا
وَرَجَعَ يَقُولُ لَهُمْ بِلَالُ بْنُ هَاشِمِ	بَحْرُ الْبِلَادِ الْعَطَشَى مَا بَخِيرِهَا
حَرَامَ عَلَيَّ بَابَ بَغْدَادَ وَأَرْضَهَا	دَاخِلَ وَلَا عَائِدَ رَكِيزِهِ مِنْ نَعِيرِهَا
تَصْدَفُ رُوحِي عَنْ بِلَادِ ابْنِ هَاشِمِ	عَلَى الشَّمْسِ أَوْ حَوْلَ الْغُظَا مِنْ هَجِيرِهَا

يبدو أن حكاية الشريف شكر بن أبي الفتوح مع بني هلال وزواجه من الجازية أم محمد كانت في شبابه وقبل توليه شرافة مكة في سنة ٤٣٠هـ وهي السنة التي توفي فيها والده الشريف أبو الفتوح، علماً بأن شكراً هذا قد توفي في سنة ٤٥٣هـ.

لعلنا الآن نتساءل متى كانت هذه الحادثة؟ هل هي مع تغرية بني هلال التي ذكرناها؟ أم أنها بعدها بعدة سنوات؟

مشاهير بني هلال عند تغريتهم

قال ابن خلدون: وكان في هؤلاء العرب لعهد دخولهم إفريقية رجالات مذكورون وكان من أشرفهم حسن بن سرحان وأخوه بدر وفضل بن ناهض، وينسبون هؤلاء في دريد بن الأثيج. وماضي بن مقرب وينسبونه في قرّة.

وسلامة بن رزق في بني كثير من بطون كرفة بن الأثيج. وشبان بن الأحيمر وأخوه صليصل، وينسبونهم في بني عطية من كرفة. ودياب بن غانم وينسبونه في بني ثور.

وموسى بن يحيى وينسبونه في مرداس رباح لا مرداس سليم، فاحذر من الغلط في هذا، وهو من بني صنبر بطن من بطون مرداس رباح.

وزيد بن زيدان وينسبونه في الضحاك ومليحان بن عباس وينسبونه في حمير.

وزيد بن المعجاج بن فاضل ويزعمون أنه مات بالحجاز قبيل دخولهم إلى إفريقية، وفارس بن أبي الغيث وعامر أخوه، والفضل بن أبي علي ونسبهم أهل الأخبار منهم في مرداس المقهى، كل هؤلاء يذكرون في أشعارهم^(١).

ومن شعر أبي زيد الهلالي سلامة بن رزق ما ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان عند ذكره لموقع [ابراق] فقال: جبل لبني نصر من هوازن بنجد (قال السيد علي وهو علوي حسني من بني وهاس) ابراق جبل في شرقي رحران وإياه عنى سلامة بن رزق الهلالي فقال:

فإنَّ تَكْ عَلِيًّا يَوْمَ إِبْرَاقٍ عَارِضٍ بَكْشْنَا وَعَزَّتْهَا الْعَذَارَى الْكَوَاعِبُ

وهنا نلاحظ أن اللهجة في البيت الشعري الذي أورده ياقوت الحموي فصحي بحتة، أما الشعر المنسوب لبني هلال والذي أورده ابن خلدون عندما خط تاريخه في سنة ٧٩٩ هـ فتغلب عليه الصفة العامية البدوية، وهذا يدل على التحول والتغير في لهجات العرب خلال ثلاثة قرون وهي حقبة التغلب التركي، أي أن العناصر الأعجمية هي من صارت تحكم بلاد العرب في العراق والشام ومصر واليمن وأدت الثقافة الجديدة وانتشارها بين العرب إلى التغير في نمطهم السلوكي واللغوي وغيرها.

توجه بني عقيل إلى العراق

بعد أن تمكن بنو ثعلبة من طرد بني سليم من الأحساء، وتجهوا نظرهم نحو بني عقيل بعد أن ضاقوا ذرعاً بهم: ((فأثاروا عليهم حرباً شعواء وقرروا إخراجهم من البحرين ليصفو لهم الجو وحدهم، فما زالوا

(١) راجع ابن خلدون المجلد ٦ القسم الأول.

يحاربونهم حتى طردوهم من البحرين إلى العراق. فملكوا الكوفة والبلاد الفراتية وتفرد بنو ثعلبة بالملك والسلطان ودانت لهم بلاد البحرين، وامتد ملكهم^(١).

اعتراض ابن الجراح الطائي لحجاج العراق

٣٧٨هـ ((اعتراض الحاج - العراقي - عند عودهم من مكة الفرج بن دغفل المعروف بابن الجراح في واقصة وحاصرهم حتى صالحوه على مال دفعوه إليه))^(٢).

٣٧٩هـ خرج على الحاج عند عودهم ابن الجراح الطائي بين سميرا وفيد ونازلهم، فصالحوه على ثلاثمئة ألف درهم وشيء من الثياب، فأخذها وانصرف^(٣).

اعتراض الأصيفر لحجاج العراق

٣٨٠هـ ((حج العراقيون وحج بالناس أبو عبدالله، أحمد بن - محمد - بن يحيى بن عبدالله العلوي واعتراض الحاج الأصيفر محمد بن حسين بن حماد^(٤) ودفع القرمطي^(٥) عن طريق مكة وطلب من الحاج ما كان يأخذه القرمطي فاستنظره أحمد بن محمد العلوي إلى حين عود الحجاج من مكة فانصرف وعاد ونزل الثعلبية إلى أن وافى الحاج واستوفي منهم المال وزال أمر القرامطة وكانت مدتهم (٥٣) سنة من مقاطعتهم على أمراء الحاج) في أيام الراضي))^(٦).

قيام الإمارة العقيلية في الموصل ونهاية دولة بني حمدان

٣٨٠هـ قال ابن خلدون: كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة، وكلهم من عامر بن صعصعة وبنو طي من كهلان قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة الفرات، وكانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون إليهم الإتاوات^(٧) وينفرون معهم في الحروب، ثم استفحل أمرهم عند فشل دولة بني

(١) مخطوط: عقد اللآل في تاريخ أوال لمحمد علي التاجر الفصل ١٩، وراجع تاريخ ابن خلدون.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤٢٠.

(٣) درر الفرائد المنظمة ص ٥٢٩.

(٤) في إتحاف الوري يذكر هذه الحادثة ويسمي صاحبها بـ ((الأصيفر محمد بن حنين بن حماد)). راجع: إتحاف الوري ج ٢ ص ٤٢١.

(٥) نساءل من هو هذا القرمطي الذي دُفِعَ عن الطريق؟ فلعله أحد الأميرين المتبقيين من القرامطة بعد أن قتل الأصيفر أو الأصفر أو الأصغر أحدهم في سنة ٣٧٨هـ.

(٦) درر الفرائد المنظمة ص ٥٢٩.

(٧) الإتاوة هي مبلغ غير محدد من المال يأتي به الضعيف للقوي، وهي تختلف عن الجزية التي يقدمها الذمي للحاكم المسلم، وتختلف عن الزكاة المفروضة على كل مسلم في ديار المسلمين يقدمها لبيت مال المسلمين. وهذه الإتاوة نرى أن قبائل عامر بن صعصعة وطيئ قدمتها لبني حمدان عندما كان بنو حمدان أقوى منهم، ولكن فيما بعد هذه =

حمدان وساروا إلى ملك البلاد. ولما انهزم أبو طاهر بن حمدان أمام أبي علي بن مروان بديار بكر كما قدمنا سنة ثمانين، ولحق بنصيبين، وقد استولى عليها أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمر بن مهند، أمير بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر، فقتل أبا طاهر وأصحابه، وسار إلى الموصل فملكها. وبعث إلى بهاء الدولة بن بويه المستبد على الخليفة في العراق في أن يبعث عاملاً من قبله والحكم راجع لأبي الدرداء. وأقام على ذلك سنتين. وبعث بهاء الدولة سنة ٨٢ عساكره إلى الموصل مع أبي جعفر الحجاج بن هرمز فغلب عليها أبا الدرداء وملكها. وزحف لحربه أبو الدرداء في قومه ومن اجتمع إليه من العرب فكانت بينهم حروب ووقائع وكان الظفر فيها للدليم^(١).

وذكر ابن الأثير أن نهاية دولة بني حمدان كانت في سنة ٣٨١هـ وأنها سقطت في يد أبي الزواد^(٢) محمد بن المسيب العقيلي عندما سار إلى الموصل فملكها. وقال ابن الوردي في حوادث سنة ٣٨١هـ: ((ملك أبو الذواد الموصل وهو محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر أمير بني عقيل وقتل أبا الطاهر بن ناصر الدولة بن حمدان وأولاده وعدة من قواده بعد قتال بينهم، واستقر أبو الذواد بالموصل)). مات محمد سنة ٣٨٧هـ وتولى أخوه المقلد^(٣).

خلافة القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر

٣٨١هـ ((بهاء الدولة أمسك الطائع واعتقله ونهبت دار الخلافة، ثم أشهد على الطائع بخلع نفسه من الخلافة وتسليمها إلى أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، وكان الخلع والإشهاد في شهر شعبان سنة ٣٨١هـ، وأقام مخلوعاً إلى أن توفي في ليلة عيد الفطر سنة ٣٩٣هـ))^(٤).
٣٨١هـ انقطع ركب العراق^(٥).

مركز توثيق كتب التراث
الأخضر

الأمير محمد بن حسين بن حماد الذي تطلق عليه المصادر لقب المتفقي والثعلبي والشيبي والأعرابي ما هذه الألقاب جميعها إلا صفات يمثلها بحق، وأما اسمه فقد وقع فيه الاختلاف وذكر

= القبائل نجحت في الحفاظ على وجودها وتمكنت في النهاية من تكوين دول باسمها مثل الدولة العقيلية في الموصل والدولة الكلابية في حلب والدولة الخفاجية قرب الكوفة، وأما طيئ فقد تمت لها إمرة العرب لعدة قرون بعد ذلك. والإتاوة ليست مقصورة على القبائل فحسب، بل إن الدول تقدمها للدول، والأمثلة كثيرة.

(١) ابن خلدون في المجلد الرابع ص ٥٤٧.

(٢) المصادر التاريخية مرة تسميه أبو الذواد ومرة أبو الزواد ومرة أبو الدرداء...

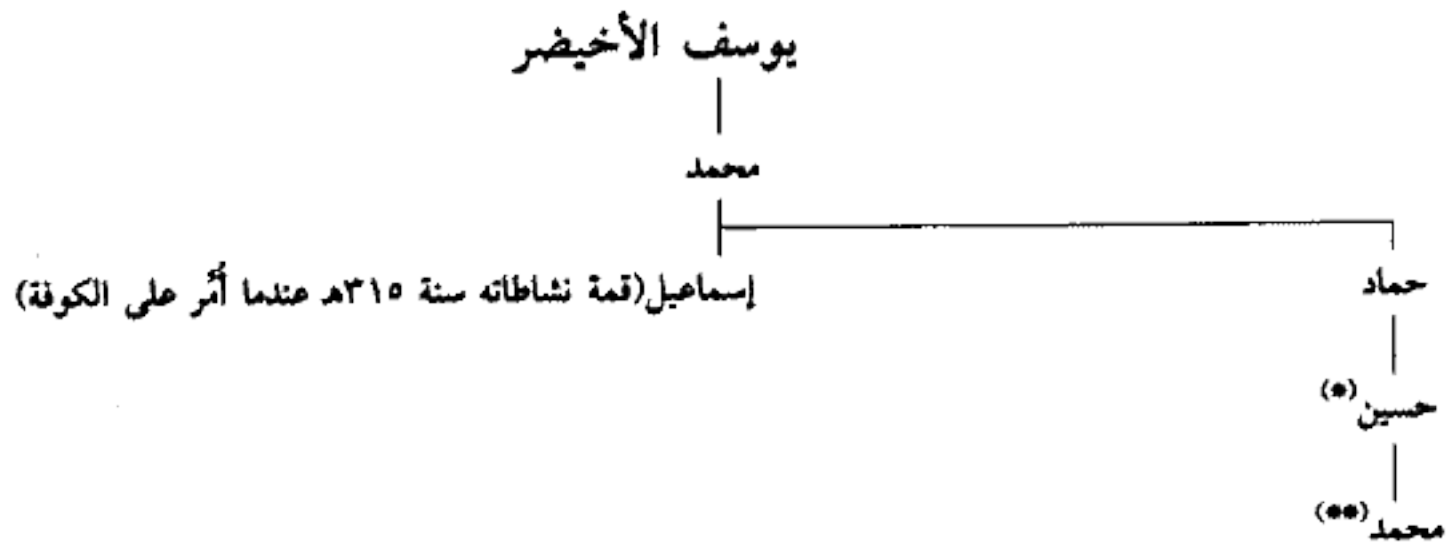
(٣) تاريخ ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ.

(٤) سمط النجوم العوالي ٣ م ص ٤٩٦.

(٥) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤٢١.

بعده صبيغ، هي أصفر وأصيفر، وأحفر وأحيفر، وأصغر وأصيفر، ولكنها لم تسمَّ ولو لمرة واحدة الأخيضر!!

حينما استولى أبو طاهر القرمطي على الكوفة في سنة ٣١٥هـ ولَّى عليها إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف صاحب اليمامة المعروف بالأخيضر، فبنى للقرامطة حصناً بصحراء العراق للإشراف على جميع المنطقة المحيطة به، ولكي يكون ملجأ لهم عند إغارتهم على طريق الحجاج والقوافل، وهذا القصر معروف وموجود حتى الآن.



ونظن أن هناك تصحيفاً وقع في اسم هذا الأمير حوِّله من أخيفر إلى أصيفر، والتصحيف يقع كثيراً في الكتابات القديمة، وربما أن أحدهم نقل عن آخر فوقع في نفس الخطأ دون تحقيق أو تمحيص، وعلى كل لن أسمى هذا الرجل بالأخيضر، لأنني حتى الآن لم أقطع الشك باليقين.

اعتراضات الأصيفر لطريق الحج

في ذي القعدة من سنة ٣٨١هـ ورد صاحب الأصيفر الأعرابي وبذل الخدمة في تسيير الحجاج إلى مكة وحراستهم صادرين وواردين وأعيد إقامة الخطبة للخليفة القادر من حد اليمامة والبحرين إلى الكوفة.

وفي سنة ٣٨٣هـ ((حج بالناس محمد بن الحسن بن يحيى العلوي واعترضه في مقصده إلى مكة الأصيفر فطالبه بالرسم في المال وأعطاه دنائير هرجة وحج وعاد إلى العراق وقد تبين للأصيفر فعله معه))^(١).

٣٨٤هـ فيها ولي إمرة مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الحسيني بعد موت أخيه عيسى.

(*) أريد وضع احتمالية أن يكون ابن أخ لإسماعيل بن يوسف أمير الكوفة، وأن يكون هو الذي خلفه في زعامة القبائل.

(**) هذا هو الأصيفر محمد الذي كان أول نشاطه العسكري في سنة ٣٧٨هـ وتوفي سنة ٤١٠هـ.

(١) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٤٨.

وفيها ((لم يحج أهل الشام واليمن، وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة، وأما الركب العراقي فإنه خرج وبلغ الهير بين زباله*))^(*) وثعلبية فاعترضهم الأصيفر الأعرابي^(١) ومنعهم الجواز وحاربهم وقال: إن الدنانير التي أرسلها السلطان عام أول كانت مطلية وأريد العوض، فلا أفرج عن الطريق إلا إن أخذت رسم سنتين. وطالت المخاطبة والمراسلة إلى أن ضاق الوقت عن الحاج ولم يكن لهم به طاقة فعادوا وكان أميرهم أبو الحسن محمد بن الحسن العلوي^(٢).

٣٨٥هـ ((حج بالناس أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله العلوي وبعث فيها أبو النجم بدر تسعة آلاف دينار يدفع للأصيفر عوضاً عما كان يأخذه من الحاج وجعل ذلك رسماً له من ماله، واستمر تجهيز ذلك إلى سنة ٤٠٣هـ واستقام أمر الطريق))^(٣).

وفيها (٣٨٥هـ): ((تحركت القرامطة إلى البصرة فجهز بهاء الدولة جيشاً فرجعوا عنها))^(٤).

وفيها ((بعث بدر بن حسويه الكردي خمسة آلاف دينار إلى الأصيفر الأعرابي الذي يقطع الطريق على الحاج عوضاً عما يأخذه من الحاج، وجعل ذلك رسماً عليه في كل سنة من ماله))^(٥).

وفاة العزيز بالله العبيدي ومبايعة ابنه الحاكم بالله

٣٨٦هـ قال أبو الفدا: وفي هذه السنة لليلتين بقيتا من رمضان توفي العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز معد بن المنصور إسماعيل العلوي الفاطمي صاحب مصر وعمره (٤٢). وأضاف: وبويع ابنه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله بعهد من أبيه فولّي الخلافة وعمره (١١) وقام بتدبير ملكه خادم أبيه أرجوان وكان خصياً أبيض.

وفيها ((رغب القادر من بغداد أمير مكة أبا الفتح في حال العراق، فأجابه على أن الخطبة للحاكم في مصر، وخاطب الحاكم ابن جراح أمير طي، فاعترضهم ولاطفهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى، فترك سبيلهم ثم منعهم بعدها، وحمل أبو النجم بدر بن حسويه وكان أمير الخيل، خمسة آلاف دينار من وجوه القوافل من خراسان لتدفع إلى الأصيفر عوضاً عما كان يُجبي له من الحاج في كل سنة))^(٦).

(*) في الأصل وردت ذباله والصحيح زباله وهي منطقة معروفة إلى اليوم، وقد أورد هذا الخبر أيضاً ابن فهد في إتحاف الوري ط ١/ ج ٢ ص ٤٢٣ وسماء الأصيفر..

(١) ذكر ابن الأثير هذا الخبر وأطلق عليه اسم ((الأصيفر أمير العرب)).

(٢) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤٨.

(٤) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٩.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) درر الفرائد المنظمة ص ٥٣١.

٣٨٨هـ في ذي الحجة قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة، بسبب شغب الديلم عليه (عمره ٣٥ سنة وهو أعمى منذ سنة ٣٨٠هـ من حين سمل)^(١).

٣٨٩هـ حج الشريفان الرضي والمرتضى، فاعتقلهما ابن الجراح الطائي، فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما^(٢).

٣٩٠هـ - ٩٩٩م عين أبو محمد بن مكرم حاكماً على عمان^(٣).

هجوم أشراف مكة على أشراف المدينة

وفيها: ((سار أبو الفتوح إلى المدينة وأزال عنها إمرة بني مهنا من بني الحسين لما بلغهم عنهم القدح في نسب الفاطميين...، ثم عاد أبو الفتوح إلى مكة وعاد بنو مهنا إلى المدينة))^(٤).

٣٩١هـ قتل حسام الدولة المقلد بن المسيب بن رافع بن جعفر بن عمر بن مهنا بن يزيد بالتصغير ابن عبدالله بن زيد من ولد ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العقيلي^(٥) اغتاله بعض غلمانه الترك فتولى الحكم ابنه الأكبر قرواش^(٦).

٣٩٢هـ بطل الحج من المشرق لبعد السلطان منها واختلاف بين العرب^(٧).

حال اللغة العربية في نهاية القرن الرابع

٣٩٢هـ توفي عالم اللغة الشهير عثمان بن جني النحوي الذي قال في الخصائص: لو فشا في أهل الوبر ما شاع في أهل الحضرة من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة لوجب رفض لغتها. وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأننا لا نكاد نرى بدويًا فصيحاً وإن نحن أنسنا منه فصاحة لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه وينال ويغض منه، وكانت وفاته في بغداد.

دور بني زغب الهلاليين وابن الجراح والأصيفر في طريق حج العراق

٣٩٣هـ رجع الركب العراقي خوفاً من ابن الجراح الطائي فدخلوا بغداد قبل العيد، وأما ركب البصرة فأجازه بنو زغب الهلاليون، وقال ابن الجوزي: إنهم أخذوا من الركب ما قيمته ألف دينار^(٨).

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤٢٦.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١٢٦.

(٤) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٤٩.

(٥) المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفدا.

(٦) العرب والعروبة.. للدروزة م ١ ج ١ ص ٨٦.

(٧) إتحاف الوري لابن فهد ط ١/ ج ٢ ص ٤٢٨.

(٨) درر الفرائد المنظمة.

وقال ابن فهد: وأما ركب البصرة فأجاره بنو زُغَب^(١) الهلاليون^(٢). وذكر الفاسي استناداً إلى صاحب المرأة وغيره أنه في هذه السنة ((لم يحج من العراق أحد خوفاً من الأصفر الأعرابي))^(٣). وقد ذكر هذا الخبر في حوادث سنة ٣٩٩ هـ أيضاً. راجع النجوم الزاهرة والعبر في خبر من غبر للذهبي.

تملك الأصفر الثعلبي المنتفقي الأعرابي الشيعي للجزيرة

يبدو أن حجم الأصفر السياسي قد بلغ قمته في سنة ٣٩٤ هـ وذلك عندما استطاع اعتماداً على ما لديه من نفوذ وسط القبائل أن يملك الجزيرة الفراتية التي تبدأ من البصرة شرقاً وتنتهي في حلب غرباً، فبعد سيطرته على هذه المنطقة الشاسعة واصل تعرضه لطريق الحج العراقي مما يدل على استهتاره بقوة الخلافة العباسية وتحديه لها.

قال ابن خلدون: ((اعترض حاج العراق سنة أربع وتسعين الأصفر الثعلبي عندما ملك الجزيرة فوعظه قارئان كانا في الركب. ثم اعترضهم في السنة بعدها أعراب خفاجة ونهبهم))^(٤). وعن هذه الحادثة قال ابن الأثير: ((خرج الأصفر المنتفقي على الحاج وحصرهم بالبطانية وعزم على أخذهم، وكان فيهم أبو الحسن الرفاء، وأبو عبدالله الدجاجي، وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يسمع مثلها، فحضرا عند الأصفر وقرأ القرآن فترك الحجاج وعاد، وقال لهما: قد تركت لكما ألف ألف دينار))^(٥). وعنهما قال ابن تغري بردي: ((حج بالناس من العراق أبو الحارث محمد العلوي فاعترض الركب الأصفر الشيعي الأعرابي وعول على نهبهم فقالوا: من يكلمه ويقرر له ما يأخذه من الحاج؟ فقدموا أبا الحسين بن الرفاء وأبا عبدالله بن الدجاجي... فقال قد وهبت لكما الحاج وأموالهم فدعوا له وانصرفوا وفرح الناس))^(٦). وكذلك أورد هذا الخبر صاحب درر الفرائد المنظمة وقال: ((اعترضهم الأصفر المنتفقي وحصرهم بالبطانية)).

وفيها ٣٩٦ هـ ((طلب الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله إلى علي بن صفوح بن دغفل بن الجراح الحضور إليه في القاهرة، فحضر في سابع عشر من شوال وخلع عليه وطوق بطوق من ذهب وكذلك خلع عليه قائد الخليفة، فضل بن صالح))^(٧).

(١) سيرد ذكر زغب في نفس هذا الموقع على طريق حاج البصرة في سنة ٨٥٨ هـ في اللهاية ثم تذكر أيضاً في اللصافة وثاج.

(٢) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهم شلتوت جامعة أم القرى ط ١/١٩٨٣ ج ٢ ص ٤٢٩.

(٣) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي ٧٧٥-٨٣٢ هـ.

(٤) تاريخ ابن خلدون المجلد الرابع..

(٥) الكامل في التاريخ م ٩ ص ١٨٢.

(٦) النجوم الزاهرة..

(٧) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط ٢-٢٠٠٣ ص ٣١.

٣٩٧هـ ((لم يحج الركب العراقي مع توجههم، لأنهم رجعوا من الثعلبية - أو واقصة - إلى مدينة السلام، وكانت هبت على الحاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الأرض.... وسبب رجوعهم منعهم ابن الجراح الطائي من المسير ليأخذ منهم مالا، فضاقت الوقت عليهم فعادوا إلى الكوفة ولم يحجوا))^(١).

٣٩٨هـ ((حج بالناس أبو الحارث محمد بن يحيى العلوي، ولم يحج الركب العراقي فإنهم رجعوا من الطريق خوفاً من ابن الجراح الطائي، فدخلوا بغداد قبل العيد، وأما ركب البصرة فأجازته بنو زغب الهلاليون وكان حاج البصرة ستمائة رجل وأخذ منهم زيادة عن ألف ألف دينار))^(٢).



(١) إتحاف الوري ج ٢ ص ٤٣٣.

(٢) درر الفرائد المنظمة.

أحداث القرن الخامس الهجري



مركز بحوث ودراسات
التاريخ والعلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

٤٠١هـ ((توفي أبو عبدالله محمد بن مقن بن مقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا الثقيلي، وفي مقلد يجتمع آل المسيب وآل مقن، وكان عمره (١١٠ سنين) وكان بخيلاً شديداً البخل، وشهد مع القرامطة أخذ الحجر الأسود))^(١). وفيها: (٤٠١هـ) لم يحج أحد من العراق خوفاً من الأعراب^(٢).

خروج أبي الفتوح من الحجاز إلى الشام طلباً للخلافة

٤٠١هـ^(٣) قال ابن عنبه ((أبو الفتوح^(٤) الحسن بن جعفر الشجاع الشاعر الفصيح ملك الحجاز بعد أخيه عيسى، وكان أبو الفتوح قد توجه إلى الشام^(٥) في ذي القعدة سنة إحدى وأربعمئة ودعا إلى نفسه، ويلقب (الراشد بالله) ووزر له أبو القاسم الحسن بن علي المغربي، وأخذ البيعة على بني الجراح بإمرة المؤمنين، وحسن له أبو القاسم المغربي أخذ ما في الكعبة من الذهب والفضة وسار به إلى الرملة وذلك في زمن الحاكم^(٦) الإسماعيلي أحد العبيدين الذين غلبوا مصر، فلما بلغ ذلك الحاكم قامت عليه القيامة وفتح خزائن الأموال، ووصل بني الجراح بما استمال به خواطهم من الأموال العظيمة وسوغهم بلاداً كثيرة فخذلوا أبا الفتوح وظهر له ذلك منهم، وبلغه أن قوماً من بني عمة قد تغلبوا على مكة لما بعد عنها، فخاف على نفسه ورضي من الغنيمة بالإياب وهرب عنه أبو القاسم خوفاً منه. وكان ذلك في سنة ٤٠٢هـ. ثم إن أبا الفتوح واصل الاعتذار والتنصل إلى الحاكم وأحال بالذنب على المغربي، فصطح الحاكم عنه وبقي حاكماً على الحجاز إلى أن مات في سنة ٤٣٠هـ))^(٦).

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير د. صادر م ٩ ص ٢٢٥.

(٢) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٧.

(٣) يختلف في السنة التي خرج فيها أبو الفتوح لطلب الخلافة. ومنهم من قال إن خروجه كان في سنة ٣٩٥هـ.

(٤) أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد التائر بن موسى الثاني ابن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى عليه السلام.

(٥) خرج تائراً على العبيدين الفاطميين بعد أن أرسلوا إليه سجلاً يتقص فيه الصحابة وبعض أزواج النبي، وأمره أن يأمر الخطيب بقراءته على المنبر في موسم الحج، فخلع طاعة الحاكم العبيدي وبايع الناس لنفسه وخرج من مكة يريد الشام فدانت له العرب من سليم وهلال وعوف وعامر وسلموا عليه بالخلافة وخرج بهم إلى الشام.

(٦) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: المعروف بابن عنبه ت ٨٢٨هـ ص ١٥٨.

قال ابن شدقم في تحفة الأزهار: ((وذلك في سنة ٤٠١ هـ وقيل ٤٠٢ هـ، وقيل سنة ٤٨٣ هـ، وقيل سنة ٣٨٦ هـ، وقيل سنة ٤٠٥ هـ، في زمن العزيز بالله^(١) بن المعز بالله، وكان معه بنو عمومته شيوخ بني حسن وألف عبد أسود، وسيف يزعم أنه ذو الفقار، وقضيب ذكر أنه قضيب رسول الله ﷺ، فلما قرب من الرملة برز إليه مفرج دغفل وابناه حسان ومحمود وجميع شيوخ طيئ، وبنو الحجاج، وآل الجراح وكبار أعيان العربان وسائر أهل البلاد، فبايعوه بالخلافة ولقبوه بالراشد بالله، وخاطبوه بأمير المؤمنين. فأمر بقتل من في البلاد من عسكر الحاكم بأمر الله....، فانزعج الحاكم بأمر الله واضطرب... ولم يمكنه إلا أنه ولي إمرة الحجاز إلى ابن عم أبي الفتوح^(٢)، ثم إنه أرسل إلى شيوخ طيئ وآل الجراح وآل الحجاج بالهدايا والتحف الحسان وبذل الأموال والملاطفة المخادعة والاعتذار مما صدر من الملوك والجيوش، فمالوا إلى الرشوة... وحزنوا على الغدر والفتك..... ثم إنه قصد مفرج بن دغفل والد حسان وقال له: أيها الأمير قد أتيتك قاصداً وبك لا نثداً لتفرج ما حل بي من شدة البلاء... وقد علمت أن ذلك من وسوسة الشيطان أبي القاسم الحسن^(٣).... وأنت أحق بالوفاء لعظم شأنك وعلو منزلتك على جميع قومك.....، وقد علمت بمصالحة ولدك حسان وعشيرته مع الملك الحاكم بأمر الله وأنا منه خائف وجل فلا أريد منك إلا العودة إلى وطني سالماً ومن يلوذ بي...، فأجابته لسؤاله^(٤). كان أبو الفتوح قبل خروجه بايعوه ((بنو سليم وبنو هلال وبنو عوف وبنو عامر ثم ما لبث أن شد رحاله في قوة عظيمة من عسكره يريد الشام))^(٥).

نظراً لكثرة تقلبات الأعراب وتغير ولائاتهم بصورة سريعة يتبادر إلى ذهني أنهم أحد أمرين: إما أنهم انتهازيون يقتنصون الفرص، أو أنهم يكونون مع من يدفع لهم أكثر، أو أنهم سذج مساكين يصدقون الإعلام الموجه المحرك لعاطفتهم فيؤثر فيهم ويتأثرون به فيظنون أنهم على صواب، أو ربما أنهم دائماً مع الأقوى الذي يخشون بأسه وبطشه.



- (١) ذكرنا أن العزيز بالله توفي سنة ٣٨٦ هـ.
- (٢) قال ابن السويدة: اتخذ الخليفة الحاكم الفاطمي عدداً من التدايين لمواجهة أبي الفتوح كان من بينها إسناد إمارة مكة إلى أبي الطيب داود بن عبدالرحمن (السليمانى ممن يقيمون بجازان) وقد ترك أبو الفتوح أحد أقاربه لينوب عنه في إمارة مكة، فأنفذ الحاكم إلى أبي الطيب مالاً وثياباً فسار أبو الطيب ومن انضوى إليه من بني عمه في جازان فنزل نائب أبي الفتوح بمكة واستولى عليها ونجح في صرف العرب عن طاعة أبي الفتوح والدخول في طاعة الحاكم بأمر الله الفاطمي. راجع: الـ ١٠٠٠ سنة الغامضة لابن السويدة ط ١ ص ١١٢.
- (٣) يقصد بأبي القاسم الحسن (ابن علي المغربي) الذي هرب من مصر والتجأ إلى حسان بن مفرج بن دغفل أمير طيئ من مدينة الرملة وأصبح أبو القاسم هذا مستشاراً لآل الجراح وأخذ يحرضهم على الفاطميين وتعيين أمير مكة خليفة فإنه لا يطعن بنسبه فكان له ما أراد.
- ومن ثم ذهب أبو القاسم الحسين بن علي المغربي إلى مكة وبايع أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوي وبايعه بنو حسن ثم قدم في صفر سنة ٤٠٣ هـ - ١٠١٢ م إلى الرملة ونزل بدار الإمارة وركب يوم الجمعة والمفرج وأولاده وسائر أمراء طيئ مشاة بين يديه حتى دخل المسجد وهناك تمت البيعة وسمي أمير المؤمنين ولقب ((الراشد لدين الله)) وضربت السكة باسمه. راجع: الـ ١٠٠٠ سنة الغامضة من تاريخ نجد لابن السويدة ص ١١٠.
- (٤) راجع: تحفة الأزهار لضمّن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٤١٢.
- (٥) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨ ص ١٩٨.

بدء الخلاف بين ابن الجراح والخليفة الفاطمي

((أرسل حسان بن مفرج بن دغفل آل الجراح إلى الخليفة الفاطمي في مصر يسأله تنفيذ ما وعد به فأجابه بالموافقة عليها جميعاً من إقطاع وتقرير وإمضاء وكتب له أماناً بخط يده، لكن الحاكم^(١) نكث بالوعد التي قطعها على نفسه))^(٢).

((ونج عن ذلك ثورة طين من جديد وتغلبها على البلاد ومصادرتها للناس، وقد استمرت سيطرة طين هذه المرة مدة ستين وخمسة أشهر، حتى أرسل الفاطميون جيشاً كبيراً لمحاربتهم، وعندما سمع أمراء طين بمقدم ذلك الجيش هربوا إلى البرية في بلاد الجبلين))^(٣). ويذكر أن أمير طين مفرج بن دغفل ابن الجراح قد مات في الرملة سنة ٤٠٣ هـ وذلك يعني أنهم استمروا في أماكنهم بعد ثورتهم سنة ٤٠٢ هـ وأعتقد أن حركة ثورة أبي الفتوح دامت على الأقل ستة أشهر، مما يعني أن مطالبة حسان بوعود وعهود الحاكم استمرت شهرين أو ثلاثة من نهاية ثورة أبي الفتوح. وبما أن الحاكم الفاطمي لم يف بوعوده فقد ثارت طين قبل نهاية سنة ٤٠٢ هـ ولجأت إلى البرية في الربيع الأول من سنة ٤٠٤ هـ أو في منتصفها.

تعرض بني خفاجة لطريق الحج

٤٠٢ هـ ((سارت خفاجة إلى واقصة، ونزحوا ماء البرمكي والريان وألقوا فيهما الحنظل، ووصل الحجاج من مكة إلى العقبة، فلقاهم خفاجة ومنعهم الماء، ثم قاتلوهم فلم يكن فيهم امتناع، فأكثروا القتل، وأخذوا الأموال، ولم يسلم من الحاج إلا اليسير، فبلغ الخبر الوزير ببغداد فسير العساكر في أثرهم، وكتب إلى أبي الحسن علي بن مزيد يأمره بطلب العرب، والأخذ منهم بثأر الحاج، والانتقام، فسار خلفهم فلحقهم، وقد قاربوا البصرة، فأوقعوا بهم، فقتل منهم وأسر جمعاً كثيراً، وأخذ من أموال الحاج ما رآه، وكان الباقي قد أخذه العرب وتفرقوا، وأرسل الأسرى وما استرده من أمتعة الحاج إلى الوزير، فحسن موقعه منه))^(٤).

اعتراض الثائر الخويلدي لحجاج العراق

وفيها (٤٠٢ هـ) ((حج بالناس أبو الحارث العلوي، وهاجت عليهم ريح سوداء عند حصول الحاج بربالة وفقدوا المال فهلك منهم خلق كثير وبلغت المزايدة من الماء مائة درهم، واعترضهم من عودهم حماد بن عدي الخارجي الملقب بالثائر^(٥) وحبسهم بالعقبة ثلاثة أيام. وعفر المصانع وطرح في الآبار

(١) كان عمر الحاكم الفاطمي في سنة ٤٠١ هـ ٢٦ عاماً، وفترة حكمه كانت ما بين ٣٨٦ هـ إلى ٤١٠ هـ..

(٢) ١٠٠٠ سنة الغامضة، لابن السويدي ط ١ ص ١١١.

(٣) المصدر نفسه..

(٤) الكامل في التاريخ م ٩ ص ٢٣٦.

(٥) حماد بن عدي الخارجي الملقب بالثائر هو الخويلدي الثائر الوارد ذكره في الخبر الذي بعده، والخارجي تصحيف للخفاجي، ففي طبعة أخرى من درر الفرائد المنظمة ص ٥٣٨ تسمية الخفاجي بدلاً من الخارجي، وسيرد في سنة =

الحنظل وأحرق العلوفة وأقام على قتال الحاج ثلاثة أيام إلى أن عجزوا عنه وعطشوا فمات أكثرهم عطشاً ولم يسلم من الحاج إلا اليسير، وعاد أبو الحارث متخفراً ببني خفاجة إلى الكوفة بأسوأ حال. وبلغ الوزير ببغداد فأرسل في طلب العرب فظفروا بهم قرب البصرة وقتلوا منهم خلقاً، وكذا أسروا وأخذوا ما وجدوا من أموال الحاج وأرسلوه مع الأسرى إلى الوزير فحسن موقعه منه^(١).

وبنو خويلد الذين منهم الثائر هم فرسان عقيل، وذكر ابن سعيد الأندلسي أنهم في زمانه كانوا في جهة البحرين^(٢).

قيام دول وسقوط دول

شهدت السنة ٤٠٢ هـ نهاية الدولة الحمدانية الثانية في حلب ونهاية دولة بني زياد الأموية في زبيد اليمن وكانت بداية الدولة الزيادية في سنة ٢٠٤ هـ وقامت مكانها الدولة النجاشية ومؤسسها من موالى بني زياد.

وفي سنة ٤٠٣ هـ قامت الدولة المزيدية في الحلة وهم من بني أسد بن خزيمه بن مدركة بطن كبير متسع ذو بطون، وبلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد وفي مجاورة طيئ، ويقال إن بلاد طيئ كانت لبني أسد، فلما خرجوا من اليمن غلبوهم على أجاء وسلمى، وجاءوا واصطلحوا وتجاوروا، وبعد اضمحلال بني أسد في الحلة ورثت خفاجة بلادهم في العراق.

٤٠٣ هـ ((لم يحج أحد من خراسان والعراق بسبب رجل من القرامطة يعرف بأبي عيسى المنتفقي، والثائر الخويلدي وجماعة من العرب إلى ظاهر الكوفة حاصروها وانصرفوا وقد فات الحج فعادوا من الكوفة إلى بغداد))^(٣).

وفي نفس السنة (٤٠٣ هـ) اعتقل العسكر العراقي زعيم خفاجة، حيث يقول ابن كثير: ((جاء بأمر بني خفاجة أبو قلنبة قبحة الله وجماعة من رؤوس قومه أسارى وكانوا قد اعترضوا للحجاج في السنة التي قبلها وهم راجعون وغوروا المناهل التي يردها الحجاج ووضعوا فيها الحنظل بحيث إنه مات من الحجاج من العطش نحو من خمسة عشر ألفاً وأخذوا بقيتهم فجعلوهم رعاة لدوابهم في أسوأ حال وأخذوا جميع ما كان معهم فحين حضروا عند دار الوزير سجنهم ومنعهم الماء ثم صلبهم يرون صفاء الماء ولا يقدرين على شيء منه حتى ماتوا عطشاً جزاء وفاقاً وقد أحسن في هذا الصنع اقتداء بحديث أنس في الصحيحين ثم

= ٤١٢ هـ الحديث عن مقتله وأنه أحد بني نهران. وعلى ما يتبين من الخبر أعلاه فإن القوم الذين خرجوا إلى الحجاج هم من القرامطة. كما أن الخبر يبين أن ديارهم قرب البصرة.

(١) در الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٥١.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠ هـ - ٦٨٥ هـ، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط ١/ ١٩٨٢ م ص ٥٠٦.

(٣) نفس المصدر..

بعث إلى أولئك الذين اعتقلوا في بلاد بني خفاجة من الحجاج فجاء بهم وقد تزوجت نساؤهم وقسمت أموالهم فردوا إلى أهاليهم وأموالهم^(١).

وفي هذه السنة (٤٠٣هـ): مات أمير طيئ مفرج بن دغفل بن الجراح في ذي القعدة برملة بلد من فلسطين^(٢).

٤٠٨هـ من هذا العام إلى سنة ٤١٢هـ لم يحج أحد من العراق^(٣).

٤٠٩هـ ((خرج الحاج من بغداد فاعترضهم العرب فيما بين القصر^(٤) والحاجر والتمسوا منهم زيادة رسومهم، فرجعوا من القصر وبطل الحج في هذه السنة))^(٥).

موت الأصيفر المتنقي

٤١٠هـ وفيها ((مات الأصيفر المتنقي الذي كان يؤذي الحاج في طريقهم))^(٦). وكان الشيخ أصغر كما يسميه النبهاني رئيساً للمتنفق حتى توفي في هذه السنة فجعلت الرئاسة تنتقل من شيخ إلى آخر^(٧).

مقتل حماد بن عدي

٤١٢هـ ((قصد الناس يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقالوا له: الثواب في فتح طرق للحج أعظم. فقدم إلى قاضيه بالتأهب للحج وأطلق للعرب (٣٠ ألف دينار) سلمها إلى النصاحي قاضيه فلما بلغوا فهد حاصرتهم العرب فبذل لهم القاضي النصاحي (٥ آلاف) فلم يقنعوا وصمموا على أخذ الحاج فركب رأسهم جماز بن عدي وقد انضم عليه ألفا رجل من بني نبهان وأخذ بيده رمحاً وجال حول الحجاج فرماه غلام يعرف بابن عفان كان في السمرقنديين فسقط ميتاً وهرب جمعه وعاد الحاج في سلامة))^(٨). قال الجزيري: ((كان مقدمهم رجلاً يقال له حماد بن عدي من بني نبهان وكان جباراً))^(٩).

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط ٢-٢٠٠٣ ص ٣٣.

(٣) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٤٢.

(٤) أظن يقصد به قصر الأخضر وبذلك تكون هذه الإشارة الأولى لقصر الأخضر المبني بالقرب من النجف على مسافة سبعين كيلومتر تقريباً، والله أعلم.

(٥) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٥٢.

(٦) الكامل في التاريخ م ٩ ص ٣١٣.

(٧) التحفة النبهانية.

(٨) النجوم الزاهرة.

(٩) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٢٥٣.

وفاة القادر بالله أحمد وخلافة عبدالله القائم بأمر الله

٤٢٢هـ وفي ذي الحجة: توفي الخليفة القادر بالله أحمد لإحدى وأربعين سنة من خلافته، وكان مهيباً عند الديلم والأتراك ولما مات نصب جلال الدولة للخلافة ابنه القائم بأمر الله أبا جعفر عبد الله بعد أبيه ولقبه القائم.

ولي القائم الخلافة وعمره (٣١ عاماً) وانتهت خلافته سنة ٤٦٧هـ وأمه أرمنية، اسمها قطر الندي، أدركت خلافته. وكانت بيعته بحضرة القضاة والأمراء والكبراء، فكان أول من بايعه الشريف الرضي الموسوي. وكان القائم بأمر الله أبيض، مليح الوجه، مشرباً بحمرة، ورعاً زاهداً عابداً مريداً لقضاء حوائج المسلمين^(١).

٤٢٣هـ لم يحج أحد من العراق^(٢).

٤٢٣هـ خرج أهل البصرة بخفر، فغدروا بهم ونهبوهم وارتهنوهم^(٣).

٤٢٥هـ لم يحج العراقيون ولا المصريون خوفاً من البادية، وحج أهل البصرة مع من يخفرهم، فغدروا بهم ونهبوهم^(٤).

٤٢٦هـ ((انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون أموال الناس ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم، والسلطان جلال الدولة عاجز عنهم لعدم امتثال أمره، والخليفة أعجز منه وانتشرت العرب في البلاد فنهبوا النواحي وقطعوا الطريق))^(٥).

٤٢٦هـ قصدت خفاجة الكوفة فنهبوها، وفيها وثب أبو الحسن بن أبي البركات بن ثمال الخفاجي على عمه فقتله، وأقام بإمارة بني خفاجة.

وفاة الظاهر لإعزاز دين الله وتولي ابنه المستنصر بالله بعده

٤٢٧هـ في منتصف شعبان توفي الظاهر لإعزاز دين الله العلوي وعمره (٣٣ سنة) وكانت خلافته (١٥ عاماً و ٩ أشهر) وولي بعده ابنه أبو تميم معد المستنصر بالله ومولده سنة ٤٢٠هـ^(٦).

(١) سمط النجوم العوالي م ٣ ص ٤٩٨.

(٢) النجوم الزاهرة.

(٣) درر الفرائد المنظمة ص ٥٤٥.

(٤) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: محمد بن أحمد بن علي الفاسي ٧٧٥-٨٣٢هـ.

(٥) تاريخ أبي الفدا.

(٦) المصدر نفسه.

انقراض الدولة البويهية الديلمية وقيام دولة السلاجقة

٤٣٠هـ انقراض الدولة الديلمية دولة بني بويه وكانت مدتها (١٢٧ سنة) وابتدأت دولة السلاطين السلجوقية^(١).

وفاة حاكم مكة الشريف أبي الفتوح

٤٣٠هـ - ١٠٣٨م توفي أبو الفتوح ثم ولي مكة من بعده ابنه شكر الملقب بتاج المعالي^(٢). وقيل إن شكراً هو حفيد الحسن أبي الفتوح وليس ابنه، وإنه تولى الحكم بعد أبيه محمد بن الحسن أبي الفتوح، ذلك ما ذكر محمد بن إسماعيل الحسيني عندما قال: وأول من ولي مكة من أهل هذا البيت: جعفر بن الحسن، ثم ابنه عيسى ثم ابنه الآخر أبو الفتوح المذكور ثم محمد أبو الفتوح ثم ابنه شكر ثم وليها محمد ابن علي الصليحي، ثم أبو القاسم محمد بن عبدالله الحسيني^(٣).

آخر أخبار الأصغر ودولته

الأصغر الثعلبي طمع في ملك بني عقيل بالعراق فسار إليهم في سنة ٤٣٨هـ وحاربهم بعين التمر، واستولى على مناطق نفوذهم^(٤). وغصَّ بشأنه نصير الدولة بن مروان صاحب ميفارقين وديار بكر فقام له وجمع له الملوك من كل ناحية فهزمه واعتقله ثم أطلقه فمات سنة ٤٣٨هـ.

وقال الشيخ محمد العصفور: ((بقيت البحرين وما جاورها يتوارث الملك فيها بنو الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي نحو مائة سنة، فلما أسر الأصغر سنة ٤٣٨هـ ثم أطلق ومات خلفه بنوه، وحيثئذ ضعفت دولتهم وشوكتهم ولم يبق لهم من الملك إلا الإحساء والقطيف والبحرين وما قرب من هذه النواحي، وبدأت عوامل الانحلال تفعل في تقليص ظلها شيئاً فشيئاً وقد تتبعنا كثيراً علناً نعثر على الأشخاص الذين تولوا الملك من بني الأصغر وأسمائهم وأيامهم فلم نجد في كتب التاريخ شيئاً من ذلك))^(٥). وهذا النص يدل على:

١. شساعة أراضيه، وأن دولة الأصغر التي تقلصت حدودها بعد موته كانت لا تزال كبيرة إلى حد ما.

٢. كما يدل هذا النص على أن أتباعه استمروا في الحكم حتى بعد وفاته في سنة ٤٣٨هـ لسنوات أخرى لم يعرف عددها بدقة.

(١) سبط النجوم العوالي م ٣ ص ٤٩٨.

(٢) راجع تاريخ أبي الفدا.

(٣) مخطوط: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص ٣٣.

(٤) صفحات من تاريخ الإحساء لعبدالله بن أحمد الشباط.

(٥) من مخطوط منتخبات من كتاب تاريخ البحرين للشيخ محمد علي العصفور، الفصل ٣٥. من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٣٥٤.

رجوع العرب إلى الحجاز مسلوبة من الملك

٤٤٠هـ قال ابن خلدون: طغرل بك بن ميكائيل من بني سلجوق، وغلب على بغداد من يد بني معز الدولة بن بويه المستبدين على الخليفة يومئذ المطيع، وحجره عن التصرف في أمور الخلافة والملك، ثم تجاوز إلى عراق العرب، فغلب على ملوكه، وأبادهم، ثم بلاد البحرين وعمان، ثم على الشام، وبلاد الروم، واستوعب ممالك الإسلام كلها، فأصارها في ملكه، وانقبضت العرب راجعة إلى الحجاز، مسلوبة من الملك، كأن لم يكن لهم فيه نصيب، وذلك أعوام الأربعين والأربعمئة.

من مشاهدات ناصر خسرو في الجزيرة العربية في سنة ٤٤٢هـ^(١).

[جدة:]

جدة مدينة كبيرة لها سور حصين، تقع على شاطئ البحر، وبها خمسة آلاف رجل..... ولها بوابتان إحداهما شرقية تؤدي إلى مكة، والثانية غربية تؤدي إلى البحر.....، وليس في جدة شجر ولا زرع وكل ما يلزمها يحضرونه إليها من القرى، وبينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، وأمير جدة تابع لأمير مكة تاج المعالي بن أبي الفتوح الذي هو أمير المدينة أيضاً.

وفي يوم الجمعة بعد صلاة العصر قمت من جدة فبلغت باب الكعبة يوم الأحد سلخ جمادى الثانية، وكان قد حضر إلى مكة للعمرة خلق كثيرون من نواحي الحجاز واليمن في أول رجب، وهو موسم عظيم مثل عيد رمضان، وهم يحضرون وقت الحج، ولأن طريقهم قريب وسهل يأتون إلى مكة ثلاث مرات كل سنة.

[مكة:]

تقع مكة بين جبال عالية ولا ترى من بعيد من أي جانب يقصدها السائر، وأقرب جبل منها هو جبل أبي قبيس، وهو مستدير كالقبة، لو رمي سهم من أسفله لبلغ قمته وهو شرقي مكة (الكعبة)، فترى الشمس من داخل المسجد الحرام وهي تشرق من فوقه في شهر (ديسمبر)، وقد نصب على قمته برج من الحجر يقال إن إبراهيم عليه السلام رفعه عليه.

وتشغل هذه المدينة الوادي الذي بين الجبال والذي لا تزيد مساحته عن رمية سهمين في مثلها، والمسجد الحرام وسط هذا الوادي ومن حوله مكة والشوارع والأسواق، وحيثما وجدت ثغرة بين الجبال سدت بسور قوي وضعت عليه بوابة.

جبل أبي قبيس الذي تقع الصفا على سفحه، وتبدو على هذا السفح درجات كبيرة من الحجارة المستوية التي يصعد الحجاج عليها ويدعون ربهم، والمروة في نهاية السوق شمالي الجبل، وهي أقل ارتفاعاً في وسط مكة، وقد شيدت عليها منازل كثيرة. وما يسمى السعي بين الصفا والمروة هو المسعى في هذه السوق من أولها لآخرها.

(١) مختصراً من كتاب رحلة ناصر خسرو من الصفحة ١٢٠ إلى الصفحة ١٥٠.

عندما ينزل الحاج من جبل المروة يجد سوقاً فيها عشرون دكاناً متقابلة، يشغلها جميعاً حجامون لحلق شعر الرأس.

وحين يتم الحاج شعائر العمرة ويخرج من المسجد الحرام يدخل السوق الكبيرة التي تقع ناحية الشرق والمسماة سوق العطارين وهي سوق جميلة البنايات وكلها عطارون.

وبمكة حمامان بلاطهما من الحجر الأخضر السنان، وقدرت أن سكانها القاطنين بها لا يزيدون على ألفين، والباقي ويقربون من الخمسمائة من الغرباء والمجاورين. وفي ذلك الوقت كان بمكة قحط، فكان الستة عشر مثلاً من القمح بدينار مغربي وقد هاجر منها كثيرون.

وماء آبار مكة مالح لا يساغ شربه، ولكن بها كثير من الأحواض والمصانع الكثيرة بلغت تكاليف الواحد منها أكثر من عشرة آلاف دينار، وهي تملأ من ماء الأمطار الذي يتدفق من الأودية وكانت فارغة ونحن فيها.

هذه المرة الرابعة التي أزور فيها مكة، وقد مكثت فيها مجاوراً من غرة شهر رجب ١٤٤٢ هـ (١٠ نوفمبر ١٩٥٠ م) إلى العشرين من ذي الحجة (٣ مايو ١٩٥٠ م).

[انجران وبيشة وغيرها من ناحية الشرق]

(ملاحظة: يتكلم عنها خسرو ولكنه لم يزرها): بهذا القسم طوائف كثيرة لكل منها ملك أو رئيس، فليس له حاكم واحد، فإن سكانه عتاة وأغلبهم لصوص وصفاكو دماء وهم كثيرون ومن كل جنس، ومساحة هذا القسم مائتا فرسخ في مائة وخمسين.

ملاحظة خسرو عن مكة وعن أهل اليمن: وقد أحضيت الناس في وقت كانت الكعبة ممثلة فيه، حتى لم يكن بها مكان لداخل فكانوا عشرين وسبعمئة رجل، وعامة حجاج اليمن يشبهون الهنود فكل منهم يتشح بفوطة وشعورهم متدلية ولحاهم مضفرة وفي وسط كل منهم حربة قطيفية كالتي يتمنطق بها الهنود، ويقال إن أصل الهنود من اليمن. (ص ١٣٥)

[إلى الحسا عن طريق الطائف ومطار والثريا وجزع وسربا وفلج واليمامة]

بعد إتمام الحج استأجرت جملاً من أعرابي لأذهب إلى الحسا، وقيل إنهم يبلغونها من مكة في ثلاثة عشر يوماً. وقد ودعت بيت الله يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة (٧ مايو ١٠٥١ م)..... وكان الجو بارداً وقد سرنا ناحية المشرق.

بلغنا الطائف يوم الإثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة (١٠ مايو) وكان الجو بارداً في شهر خرداد (مايو - يونيو) حتى لزم الجلوس في الشمس.

وقصبة الطائف هذه مدينة صغيرة بها حصن محكم وسوق وجامع صغيران، وبها ماء جارٍ وأشجار رمان وتين كثيرة وبجوارها قبر عبدالله بن عباس (ت ٨٦ هـ) وقد بنى خلفاء بغداد هناك مسجداً كبيراً يقع القبر في زاويته.....

سرنا من الطائف واجتزنا جبلاً وأراضي صخرية وكنا نجد حيثما سرنا قلاعاً محصنة وقرى. وقد أروني وسط الصخور قلعة خربة قيل إنها كانت بيت ليلي وقصتهم في هذا عجيبة.

ومن هناك بلغنا قلعة تسمى مطار، وبينها وبين الطائف إثنا عشر فرسخاً، ثم بلغنا ناحية الثريا بها نخيل كثير وتزرع أرضها بمياه الآبار والسواقي. قالوا: وليس لهذه الناحية حاكم أو سلطان، فإن على كل جهة رئيساً أو سيداً مستقلاً، ويعيش الناس على السرقة والقتل وهم في حرب دائمة بعضهم مع بعض ومن الطائف إلى هناك خمسة وعشرون فرسخاً، وبعد ذلك مررنا بقلعة تسمى جزع، وعلى مسافة نصف فرسخ منها أربع قلاع، نزلنا على أكبرها وتسمى حصن بني نسير (نمير) وبيت العربي الذي استأجرنا جملة في الجزع هذه.

ولبنا هناك - في الجزع - خمسة عشر يوماً إذ لم يكن معنا خفير يهديننا الطريق، ولكل قوم من عرب هذا المكان أرض محددة ترعى بها ماشيتهم، ولا يستطيع أجنبي أن يدخلها، فهم يمسكون كل من يدخل بغير خفير ويجردونه مما معه. فيلزم استصحاب خفير من كل جماعة حتى يتيسر المرور من أرضهم فهو وقاية للمسافر ويسمونه أيضاً مرشد الطريق (قلاوز). وقد اتفق أن جاء إلى الجزع رئيس الأعراب الذين كانوا في طريقنا وهم بنو سواد واسمه أبو غانم عبس بن البعير، فاتخذناه خفيراً وذهبنا معه. وقابلنا قومه فظنوا أنهم لقوا صيداً، إذ إن كل أجنبي يروونه يسمى صيداً، فلما رأوا رئيسهم أسقط في أيديهم ولولا ذلك لأهلكونا. وفي الجملة لبنا معهم زمناً إذ لم يكن معنا خفير يصحبنا. ثم أخذنا هناك خفيرين أجر كل منهما عشرة دنائير ليسيرا بنا بين قوم آخرين.

وقد كان من هؤلاء العرب شيوخ في السبعين من عمرهم قالوا لي إنهم لم يذوقوا شيئاً غير لبن الإبل طوال حياتهم إذ ليس في هذه الصحراء غير علف فاسد تأكله الجمال وكانوا يظنون أن العالم هكذا. وظلمت أتحول من قوم إلى قوم وأجد في كل مكان خطراً وخوفاً إلا أن الله تبارك وتعالى سلّمنا منها. وبلغنا مكاناً في وسط أرض ملؤها الصخور يسمى سرباً، رأيت به جبلاً كل منها كالقبة، لم أر مثلها في أي ولاية، وهي من الارتفاع بحيث لا يصل إليها السهم وملساء وصلبة بحيث لا يظهر عليها شق أو التواء، وقد سرنا من هناك، فكان زملاؤنا في الطريق كلما رأوا ضباً قتلوه وأكلوه، وكانوا يحلبون لبن الجمال حيث وجد الأعراب. ولم أكن أستطيع أكل الضب أو شرب لبن الجمال..... وبعد مشاق ومتاعب كثيرة بلغنا فلج(*) في الثالث والعشرين من صفر.

فلج: ومن مكة إليها ثمانون ومائة فرسخ، وتقع فلج هذه وسط الصحراء وهي ناحية كبيرة، ولكنها خربت بالتعصب، وكان العمران حين زرناها قاصراً على نصف فرسخ في ميل عرضاً، وفي هذه المسافة أربع عشرة قلعة للصووص والمفسدين والجهلة وهي مقسمة بين حزينين بينهما خصومة، وعداوة دائمة، وقد قالوا: نحن من أصحاب الرسيم (الرقيم) الذين ذكروا في القرآن الكريم. وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل، أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع إليها معظم الماء من الآبار، وهم يستخدمون في زراعتهم

(*) فلج الأفلاج ذكرها ياقوت وقال عنها مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة..

الجمال لا الثيران. ولم أرها هناك، وزراعتهم قليلة، وأجر الرجل في اليوم عشرة سيرات من غلة يخبزها أرغفة ولا يأكلون إلا قليلاً من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية كما في رمضان. ويأكلون التمر أثناء النهار، وقد رأيت هناك تمراً طيباً جداً أحسن مما في البصرة وغيرها والسكان هناك فقراء جداً وبؤساء ومع فقرهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء، وهناك تمر يسمونه (ميدون) تزن الواحدة منه عشرة دراهم.. ويقال إنه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة. ومعاملتهم بالذهب النيسابوري. وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها لم يكن معي من شؤون الحياة سوى سلّتين من الكتب، والناس جوعاء وعراة وجهلاء ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة ولا يشترون الكتب.....

فقد أتى وأنا هناك جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة من التمر فلم يقبلوا وحاربوا وقتل من أهل القلعة عشرة رجال، وقلعت ألف نخلة ولم يعطوهم عشرة أمانات تمراً.

وأخيراً أتت قافلة من اليمامة لأخذ الأديم وحمله إلى الحسا، فإنه يحضر من اليمن إلى فلج حيث يباع للتجار. قال لي أعرابي: أنا أحملك إلى البصرة ولم يكن معي شيء قط لأعطيه أجراً، والمسافة مائتا فرسخ وأجرة الجمل دينار، ويبيع الجمل العظيم هناك بدينارين أو ثلاثة، ولكنني رحلت نسيئة إذ لم يكن معي نقود فقال لي الأعرابي: أنا أحملك إلى البصرة على أن تأجرني ثلاثين ديناراً فقبلت مضطراً ولم أكن قد رأيت البصرة قط. فوضع هؤلاء الأعراب كتبتي على جمل أركبوا عليه أخي وسرت أنا راجلاً، وتوجهنا في اتجاه مطلع بنات النعش (الدّب الأكبر).

كان الطريق مستوياً لا جبال فيه ولا مرتفعات وكان ماء المطر متجمعاً حيثما كانت الأرض أشد صلابة، ومضت ليال وأيام ولم يبد في أي جهة أثر الطريق إلا أنهم كانوا يسرون بالغريزة، ومن العجيب أنهم كانوا يبلغون فجأة بئر ماء مع عدم وجود أي علامة. (ص ١٣٩-١٤١)

الآخيزيون يحكمون اليمامة وهم على مذهب الزيدية

[اليمامة]

وبالاختصار بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها، وباليمامة حصن كبير قديم، والمدينة والسوق، حيث صنّاع من كل نوع، يقعان خارج الحصن. وبها مسجد جميل، وأمرؤها علويون منذ القديم، ولم يتنزع أحد هذه الولاية منهم إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قارّ، وهؤلاء العلويون ذوو شوكة، فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس، ومذهبهم الزيدية، وهم يقولون في الإقامة (محمد وعلي خير البشر وحيّ على خير العمل)، وقيل إن سكان هذه المدينة شريفية (خاضعون للأشراف).

وبالنامة (اليمامة) مياه جارية في قنوات وفيها نخيل وقيل إنه حين يكثر التمر يباع الألف منه بدينار، ومن اليمامة إلى الحسا أربعون فرسخاً. ولا يتيسر الذهاب إليها إلا في فصل الشتاء حين تتجمع مياه المطر فيشرب الناس منها ولا يكون ذلك في الصيف.

سلطان الإحصاء أبو سعيد شريفاً ردهم عن الإسلام

[الإحصاء:]

والحسا مدينة في الصحراء، ولبلوغها عن أي طريق ينبغي اجتياز صحراء واسعة، والبصرة أقرب البلاد الإسلامية التي بها سلطنة للحسا، وبينهما خمسون ومائة فرسخ. ولم يقصد سلطان من البصرة الحسا أبداً.^(١)

والحسا مدينة وسواد أيضاً وبها قلعة، ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء بين كل اثنين ما يقرب من فرسخ. وفي المدينة عيون ماء عظيمة، تكفي كل منها لإدارة خمس سواقي، ويستهلك كل هذا الماء بها فلا يخرج منها. ووسط القلعة مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة وفيها أكثر من عشرين ألف محارب. وقيل إن سلطانهم كان شريفاً وقد ردهم عن الإسلام وقال: إني أعفيكم من الصلاة والصوم، ودعاهم إلى أن مرجعهم لا يكون إلا إليه واسمه أبو سعيد. وحين يسألون عن مذهبهم يقولون: إنا أبو سعيديون وهم لا يصلون ولا يصومون ولكنهم يقرون بمحمد المصطفى ﷺ وبرسالته.

وقد قال لهم أبو سعيد: إني أرجع إليكم، يعني بعد الوفاة. وقبره داخل المدينة وقد بنوا عليه قبراً جميلاً، وقد أوصى أبناءه قائلاً: (يرعى المُلْك ويحافظ عليه ستة من أبنائي، يحكمون الناس بالعدل والقسطاس ولا يختلفون فيما بينهم حتى أعود).

ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف هو دار ملكهم، وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامره بالاتفاق وكذلك يحكمون. ولهم ستة وزراء، فيجلس الملوك على تخت والوزراء على تخت آخر، ويتداولون في كل أمر. وكان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي وحشي، يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين.

وهم لا يأخذون عشوراً من الرعية وإذا افتقر إنسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله، وإذا كان لأحدهم دين على آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له. وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم صناعته من عدد وآلات، ويرد إلى (الحكام) ما أخذه حين يشاء. وإذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ولم تكن لديه القدرة على الإصلاح أمروا جماعة من عبيدهم بأن يذهبوا إليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون، ولا يطلبون من المالك شيئاً.

وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان، تطحن الحبوب للرعية مجاناً، ويدفع فيها السلطان نفقات إصلاحها وأجور الطاحنين، وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات،^(٢) ويسمى وزراءهم الشائرة.

وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة، ولا تقام بها صلاة أو خطبة، إلا أن رجلاً فارسياً اسمه علي ابن أحمد بنى مسجداً، وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا.

(١) يدل هذا النص على أن بلاد الإحصاء والبحرين كانتا بمعزل عن سلطان البصرة الواقعة في ذلك الوقت تحت حكم ملك فارس.

(٢) يدل هذا النص على أن الإحصاء كانت في وقت مرور خسرو عليها كانت تحكم من قبل ستة سلاطين من القرامطة.

والبيع والشراء والعطاء والأخذ يتم هناك بواسطة رصاص في زنايل يزن كل منها ستة آلاف درهم، فيدفع الثمن عدداً من الزنايل، وهذه العملة لا تسري في الخارج.

وإذا صلى أحدهم فإنه لا يمنع، ولكنهم أنفسهم لا يصلّون. ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع، ولا يشربون مطلقاً وعلى باب قبر أبي سعيد حصان مهياً بعناية، عليه طوق ولجام، يقف بالنبوة ليلاً ونهاراً، يعنون بذلك أن أبا سعيد يركبه حين يرجع إلى الدنيا. ويقال إنه قال لأبنائه: ((حين أعود ولا تعرفونني، اضربوا رقبتني بسيفي، فإذا كنت أنا حيت في الحال)). وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعي أحد أنه أبو سعيد.

وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها من قطط وكلاب وحمير وبقر وخراف وغيرها، وتوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ليعرف المشتري ماذا يشتري وهم يسمّون الكلاب هناك كما تعلق الخراف حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ثم يذبحونها ويبيعون لحومها.

والبحر على مسافة سبعة فراسخ من الحسا ناحية الشرق، فإذا اجتازه المسافر وجد البحرين..... ويستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ، ولسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون منه.

أمير عربي يربط على أبواب الحسا مدة سنة^(١) ويشن الغارات عليها

[القطيف]

وحين يسير المسافر من الحسا إلى الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف، وهي مدينة كبيرة بها نخل كثير. وقد ذهب أمير عربي إلى أبواب الحسا وربط هناك سنة واستولى على سور من أسوارها الأربعة وشن عليها غارات كثيرة ولكنه لم ينل من أهلها شيئاً، وقد سألتني حين رأيته عما تنبئ به النجوم، قال: أريد أن أستولي على الحسا فهل أستطيع أم لا فإن أهلها قوم لا دين لهم)). فأجبت بما فيه الخير له.^(٢) وعندي أن كل البدو يشبهون أهل الحسا، فلا دين لهم، ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة. أقول هذا عن بصيرة، لا شيء فيه من الأراجيف، فقد عشت في وسطهم تسعة شهور دفعة واحدة لا فرقة بينها. ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه إليّ كلما طلبت ماء لأشرب، فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون: اطلبه حيثما تراه ولكن عند من تراه؟.. وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجاري في حياتهم.

[البصرة]

بلغنا البصرة في العشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة (٢٨ ديسمبر ١٠٥١م). للبصرة

(١) حاكم القطيف هو الذي كان محاصراً للإحساء من ٤٤٢ إلى ٤٤٣ هـ.

(٢) أرجح رؤية ناصر خسرو للأمير العربي المحاصر للإحساء كانت من شهر رجب ٤٤٣ هـ الموافق لشهر نوفمبر من عام ١٠٥١ م، حيث ذكر أنه كان في اليمامة من صفر / يوليو أنه لا يتيسر السفر إلى الإحساء إلا في فصل الشتاء عندما تكون هناك مستقعات لمياه الأمطار.

سور عظيم يحيط بها، ما عدا الجزء المطل على النهر، وهذا النهر هو شط العرب، ويلتقي دجلة والفرات عند حدود مدينة البصرة....

ويتفرع من شط العرب قناتان كبيرتان بين منبئيهما مسافة فرسخ.....، الشمالية الشرقية تسمى نهر معقل، والثانية وهي الغربية الجنوبية تسمى نهر الأبله ومنهما تتكون جزيرة كبيرة مستطيلة، والبصرة على أقصر ضلع من هذا المستطيل، والجنوب الغربي للبصرة صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقاً. وكان معظم البصرة خراباً ونحن هناك، والجهات العامرة متباعدة جداً، من واحدة لأخرى نصف فرسخ من الخراب، ولكن بابها وسورها محكمان وقويان. وبها خلق كثير ودخل سلطانها كبير. كان أميرها في ذلك الوقت ابن أبي كاليبجار الديلمي الذي كان ملك فارس وكان وزيره رجلاً فارسياً اسمه أبو منصور شاه مردان.

الأبله التي تقع على النهر المسمى بها مدينة عامرة وقد رأيت قصورها وأسواقها ومساجدها وأربطتها وهي من الجمال بحيث لا يمكن حذها أو وصفها. والمدينة الأصلية تقع على الجانب الشمالي للنهر، وعلى جانبه الجنوبي يوجد من الشوارع والمساجد والأربطة والأسواق والأبنية الكبيرة ما لا يوجد أحسن منه في العالم، وهذا الجانب الجنوبي يسمى شق عثمان. والشط الكبير الذي هو دجلة والفرات مجتمعين والمسمى شط العرب، يشق شرق الأبله والمدينة في الجنوب. ويلتقي نهرا الأبله ومعقل عند البصرة. (ص ١٥٠)

الوحشة بين الخليفة والبساسيري

٤٤٦هـ ((حصلت الوحشة بين البساسيري والخليفة القائم. وفيه ثارت السنة في بغداد وقصدوا دار الخلافة، وطلبوا أن يؤذن لهم في أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر فأذن لهم وزاد شرهم، ثم استأذنوا في نهب دور البساسيري وكان غائباً في واسط فأذن الخليفة لهم بذلك فقصدوا دور البساسيري ونهبوها وأحرقوها وأرسل الخليفة إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيري فأبعده وقدم الملك الرحيم من واسط إلى بغداد وسار البساسيري إلى جهة ديبس بن مرثد (مزيد) لمصاهرة بينهما))^(١).

نهب خفاجة للجامعين وقمعها

٤٤٦هـ ((في رجب، قصد بنو خفاجة الجامعين، وأعمال نور الدولة ديبس، ونهبوا وفتكوا في أهل تلك الأعمال، وكان نور الدولة شرقي الفرات، وخفاجة غربيها، فأرسل نور الدولة إلى البساسيري يستنجد، فسار إليه، فلما وصل عبر الفرات من ساعته وأجلاهم عن الجامعين، فانهزموا منه ودخلوا البر، فلم يتبعهم وعاد عنهم، فرجعوا إلى الفساد، فاستعد لسلوك البر خلفهم أين قصدوا وعطف نحوهم قاصداً حربهم، فدخلوا البر أيضاً، فتبعهم ولحقهم بخفان، وهو حصن بالبر، فأوقع بهم، وقتل منهم، ونهب أموالهم وجمالهم وعبيدهم وإماءهم وشردهم كل مشرد، وحصر خفان ففتحته وخرّبه، وأراد تخريب

(١) تاريخ أبي الفدا.

القائم به، وهو بناء من آجر وكلس، وصانع عنه صاحبه ربيعة بن مطاع بمال بذله، فتركه وعاد إلى البلاد. وهذا القائم قيل إنه كان علماً يهتدي به السفن، لما كان يجيء إلى النجف^(١).

تغلب بني عقيل على بني الأصفر الثعلبي في بلاد البحرين واستقلال ابن الزجاج بجزيرة البحرين

قال الشيخ محمد العصفور: ((قال العلامة ابن خلدون (٤-٩٣): وانقرضت دولة بني عقيل في الجزيرة وغلبهم عليها وعلى تلك البلاد أولياء الدولة السلجوقية فتحولوا عنها إلى البحرين مواطنهم الأولى فوجدوا بني ثعلب أدركهم الهرم فغلبوا عليهم^(٢))).

((وكان بنو ثعلب أخيراً قد ساءت سيرتهم وجرى الخلف بينهم فما زالوا في قتال ونضال حتى ضعفت شوكتهم وتفرقت كلمتهم، وفي هذا الوقت عاد بعض من بقايا القرامطة من بني عقيل المذكورين آنفاً إلى البحرين فوجدوا بني ثعلب قد أدركهم الهرم وضعف أمرهم، فاغتنموا هذه الفرصة فملكوا بعض القرى والبلاد ورئيسهم أحمد بن مسعر، والثعلابة لا تبدي ولا تعيد، قد سقطت هيبتهم وأضحوا غرضاً يرمى ولقمة سائغة لكل آكل، إذ قد كثرت القبائل النهابة في البحرين، وقد قاسى سكان المدن والقرى الأمرين، فاتحد القرامطة بعتيك وحدان وعولوا على استرجاع الملك المسلوب بتأسيس دولة قرمطية ثانية فأكثروا الغارات على السواد واستقل محمد بن يوسف الزجاج مع ولده العوام بإمارة جزيرة البحرين^(٣))).

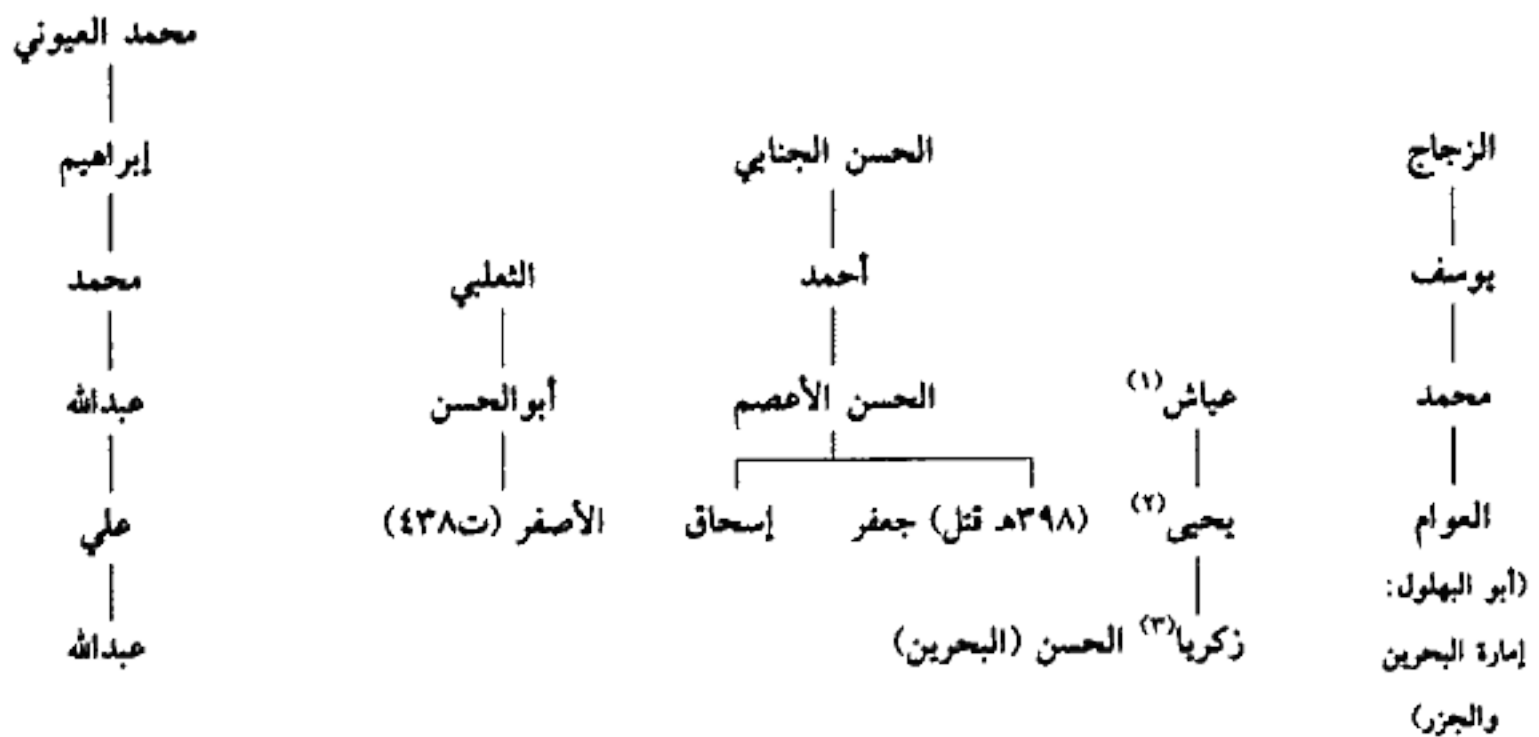
وهكذا دلّتنا النصوص السابقة على أن بني الأصفر قد اشتعلت الفتنة بينهم وتقاتلوا فيما بينهم وتفرقت كلمتهم فأضعفهم الصراع الداخلي ولم يستطيعوا على بلاد البحرين، وخرجت البلاد من أيديهم، مما أتاح الفرصة للعقيليين العائدين للتو من الأراضي العراقية لأن يستعيدوا السلطة على البلاد بقيادة أحمد بن مسعر باتحادهم مع القبائل العمانية التي يقودها عبدالله بن محمد الحداني المكنى بأبي سعيد القرمطي، وهو الذي تولّى إمامة أهل عُمان بعد الإمام عزان بن الهزبر المالكي الذي عزل، وقد عزل أهل عمان عبدالله بن محمد الحداني هو الآخر وولوا بعده الصلت بن القاسم، وقد استطاع عبدالله بن محمد الحداني أن يجمع شمل القرامطة التي فرت إلى عمان بعد معركة الأصفر الثعلبي وقد ساعده في ذلك أحمد بن مسعر أحد زعماء القرامطة الفارين، ودخل القائدان في حلف مع قبيلتين من قبائل اليمن وهما عتيك وحدان^(٤).

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير د. صادر م ٩ ص ٥٩٩.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٣٥٤ من مخطوط متخبات من كتاب تاريخ البحرين للشيخ محمد علي العصفور الفصل ٣٥.

(٣) المصدر نفسه الفصل ٣٧.

(٤) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩-٩٦٣هـ/ ١٠٧٦-١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط ١/٢٠٠٦ م ص ٦٨.



٤٧٧هـ طغرل بك وجه ولاية البصرة إلى هزار أشب بن عياض^(٤).

٤٤٨هـ قال أبو الفدا في تاريخه: تزوج الخليفة القائم بنت داود أخي طغرل بك. وقال: ولما أقام طغرل بك ببغداد ثقلت وطأة عسكره على الرعية إلى الغاية، فرحل عن بغداد ١٠ ذي القعدة ٤٤٨هـ وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهراً وأياماً لم يلق الخليفة فيها، وتوجه طغرل بك إلى نصيبين ثم سار منها إلى ديار بكر التي هي لابن مروان.

فتنة البساسيري في بغداد

٤٥٠هـ ((سار إبراهيم ينال بعد انفصاله عن الموصل إلى همذان وسار طغرل بك من بغداد في أثر أخيه أيضاً إلى همذان وتبعه من كان ببغداد من الأتراك، فقصده البساسيري ببغداد ومعه قريش بن بدران العقيلي في مائتي فارس ووصل إليها يوم الأحد ٨ ذي القعدة ومعه أربعمئة غلام ونزل بمشرعة الزوايا. وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر وأمر فأذن يحيى على خير العمل ثم عبر عسكره إلى الزاهر وخطب بالجمعة الأخرى من وصوله للمصري بجامع الرصافة أيضاً، وجرى بينه وبين مخالفه حروب أثناء الأسبوع وجمع البساسيري جماعته ونهب الحريم ودخل الباب النوبي فركب الخليفة القائم لابساً للسواد وعلى كتفه البرده وبيده سيف وعلى رأسه اللواء، وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة، وسرى النهب إلى باب الفردوس من داره، فلما رأى القائم ذلك رجع إلى ورائه ثم صعد إلى المنطرة ومعه القائم ورئيس الرؤساء، وقال رئيس الرؤساء لقريش بن بدران: يا علم

(١) العياش بن سعيد رئيس بني محارب كان منزله بالجبل المعروف بالشعبان.

(٢) غلب القرامطة على القطيف ثم انتزع البحرين من أبي البهلول.

(٣) خلف أبوه على القطيف فطمع في ملك أخيه على البحرين وله وزير اسمه العكروت.

(٤) التحفة النبهانية.

الدين أمير المؤمنين يستند بذي مامك وذمام رسول الله وذمام العربية على نفسه وماله وأهله وأصحابه. فأعطى قريش بحضرته ذماماً فنزل القائم ورئيس الرؤساء إلى قريش من الباب المقابل لباب الحلبة وسارا معه، فأرسل البساسيري إلى قريش وقال له: أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا عليه؟ وكانا تعاهدا على المشاركة وأن لا يستبد أحدهما دون الآخر، ثم اتفقا على أن يسلم رئيس الرؤساء البساسيري لأنه عدوه ويبقى الخليفة القائم عند قريش، وحمل قريش الخليفة إلى معسكره ببردته والقضيب ولوائه، ونهبت دار الخليفة وحريمها أياماً، ثم سلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارس وسار به مهارس والخليفة في هودج إلى حديثة عانة، فنزل بها وسار أصحاب الخليفة إلى طغرل بك....

ثم سار البساسيري من بغداد إلى واسط والبصرة فملكها، وأما طغرل بك فكان قد خرج عليه أخوه إبراهيم ينال وجرى بينه وبينه قتال، وآخره أن طغرل بك انتصر على أخيه إبراهيم وأسرته وخنقه بوتر، وكان قد خرج عليه مراراً وطغرل بك يعفو عنه فلم يعف عنه في هذه المرة^(١).

انتهاء فتنة البساسيري

٤٥١ هـ ((لما فرغ طغرل بك من أمر أخيه إبراهيم ينال وقتله سار إلى العراق لرد الخليفة إلى مقر ملكه وأرسل إلى البساسيري يقول: رد الخليفة إلى مكانه وأنا أرضى منك بالخطبة ولا أدخل العراق فلم يجب البساسيري إلى ذلك فسار طغرل بك فلما قارب بغداد انحدر منها البساسيري وأولاده في دجلة (سادس ذي القعدة) وكان دخوله لبغداد في سادس ذي القعدة أيضاً. ووصل طغرل بك إلى بغداد وأرسل في طلب الخليفة القائم إلى مهارس^(٢) فسار مهارس والخليفة إلى بغداد في السنة المذكورة (٤٥١) في حادي عشر ذي القعدة وأرسل طغرل بك الخيام العظيمة والآلات لملتقى الخليفة القائم ووصل الخليفة إلى النهروان رابع وعشرين ذي القعدة وخرج طغرل بك لتلقيه واجتمع به واعتذر عن تأخره بعصيان أخيه.

ثم أرسل طغرل بك جيشاً خلف البساسيري ثم سار طغرل بك في أثرهم واقتتل الجيش والبساسيري ثامن ذي الحجة فقتل البساسيري وانهزم أصحابه وحمل رأسه إلى طغرل بك وأخذت أموال البساسيري مع نسائه وأولاده^(٣).

إرسال القرامطة جيشاً من ربيعة بن نزار للقضاء على ابن العياش

عندما قام أحد القادة البويهيين المدعو (بأبي الحارث البساسيري) بمهاجمة بغداد سنة ٤٥٠ هـ أثناء غياب السلطان السلجوقي في الشام وقبض على الخليفة وأودعه السجن، جدد أنصار القرامطة في أول فرصة سانحة للتشفي من (ابن الزجاج) بيد أن ابن الزجاج عمد إلى مهادنة القرامطة واسترضائهم بالهدايا

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) مهارس تصحيف لمهارش.

(٣) تاريخ أبي الفدا.

والتحف ليأمن غائلتهم...، بيد أن القرامطة بعد فترة من الزمن طمعوا في مزيد من الرسوم والإتاوات من أهل أوال وكلفوا واليهم على الجزيرة (ابن عرهم) إنفاذ ذلك.

فجمع (أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج) أنصاره وأتباعه وأقاربه ومن يثق بهم من الوجهاء والأعيان وأخبرهم بما ورد بصدد امتناعهم عن دفع الضريبة المفروضة عليهم، فاستقر الرأي على عدم الرضوخ، واتصل أبو البهلول بالوجهاء وفي مقدمتهم ابن أبي العريان لما له من كثرة الأتباع...

وأدى ذلك إلى هلاك خلق كثير من ربيعة كانت بعثتهم القرامطة إلى أوال لينزعوا الملك من أبي البهلول بعد أن غلب القرامطة على جزيرة أوال ودفع عمالهم عنها وخطب له فيها بالإمرة، فكانت الدائرة لأبي البهلول على العسكر الذي كان ركب البحر إليه وذلك أن جميعهم غرق بالمكان الذي بالبحر يسمى كسكوس أوال، وكان رئيس العسكر كله رجل يقال له بشر بن مفلح أحد العيونيين.

كان أبو البهلول ضامناً خراج جزيرة (أوال) البحرين من القرامطة، وكان ذلك في دور ضعف أمر القرامطة كما سبق ذكره واشتغالهم بمحاربة العيونيين في الإحصاء، حيث قاموا عليهم وابن عياش في القطيف والخليفة في العراق، فاغتنم أبو البهلول هذه الفرصة وطرده عمال القرامطة من جزيرة البحرين وخطب له فيها بالأمر (أي للخليفة).

فجهز عليه القرامطة جيشاً من عبد القيس فأطمعوه في استرجاع جزيرة البحرين على أن يولوهم حكمها وأركبوهم البحر، فأتوا جميعاً إلى الموضع المعروف بكسكوس (جسجوس) وكان الرئيس على الجميع رجل يقال له بشر بن مفلح أحد العيونيين، فسار إليهم بجيشه والتقى بهم في الموضع الآنف الذكر وكانت الدائرة لأبي البهلول على جيش القرامطة المختلط وغلبت قوته قوتهم فانهزموا راجعين عن جزيرة البحرين، واستقل أبو البهلول بها وعظم أمره وخطب له فيها بالإمرة - من قبل الخليفة - إلى أن غلبه عليها يحيى بن العياش.

وفاة حاكم مكة الشريف شكر بن أبي الفتوح

٤٥٣هـ توفي حاكم مكة الموسوي شكر بن أبي الفتوح دون أن يخلف ولداً ذكراً يتولى مقاليد الإمارة فألت الأمور إلى أحد عبيده، فانتهاز بنو الطيب السليمانيون الفرصة وتوجهوا إليه بقيادة محمد بن أبي الطيب^(١) حيث انتزع مكة ونصب نفسه حاكماً عليها. وقال ابن السويدة: بعد وفاة الشريف شكر: أصبح بنو هلال تحت وطأة آل مهنا أمراء المدينة لمناصرتهم الشريف شكر^(٢).

لكن ابن خلدون ينقل لنا خبراً عن الهلاليين غير ما ذكرنا حيث يقول في تاريخه بعد أن ذكر وفاة

(١) وبعد محمد بن أبي الطيب ملكها حمزة بن وهاس بن أبي الطيب ثم قامت الحرب بين الموسويين والسليمانيين قريباً من سبع سنوات، ثم خلصت للأمير محمد بن جعفر بن عبدالله بن أبي هاشم. راجع: الـ ١٠٠٠ سنة الغامضة، لابن السويدة ط ١ ص ١١٢.

(٢) الـ ١٠٠٠ سنة الغامضة لابن السويدة ط ١ ص ٢٩٤ عن كتاب الحجاز واليمن في العهد الأيوبي للدكتور جميل حرب ص ٧٩.

الشريف شكر: ((ولي ابنه محمد الذي يزعم هؤلاء الهلاليون أنه من الجازية هذه، وقال ابن سعيد: هو من السليمانيين من ولد محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسين السبط، وأخبرني من أثق به من الهلاليين لهذا العهد - ٧٩٩هـ - أنه وقف على بلاد الشريف شكر، وأنها بقعة من أرض نجد مما يلي الفرات، وأن ولده بها لهذا العهد والله أعلم)).

٤٥٥هـ في هذه السنة دخل الصليحي مكة وكان شاباً أشقر اللحية، أزرق العينين.. وكان متواضعاً.

استقلال ابن عياش بحكم القطيف

٤٥٨هـ في هذه السنة ثار يحيى بن عياش^(*) رئيس بني محارب من عبد القيس في القطيف وأنهى سلطة القرامطة فيها. وكان يحيى بن عياش قد اغتتم فرصة انشغال القرامطة في محاربتهم الأخيرة مع العيونيين وأبي البهلول وابن أرتق قائد جيوش العراق وهم إذ ذاك في دور ضعف شامل فقام بدوره على القرامطة وحاربهم فغلبهم على القطيف في سنة ٤٥٨هـ.

٤٥٨هـ في هذه السنة حكم السلاجقة إيران واستمروا إلى سنة ٥٤٣هـ، أي لمدة ٨٥ عاماً تقريباً^(١).

اتحاد القرامطة بعتيك وحدان

في سنة ٤٥٩هـ، أي قبل قيام الأمير عبدالله بن علي العيوني بثلاث سنوات أشركت قبائل من اليمن وهم عتيك وحدان من قبائل الأزد عند القرامطة بالأمر، وحلّ عندهم القصر رجال منهم، وسمي بعضهم بالأمير، وذلك عند ضعف القرامطة وسوء تدبيرهم وهلاك خلق كثير من ربيعة بن نزار سنة ٤٥٠هـ كانت بعثتهم القرامطة إلى أوال برئاسة بشر بن مفلح العيوني. وقد أنهكت القرامطة الثورات والحروب منذ حوالي سنة ٤٤٩هـ إلى سنة ٤٥٩هـ.

أول ظهور تاريخي للأمير عبدالله العيوني

في سنة ٤٦٢هـ ظهر الأمير عبدالله بن علي العيوني على ساحة الأحداث في منطقة الإحساء، وهو من عبد القيس من ربيعة بن نزار.

خلافة المقتدي بالله بعد وفاة جده القائم بأمر الله

٤٦٧هـ في ليلة الخميس ١٣ شعبان، توفي القائم بأمر الله أمير المؤمنين، (واسمه عبدالله أبو جعفر ابن القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد).

(*) بعض المصادر تسميه يحيى بن عباس.

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩-٩٦٣هـ / ١٠٧٦-١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط١/٢٠٠٦م ص١٣٤.

وكان سبب موته أنه قد أصابه شرى، فافتصد ونام منفرداً فانفجر فصاده، وخرج منه دم كثير ولم يشعر، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته، فأيقن بالموت، فأحضر ولي العهد ووصاه بوصايا، وأشهدهم على نفسه أنه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبدالله بن محمد بن القائم بأمر الله ولي عهده.

وكان عمره يوم مات ٧٦ سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام، وخلافته ٤٤ سنة وثمانية أشهر وأياماً، وأمه أم ولد تسمى قطر الندى، أرمنية وقيل رومية أدركت خلافته وقيل اسمها علم، وكان القائم جميلاً، مليح الوجه، أبيض، مشرباً حمرة، حسن الجسم، ورعاً، ديناً، زاهداً، عالماً، قوي اليقين بالله تعالى، كثير الصبر، وله عناية بالأدب^(١). ومدة حكم القائم ومدة حكم أبيه القادر قبله مجموعها (٨٥ سنة) وذلك مقارب لمدة دولة بني أمية كلها^(٢).

استعانة يحيى بن عياش بالسلاجقة لانتزاع الإحساء

في سنة ٤٦٨ هـ عندما أشفى الأمير عبدالله العيوني على ملك الإحساء، قرر يحيى بن عياش القضاء على القرامطة في الإحساء وضمه إلى ملكه^(٣)، وكانت تعوزه القوة العسكرية المساندة، فيما كانت الدولة العباسية تطمح إلى فرض سيطرتها على بلاد البحرين، وتشاء الصدق أن يلتقي ابن الزراد الذي كان يعمل في خدمة كجكينيا أحد حجاب ملكشاه السلجوقي برجال من أهل القطيف من أصحاب الأمير يحيى بن عياش أمير القطيف وجزيرة أوال في البصرة سنة ٤٦٨ هـ، فجرى بينهم وبينه الحديث فقالوا: (لو أن السلطان يدفع إلى صاحبنا مائتي فارس من العرب لاستطاع بها وبمن معه من أخذ مدينة الإحساء فيخطب بها للسلطان ويحمل إليه من الأموال من أعمالها كل سنة حملاً كثيراً)، فقال لهم ابن الزراد: (أنا أفعل هذا وأقوم به)، واستعان برجل بدوي يقال له (غداق) من أصحاب (ابن مهارش العقيلي) ومضى معهم إلى القطيف واجتمعوا مع (ابن عياش) وضمن لهم ذلك، وكان القرامطة آنذاك قد تم إقصائهم عن حكم أوال والقطيف وحصر حكمهم في الإحساء.

أنفذ (ابن الزراد) كتبه إلى السلطان (جلال الدين) وإلى (نظام الملك) ولم يزل يبذل المساعي في إقناعهم بأهمية الاستيلاء على تلك النواحي حتى أطمعهم.

وحصل ابن عياش على الرد بالإيجاب، وبعث السلطان السلجوقي ملك شاه (٤٦٥-٤٨٥ هـ) حاجبه المعروف باسم (كجكينيا) للقتال إلى جانب (يحيى بن عياش) في محاولة لانتزاع الإحساء من أيدي القرامطة.

وكما قلنا قبل قليل إنه في هذه الأثناء كان الأمير عبدالله بن علي العيوني يحاصر الإحساء في محاولة منه للاستيلاء عليه لصالحه، ومن المؤكد أن ابن عياش كان يعلم بذلك الحصار، وكأنه أراد الدخول معه على

(١) الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٩٤.

(٢) سمط النجوم العوالي م ٣ ص ٥٠٠.

(٣) ديوان ابن المقرب ج ٢ ص ٩٢٨.

خط المنافسة على امتلاك الإحساء، خاصة وأنه قد تمكن قبل وقت قريب من الاستيلاء على جزيرة أوال وأراد أن يوسع دائرة ملكه أيضاً لتشمل الإحساء، لأنه كان يرى في نفسه أنه هو الأحق والأجدر والأقوى.

تجميع القوات العباسية للمسير إلى الإحساء

شرع كجكينيا بالإعداد لهذه الحملة وكتب إلى ابن الزراد يطلب منه التوجه إلى البصرة حيث يلتقي هناك بجماعة وضعوا بخدمته للمسير معه وأنه سيلحق به لإعداد الخطة، وانحدروا على أن يلحق بهم (سعد الدولة) لتسمع العرب بوجوده هناك فيهابوه وينخرطوا في عسكره، ووصلوا إلى واسط وجاءهم (غداف البدوي) بمكاتبة تقدمت منهم إليه. واجتمعوا وتحالفوا وتعاهدوا على أن يكون المغنم مقسوماً على (١١ سهماً): (١) للخليفة و(١) للسلطان و(١) لنظام الملك وسعد الكواهري و(٤) لكجكينيا و(٤) لأصحاب مهارش^(١).

وأقاموا مدة فلما علموا بوصول (سعد الدولة) إلى واسط أخذوا الطريق إلى البصرة خرجوا منها بعد أن وقع بينهم وبين الأشراف من وجوه ربيعة نزاع. واستعدوا بأربعمئة فارس من العرب والعجم سوى أتباعهم والتقوا بغداف وجماعته وساروا قاصدين القطيف.

وصول القوات العباسية والمحلية إلى جبل سنام

يقول شارح ديوان ابن المقرب: وساروا حتى وصلوا موضعاً يعرف بجبل سنام، وهم يتوقعون أن المتفق يسبرون معهم، وكانوا راسلوهم فوعدهم باللاحاق بهم، فحين وصلوا جبل سنام قيل لهم: إن بطناً من العرب يعرف بقيس^(٢) وقبث^(٣) قد نزلوا على طريقهم^(٤)، طمعاً فيهم فتحقق عندهم الخوف منهم ومن غدر البدو الذين معهم.

وقعة القوات العباسية مع قيس وقبث

((وطال مقامهم بالطريق فغلت أسعار الأطعمة عليهم، وخافوا من قيس وقبث أن يباغثوهم

(١) أمير العرب محيي الدين أبو الحارث مهارش بن المجلي العقيلي صاحب الحديثة وهو الذي نزل عليه الإمام القائم في قصة البساسيري سنة ٤٥٠هـ وبالع في إكرامه وإجلاله والإحسان إليه وأقام عنده سنة. وكان مهارش كثير الصدقة والصلوات ملازماً الجمع والجماعات، ومات وقد ناهز (٨٠ سنة) وهو مهارش بن المجلي بن عليث بن قبان بن شعب بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهنا عبد الرحمن بن بريد بالتصغير ابن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة ابن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العقيلي.

(٢) [قيس] يقول محقق ديوان ابن المقرب د. الخطيب: لعله قيس بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة.

(٣) [قبث] في الجمهرة ١٨٠-١٨١: قباث بن أشيم بن عامر بن الملوخ بن يعمر (الشداخ)، بطن من بني كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة. وقال البلاذري: قباث بن أشيم بن عامر بن الملوخ الذي كان على إحدى المجنبتين يوم اليرموك سنة ١٥هـ مع أبي عبيدة. راجع: أنساب الأشراف ج ١١ ص ٨٧.

(٤) ديوان ابن المقرب طبعة الباطين ج ٢ ص ٩٢٦.

فاجتمعوا وسروا ليلاً ومعهم الدليل فوصلوا بعد يومين إلى قبات وقيس فقاتلوهم طيلة يومهم فلم يظفروا بهم. فعملوا حيلة بأن يجعلوا منجنيقاتهم وثقلهم وراء تل^(١) وأمروا بضرب الطبول وضرب البوقات ونشر الأعلام حتى كأنهم نجدة قد وصلت وهاجموا قيساً وقبائاً فغنموا أموالهم وحلتهم وأجار كجكينيا النساء وسيرهن إلى أهلهم في ظعنهن وجمالهن فشكرت له قيس وقبات ذلك. وعرضت عليه الرغبة في خدمته والمسير معه وطلبت منه الخلع والهبات فبذل لهم ما التمسوه وشكر لهم ما قالوه. وتعاهدوا وتواثقوا وجاء متقدمهم في ثلاثمائة راكب على المطايا وفي أيديهم الحراب. وخلعوا عليه وعلى عشرين ونيف من أصحابه وعلى صاحب (ابن مهارش) وعلى خمسة رجال كانوا معه وضمنوا لهم رد أموالهم بعد فراغهم من حرب القرامطة ورجوعهم إلى البصرة)).

وقوع القوات العباسية في ورطة مع ابن عياش

((وسارت قيس وقبات معهم يبيعون لهم التمر والذرة^(٢) بالثمن الذي يرجونه ويطلبونه من غير مقالة. إلى أن صاروا على أربعة فراسخ من القطيف^(٣). وراسلوا (ابن عياش) يخبرونه بوصولهم، فوجدوه بخلاف ما قيل لهم فقد كان نافرماً مما ذكروا فعلموا أن ابن عياش نافر من قدومهم وأرسل إليهم يقول إن الذي تم الاتفاق عليه من مع ابن الزراد هو أن يقوم السلطان بتزويدي بمائتي فارس من العجم يعملون تحت قيادتي وبأمري وأجريهم مجرى جندي، وأما أن يأتيني جيش مجهز بهذا الحجم فلا. واعلم أيها الحاجب كجكينيا أنني لا آنس إلى مخالطتك ومشاركتك والاجتماع معك، وبخاصة عندما فعلت بقبيلتي قيس وقبات ما فعلت فقد أفسدت بهذا العمل نبات العرب عليك وعلي. وبالغ في تهديده وقال: إنك في وصولك إلى هنا أصبحت كالسبع الذي في الأجمة وحولها الأعداء بحيث لا يمكنك المقام ولا العودة. فإن أنت سلمت إليّ بعض من معك من الجند رددتك إلى البصرة سليماً. وقصدت أنا الإحساء وأعمالها وأخذتها وأقمت الخطبة بها وجمعت أموالها وبعثت بها إلى السلطان. وإن أبيت وأردت أن تكون أنت المقدم فهذه البرية بين يديك فامض بها كيف شئت))^(٤).

(١) لعل الموضع الذي التقت القوات العباسية فيه مع قبيلتي قيس وقبات يقع في جنوب دولة الكويت، كالوفراء أو جبل وارة، حيث إن المؤلف يذكر أنهم سروا ليلاً من جبل سنام وهم يقصدون المسير باتجاه القطيف وهم يعلمون أن قيساً وقبائاً ينزلون على طريقهم ذلك فوصلوهم بعد يومين من مسيرهم الليلي، وأقدر المسافة أنها تكون قريبة من (١٢٠ كم). وقال أيضاً: ((فعملوا حيلة بأن يجعلوا منجنيقاتهم وثقلهم وراء تل)) وأظن بأنهم التفتوا بالقرب من جبلي وارة وبرقان اللذين يقعان في منطقة الصيحية المشهورة في وبرة مياها، ولأن لا تل ولا ماء إلا عندها أو عند ماء الوفراء الذي يقع بالقرب منه جبل رحية والانياس والفوارس.

(٢) بيعهم للتمر والذرة يدل على أن الأرض التي يستقرون بها زراعية وأنهم يتعاطون الزراعة والمتاجرة وأن بلادهم تقع فيما بين البصرة والقطيف.

(٣) عشرين كيلومتر تقريباً.

(٤) في ديوان ابن المقرب ج ٢ ص ٩٢٥-٩٢٧.

وقعة كجكينا مع ابن عياش ونهب قيس وقبث لآحماله

((جرت بينهما مراسلات أدت إلى أن لبسوا السلاح وقصدوه وجرت بينه وبينهم حرب قُتل فيها أخوه وابنه وجماعة من هؤلاء وهؤلاء، وذلك في يوم الأربعاء، ورجعوا غانمين مستظهرين ذلك اليوم بعد أن أيقنوا بالهلاك، لكثرة من خرج من عساكر القطيف.

وباكروا القتال يوم الخميس، فوردت عليهم الرسائل بالרגائب والتلطف والمخادعة لهم ومخاتلة لم يتته علمهم إليها، وشرع ابن عباس^(١) في الحديث مع قيس وقبث، ومثاهم على أن يغدروا بهم ففعلوا ذلك بكرة يوم الجمعة، فأخذوا أحمالهم التي كانوا أخذوها منهم وقد حملوا عليها زادهم وأثقالهم، وأخذوا أيضاً جمالهم التي كانوا عليها من البصرة، وجميع ما عليها من زاد وقماش، فبلغ الأعاجم ذلك، فساروا وراءهم، فخرج أهل القطيف إلى معسكرهم فنهبوه، وأخذوه، ولم يظفروا هم بالعرب، ولا كان لهم من خوف ابن عباس مرجع)).

قدوم شبانة بن قديمة بن نباتة والتحاقه بكجكينا

بينما كانت القوات العباسية في هذه الحال المزرية، ((أتاهم شبانة أبو الشبانات، فأقام معهم ولولاه ماتوا جوعاً وعطشاً، فعمد رئيسهم كجكينا فخلع على شبانة وأصحابه وطيب نفوسهم ووعدهم ومناهم وطلب منه ومن أصحابه إحضار الزاد ليشتروا منهم كيف اقترحوا، فأرسل شبانة ولده إلى أصحابه فاجتمعوا بهم، ويشترون منهم البعير بالفرس، فغنموا منهم غنائم كثيرة، وساروا على أقبح حال حتى بلغوا البصرة.. وذلك في سنة ٤٦٨هـ والأمير عبدالله قد أشفى على ملك الإحساء))^(٢).

وفاة يحيى بن عياش ونجاح ابنه زكريا باحتلال أوال

توفي يحيى بن عياش، فخلفه ابنه زكريا، فجهز أسطولاً وأبحر به إلى جزيرة أوال واقتحمها بجيش عظيم وقرى أبا البهلول بعد قتال شديد وضم البحرين إلى مملكته، وصار حكمه عليها وعلى القطيف. وقيل بعد موت يحيى بن عياش (خلفه على القطيف ابنه زكريا بن يحيى بن عياش وعلى جزيرة البحرين أخوه الحسن بن يحيى بن عياش، فطمع زكريا في جزيرة البحرين فاستولى عليها بعدما أن قتل أخاه الحسن).

نجاح عبدالله العيوني في طلب استقدام القوات العباسية

لما طال الحرب بين عبدالله بن علي العيوني وبين القرامطة، واليمن وعامر ربيعة، بعث رسله إلى

(١) كما قلنا سابقاً تسميه بعض المصادر ابن عباس وأخرى ابن عياش.

(٢) ديوان ابن المقرب ج ٢ ص ٩٢٨.

الديوان، فصادف هذا الطلب هوى في نفس ملك شاه، لما عرف عنه من كراهيته للإسماعيليين ومن يدور في فلکهم. فهب لنجدته، وبعث السلطان إليه من الجند سبعة آلاف^(١) فارس بخيولهم وعتادهم بإمرة القائد السلجوقي (إكسك سلار)، الملقب أرتق بك، وكان في نفسه يومئذ من القطيف وما جرى لكجكينا، وتحذوه رغبة عارمة للانتقام من (ابن عياش)^(٢).

خسف القوات العباسية بالبصرة وهي في طريقها للإحساء

وسار بهم إكسك سلار (في رجب ٤٦٩هـ) وكان مسيره عن طريق مقطع حلوان ونزل في طريقه بالبصرة. فخسف بها جنده فنهبا وأطلقوا مواشيهم ترعى زروعها فعم أهلها الخوف والهلع، فأقفلوا الأسواق وسدوا الطرق وظلوا سجناء منازلهم. فقال: (ما يمكنني المسير إلى الأحساء وتلك الأعمال إلا أن تعطوني على ما عندي ألف جمل وقدرًا كبيراً من الدقيق ومثلها شعيراً ومثلها تمرًا وعشرة آلاف دينار أفرقها في أصحابي). فأعطي من ذلك ما قنع به وتنازل عن الباقي^(٣).

فرار ابن عياش من وجه القوات العباسية

وقرر إكسك سلار التوجه للقطيف أولاً للإيقاع بابن العياش، ولما وصلها قرّ زكريا بن يحيى ابن عياش من بين يديه إلى جزيرة أوال. فولى وجهه شطر الأحساء ونهب ما ظفر به. ثم انضم إلى (عبدالله بن علي العيوني)، وانهزمت عامر ربيعة عندما سمعت بوصولهِ^(٤)، ولم تصطدم مع القوات العباسية فبقي القرامطة واليمن في جبهة القتال دون عامر ربيعة

محاصرة القرامطة في الأحساء ثم عودة جيش العجم

((فلما مضت له مدة على الحصار وأسبغت القرامطة واليمن على مال كثير، أنهم يدفعونه إليه، فقبل ذلك منهم، وهم قد امتنعوا منه، وقلّ عليهم الزاد، وما بقوا يجدون غير التمر والسمك وهو غالب أقوات أهل البحرين، واللحم ارتفع عنهم، وفنيت البقر والحنطة في ذلك الوقت لانقطاع زرعها، ولذلك قبل المال على أنه يندفع عنهم، ويمهلهم مقدار شهر وأقل ليتفسحوا ويطمثنوا ويتشاغلوا بتقسيط المال على من له ضيعة، وملك ومعيشة، وسلموا إليه رهناً على ذلك ثلاثة عشر رجلاً منهم على ذلك. فرحل إكسك سلار يومئذ عنهم فخرجوا إلى أمكنة لهم كانوا يجعلون بها الطعام - لما خافوا، وما بقوا يقدرّون على دفعه - من آبار ومغارات ومكانات خافية في بساتينهم، واحتملوها إلى البلد وتقووا بها.

(١) عدد مبالغ فيه والصحيح ما ذكره الملا في تاريخ الإمارة العيونية من أنهم سبعمائة فارس فقط.

(٢) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة الباطين ج ٢ ص ٩١٨، وراجع: تاريخ الإمارة العيونية للملا من شرح ديوان ابن المقرب.

(٣) تاريخ الإمارة العيونية للملا.

(٤) المصدر نفسه.

وعرف إكسك سلار ذلك منهم، فعلم أنهم قد مكروا به، فرجع إليهم، فوجدهم غادرين على أشد ما كانوا فيه من الخلاف، فقتل بعض الرهائن واحتبس بعضاً ممن رأى فيه رأياً منعه من قتله. وما فعلوا ذلك إلا أنهم عرفوا أن العجم قد قابلها وقت الحر^(١)، ولا تقدر أن تقيم في تلك الأرض مع نفاد الزاد، وقلة المأكول، وعرف أيضاً إكسك سلار من نفسه وأصحابه ذلك، وأنه قد أخرج البلاد وأعمالها وسواها، ولم يبق فيه من الزروع شيء، وأن أصحابه ما بقوا يحتملون المقام وطلبوا بيوتهم وقاسوا من الحر مقاساة عظيمة، فشاور عبدالله بن علي في أمره، فقال: تجعل عندي مائتي فارس وتمضي لشأنك، فنحن نقضي الحاجة إن شاء الله تعالى، ففعل وجعل مائتي فارس مع أخيه البقوش، وعاد بمن معه إلى البصرة، وقد أخذ في طريقه من العرب أموالاً كثيرة يقوى بها، وكل ذلك من عائذ وقبات والأجلاف ما سلموا إلا على خيولهم وكان سيرهم إلى الإحساء في سنة ٤٦٧هـ^(٢).

العيوني يخطب للمستنصر الفاطمي على المنابر

يقول الدكتور محمد خليل: ((الذي لم تذكره المصادر المحلية هو وثيقة فاطمية ترجع إلى - ربيع الآخر من - سنة ٤٦٩هـ - ١٠٧٦م تحتوي على خطاب من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله موجه إلى الملك الصليحي ملك اليمن، يخبره بأن الأمير عبدالله بن علي^(*) أمير الإحساء قد أقام دولته في الإحساء وخطب للخليفة المستنصر على منابر الإحساء متخذاً مذهب الدولة الفاطمية مذهباً لدولته، عاملاً على نشر الدعوة العلوية في بلاد الإحساء وأنه واجه في ذلك العمل الكثير من الصعاب والمعارك الحربية التي خاضها ضد الأعداء)) إلى أن قال: ((وهذا ما تؤيده النقود التي سكتها الدولة العيونية حيث تحتوي على عبارات تعكس بوضوح تشييع الدولة العيونية))^(٣)، ثم يقول: ونحن نرى أن عبدالله بن علي العيوني عندما

(١) طالت مدة الحصار ودخل الصيف، وبدأ الملل يذهب في نفوس جيش الخلافة وأصيب بعضهم بالحمى والملاز، عندها قرر القائد السلجوقي الانسحاب والعودة إلى بغداد بعد أن اتفق مع العيوني أن يبقى لديه مائتي مقاتل بقيادة أخيه البقوش.

(٢) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج ٢ ص ٩١٨، وفي هامش ص ٩١٩: في النسخة ب: ولذلك قبل المال على أنه للدولة العباسية، وذلك في سنة ٤٦٩هـ.

(*) على حسب ما ذكره الدكتور محمد خليل فإن السجلات الفاطمية وهي وثائق كتبها المستنصر بالله إلى قواده ومن ضمنها المخطوطة رقم ٢٧١٥٥ من مكتبة الدراسات الشرقية بلندن أهداها دكتور حسين فيض الدين الهمداني للدكتور عبدالمنعم ماجد، فعمل الأخير على تحقيق ذلك العمل وأصدره عام ١٩٥٤م في دار الفكر العربي في القاهرة، وقد جاء في الوثيقة رقم ٥٤ تسمية الأمير عبدالله بعبدالله بن علي العلوي، فهل يقصد بهذا العلوي العيوني نفسه؟ أم أن هناك أميراً غيره في المنطقة علوي النسب؟! انظر: تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مذبولي ط ١ ص ٣٢٥.

(٣) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩ - ٩٦٣هـ / ١٠٧٦ - ١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مذبولي القاهرة ط ١/ ٢٠٠٦م ص ١١٢، عن كتاب: الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن لحسن بن فيض الهمداني مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٥م ص ٢٢٢.

جاهر على منابر الإحساء بالدعوة العلوية ونقض التحالف السلجوقي وإسقاط الخطبة لبني العباس أغضب ذلك البقوش وجنوده السلاجقة....

هذا ما نقله الدكتور محمد محمود خليل عن فيض الله الهمداني، ولدي شك في هذه الوثيقة الفاطمية حيث إنها ذكرت أن عبدالله العيوني جاهر بالدعوة الفاطمية على منابر مساجد الإحساء فور تملكه للبلد وهذا القول يتناقض مع قصيدة ابن المقرب التي تدل على أن الإحساء لا يوجد بها مساجد إلا بعد أن حكمها العيونيون، بدليل قول ابن المقرب بحق القرامطة:

وَمَا بَنَوْا مَسْجِدًا لَّهِ نَعْرِفُهُ بَلْ كُلُّ مَا أَدْرَكُوهُ قَائِمًا هُدِيمًا^(١)

لذا، فالذي أرجحه أن عبدالله بن علي العلوي هذا ما هو إلا أمير من أمراء القرامطة المعروف ولاؤهم لخليفة مصر الفاطمي الإسماعيلي.

زكريا بن يحيى بن عياش يوجه نظره تجاه الإحساء

((بعد أن رحل القائد إكسلار وجنده هجم ابن عياش على القطيف واستولى عليها))، وكان لزكريا المذكور وزير من أهل جزيرة البحرين يسمى العكروت صاحب رأي وسياسة وحيل ودهاء وشجاعة وشدة بأس وحزم، فأغرى سيده زكريا بمحاربة العيونيين وأطمعه في الاستيلاء على ملكهم الإحساء فوافقه على ذلك، فكان كالباحث عن حثفه بظلفه وانقراض دولته.

معركة ناظرة واستيلاء العيوني على بلاد ابن عياش

قام زكريا بن عياش باستمالة القبائل وجهاز جيشاً وقرر أن يهاجم عبدالله قبل أن يسترد أنفاسه من حروبه ويستفحل أمره فزحف بجنده نحو الإحساء، ووصل إلى مشارفها عند قرية من سوادها تسمى ناظرة حل هناك، فأغارت خيله، فأتى الصريح إلى عبدالله بن علي العيوني أمير الإحساء، فركب وخرج معه من أولاده وأولاد أولاده وأهل بيته وبني عمه وجنوده وأهل بلاده، فالتقوا بناظرة فجرت بينه وبين العيوني معركة فاصلة مني فيها زكريا بن يحيى بن عياش بهزيمة نكراء فانهزمت سرية زكريا بن يحيى، فتبعهم الأمير عبدالله العيوني حتى وصل القطيف وهو يستأصل الخيل شيئاً فشيئاً، فظن زكريا أن القطيف لا تمنعه، وتمكن عبدالله بن علي من دخول القطيف والاستيلاء عليها، فهرب منها زكريا بن عياش عبر الخليج إلى جزيرة أوال، فجهز عبدالله بن علي جيشاً بقيادة ابنه الأكبر الأمير الفضل الذي عبر إلى جزيرة أوال، وهناك دارت معركة بين الطرفين، انتهت بهزيمة جيش ابن عياش وقتل وزيره العكروت، واستولى فيها الفضل بن عبدالله على الجزيرة، وقتل مقتل العكروت في عضد زكريا بن عياش فانهزم حيثئذ وركب البحر إلى العقير واجتمع بقوم من البادية، واستنجد بهم، فأقام معهم أياماً حتى حشد حشداً كبيراً وجند جنوداً من العرب وأغاروا على القطيف، واشتبك مع عبدالله العيوني في معركة عنيفة أسفرت عن مصرع ابن عياش وضياع مملكته في سنة ٤٧٠هـ وانقرضت بقتله دولة بني عياش.

(١) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج ٢ ص ٩١٠.

وَلَمْ يُدْجِ ابْنُ عَيَّاشٍ بِمُؤَجَّجِهِ
أَتَى مُغِيرًا فَوَاقَى جَوْ نَاطِرَةَ
فَرَّاحٍ يَطْرُدُ طَرْدَ الْوَحْشِ لَيْسَ يَرَى
فَائِضَاعَ نَحْوِ أَوَالٍ يَبْتَغِي بِمَصْمًا
فَأَفْحَمَ الْبَحْرَ مِثْلًا خَلْفَهُ مَلِكُ
فَحَازَ مَلِكُ أَوَالٍ بَعْدَ مَا تَرَكَ
فَضَارَ مَلِكُ ابْنِ عَيَّاشٍ وَمُلْكُ أَبِي

يَمُّ إِذَا مَسَا يَرَاهُ النَّاطِرُ ارْتَسَمَا
فَعَايَنَ الْمَوْتَ مَنَادُونَ مَا زَعَمَا
حَبْلُ السَّلَامَةِ إِلَّا السُّوْطَ وَالْقَدَمَا
إِذْ لَمْ يَجِدْ فِي نَوَاحِي الْخَطِّ مُعْتَصَمَا
مَا زَالَ مُدًّا كَانَ لِلْأَهْوَالِ مُقْتَحِمَا
انْعَكُرَتْ بِالسِّيفِ لِلْبُوغَاءِ مَلْتَزَمَا
الْبَهْلُولُ مَعَ مُلْكِنَا عَقْدًا لَنَا نُظْمَا

وقوع معركة حاسمة بين العيونيين والقرامطة

((وطمع القرامطة والقبائل المؤيدة لهم في القضاء على علي العيوني وبقية الجيش السلجوقي، فوالتت المعركة الحاسمة بين الفريقين، حيث حشد كل واحد منهما ما لديه من قوة واستعداد حيث دارت المعركة حول القصر الذي يسكنه القرمطي. فانتته بانتصار الأمير عبدالله الذي تمكن أخيراً من بسط نفوذه على الإحساء))^(١).

((ذكر أهل العلم ممن أدرك قيام الأمير عبدالله بن علي على القرامطة وقبائل اليمن الذين كانوا بالإحساء أن جميع القوم انذين قام بهم (٤٠٠ رجل) وتابل بهم القرامطة وكانوا يومئذ (٨٠ أميراً) من صلب أبي سعيد^(٢) يركبون في التجافيف (الذي يوضع على انخيل من حديد وغيره) والسلاح التام وكانت جنودهم وأهل ديوانهم في خلق كثير وكانت اليمن (الأزد بن الغوث) قد شركت عندهم في الأمر وحل عندهم القصر رجال منهم، ويسمى بعضهم بالأمير، وذلك من قبل قيام الأمير عبدالله بن علي، أي منذ سنة ٤٥٩ هـ تقريباً. وكان قيام عبدالله العيوني بخارجهم صباحاً ومساءً مدة سبع سنين حتى انتزع دولتهم وقد قال ابن المقرب^(٣):

(١) مجلة الياحة السعودية، بيروت عدد ٣٤ سنة ٢٠٠٤ بقلم: سامي أحمد بوخمين ص ٨.

(٢) نساءل: هل الحكومة الأخيرة للقرامطة كانت في أيدي أولاد أبي سعيد؟ أم أنها كانت في أيدي أولاد الأصفر بن أبي الحسن كما كنا نتوقع؟ قال التاجر محمد علي عن المعركة الأخيرة بين العيونيين والقرامطة: وكان جيش الأمير عبدالله العيوني لم يتجاوز الثلاثمائة رجل ساعده الله على القرامطة ومن وازرهم ومن خلفهم على ملكهم من بني الأصفر. راجع عقد اللآل في تاريخ أوال الملحق بكتاب من سواد الكوفة إلى البحرين ص ٢٢٧. ويقابل هذا القول الذي وضع الأصفيين في مقدمة الجيش القرمطي قول شارح ديوان ابن المقرب من أن الجيش يتصدره ثمانون أميراً من نسل أبي سعيد.

(٣) ذكره ابن الشعار الموصلي في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) فقال: علي بن المقرب بن منصور بن المقرب ابن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد أبو عبدالله الربيعي البحراني العيوني، هكذا أملى علي نسب من حفظه، وهو موضع بالبحرين يقال له العيون أخبرني أنه ولد به في سنة ٥٧٢ هـ وتوفي به في أواخر المحرم سنة ٦٣٠ هـ.

فَعَنْ هَجَرَ ذَادُوا الْقَرَامِطَ عُنُوءَ وَقَدْ شَرِكْتَ فِيهَا عَتِيكَ وَحُدَانَ
سَارُوا إِلَى أَرْضِ الْقَطِيفِ فَلَمْ تَكُنْ لِثَمْنِهَا مِنْهُمْ حُصُونٌ وَحِيطَانٌ

يقول شارح ديوان ابن المقرب: عتيك وحدان قيلتان، فأما (عتيك) فهو ابن الأزد بن عمران بن عمرو بن عامر مزيقيًا الكهلاني. وأما (حدان) فهو ابن شمس بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر ابن هزان^(١).

استئصال بني عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

في سنة ٤٧٠ هـ استأصل الأمير عبدالله العيوني عامر بن ربيعة في وقعة بقفور السهلة^(٢) بين النهرين نهر محلم ونهر سليسل^(٣) وكان عبدالله حين ملك أقر القرامطة واليمن بالبلد، ولم يخرجهم منها ولا قتل أحداً منهم. فبعثت القرامطة واليمن إلى عامر ربيعة وأطمعوه في البلد وأقبلوا في خلق كثير وحلّوا عليها، وأرسلوا إلى عبدالله بن علي يطلبون منه أن يعيد لهم ما كان لهم على عهد بقية القرامطة واليمن فامتنع من ذلك، فاجتمعوا ولبسوا السلاح وجففخوا الخيل وساقوا النعم قدامهم، وخرج إليهم عبدالله بن علي بمن معه، والتقوا بين النهرين محلم وسليسل.

وقد قدمت عامر ربيعة الإبل، وأقبلت الفرسان والرجالة تسوقها من ورائها، ويحملونها على أصحاب عبدالله بن علي لتدوسهم، فلما أقبلت وصار أولها في نهر محلم أمر عبدالله بن علي بضرب الدبابد والطبول والبوقات، وأمر أهل الخيل أن يزحفوا عليها، وأمر العجم أن يرشقوها بالنشاب، وأن يضربوا وجوه الإبل ففعلوا ذلك، فرجعت الإبل على عامر ربيعة فداستهم، فحمل عليهم عبدالله بن علي وأصحابه بالخيل والرجال من كل ناحية، فلم يفلت منهم صغير ولا كبير^(٤).

خرج عبدالله العيوني على بني عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (وكانوا في ذلك الوقت خفر البحرين الذين لهم عليها المآكل) فأباد عامر بن ربيعة غاية البوار، واستأصلهم جميعاً، ولم ينج من رجالهم إلا رئيسهم أحمد بن مسعر وغير أبي فراس بن الشباس ولم يكن أبو فراس منهم بل كان نازلاً فيهم هرباً على فرسين لهما جوادين حتى بلغا البصرة على غاية الضرر) وأخذ جميع أموالهم وسبى حريمهم وذراريهم وبعد ذلك مَنَّ على الحرم والذراري وسيرهم إلى أرض عمان^(٥) وفي قول آخر ((ومنَّ

(١) ديوان ابن المقرب ج ٢ ص ١٠٣٤.

(٢) يرى صاحب كتاب تحفة المستفيد: أنه يوجد جنوبي قرية الجفر نخيل تعرف بالقفر بالقرب منها وتقع جنوب غرب قرية غامرة تسمى السهلة والمنسوب إليها يسمى السهلوي فلعل الواقعة كانت هناك. راجع: مجلة الواحة السعودية، بيروت عدد ٣٤ ٢٠٠٤ بقلم: سامي أحمد بوخمسين ص ١٠.

(٣) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج ٢ ص ٩٢٤.

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٩٢٣.

(٥) نفس المصدر ج ٢ ص ٩١٠-٩١٢. هكذا وردت في المصدر، ولكن الذي يفهم من سياق الأحداث ومن المصدر نفسه أن القرامطة هم من نفوا إلى عمان ونرجح أن تكون القبائل اليمنية العمانية الأزدية عتيك والحدان والحارث.

على الحرم والذراي وخلقى سيلهم ولم يمكن العجم منهم)) وحصل له من غنائمهم أربعة آلاف ناقة فيها فحولها ورعاتها وأخذ من الخيل إرادته وترك بقية المغنم للعجم والعسكر وذلك في سنة ٤٧٠هـ. وقتل في هذه المعركة أبو سعيد عبدالله الحداني القرمطي أحد رؤساء القرامطة^(١).

نفي بقية القرامطة واليمن إلى عمان

((وبعد الفراغ من بني عامر استدار للبقية الباقية من القرامطة فقاتلهم في موقع شمال الإحساء بين (باب الأسفار) و(قصر الخندق) فأنزل بهم هزيمة منكرة، وقام على الفور بنفي من ظل منهم على قيد الحياة مع ذرايهم إلى عمان حيث تكرر منهم الغدر ونقض العهد)). وقال ابن المقرب:

لَكِنَّهُمْ أَثَبُّوا أَسَاسَهَا وَتَفَّوْا عَنْهَا حَمِي بَنَ عُثْمَانَ وَحَدَانَا

حمي بن عثمان وحدان من قبائل الأزد بن قحطان كانوا قد طمعوا في الملك مع القرامطة عند انقضاء دولتهم.

وَكَمْ لَهُمْ مِثْلَهَا لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةً إِلَّا الزَّعَانِفُ وَالْأَطْفَالُ وَالْحَرَمَا
فَسَلَّمَ الْأَمْرَ أَهْلَ الْأَمْرِ وَانْتَزَحُوا عَنْ سَوْرَةِ الْمُلِكِ لَا زُهْدًا وَلَا كَرَمًا
وَأَضْبَحَتْ آلُ عَبْدِ الْقَيْسِ قَدْ ثَلَجَتْ صُدُورُهُمْ فَتَرَى الْمَوْتُورَ مُبْتَسِمًا

كان عبدالله بن علي أعرابياً بدوياً يعيش بين أعراب وبداءة بدليل ما قاله الشاعر علي بن المقرب فيه وذكره لما حظي به من مكانة لدى الخليفة العباسي في بغداد، إذ قال:

وَمَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِوُدِّهِ إِلَيْهِ، وَسَمَاءُ: زَعِيمَ الْأَعَارِبِ

وجاءت في ديوان ابن المقرب هذه القصيدة:
سَلِ الْقَرَامِطُ مِنْ شَطْئِي جَمَاجِمَهُمْ فَلَقَا وَغَادَرَهُمْ مِنْ بَعْدِ الْعُلَا خَدَمَا
مِنْ بَعْدِ أَنْ جَلَّ بِالْبَحْرَيْنِ شَأْنُهُمْ وَأَرْجَفُوا الشَّامَ بِالْفَارَاتِ وَالْمَحَرَمَا
وَحَرَّقُوا عَبْدَ قَيْسٍ فِي مَنَازِلِهَا وَصَيَّرُوا الْغُرَّ مِنْ سَادَاتِهَا حُمَمَا
وَأَبْطَلُوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَانْتَهَكُوا شَهْرَ الصَّيَامِ وَنَصَبُوا مِنْهُمْ صَنَمًا
وَمَا بَنُوا مَسْجِدًا لِيَلَّهُ نَعْرِفُهُ بَلْ كُلُّ مَا أَذْرَكُوهُ قَائِمًا هُدَمًا
حَتَّى حَمَيْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَانْتَدَبَتْ مِنَّا فَوَارِسُ تَجَلُّو الْكَرْبَ وَالظُّلَمَا
وَطَالَ بَثْنًا بَنُوا الْأَعْمَامِ عَادَتَنَا فَلَمْ تَجِدْ بَكَمًا فِينَا وَلَا صَمَمًا
وَقُلُّوا الْأَمْرَ مِنَّا مَا جِدَّا جَلِيدًا يَشْفِي وَيَكْفِي إِذَا مَا حَادِثٌ دَهَمًا
فَسَارَ تَتَبَعُهُ غُرٌّ غَطَارِفَةٌ لَوْ زَاخَمَتْ سَدَّ ذِي الْقَرْنَيْنِ لَأَثَلَمَا

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩-٩٦٣هـ /

١٠٧٦-١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط١/٢٠٠٦م ص١٠٩.

فَأَقْبَلَتْ وَرَجَالَ الْأَزْدِ تَقْدُمُهَا
فَاسْتَنْجَدَتْ عَامِراً مِنْ بَاسِيهَا فَأَثَتْ
ذِكْرُ خَيْلِهِمْ أَلْفَ مُصَنَّمَةٍ
وَجَمْعُنَا فِي مِثْنِ أَرْبَعِ حُصِرَتْ
بَزَوْا ثَمَانِينَ دِرْعاً عَنْ سَرَائِهِمْ
وَكَمْ لَهُمْ مِثْلُهَا لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةٌ
فَسَلَّمَ الْأَمْرَ أَهْلُ الْأَمْرِ وَانْتَزَحُوا
ثُمَّ انْتَحَيْنَا لِعَوْفٍ بَعْدَ مَا وَرِمَتْ
دُسْنَاهُمْ دَوْسَةً مُرِيَّةً جَمَعَتْ
لَمْ يَنْجُ إِلَّا رَئِيسُ الْقَوْمِ تَحْمِيلُهُ

كَالْأُسْدِ قَدْ جَعَلَتْ سُفْرَ الْقَنَا أَجَمًا
مُغِذَّةٌ لَا تَرَى فِي سَيْرِهَا يُثَمًا
وَرَجُلُهُمْ يَفْعُمُ الْوَادِي إِذَا رَحِمَا
عَدَا وَلِكِنَّهَا أَعْلَى الْوَرَى قَدَمًا
فِي حَمَلَةٍ تَرَكَتْ هَامَاتِهِمْ رِمَمًا
إِلَّا الرُّعَانِيفَ وَالْأَطْفَالَ وَالْحَرَمَا
عَنْ سَوْرَةِ الْمُلْكِ لَا زُهْدًا وَلَا كَرَمًا
أَنُوفُهَا فَفَشَشْنَا ذَلِكَ الْوَرَمَا
أَشْلَاءَهُمْ وَضِبَاعَ الْجَوِّ وَالرَّخَمَا
خَيْفَانَةً كَطَلِيمِ رِيحٍ تَحْتَ سَمَا

يفسر شارح القصيدة في الديوان بعض ما جاء فيها فيقول:

عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكانوا في ذلك الوقت خفر البحرين الذين لهم عليها المآكل^(١).

و(بزوا ثمانين درعاً): يشير بذلك إلى وقعة كانوا أوقعوها بالقرامطة ومن معهم، قتلوا منهم فيها مقتلة عظيمة ودفعوهم عن القتلى، فكان عدة المقتولين الشاكين في الدروع ثمانين قتيلاً، وكانت تلك الوقعة بين الشمال وبين باب يعرف - إلى وقتنا هذا - بباب الأصفر، وكانت القتلى من النهر المعروف بالخنق إلى الباب^(٢).

(ثم انتحينا لعوف): عوف قبيلة عامر ربيعة، وهو عوف بن عامر بن ربيعة، وكان أهل خفارة البحرين، (ورم فلان بأنفه توريماً) إذا شتم وتجرى، وورم أنف فلان: أي امتلأ غيظاً^(٣).

البقوش الشركسي يعلن التمرد والعصيان

لم تكد الحرب بين الأمير عبدالله وبني عامر تضع أوزارها حتى قام ((البقوش)) بإعلان التمرد والعصيان ومحاولة انتزاع الملك من يد الأمير عبدالله. إلا أن الأمير عبدالله تمكن من إحباط محاولة البقوش بالقبض عليه وإيداعه السجن ثم قتله بيده.

محاصرة القوات العباسية لعبدالله العيوني

إلا أن هذا التصرف أزعج بلاط الخلافة العباسية فقدم ركن الدولة من بغداد على رأس قوة قوامها

(١) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج ٢ ص ٩١٠.

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٩١٥.

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٩١٦.

ألفا فارس فطوق الإحساء بالحصار الذي دام عاماً تمكن خلاله من تأليب جميع القوى المناوئة واستمالة كثير من رجال البادية إلى جانبه حتى لم يبق مع الأمير عبدالله سوى أهل بيته والمقربين إليه حيث طلب ركن الدولة من الأمير عبدالله تسليم قاتل البقوش في مقابل رفع الحصار، غير أنه أبى بشدة وأصر على بذل الدية فحسب.

وبعد أن ملّ جنود السلاجقة من طول الحصار خرج لهم عبدالله بن علي ومؤيدوه الذين تمكنوا من إيقاع الهزيمة بهم، وبإبعادهم عن الإحساء، يقول ابن المقرب ذاكراً هذه الواقعة:

وَالشَّرْكَسِيَّةُ إِذْ جَاءَتْ تُطَالِبُنَا دَمَ الْبَقُوشِ وَفِينَا تُقْسِمُ الْقَسَمَا

لكن البعض يرى أن الحصار الذي دام سنة كاملة والذي تخلله الكثير من السجالات والمواجهات لم ينته إلا بعد أن سلم لهم علي بن عبدالله نفسه خفية عن أبيه فأخذوه وسجنوه في مدينة كرمان حتى تمكن من التخلص منهم بعد ذلك، واستدلوا على ذلك بقول ابن المقرب:

مِنَّا الَّذِي جَادَ بِالنَّفْسِ الْخَطِيبَةِ فِي عِزِّ الْعَشِيرَةِ حَتَّى اسْتَرْحَلَ الْعَجَمَا

هلاك الأعاجم في الصحراء

أراد ملك من ملوك العجم وهو ركن الدين خمارتكين حاكم إقليم فارس التابع لدولة السلاجقة غزو الإحساء، فلما وصلت الجيوش مع الأمراء لم يجد الأمير عبدالله بن علي العيوني غير استقبالهم بإظهار الطاعة والتحمل في الأحوال والأفعال معهم، إلا أنه لم ينزلهم عنده في القصر، بل أقام لهم الأنزال أياماً وبعث إلى متقدمهم وأمرائهم وأشار عليهم بالمسير إلى عمان.

وفي سنة ٤٧٤هـ عندما زين عبدالله بن علي العيوني للأعاجم غزو عمان طلبوا منه من يرشدهم إليها فأرسل إلى قوم من خارجة المقيمة في رمال صحراء الربع الخالي وأوصاهم سرّاً ألا يدخروا وسعاً في العمل على هلاكهم جميعاً في الصحراء، فساروا معهم فحادوا بهم عن طريق عمان ولما توغلوا في الصحراء وأظلم الليل وناموا انسلوا عنهم وتركوهم يواجهون مصيرهم. ولم ينج منهم سوى رجل واحد عاد إلى الإحساء وهو لا يعرف إلى أين يتجه. بعث إلى قوم من بني الخارجية ممن يسكن الرمل الذي بين عمان والبحرين فجاؤوه^(١).

ويبدو أن عبدالله العيوني أراد بهذه الحركة أن يتخلص من عدوين له في آن واحد عن طريق ضرب القرامطة الذين نفاهم إلى عمان، بالأعاجم السلجوقيين الذين زين لهم عمان، فإما أن يتلاقيا فيها ويفني بعضهم بعضاً، أو أن يتوه الأعاجم في الصحراء ويهلكوا على حسب ما خطط له مسبقاً، وبذلك يكون قد تخلص منهم دون مجهود يبذل.

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٩٣٠.

استمرار وجود نسل أبي سعيد الجنابي في البحرين

٤٧٩هـ في هذه السنة التي كتب فيها ابن حوقل كتابه صورة الأرض^(١)، ذكر في أثناء حديثه عن البحرين قال: وأما البحرين ومدنها وهي هجر والإحساء والقطيف والعقير وبيشة والخرج وأوال وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم، وإلى وقتنا هذا هي لمخلفيهما ونسلهما. ويكون نسل أبي سعيد لظهره بين امرأة ورجل نحو الأربعمئة مائة نسمة^(٢).

مسير بني عامر من الإحساء للمجوم على البصرة

٤٨٣هـ جمادى الأولى (يوليو ١٠٩٠م تقريباً) سار بنو عامر من الإحساء ومعهم ما يزيد على ١٠ آلاف وقصدوا البصرة ودخلوها ونهبوا ما فيها. وقال النبهاني في تحفته عن سبب هذا المسير: هو أنه ورد من بغداد في بعض السنين رجل أشقر من سودان مصري يدعي الأدب والنجوم ويسخر الناس فلقبه أهل بغداد (أثليا) وكان نازلاً في الثوى فسرق ثياباً من الديباج وسار، فرآه الدرك فأتوا به إلى رئيس الشرطة. فأطلقه لحرمة العلم فسار حاقداً على البصريين. وتوجه نحو الإحساء حتى نزل على رئيس بني عامر وأغراه بنهب البصرة وحسن له ذلك فجمع رئيس بني عامر من العشائر ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد بن عصمة وليس معه من الجند إلا اليسير، فخرج إليهم في أصحابه وكافحهم وصد هجماتهم، ثم أتاه من أخبره بأن أهل البلدة يريدون أن يسلموها إلى العرب فخاف وانسحب نحو الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل.

قال هذا الرجل الأشقر لأمير من أمراء بني عامر بلاده متاخمة للإحساء: (أنت تملك الأرض، وقد فعل أجدادك بالحاج كذا وكذا وأفعالهم مشهورة مذكورة في التاريخ). وأشار عليه بنهب البصرة وأخذها^(٣).

تعيين محمد بن الفضل أميراً على القطيف والبحرين من قبل جده

٤٨٤هـ وفي حدود هذا العام: ((فجع الأمير عبدالله بن علي العيوني بقتل ابنه الفضل على يد خدمه في جزيرة تاروت فحزن عليه حزناً بالغاً وعين ابنه الشاب أبا ستان محمد بن الفضل والياً على القطيف والبحرين من قبله))^(٤)، وفي الفضل بن عبدالله يقول ابن المقرب:

هُمَامٌ حَمَى الْبَحْرَيْنِ سَبْعَ وَمِثْلَهَا
سَنِينَ وَسَارَتْ فِي الْقِيَافِ مَوَاقِبُهُ

- (١) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٢٢٧.
- (٢) صورة الأرض لابن حوقل دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٩٢ ص ٣٣.
- (٣) موسوعة البصرة الحضارية - وزارة التعليم العالي - جامعة البصرة.
- (٤) مجلة الوثيقة ع. الأول ص. الأولى ٨٢: دولة العيونيين، لعبدالله الخليفة ودغابا حسين ص ٢١.

ولم يَزَعْ من (ثاج إلى الرمل) مصرم على عهده الا استبيحت حلايبه
 زمان يقول العامري لمن غدا يحدثه عنه وذو الحُمق غالبه
 متى يستمر من (نار برد) محله وآخر سودي بعيد مذهبه
 فلم يستمر القول حتى إذا به يسايره والدهر جَم عجائبه

أي أن الفضل بن علي العيوني جعل هذه الحدود حمى لإبله لمدة أربعة عشر عاماً، فإذا قلنا إن بداية حكم العيونيين للإحساء وبداية الاستقرار السياسي للمنطقة كان في سنة ٤٧٠ تقريباً فإن فاجعة قتله تكون في ما بين سنة (٤٨٣هـ إلى ٤٨٥هـ).

وتدل الآيات السابقة على أن أحد أفراد بني عامر قد انتهك حرمة هذه الحمى، ثم إن ذلك الرجل قال لمن جاءه يخوفه من عقاب الأمير الفضل له بسبب ما فعل: إن الفضل بعيد في محله ومنزله في نار برد - قرية في جزيرة البحرين - وإننا في آخر السودة في ثاج على ماء الجابرية. وما علم أن محدثه هو الفضل بن علي. فعفا عنه وتركه بعد أن أرعدت فرائص العامري من الخوف.

هجوم قوة عباسية من التركمان على مكة المشرفة

٤٨٤هـ ((ظل العباسيون والفاطيون يتناوبون على استرضاء أبي هاشم أمير مكة بالهدايا والأموال عدة سنوات إلى أن كان عام ٤٨٤هـ حيث رأى العباسيون أن الفاطميين استطاعوا أن يستميلوه إليهم فقرروا أن يعاملوه بالعنف فأرسلوا قوة من التركمان لقتال مكة فقاتلها أبو هاشم قتالاً عنيفاً، ثم يش من النصر ففر إلى بغداد، ولعله أراد بذلك أن يسترضي العباسيين))^(١).

مهاجمة بني صخر للحجاج

وفيها (٤٨٤هـ): ((أخبروا الحجاج بنهضة الأمير وشهامته، وأنه لما وصل إلى العلا في الراح كان النجابتون الذين له قد أخذوا الجمال حتى يرعوها نهض عليهم بنو صخر^(٢) وعربان معهم وأخذوا الجمال وكان عنده شيخ بني صخر، قد خلع عليه وأعطاه المدا الذي جرت به عادتهم فقال: أنا رايح أجيبهم. فلما راح قال الأمراء: الساعة يروح يرحلهم ويقول (ما لحقتهم). فركب الأمير وجماعة من العسكر فوجدوه

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص ٢٠٤.

(٢) عن [بني صخر] قال ياقوت وهو يتحدث عن (المردة): بضم العين من مياه بني صخر من طين وهو بين العلا وتيماء وجفر عنزة في أرض ذات رمل وجبال مقطعة. وقال الهمداني: من الحجر إلى تيماء موضع السموال في دهناء ثلاث مراحل بطن ويسكن ما بين ذلك من طين بنو صخر وإخوتها بنو عمرو وبطن من بحر وقرار تيماء اليوم لطين ثم لبني زريق وبني مرداس وبني جوين والغثاء وهم موال. (صفة جزيرة العرب للهمداني تحقيق الأكرع ص ٢٤٥).

وقال ابن شدقم: بنو صخر عقب صخر بن سالم بن عبدالله بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن محمد الرومي بن داود ((يقال لولده بنو داود، أمه محبوبة بنت مزاحم الكلابي)) ابن موسى الأبرش بن عبدالله الرضا بن موسى الجون. راجع: تحفة الأزهار لضمّن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٤٠٤.

قد رحلهم وهم على ظهر يرون الهرب فأخذ منهم أربعين حملاً عوض عشرين حملاً أخذوها وأحضر معه شيخهم فأمر بتسميره فسمروه وطافوا به في الركب وكانت الموقعة الأحد^(١).

اضمحلال دول العرب في الموصل والشام

٤٨٦هـ ((من جملة مكارم ابن مزيد أمير الحلة أن تاج الدولة تنش لما أوقع ببني عقيل بالجزيرة في بعض سني بضع وثمانين، وقتل إبراهيم بن قریش ومقبل بن بدران وجماعة من أمراء آل المسيب. وأجلى عقيلاً وكلاباً ونميراً وغيرها من قبائل عامر بن صعصعة عن ديارهم بالجزيرة والشاميين. وغيرهم لم يبق أحد منهم إلا انتجع ندى سيف الدولة، فتنزلوا بأهلهم وأصائلهم وفيهم العدة الكثيرة من أمراء آل المسيب. وغيرهم من أمراء عبادة وأمراء كلاب، كالشبل بن جامع وابنه المبارك بن الشبل وجماعتهما، ومحمد بن زائدة وغيره من آل زائدة وأمراء بني نمير فأنعم عليهم بالصلوات والخلع والجوائز على أقدارهم ومراتبهم. وتلك الأحياء كلها صغيرهم وكبيرهم حتى لم يعلم أن أحداً منهم ابتاع حمل راحلة من غلة العراق^(٢)). وتذكر المصادر التاريخية أنه في سنة ٤٨٩هـ انتهت الدولة العقيلية بالموصل. وذلك ذكر في سنة ٤٩٣هـ أن مبارك بن شبل أمير بني كلاب وصل ((في جمع كثير من العرب فحالف الملك رضوان ورعوا زرع المعرة وكفرطاب وحماة وشيزر والجسر وغير ذلك. وخلت البلاد ووقع الغلاء في بلد حلب ولم يزرع شيء في بلدها وسلط الله الرباء على العرب فمات شبل ومبارك ولده واضمحلت دولة العرب^(٣))).

وفاة أمير مكة أبي هاشم وولاية ابنه قاسم

٤٨٧هـ ((توفي أمير مكة المشرفة أبو هاشم محمد بن جعفر، وتولى بعده ابنه قاسم بن محمد الذي استمر بالحكم مدة ٣٥ سنة تقريباً فتوفي عام ٥١٨هـ^(٤)). قال الإدريسي: يسكن صاحب مكة في قصر له بالجهة الغربية بموضع يعرف بالمربعة على ثلاثة أميال من مكة، وهو قصر مبني من الحجارة وتجاوره حديقة قريبة العهد فيها نخيلات وكثير من البقل وبها جملة شجر منقولة إليها، وليس للهاشمي صاحب مكة عسكر خيل، إنما عسكره رجال لا خيل عندهم، وتسمى رجالته بالحراة ولباسه البياض والعمائم البيض ويركب الخيل، وسياسته حسنة وحكمه عدل وإنصافه ظاهر وإحسانه عرف على قدر إمكانه.... والغالب على ضعفاء أهلها الجوع وسوء الحال، فإذا خرج أحد عن مكة في كل جهة تلقاه أودية هناك جارية وعيون مطردة وآبار غدقة وحوائط كثيرة ومزارع متصلة^(٥))).

(١) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه - المعروف بتاريخ الجزري ت ٧٣٨هـ ج ١.

(٢) المناقب المزيديّة في أخبار الملوك الأسديّة. تأليف الشيخ الرئيس أبي البقاء هبة الله الحلّي. صفحة ٥٠٣.

(٣) تاريخ حلب لابن العديم.

(٤) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ ص ٢٠٤-٢٠٦.

(٥) جزيرة العرب من نزعة المشتاق للشريف الإدريسي (٤٩٣-٥٦٠هـ) تحقيق د. إبراهيم شوكة ص ٢٢.

خلافة المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بن القائم بن القادر

٤٨٧هـ في منتصف محرم من هذه السنة توفي المقتدي عن عمر يناهز ٣٨ عاماً، وكان بركيارق قد قدم بغداد بعد هزيمة عمه تش فخطب له وحملت إليه الخلع فلبسها، وعرض التقليد على المقتدي فقرأه وتدبره وعمل فيه، وتوفي فجأة وبويع لابنه المستظهر بالخلافة فأرسل الخلع والتقليد إلى بركيارق، وأخذت عليه البيعة للمستظهر^(١).

مهاجمة ربيعة والمنتفق وغيرهم للبصرة

٤٩٩هـ - ١١٠٥م اجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم إليهم من العرب وقصدوا البصرة فقاتلهم التونتاش أحد ممالك الأمير صدقة بن مزيد الأسدي صاحب الحلة فأسروه وانهزم أصحابه وأقاموا ينهاون ويحرقون (٣٢ يوماً) وبلغ الأمير صدقة الخبر فأرسل عسكرياً فوصلوا وقد فارقتها العرب.

وفاة مؤسس الدولة العيونية الأمير عبدالله بن علي

تتضارب التواريخ في تحديد السنة التي توفي فيها الأمير عبدالله العيوني، ولكن على الأرجح أنه توفي في حدود سنة ٥٠٠هـ بعد أن حكم ما يقرب من ستين عاماً، وكان له من البنين ثمانية ومن البنات ست، وخلفه ابنه الفضل الذي تعقب المفسدين وقطع الطرق حتى استتب الأمن في عهده. وشرع الحمى لإبله.. من ثاج شمالاً إلى يبرين جنوباً.

ويعتقد أن الفضل تولى الأمر بعد والده لمدة تقارب عقدين من الزمان على أقل تقدير. وتولّى الحكم بعد وفاة الفضل بن عبدالله ابنه أبو سنان محمد^(٢). ولكن بعض المصادر تذكر أن الفضل بن عبدالله قد توفي في حياة والده، وبعض المصادر تذكر أنه هو الذي خلف والده في الحكم؟ فبذلك نفس هذا التضارب بأن يكون الفضل قد تنازل له والده عن الحكم وهو ما زال حياً وتوفى قبل أن يتوفى والده عبدالله.

تجدد أطماع بني عامر وقبائث في البحرين

وكان عبدالله بن علي العيوني بعد أن تقدمت به السن ومات عدد من أنصاره تجددت أطماع بني عامر وقبائث في بسط نفوذهم على البحرين والقيام بخفارتها فصاروا يشتون الغارات على أطراف البحرين في مواسم نضج الثمار في القيظ واستمروا على ذلك ست سنوات وفي السنة السابعة تصدّى لهم أبو فضل

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الخامس القسم الأول.

(٢) مجلة الواحة السعودية الصادرة في بيروت العدد ٣٤ سنة ٢٠٠٤م بقلم: سامي أحمد بوخمسين ص ١١.

محمد بن حوارى بن فضل أحد كبار آل إبراهيم في ((قفور السهلة)) ودارت بين الفريقين معركة طاحنة انتهت بهزيمة أهل الأحساء بعد سقوط قائدهم ابن حوارى صريعاً إثر طعنة غادرة بيد رجل من قباث. وفي اليوم الثاني شنَّ الغزاة هجوماً على الأحساء وطرّدوا الأهالي من نخيلهم ودخلوا معهم في صراع انتهى بصلح يدفع بموجبه أهل الأحساء لبني عامر سهماً من ثلاثة أسهم من الثمار^(١).



(١) تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية لعبد الرحمن بن عثمان الملا.

أحداث القرن السادس الهجري



مركز بحوث ودراسات
التاريخ والعلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

اول ظهور تاريخي للأمير فضل بن ربيعة المشهور

٥٥٠٠ هـ قام الأمير فضل بن ربيعة بمصانعة الإفرنج، فطرده أتابك دمشق فرحل بعربه إلى جوار الموصل واتصل بصاحبها قرواش بن شرف الدولة مسلم بن قريش حوالي سنة ٥٥٠٠ هـ وزار بغداد فنزل في دار الأمير صدقة بن مزيد^(١)، الذي قتل في سنة ٥٥٠١ هـ على يد السلطان محمد السلجوقي خشيةً من اتساع سلطته وخطره فبدأ نفوذ المزيديين بالاضمحلال التدريجي^(٢).

وقد توفي الأمير فضل في سنة ٥٥٣٠ هـ^(٣)، وقال عنه ابن خلدون في تاريخه: ((أبو عمران فضل بن ربيعة بن خادم بن الجراح الطائي، وكان أباه أصحاب البلقاء وبيت المقدس، ومنهم حسان بن مفرج، وطرده كفرنكين أتابك دمشق لما كان عليه من الأجلاب تارةً مع الإفرنج وتارةً مع أهل مصر، فلجأ إلى صدقة وقبله وأكرمه وأجزل له العطاء سبعة آلاف دينار، لما كانت هذه الحادثة رغب عن صدقة وسار في طلائعه فهرب إلى السلطان فخلع عليه وعلى أصحابه، وسوغه دار صدقة عن الهروب، وأذن له فعبر من الأنبار، وكان آخر العهد به)).

خلافة المسترشد بالله الفضل بن المستظهر بن المقتدي

٥٥١٢ هـ توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبدالله بن القائم بالله في منتصف ربيع الآخر لـ ٢٤ سنة و ٣ أشهر من خلافته، وبويع بعده ابنه المسترشد بالله الفضل، وكان ولي عهده منذ ٢٣ سنة، وبإيعه أخوه أبو عبدالله محمد وهو المقتدي، وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان^(٤). وكان المسترشد شجاعاً ديناً، مشغلاً بالعبادة،

(١) الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٣٥٣ نقلاً عن ابن خلدون ج ٥ ص ٤٣٦.

(٢) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ١٨٤.

(٣) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط ٢-٢٠٠٣ ص ١١٢.

(٤) ابن خلدون المجلد الثالث القسم الخامس.

لم يل الخلافة بعد المعتضد أشهم منه، أمه أم ولد اسمها لبابة، كان شديد الهيبة، ذا رأي ويقظة وهمّة عالية، ضبط الأمور، وأحيا مجد بني العباس وجاهد غير مرة^(١).

هجوم المنتفق ودييس بن صدقة على البصرة ونهبها

٥١٧هـ في هذه السنة وقعت حرب بين الخليفة المسترشد بالله ودييس بن صدقة فانهزم الأخير لقوة جيش الخليفة ونجا بنفسه وذهب ديبس وخفي أثره وقصد ((غزية من عرب نجد)) فطلب منهم أن يحالفوه فامتنعوا إيثاراً لرضا المسترشد والسلطان فسار إلى المشقر من البحرين إلى (المنتفق) واتفق معهم على قصد البصرة فدخلوها ونهبوا أهلها وأجلوهم وقتلوا أميرها وتطورت الأمور وتقدم المسترشد للبرسقي بالانحدار إليه بعد أن عنفه على غفلته عنه، وسمع ديبس ففارق ديبس البصرة إلى البر ثم إلى قلعة جعبر. قال ابن العديم: فأكرمه نجم الدولة مالك - ابن سالم بن مالك بن بدران - وأضافه. والتحق بالإفرنج ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد.

وفاة شريف مكة المكرمة

وفيها (٥١٧هـ): توفي أمير مكة أبو محمد قاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسني في اليوم السابع عشر من صفر وولي بعده ابنه فليته وقيل أبو فليته فأحسن السيرة^(٢). ودامت ولاية فليته بن القاسم في طمأنينة واستقرار إلى أن توفي سنة ٥٢٧هـ^(٣).

٥٢٣هـ ((عاود ديبس العصيان على السلطان والخليفة وترددت بينهم الرسل فلم يحصل الصلح فسار السلطان محمود إلى بغداد وجهز جيشاً كثيفاً في أمر ديبس فعبر ديبس البرية بعد أن نهب البصرة وأموال الخليفة والسلطان))^(٤).

القرامطة يقطعون الطريق بين اليمن والبصرة والكوفة

٥٢٤هـ فيها انقطعت الطريق من اليمن إلى البصرة والكوفة عن مرور التجارة والقوافل الكبار. وكانوا يسافرون في كل عام مرتين على طريق اليمامة الحسا. وسبب انقطاعها ضعف الدولة العباسية في العراق وظهور القرامطة الفساق ولم يسلكها بعد ذلك إلا أهل الجهات النجدية برفقة من ساكني تلك الأطراف وكانوا يخرجون من نجران إلى بلاد الدواسر ثم البديع ثم الحسا في اثني عشر يوماً. وأما طريق الرمل من الجوف إلى البصرة فانقطعت بالمرّة، وقد يسلكها نادراً جماعة من البدو على الإبل المضمرة يجعلون على أيديها وأرجلها الأدم لكثرة الحشرات والعقارب الناهشات. وهي طريق قريبة يقطعونها في سبعة أيام إلى البصرة.

(١) سمط النجوم العوالي م ٣ ص ٥٠٣.

(٢) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهم شلتوت جامعة أم القرى ط ١/١٩٨٣ ج ٢ ص ٤٩٩.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ م ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٤) تاريخ أبي الفدا.

٥٢٧هـ توفي أمير مكة فليته بن القاسم وتولى بعده ابنه هاشم بن فليته واستمر في الحكم نحو ١٨ سنة وتوفي في ٥٤٥هـ^(١).

٥٢٨هـ في هذه السنة توفي الأمير سليمان بن مهارش أمير بني عقيل وتم تولية الإمارة لأولاده مع صغر سنهم وأقيم حفل تنصيب وتكريم لهم في بغداد رعاية لحق جدهم الذي أخذ الخليفة القائم إلى بلده وحماه من البساسيري. ويدل الخبر على أن أبناء مهارش صاروا الأبرز في الإمارة العقيلية. وبلد مهارش هي حديثة عانة^(٢).

مقتل الخليفة المسترشد

٥٢٩هـ وفيها كانت الحرب بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وسببه أن جماعة من عسكر مسعود فارقه مغاضبين واتصلوا بالخليفة المسترشد وهونوا عليه قتال السلطان مسعود فاغتر بكلامهم، وصار من بغداد إلى قتال السلطان مسعود وسار مسعود إليه واتفقوا عاشر رمضان من هذه السنة فصار غالب عسكر الخليفة مع مسعود وانهزم الباقون، وأخذ الخليفة المسترشد أسيراً ونهب عسكره وأسروا وبقي المسترشد مع مسعود أسيراً ثم سار به مسعود من همدان إلى مراغة في شوال لقتال ابن أخيه داود بن محمود فنزل فرسخين من مراغة والمسترشد معه في خيمة منفردة، وكان قد أئفق مسعود مع الخليفة على مال يحمله الخليفة إليه وأن لا يعود يخرج من بغداد واتفق وصول رسول السلطان سنجر إلى مسعود فركب مسعود والعساكر لملتهاء فوثبت الباطنية على المسترشد وهو في تلك الخيمة فقتلوه ومثلوا به وقد قتل يوم الأحد ١٧ ذي القعدة وكان عمره ٤٣ وخلافته ١٧ سنة ونصف وأمه أم ولد.

مقتل دبيس الاتسدي أمير العرب على يد السلطان مسعود

ولما قتل المسترشد اتهم السلطان مسعود أن دبيس بن صدقة دسّ أولئك النفر عليه فأمر بقتله، وقصده غلام أرمني فوقف على رأسه عند باب خيمته، وهو ينكت الأرض بإصبعه فضرب رقبته فأطار رأسه وهو لا يشعر. وبلغ الخبر إلى ابنه صدقة وهو بالحلة فاجتمع إليه عساكر أبيه ومماليكه، واستأمن إليه الأمير قطلغ تكين، وأمر السلطان مسعود الشحنة بك أبيه بمعاجلته، وأخذ الحلة من يده، إلى أن قدم السلطان بغداد سنة ٥٣١هـ فقصده صدقة وأصلح حاله معه ولزم بابه^(٣).

خلافة المقتفي محمد بن المستظهر بن المقتدي

٥٣٠هـ ((ببيع له يوم خلع ابن أخيه الراشد الذي لم يتجاوز سنة في خلافته. قال العلامة ابن الجوزي: من أيام المقتفي هذا عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبق لهم منازع، وقبل ذلك من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك، وليس للخليفة معهم إلا الاسم فقط))^(٤).

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ م ص ٢٠٨.

(٢) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي ل محمد عزة دروزة ١ ج ١ ص ١٠٧.

(٣) راجع تاريخ ابن خلدون وتاريخ أبي الفدا.

(٤) سمط النجوم العوالي م ٣ ص ٥٠٥.

ولاية الشيخ معروف على البصرة

٥٣٢هـ أحييت ولاية البصرة إلى الشيخ معروف رئيس المتفق، وذلك بعد صدور أمر من الخليفة ببغداد^(١).

تقليد حديثة بن عقبة إمرة العرب بشكل رسمي

في زمن الملك العادل الأيوبي الأول زنكي، أصبحت الإمرة رسمية، فقد أعطي (إمرة العرب) للأمير حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة، فقد ذكر لنا ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار أنه ((لم يصرح لأحد من هذا البيت - آل فضل - بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلا أيام العادل... أمر منهم حديثة بن عقبة))^(٢).

تأسيس دولة الزنجيين بفارس بعد نهاية السلجوقية فيها

٥٤٣هـ ((تأسست دولة الزنجيين في فارس، بعد نهاية الدولة السلجوقية، وهم يعدون من الطبقة الثالثة من ملوك الفرس أولهم (منقور بن مودود) واشتهر منهم (أبو بكر بن سعيد) وابنه (سعد) الذي انتهت الدولة في عهده، إذ كان قد صعد نجم آل عصفور في هذه الفترة وتمكنوا من الاستيلاء على الإحساء والبحرين من الزنجيين))^(٣).

((يذكر أن أبا بكر بن سعد الزنجي حمل على العرب في جزيرة قيس واحتلها ثم عبر إلى البحرين فأخذها واستولى بعدها على الإحساء والقطيف وغيرها من البلدان واستمر حكم الزنجيين حتى بعد ظهور جنكيزخان))^(٤).

مقتل أبي سنان محمد في معركة بينه وبين غفيلة بن شبانة

٥٤٣هـ ((في حوالي هذه السنة بدأت الأمور تسوء بين الأمير أبي سنان وبين عمه أبي المنصور علي ابن عبدالله وأبي علي الحسن بن عبدالله سبب ذلك أن رئيس قبيلة بني عامر غفيلة بن شبانة أراد أن ينزل في وقت الصيف على القطيف))^(٥). وكان الأمير محمد بن الفضل فيها. فبعث إليه بألا يحل على القطيف وأرسل إليه (إن حللت بالقطيف قاتلتك). فتزل رغم معارضة أبي سنان فحمل عليه حملة هائلة فهزم غفيلة واستولى على حلقته وقطع أطناب بيته ورمى بها على الأرض فعطف غفيلة من بعد هزيمته على قوم أبي سنان وقت اشتغالهم بالنهب فانكسر أصحاب أبي سنان ولم يثبت غيره وقاوم واستطاع الوصول إلى بلده

(١) التحفة النبهانية.

(٢) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط ٢-٢٠٠٣ ص ٨٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) معالم تاريخ الجزيرة العربية للأستاذ سعيد عوض باوزير منشورات مؤسسة الصبان وشركاه عدن ص ١٥٤.

(٥) م. الوثيقة ع. الأول ص ٨٢: دولة العيونيين، لعبدالله الخليفة ودأبا حسين ص ٢٢.

ورجع غفيلة إلى الإحساء في كنف الأميرين علي والحسن عمي أبي سنان كما حظي بالترحيب من أميرها أبي مقدم شكر مما يوحى بوشوك تحرك عسكري منسق يعتزم القيام به بنو عامر ضد الأمير محمد فساد الأمير محمد على رأس جيش كثيف من أهل القطيف قاصداً الإحساء فدارت بين الطرفين معركة طاحنة انتهت بهزيمته وقلته. وقد رثاه الشاعر العراقي الثعلبي بقصيدة جميلة عندما خرج لزيارة قبره: ((فحين صار من القبر مد البصر نزل عن فرسه ومشى راجلاً حتى بلغ القبر فانكب عليه يبكي وقال:

عَزِيزاً أَنْ أَعَاتَبَ فِيكَ دَهْراً قَلِيلاً هُمَ بِمَعْنَفِيهِ
وَأَنْ آتِيَ السَّمْلُوكَ وَلَسْتُ فِيهِمْ وَأَنْ أَطَا الثُّرَابَ وَأَنْتَ فِيهِ

ولغفيلة بن شبانة ابن اسمه سنان مذكور في كتب التاريخ، وقد قال ابن المقرب في مدح أحد الأمراء العيونيين:

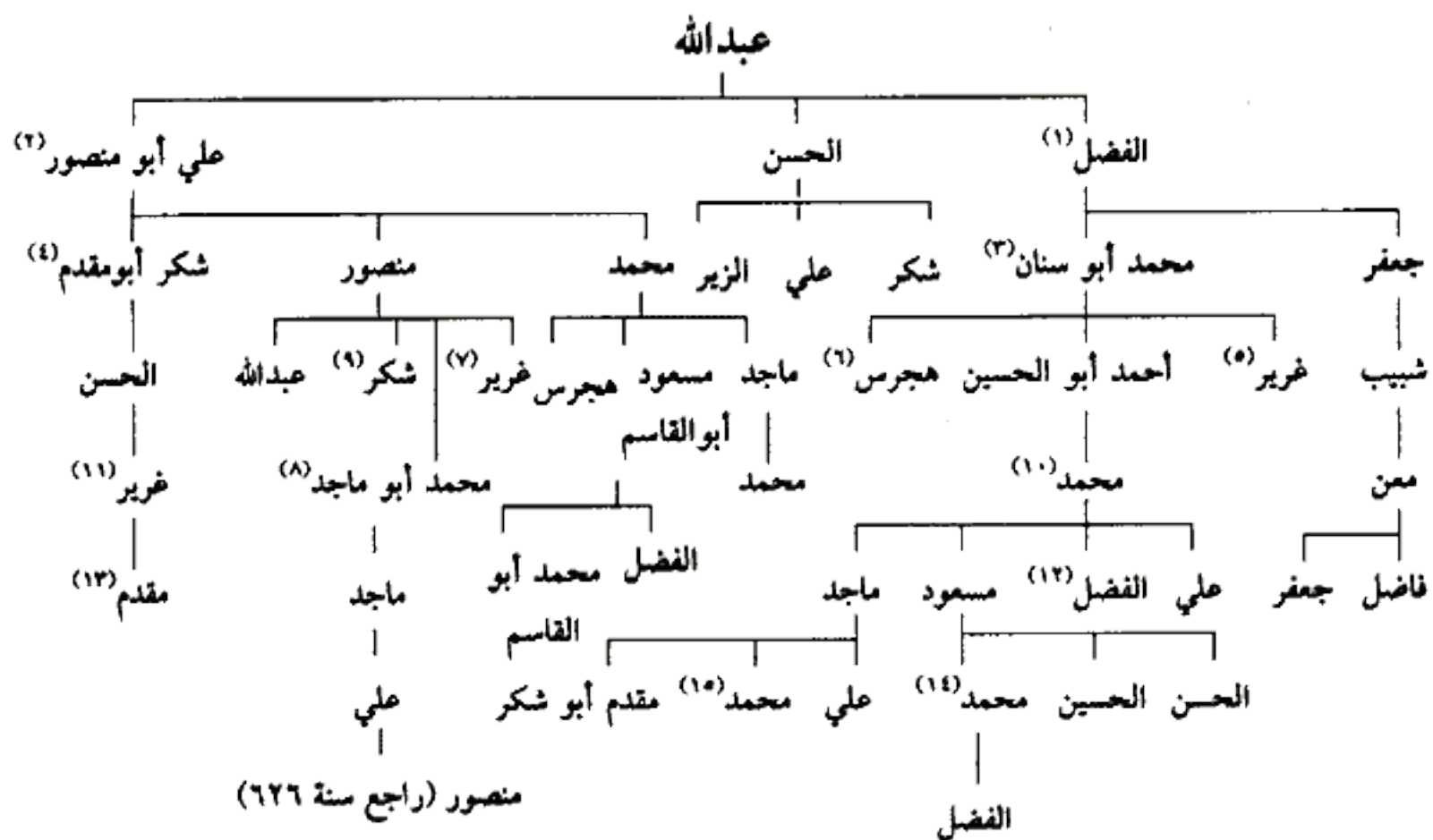
وَخَيْرُ قَيْسٍ بِنِ عَيْلَانَ خُؤُولَتِهِ فَمَنْ بَغَى الْفَخْرَ فَلْيَفْتَحْ بِمُثْلِهِمْ
قَوْمُ أَبَوْهُمْ سَنَانُ خَيْرٌ مَا حَمَلْتُ أَنْتَى وَمَا قَادَهَا تَخْتَالُ فِي الْجَمِّ

مقتل الأمير علي بن عبدالله العيوني على يد غرير

٥٤٥هـ الأمير ((أبو المنصور علي بن عبدالله كان والياً على الإحساء في زمن أخيه الفضل إلا أنه بعد مقتل أبي سنان - محمد - أصبح ملك الإحساء دون منازع فعقد أبناء أبي سنان لأخيهم غرير بن محمد الذي استقل بالقطيف وأوال وقام بقتل عم أبيه علي بمعركة كبيرة ومعه مالك بن بطل سنة ٥٤٥هـ إلا أنه لم يستمر بالحكم طويلاً حيث قتل على يد ابن عمه هجرس بن محمد^(١).

فيما يلي مشجر عائلي للأمراء الدولة العيونية أولاد الأمير عبدالله بن علي بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد آل أبي الحسين من بني مرة من عبد القيس من تغلب بن وائل.

(١) هجرس بن محمد بن عبدالله (حكم سنة) قتل على يد ابن عمه شكر سنة ٥٤٧هـ.



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية

- (١) قتل في عهد أبيه ٤٨٣ هـ.
- (٢) قتل سنة ٥٤٥ هـ.
- (٣) قتل سنة ٥٢٥ هـ.
- (٤) ٥٤٦-٥٥٦ هـ.
- (٥) استقل بالحكم سنة ٥٤٥ هـ.
- (٦) ٥٥٦ هـ.
- (٧) تسلم حكم القطيف بعد أبي فراس سنة ٥٤٩ هـ.
- (٨) حكم بعد مقتل عمه شكر أبو مقدم سنة ٥٥٦ هـ وتوفي سنة ٥٨٠ هـ.
- (٩) إلى ٥٨٧ هـ.
- (١٠) ٥٨٣- قتل ٦٠٣ علي يد راشد وغريز.
- (١١) في عام ٦٠٣ هـ شارك بمؤامرة أودت بحياة الأمير محمد بن أبي الحسين. وقد قتله الفضل سنة ٦٠٤ هـ.
- (١٢) في سنة ٦٠٦ هـ عقد تصالح مع ملك قيس.
- (١٣) كان مع ابن جروان سنة ٦١٨ هـ.
- (١٤) أبو القاسم عماد الدين في سنة ٦٢٣ هـ استوى على حكم الإحصاء ثم مد نفوذه إلى القطيف وأوال.
- (١٥) قتله محمد بن مسعود.

اعتراض زعب للحجاج بين مكة والمدينة

٥٤٥هـ لَمَّا وَصَلَ الْحَاجَّ الْعِرَاقِي إِلَى مَضِيقِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ مِنْ بَنِي زَعْبٍ^(١) بَعْدَ الْعَصْرِ ١٤ مُحْرَمٍ، فَاسْتَوْلُوا عَلَى الْحَاجِّ وَأَخَذُوا مِنَ الْجَمَالِ وَالثِيَابِ مَا لَا يَحْصَى^(٢). وَكَثُرَتِ الْعَرَبُ وَظَهَرَ عَجْزُ قِيَمَازٍ، فَطَلَبَ لِنَفْسِهِ أَمَانًا، وَأَخَذُوا مِنَ الدَّنَانِيرِ أَلُوفًا كَثِيرَةً. وَذَكَرَ هَذَا الْخَبَرُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ ٥٤٥هـ إِذْ قَالَ: وَفِيهَا أَخَذَتِ الْعَرَبَانِ رُكْبَ الْعِرَاقِ، وَرَاحَ لِلخَاتُونِ أُخْتِ السُّلْطَانِ مَسْعُودٍ مَا قِيمَتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ، وَتَمَزَّقَ النَّاسُ وَمَاتَ خَلْقٌ جَوْعًا وَعَطْشًا^(٣). وَتَذَكَّرَهُ أَيْضًا مَصَادِرُ أُخْرَى بِأَنَّ هَذَا الْحَدِثَ وَقَعَ فِي ١٤ مُحْرَمِ سَنَةِ ٥٤٥هـ وَتَقُولُ: ((خَرَجَ الْعَرَبُ زَعْبٌ وَمَنْ انْضَمَّ إِلَيْهَا عَلَى الْحَجَّاجِ بِالْغَرَابِيِّ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَأَخَذُوهُمْ وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ)).

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اقْتَصَرَ لِلْحَجَّاجِ مِنْ زَعْبٍ فَلَمْ يَزَالُوا فِي نَقْصٍ وَلَقَدْ رَأَيْتُ شَابًا مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ (٥٦٧) وَجَرَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَفَاوِضَةٌ قُلْتُ لَهُ فِيهَا: إِنِّي وَاللَّهِ كُنْتُ أَمِيلُ إِلَيْكَ حَتَّى سَمِعْتُ أَنَّكَ مِنْ زَعْبٍ فَتَفَرَّتُ وَخَفْتُ شَرَّكَ. فَقَالَ: لِمَ؟ فَقُلْتُ: بِسَبَبِ أَخْذِكُمْ لِلْحَجَّاجِ. فَقَالَ لِي: أَنَا لَمْ أَدْرِكْ ذَلِكَ الْوَقْتَ وَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَنَعَ بِنَا وَاللَّهِ مَا أَفْلَحْنَا وَلَا نَجَحْنَا قُلَّ الْعِدَدُ وَطَمَعَ الْعَدُوُّ فِينَا.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: رَأَيْتُ بِالْمَدِينَةِ إِنْسَانًا يَصْلِي الْجُمُعَةَ فَلَمَّا فَرَّغَ تَرَحَّمْ عَلَى جَمَالِ الدِّينِ - الْجَوَادِ الْأَصْفَهَانِيِّ وَزَيْرِ الْمُوصِلِ - وَدَعَا لَهُ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقَالَ: يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِالْمَدِينَةِ أَنْ يَدْعُو لَهُ لِأَنَّا كُنَّا فِي ضَرٍّ وَضِيقٍ وَنَكِدَ عَيْشُ مَعَ الْعَرَبِ، لَا يَتْرَكُونَ لِأَحَدِنَا مَا يُوَارِيهِ وَيُشْبِعُ جَوْعَهُ، فَبَنَى عَلَيْنَا سُورًا احْتَمَيْنَا بِهِ مِمَّنْ يَرِيدُنَا بِسُوءٍ فَاسْتَغْنَيْنَا^(٤).

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِيِّ عَنْ زَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَهْثَةَ بْنِ سَلِيمِ بْنِ مَنْصُورٍ: إِنَّ ابْنَ مَآكُولَا ضَبَطَهُمْ بِكُسْرِ الزَّايِ وَإِهْمَالِ الْعَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: وَسَأَلْتُ عَنْهُمْ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ، فَلَمْ أَجِدْ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا فِي جَوَارِ بَنِي عَلِيٍّ وَغَيْرِهِمْ^(٥).

٥٤٥هـ تَوَفَّى أَمِيرُ مَكَّةَ هَاشِمُ بْنُ فُلَيْتَةَ وَبُوفَاتِهِ تَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْقَاسِمُ^(٦).

(١) قَالَ ابْنُ خُلِكَانٍ: فِي الْأَنْسَابِ مَا مِثَالُهُ قُلْتُ الزَّعْبِي بِكُسْرِ الزَّايِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ نَسَبَةٌ إِلَى زَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خَفَافِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ بَهْثَةَ بْنِ سَلِيمِ بَطْنِ مَشْهُورٍ مِنْ سَلِيمٍ وَهَذِهِ زَعْبٌ هِيَ الَّتِي أَخَذَتِ الْحَاجَّ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ فَهَلَكَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ قَتْلًا وَجَوْعًا وَعَطْشًا ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَمَى زَعْبًا بِالْقَلَّةِ. رَاجِعْ: وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ لِابْنِ خُلِكَانٍ ج ٨.

(٢) دَرَرُ الْفَرَائِدِ الْمُنْتَظَمَةِ لِلْحَجِّ لِلْجَزِيرِيِّ.

(٣) الْعَبْرُ فِي خَبَرِ مَنْ غَبَرَ لِلْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ ت ٧٤٨هـ.

(٤) وَفَاءُ الْوَفَا لِلْمَسْهُودِيِّ ت ٩١١ ص ٧٦٨.

(٥) نَشْوَةُ الطَّرِبِ فِي تَارِيخِ جَاهِلِيَةِ الْعَرَبِ لِابْنِ سَعِيدٍ الْأَنْدَلُسِيِّ ٦١٠هـ - ٦٨٥هـ، تَحْقِيقُ د. نَصْرَتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَكْتَبَةُ الْأَقْصَى، الْأُرْدُن، ط ١/١٩٨٢ م ص ٥٢٣.

(٦) تَارِيخُ مَكَّةَ لِأَحْمَدَ السَّبَاعِيِّ ط ٨/١٩٩٩ م ص ٢٠٨.

٥٤٦هـ في أول رجب توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمدان ومولده سنة (٥٠٢) في ذي القعدة^(١).

ولاية شكر أبي مقدم على الإحساء وذكر حربه مع حماد النائلي

وفي هذه السنة (٥٤٦هـ) تولى أبو مقدم شكر بن أبي الحسن علي بن عبدالله بن علي العيوني حكم الإحساء عقب والده.

وعلى زمن شكر بن علي بن عبدالله ((اجتمعت عرب الإحساء على رجل يقال له حماد النائلي من بني نائل من الأحلاف وقالوا أنت الثائر الذي يملك البحرين ونحن نحارب عندك حتى نخرج أهلها منها ويكون لك ملكها. وأجمعوا على حرب الإحساء وجاءوا من كل جهة وما كان في البلد من أهلها غير القليل، لأن أكثرهم كان حالاً في القرى والسواد من جهة القيظ وجمع الثمرة، وأمنهم ذلك الزمان، فأمسكهم في منازلهم التي بالسواد، ولم يمتكنوهم من النزول إلى البلاد تضعيفاً للبلد ومن فيها. وكان ملك البلد يومئذ لأبي سنان وكان نازلاً بالقطيف ومولاها الأمير أبو مقدم شكر بن علي فاجتمعت عامر كلها وجميع من يحل على الإحساء من العرب وأغاروا على الإحساء مع الحماد النائلي ولم يزالوا يباكرونها بالغارات ويرأوحنوها ويزاحفون أهلها القتال ثلاثين يوماً. وفي اليوم الثلاثين، جمعوا أنفسهم ولم يبقوا من يحمل السيف وباكروا القتال من كل باب للبلد ودخلوها من نواحيها بعد قتل كثير (وقد تسلق بعض أعوانه الأسوار فافتحموها ودخلوا المدينة). وكان الأمير أبو مقدم قد ركب ووقف بالرحل وضم إليه بني عمه وكل من يحمل السلاح من وجوه عشيرته وجنده وضمهم إليه. فلما اشتعلت الحرب حمل عليهم بنفسه وبمن معه حملة صادقة قتل فيها خلقاً كثيراً فهربوا من بين يديه فتبعهم بطردهم حتى أخرجهم عن جرعاء المردى وقتل فيهم خلقاً لا يحصى... ردهم على أعقابهم بعد أن قتل منهم مقتله عظيمة. وبعد تلك الواقعة يشسوا من ملك البلاد ومن نهبها فبعثوا في الحال يطلبون الصلح، فصالحهم... وكانت العرب في ذلك اليوم قد جمعوا جمعاً عظيماً وباكروا البلد للقتال، فزاحفوا أهلها، فحمل عليهم الأمير أبو مقدم، فقتل السبيع بن غفيلة فهزمهم^(٢).

تعيين الشريف قتادة شيخاً على قبيلة جهينة

٥٤٨هـ عندما أصبح عمر الشريف قتادة ٢١ سنة عين شيخاً على قبيلة جهينة^(٣). وقد ذكر ابن معية أن الشريف قتادة ولد في سنة ٥٢٧هـ. ((واشتهر قتادة في سن مبكرة بأنه الفارس الذي انتصر على الأشراف من بني حيراب؟ وانتزع منهم ينبع والصفرا وهي نقطة اتصال بين الشمال والجنوب وبني علي

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) ديوان ابن المقرب ج ٢ ص ٩٥٠.

(٣) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط ١/ ص ٧٠.

وبني أحمد وبني إبراهيم، وقد يكون السبب المباشر لشهرته أنه هزم الصليبيين الذين رسوا بالقرب من منزله في ينبع وكانوا في طريقهم إلى المدينة^(١).

مهاجمة حاكم جزيرة قيس لأوال والاستيلاء عليها ثم انسحابه

٥٤٩هـ يقول الملا: ((بعد وفاة أبي فراس تسلم مقاليد الحكم في القطيف غرير بن منصور بن علي ابن عبدالله العيوني وكان يلقب بـ (قوام الدين) وكان كريماً شهماً وتميز بحب العلم وأهله. ومن أهم الأحداث في عهده قيام حاكم جزيرة قيس في ١٣ جمادى الأولى ٥٤٩هـ (٢٦ يوليو ١١٥٤م تقريباً) بمهاجمة جزيرة أوال والاستيلاء عليها ونهبها ثم الانسحاب منها. وبعد مضي سبع سنين أمضاها (غرير) في حكم القطيف وجزيرة أوال، قتله ابن عمه هجرس بن محمد بن الفضل^(٢).

ويذكر الدكتور محمد محمود خليل استناداً إلى قول شارح ديوان ابن المقرب نسخة الهند ٤٦٤ أن هذه الحملة وجهت من قبل ملك قيس باكرزار بجيش كثيف تحت قيادة أخيه نامسار، وكانت بلاد العيونيين جميعها تحت حكم الحسن بن عبدالله العيوني، الذي وجه ابن أخيه أبي مقدم شكر حاكم الإحساء من طرفه بتجهيز قوة من الإحساء أيضاً ودخلت القطيف والإحساء تحت إمرة الأمير أبي مقدم شكر الذي توجه بهم نحو جزيرة سترة ودارت هناك معركة أسفرت عن انتصار العيونيين وهزيمة الجيش القيسي وأسر قائده نامسار الذي أحسنت معاملته وتم تكريمه ثم إعادته إلى أخيه الملك باكرزار^(٣).

وفاة الحسن بن عبدالله وولاية غرير بن مقلد

وفي أواخر سنة ٥٤٩هـ توفي الحسن بن عبدالله العيوني بعد عشر سنوات لحكمه جميع بلاد البحرين محدثاً فراغاً سياسياً لم يستطع أبناؤه الثلاثة (شكر وعلي والوزير) ملأه لصغر سنهم^(٤)، لذا تمكن الأمير غرير بن مقلد من انتزاع الحكم في القطيف وأوال واستمر سبع سنوات^(٥).
٥٥٣هـ فيها: دخلت هذيل إلى مكة ونهبوا^(٦).

خلافة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي

٥٥٥هـ توفي المقتفي لأمر الله في ربيع الأول ٢٤ سنة من خلافته وعمره (٦٧ سنة)، وقد استبد في

(١) المصدر السابق ص ٨٦.

(٢) تاريخ الإمارة العيونية.

(٣) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية المسمى إقليم بلاد البحرين في ظل حكم الدويلات العربية (٤٦٩ - ٩٦٣هـ / ١٠٧٦ - ١٥٥٥م) للدكتور محمد محمود خليل مكتبة مدبولي القاهرة ط ١/ ٢٠٠٦م ص ١٨٢.

(٤) المصدر السابق ص ١٨٣.

(٥) المصدر السابق ص ١٨٤.

(٦) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهم شلتوت جامعة أم القرى ط ١/ ١٩٨٣ ج ٢ ص ٥٢١.

خلافته وخرج من حجر السلجوقية عند افتراق أمرهم بعد السلطان مسعود، ولما توفي ببيع بعده بالخلافة ابنه المستنجد فجرى على سنن أبيه في الاستبداد، واستولى على بلاد الماهلي ونزل اللحف وولى عليها من قبله كما كانت لأبيه^(١). والمستنجد بالله أمه أمة حبشية اسمها طاوس، وكان أسمر طويل اللحية، توفي سنة ٥٦٦هـ وعمره (٤٧ سنة)، وكان المستنجد شاعراً، ومن شعره القصيدة المشهورة:

عَيَّرْتَنِي بِالشَّيْبِ وَهُوَ وَقَارُ لَيْثَهَا عَيَّرْتُ بِمَا هُوَ عَارُ
إِنْ تَكُنْ شَابَتِ الذُّوَابُ مِنِّي فَالْإِيَالِي تَزِيئُهَا الْأَقْمَارُ^(٢)

اضطراب موسم الحج في مكة بسبب شغب أمير الحج العراقي

٥٥٥هـ لما علم القاسم بن هاشم بن فليته أمير مكة ((أن الحج العراقي برئاسة أمير أرغش استعد لقتاله، فلما أنس اقترابه ترك مكة هارباً، ومن ثم كانت الفتنة بين أهل مكة والحج العراقي بمنى وقتل جماعة من أهل مكة، ولحق الباقون بأهلهم فجمعوهم وأعادوا الكرة بهم فسلبوا نحو ألف جمل من الحاج، فنادى أمير الحج العراقي في جنده ووقع القتال فقتل جماعة من الفريقين وشاع النهب ورأى أمير الحج العراقي أن يغادر منى لا إلى مكة لإتمام نسكه ولا إلى الزاهر حيث تقوم منازل بل إلى الطريق الذي يعود به إلى بلاده دون أن يكمل حجّه. وقد عاد كثير من الحجاج ولم يستطيعوا إكمال حجهم خوف الفتنة))^(٣).

ولاية هجرس بن محمد بن فضل على أوال والقطيف

٥٥٦هـ فيها قتل (غريز) حاكم القطيف وأوال على يد ابن عمه (هجرس بن محمد بن فضل العيوني) الذي لم يتمتع بالحكم سوى سنة واحدة، حيث وافاه الأجل.

ولاية محمد بن منصور على الأحساء

وفيها (٥٥٦هـ) توفي أبو مقدم شكر بن أبي الحسن علي بن عبدالله بن علي العيوني، الذي أعقب والده في حكم الأحساء سنة ٥٤٦هـ، وولي الحكم بعده ابن أخيه أبو ماجد محمد بن منصور بن علي بن عبدالله العيوني، وكان أبو ماجد هذا على جانب من القوة والحزم، فأوقف تعديات عشائر البدو فأوغر ذلك صدورهم عليه. وعقدوا العزم على إعادة نفوذهم من خلال القيام ببعض الأعمال الإرهابية.

فقد جاء في شرح ديوان ابن المقرب: ((أن جميع العرب المناوئين للإحساء اجتمعوا وقصدوا شبانة ابن غفيلة، وهو يومئذ أمير عرب البحرين من عقيل وغيرهم. وشكوا إليه قلة إنصاف الأمير (أبي منصور) لهم وجرأة أهل البلد عليهم في ذلك الزمان. فقال (نجازيهم حرباً نذلهم بها ويقل أذاهم ونذيقهم بأساً يقع

(١) تاريخ ابن خلدون المجلد الخامس القسم الأول.

(٢) سمط النجوم العوالي م ٣ ص ٥٠٧.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ م ص ٢٠٨.

في قلوبهم)، وأرادوا رأي شبانة في ذلك فقال لهم: (لا تعجلوا فانا أنظر وأنتم تنظرون)، فضرب لهم ميعاداً يراجعونه فيه. فاجتمعوا في الميعاد وقصدوا شبانة ولم يتخلف أحد من ذوي الرأي. فقال لهم شبانة حين رأى ميلهم للحرب (عدّوا لي كم في الإحساء من فارس يعد عن كثير من الفرسان)، فعدوا أربعين فارساً. فقال شبانة: (وأبو ماجد عن أربعين فارس مما عددت من عساكر أبي منصور، لا نطمع أن نقف بين أيديهم ولا نقاتلهم فاصبروا). وطول مدة أبي ماجد ما حاربوا الإحساء...، لذلك عن حربه)). وقد توفي محمد سنة ٥٨٠هـ، أما أبو منصور فهو جد أبي ماجد وهو علي بن عبدالله بن علي العيوني.

ولاية الشريف عيسى بن فليته على مكة

وفيها (٥٥٦هـ): ثار عيسى بن فليته على ابن أخيه القاسم بن هاشم بن فليته ((فأجلاه عن مكة وتولى إمارتها في عام ٥٥٦هـ، ولم يكد يستقر الأمر لعيسى حتى استأنف القاسم هجومه عليه وأجلاه عن مكة في شهر رمضان سنة ٥٥٧هـ فلم يبعد عيسى إلا أياماً ثم عاود الهجوم على القاسم فقتله واستولى على مكة في السنة نفسها))^(١).

٥٥٧هـ وفي هذه السنة ((عاد مالك بن فليته ومعه هذيل فخرج إليهم عسكر عيسى بن فليته فانهزموا ودخل مالك جدة ونهب التجار))^(٢).

محاولة الوصول إلى الحجرة النبوية الشريفة

٥٥٧هـ في هذه السنة وصل السلطان نورالدين محمود بن زنكي بن أقسقر إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها^(٣). قال السهمودي: السلطان الملك العادل نور الدين: ((كان له تهجد يأتي به بالليل وأوراد يأتي بها، فنام عقب تهجده، فرأى النبي ﷺ في نومه وهو يشير إلى رجلين أشقرين ويقول: أنجذني أنقذني من هذين، فاستيقظ فزعاً ثم توضأ وصلى ونام فرأى المنام بعينه، فاستيقظ وصلى ونام فرأه مرة ثالثة فاستيقظ وقال: لم يبق نوم، وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصللي فأرسل خلفه ليلاً وحكى جميع ما اتفق له فقال له: وما قعودك؟ أخرج الآن إلى المدينة النبوية واكتم ما رأيت، فتجهّز في بقية ليلته وخرج على رواحل خفيفة في عشرين نفراً وصحبه الوزير المذكور ومال كثير فقدم المدينة في ستة عشر يوماً فاغتسل خارجها ودخل فصلى في الروضة وزار ثم جلس لا يدري ماذا يصنع فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة في المسجد: إن السلطان قصد زيارة النبي ﷺ وأحضر معه أموالاً للصدقة فاكتبوا من عندكم، فكتبوا أهل المدينة كلهم وأمر السلطان بحضورهم، وكل من حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التي أراها النبي ﷺ فلا يجد تلك الصفة، فيعطيه ويأمره بالانصراف، إلى أن انقضت الناس، فقال السلطان: هل بقي أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة؟ قالوا: لا، فقال: تفكروا

(١) المصدر نفسه.

(٢) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٢٠.

(٣) وفاء الوفا للسهمودي ت ٩١١ ص ٦٥٠.

وتأملوا، فقالوا: لم يبق إلا رجلين مغربيين لا يتناولان من أحد شيئاً، وهم صالحان غنيان يكثران الصدقة على المحاويع، فانشرح صدره وقال: علي بهما. فأتى بهما فرآهما الرجلين اللذين أشار النبي ﷺ إليهما بقوله: أنجدني، أنقذني من هذين، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من بلاد المغرب، جئنا حاجين فاخترنا المجاورة في هذا العام عند رسول الله ﷺ، فقال: أصدقاني، فصمما على ذلك، فقال: أين منزلهما؟ فأخبر بأنهما في رباط بقرب الحجرة الشريفة، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما، فرأى فيه مالا كثيراً وخمتمين وكتباً في الرقائق ولم ير فيه غير ذلك فأتى عليهما أهل المدينة بخير كثير وقالوا: إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات في الروضة الشريفة وزيارة النبي ﷺ وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قباء كل سبت ولا يردان سائلاً قط بحيث سدا خلة أهل المدينة في هذا العام المجذب، فقال السلطان: سبحان الله! ولم يظهر شيئاً مما رآه، وبقي السلطان يطوف في البيت بنفسه، فرفع حصيراً في البيت فرأى سرداباً محفوراً ينتهي إلى صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس لذلك وقال السلطان عند ذلك: أصدقاني حالكما وضربهما ضرباً شديداً. فاعترفا بأنهما بعثهما النصارى في زي حجاج المغاربة وأمالوهما بأموال عظيمة وأمروهما بالتحيل في شيء عظيم خيلته لهم أنفسهم وتوهموا أن يمكنهم الله منه وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلوا به ما زينه لهم إبليس في النقل وما يترتب عليه فنزلا في أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة، وفعلوا ما تقدم وصاروا يحفران ليلاً ولكل منهما محفظة جلد على زي المغاربة والذي يجتمع من التراب يجعله كل منهما في محفظته ويخرجان لإظهار زيارة البقيع فيلقيان بين القبور وأقاموا على ذلك مدة فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم..... فلما اعترفا وظهر حالهما على يديه ورأى تأهيل الله له لذلك دون غيره بكى بكاء شديداً وأمر بضرب رقابهما، فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة وهو مما يلي البقيع ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقاً عظيماً إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص وملأ به الخندق... ثم عاد إلى ملكه وأمر بإضعاف النصارى وأمر أن لا يستعمل كافر في عمل من الأعمال وأمر مع ذلك بقطع المكوس كلها^(١).

وقال ابن الأثير: طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وما فيه إلى يومنا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين. انتهى^(٢).

بناء سور جديد لحماية المدينة المنورة من تسلط البادية

٥٥٥ هـ ((انتبه أصحاب البيوت التي في خارج السور - عن المدينة المنورة - الفرصة - في وجود الشهيد نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر - وقدموا طلباً يفيد لجملة ما يأتي: يا أيها الملك! لم تبق لنا طاقة لتحمل غارات أشقياء العربان، إذ يغيرون علينا من حين لآخر ويستولون على حيواناتنا ويأسرون أولادنا وعيالنا، نرجو أن تنقذنا من شرور هؤلاء بأن تصدر أمرك ببناء سور يحيط بمنازلنا. وما كان من الملك إلا أن أسعف رجاء الأهالي وأمر بهدم السور القديم (٤٥٠) الذي آل للسقوط والخراب وأسس

(١) المصدر نفسه ص ٦٥٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٥٢.

سوراً جديداً يحيط بالمنازل والمحال التي بنيت فيما بعد...، وهكذا أنقذ أصحاب المحلات الجديدة والبيوت من تسلطن عربان الصحراء وإضرارهم وذلك في سنة ٥٥٨هـ^(١). وقد أمن سور المدينة الطيبة الذي بناه الشهيد نور الدين السكان من تسلطن العربان وحافظ عليهم ما يقرب من مائة وخمسين عاماً^(٢). ٥٦٤هـ استولى نور الدين زنكي على السلطة في الرقة من أيدي العقيليين، وبعد انقراض دولتهم في الجزيرة وحوض الفرات هاجروا إلى بلاد البحرين.

تسلط الفرنج على مصر وطلب الفاطميين المساعدة من الأيوبيين

٥٦٤هـ ((طغت الفرنج بالديار المصرية وتحكموا في إيوانها وسكنها أكثر شجعانهم ولم يبق شيء يستحوذوا عليه ويخرجوا منها أهلها المسلمين.... طمعوا في أخذها بالأصالة فركبت أمدادهم من كل ناحية وساروا، فأول ما أخذوا مدينه بليس فقتلوا خلقاً وأسروا آخرين فأمر الوزير شاور بإحراق مصر وأن يتنقل الناس إلى ((القاهرة)) فنهبت البلد.

وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوماً، فعند ذلك أرسل الخليفة العاضد لدين الله إلى الملك نور الدين الشهيد محمود بن زنكي يستغيث به ويبعث إليه بشعور نسائه يقول له: ((أنقذني واستنقذ نسائي من يد الفرنج)) والتزم له بثلاث خراج مصر، على أن يكون أسد الدين شيركوه مقيماً عندهم بمصر...، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى الديار المصرية.

فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الإفرنج يقول: ((قد عرفت محبتي ومودتي ولكن العاضد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد)) واستدعى نور الدين الشهيد الأمير أسد الدين شيركوه فقدمه على العساكر التي جهزها إلى الديار المصرية وأضاف إليه جملة من الأمراء والأعيان. وكان من جملتهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان، فلما وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية وجدوا الفرنج قد انشَمروا عن مصر بالصفقة الخاسرة^(٣).

ثبات قدم صلاح الدين الأيوبي في مصر وضعف أمر العاضد

((توفي أسد الدين شيركوه آخر جمادى الأخيرة من سنة ٥٦٤هـ لشهرين من وزارته، ولما احتضر أوصى أحد حواشيه بهاء الدين قراقوش فقال له: «الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار ما أردنا، وصار أهلها راضين عنا فلا تفارقوا سور القاهرة، ولا تفرطوا في الأسطول». ولما توفي تشوف الأمراء الذين معه إلى رتبة الوزارة مكانه مثل عز الدولة الباروقي، وشرف الدين المشطوب الهكاري، وقطب الدين ينال بن حسان المنبجي وشهاب الدين الحارمي، وهو خال صلاح الدين، وجمع كل لمغالبة صاحبه، وكان أهل

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج ٣ ص ١٨.

(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٩.

(٣) سمط النجوم العوالي للعاصمي م ٤.

القصر وخواص الدولة قد تشاوروا فأشار جواهر بإخلاء رتبة الوزارة، واصطفاء ثلاثة آلاف من معسكر الغز يقودهم قراقوش، ويعطي لهم الشرقية إقطاعاً ينزلون بها حشداً دون الإفرنج من يستبد على الخليفة بل يقيم واسطة بينه وبين الناس على العادة، وأشار آخرون بإقامة صلاح الدين مقام عمه والناس تبع له، ومال القاضي لذلك حياء من صلاح الدين وجنوحاً إلى صغر سنه، وأنه لا يتوهم فيه من الاستبداد ما يتوهم في غيره من أصحابه، وأنهم في سعة من رأيهم مع ولايته فاستدعاه وخلع عليه، ولقبه الملك الناصر، واختلف عليه أصحابه فلم يطيعوه وكان عيسى الهكاري شيعاً له، واستمالهم إليه إلا الباروقي فإنه امتنع وعاد إلى نور الدين بالشام وثبتت قدم صلاح الدين في مصر، وكان نائباً عن نور الدين ونور الدين يكتابه بالأمير الأسفهلار، ويجمعه في الخطاب مع كافة الأمراء بالديار المصرية، وما



رسم تخيلي لصلاح الدين

زال صلاح الدين يحسن المباشرة ويستميل الناس، ويفيض العطاء حتى غلب على أفئدة الناس، وضعف أمر العاضد، ثم أرسل يطلب إخوته وأهله من نور الدين فبعث بهم إليه من الشام، واستقامت أموره واطردت سعاداته، والله تعالى ولي التوفيق^(١).

خلافة المستضيء بنور الله بن المستنجد

٥٦٦ هـ في ٩ ربيع الآخر توفي المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله وتولى المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله. *مركز تحقيق تراثنا في علوم راسدي*

نهاية الدولة الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية

٥٦٧ هـ انتهاء الدولة الفاطمية التي استمرت ٢٠٩ سنوات، وبدء الدولة الأيوبية بقيادة صلاح الدين وقد استمرت ٨١ سنة ويذكر أن الأيوبيين يعتزون بالانتساب إلى بني مروان وفي رواية إلى هوازن ورواية أخرى الأزدي، لكن الثابت أنهم من الجنس الكردي.

قال أبو الفدا: في هذه السنة ثاني جمعة من محرم قطعت خطبة العاضد لدين الله أبي محمد عبدالله ابن الأمير يوسف ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبدالمجيد بن أبي القاسم محمد...، وكان سبب الخطبة العباسية بمصر أنه لما تمكن صلاح الدين من مصر وحكم على القصر وأقام فيه قراقوش الأسدي وكان خصياً أبيض وبلغ نور الدين ذلك أرسل إلى صلاح الدين يأمره حتماً جزماً بقطع الخطبة العلوية

(١) تاريخ ابن خلدون-المجلد الخامس.

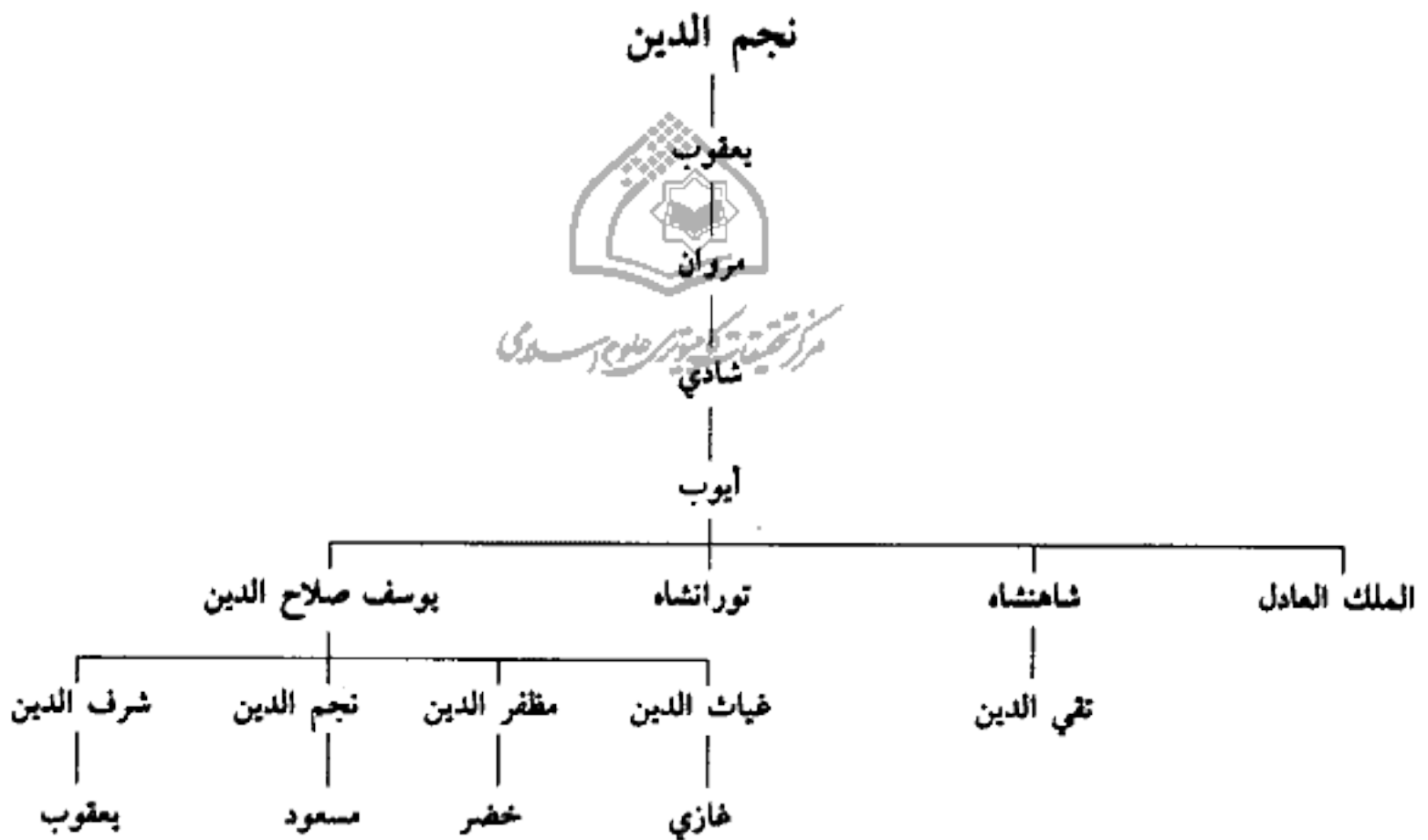
وإقامة الخطبة العباسية فراجع صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت نور الدين إلى ذلك وأصر عليه وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين الخطباء أن يخطبوا للمستضيء ويقطعوا خطبة العاضد فامثلوا ولم يتطع فيها عنزان وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أهله بقطع خطبته فتوفي العاضد يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع خطبته.

٥٦٧هـ ((في هذا العام عاد النزاع بين عيسى بن فليته ومالك بن فليته: فهاجم مالك مكة بجيش من هذيل فهزمه عيسى ففر إلى جدة وسطا على بيوتها التجارية فنهبا))^(١).

تنافس بني كعب وبني حزن من خفاجة على تولي حماية سواد العراق

٥٦٨هـ على ما ذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة قال: ((كانت الحماية على سواد العراق.. لبني حزن من خفاجة وإن والي الكوفة والحلة أخذها منهم وجعلها لبني كعب بن خفاجة نفسها. وإن ذلك أحقق لبني حزن فأخذوا يغيرون على السواد ويعيثون فيه فساداً فسار الوالي إليهم ومعه الغضبان أمير بني كعب وفي الطريق أصاب الغضبان سهم أرداه فعادت العساكر من حيث أتت وأعيدت الحماية لبني حزن ثانية))^(٢).

٥٦٨هـ مات أيوب بن شادي بن مروان بن يعقوب بن نجم الدين الملقب بـ (الملك الأفضل) أبي سعيد الكردي أخو شيركوه أسد الدين.



(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ م ص ٢٢١.

(٢) العرب والعروبة.. م ٢ ج ٦ ص ٤٢.

فتح تورانشاه لليمن

وفي سنة ٥٦٩هـ تورانشاه بن أيوب أخو صلاح الدين افتتح اليمن وأعادها لصلاح الدين وكان معه عمر بن علي بن رسول كوزير له واستخلفه على المناصحة وكان معه آخرون من آل رسول.

وفاة الملك العادل نور الدين محمود

٥٦٩هـ ((توفي الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة وغير ذلك يوم الأربعاء ١١ شوال بعلية الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة وكان نور الدين قد شرع للدخول إلى مصر لأخذها من صلاح الدين...))

وكان نور الدين أسمر طويل القامة ليس له لحية إلا في حنكه حسن الصورة وكان قد اتسع ملكه جداً وخطب له بالحرمين واليمن لما ملكها توران شاه بن أيوب وكذلك كان يخطب له بمصر وكان مولده سنة ٥١١هـ وطبق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله وكان من الزهد والعبادة على قدر عظيم وكان يصلي كثيراً من الليل، وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة وليس عنده فيه تعصب وهو الذي بنى أسوار مدن دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها لما تهدمت بالزلازل وبنى المدارس الكثيرة الحنفية والشافعية....

ولما توفي قام ابنه الملك الصالح إسماعيل بعده وعمره (١١ سنة) وخلف له العسكر بدمشق وأقام بها وأطاعه صلاح الدين بمصر وخطب له بها وضربت السكة باسمه وكان المتولي لتدبير الملك الصالح وتدبير دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم. ولما مات نور الدين وتملك ابنه سار من الموصل سيف الدين غازي بن قطب الدين وملك جميع البلاد الجزرية^(١).

٥٧٠هـ في نهاية ربيع الأول ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة دمشق وحمص وحماة^(٢).

ولاية مكتر بن عيسى بن فليته على مكة المكرمة

مات عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسيني رحمه الله وعهد إلى ابنه داود بالإمارة، فلم يدم حكمه أكثر من نصف يوم ثم هاجمه بإيعاز من العباسيين بعض الخارجين عليه هجوماً عنيفاً حتى أجلوه عن مكة ونادوا بأخيه مكتر وذلك في العام نفسه ٥٧١هـ^(٣).

وما كاد يتولى الأمر مكتر حتى ((شعر بحاجته إلى تثبيت مركزه ليتحاشى استبداد بغداد به، كما فعلت بأخيه بالأمس فعمد إلى شراء الأسلحة وتجنيد بعض الرجال وبنى على أبي قبيس قلعة لتكون له حصناً إذا فكر أمير الحاج العراقي في مناوشته أو عزله وظل مع ذلك يخطب للعباسيين والأيوبيين.

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ص ٢٢٢.

وعلمت بغداد بتحصيناته، فاعتبرت ذلك منه تحدياً، فكلف أمير الحج طاشتكين أخا صلاح الدين الأيوبي بأن يجلي مكثراً عن مكة وأن يهدم حصنه... واستعمل المقاتلون في هذه الوقعة سلاحاً جديداً لا عهد لمكة به من قبل، فقد رثي رجل منهم يرمي داراً من دور مكة بقارورة مملوءة نفطاً فأحرقت الدار، وكانت لبعض أيتام مكة. ولجأ مكثر إلى حصنه الذي بناه على أبي قيس فحصره به ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع سلم أمير مكة الحصن لأمير الحج فهدمه بعد ذلك.

وأضاف طاشتكين إمارة مكة إلى أمير المدينة إذ ذاك القاسم بن مهنا بأمر الخليفة العباسي، فما لبث القاسم أن رأى نفسه بعد ثلاثة أيام عاجزاً عن إدارة الأمور والقيام بأعباء مكة، فأعاد طاشتكين داود ابن عيسى المغضوب عليه سابقاً إلى الإمارة وهو أخو مكثر وذلك في السنة نفسها ٥٧١هـ، ثم ما لبث أن أعيد إليها مكثراً^(١).

خلافة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء الحسن

٥٧٥هـ ((كان مرض المستضيء بالحمى ابتداء يوم عيد الفطر فلما كان يوم السبت سلخ شوال سنة ٥٧٥هـ توفي إلى رحمة الله تعالى، وكانت مدة خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وعشرين يوماً، وقيل تسع سنين وثلاثة أشهر وعمره (٣٧)).

وتولى الخلافة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء حسن بن المستنجد يوسف بن المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر بن المقتدي. كانت فيه شهامة وصرامة وإقدام وعقل ودهاء وكان مستقلاً بأمور الملك بالعراق، متمكناً، طالت أيامه، وكانت له دسائس وعيون عند كل أحد من الأمراء والعظماء والولاة والحكام من الأجناس المختلفة، حتى كان يظن أن له اطلاعاً على المغيبات.

بويح بالخلافة بعد موت والده وعمره (٢٣ سنة) فبسط العدل وأمر بإزالة الخمر، وكسر المهي، وإزالة المكوس والضرائب، فعمر البلاد، وبسط الأرزاق وقصدت الناس بغداد وتبركوا به^(٢). يقول العاصمي: كانت الكعبة الشريفة تكسى الديباج الأبيض زمن المأمون، إلى آخر أيام الناصر هذا، فكساها الديباج الأسود، واستمر إلى زماننا هذا.

يوم صفاء

٥٧٧هـ في هذه السنة تولى الحسن بن شكر بن الحسن بن عبد الله حكم القطيف بعد أربعة حكام في السنة المذكورة نفسها، كانوا قد تركوا الحكم لعدم الرغبة فيه لما يتهددهم من خطر الاغتيالات والخوف من الفشل في فرض السيطرة.

وذكر شارح ديوان ابن المقرب: يوم صفاء، فقال: ((لما ملك الأمير الحسن بن شكر بن الحسن ابن عبد الله - القطيف - بعد خروج محمد بن أبي الحسين منها وتركها لها، ومضت له مدة مديدة، رجع

(١) المصدر السابق ص ٢٢٢.

(٢) سبط النجوم العوالي م ٣ ص ٥١٠.

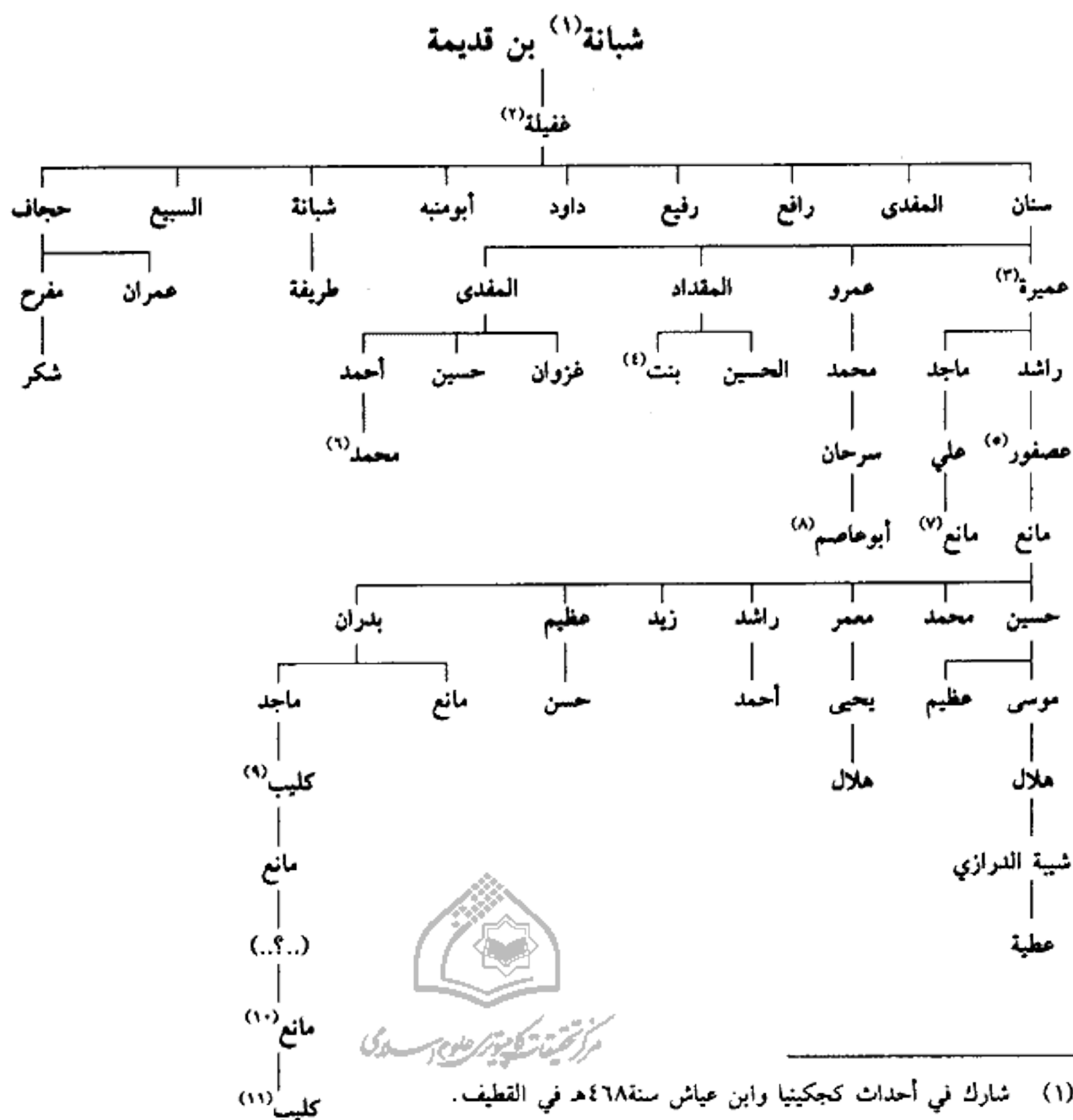
الأمير محمد بن أبي الحسين يحل عليها في القipzig وعنده عميرة بن سنان، وأولاد شبانة بن غفيلة، وأولاد حجاف بن غفيلة، وأمه يومئذ طريفة بنت شبانة. فالشبانات أخواله، وانضاف إليهم عمران بن حجاف، وهو يومئذ شيخ الحجاجفة، وهو فارس مشهور، وكان عنده يومئذ والدته الأمير طريفة بنت شبانة، وتبعته الحجاجفة، وقد أمكنهم الأمير الحسن بن شكر من البلد، وأقطعهم أكثر أملاكها، وحين نزل الأمير محمد بن أبي الحسين وعميرة بن سنان ومن معهما على صفواء أنكر ذلك خوفاً منه، وأنكرت أولاد شبانة وأولاد حجاف، فجمع الأمير الحسن بن شكر عساكر القطيف وفرسانها ورجالها وعجمها، وأظهر العدد والسلاح واستنفرت آل شبانة وآل حجاف جميع من يتبعهم من القديمات ومن ينزل عليهم من جار ونزيل وخادم وأقبلوا ليدفعوا محمد بن أبي الحسين وعميرة بن سنان عن صفواء.

فلما بلغوا صفواء خرج إليهم عميرة بجميع ما عنده، وقد أخرجت الشبانات والحجاجفة جملاً جعلت عليه قبة وجعلوا فيها طريفة بنت شبانة فجري بينهم طراد وشيء من القتال والأمير محمد بن أبي الحسين موثوق عن القتال في الحلة، فلم يكن لأصحاب محمد بن أبي الحسين وأصحاب عميرة بما أتاهاهم طاقة فولوا منهزمين حتى خرجوا من الحلة، ووردت أهل القطيف ومن معهم أول الحلة وصار فيها نهب، فلما رآهم الأمير محمد قد بلغوا الحلة قال للذين تكلفوا بلزومه اتركوني، فتركوه، فاعتزى. فامثل وصاح صبيحة هائلة وحمل عليهم حملة لم يثبت منها غير أولاد شبانة. ولم يزل الأمير يطردهم حتى دفعهم عن الجمل الذي كان عليه الهودج وأخذه وفيه المرأة ودفعه إلى أصحابه وقد تراجع إليه بعض منهم^(١).



مركز تحقيقات كلیت دین وعلوم اسلامی

(١) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج ٢ ص ١٠٨٦.



انقراض دولة آل سبكتكين

٥٧٨هـ وفيها: انقرضت دولة آل سبكتكين وكان ابتداءها سنة ٣٦٦هـ فملكوا ٢١٣ سنة أولهم محمود ابن سبكتكين وآخرهم خسرو شاه بن بهرام بن شاه مسعود بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين وقام بعدهم الغورية وأولهم عزالدين حسن صاحب بلاد الغور.

صاحب البحرين يقدم التهانى لسلطان اليمن

في سنة ٥٧٨هـ ((لما افتتح السلطان - سلطان اليمن - رحمة الله عليه مدينة ظفار وقتل سالم بن إدريس ارتعدت الأقطار القصية هيبة للسلطان وامتلات من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين لما رأوا من علو همته وعظيم نعمته. فأرسل صاحب عمان بهدية فرسين ورمحين إلى الأمير شمس الدين أردمر وهو يومئذ في ظفار ووصلت هدايا صاحب الصين ووصل صاحب البحرين إلى زيد ورتب الأمير شمس الدين أردمر نائباً وهو سيف الدين سنقر الترنجلى وجعل الحسام التوريزي معه وعدة من مشايخ العرب ومقدمي الرجل وعاد إلى اليمن))^(١).

ولاية شكر بن منصور على الإحساء واستيلائه على القطيف وأوال

٥٨٠هـ ((توفي أبو ماجد محمد بن منصور بن علي بن عبدالله. وتسلم الأمير شكر بن منصور بن علي بن عبدالله العيوني عرش الإحساء ودامت فترة حكمه إلى سنة ٥٨٧هـ. وكان شكر عالي الهمة بعيد الطموح، آلمه تمزق الدولة العيونية فعقد العزم على توحيدها فكلف أخاه وعضده الأيمن عبدالله بهذه المهمة فأعد جيشاً سار به عبدالله إلى القطيف وأوال فاستولى عليها وبعد أن قتل أميرها (الحسن بن شكر ابن الحسن بن عبدالله العيوني). وتذكر بعض المصادر أنه لم يتورع في حملته هذه عن الاستعانة بعساكر جزيرة قيس. ومهما يكن من أمر فقد استطاع توحيد جميع أقاليم البحرين))^(٢).

صناعة البندقية لأول مرة

وفيها كانت الحرب الصليبية الثالثة، ثم استيلاؤهم على قبرص، وفي هذا الزمن تقريباً صنعت أول بندقية ((أم فتيلة))، واستعملت في الحرب أول مرة سنة ٧١٣هـ في اليمن.

= سنة ٩٠١ ووضعت تسلسله النسبي هكذا اجتهداً مني.

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للشيخ علي بن الحسن الخزرجي تحقيق الشيخ محمد بسيوني عسل ج ١ ص ٢١٣.

(٢) تاريخ الإمارة العيونية للملا.

استيلاء محمد بن أحمد بن محمد بن فضل على القطيف والإحساء

٥٨٣هـ حكم الأمير محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد بن الفضل وقد ضم إلى حكمه البحرين والإحساء ونجداً وقد قتل سنة ٦٠٣هـ، وفي عهده عظم أمر العيونيين فامتد نفوذهم إلى نجد وبوادي الشام لكن هذا لم يعمر طويلاً إذ اغتاله أصحابه من قبيلة العماير.

ففي العام الذي بدأ فيه الأمير محمد حكمه (٥٨٣هـ): ((هاجم القطيف وأخرج منها عبدالله بن منصور، وذهب إلى أخيه شكر في الإحساء. وقد زال حكم شكر وأخيه عبدالله عن الإحساء باستيلاء الأمير محمد عليها حوالي سنة ٥٨٤هـ - ١١٧٩م وكانت مدة حكم شكر بن منصور على الإحساء سبع سنوات تقريباً^(١).

ولاية سالم بن قاسم بن جمار بن جمار على المدينة المنورة

٥٨٣هـ قاسم بن جمار بن قاسم بن مهني، ولاه المستضيء فأقام (٢٥ سنة) ومات سنة ٥٨٣هـ، وولي ابنه سالم بن قاسم^(٢).

توحيد جميع اليمن تحت سلطة الدولة الايوبية

٥٨٦هـ وفيها ((سار السلطان طغتكين إلى صعدة على طريق الجوف وأقام فيها أياماً ثم رتبها بثلاثمائة فارس وتوجه إلى جبال الأهنوم فاستولى عليها ثم سار إلى بلاد نهم من أعمال حجور فاستولى عليها وعلى بلاد الشرف وسائر جبال اليمن ومدنه وحصونه ومخاليقه من صعدة إلى عدن. وزالت دولة آل الصليحي وآل حاتم الإسماعيليين عن قطر اليمن من ذلك الزمن بعد أن ملكوا حياصيه ودان لهم مطيعه وعاصيه^(٣).

مركز تحقيقات كويتية للدراسات والبحوث

توقع هجرة قبائل وعوائل من القطر اليمني

بعد السنة التي توحدت فيها جميع أراضي إقليم اليمن تحت سلطة الدولة الكردية (٥٦٧-٦٤٨هـ) نتوقع حدوث هجرات لكثير من قبائل المنطقة إلى داخل الجزيرة العربية. ربما. لأنفتها من حكم المماليك عليها، هذا عدا أن نفوسها لا تطيق الخضوع للسيطرة القوية المطلقة، ولكي لا يتم استخدامهم في حروب لا شأن لهم بها.

الجدير بالذكر أن هذه أول سلطة غير محلية تحكم اليمن في ذلك العصر، حيث إن هذه الحكومة قدمت من الشام، وقد توفي السلطان طغتكين بن أيوب بالمنصورة من بلاد تغز سنة ٥٩٠هـ.

(١) مجلة الوثيقة عدد ١ سنة أولى ص ٢٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون.

(٣) غاية الأمان في أخبار القطر اليماني- يحيى بن الحسين ت ١١٠٠ تحقيق سعيد عاشور ص ٣٣٥.

مهاجمة بني عامر وأميرهم عميرة للبصرة

٥٨٨هـ في هذه السنة في صفر ((اجتمع بنو عامر في خلق كثير وأميرهم اسمه عميرة، وقصدوا البصرة وكان الأمير بها محمد بن إسماعيل ينوب عن مقطعها الأمير طغرل، مملوك الخليفة الناصر لدين الله، فوصلوا إليها يوم السبت السادس من صفر، فخرج إليهم الأمير محمد فيمن معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرج الميدان بجانب الخريبة ودام القتال إلى آخر النهار. فلما جاء الليل ثلم العرب في السور عدة ثلم ودخلوا البلد من الغد فقاتلهم أهل البلد فقتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقين، ونهبت العرب الحانات بالشاطئ وبعض محال البصرة، وعبر أهلها إلى شاطئ الملاحين، وفارق العرب البلد في يومهم وعاد أهلهم إليه.

وكان سبب سرعة العرب في مفارقة البلد أنهم بلغهم أن خفاجة والمتفق قد قاربوهم فصاروا إليهم وقاتلوهم أشد قتال، فظفرت عامر وغنمت أموال خفاجة والمتفق، وعادوا إلى البصرة بكرة الإثنين، وكان الأمير قد جمع من أهل البصرة والسواد جمعاً كثيراً فلما عادت عامر قاتلهم أهل البصرة ومن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها. وفارق البصرة أهلها ونهبت أموالهم وجرت أمور عظيمة ونهبت القسامل وغيرها يومين، وفارقها العرب وعاد أهلها إليها وقد رأيت هذه القصة بعينها في سنة ٥٩٣هـ والله أعلم))^(١).

مهاجمة أمير مكة لأوضاع

وفيها (٥٨٩هـ): حاول أمير مكة مكث بن عيسى بن فليته (٥٨١ - ٦٠١هـ) الاستيلاء على نجد فهاجم مدينة أوضاع بقبائل عنزة بن أسد وحرب بن سعد وهوازن وبني سليم بعد أن حرض (بني لام وطيم) على مالك بن سنان ومن معه في أوضاع^(٢). وفيها مات الأمير داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم، أمير مكة، وما زالت إمارة مكة تكون له تارة، ولأخيه مكث تارة إلى أن مات^(٣).

تعرض المدينة المنورة لمجوم زعب وعدة قبائل

٥٩٠هـ قال ابن الأثير: ((وفيها في جمادى الآخرة، اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبي ﷺ، فخرج إليهم هاشم بن قاسم أخو أمير المدينة فقاتلهم فقتل هاشم، وكان أمير المدينة قد توجه إلى الشام فلهذا طمعت العرب فيه))^(٤).

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج ١٢ ص ٨٠.

(٢) السنة الغامضة لابن السويدي ط ١ ص ١١٣.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج ١٢ ص ١٠٤.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج ١٢ ص ١١٠.

ازدياد نفوذ الخليفة الناصر

٥٩٠هـ ((استطاع الخليفة الناصر لدين الله العباسي إنهاء السيطرة السلجوقية سنة ٥٩٠هـ - ١١٩٤م ونجح في توسيع نفوذ الخلافة العباسية وجمع حوله العديد من أمراء الأطراف عن طريق التنظيم الذي ابتدعه (الفتوة). ولكن الخلفاء الذين جاؤوا بعده كانوا ضعفاء معزولين تسيطر عليهم حفنة من الحاشية في البلاط ولذلك كانوا دون مستوى الأحداث))^(١).

٥٩٧هـ الحملة الصليبية الرابعة.

إمارة الاشراف القتادين على مكة المكرمة

٥٩٧هـ - ١٢٠١م في هذه السنة كانت بداية دولة بني قتادة في مكة، على يد مؤسسها الشريف الأمير أبو عزيز^(٢) قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن السلمية، الذي ملك الحجاز سيفاً، وطرد الهواشم عنها في هذا العام وقتل الأمير محمد بن مكثر بن فليته^(٣)، وأرسل قتادة ابنه حنظلة على رأس مجموعة من الفرسان لاستلام مكة^(٤).

قال ابن معية: ((السبب الموجب لذلك أن الهواشم ولاية مكة قد انهمكوا في الغي واللهو والظلم والجور على العباد....، فاتفق أن بعض التجار الواردين من مكة المشرفة نهبوا ماله....، فقصده الأمير قتادة بينبع داخلاً عليه.....، ثم إن قتادة جمع قومه وعشيرته فقال لهم: قد علمتم بعتو الهواشم..... فهذا دليل على انقضاء مدة دولتهم فخطر ببالي أن أركب عليهم وأخذ ولاية مكة منهم فماذا تقولون؟ قالوا: ذلك ما كنا نبغي... فأخرجهم منها أذلة صاغرين وإلى اليمن منهزمين بعد أن قتل محمد بن مكثر.... فبلغ ذلك الخليفة الناصر لدين الله أو أباه المستنصر بالله العباسي، فاستدعاه إلى بغداد فتوجه إليه ممثلاً، فلما انتهى الوصول إلى علو النجف الأشرف خرجت جميع الناس لاستقباله وكان مع أحدهم أسد مجنزر فتطير منه فرجع منحرفاً وهو يقول: لا أدخلن بلاداً تذل فيها الأسود، وكتب للخليفة هذه الأبيات:

يَلَادِي وَلَوْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ	وَلَوْ أَنَّنِي أَغْرَى بِهَا وَأَجُوعُ
وَلِي كَفُّ ضَرْغَامٍ إِذَا مَا بَسَطَتْهَا	بِهَا أَشْتَرِي يَوْمَ الْوَعَى وَإِبِيعُ
مَعُودَةً لِّثَمِّ الْمُلُوكِ لِظَهْرِهَا	وَفِي بَطْنِهَا لِلْمُجْدِبِينَ رَبِيعُ
أَتَرُكُهَا تَحْتَ الرُّهَانِ وَأَبْتَنِي	لَهَا مَخْرَجاً إِنِّي إِذَا لَرَقِيعُ
وَأَنَا كَالْمُسْنِكِ فِي وَسْطِ أَرْضِهِ	أَضُوعُ وَأَمَّا عِنْدَكُمْ فَأَضِيعُ

(١) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ١٧٠.

(٢) مولده بينبع سنة ٥٢٧هـ وبها منشؤه، فصار بها أميراً.

(٣) عمدة الطالب...: المعروف بابن عتبة ت ٨٢٨ ص ١٦٦.

(٤)حكام مكة لجيرالد دوغوري ط ١/ ص ٧٠.

فلما قرأ الخليفة الأبيات اغتاظ غيظاً شديداً، فأمر عليه بتسيار جيش كثيف فبلغه خبره، فأرسل إلى بني حسين في المدينة المنورة يستنجدهم مستفزاً بهم^(١).

هلاك بني عنزة بين الحجاز واليمن وباء عظيم

وفيها (٥٩٧هـ): وقع في بني عنزة بأرض الشراة بين الحجاز واليمن وباء عظيم وكانوا يسكنون في (٢٠ قرية) فوق الوباء في (١٨ قرية) فلم يبق منهم أحد، وكان الإنسان إذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها، فتحامها الناس، وبقيت أغنامهم وإبلهم لا مانع لها، وأما القرستان الأخريان فلم يمت فيها أحد، ولا أحسوا بشيء بما كان فيه أولئك^(٢).

وقعة بين ربيعة بن حارثة وطئ ضد عقيل بظاهر الكوفة وقيل في لينة

٥٩٧هـ قال شارح ديوان ابن المقرب: ((سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك أمراء بني ربيعة، جمعوا قبائل طي وزبيد والخلط وجميع عرب الشام واجتمع إليهم دهمش بن سند بن غزاة وساروا يريدون أرض بني عقيل وهم: عامر وعائذ وخفاجة، قبائل قيس وربيعة.

وكان محمد بن أبي الحسين يومئذ قد رأس على قبائل العرب الذين بالمشرق، وعلى قبائل غرب العراق وغيرها، وكانت له مملكة البحرين، فلما سمعت خفاجة وعبادة ومن يليها من قبائل قيس بتجهيز الأمير تلك السرايا وطلبهم أرض بني عقيل، بعثوا إلى الأمير محمد بن أبي الحسين وهو يومئذ بالإحساء من يخبره الخبر ويستنهضه. ودخلهم من ذلك رعب عظيم، وانحازوا لهم عن الطريق.

وكان قد أفسد دهمش وقومه في الحاج وطلبوا منهم ما لم تجر به عادة وخافوه، وقبحوا غاية التقييح، فشكا الحاج إلى الخليفة الناصر لدين الله فبعث الخليفة يومئذ رسولا إلى الأمير محمد بن أبي الحسين يخبره بذلك ويتقدم إليه بالنهوض إلى دهمش وقومه والتكيل بهم والنكاية فيهم بحسب ما يقدر عليه.

فنهض يومئذ واستنهض جميع العرب الذين بالبحرين ومن يليهم من عائذ وجميع جنوده حتى لحق بالعراق وانضمت إليه الأعلام والمتفق ولحق بعبادة وخفاجة وقد أجفلوا عن أرضهم، فثبتهم حتى استكمل جيوشه وسار حتى لقي جموع الأمراء من بني ربيعة، وجميع من حشدت من طئ وزبيد وعرب الشام وكان ذلك بظهر الكوفة فالتقوا واقتتلوا غير كثير فحمل عليهم الأمير محمد وحملت أولاده لحملته وحملت جميع جيوشه فانهمزمت جموع طئ ومن معها حتى بلغوا رحالهم.

ثم إن الأمراء من بني ربيعة أرسلوا إلى الأمير يناشدونه النسب والقرابة ويذكرونه الحمية لأنهم

(١) راجع: تحفة الأزهار لضافن بن شذقم تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٤٤٢.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج ١٢ ص ١٧٢ انظر سنة ٥٩٩هـ.

يقولون إن أمراء بني ربيعة من ربيعة بن نزار^(١)، فرق لهم وعطف عليهم فأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم وامتنع من جوار دهمش لما كان تقدم من أمر الخليفة فيه فهرب دهمش وسبق حتى دخل مشهد علي (كرم الله وجهه) وتحرم به، فأقام مستجيراً بقبره، فأقام الأمير محمد بن أبي الحسين الحراس بباب المشهد يحفظونه لأن لا يهرب.

وبعث إلى الخليفة الناصر لدين الله رسولاً يخبره بذلك...، فبعث الخليفة رجالاً من الديوان ليقبضوا على دهمش بغير إزعاج ولا تشديد في القبض لأجل سبقه إلى القبر واستجارته به. ووردوا به إلى بغداد مع غلمان الأمير محمد بن أبي الحسين.

فلما صار في قبضة الديوان بعث الخليفة إليه فاستأبه حيثئذ الخليفة عن الفساد وعن إدخال الضرر على الحاج فتاب وخلع عليه، وخلق سبيله فلم يعاود دهمش إلى شيء يدخل على الحاج ضرراً حتى مات^(٢). ثم قرر الأمير محمد العيوني أن يتعقب البوادي حتى وجدهم على ماء يسمى الدجاني^(٣) غرب الدهناء فقتلهم على أكثرهم وهرب الباقيون الذين لا قوا حتفهم عطشاً في الصحراء.

ومن شعر ابن المقرب في مدح الأمير محمد:

وَفِي لَيْسَةٍ^(٤) أَرْدَى شَغَامِيمَ طَيِّئِ جَهَاراً وَلَوْنُ الثُّغْمِ بِالْجَوِّ حَائِلُ
عَشِيَّةً لَا يَلْوِي عِنَانٌ جَوَادِهِ حَجَى وَالْعِذَارَى ذَابُّهُنَّ الثُّغَاوُلُ

(١) يقول شارح الديوان: بنو الجراح هم الأمراء الذين يعرفون ببني ربيعة، ربط سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك بن السميطة، ودهمش: هو دهمش بن سنان بن أجود سيد غزية. راجع ديوان ابن المقرب ج ٢ ص ٩٥٢، ولكن هذا الخبر يؤكد حقيقة جهل البادية في أنسابهم، لأن شتان ما بين العيونيين الذين هم من عبد القيس من تغلب بن وائل ومن ثم من ربيعة بن نزار كما هو واضح في الشرح، وبين أمراء بني الجراح الذين هم من ربيعة ابن حارثة من طئ ومن ثم من قحطان.

(٢) ديوان ابن المقرب ط الباطين ٢٠٠٢م ج ٢ ص ٩٥٣.

(٣) البوادي الذين تم تعقبهم هم بنو مالك من طئ الذين سذكروا خبر وقعتهم في الدجاني في سنة ٦٠١هـ. [الدجاني] على طريق الحاج للخارج من البصرة: حيث قال أيوب صبري ما معناه، بعد أن يصل الحاج إلى حفر الباطن يمر (ماوية) ثم يمر (عالج الصغير) ومن هناك إلى منازل الدجاني ذات المياه الوفيرة، ومنه إلى (سدير) ثم (الوشم) ثم (السر)... إلخ. وأظن أن عالج الصغير وعالج الكبير هو الأرطاوية التي تفتقر الطرق في الوقت الحالي من عندها وهي نفس الصفة التي تطلق على هذا المكان في السابق حيث قال أيوب صبري: وتنزل قوافل الشتاء من عالج الصغير إلى عالج الكبير وهنا يتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما طريق الصيف والآخر طريق الشتاء. ومن الشرح السابق يمكننا القول بأن ماء الدجاني هو بعد الأرطاوية وقبل سدير التي بدايتها المجمعة.

(٤) أميل إلى القول بأن الوقعة التي جرت بين الأمير محمد العيوني مع قبائل طئ بقيادة سعيد بن فضل كانت في لينة كما هو واضح من القصيدة وليس في الدجاني كما يقول شارح الديوان. وأن الوقعة التي جرت في الدجاني هي التي كانت مع بني مالك بعد الوقعة الأولى بأكثر من عام.

[حجى] من فرسان غزية من بني أجود.

وجاءت زبيد^(١) كالجراد وطئ
وكأثوا يظئون الأمير بداره
فضاقت على أرجاء قيس^(٢) رحابها
فسار من الإحساء تطوي به الفلا
فمرث بقصر العنبري ولم يكن
فما شعروا حتى تداعت عليهم
إلى أن بدت من آل فضل عصاة
فقل لعقيل غثها وسمينها

وكل يمني نفسه ما يحاول
مقيماً وقد جاءت بذاك الرسائل
من الخوف وأنسدت عليها المناهل
عتاق المذاكي والمطي الزوامل
له سوى دار الأعداء تشاغل
كما يتداعى صيب متوابل
قصير لذيها الباذخ المتطاوّل
إذا جمعتها في التجرع المحامل

وقال في مدح محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل أيضاً:

اعز عقيلاً عزّة فتداملت
كفاهما وأغناها بنائيل كفّه
وأنزلها دار الأعداء بسيفه
أقام عهداً بين عمر وعامر
فعيش أبداً يا أبا عليّ بعزّة
وجد واجتهد في آل جروان إنهم
هم بذلوا فيما يسرك أنفساً
وذادوا الأعداء عن حماك وفلقوا
وأوصيك خيراً بالعشيرة كلّها

ومن قبل أغيا من سواه اندمائها
ومال عداها فاغتدت وهو مائها
فأضحّت خفافيشاً لديها صلالها
عبياً على أيدي الرجال انجلأها
يزيد على مدى الأيام جلالها
سيف تفرّي حاسديك نصالها
كراماً وناز الحرب يعلو اشتغالها
جناح لم يبرخ قديماً ضلالها
فإنك من بعد الإله مألها

وقال فيه أيضاً:

نهنيك ذا الملك الذي عم يمينه عقيلاً وأخياً عبداً قيس ووايلاً

وقعة سعيد بن فضل مع عائذ

كان للأمير سعيد بن فضل المذكور في أحداث سنة ٥٩٧هـ وقعة مع قبيلة عائذ^(٣)، ولكن غير

(١) [زبيد] قبيلة من سعد العشيرة.

(٢) [قيس] يقصد قيس عيلان.

(٣) عائذ: ممن روى عنهم أبو علي الهجري: العائذي من ربيعة عقيل. راجع: أبو علي الهجري مؤلف النوادر سنة ٣١٦هـ بقلم حمد الجاسر دار اليمامة ص ٥٤.

معلومة السنة التي غزاهم فيها، فرأينا أن نضعها بالترتيب عقب الوقعة السابقة، لأن سعيد بن فضل فقد فيها حياته على يد عائذ.

يقول ابن لعبون في تاريخه: عائذ من ربيعة من عقيل، وكان سعيد بن فضل غزاهم في ١٥٠٠ فارس من طيئ، فوافاهم خلوصاً قد غزوا ربيعة الفرس، فمضوا حتى كانوا على البلد، ثم لحقهم غلام من الحي فأخبرهم أن طيئاً قد ساق أموالهم، فساروا ليومهم وليلتهم حتى أدركوهم، فاقتلوا قتلاً شديداً، فقتل سعيد، وانقضت جموع طيئ، وقتلوا قتلاً ذريعاً وأسر ولده، فافتدى نفسه بمال عظيم، وأخذ منهم ألف قلعة. وذكر السيد أحمد بن عبدالله بن حمزة في شرح ذات الفروع:

وعائذ الشُّمُّ الَّذِينَ إِلَيْهِمْ
وَقَائِمُهُمْ مَشْهُورَةٌ فَسَلُّوا بِهَا
سَعِيدَ بْنِ فَضْلِ وَالَّذِينَ تَأْلَبُّوا
شَمَاطِيطُ شَيْءٍ مِنْ قِبَائِلِ طَيِّئٍ
مَنْ الْمَجْدُ غَايَاتُ الْعُلَا تَتَأَوَّبُ
أَتَى لَهُمْ بِالنَّحْسِ يَوْمَ عَصَبَنْصَبٍ^(١)

عائذ [بني سعيد]^(٢)

قال العمري نقلاً عن الحمداني ((دارهم من حرمة إلى جلاجل، والتويب ووادي القرى وليس الوادي المقارب للمدينة الشريفة النبوية زادها الله شرفاً وتعرف بالعارض ورماح والحفر.

قلت: وحدثني أحمد بن عبدالله الواصلي أن بلادهم بلاد خير ذات زرع وماشية بقرى عامرة، وعيون جارية، ونعم سارعة، ولأرضهم بذلك الوادي منعة وحصانة، قال: وقد كان المظفر بيبرس الجاشنكير اهتم بقصده واللاحاق به والمقام فيه وأن يكون كواحد من أهله مرتزقاً من سوائم الإبل والشاء، ثم انثنى رأيه عن ذلك آخر وقت، ولو وجه إليه وجهه كان أحمد لمتجعه وأدنى لعوده إلى صلاح الحال ومرتجعه^(٣).

مركز تقيتكم بيزر علوم رسيدي

ثم يضيف: ((وأما العائذ فكثير^(٤) في العرب، والمشهور منها بمصر عائذ جذام، وبالحجاز عائذ ربيعة، وأما عائذ فريز^(٥)، فلما تنافرت ثعلبة وجذام ادعوا في ثعلبة^(٦))).

وقال ((ويأتيهم من عرب البرية من يذكر: فمن غزية: غالب، وآل أجود، والبطين، وساعدة.

- (١) خزنة التواريخ النجدية ط ١ ج ١ تاريخ ابن لعبون ص ٦٦.
- (٢) لا أعرف عائذ هذا ممن؟ ولكن على حسب كلام العمري فإن عائذاً في العرب كثير. وبما أن العمري ذكر عائذاً بابن سعيد، فهناك عائذ بن سعيد بن جندب بن جابر بن زيد بن عبد بن الحارث بن بغيض، وفد على النبي ﷺ ولعل عائذ بني سعيد هؤلاء من نسله. راجع: أنساب الأشراف للبلاذري ج ١٣ ص ٢٨٩.
- (٣) مسالك الأبصار للعمري ت ٧٤٩ هـ السفر ٤ ص ٣٥٣.
- (٤) قال ابن عيسى: عائذ كثير [حنيفة - الظفير - قحطان - الأزد - جنب - مخزوم من قريش].
- (٥) فريز بن عثين. راجع: أنساب الأشراف للبلاذري ج ١٣ ص ٢٢٩.
- (٦) مسالك الأبصار للعمري ت ٧٤٩ هـ ص ٤ ص ٣٨٥.

ومن بني خالد: آل جناح، والصبيات من مياس، والجبور، والدغم، والقرسة^(١)، وآل منيخر وآل بيوت، والمعامرة والعلجات وهؤلاء من خالد.

وفرقه من عائذ وهم آل يزيد وشيخهم ابن مغامس، والمرابدة^(٢) وشيخهم كليب بن أبي محمد، وبنو سعيد وشيخهم محمد العليمي، والدواسر^(٣) وشيخهم رواء بن بدران^(٤).

بنو يزيد: دارهم ملهم وبنيان وحجر ومنفوحة وصُباح (ماء بقرب المدينة) والبرة والعويند وجو^(٤). والمزايدة: دارها البخراء وحرمة.. وسبخة الدليل والحلوة والهزيم والبريك ونعام والخرج^(٥).

وقال العمري: ((ويأتيهم من عرب البرية: آل ظُفير، والمفارقة، وآل سلطان، وآل غُزي، وآل برجس، والخرسان وآل المغيرة، وآل بني فضيل، والزراق، وبنو حسين الشرفاء، ومُطير، وخثعم، وعدوان، وعُتْرة))^(٦).

قال ابن لعبون: منازل العائدين بين العينة والدرعية وفيها آل يزيد وأهلكهم آل درع والموالفة، أما المزايدة فديارهم الخرج، أما الدواسر فديارهم واديهم الذي هم فيه، ولم نعلم لعائذ بادية مستقلة بنفسها إلا الدواسر (وهم ليسوا منهم).

وجود بني الأخيضر مع عائذ نجد

قال ابن عتبة^(٧) نقلاً عن الشيخ العلامة محمد بن معية الحسني المتوفى في (ت ٧٧٦هـ) أن إبراهيم ابن شعيب اليوسفي حدثه أن بني يوسف الأخيضر مع عامر وعائذ نحو من ألف فارس يحفظون شرفهم ولا يدخلون فيهم غيرهم، ولكنهم يجهلون أنسابهم ويقال لهم بنو يوسف - آخر ولد يوسف الأخيضر وهم آخر ولد إبراهيم ابن الجون والله أعلم^(٨).

(١) صحتها القرشة، وفي قول الشيخ إبراهيم بن عيسى في مخطوطاته: أن آل حميد والمهاشير يقال لهم القرشة.

(٢) تصحيف للمزايدة.

(٣) في الأصل الدواشر والصحيح ما ثبتناه.

(٤) مسالك الأبصار للعمري ت ٧٤٩هـ س ٤ ص ٣٥٤.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه س ٤ ص ٣٣٧.

(٧) ولد في حدود سنة ٧٤٨هـ.

(٨) عمدة الطالب لابن عتبة: في الرسائل الكمالية ص ٢١٦.

وقال ضامن بن شدقم الحسيني: ((قال في العمدة: حدثنا السيد الجليل العلامة.... محمد بن معية الحسني قال: حدثني إبراهيم بن شعيب.. قال: إن بني يوسف ينوفون على ألف فارس عارفين بعلو مراتبهم على غيرهم من الأعراب، محافظين على شرف ذاتهم ومنهاج آبائهم وأسلافهم الأطياب، فمنها عدم مناكحة نسائهم برجال الأعراب، إلا أنهم همج رعاع لا فرق بينهم وبين العوام، لا يعلمون باتصال نسبهم بأسلافهم الكرام فهذا غير مناف باتصال نسبهم بالدوحة العلوية، ولا يقصر عن الزهراء البتول الفاطمية، ويقال لولده بنو الأخيضر))^(١).

طاعون الطائف

٥٩٩هـ ((من أول رجب إلى رمضان: حل الوباء بالطائف حتى ما بقي فيها ساكن وكان الطاعون الذي نزل بهم إذا ظهرت علاماته في أبدانهم لا يتجاوزون خمسة أيام، ومن يتجاوز خمسة أيام لم يهلك، وامتألت مكة بأهل الطائف، وبقيت ديارهم مفتحة وأقمشتهم مطروحة، ودوابهم في مراعيها، وكان الغريب في تلك المدة إذا مرّ أحد بأرضهم فتناول شيئاً من أموالهم ودوابهم وطعامهم أصابه الطاعون من ساعته، وإذا مر ولم يأخذ شيئاً سلم من ذلك فحمى الله أموالهم في تلك المدة لمن بقي منهم ولمن ورثهم وتابوا إلى الله وسكنت الفتن التي كانت بينهم في تلك السنة))^(٢).



(١) تحفة الأزهار لضاامن بن شدقم تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٣٨٠.

(٢) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهم شلتوت جامعة أم القرى ط ١/١٩٨٣ ج ٢ ص ٥٦٩.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

أحداث القرن السابع الهجري



مركز بحوث ودراسات
التاريخ والعلوم الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

إيقاع محمد بن أبي الحسين ببني مالك علي الدجاني

٦٠١ هـ يقول شاعر العيونيين جمال الدين أبو عبدالله بن المقرب هذه الأبيات التي نقتطفها من قصيدة طويلة وهي مدح للأمير محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل الذي كانت له الوقعة المشهورة بالدجاني شرق الأرطاوية مع بني مالك.

سَلُّوا تُخْبِرُوا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ بِفِعْلِهِ بَنِي مَالِكٍ فَالْحُرُّ لِلْحَقِّ قَائِلُ
أَلَمْ يَجْلِبِ الْجُرْدُ الْعِثَاقَ شَوَارِباً مِنْ الْخَطِّ تُثْلُوها الْمَطَايَا الْمَرَايِلُ
إِلَى أَنْ أَنَاخَتْ بِالدَّجَانِيِّ بَعْدَمَا بَرَّاهَا السُّرَى وَالْأَيْنُ فَهِيَ نَوَاجِلُ
فَصَبَّحَ حَيًّا لَمْ تُصَبِّحْ حِلَالُهُ قَدِيمًا وَلَا رَامَتْ لِقَاءَهُ الْجَحَافِلُ
فَكَمْ غَادَرَتْ مِنْ قَرَمٍ قَوْمٍ مُجْدَلًا تَعِضُّ شَوَاهُ الْخَامِعَاتِ الْعَوَاسِلُ
وَكَمْ عَاتَيْتِ لَمْ تَشْرُكِ الْخِذْرَ مَسَاعِدُ تُقْلِبُ كَفَيْهَا لَهُ وَهِيَ ذَاهِلُ
تَقُولُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِنْهَا كَأَنَّ جُمَانٌ هَوَى مِنْ مِلْكِهِ مُتَوَابِلُ
حَنَّا يَكُ يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ فَلَمْ تَدْعُ لَنَا أَمَلًا تُلَوَى عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

قال شارح ديوان ابن المقرب: بني سلمان وليد من بني مالك من طيئ: كان قد غزاهم - الأمير محمد بن أحمد في الدجاني - فاجتاح الأموال وملك الحريم والبيوت وأخرجهم منها ثم إنه ترك النساء^(١).

أحفاد أبي سعيد ما زالوا موجودين ويسمون السادة

يروى الجوبري في كتاب كشف الأسرار الذي كتبه في مطلع القرن السابع أنه رأى في الإحصاء عقباً لأبي سعيد يعرفون بـ ((السادة))^(٢).

(١) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج ٢ ص ١٠٨٨.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٢٣٢ من ثلاثة الحلم القرمطي للاذقي ص ٤٧.

وقعة المصارع ببدر بين الشريف قتادة والشريف سالم

٦٠١ هـ زحف أبو عزيز قتادة من مكة، وحاصر صاحب المدينة سالم بن هاشم بن القاسم بن مهنا الأعرج الحسيني، فآلح في حصاره، ثم إن سالماً قصد الحجرة النبوية فصلى عندها ودعا وسار فلقبه، فانهزم قتادة، وجاء المدد لسالم من بني لام^(١).

حرب بني عامر على الأمير محمد بن أحمد

٦٠٢ هـ قال علي بن المقرب قصيدة في الأمير محمد بن أحمد وذلك حين تحالفت عامر على حربته وهي يومئذ برئاسة بني كعب الخفاجية:

فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِّي عَقِيلٌ وَقَوْمُهَا	وَإِنْ بَعُدَتْ دَارٌ وَشَطَطُ مَزَارُ
رُوَيْدًا بَنِي كَعْبٍ أَفِيقُوا وَرَاجِعُوا	حُلُومَكُمْ مِنْ قَبْلِ تَضَرُّمِ نَارِ
وَأَقْسِمُ إِنْ نَبَّهْتُمُ الْخَرْبَ سَاعَةً	وَضَمُّكُمْ نَحْوَ الْأَمِيرِ مَغَارِ
لَيَضْطَبِحَنَّ كَأْسًا عَلَيْكُمْ مَرِيرَةٌ	يَطُولُ لَكُمْ سُكْرٌ بِهَا وَخُمَارُ
بِهَا شَرِبْتُ مِنْ قَبْلِ عَوْفُ بْنُ عَامِرٍ ^(٢)	غَدَاةٌ دَعَتْهَا نَزْغَةٌ وَنِفَارُ
بِكُفِّ أَبِيهِ لَا يَكْفُ أَبِيكُمْ	فَرَاخَتْ وَفِيهَا ذُلَّةٌ وَصَغَارُ
وَإِنَّ أَبَا الْجَرَّاحِ فِيكُمْ وَقَوْمَهُ	كَمَا كَانَ فِي حَيٍّ ثَمُودَ قَذَارُ ^(٣)

مقتل محمد بن أحمد بمؤامرة غرير بن حسن وراشد بن عميرة

٦٠٣ هـ أسهم (غرير بن حسن بن شكر بن علي بن عبد الله العيونى) مع (راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة) وهو يومئذ شيخ عقيل بالبحرين صهر الأمير (محمد) في نسج مؤامرة ضد الأمير محمد، حيث اتفقا على الفتك به والتخلص منه وتسليم السلطة لغرير في مقابل حصول راشد على جميع الأموال الخاصة بالأمير محمد. وما زال ابن عميرة يتحين الفرص المؤاتية - ومعه غرير بن الحسن - لوضع خطة المؤامرة حيز التنفيذ حتى تمكن من اغتيال الأمير محمد وهو في طريقه بين صفوى والآجام في قلة من رجاله فانتقل الحكم بالقطيف إلى (غرير) وكان لمحمد من الأولاد ثلاثة: هم (فضل) و(علي) و(ماجد). ووفى غرير بن حسن لراشد بجميع ذلك ولم يبق للسلطان في جميع بساتين القطيف وأرضها قليل ولا كثير.

(١) الضوء اللامع للسخاوي، وراجع تحفة الأزهار لضاامن بن شذقم تحقيق كامل الجبوري ج ١ ص ٤٤٤، قال ابن خلدون: ((وجاء المدد إلى سالم من بني لام إحدى بطون همدان)).

(٢) [عوف بن عامر] يعني عامر ربيعة.

(٣) [قذار] هو الذي عقر ناقة ثمود.

محمد بن ماجد في الإحساء وغرير بن الحسن في القطيف

وبعد مقتل الأمير محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالله، استولى غرير بن الحسن بن شكر بن علي على مقاليد الحكم في القطيف كما استطاع الأمير محمد بن ماجد بن محمد بن أبي منصور علي بن عبدالله العيوني أن يستولي على الإحساء، واستقل بحكمها وذلك كله كان في سنة ٦٠٣هـ.

وقد أمر غرير بن الحسن بسجن الشاعر علي بن مقرب العيوني ومصادرة أمواله متهماً إياه بموالاته آل الفضل بن عبدالله العيوني وبعد فترة أفرج عنه فرحل الشاعر إلى البصرة وعاد سنة ٦٠٥هـ - ١٢٠٨م إلى الإحساء فامتدحه بقصيدته التي مطلعها: (خذوا عن يمين المنحنى أيها الركب لنسأل لذاك الحي ما صنع السرب). وأمل أن يرجع عليه ماله فلم يفعل فترح إلى العراق ثانية.

حرب الشريف قتادة لهوازن وثقيف

٦٠٣هـ في هذه السنة ذهب الشريف قتادة إلى الطائف لتأديب قبائل ثقيف وهوازن واستطاع إيقاع الهزيمة بهم^(١).

كرم الخليفة الناصر واحتفاؤه بالضيوف والفقراء

٦٠٤هـ في شهر رمضان: ((أمر الخليفة ببناء دور في المحال في بغداد ليفطر فيها الفقراء، وسميت دور الضيافة، يطبخ فيها اللحم الضأن، والخبز الجيد، عمل في جانبي بغداد وجعل في كل دار من يوثق بأمانته، وكان يعطي كل إنسان قدحاً مملوءاً من البطيخ واللحم، ومنأ من الخبز فكان يفطر في كل ليلة على طعامه خلق لا يحصون كثرة))^(٢).

عودة الشاعر ابن المقرب من العراق

٦٠٤هـ في هذه السنة كانت ((رحلة علي بن المقرب إلى العراق وكان محمد بن ماجد بن محمد بن علي بن عبدالله ملك الإحساء قد قبض عليه وجعله في مطمورة تحت الأرض وكان ذلك في عهد الأمير أبي القاسم مسعود بن محمد بن علي حين ملك الإحساء وبعد أن خرج من سجنه كان أكثر ثورة وحدة لتغيير واقعه وحين أحس أن الجميع تنكر له دفعته مرارة الاغتراب داخل وطنه إلى الرحلة خارجة إلى العراق.

فذهب إلى مدينة السلام وبعد أشهر معدودة عاد من تلك الناحية إلى البحرين بعد أن عمل في الأمير محمد بن ماجد القصيدة التي أولها (خذوا عن يمين المنحنى أيها الركب) وذلك سنة ٦٠٥هـ وطمع

(١) بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف للدكتور سليمان عبدالغني مالكي الرياض ص ٦٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج ١٢ ص ٢٧٨.

أن يرد عليه بستاناً من بساتينه فلما أنشده القصيدة وعده وعداً جميلاً، لذلك قال القصيدة التي أولها:
(أمن دمنة بين اللوى والدكادك).

وقعة بين العقيلات والأمير مسعود بن محمد ملك الإحساء

أشار شارح ديوان ابن المقرب، ولم يحدد تاريخ السنة إلى قصيدة قالها ابن المقرب في مدح أبي القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبدالله:

((له في الحرب التي جرت بين البدو وبين أهل الإحساء في زمان أبي القاسم - مسعود بن محمد ابن علي - يحض الأمير أبي القاسم وأولاده وجميع قبائل أهل الإحساء نزاريتها وقحطانيها على الحرب ويرغبهم في الصبر ويقبح عليهم الخضوع للعدو. وكان أهل الإحساء قد قتلوا رجلاً من البدو من العقيلات^(١)، يقال له شكر بن مفرج بن حجاج بن غفيلة وكان قد أكثر التلصص والفساد والتعرض للمساكين من الأكارين والضعفاء فإن لحق عند أحد منهم حماراً عقره، أو رأى عليه ثوباً سلبه أو شيئاً مقدار نصف الحبة والذرة أخذه منه. ففي بعض تلصصه وتعرضه طلعت عليه خيل أهل البلد فقتلوه فقامت أهله وقامت عامر معهم على الأمير أبي القاسم وطالبوه بديته، فلان لهم في ذلك فأنكرت أهل الإحساء عليه ذلك وقالوا: هذا الشيء لا نقره ولا نصبر عليه فحيثئذ قامت الحرب على ساقها وتسهل من الأسباب النحسة أن أقواماً من أهل البلد دبروا للبدو تديراً قواهم على البلد وأعانهم على أهلها))^(٢).

وفيما يلي القصيدة التي قالها شاعرنا في هذه المناسبة وسأختار منها بعض الأبيات:

- ٢- أَمَا حَانَ يَا فَرْعِي رَيْبَعَةً^(٣) أَنْ أَرَى بِنَاتِ الْوَعَى يَعْلُو الرُّوَابِي قَتَامُهَا
١٠- سَلُّوا عَنْ مُلُوكِ مِنْكُمْ هَلْ أَفَادَهَا قُمُودُ عَقِيلٍ بَعْدَهَا أَوْ قِيَامُهَا
١١- وَهَلْ دَفَعَتْ عَنْ مَاجِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ جِلُّهَا وَحَرَائِمُهَا
١٢- وَهَلْ طَلَبَتْ ثَارَ ابْنِ شُكْرِ وَهَلْ حَمَى أَبَا مَاجِدٍ خَطِيئَتُهَا وَحُسَامُهَا
١٣- وَهَلْ عَنْ غَرِيرٍ طَاعَنْتُ بِهِ اخْتَوْتُ مُنَاهَا وَبِالْبَحْرَيْنِ جَارَ اخْتِكَامُهَا

((كل هؤلاء ملوك البحرين من نسل عبدالله بن علي وهم أكثر من مال إلى البدو وأمكنهم من البلاد وأعطاهم أملاك خزائن ملوكها وأملاك أهلها ودفع إليهم قوتها من فرس ودرع ومغفر وسيف اعتماداً عليهم وركوناً إليهم فلم يكن سبب هلاك دولتهم غيرهم)).

(١) يقصد أن العقيلات هم بنو غفيلة، أو ربما أن غفيلة نصيف لعقيلة، وهم من بني (عقيل بن عامر) بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ومنهم: مانع بن عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة هذا بن (عامر). وبين عامر بن نباة وبين عقيل بن عامر مقدار سبعة آباء تقريباً والله أعلم.

(٢) ديوان ابن المقرب طبعة مؤسسة البابطين ج ٢ ص ٧٧١.

(٣) فرعاً ربيعة: وائل وعبد القيس. وبنات الوعى: الخيل.

انتزاع الفضل بن محمد القطيف بدعم الخليفة وبعض القبائل

٦٠٦هـ في هذه السنة تمكن الأمير فضل من الانتقام لأبيه المقتول في سنة ٦٠٣هـ واسترد حكم والده على القطيف، فقد قام بمكاتبة الخليفة الناصر العباسي (٥٧٢-٦٢٢هـ) فأمدّه بالمال والذخيرة والمنجنقات وبالرجال المدربين على الأسلحة المتنوعة بينهم قوم يرمون بالسهام وآخرون يزرقون بالنفط.

الأمير فضل يعقد صلحاً مع صاحب جزيرة قيس

وفي سبيل إنجاح خطته فقد اتّصل الفضل بن محمد بن أحمد بن الفضل بحاكم جزيرة قيس من أجل مدّه بالرجال والعون لعلمه أنه على صلة وثيقة بأمير المؤمنين في بغداد الذي بارك لهما تعاونهما واتفاقهما، وقد نصّت الاتفاقية على أن يكون لحاكم جزيرة قيس الأمير غياث الدين ابن الأمير تاج الدين جمشيد كل من^(١):

- ١- جزيرة أكل (ويقال لها كاوان) ومقاسمها وبرها وبحرها وخراجها وما يتعلّق بها.
 - ٢- جزيرة الجارم وما يتعلّق بها (والجارم جبل أسود قريب من أوال يقيم به الغواصون الشهر).
 - ٣- جزيرة الطيور وهي قوارة وقتان (وهما جزيرتان تسميان في الوقت الحالي بالربض).
 - ٤- آدم المدبغة ما خلا مائتي جلد.
 - ٥- ما في ظهر الحورة وظهر سماهيج (جزيرة بين البحرين وعمان) من مساكر السمك إلى المروزان (ساحل بني مروان).
 - ٦- خمسمائة دينار في كل سنة لملك قيس.
 - ٧- أن يكون الخراج والمقاسم والنخيل والخاصة والحلقة وطراز الغاصة والطير والطيارات (أي المظلات التي تقام في أماكن معروفة للبيع والشراء ولعلها الدحل الذي تصطاد به الطيور العابرة)، والعشور بين ملك قيس وملك العرب نصفين.
 - ٨- أن يكون لقيس من مقاسم تاروت الحسيني والحسائي ومقسم القصر.
 - ٩- من مقاسم القطيف بستان القصير وبستان المعشري ودالية الدار والدار والفائدة ونصف طراز الغاصة الذين هم ليسوا من أهل القطيف وخمسة وثلاثون بهاراً من الخراج لملك قيس زيادة على النصف عوضاً عن بستان المصفاة التي في الإحساء.
- وكانت اتفاقية الصلح التي عقدها الفضل مع حاكم جزيرة قيس سنة ٦٠٦هـ مجحفة ولم يرد بها أهل الإحساء.

ثم انحدر الفضل من بغداد وسار إلى القطيف وسار معه خاله (الحسين بن مقداد بن سنان بن عقيلة

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص ٣٠٥.

ابن شبانة بن قديمة) بمن تبعه من عامر وغيرها، فعمد إلى استمالة القبائل حتى كثر أتباعه فزحف على مدينة القطيف فحالفه قوم من أهلها فملكها بعد حرب دامت أشهراً، وقتل غريراً الذي لم يتمتع بالحكم سوى سنة واحدة وتبع قتلة أبيه فأعدم أكثرهم.

وكان للشاعر علي بن المقرب مساهمة في نقل المؤن من بغداد إبان تلك الحملة، ففي سنة ٦٠٦هـ انحدر ابن المقرب من العراق ومعه الخزانة التي كان أعان بها الخليفة الناصر لدين الله الأمير فضل بن محمد بن أبي الحسين على حرب القطيف، وكان قد أتاه إلى بغداد يستمده. وعند وصول ابن المقرب إلى أرض من أرض القطيف بالبحرين تسمى فان، ويقال فان وأفان بلغه خبر قتل ابن عمه مذكور بن عبدالله بن منصور وكان قد قتله رجل من الحريش سنة ٦٠٦هـ^(١). وقد قال علي بن المقرب وهو في العراق سنة ٦٠٥هـ:

وَلَوْلَا بَنَاتُ الْعَامِرِيَّة لَمْ أَكُنْ لِأُلَوِي إِلَى دَارِ الْمَذَلَّةِ جَانِبَا
وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِنَّ أَنْ أَرَى بِهِنَّ عَدُوًّا مَالَهُ كَانَ طَالِبَا

كأنني بالشاعر علي بن مقرب قد حضر لديوان الخليفة العباسي، عندما كان الأمير فضل موجوداً في حضرة الخليفة الناصر وربما كان له دور ما في إقناع الخليفة العباسي بقضية الأمير فضل العادلة وطلب المساعدة ومد يد العون له لاستعادة عرش والده الذي سلب منه غدرًا، هذا إن لم يكن طلبه مشفوعاً بقصيدة شعرية غير خالية من أغراض المدح والحماسة وأن التاريخ فقدتها فلم تصلنا، والله أعلم.

٦٠٧هـ وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوة، ويلبسوا له سراويلها، وأن يتسبوا إليه في رمي البندق ويجعلوه قدوتهم^(٢).

شذائذ جرت على الحجاج في مكة المكرمة

٦٠٨هـ ((وفي هذه السنة نهب الحجاج في منى وسبب ذلك أن باطنياً وثب على بعض أهل الأمير قتادة صاحب مكة فقتله بمنى ظناً منه أنه قتادة، فلما سمع قتادة ذلك جمع الأشراف، والعرب والعبيد وأهل مكة وقصدوا الحجاج ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك، وكان أمير الحجاج ولد الأمير ياقوت المقدم ذكره وهو صبي لا يعرف كيف يفعل خاف وتحير وتمكن أمير مكة من نهب الحجاج فنهبوا منهم من كان في الأطراف وأقاموا على حالهم إلى الليل.

فاضطرب الحجاج وباتوا بأسوأ حال من شدة الخوف من القتل والنهب. فقال بعض الناس لأمير الحجاج ليستقل بالحجاج إلى منزلة حجاج الشام، فأمر بالرحيل فرفعوا أثقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدو فيهم وتمكن من النهب كيفما أراد فكانت الجمال تؤخذ بأحمالها والتحق من سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم، ثم رحلوا إلى الزاهر ومنعوا من دخول مكة ثم أذن لهم في ذلك، فدخلوا

(١) ديوان ابن المقرب ط.م. الباطين ج ٢ ص ١٠٤١.

(٢) تاريخ أبي الفدا.

وتمموا حجهم وعادوا. ثم أرسل قتادة ولده وجماعة من أصحابه إلى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والأكفان فقبلوا العتبة واعتذروا مما جرى على الحجاج^(١).

طلب الخليفة الناصر حضور الشريف قتادة ثم إرساله جيشاً لمكة

٦٠٩ هـ وفيها: أرسل الخليفة الناصر لدين الله في بغداد إلى قتادة مალأ وخلصاً وطلب إليه الشخوص إلى بغداد، فتوقع الشر قتادة وأبى أن يستجيب دعوة الخليفة وكتب إليه يقول في قصيدة طويلة:
وَلِي كَفُّ ضَرْغَامٍ أَذْلٌ بِبَسْطِهَا وَأَشْرِي بِهَا عَزُّ الْوَرَى وَأَبِيعُ
الآيات المعروفة...

فغضب الخليفة وكتب إليه: (أما بعد فإذا نزع الشتاء جلبابه ولبس الربيع أثوابه قابلناكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنخرجكم منها أذلة وأنتم صاغرون) ولما تسلم قتادة إنذاره أعد نفسه لمواجهة الشدائد وكتب إلى بني عمه آل المهنا في المدينة يحثهم على مناصرته ويذكرهم بجامعة القربى، ومما كتبه:

بَنِي عَمَّنَا مِنْ آلِ مُوسَى وَجَعْفَرٍ وَآلِ حُسَيْنٍ كَيْفَ صَبَرُكُمُ عَنَّا
بَنِي عَمَّنَا إِنَّا كَأَفْنَانٍ دَوْحَةٍ فَلَا تَثْرُكُونَا يَجْتَنِي الْقَنَا مِئًا
إِذَا مَا أَخْ أَخْلَى أَخَاهُ لَاكِيلًا!! بَدَا بِأَخِيهِ الْأَكْلَ ثُمَّ بِوَثْنِي

وفي عام ٦١٠ هـ أنجزت بغداد وعيدها فأرسلت جيوشها إلى المدينة وكان آل المهنا عند ظن قتادة بهم فقد قاوموا المهاجمين وكسروهم فما لبثت بغداد أن قنعت بما حدث واقتنعت بقوة قتادة واستأنف الخليفة معه العلاقات الودية وأقطعه قرى متعددة^(٢).

مسير الشريف قتادة إلى المدينة المنورة وانهمامه

٦١٢ هـ ((زحف قتادة إلى المدينة وحاصرها وأباد كثيراً من نخلها وكان سالم بن المهنا لا يزال في صحبة صاحب حلب - الملك عيسى بن العادل الأيوبي - في رجوعه إلى الشام فدافع أصحابه عن المدينة حتى هزموا قتادة إلى وادي الصفراء - في طريق المدينة من ينبع - ثم انتهت الأخبار إلى أمير المدينة بالشام فغادرها مسرعاً إلى المدينة وبهذه المناسبة أبدى صاحب حلب ما أسره لقتادة فقد جهز جيشاً عظيماً من التركمان وأرسله بصحبة أمير المدينة ليعينه على قتال قتادة وقد اتصل جيش سالم بوادي الصفراء فهزم قتادة هزيمة نكراء وغنم من أمواله وسلاحه شيئاً كثيراً وأسر من جيشه عدداً كبيراً سيره إلى دمشق وكان في الأسرى كثير من الأشراف الحسينيين ومثلهم من الحسينيين وقد دفعوا إلى بعض أشراف دمشق ليكفلوهم ويشاركوهم في حصصهم من أوقاف الأشراف^(٣).

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج ١٢ ص ٢٩٧.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ م ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٨.

وحصل لحמיד بن راجب من الغنیمة - التي كسبها من هزيمة الشریف قتادة - ما یزید على مائة فرس وهو واحد من جماعة كثيرة من العرب الطائيين^(١).

إيقاع الشریف قتادة بقبيلة ثقیف بالطائف

٦١٣هـ في جمادى الأولى صعد الشریف قتادة صاحب مكة للطائف لحرب ثقیف فظهر قتادة على ثقیف، فقتل جماعة من مشايخ ثقیف بدار بني یسار من قرى الطائف ونهب الجيش البلاد ففقد كتاب النبي ﷺ لأهل الطائف وكان عند شيخهم حمدان الثقفي العوفي. وفر من ثقیف طائفة وتحصنوا في حصونهم فأرسل إليهم قتادة يستدعيهم للحضور إليه ويؤمهم، وتوعدهم بالقتل إن لم يحضروا، فتشاورت ثقیف في ذلك ومال أكثرهم إلى الحضور عنده.

٦١٥هـ ((ملك جزيرة قيس)): قرر على نفسه نصف دخل جزيرة قيس للخليفة في بغداد، وكان في الجزيرة عامل للخليفة وعامل لصاحب كيش^(٢).

رحيل المنتفق من بلاد العراق إلى الإحساء والقطيف وعودتها

قال النبهاني: وظلت عشائر المنتفق في البطائح إلى سنة ٦١٦هـ - ١٢١٨م حيث حصل منهم ما كدر صفاء الأمن والراحة، فوجه الخليفة الناصر لدين الله نحوهم جنوده تحت قيادة الشریف معد المتولي على بلاد واسط يومئذ فسار لقتالهم...، حتى التقى معهم في موضع يعرف بالمقير وهو تل كبير بالبطيحة قرب الغراف على مسافة ١٠ أميال جنوب الناصرية.

وكان رئيس المنتفق يومئذ معلى بن معروف وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار عشائر المنتفق، وظعنهم من أماكنهم واضطرارهم إلى الجلاء من البطائح فذهبوا نحو الإحساء والقطيف ليستوطنوا فيها فما تمكنوا من البقاء لكثرة أضدادهم هناك. فعادوا نحو البصرة وطلبوا من متسلمها بأن يکاتب وزارة بغداد بالعفو عنهم ليعودوا هادئين...، فكتب لهم بذلك وسيرهم مع أصحابه إلى بغداد ليعرضوا الخضوع...، فلما قاربوا واسط لقيهم قاصد من الوزارة يقود سرية ومعه الأوامر بمقاتلتهم وعدم الإذن لهم بالدخول إلى العراق فتحاربوا معه حتى تفوقوا عليه وغنموا منه بعض الأسلحة فتمكنوا بها من احتلال البطيحة وذلك عام ٦١٧هـ وقيل ٦١٨هـ وعاد جميع بني معروف وقوي أمرهم فيها^(٣).

(١) إتحاف الوری بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فہیم شلتوت جامعة أم القرى ط ١/ ١٩٨٣ ج ٣ ص ٢١.

(٢) صفة بلاد اليمن لابن المجاور ص ٣٢٧.

(٣) التحفة النبهانية. ويروي ابن الأثير أن الخليفة الناصر لدين الله في شهر ذي القعدة سنة ٦١٦هـ أصدر أوامره إلى الشریف (معد) متولي بلاد واسط بأن يتوجه إلى قتال بني معروف فاستعد لذلك بعدما جمع الجيوش من تكريت وهيت والحديثة والأنبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة. وكان عددهم كبيراً، وكان على رأس بني معروف - وهم قوم من ربيعة - زعيمهم المعلى بن معروف. انظر: موسوعة البصرة الحضارية - جامعة البصرة.

وقعة ربيعة بن نزار مع المنتفق

في حدود هذه السنة (٦١٦هـ) كانت هناك وقعة بين المنتفق والعيونيين عندما حلوا في أرضهم لاجئين. فمما ذكر في شرح ديوان ابن المقرب: أنه لما أطال أمير الإحساء محمد بن ماجد على ابن المقرب المطل في إعادة حقوقه المصادرة، وخاف على نفسه خرج إلى القطيف، ووالها فضل بن محمد، وامتدحه بقصيدتين فلم يحظ منه بطائل، وقد تضمنت إحدى هاتين القصيدتين ذكر وقعة لربيعة مع المنتفق بقيادة رئيسهم المعلى بن معروف فأوردناها لتوثيق هذه الوقعة، فهو يقول:

مِنْ بَغْدٍ مَا جَمَعَتْ عَقِيلَ كَيْدَهَا	بِالرَّأْيِ مِنْ عُقَالِهَا وَعُوَاتِهَا
وَدَعَتْ بِأَهْلِ السَّيْبِ فَانْتَدَبَتْ لَهَا	مِنْ شَطِّ دِجْلَتِهَا وَشَطِّ قُرَاتِهَا
تَثْلُو الْمُعَلَّأَ حَيْثُ سَارَ وَإِنَّهُ	لِلْفَارِسِ الْوَلَّاجِ فِي غَمَرَاتِهَا
فَتَكَنَّفَتْ أَهْلَ الْقَطِيفِ بِخَيْلِهَا	وَرِمَاحِهَا وَقِسِيَّهَا وَرُمَاتِهَا
تَثْلُو لِيَوَائِكَ مِنْ رَبِيعَةٍ عُضْبَةٍ	تَخْشَى الْأَسْوَدُ الْغُلْبُ مِنْ سَطَوَاتِهَا
تَرَكْتُ نِسَاءَ السَّيْبِ تَبْكِي حَسْرَةً	لِوَلَاتِهَا وَتُطِيلُ مِنْ وِلَاتِهَا

وفي هذا الخصوص يقول ابن المقرب في قصيدة أخرى:

٢٨- سَلِ الْخَائِنَ الْجَدَّيْنِ مَعْرُوفَ هَلْ رَأَى بِهَا خَوْرًا وَالْحَرْبُ تَهْفُو عِقَابُهَا
٢٩- أَتَى مِنْ بِلَادِ السَّيْبِ يُرْجِي كَثَائِبًا تَضِيئُ بِهَا مِنْ كُلِّ أَرْضٍ رِحَابُهَا
قيل إن بني معروف قوم من ربيعة وشيخهم معروف المتفقي، وأما بلاد السيب فهي نهر بخوارزم والبصرة وآخر في ذنابة الفرات.

الإطاحة بالأمير فضل بن محمد وتنامي قوة بني عامر

قام علي بن ماجد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل سنة ٦١٦هـ ثائراً على الأوضاع السيئة التي انتهت إليها الدولة، وأطاح بمساعدة العمائر بعمه الفضل بن محمد الذي لم يوفق في انتهاج سياسة والده الحازمة تجاه مراكز القوى على الصعيدين الداخلي والخارجي. ففي المجال الداخلي أفسح المجال لقوة بني عامر بالتنامي ولنفوذهم بالاتساع لما كان يتبعه معهم من سياسة متسامحة وكرم عظيم فأصبح زعمائهم في جملة الصفوة المقربين إليه حتى أصبح طوع بنانهم لا يرد لهم طلباً ولا يمنعهم من أمر فأغدق لهم الهبات وأجزل لهم العطايا كما أقطعهم الأراضي الشاسعة والعيون الجارية وكذلك المراكب التجارية. يقول ابن المقرب عن أراضي بني عامر التي استولوا عليها وبسطوا عليها نفوذهم:

أَخَذُوا مِنَ الْإِحْسَاءِ الْكَثِيبَ، إِلَى مُحَادِيثِ	الْعَيُونِ إِلَى نَقَا حُلُوانِ
وَالْخَطِّ مِنْ صَفْوَاءِ حَاذِوْمَا فَمَا	أَبْقَوْا بِهَا شَبْرًا إِلَى الظُّهْرَانِ

والبحر فاستولوا على ما فيه من صيد إلى در إلى مرجان
وأمن شيء للقلوب قطائع بالمروزان لهم وكرزكان

وبعد عشرة أعوام من حكم الفضل قام (بنو عقيل) بإرغامه على التنازل عن الحكم والخروج من القطيف وأوال وأقاموا مكانه في حكمها أبا شكر مقدم بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين أحمد من عام ٦١٦هـ إلى سنة ٦٢٠هـ، ولاقت هذه الثورة صدًى طيباً عند ابن المقرب فقال مادحاً الأمير علي بن ماجد حاكم الأحساء:

يَفْدِيكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ مَعَاثِرُ ظَهَرُوا.. وَلَكِنْ عِنْدَمَا ظَهَرُوا عَبُّوا
إِنْ يُمْدَحُوا غَضِبُوا عَلَى مُدَاحِهِمْ خَوْفَ الْجَزَاءِ وَإِنْ يُهْجَرُوا لَمْ يَغْضَبُوا

وفاة الشريف قتادة واستيلاء ابنه حسن على الإمارة

٦١٧هـ ((الشريف قتادة سير جيشاً إلى المدينة على رأسه أخوه وابنه حسن، فلما كان الجيش في بعض الطريق بوادي الفرع اجتمع أخو قتادة برؤساء الجيش وأخبرهم بأن قتادة مريض وطلب إليهم أن يعاهدوه على الإمارة فلما بلغ ذلك حسن بن قتادة دخل على عمه فقتله، فلما اتصلت الأخبار بقتادة عزم على قتل ابنه قوداً في أخيه، فعلم حسن بذلك فعاد إلى مكة ودخل بيت أبيه سرّاً وهو مريض فقضى عليه خنقاً ثم أذاع موته ونادى بنفسه أميراً على البلاد وذلك في سنة ٦١٧هـ))^(١).

تنصيب مقدم بن غرير أميراً بعد هروب علي بن ماجد

٦١٨هـ في هذه السنة تم تنصيب الأمير مقدم بن غرير بن الحسين بن شكر بن علي بن عبدالله بن علي حاكماً على الأحساء بمساعدة إبراهيم بن عبدالله بن أبي جروان أحد رؤساء بني عبدالقيس، فعند وصول ابن المقرب إلى مدينة القطيف بعث بقصيدة إلى ابن أبي جروان بالأحساء يندد فيها بأعمالهم فلقد ساء ما قام به ابن أبي جروان بمؤامراته في محاولة القبض على الأمير علي بن ماجد الذي اضطر للهرب من البلاد:

أَرْجَالُ عَبْدِ الْقَيْسِ كَمْ أَدْعَوْكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ لِلْعُلاَ وَأَوَانٍ
ذَرُّوا التَّحَاوُدَ وَالتَّنَافُسَ بَيْنَكُمْ فَكَلَاهُمَا نَزْعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
لَمْ يَبْقَ مَالٌ تَتَّقُونَ بِهِ الْعِدَى لِرَبِيعَةٍ فِيهَا وَلَا قَحْطَانٍ
أَخَذُوا مِنَ الْإِحْسَاءِ الْكَثِيبَ إِلَى مَحَادِيثِ الْعَيُونِ إِلَى نَقَا حُلْوَانٍ
وَالْحَسْطَ مِنْ صَفْوَاءِ حَاذِوْهَا فَمَا أَبْقَوْا بِهَا شَيْبَرًا إِلَى الظُّهْرَانِ
وَالْبَحْرَ فَاسْتَوْلُوا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ صَيْدٍ إِلَى دُرٍّ وَمَرْجَانٍ

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ ص ٢٣٠ عن: إفادة الأنام مخطوط.

أَتُرَاكَ تَرْضَى أَنْ يُحَدِّثَ جَاهِلٌ
فَيَقُولَ كَانَ خَرَابٌ دَارِ رَبِيعَةٍ
يَأْبَى لَكَ الطَّبَعُ الْكَرِيمُ وَتَخْوَةٌ
أَوْ عَالِمٌ مِنْ نَازِحٍ أَوْ دَائِي
بَعْدَ الْعِمَارِ بَنُو أَبِي جَرَوَانٍ
عَرَبِيَّةٌ شَهِدَتْ لَهَا الثَّقَلَانِ

لما تولى الحكم الأمير مقدم لم يمتدحه الشاعر ابن المقرب ((لرداءة طرائقه)) وخرج عن قرب قاصداً العراق وقد كان وروده الموصل سنة ٦١٨هـ وقال:

وَكَيْفَ مُقَامِي بَيْنَ أَوْبَاشِ قَرْيَةٍ
بَنِي عَمٍّ مِّنْ أَمْسَى كَثِيرًا سَوَامُهُ
وَأَعْدَاءُ مَنْ غَالَتْ يَدُ الدُّغْرِ مَالُهُ
أَرَى الرَّأْسَ فِيهَا مَنْ كَانَ أَسْفَلَ
وَإِنْ كَانَ أَذْنَى مِنْ هَتِيمٍ وَأَزْدَلَا
وَإِنْ كَانَ أَسْرَى مِنْ قُرَيْشٍ وَأَنْبَلَا

ويبدو أن مقدم بن غرير العيوني قدّم أقواماً وآخر آخرين، ومن بين الذين قدمهم وأطعمهم قبيلة هتيم التي كان ابن المقرب يحتقرها في شعره حيث يقول:

فَلَا تُطْمَعِ الْأَوْبَاشُ فِينَا فَلِئَنَّا
فَإِنَّ هَتِيمًا لَوْ حَوَتْ مَالَ حَاتِمٍ...
وَمِنْ حَرْقِي أَشْنَانٍ وَخَصْفِ نِعَالِ

يذكر أن الأمير مقدم بن غرير قد نشأ نشأة بدوية جاهلاً بشؤون السياسة حيث استغله رؤساء العشائر فأطلق لأيديهم العنان يتحكمون في مقدرات الشعب.

إمارة ابني معن بن شبيب على القطيف وأوال

٦٢٠ هـ في هذا العام توفي أبو شكر مقدم بن ماجد بن محمد بن أبي الحسين أحمد. وبعد وفاته تولى مكانه في ملك القطيف وجزيرة أوال الأمير فاضل وجعفر ابنا معن بن شديد بن جعفر بن الفضل بن عبدالله بن علي العيوني^(١).

وقيل: قتل مقدم بن غرير بن أحمد وتولى الحكم فاضل بن معن بن شبيب بن جعفر بن الفضل ودام حكمه ثلاث سنوات أي إلى سنة ٦٢١هـ وتولى من بعده أخوه جعفر بن معن.

وفاة الخليفة الناصر العباسي وخلافة ابنه الظاهر بأمر الله

٦٢٢هـ قال أبو الفدا في تاريخه: في أول شوال من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله وكانت مدة خلافته (٤٧ سنة) وعمي في آخر عمره...، وهو (الإمام الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء حسن...)، وكان عمر الإمام الناصر نحو سبعين سنة وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم خرب في أيامه

(١) تاريخ الإمارة العيونية للملا.

العراق وتفرق أهله في البلاد وكان يتشيع وكان منصرف الهمة إلى رمي البندق والطيور المناسب ويلبس سراويلات الفتوة ومنع رمي البندق إلا من ينسب إليه فأجابه الناس إلى ذلك إلا إنساناً واحداً يقال له ابن السفث وهرب من بغداد إلى الشام... ((وتولى ابنه الظاهر بأمر الله محمد فأظهر العدل وأزال المكوس وأخرج المحبوسين ومدته تسعة أشهر)).

اتهام الناصر في أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد

قال ابن الأثير بحق الخليفة الناصر: ((كان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً، فخرّب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أملاكهم وأموالهم، وكان يفعل الشيء وضده..... وكان سبب ما ينسبه العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد، وراسلهم في ذلك، فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم))^(١).



(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج ١٢ ص ٤٤٠.



(١) وكان مولده بالحميمة في جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ. (يكون سنه ٢٨ سنة) فكانت خلافته عشر سنين وخمسة =

وفاة الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله وخلافة ابنه المستنصر بالله

٦٢٣هـ في ١٤ رجب: توفي الإمام الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله، فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، ولما توفي بويح بالخلافة ابنه الأكبر أبو جعفر المنصور ولقب المستنصر بالله (٥٨٨هـ - ٦٤٠هـ)، وسلك في الخير والإحسان إلى الناس سيرة أبيه، وأمر فنودي ببغداد بإفاضة العدل وإن كان له حاجة أو مظلمة يطالع بها، تقضى حاجته، وتكشف مظلمته^(١).

ولاية محمد بن مسعود بن أحمد ومقتل محمد بن ماجد بن محمد بن أحمد

٦٢٣هـ ((تولى الحكم الأمير عماد الدين أبو علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين (أحمد) بن أبي سنان (محمد) بن الفضل بن عبدالله العيوني. ولعل الفضل في اختياره يرجع إلى أخواله من (بني عقيل) وأخويه (الحسن والحسين) الذين لا بد أنهم أدركوا مدى تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في الإحساء. وما إن تسلم سلطنة البلاد حتى تطلعت نفسه إلى توحيدها. فسار على رأس جيش كثيف إلى القطيف، واحتلها وزحف إلى جزيرة أوال وبسط نفوذه عليها سنة ٦٢٣هـ))^(٢).

قال ابن المقرب يمدح الأمير أبا علي محمد بن مسعود بن أبي الحسين أحمد بن أبي سنان محمد ويستعطفه ويذكره الأرحام والقربات التي بينه وبينه، ويرأى إليه من أمور كانت أقوام من اليمن قد كذبوها ونقلوها عليه يريدون به هلاكه ومحو آثاره ويذكره ما كان جرى عليه وما كان في سبب محبته لآل فضل وميله إليهم من السجن ونهب الدار واستهلاك الأموال من راسية وماشية وصامت وناطق:

١- صُعُودُ الْعُلَا إِلَّا عَلَيَّكَ حَرَامٌ وَعَيْشٌ سِوَى مَا أَتَتْ فِيهِ حُمَامٌ
٦٩- أَلَيْسَ أَبِي فِي الْإِنْتِسَابِ أَبُوكُمْ عَلَى أَنِّي عَبْدٌ لَكُمْ وَغُلَامٌ

مركز بحوث التراث والدراسات الإسلامية

= وأربعين يوماً. وكان أسمر طويلاً معتدل الخلق جعد الشعر بعينه اليمنى نكتة بياض، وتزوج ربيعة بنت السفاح وأولدها علياً وعبيداً... وكان يتبع الجواري وأول من حظي منهن عنده رحيم ولدت له العباسة، ثم الخيزران فولدت له موسى وهارون.

(٢) ٢٤٧هـ قتل جماعة الخليفة العاشر المتوكل على الله بالليل على يد الأتراك باتفاق مع ابنه المستنصر بالله وبغا الصغير الشرايبي.

وقتل في مجلس شرايبي وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان، وعمره نحو أربعين سنة وكان أسمر خفيف العارضين.

(٣) ولد ٢٢٢ بويح ٢٤٧ ت ٢٤٨هـ.

(٤) ت ٦٢٢هـ، وأم الناصر أم ولد تركية اسمها زمرد وكانت خلافته (٤٦ سنة و ١٠ أشهر..). وكان عمره (٧٠ تقريباً).

(٥) أول الخلفاء العباسيين في مصر.

(٦) ولد ٥٨٨ وبويح ٦٢٣ ت ٦٤٠هـ.

(٧) آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، قتله التتار سنة ٦٥٨.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير دار صادر بيروت ج ١٢ ص ٤٥٦.

(٢) تاريخ الإمارة العيونية للملا.

- ٧٠- أَمَا اجْتَبَيْحَ مَالِي فِي هَوَاكُمُ وَأَشْهَرْتُ
 ٧١- فَرَاغُوا ذِمَامِي قَدَرُ ظَنِّي فَكُلُّنَا
 ٧٢- فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُزَمَّ زَكَائِبِي
 ٧٣- فَخَيْرٌ مِنَ الْإِحْسَاءِ إِنْ دَامَ عَثْبُكُمْ
- بِذَا السُّجْنِ عَيْنِي وَالْعُيُونُ نِيَامُ
 صَدَى عَنْ قَرِيبٍ فِي الثُّرَابِ وَهَامُ
 وَيُضْهِحُ كَبِدُ بَيْنِنَا وَسَنَامُ
 أَشْيَى وَوَادِي مَلْهُمَ وَنَعَامُ

وأخبر شارح الديوان أن كبد وسنام: موضعان قريبان من البصرة، وأن أشي وملهم ونعام: من قرى اليمامة ثم قال: و((هي في وقتنا هذا خراب غير مسكونة)).

إغارة غزية البطين على بلد حمص

٦٢٤هـ في شهر جمادى الآخرة: ((أغار العرب وهم غزية البطين^(١) وغيرهم على بلد حمص وأخذوا حتى غنم أهل البلد. فوقع الصوت وركب العسكر وتبعوا العربان إلى معظم الطريق، وكان فيهم قوة ومنعة لكثرتهم فعاد عنهم بمراسلة جاءت بينهم وذلك توفيقاً من الله^(٢))).

استيلاء ملك هرمز على جزيرة قيس

في يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الآخرة ٦٢٦هـ قتل الملك سلطان قوام الدين بن قيصر آخر ملوك جزيرة قيس من بني قيصر على يد حاكم جزيرة هرمز سيف الدين بانضر فضمها إلى ممتلكاته، وكان ذلك بتحريض من حاكم فارس الأتابك سعد بن زنكي بعد أن أمده بالمساعدات العسكرية والمالية، ثم قام سيف الدين حاكم هرمز والوريث الشرعي لجزيرة قيس بإرسال عماله إلى العيونيين لتحصيل عوائد بلاد البحرين بأنفسهم^(٣).

استيلاء الأمير منصور على القطيف وأوال بعد الأمير محمد بن مسعود

٦٢٦هـ هب الأمير (منصور بن علي بن ماجد) من سلالة الأمير (علي بن عبدالله العيوني) لمحاربة مسعود وإخوته وانتزعوا القطيف وأوال من يدهم حينذاك اقتضت سلطة الأمير محمد بن مسعود على الإحساء فقط، وكان ذلك سنة ٦٢٦هـ^(٤) وقيل تم ذلك في سنة ٦٢٧هـ فقد انتزع منصور بن علي بن ماجد السلطة في القطيف وأوال من قبضة محمد بن مسعود بعد أن تمكن من قتل أخويه ((الحسن والحسين)) وذلك في أوائل سنة ٦٢٧هـ ولم يتمتع بحكمه سوى بضعة أشهر حيث نجح محمد بن محمد بن ماجد في إخراجه من القطيف والاستيلاء عليها، وظل الأمير منصور بن علي بن ماجد يحكم إلى سنة ٦٣٠هـ.

(١) في صبح الأعشى نقلاً عن الحمداي: غزية بن أفلت بن ثعل بن عمرو بن سلامان بن ثعل بن الغوث بن طئ من البطين وأفخاذهم آل دعيج وآل روق وآل رفيع.

(٢) من التاريخ المنصور: تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان تأليف أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الأموي الملقب بالأصيل ط ١٩٨١.

(٣) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٣٠٨.

(٤) تاريخ الإمارة العيونية لعبد الرحمن الملا.

دخول الأمير محمد بن محمد بن ماجد للقطف والنداء به ملكاً

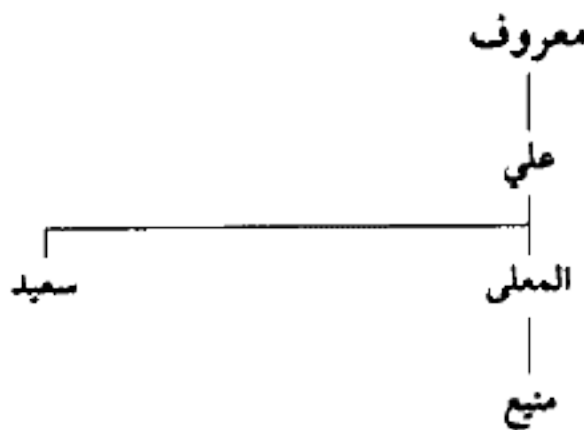
نجح الأمير محمد بن محمد بن ماجد العيوني بإعداد جيش كثيف من رجال البادية بمساعدة أخواله من آل المفدى وعلى رأسهم (غزوان وحسين) فتحرك من الموضع المعروف بالشواجن شمالي الإحساء آخذاً الطريق إلى القطف فدخلها في الضحى ونودي به عصراً ملكاً بعد الأمير منصور.

لجوء اثنين من رؤساء آل معروف إلى عامر بالبحرين

قال ابن المقرب يمدح الأمير شمس الدين باتكين أمير البصرة (في سنة ٦٢٧هـ) وذلك عند قتاله لبني معروف ونصره عليهم:

(سلوا عن مواضيه منيعاً وعمه... فقد خبراها بعدما اختبراها)^(١)

وفي الشرح قال: ((يعني منيع بن المعلى بن معروف، وعمه: يعني سعيد بن علي بن معروف.... وذلك أن الأمير شمس الدين باتكين كان سار إلى القوم الذين يسكنون السيب، وأولاد معروف: هم أمراؤهم وأهل الرئاسة فيهم، وكانوا قد عتوا وتمردوا وقطعوا الطريق وأخربوا كثيراً من سواد واسط وغيرها، وأكثروا القتل والنهب في السواد، فبعث الديوان لهم عسكرياً بعد عسكر فيه الأمراء والجند، فبهزمونه ويقتلون فيه خلقاً كثيراً، فلم يشعروا به حتى بلغهم في أرضهم، فقتلهم قتلاً ذريعاً، وسبى النساء والذراري، واجتاح الأموال، ولم يفلت منهم إلا القليل، وكان فيمن أفلت سعيد بن معروف، وابن أخيه منيع بن المعلى في نفر قليل، والتجؤوا إلى عامر، ونزلوا عليهم بالبحرين مدة يسيرة، ثم إنه ما زال يعمل في تحصيلهم حتى حصلهم غير منيع بن المعلى، وقتلهم في ساعة واحدة في طريق واسط وكان قد تقدم إليه الديوان يريد أن يسيرهم إلى بغداد)).



(١) ديوان ابن المقرب ط الباطين ٢٠٠٢م ج ٢ ص ١١٦٢.

خضوع جزيرة قيس لاتابك فارس أبي بكر الزنجي

في محرم ٦٢٨ هـ / يناير ١٢٣٠ م استطاع أتابك فارس الأمير أبو بكر بن سعد بن زنكي بن سنقر بن مودود السلغري انتزاع جزيرة قيس من أمير هرمز، الذي فرّ منها، وبعد ذلك سعى ((أبو بكر)) لبيسط نفوذه على كافة المناطق التي كان لبني قيس نفوذ عليها فقام بإرسال عماله إلى جزيرة أوال، وعلى رأسهم شهاب الدين خسرو النعسي القيسي عاملاً لجباية الضرائب ونجيب الدين عثمان مشرفاً ومتابعاً له، يطالبون حاكمها العيوني بأن يدفع إليه مثل ما كان يدفعه إلى بني قيصر سابقاً وإلى أمير هرمز لاحقاً ولكن الأموال التي تجبى في هذه المرة كانت تتم باسم حقوق الخلافة العباسية في بغداد، وأن أبا بكر نائباً عنه.^(١)

وفاة الشاعر المؤرخ ابن المقرب

٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) في هذه السنة توفي الشاعر العيوني ابن المقرب بالإحشاء وهو: علي بن المقرب ابن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن علي العيوني، من بني مرة بن عامر بن أنمار بن عمرو بن وديعة لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن دغمي بن جديلة بن أسد، أمه عبيدية، منسوبة إلى عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعل بن الدئل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهو من مواليد سنة ٥٧٢ هـ.

النزاع بين الشريف حسن بن علي وعمه الشريف راجح بن قتادة

٦٢٩ هـ في حدود هذه السنة أو قبلها بقليل: ((راجح بن قتادة في بعض حروبه مع ابن أخيه أبي سعد - حسن بن علي - استنجد بأخواله من بني حسين فخرجوا لمدده في سبعمائة فارس ورئيسهم الأمير عيسى الملقب بالحرون فارس بني حسين في زمانه، وسمع بخروجهم أبوسعد وابنه أبو نمي يبنع فأرسل إليه يطلبه وعمر أبو نمي يومئذ سبع عشرة سنة^(٢) أو أزيد بقليل، فخرج من يبنع قاصداً مكة فصادف القوم سائرين إليها فلما صادفهم حمل عليهم وهم سائرون فهزمهم ورجعوا إلى المدينة مغلوبين^(٣).

(١) تاريخ الإمارة العيونية لعبدالرحمن الملا.

(٢) راجع سنة ٦٤٧ هـ، سيرد فيها أن سن الشريف أبي نمي فيها ١٧ عاماً، وهذا يعني أن أحد المصدرين على خطأ.

(٣) عمدة الطالب لابن عنية - ولد ٧٧٦ هـ في الرسائل الكمالية ص ٢٤١.

صدّ الأمير محمد بن محمد لحملة السلغري على أوال

في جمادى الآخرة من سنة ٦٣٠هـ / (١٢٣٢م) عبر الأمير محمد بن محمد العيوني إلى جزيرة أوال وترك حكم القطيف لأحد شيوخ بني عامر وهو الشيخ أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن (عمرو) عميرة ابن سنان واستطاع بعد عدة مناوشات من قتل الأمير منصور بن علي^(١)، وبذلك تطلعت نفس (الأتابك أبي بكر السلغري) إلى السيطرة المباشرة على جزيرة أوال وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع في خطته من الأمير (عصفور بن راشد) فأرسل ضدها حملتين بحريتين إحداهما سنة ٦٣٠هـ والثانية ٦٣٣هـ إلا أن الأمير محمد بن محمد بن أبي ماجد^(*) الذي خلف منصور بن علي استطاع ببسالة صدّ هاتين الحملتين^(٢).

سقوط الدولة العيونية في بلاد البحرين

في ذي الحجة من سنة ٦٣٣هـ تولى على جزيرة البحرين (أوال) أبو بكر بن سعد بن أتابك بن مودود الزنجي، وهم المتغلبون على فارس في سنة ٥٤٣هـ^(٣)، وقال في صورة الأرض: مقتل آخر أمراء الدولة العيونية الأمير محمد بن محمد بن ماجد حيث جاء إلى أوال عسكر السلطان المنصور خلد الله دولته والتقوا من ناحية الغرب وكان الظفر لعسكر المنصور وعسكر السلطان فقتلوا محمداً وملك السلطان الأعظم خلد الله ملكه في ذي الحجة سنة ٦٣٣هـ / أغسطس ١٢٣٦م^(٤).

قال الأستاذ يوسف جعفر سعادة: يرى البعض أن قوة فارسية تسمى الزنجيين احتلت القطيف والإحساء، فسقطت دولة العيونيين في كافة أنحاء البحرين سنة ٦٣٦هـ^(٥).

تنافس المصريين واليمنيين على مكة المشرفة

في سنة ٦٣٧هـ أمر ملك مصر المنصور بالله أيوب ابن الملك الكامل بالإمارة لجماز بن شيحة وجهزه بألف فارس ليأخذ مكة من الشريف راجح بن قتادة التابعة الحسيني الأمير بها من قبل ملك اليمن المنصور^(٦)، فتجهز الشريف شيحة بن أبي أحمد هاشم بن أبي فليته القاسم شمس الدين الحسيني عامل بني أيوب على المدينة المنورة بألف فارس إلى مكة المشرفة فخرج عنها عامل نور الدين^(٧) فاستولى

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٢٨١، ٢٨٢، ٣٥٧.

(*) يسميه عباس إقبال في كتابه مطالعاتي درباب بحرين ص ٣٥ (محمد بن أحمد بن أبي ماجد).

(٢) تاريخ الإمارة العيونية لعبد الرحمن الملا.

(٣) التحفة النبهانية لمحمد بن خليفة.

(٤) صورة من الصفحة الأخيرة لنسخة مشهد وهي بخط محمد بن علي بن داود النجار الحساوي سنة ٩٦٣هـ التي جاءت في كتاب ديوان ابن المقرب ص ٣٢ تحقيق الدكتور أحمد الخطيب، مؤسسة البابطين للإبداع الشعري.

(٥) القوى السياسية في كوت الإحساء - ط ٩٧ ص ٢١٧.

(٦) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٥٠.

(٧) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص ٦٦ مخطوط.

عليها من غير قتال إلا أنه نهب جميع الأموال وقبض على ابن التغزي^(١). فلما بلغ السلطان نور الدين خروج عامله بعث إلى مكة ابن النصيري للشريف راجح بن قتادة في جيش جرار فانهزم الشريف شيحة إلى الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل فجهز في صحبته علم الدين الكبير في جيش جرار فدخل مكة وحجاً بالناس^(٢).

وفاة الخليفة المستنصر بن الناصر

وفيهما ((توفي الخليفة المستنصر بالله بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة وله من العمر (٥١ سنة) وأربعة أشهر وسبعة أيام وكنم ولده المستعصم بالله موته حتى كان الدعاء له على المنابر ذلك اليوم وكانت مدة ولايته (٢٦ سنة و١٠ أشهر و٢٧ يوماً) ودفن بدار الخلافة ثم نقل إلى التربة من الرصافة وكان جميل الصورة حسن السريرة...، كان جده الناصر قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة فكان يقف على حافتها ويقول أترى أعيش حتى أملاها وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول أترى أعيش حتى أنفقها كلها فكان يبني الربط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات وقد عمل بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة للفقراء لا سيما في شهر رمضان وكان يتقصد الجوارى اللاتي قد بلغن الأربعين فيشتريهن له فيعتقهن ويجهزهن ويزوجهن وفي كل وقت يبرز صلاته ألوف متعددة من الذهب تفرق في المحال ببغداد على ذوي الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم تقبل الله تعالى منه وجزاه خيراً، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة وجعل فيها دار حديث وحماماً ودار طب وجعل لمستحقها من الجوامك والأطعمة والحلويات والفاكهة ما يحتاجون إليه في أوقاته ووقف عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل إن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير فكانت هذه المدرسة جمالاً لبغداد وسائر البلاد. وكان المستنصر رحمه الله كريماً حليماً رئيساً متودداً إلى الناس وكان جميل الصورة حسن الأخلاق بهي المنظر عليه نور بيت النبوة ﷺ وأرضاه. وقد خلف من الأولاد ثلاثة اثنان شقيقان وهما أمير المؤمنين المستعصم بالله الذي ولي الخلافة بعده وأبو أحمد عبد الله والأمير أبو القاسم عبدالعزيز وأختهما من أم أخرى كريمة صان الله حجابها، وقد رثاه الناس بأشعار كثيرة أورد منها ابن الساعي قطعة صالحة ولم يستوزر أحداً بل أقر أبا الحسن محمد بن محمد القمي على نيابة الوزارة ثم كان بعده نصر الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد الناقد الذي كان أستاذاً دار الخلافة والله تعالى أعلم بالصواب))^(٣).

خلافة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين في بغداد

((بويغ المستعصم بالخلافة وله من العمر يومئذ (٣٠ سنة) وشهور وقد أتقن في شببته تلاوة القرآن

(١) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٥١.

(٢) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص ٦٦.

(٣) المصدر السابق.

حفظاً وتجويداً وأتقن العربية والخط الحسن وغير ذلك من الفضائل...، وكان المستعصم على ما ذكر كثير التلاوة حسن الأداء طيب الصوت يظهر عليه خشوع وإنابة وقد نظر في شيء من التفسير وحل المشكلات، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً مقتدياً بأبيه المستنصر جهده وطاقته وقد مشت الأمور في أيامه على السداد والاستقامة بحمد الله، وكان القائم بهذه البيعة المستعصمية شرف الدين أبو الفضائل إقبال المستنصري فبايعه أولاً بنو عمه وأهله من بني العباس ثم أعيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومن بعدهم من أولي الحل والعقد والعامه وغيرهم وكان يوماً مشهوداً ومجمعاً محموداً ورأياً سعيداً وأمراً حميداً وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار والبلدان والأمصار وخطب له في سائر البلدان^(١).

سقوط القطيف بيد السلغريين بعد استيلائهم على البحرين وسقوط الحكومة العصفورية الجديدة

٦٤٠هـ في حدود هذه السنة استولى رئيس بني عامر بن عقيل، مقدم أسرة الغفيلات الأمير عصفور ابن راشد^(٢) على الأحساء وتم طرد الفضل بن أبي القاسم محمد بن مسعود العيوني الذي قام إبراهيم بن عبدالله بن جروان بالقبض عليه ونودي باسم عصفور ملكاً على البلاد. ولكن ما إن أتى شهر ربيع الأول من سنة ٦٤١هـ إلا وقتل أكبر شيوخ بني عامر (أبو عاصم بن سرحان) في القطيف الذي كان حاكماً عليها وذلك على يد الأتابك أبي بكر بن سعد السلغري^(٣) الذي عبر إليه من جزيرة البحرين واحتل بلده القطيف، ثم زحف بجنوده نحو الأحساء فانتزعها من أهلها^(٤).

وزارة العلقمي المشؤوم

٦٤٢هـ قال ابن كثير ((استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد العلقمي المشؤوم على نفسه وعلى أهل بغداد الذي لم يعصم المستعصم في وزارته، فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضي الطريقة فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاء وكونه قبحة الله وإياهم))^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) هو: عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر، من بني عامر بن عقيل بن عامر بن عوف بن مالك بن عوف - بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إخوة بني المستفق بن عامر بن عقيل بن كعب وهم ساكنون بجهات البصرة، وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن من تغلب.

(٣) تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف لعلي الدرورة.

(٤) التحفة النبهانية لمحمد بن خليفة.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير.

عساكر بغداد تهزم التتر شر هزيمة

٦٤٢هـ قال أبو الفداء في تاريخه: في هذه السنة قصدت التتر بغداد وخرجت عساكر بغداد للقائهم ولم يكن للتتر بهم طاقة فولى التتر منهزمين على أعقابهم تحت الليل.

وقال ابن كثير: وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله فكسروهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم وهزموا من بين أيديهم فلم يلحقوهم ولم يتبعوهم خوفاً من غائلة مكرهم وعملاً بقوله (اتركوا الترك ما تركوكم).
٦٤٥هـ وفيها: حج ابن حذيفة بعرب من جهة الشام^(١).

استيلاء أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة على مكة المكرمة

٦٤٧هـ ((استبد محمد بن المسيب آخر ولاية اليمنيين بأمره في مكة واستولى على بعض الصدقات الخاصة بالأهالي ومنع الجند نفقتهم وأعاد الجبايات والمكوس، فاقترح بعض كبار العرب على أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة استخلاص إمارة مكة لنفسه وحسنوا له ذلك وكان يقيم في ينبع فسار في مقاتلته إلى مكة فحاصرها ثم حمل على أصحاب اليمن حملة موفقة استولى فيها على مكة في يوم الجمعة ٩ ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ بعد أن قبض على ابن المسيب وصادر خيله وسلاحه وأمواله ثم أطلقه.

وباستيلائه على مكة انطلق عمه راجع بن قتادة إلى المدينة يستنجد أميرها من أولاد المهنا بني حسين وهم أخواله فأنجدوه بنحو (٧٠٠ فارس) ليجلي بها الحسن بن علي بن قتادة.

وعندما شعر الحسن بن علي بن قتادة في مكة بحركة راجع في المدينة وعلم أنه سيهاجمه بقوة من المدينة، كتب إلى ابنه أبي نمي في ينبع أن يقطع الطريق على المهاجمين. وكان سن أبي نمي^(٢) في هذا العهد لا يتجاوز السابعة أو الثامنة عشرة، إلا أنه كان موفور النشاط معروفاً بالشجاعة وقد استطاع أن يخرج عليهم بأربعين من قومه فيقطع طريقهم ويهزتهم^(٣).

نهاية الدولة الأيوبية في مصر وبداية دولة المماليك الاتراك

٦٤٨هـ في هذه السنة كان انتهاء الدولة الأيوبية في مصر وبداية دولة المماليك التركمان وأولهم أليك^(٤) الذي خلع شجرة الدر نفسها وتسلطن يوم السبت آخر ربيع الأول ٤٨ وأجمع عليه الأمراء من غير كره.

- (١) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهد شلتوت جامعة أم القرى ط١/١٩٨٣ ج ٣ ص ٦٥.
- (٢) أبو نمي كانت بشرته سمراء. راجع: حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص ١٠١.
- (٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩ م ص ٢٣٧ عن إفادة الأنام: مخطوط.
- (٤) [أليك] من مماليك الملك الصالح الأيوبي اشتراه في حياة والده الملك الكامل وجعله جاشنكير - أي الذي يتحدث في أمر السماط ويتذوق الشراب قبل السلطان في الولايات والأسمطة خوفاً عليه من السم. راجع: سمط النجوم العوالي للعاصمي م ٤ ص ٢١.

انقلاب إخوة عيسى بن شيحة عليه في المدينة المنورة

٦٤٩هـ في هذه السنة حصل بين عيسى^(١) بن شيحة الحسيني وإخوته منيف وجماز منافرة فأخرجهما من المدينة فكاتبا وزيره فأدخلهما الحصن القديم ليلاً فقبضا عليه وقيداه في الحديد وتولى الإمارة منيف فخطب ونادى بالأمان.

انتزاع آل عصفور بن راشد حكم اليمامة من بني كلاب

قد ذكرنا أنه في سنة ٦٤٠هـ كان سقوط آخر أمير من أمراء الدولة العيونية على يد بني عقيل بقيادة عصفور بن راشد، ثم ذكرنا أن هذه الحكومة الجديدة سقطت هي الأخرى في يد أبي بكر السلغري في سنة ٦٤١هـ. ثم تذكر المصادر التاريخية أنه في سنة ٦٥٠هـ أو قبلها استولى بنو عصفور على اليمامة من بني كلاب، وهذا يدل على أن العامريين استطاعوا استرجاع السلطة في المنطقة من جديد إما من خلال الاعتراف بسلطة الزنجيين عليهم أو بعد رفع يد التسلط الزنجي عن إقليمهم بتحرير بلادهم.

ويذكر ابن سعيد: أن العيونيين بني أبي الحسين من تغلب صاروا فلاحين تحت يد بني عامر^(٢). يقول ابن خلدون نقلاً عن ابن سعيد المغربي أن بني عصفور ملكوا أرض اليمامة من بني كلاب^(٣)، وكان ملكهم لعهد الخمسين من المائة السابعة عصفور وبنوه.

وقال ابن سعيد المغربي في سنة ٦٥١هـ: سألت عرب البحرين وبعض مذحج لمن اليمامة اليوم؟ فقالوا لعرب من قيس عيلان، وليس لبني حنيفة بها ذكر. ويقول أيضاً: سألت أهل البحرين في عام ٦٥١هـ حين لقيتهم بالمدينة المنورة عن البحرين فقالوا الملك فيها لبني عامر بن عوف بن عامر بن عقيل، وبنو تغلب من جملة رعاياهم، وبنو عصفور منهم وهم أصحاب الدار والإحساء ملكهم.

ولم تأت سنة ٦٥٤هـ إلا وقد اضطر الأتابك أبو بكر سعد إلى تسليم السلطة في القطيف والمناطق التابعة لها لشيوخ بني عصفور وذلك للتخلص من أعبائها شريطة أن يكون انسحاب إدارته من القطيف مقابل مبلغ من المال يدفعه زعماء آل عصفور كل عام إلى خزينة الأتابكية السلغرية في فارس، فتم

(١) قال ابن شدقم: الأمير عيسى الحرون خلف أحد عشر ابناً. (قلت) ومنهم: شيانة ودمخ وشداد وحسن... إلخ. ودمخ يقال لولده الدموخ، فدمخ خلف متروكاً، ويقال لولده المتاريك منازل بني حسين البادية. وشداد خلف عصفوراً، ثم عصفور خلف ثلاثة بنين: ذبيان وبرجس وعميرة.

وحسن مات منقرضاً وعقبهم ثلاثة أشبال: الشبل الأول: علي، كان فارساً بطلاً شجاعاً مقداماً قتل في حرب مع بني حسين البادية، فعلي خلف ثلاثة بنين: صقر وصقير ومبارك... راجع: تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٦٥. (٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠هـ - ٦٨٥هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقيص، الأردن، ط ١/١٩٨٢م ص ٦٣٩.

(٣) وقال الحموي: إن في ملهم بطون من أبي بكر بن كلاب وإنه كان لكلاب دولة في الإسلام في اليمامة)). يقصد دولة ابن المهاجر التي سقطت في آخر أيام الخلافة الأموية.

الاتفاق بين الطرفين وسلمت القطيف لعصفور بن راشد ولمانع بن علي بن ماجد بن عميرة، واكتفى الأتابك بإبدال السيطرة الفعلية الإدارية والعسكرية بسيطرة اسمية وولاء من قبل العصفوريين للسلفيين^(١).

إمارة مكة واقتتال بين الأشراف

٦٥١هـ ((لم يدم أمر الحسن^(٢) بن علي بن قتادة في مكة طويلاً، فقد هاجمه في رمضان عام ٦٥١هـ ابن عمه جماز بن الحسن بن قتادة في عسكر كثير صحبة الركب الشامي فتغلب عليه وقتله واستولى على حكم مكة.

ومع هذا فلم يبق في إمارتها إلا شهراً واحداً ذلك لأن راجح بن قتادة.. ظفر بإجلاء جماز وإن عاد إلى الحكم في ذي الحجة من السنة نفسها ٦٥١هـ واستمر بها إلى ربيع الأول سنة ٦٥٢هـ))^(٣).

استيلاء غانم على ولاية مكة ووفاة والده الشريف راجح (أبي ذراع)

٦٥٢هـ في هذه السنة انتزع غانم بن راجح إمارة مكة من أبيه بعد أن تغلب عليه بدون قتال يذكر، فاستكان راجحاً في داره حتى وافاه الموت بعد سنتين من اعتزال الإمارة تقريباً. ويقول الدحلان في ((خلاصة الكلام)) عن الشريف راجح بن قتادة الذي أضافه إلى قائمة الشجعان: (كان من طوال الرجال إذا قام وصلت يده إلى ركبته^(٤) وإنه كان عظيم الشأن قوي الشكيمة).

ولم يدم غانم طويلاً في حكمه بعد غدره بأبيه وانتزع الإمارة منه فقد ثار عليه بعد أشهر جماعة من بني عمومته آل قتادة وعلى رأسهم إدريس وابن عمه أبو نمي الأول^(٥).

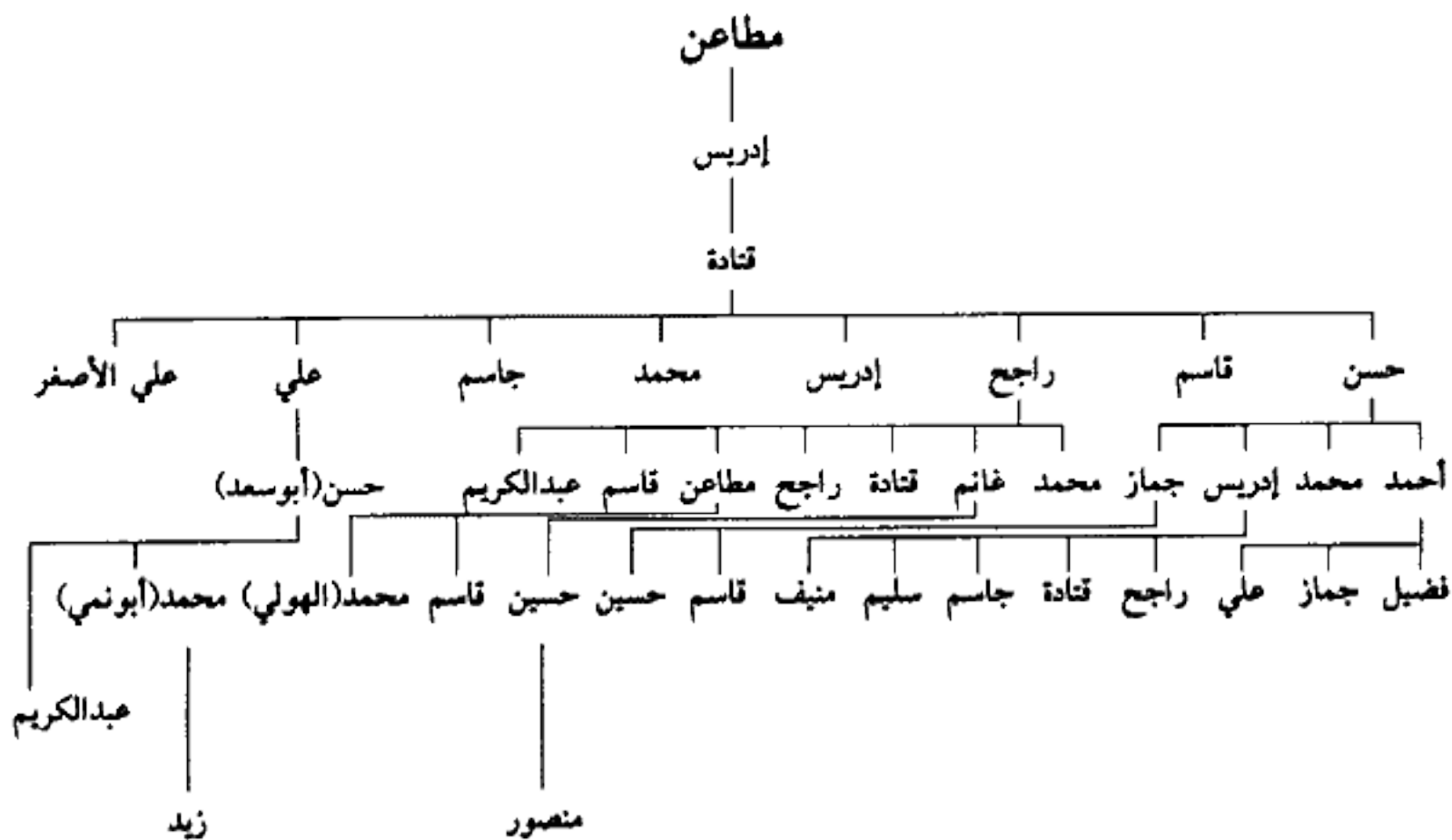
(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكيبة مديبولي ط ١ ص ٣٦٦، ٣٦٨.

(٢) توفي الأمير أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة في سنة ٦٥١هـ وقد قال عنه ابن عنبه: ((كان شجاعاً بطلاً وأمه أم ولد حبشية. فيحكى أن أبا سعد في بعض حروبه للغزو ولغيرهم - وأمرهم لا أتحققه الآن إلا أن غالب ظني أن تلك الحرب كانت مع الغزو - وأتوه بجمع كثير هائل فلما تراءى الصفان جاءته أمه على بعير في هودج وأمرت من استدعاه لها فلما أجابها قالت له: إنك قد وقفت موقفاً إن ظفرت فيه أو قتلت قال الناس ظفر ابن رسول الله أو قتل ابن رسول الله، وإن هربت قال الناس هرب ابن السوداء فانظر أي الأمرين تحب أن يقال لك. فقال جزاك الله خيراً فلقد نصحت وأبلغت ثم ردها فقاتل قتالاً لم يسمع بمثله حتى ظفر وملك مكة بعد أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، ابنه نجم الدين محمد أبو نمي بن أبي سعد وفي ولده الإمارة إلى الآن. عمدة الطالب لابن عنبه - ولد ٧٧٦ - في الرسائل الكمالية ص ٢٤٠.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩م ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٤) تميز الشريف غانم بن راجح بطول اليد والذراع وانتقلت هذه الصفة بالوراثة إلى أولاده وأحفاده من بعده، فهو على ما تذكر مخطوطة (الجواهر الحسان لصفي الإسلام) جد عائلة أبي ذراع من قبيلة الظفير وكان أولهم: منصور بن حسن بن غانم بن راجح بن قتادة.

(٥) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩م ص ٢٤٠.



عودة أبي نمي إلى حكم مكة المكرمة

٦٥٢ هـ ((تغلب الثائران: إدريس بن قتادة وأبو نمي الأول على غانم بن راجح وانتزعا منه الأمر في شوال من السنة نفسها عام ٦٥٢ هـ واضطلع الاثنان بالحكم في مكة مشتركين وبذلك عاد أبو نمي إلى الحكم بالشراكة))^(١).

استيلاء ابن برطاس عامل ابن رسول على مكة

٦٥٢ هـ ((اتصل الخبر بصاحب اليمن الملك المظفر عمر بن رسول وجاءته رسلة بأن الأمر في مكة قد خرج من حليف اليمن راجح بن قتادة إلى ابنه ثم إلى الثائرين فجهز جيشاً إلى مكة بقيادة ابن برطاس، وقد انتهى الجيش إلى مكة والتحم في قتال شديد في قوز المكاسة بأسفل مكة ثم دخلها واستولى عليها في ذي القعدة من السنة نفسها ٦٥٢ هـ))^(٢).

٦٥٣ هـ ((جمع أشراف مكة جمعاً كثيراً وأخرجوا (المبارز بن برطاس) عامل (...)) المظفر على مكة، وقتلوا من أصحابه كثيراً، وقبضوا عليه فافتدى نفسه بمال من اليمن. ووقعت الحرب بين أهل مكة وأهل العراق فأصلح بينهم أمير حاج الشام))^(٣).

٦٥٣ هـ ((كان موكب الحاج بحراسة أحمد بن حجي بن بريد آل مرا وقد انضم إلى القافلة الملك

(١) المصدر السابق ص ٢٤١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤١.

(٣) اللطائف السيئة ل محمد بن إسماعيل الحسيني ص ٧١.

الناصر داود الذي ترك دمشق مضطراً بعد أن نزعته عنه السلطنة وسولت له نفسه الاعتداء على ركب الخليفة المرافق للحجاج إلا أن الأمير أحمد حذره من سوء عاقبة تعديه على ركب الخليفة^(١).

مقتل المعز أيك على يد شجرة الدر

٦٥٥هـ في هذه السنة شجرة الدر قتلت المعز أيك التركماني لما بلغها أنه يريد التزوج عليها، فواطأت على قتله جماعة من المماليك، ثم قتلته جميعاً وكان قتلها له يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول^(٢).

مكاتبة الوزير ابن العلقمي للتتار وتحريضهم على قصد بغداد

٦٥٥هـ ((وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، فذهب الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن العلقمي، وكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته للتتار))^(٣).

الزحف المغولي على بغداد والدور الذي لعبه ابن العلقمي

٦٥٦هـ / ١٢٥٨م قال الذهبي في العبر في خبر من غبر: (كان المؤيد بن العلقمي قد كاتب التتار وحرضهم على قصد بغداد لأجل ما جرى على إخوانه الرافضة من النهب والخزي. وظن المخذول أن الأمر تم، وأنه يقيم خليفة علوياً. فأرسل أخاه ومملوكه إلى هولاكو وسهل عليه أخذ بغداد. وطلب أن يكون نائباً لهم عليها، فوعده بالأمان. وساروا. فأخذ لؤلؤ صاحب الموصل يهين للتتار الإقامات ويكاتب الخليفة سراً. فكان ابن العلقمي قبحه الله لا يدع تلك المكاتبات تصل إلى الخليفة مع أنها لو وصلت لما أجدت لأن الخليفة كان يرد الأمر إليه. فلما تحقق الأمر بعث ولد محيي الدين بن الجوزي رسولاً إلى هولاكو يعده بالأموال. فركب هولاكو في خلق من التتار والكرج ومدد من صاحب الموصل مع ولده الصالح إسماعيل. فخرج ركن الدين الدويدار فالتقى ناجو أنوين وكان على مقدمة هولاكو. فانكسر المسلمون، ثم سار ناجو فنزل غربي بغداد ونزل هلاكو من شرقيها. فأشار ابن العلقمي على المستعصم بالله أني أخرج إليهم في تقرير الصلح. فخرج الخبيث وتوثق لنفسه ورجع. فقال: إن الملك قد رغب في أن يزوج بنته بابنك الأمير أبي بكر، وأن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية ثم يترحل. فخرج إليه المستعصم في أعيان الدولة. ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد بزعمه فخرجوا. فضربت رقاب الجميع. وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم حتى بقيت الرعية بلا راع). انتهى

(١) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط ٢-٢٠٠٣ ص ١٢٦.

(٢) سبط النجوم العوالي للعاصمي م ٤ ص ٢١.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط ١/١٩٦٦م ج ١٣ ص ١٩٦.

مصير ابن العلقمي

وقال الإمام الذهبي عن ابن العلقمي بعد أن وصفه بالوزير المبير: كان ذا حقد على أهل السنة. قرر مع التتار أموراً انعكست عليه، وأكل يده ندماً، وبقي بعد تلك الرتبة الرفيعة يركب إكديشاً فصاحت امرأة: يا ابن العلقمي: أهكذا كنت تركب في أيام أمير المؤمنين؟ ولي وزارة التتار على بغداد مشاركاً لغيره ثم مرض بعد قليل ومات غمّاً وغبناً....

مصير العباسيين المتبقين

قال ابن خلدون نقلاً عن فضل الله العمري عن شمس الدين الأصفهاني: لم يبق هلاك من يحقق نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك، ومن نجا طلب الاختفاء بشخصه فخفي نسبه.

وفاة الملك الشاعر

٦٥٨هـ في ليلة السبت ٢٦ جمادى الأولى توفي الملك الناصر دواد ابن المعظم عيسى ابن العادل أبي بكر بظاهر دمشق وعمره نحو ٥٣ سنة ومن شعره:

عُيُونُ عَنِ السَّحَرِ الْمُبِينِ تُبِينُ لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الْقُلُوبِ سُكُونُ
تَصُولُ بِبَيْضٍ وَهِيَ سَوْدٌ فَرِئْدُهَا ذَبُولُ فَنُورٍ وَالْجُفُونُ جُفُونُ
إِذَا مَا رَأَتْ قَلْباً خَلِيّاً مِنَ الْهَوَى تَقُولُ لَهُ كُنْ مُغْرَماً فَيَكُونُ

سيف الدين قطز سلطان مصر الملك المظفر

٦٥٧هـ ((وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين علي الملقب بالمنصور وذلك في غيبة أكثر الأمراء من ممالك أبيه وغيرهم في الصيد فلما مسكه سيره مع أمه وابنيه وإخوته إلى بلاد الأشكري، وتسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين فإن الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وبان عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم فإنه قال لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوهم وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة))^(١).

سقوط حلب في يد التتار

٦٥٨هـ ((في يوم الأحد تاسع صفر كان استيلاء التتار على حلب وسببه أن هولاء عبر الفرات بجموعه ونازل حلب وأرسل هولاء إلى الملك المعظم تورانشاه بن صلاح الدين نائب السلطنة بحلب يقول له: إنكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر فاجعلوا لنا عندكم بحلب

(١) المصدر السابق.

شحنة وبالقلعة شحنة ونتوجه نحن إلى العسكر فإن كانت الكسرة على عسكر الإسلام كانت البلاد لنا وإن كانت الكسرة علينا كتنم مخيرين في الشحتين إن شتتم طردتموها وإن شتتم قتلتموها فلم يجب الملك المعظم إلى ذلك وقال ليس عندنا إلا السيف...، وأحاط التتر بحلب ثاني صفر^(١).

سقوط دمشق

((وأما دمشق فإنهم لما ملكوا المدينة بالأمان لم يتعرضوا إلى قتل ولا نهب وعصت قلعة دمشق عليهم فحاصرها التتر وجرى على أهل دمشق بسبب عصيان القلعة شدة عظيمة وضايقوا القلعة وأقاموا عليها المجانيق ثم تسلموها بالأمان في منتصف جمادى الأولى^(٢))).

موقف نصارى دمشق ومسير المصريين للقاء التتار

٦٥٨ هـ ((وأما المصريون فتأهبوا وشرعوا في المسير من نصف شعبان. وثار نصارى بدمشق ورفعت رؤوسها، ورفعوا الصليب ومروا به، وألزموا الناس بالقيام له من حوانيتهم في (٢٢ رمضان) ووصل جيش الإسلام عليهم الملك المظفر وعلى مقدمتهم ركن الدين البندقداري. فالتقى الجمعان على (عين جالوت) غربي بيسان^(٣))).

معركة عين جالوت المشهورة

قال أبو الفدا: في يوم الجمعة (٢٥ رمضان ٦٥٨ هـ) هزيمة التتر على (عين جالوت) وكان من حديثها أنه لما اجتمعت العساكر الإسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك المعز أيك على الخروج إلى الشام لقتال التتر وسار من مصر بالعساكر الإسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الأفضل علي وكان مسيره من الديار المصرية في أوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاكو على الشام ومقدم التتر مسير العساكر الإسلامية إليه...، جمع من في الشام من التتر وسار إلى لقاء المسلمين...، والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتلوا مقدمهم كتبغا...، وجرد قطز ركن الدين بيبرس^(٤) البندقداري في أثرهم فتبعتهم المسلمون إلى أطراف البلاد الشرقية...، ولما انقضى أمر المصاف أحسن المظفر قطز إلى الملك المنصور صاحب حماة وأقره على حماه وبارين وأعاد إليه المعرة وكانت في أيدي الحلبيين من حين استولوا عليها في سنة (٦٣٥) وأخذ سلمية منه وأعطاه أمير العرب.

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) المصدر السابق.

(٣) العبر في خبر من غير للذهبي.

(٤) بيبرس كان عبداً مملوكاً أحضر من القوزاق وهو صبي وبيع في البداية في الشام بمبلغ ثمانمائة قطعة فضية وقد رده الذي اشتراه في البداية لعب في إحدى عينيهِ الزرقاوين. وكانت بشرته داكنة طويل القامة وصوته جهوري شجاع نشيط لا يكل عن الحركة مغرم بالترحال.

اغتيال قطز بانقلاب على يد الظاهر بيبرس

وقال أبو الفدا: في (١٧ ذي القعدة): لما قرر الملك المظفر قطز المعزي أمر الشام سار من دمشق إلى جهة البلاد المصرية وكان قد اتفق بيبرس البندقداري الصالحى مع أنص ملوك نجم الدين الرومى الصالحى والهارونى وعلم الدين صغن أغلى على قتل المظفر قطز وساروا معه يتوقعون الفرصة فلما وصل قطز إلى القصير بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة وقد سبق الدهليز والعسكر إلى الصالحية فيينا قطز يسير إذ قامت أرنب بين يديه فساق عليها وساق هؤلاء المذكورون معه فلما بعدوا تقدم إليه أنص وشفع عند الملك المظفر قطز في إنسان فأجابه إلى ذلك فأهوى لتقيل يده وقبض عليها فحمل عليه بيبرس حينئذ وضربه بالسيف واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه ثم قتلوه بالنشاب (في التاريخ المذكور) وساق بيبرس وأولئك المذكورون بعد مقتله حتى وصلوا إلى الدهليز بالصالحية...، فلما وصل بيبرس مع الجماعة الذين قتلوا قطز إلى الدهليز سألهم أقطاي المستعرب وقال من قتله منكم فقال له بيبرس أنا قال له أقطاي يا خوند اجلس في مرتبة السلطنة فجلس واستدعيت العساكر للتحليف فحلفوا له في اليوم الذي قتل فيه قطز.

وفد الدولة العصفورية إلى الظاهر بيبرس في مصر

٦٥٨هـ في هذه السنة قامت الإمارة العصفورية بإرسال وفد رفيع المستوى إلى الظاهر بيبرس برئاسة (مقدمهم محمد بن أحمد بن العقدي بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة بن عامر العامري، وعوملوا بأتم الإكرام)^(١).

وقال الأستاذ خالد النزر مصححاً الاسم الذي نقل لنا عن العمري في المسالك: الخلل الحاصل في عبارة: مقدمهم محمد بن أحمد العقدي بن سنان بن عقيلة بن شبانة بن قديمة بن نباتة! والصحيح حسب تحقيق ديوان ابن المقرب هو: ((محمد بن أحمد بن المفدى بن سنان بن غفيلة بن شبانة بن قديمة ابن نباتة))^(٢).

قال العمري: وكانت الإمارة فيهم في أولاد مانع إلى بقية أمراء فيهم وكبراء لهم، ودارهم الإحساء والقطيف ومُلج وأنطاع والقرعاء واللاهابة وجودة ومُتالع^(٣).

نسبهم: قال في العبر: بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر إخوة بني المنتفق وسكنهم بجهة البصرة وقد ملكوا البحرين بعد بني أبي الحسن، غلبوا عليها تغلب. وفي العبر أيضاً: ومن بني عقيل هؤلاء: بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر. ولم يزد في رفع نسبهم عن هذا.

تفرعاتهم: قال الحمداني: ومنهم: القديمات، والنعائم، وقيان، وفيض، وثعل، وحرثان، وبنو مطرف.

(١) مسالك الأبصار للعمري ت ٧٤٩هـ س ٤ ص ٣٥٥.

(٢) مجلة الواحة السعودية الصادرة ببيروت ع ٣٥ س ٢٠٠٤ ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق ص ٨٣.

المستنصر بالله أول الخلفاء العباسيين في مصر

تمت البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر ((كان معتقلاً ببغداد فأطلق، وكان مع جماعة الأعراب بأرض العراق، فقدم مصر صحبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة، منهم الأمير ناصر الدين مهنا في ٨ رجب، فخرج السلطان ومعه الوزير والشهود والمؤذنون فتلقوه، وكان يوماً مشهوداً، وخرج أهل التوراة بتوراتهم والنصارى بإنجيلهم، ودخل من باب النصر في أبهة عظيمة، فلما كان يوم الإثنين ١٣ رجب جلس السلطان والخليفة بالإيوان بقلعة الجبل، والوزير والقاضي والأمراء على طبقتهم، وأثبت نسب الخليفة المذكور على الحاكم تاج الدين بن الأعز، وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باني المستنصرية..... هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس بينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً..... وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة.....، وكان أسمر وسيماً شديداً القوى عالي الهمة له شجاعة وإقدام وقد لقبوه بالمستنصر كما كان أخوه باني المدرسة، وهذا أمر لم يسبق إليه أن خليفتين أخوين يلقب كل منهما بالآخر.

وكانت مدة خلافته إلى أن فقد كما سيأتي خمسة أشهر وعشرين يوماً أقصر مدة من جميع خلفاء بني العباس، وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً وإبراهيم بن يزيد الناقص سبعين يوماً، وأخوه يزيد بن الوليد خمسة أشهر وكانت مدة خلافة الحسن بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً، وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر وعشرة أيام. وكان في خلفاء بني العباس من لم يستكمل سنة منهم المنتصر بن المتوكل ستة أشهر، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً وقد أنزل الخليفة هذا بقلعة الجبل في برج هو وحشمه فلما كان يوم ٧ رجب ركب في السواد وجاء إلى الجامع بالقلعة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ثم استفتح فقرأ صدرًا من سورة الأنعام ثم صلى على النبي ﷺ ثم ترضى عن الصحابة ودعا للسلطان الظاهر ثم نزل فصلى بالناس فاستحسنوا ذلك منه وكان وقتاً حسناً ويوماً مشهوداً^(١).

مركز تحقيقات كلية الدراسات الإسلامية

خروج المستنصر بالله العباسي من مصر لقتال التتار وقتله في العراق

٦٦٠هـ ((في أوائل هذه السنة في ثالث المحرم قتل الخليفة المستنصر بالله الذي بويع له في رجب في السنة الماضية بمصر وكان قتله بأرض العراق بعدما هزم من كان معه من الجنود فلما لله وإنا إليه راجعون، واستقل الملك الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور، ولم يبق له منازع سوى التركي فإنه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها وعصى عليه هنالك^(٢)).

وفود خفاجة وعبادة إلى الظاهر ببيرس في مصر

قال العمري: قال الحمداني عن خفاجة وعبادة: ((وفدوا على الدولة الظاهرية بعيد كسرة الخليفة

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط ١٩٦٦م ج ١٣ ص ٢٣١.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٣.

المستنصر المجهر من مصر لاستفتاح العراق، وكان كبير جماعتهم خضر^(١) بن مقلد بن سلمان بن مهارش العبادي، وشهري بن أحمد الخفاجي في أشياخ منهم مقلد بن سالم وعياش بن حديثة ووشاح وغيرهم، فأنعم الملك الظاهر عليهم ومناهم وكانوا عيناً له على التتار وأعواناً له للانتصار^(٢).

الحاكم بأمر الله الخليفة العباسي الثاني في مصر

٦٦٠ هـ ((في ٢٧ من ربيع الآخر دخل الخليفة أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد ابن الأمير أبي علي القبي ابن الأمير علي ابن الأمير أبي بكر ابن الإمام المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد من بلاد الشرق وصحبته جماعة من رؤوس تلك البلاد وقد شهد الواقعة صعبة المستنصر وهرب هو في جماعة من المعركة فسلم فلما كان يوم دخوله تلقاه السلطان الظاهر وأظهر السرور له والاحتفال به وأنزله في البرج الكبير من قلعة الجبل وأجريت عليه الأرزاق الدارة والإحسان^(٣))).

حب بركة خان المغولي للإسلام وكرمه لهولاكو

٦٦١ هـ ((وفيها قدمت رسل بركة خان إلى الظاهر يقول له قد علمت محبتي للإسلام وعلمت ما فعل هولاكو بالمسلمين فاركب أنت من ناحية حتى آتية أنا من ناحية حتى نصطلمه أو نخرجه من البلاد وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد فاستصوب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله وأكرمهم^(٤))).

هزيمة هولاكو على يد بركة خان

((وفيها التقى بركة خان وهولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقتتلوا فهزم الله هولاكو هزيمة فظيعة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقي وهرب هو في شردمة يسيرة والله الحمد ولما نظر بركة خان كثرة القتلى قال: يعز علي أن يقتل المغول بعضهم بعضاً ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنة جنكيز خان. ثم أغار بركة خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة خان وقد أقام التركي بحلب خليفة آخر لقبه بالحاكم فلما اجتاز به المستنصر سار معه إلى العراق واتفقا على المصلحة وإنفاذ الحاكم المستنصر لكونه أكبر منه والله الحمد ولكن خرج عليهما طائفة من التتار ففرقوا شملهما وقتلوا خلقاً ممن كان معهما وعدم المستنصر وهرب الحاكم مع الأعراب وقد كان المستنصر هذا فتح بلداناً كثيرة في مسيره من الشام إلى العراق ولما قاتله بهادر على شحنة بغداد كسره المستنصر وقتل أكثر

(١) الصحيح أن اسمه: خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش إلى آخر الاسم، والتصحيح من صبح الأعشى أما تغييرنا من سلمان إلى سليمان فلأن أكثر المصادر ذكرته باسم سليمان وهناك أمثلة كثيرة ومنها ما نقله القلقشندي عن الحمداني عن وفادة خفاجة.

(٢) مسالك الأبصار للعمري ت ٧٤٩ هـ س ٤ ص ٣٥١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير.

(٤) المصدر السابق.

أصحابه ولكن خرج كمين من التار نجدة فهرب العربان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر وثبت هو في طائفة ممن كان معه من الترك فقتل أكثرهم وفقد هو من بينهم ونجا الحاكم في طائفة وكانت الواقعة في أول المحرم من سنة ستين وستمائة وهذا هو الذي أشبه الحسين بن علي في توغله في أرض العراق مع كثرة جنودها وكان الأولى له أن يستقر في بلاد الشام حتى تتمهد له الأمور ويصفو الحال ولكن قدر الله وما شاء فعل وجهز السلطان جيشاً آخر من دمشق إلى بلاد الفرنج فأغاروا وقتلوا وسبوا ورجعوا سالمين وطلبت الفرنج منه المصالحة فصالحهم مدة لاشتغاله بحلب وأعمالها^(١).

هزيمة أمير نجد والإحساء علي يد والي عمان

٦٦١هـ تذكر بعض المصادر التاريخية تعرض أمير نجد والإحساء محمد بن أحمد العامري العقيلي^(٢) في هذه السنة للهزيمة علي يد محمد بن سعد بن علي بن أحمد بن حبيب بن محمد بن إبراهيم الشرقي، أخوه راشد، والي عمان للأمير حسان اليزيدي.

علاقة أمراء العرب آل الجراح مع ملوك مصر

٦٦٣هـ في هذه السنة أو التي بعدها أمسك الملك الظاهر بيبرس زامل بن علي أمير العرب بمكاتبة عيسى بن مهنا في حقه^(٣). وذكر فرحان أحمد سعيد في كتابه آل ربيعة الطائيون أنه قدم مهنا وأخوه في أيام تحكم بيبرس وسلار في الدولة فسألا أن يقطعا ضيعة من بلاد حلب وينزلا عما بأيديهما عوضاً عنها، فغضب الأمير سلار من ذلك وقال: (يا عرب! وصلتكم إلى أن تأخذوا ضياع القلاع والأجناد، وتعملوها لكم إقطاعاً؟)^(٤).

ولما قدم السلطان الظاهر بيبرس إلى حلب سأل مانع أبو مهنا الأمير قلاوون أن يكون لابنه مهنا أرض على سبيل الرزقة، ويقوم عليها أربعة أفراس وعشرة جمال، فلما تحدث قلاوون في ذلك مع السلطان بيبرس لم يجبه بشيء حتى حضر مانع في الخدمة مع الأمراء فقال له: (ويلك يا بدوي نحس!)

(١) المصدر السابق.

(٢) تسمية بعض المصادر لمحمد بن أحمد العامري العقيلي بأمير نجد والإحساء يوحي لي بأنه قد قام بانقلاب على الدولة العصفورية وحولها إلى مسمى أكبر وأشمل ليكون اسمها الإمارة العامرية العقيلية، فالأمير محمد هو: محمد ابن أحمد بن المفدى بن سنان بن غفيلة بن شبانة، وهو وعصفور يلتقيان في سنان بن غفيلة: (عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان). يذكر أن محمد بن أحمد العامري كان في مقدمة وفد بني عامر إلى الظاهر بيبرس في سنة ٦٥٨هـ هذا إذا لم يكن هو فعلاً رئيس القوم وأمير ديارهم في حينها، لكن سيرد عند ذكرنا للسنة ٧٠٠هـ وهي السنة التي استولى فيها سعيد بن مغامس على حكم الإحساء. نص تاريخي لابن خلدون يفيد أن الحكم استمر إلى سنة ٧٠٠هـ في يد أولاد مانع بن عصفورا فهل ابن خلدون نصره دائماً دقيقة؟.

(٣) تاريخ أبي الفدا.

(٤) آل ربيعة الطائيون ط ٢-٢٠٣ ص ٢٣٩.

وصلت أن تطلب زيادة على إقطاع ولدك، وتبرطل السلطان على ملكه، والله لئن سمعت عنكم شيئاً من هذا لأخرجنكم من البلاد خروجاً نحساً). فما زال به قلاوون والأمراء حتى سكن غيظه^(١).

جماز بن شيحة ينتزع مكة المشرفة من أبي نمي بن حسن

٦٦٣ هـ ((الأمير جماز بن شيحة أمره وجهزه الملك المظفر ابن الملك المنصور بمائتي فارس مقدمهم علي بن الحسين بن برطاش ليأخذ مكة المشرفة من الشريف أبي نمي محمد نجم الدين بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة النابغة الحسيني الأمير بها من قبل صاحب اليمن. فأقام بالمدينة أبا هاشم مالك ابن أخيه منيف نائباً عنه... فأخذها بعد محاصرة وقتل من قومه ثلاثة رجال وأقام بها إلى سنة ٦٦٣ هـ فاستغابه مالك وخطب لنفسه ولم يعرج على اسم عمه جماز))^(٢).

وفاة هولاکو وذكر الأقاليم التي خلفها لولده أبغا

٦٦٣ هـ قال أبو الفدا في تاريخه: في ١٩ ربيع الآخر مات هولاکو ملك التتر لعنه الله تعالى وهو هولاکو بن طلو بن جنكزخان...، ولما مات جلس في الملك بعده ولده أبغا بن هولاکو، واستقرت له البلاد التي كانت بيد والده حال وفاته وهي إقليم خراسان وكرسيه نيسابور وإقليم عراق العجم وهو الذي يعرف ببلاد الجبل وكرسيه أصفهان وإقليم عراق العرب وكرسيه بغداد وإقليم أذربيجان وكرسيه تبريز وإقليم خوزستان وكرسيه تستر التي تسميها العامة تشتر وإقليم فارس وكرسيه شيراز وإقليم ديار بكر وكرسيه الموصل وإقليم الروم وكرسيه قونية وغير ذلك من البلاد التي ليست في الشهرة مثل هذه الأقاليم العظيمة.

وفاة السلطان برکه خان

٦٦٥ هـ فيها توفي السلطان برکه خان بن تولي بن جنكيز خان ((وهو ابن عم هولاکو وقد أسلم برکه خان هذا، وكان يحب العلماء والصالحين ومن أكبر حسناته كسره لهولاکو وتفريق جنوده، وكان يناصح الملك الظاهر ويعظمه ويكرم رسله إليه، ويطلق لهم شيئاً كثيراً، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته وهو منكوتر بن طغان بن بابو بن تولي بن جنكيزخان))^(٣).

تأدية عنزة زكاة أموالها إلى السلطات المصرية

٦٦٦ هـ - ١٢٦٧ م ((أبدت قبيلة عنزة للسلطات استعدادها لدفع الضرائب إلى القاهرة، لتخلص ربما من الإتاوات^(٤) التي كانت تؤديها إلى حكام آخرين شرفاء مكة))^(٥).

(١) المصدر السابق ص ٢٤٠. (٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٧١.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ مكتبة المعارف بيروت ط ١٩٦٦/١ ج ١٣ ص ٢٤٩.

(٤) الحكومة الإسلامية تجبي من القبائل التابعة لها الزكاة وليست إتاوة أو ضريبة كما يتوهم المستشرقون، بل أحياناً يطلقون عليها اسم الجزية وهذا خطأ أيضاً، لأن الجزية هي التي يدفعها أهل الكتاب للحاكم المسلم في الجزيرة العربية.

(٥) البدو ج ١ ط ٢٠٠٧ م تأليف أوبنهايم ومساعدية تحقيق ماجد شبر - الوراق لندن ص ١٢٦.

أول ركب للحجاج من العراق منذ الغزو المغولي لبغداد

٦٦٦ هـ حج العراقي من بغداد، وهي أول حجة حجوا فيها بعد غلبة التتار على بغداد في سنة خمس وخمسين^(١).

ثورة اشراف مكة على الأمير جمّاز في مكة المشرفة

٦٦٧ هـ ((رحل جمّاز عن مكة فاستغابه أبو نمي محمد فدخلها ومعه ابن عمه إدريس بن حسن بن قتادة، فركب جمّاز عليهما، فقاتلوه قتالاً عظيماً حتى سالت الدماء بالمسجد الحرام والحجر والمقام...، وانهزم جمّاز إلى المدينة))^(٢).

صراع جمّاز بن شيحة وغانم بن إدريس لأبي نمي

٦٧٠ هـ ((في آخر صفر وصل الأمير جمّاز بن شيحة صاحب المدينة، وغانم بن إدريس بن حسن بن قتادة وأخذوا مكة، وخرج الشريف أبو نمي، ثم بعد أربعين يوماً في ربيع الآخر رجع أبو نمي إلى مكة وهزم جمّاز بن شيحة ومن معه وملك مكة))^(٣).

٦٧١ هـ ((كان بمكة فناء عظيم، بلغت الموتى في بعض الأيام اثنتين وعشرين جنازة وفي بعضها خمسين، وعد أهل مكة ما بين العمرتين من أول رجب إلى السابع والعشرين منه ألف جنازة))^(٤).

مهاجمة الشريف جمّاز بن شيحة لمكة المشرفة وفيها أبو نمي

٦٧٣ هـ ((في شعبان جاء جمّاز بن شيحة الحسيني لإخراج أبي نمي، فأعطاه أبو نمي، فرجع وخلي بينه وبين قتلة ابنه أبي سعيد وهم أولاد حسن بن قتادة ومنهم إدريس))^(٥).

انتصار الشريف أبي نمي على الشريف شيحة

٦٧٥ هـ ((في ١٩ ربيع الآخر كانت وقعة بمر الظهران بين أبي نمي صاحب مكة وبين جمّاز بن شيحة صاحب المدينة، وبين صاحب ينبع إدريس بن حسن بن قتادة، فظهر عليهما أبو نمي، وأسر إدريس، وهرب جمّاز. وكان عدد من مع أبي نمي مائتي فارس ومائة وثمانين راجلاً، ومن مع إدريس وجمّاز مائتين وخمسة عشر فارساً وستمائة راجلاً))^(٦).

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج ١ ص ٦٠١.

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٧١.

(٣) إتخاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهم شلتوت جامعة أم القرى ط ١٩٨٣/١ ج ٣ ص ١٠١.

(٤) المصدر السابق ص ١٠٢.

(٥) المصدر السابق ص ١٠٤.

(٦) المصدر السابق ص ١٠٥.

مكاتبة الظاهر بيبرس للشريف أبي نمي يعاتبه ويهدده

٦٧٥هـ وفي آخرها وصل كتاب من الملك الظاهر بيبرس إلى صاحب مكة المشرفة ونسخة الكتاب:

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسين النسيب أبي نمي محمد بن أبي سعد. أما بعد، فإن الحسنة في نفسها حسنة، وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ، وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وفعلت ما يحمر به الوجه، وتسود به الصحيفة، ومن القبيح كيف تفعلون القبيح وجدكم الحسن، وتقاتلون في الحرم حتى تكون العبر، هذا وأنت من أهل الكرم وسكان الحرم!! فكيف آويت المجرم، واستحللت دم المحرم ﴿وَمَنْ يُنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ فإن لم تقف عند حدك أغمدنا فيك سيف جدك والسلام.

فكتب إليه أبو نمي:

من محمد بن أبي سعد إلى بيبرس سلطان مصر، أما بعد: فإن المملوك معترف بذنبه تائب إلى ربه، فإن تأخذ فيدك الأقوى، وإن تعف فهو أقرب للتقوى والسلام^(١).

وفاة أحمد البدوي صاحب الشهرة في الديار المصرية

٦٧٥هـ / ١٢٧٦م توفي أحمد البدوي صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب، ولد بفاس وطاف البلاد، وأقام بمكة والمدينة ودخل مصر أيام الملك الظاهر بيبرس، فخرج لاستقباله هو وعسكره وأنزله في دار ضيافته، وزار سورية والعراق سنة ٦٣٤هـ وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريفته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر، وتوفي ودفن في طنطا حيث تقام في كل عام سوق عظيمة يفد إليها الناس من جميع أنحاء القطر المصري احتفاء بمولده.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: أنه ولد بفاس عام ٥٩٦هـ ولقب بالبدوي لأنه كان يلبس اللثام على عادة بدو إفريقية...، اعتزل الناس وعاش في صمت وأصبحت تغشاه حالة ((الوله)) في كثير من الأحيان، زار العراق في شوال ٦٣٣هـ فزار قبور الجيلاني والرفاعي والحلاج وغيرهم ثم عاد إلى مصر فكان يمكث الأربعين يوماً وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، كان يلبس بشتاً من الصوف الأحمر^(٢). وقال الصيادي عن نسب أحمد البدوي: إن آل بري من البطون الهاشمية الفاطمية، وهم بادية بديار الشام وحلب، وهم قبيلة مولانا القطب الجليل السيد أحمد البدوي. وينتهي نسبهم إلى الإمام علي بن موسى الرضا الحسيني^(٣).

(١) المصدر السابق ص ١٠٦.

(٢) الروض البسام لأبي الهدى الصيادي طبعة الإسكندرية ١٨٩٢م تحقيق أحمد شوحان ط ١/١٩٩٣م ص ٥٩.

(٣) المصدر السابق ص ٥٨.

وفاة ملك مصر الظاهر بيبرس وتولي ابنه بركة الملك السعيد

٦٧٦هـ في ٢٥ محرم ((توفي السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي بدمشق وقت الزوال رحمه الله تعالى عقب وصوله من بلاد الروم إلى دمشق، وقد اختلف في سبب موته، وكان الملك الظاهر قد خلف العسكر لولده بركة بن بيبرس ولقبه الملك السعيد وكان - بيبرس - أسمر أزرق العينين جهوري الصوت))^(١).

تسلطن سيف الدين قلاوون الألفي بمصر

٦٧٨هـ ((تسلطن في مصر الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي بعد الملك العادل سيف الدين سلامش بن بيبرس البالغ من العمر سبع سنين وكانت مدته مائة يوم وليس له إلا مجرد الاسم. أما الملك المنصور فكانت مدة سلطته إحدى عشرة سنة وشهرين ونصفاً وتوفي سنة ٦٨٩هـ))^(٢).

وقوع الاقتتال في كل الممالك

٦٧٨هـ ((وقد اتفق في هذه السنة أمور عجيبة وذلك أنه وقع الخلاف بين الممالك كلها: اختلفت التار فيما بينهم واقتتلوا فقتل منهم خلق كثير.

واختلفت الفرنج في السواحل وصال بعضهم على بعض وقتل بعضهم بعضاً.

وكذلك الفرنج الذين في داخل البحور وجزائرها، فاختلفوا واقتتلوا.

وقتل قبائل الأعراب بعضها في بعض قتلاً شديداً.

وكذلك وقع الخلاف بين العشير من الحوارة وقامت الحرب بينهم على ساق.

وكذلك وقع الخلاف بين الأمراء الظاهرية بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لما بعث الجيش إلى سيس أقام بعده بدمشق وأخذ في اللعب والانبساط مع الخاصكية وتمكنوا من الأمور وبعد عنه الأمراء الكبار فغضبت طائفة منهم ونابذوه وفارقوه وأقاموا بطريق العساكر الذين توجهوا إلى سيس وغيرهم فرجعت العساكر إليهم فلما اجتمعوا شعثوا قلوبهم على الملك السعيد ووحشوا خواطر الجيش عليه وقالوا: الملك لا ينبغي له أن يلعب ويلهو وإنما همة الملوك في العدل ومصالح المسلمين والذب عن حوزتهم كما كان أبوه. وصدقوا فيما قالوا، فإن لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب الملك، وفساد الرعية.....

ثم اتفق الحال بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي وهو المشار إليه حيثئذ أن يترك الملك السعيد الملك وتعوض بالكرك والشوبك ويكون في صحبته أخوه نجم الدين خضر وتكون المملكة إلى أخيه الصغير بدر الدين سلامش ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابكه))^(٣).

(١) تاريخ أبي الفدا.

(٢) سبط النجوم العوالي للعاصمي م ٤ ص ٢٥.

(٣) البداية والنهاية للمحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط ١/١٩٦٦م ج ١٣ ص ٢٨٧.

وفاة أبي ريشة عيسى بن مهنا أمير العرب

٦٨٠هـ في هذه السنة مات عيسى بن مهنا ودفن في جبانة الشيخ فرج الشمالي بسلمية وأعقب عدة أولاد هم: مهنا وفضل وسليمان وحارثة وموسى ومحمد، وقد ولي الملك المنصور الإمرة الكبيرة خلفاً لعيسى بن مهنا ولقب بحسام الدين وصار كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وحماه وتدمر بل أمير الشام كلها^(١).

ويقول الأستاذ زكريا في قبائل الشام: ((وأكبر ظني أن عيسى هذا هو الذي قال عنه كاتب شلبي في كتاب جغرافيته (جهان نما) أنه كان في هذه المعركة (وقعته مع التتر بحمص ٦٨٠) حاملاً ريشته على رأسه فلقب بأبي ريشة، وبقي هذا اللقب في أعقابه إلى يومنا وأنه هو الذي نال من الملك المنصور عطاءً عظيماً فاشترى به عبيداً ومماليك أعتقوا بعد حين ودعوا بالموالي وبقيت أعقابهم إلى يومنا هذا ملتفة حول الأمراء آل أبي ريشة))^(٢).

المصالحة بين سلطان العراق وسلطان مصر

٦٨١هـ وفيها ((أرسل ملك التتار أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقق الدماء فيما بينهم وجاء في الرسالة الشيخ قطب الدين الشيرازي أحد تلامذة نصير الطوسي فأجاب المنصور إلى ذلك))^(٣).

تحليف أبي نمي على الإخلاص

٦٨١هـ يذكر الفاسي: ((أن الملك المنصور قلاوون الألفي كتب إلى أبي نمي في عام ٦٨١هـ يستحلفه بأن يخلص طويته ولا يضمر للمماليك غدرًا ولا يلتفت إلى جهة غير جهتهم!! ولا يقدم غيرهم عليهم، وأن يبيع زيارة البيت للعاكف والبادي وأن يؤمن سيرهم وأن يفرد الخطبة والتقود باسمهم وأن لا ينقض ذلك. وقد حلف أبو نمي صيغة اليمين التي طلبوها منه))^(٤).

وفاة أحمد بن حجي أمير آل مرا

٦٨٢هـ توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي أمير آل مرا ببصرى، وكان من فرسان العرب المشهورين كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز ويؤدون له الخفر، وكذلك صاحب المدينة الشريفة، وكانت له المنزلة العالية عند الملوك. وخلفه في الإمرة ولده نجاد إلى أن توفي سنة ٧١٥هـ واستقر بعده ثابت بن عساف بن أحمد بن حجي، وبقي ثابت وتوبة بن سليمان بن أحمد بن حجي يتنازعان الإمرة.

(١) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م ١ ج ١ ص ١٢٨.

(٢) قبائل الشام م ١ ج ١ ص ١٢٨، وراجع: آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط ٢-٢٠٠٣ ص ١٨٥.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير.

(٤) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨/١٩٩٨ م ص ٢٥٧.

وفاة عيسى بن مهنا أمير آل فضل

٦٨٣هـ في ربيع الأول من هذه السنة توفي عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثه بن عقبة بن فضل بن ربيعة ملك العرب بالشام، ورئيس آل فضل، وله المنزلة العالية عند السلطان، فقام بعده ولده الأمير حسام الدين مهنا صاحب تدمر^(١).

٦٨٤هـ قام آل فضل وآل مرا بمهاجمة بني عامر وقتلوا من زعمائهم علي بن ماجد.

سكان ذي الحليفة وينبع

عندما مر المؤرخ محمد بن عمر بن رشيد الفهري حاجاً، في ذي الحجة من عام ٦٨٤هـ بذي الحليفة قال: هي الآن يعرفها الناس ببئر علي، وهي من مياه بني جشم. وكان بينهم وبين خفاجة العقيلين.

وذكر عندما مرّ بينبع أن العائمة تسميها ينبوع، وأنها بليدة حسنة كثيرة المياه والخضر والبساتين، ويسكنها الأنصار وجهينة وليث^(٢).

صولة بني لام وبني نبهان بين المدينة والعراق

قال علي بن موسى بن سعيد المتوفى عام ٦٨٥ هـ: أشهر الحجازيين الآن بنو لام وبني نبهان والصولة بالحجاز لبني لام بين المدينة والعراق.

اضطرابات في مكة بسبب أمير الحج الشامي أمير بني عقبة

٦٨٩هـ ((كان أمير الحاج الفارقاني، وقال ابن الجوزي: إن الذي حج بالناس منجر الباشقرد، وكانت فيها فتنة بين أهل مكة والحجاج، وجماعة من المكيين فاقتلوا عند درب الشيكة وانتهى الأمر أن شهر بالمسجد الحرام من السيوف نحو من عشرة آلاف سيف، وقتل من الفريقين جمع كثير. يقال: فوق أربعين نفساً، وجرح خلق كثير، ونهبت أموال، ولو أراد الشريف أبو نمي أخذ الجميع لأخذهم ولكنه ثبت، وقال ابن الجوزي: كان حج مع أمير الشام الأمير عيبة أمير بني عقبة، وكان بينه وبين صاحب مكة معاداة فتخيل منه، فوقعت الفتنة بسببه، ثم إنهم راسلوا صاحب مكة، ودخلوا فطافوا، وقضوا حجهم))^(٣).

(١) العبر في خبر من غير للمحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ.

(٢) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة، لمحمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتى (ت ٧٢١هـ بفاس) تقديم وتحقيق د. محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط ١/ ١٩٨٨م ج ٥ ص ٧١، ٢٧٨.

(٣) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/ دار اليمامة بالرياض ج ١ ص ٦٠٩.

٦٩١هـ أبو نمي شريف مكة: ألغى الدعاء للملك الأشرف خليل في مصر، وأثبت اسم المظفر ملك الرسوليين في اليمن مكانه ابتداءً من آخر يوم في ربيع الأول سنة ٦٩١هـ^(١).

٦٩٢هـ ((وفي المحرم منها حكم القاضي حسام الدين الرازي الحنفي بالتشريك بين العلويين والجعفرين في الدباغة التي كانوا يتنازعونها من مدة مائتي سنة وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢٦ المحرم بدار العدل ولم يوافق ابن الخوي ولا غيره وحكم للأعناكيين بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار. وفيها رسم الأشرف بتخريب قلعة الشوبك فهدمت وكانت من أحصن القلاع وأمنعها وأنفعها وإنما خربها عن رأي عتبة العقبي، ولم ينصح للسلطان فيها ولا للمسلمين، لأنها كانت شجى في حلق الأعراب الذين هناك))^(٢).

وفيها (٦٩٢هـ) في شهر رجب: ((أمسك السلطان الملك الأشرف خليل، الأمير مهنا وإخوته وسجنهم بقلعة القاهرة، وأعطى الإمرة لابن عمهم محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة أمير آل علي))^(٣).
٦٩٣هـ في هذه السنة اتفق خروج السلطان من مصر ((فوقفت له جماعة كبيرة من التجار وعرفوه أن عرب مهنا تعرضت لهم في الطريق وأخذوا منهم شيئاً كثيراً وشكوا أمرهم إلى مهنا فقال لهم: ما هم عربي ولكن هؤلاء من بني كلاب، فردهم السلطان - التجار - إلى دمشق))^(٤).

وفاة سلطان المغول وحكم عائلة الطيبي لجزيرة قيس وما حولها

في ٦ جمادى الأولى ٦٩٤هـ قبض بايدو أحد حفدة هولاكو على سلطان المغول والعراق وإيران إيلخان كيخاتو والذي كان قد توصل إلى الحكم في يوم الأحد ٢٣ رجب ٦٩٠هـ بعد وفاة أخيه أرغون خان.

وخلال فترة حكمه التي استمرت أكثر من ثلاث سنوات وتسعة أشهر وهب لجمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي الملقب بابن السواملي تاجر اللؤلؤ والخيول العراقي الذي كان يملك أسطولاً تجارياً من السفن تجاوز المائة سفينة حكم إقليم فارس وسواحل الخليج بما فيه من جزر مثل قيس والبحرين وخارك.

فلقب الطيبي بملك الإسلام وخطبت الخطبة باسم الملك المعظم فخر الدين أحمد بن إبراهيم الطيبي، كما ضربت السكة باسمه أيضاً، ثم استطاع جمال الدين الطيبي ضم العراق العربي والبصرة وواسط وشبنكاره وشيراز إلى ملكه أيضاً بعد موافقة السلطان المغولي غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ)^(٥).

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩م ص ٢٥٩.

(٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط ١٩٦٦م ج ١٣ ص ٣٣٢.

(٣) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط ٢٠٠٣-٢٠١٠ ص ١٢٠.

(٤) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني ج ٣.

(٥) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٣٩٥.

انتشار الإسلام في التتار بإسلام ملكهم

وفيهما جلس على تخت الملك غازان محمود بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن تولي بن جنكز خان. حسن له نائبه نوروز الإسلام فأسلم في سنة ٦٩٤هـ وفشا بذلك الإسلام في التتار. وكان يتكلم بالفارسية مع خواصه ويفهم أكثر ما يقال له باللسان العربي، وكان غازان أشقر ربعة خفيف العارضين غليظ الرقبة كبير الوجه وكان وفاته في ١٢ شعبان ٧٠٣هـ بقزوين^(١).

مقتل عساف بن أحمد بن حجي

٦٩٤هـ ((الأمير عساف ابن الأمير أحمد بن حجي، أكبر عربان آل برمك وآل مري. مات في هذه السنة مقتولاً قتله جماز بن سليمان ابن أخيه، بالقرب من مدينة النبي ﷺ وكان قصد الغارة على أهل المدينة وغار على بعضهم فركب جماز ومعه جملة والتقوا معه فقتله جماز وتباشرت الناس بقتله وكان كثير الفتن وسفك الدماء وكان شجاعاً مقداماً وانتشر له صيت في البلاد وكان يدعي أنه من نسل البرامكة فكان القاضي شمس الدين ابن خلكان يصدقه وكان يقوم معه عند الملوك إذا اشتد به أمر، وآخره في الدولة المنصورية))^(٢).

قال الجزري: ((وكان أبوه شهاب الدين أحمد أكبر عربان آل برمك وآل مري وبني حارثة وغيرهم، من الجهة القبلية، وكان يدعي أنه من نسل البرامكة من أخت هارون الرشيد، وادعى أنها كانت زوجة جعفر بن يحيى البرمكي، وأنه رزق منها أولاداً، فلما جرى على البرامكة ما جرى هربت إلى البادية فأخذهم جده.

قلت وفي هذا نظر. وكان الأمير أحمد كثيراً ما يغشى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ويقول له أنت ابن عمي. وكذلك ابن خلكان يقول له يمثل قوله ويفرح كل واحد منهما بهذا القول. وبينهما مهادة ومكارمة، وانتفع به ابن خلكان زمن الملك الظاهر وكذلك زمن الملك المنصور))^(٣).

سبب الفتن بين آل جماز والشريف أبي نهي

٦٩٦هـ يقول الشريف تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني: ((وسمعت وكنت يومئذ بالحلة وذلك في شعبان من سنة ٦٩٦هـ أن امرأة حسينية بنت رجل من أعيان بني حسين سميت لي فكرهت أن أذكر اسمها هنا فيبقى لها ما هنا ذكراً وخيماً، عمد لها رجل فنزعها قرطاً معلقاً بأذنها فتعسر عليه تناوله فقطع شحمة أذنها وأخذ القرط بها. فبست الفعلة فعلة الشريف، ولما انتهى ذلك إلى جماز شيخ بني

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن حجر ت ٨٥٢هـ دار الجيل بيروت السفر الثالث ص ٢١٤.

(٢) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني - ت ٨٥٥هـ ج ٣.

(٣) تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه - المعروف بتاريخ الجزري ت ٧٣٨هـ ج ١.

حسن وأمرهم بالحجاز أمير المدينة جرت بينه وبين أبي نمي فتن وبين بنيه وبينه شرٌّ باقي إلى يومنا هذا ثم إن عضد الدين - بن أبي نمي - أقام بمكة^(١).

٦٩٩ هـ لم يحج من الشام أحد في هذه السنة ولا في السنة التي بعدها^(٢).

أول سلاطين بني عثمان

٦٩٩ هـ لما توفي السلطان علاء الدين السلجوقي سلطان بلاد قرمان في هذه السنة اجتمع أكثر الغزاة عند عثمان بن أرطغرل، فتسلطن عثمان الغازي^(٣).



-
- (١) غاية الاختصار للشريف تاج الدين الحسيني نقيب حلب، ص ٣٤.
- (٢) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهم شلتوت جامعة أم القرى ط ١/١٩٨٣ ج ٣ ص ١٣١، ١٣٢.
- (٣) سمط النجوم العوالي للعاصمي م ٤ ص ٧١.

أحداث القرن الثامن الهجري



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

حكم ابن مغامس القرمطي على الإحساء

٧٠٠هـ في حدود هذه السنة سيطر زعيم القرامطة المحلي سعد أو سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة^(١) على شرق البلاد، الذي من المحتمل أن يكون تابعاً لأمرأ جزيرة قيس^(٢)، والتي كانت تحت سيطرة العائلة الغنية (عائلة الطيبي) وكانت قيس آنذاك تابعة للإيلخانيين المغول.

ويقول الدكتور عبداللطيف الحميدان: إن الشقاق والنزاع الذي كان سائداً بين أمرأ - بني عصفور - منذ القرن الثامن نتج عنه تجزئة إمارتهم وتعدد ظهور الزعامات المتناحرة مما أدى في النهاية إلى زوال إمارتهم على يد سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة الذي لم تطل فترة حكمه، إذ سقط على يد الزعيم الإحساني جروان المالكي^(٣).

وهذا ما ذكره ابن خلدون من أن الملك دام لأولاد مانع بن عصفور إلى سنة ٧٠٠هـ وهي السنة التي استولى فيها سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة على الحكم في الإحساء ((إلا أن ملكه لم يدم أكثر من خمس سنوات حيث تغلب عليه جروان بن ناصر أحد بني مالك بن عامر)).

ويذكر الباحث السعودي القديح أن سعيد بن مغامس كان من عُقيل من بني عامر العقيليين الذين حكموا المنطقة بعد العيونيين مباشرة، وأن سعيداً هذا ذكره ابن فضل الله العمري في كتابه «التعريف

(١) الشعر النبطي لعبدالله الصويان، وقال القيسراني الذي توفي سنة ٥٠٧هـ في كتابه الأنساب المتفقة في الصفحة ١٨١ فيمن نسبه القرمطي:

الأول: منسوب إلى المذهب المذموم من أهل هجر والبحرين.

الثاني: لقب عامر بن ربيعة جد محمد بن عبدالله العلوي، قال أبو القاسم الطبراني: إنما نسبوا إلى القرامطة لأن النبي ﷺ رأى عامراً جدهم يمشي فقال: إنه لقرمط في مشيته.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٣٣٧، ٣٣٠.

(٣) مجلة كلية الآداب - البصرة، التاريخ السياسي لإمارة الجبور ع ١٦ السنة الرابعة عشرة ص ٣٣.

بالمصطلح الشريف في جملة أمراء المرتبة الثالثة^(١) من أمراء البحرين من بني عامر العقيليين الذين كانوا يرأسون من قبل الحضرة بمصر)).

استمرار الوجود العصفوري العامري رغم ذهاب دولتهم

ويقول الدكتور عبداللطيف الحميدان الذي يبدو أنه لا زال مقتنعاً بالفرق بين ابن مغامس وبين بني عامر، أي أن ابن مغامس في نظره ليس عامرياً: ((على أن بني عصفور خاصة وبني عامر عامة ظلوا يحتفظون في كل من نجد وشرق الجزيرة العربية بنفوذهم الاقتصادي الواسع، ولعل أوضح دليل على ذلك أن قوافل الحجاج القادمة من جنوب إيران وجنوب العراق وسواحل الخليج العربي كان يتولى قيادتها وحراستها بنو عامر وكثيراً ما أطلق على هذه القافلة اسم قافلة عقيل^(٢))).

وفاة الشريف أبي نمي وتنافس أولاده على الحكم

٧٠١ هـ في هذه السنة توفي محمد أبي نمي بن أبي سعد بن حسن بن علي بن قتادة صاحب مكة منذ ٤٠ عاماً، وقد ترك أبو نمي نحو ثلاثين ولداً بين ذكر وأنثى كان يعتد بأكثرهم في ما مر به من شدائد. وقال الفاسي: ذكره أبو عبدالله الدماهي فأثنى عليه وقال: لولا المذهب لصلح للخلافة فقد كان زدياً^(*)

(١) جاء في صبح الأعشى ٧: ٣٧١ عن العمري ت ٧٤٩ هـ ما يلي: قال القلقشندي ت ٨٢١ هـ: واعلم أنه في «التقيف» قد جمع بين عرب البحرين والبصرة وما إلى ذلك وجعل المكاتب إليهم على ثلاث مراتب: المرتبة الأولى:

من يكتب إليه (السامي) بالياء والعلامة الاسم، وذكر أن بها يكاتب أميرهم، وسماء حيثل (صدقة بن إبراهيم بن أبي دلف) وأن تعريفه فلان بن فلان. وذكر في رتبته في المكاتب يومئذ محمد بن مانع وأخوه حسين بن مانع وعلي بن منصور.

المرتبة الثانية:

من يكتب إليه (السام) بغير ياء والعلامة الاسم. وذكر منهم بدران بن مانع - رومي بن أبي دلف - زين بن قاسم - يوسف بن قاسم - سعيد بن معدي - راشد بن مانع - عيسى بن عرفة - ظالم بن مجاشع - إسماعيل بن صواري - كلبي بن ماجد بن بدران - مانع بن علي - مانع بن بدران.

المرتبة الثالثة:

من يكتب إليه ((مجلس الأمير)) والعلامة الاسم. وعد منهم جماعة، وهم عظيم بن حسن بن مانع - موسى بن أبي الحسن - سعد بن مغامس - زيد بن مانع - هلال بن يحيى - معمر بن مانع - محمد بن خليفة. قلت - الكلام للقلقشندي -: وحاصل ما ذكره في التعريف والتقيف أن جملة المكاتب إليهم لا تجاوز المراتب الثلاث المذكورة، والكاتب يستخير أخبارهم في المقدار، وينزل كل واحد منهم على قدر مرتبته من ذلك كما في الأسماء المتقدمة الذكر.

(٢) م. كلية الآداب-البصرة، ١٦٤ السنة الرابعة عشر ص ٣٤.

(*) الزيديون: هم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهم يقولون بإمامة أولاد علي ويجوزون إمامة المفضول على الأفضل للمصلحة العامة، وكانت الشيعة ترفض هذا المبدأ.

كأهل بيته^(١)، واستولى على مكة ابنه حميضة ورميثة ثم قبض عليهما أمير الحج المصري وجهازهما إلى مصر وولى أخويهما أبا الغيث وعطيفة. ثم استبد بالإمرة أبو الغيث سنة ٧٠٣هـ^(٢).
٧٠١هـ في هذه السنة البصرة خربت بالطواعين^(٣).

من البدع التي كانت متفشية في مكة المشرفة

٧٠٢هـ ((في المحرم وصل الشريفان حميضة ورميثة إلى القاهرة في الحديد صحبة الأمير بيبرس الجاشنكير وسجنا.

وفيه سعى الأمير بيبرس الجاشنكير عند الملك الناصر صاحب مصر بأن بمكة المشرفة جملة من البدع، منها الأذان بحي على خير العمل، ومنها إمام زيدي بالمسجد الحرام ومنها بعض الفجرة جاؤوا إلى موضع عال من جدار الكعبة المقابل لباب البيت فسموه بالعروة الوثقى، وأوقعوا في نفوس العامة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى.

فكتب صاحب مصر صحبة أمير الركب يأمر الأشراف أبا الغيث وعطيفة أمراء مكة ألا يمكنوا من الأذان بحي على خير العمل ولا يتقدم في الحرم إمام زيدي وألا يهبط الحاج حتى يتقضوا ما كان في الكعبة مما سموه العروة الوثقى، ولا يمكن أحد من مس المسمار الذي في الكعبة الذي يقال له سرّة الدنيا وكان يحصل من التعلق بالعروة الوثقى ومن التسلق إلى المسمار مفاصد قبيحة، فترك ذلك كله^(٤).

٧٠٤هـ ((رحل جماز بن شيحة من مكة إلى المدينة وكان قد تزوج من السيدة حزيمة أخت أبي نمي محمد نجم الدين فسقته هجرس أمة لحزيمة سباً فرحل زائراً معلولاً وعند ذلك أمر بالإمارة إلى ابنه أبي عامر منصور وتوفي في شهر صفر سنة ٧٠٤هـ^(٥).

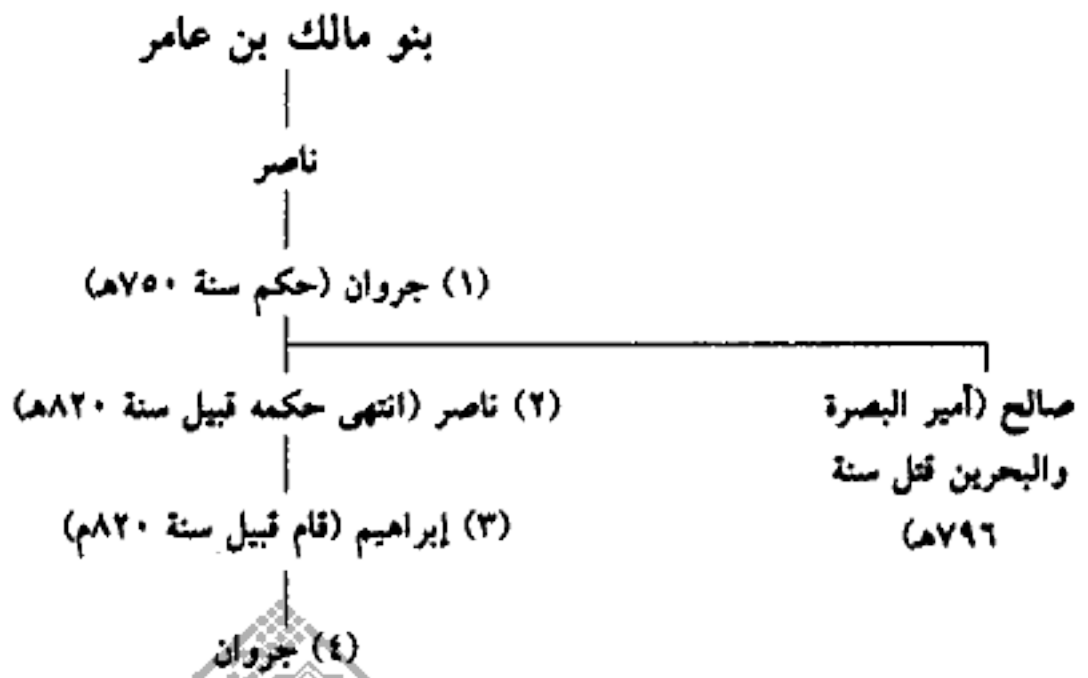
مقتل ابن مغامس على يد العماير

٧٠٥هـ فيها حدثت معركة الرقيقة، وهي المعركة التي ((نازع العماير فيها ابن زويل على السلطة فقتل سعيد بن مغامس على يد سنان بن مانع بن إبراهيم العميري^(٦).

- (١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ ص ٢٦٢.
- (٢) راجع: مخطوط: السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي باعلوي ص ٨٠١.
- (٣) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد إبراهيم صيغة الله الحيدري ط ١/ ص ١٥٨.
- (٤) إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد تحقيق فهد شلتوت جامعة أم القرى ط ١٩٨٣/١ ج ٣ ص ٣٦.
- (٥) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٧١.
- (٦) ١٠٠٠ سنة الغامضة من تاريخ نجد ٣ عبدالرحمن السويداء ط ١/ ٢٠٠٠ م ص ٢٨٨ عن تاريخ عسير للحفظي ص ٥١.

جروان ينتزع الحكم في القطيف من ابن مغاس

وفيها (٧٠٥هـ) هزم سعيد بن مغاس زعيم القرامطة في القطيف بالبدوي جروان المالكي من قبيلة قريش^(١). وحكم بنو جروان بلاد البحرين كلها لمدة قرن ونصف تقريباً^(٢). وابتدأ الجروانيون منذ عام ٧٣١هـ / ١٣٣٠م بدفع الرسوم إلى حكام هرمز وأعطوا حرية الفكر والعقيدة للعلماء الإماميين وذلك رغم أنهم آنذاك كانوا ما يزالون مجموعة صغيرة، ((وتجدد بذلك العهد الشيعي في المنطقة مرة أخرى ووصلت القوة الشيعية إلى السلطة المباشرة. وبعد وفاة جروان تولى القيادة ابنه ناصر وتلاه ابنه إبراهيم الذي كان ما يزال حياً في سنة ١٤١٧م. وقد ذكر السخاوي بأن الجروانيين يعتبرون بقايا من القرامطة وهم إسماعليون))^(٣).



(١) توصل الباحث السعودي القديح إلى قناعة مفادها أن كلمة (قريش) الواردة في نص ابن حجر في (الدرر الكامنة ج ١: ٧٥) ماهي إلا تصحيف في الأصل أو المطبوع عن (قيس)، ويقول: ويكون عندها حاكم القطيف هو إبراهيم ابن ناصر بن جروان المالكي من بني قيس الذين هم بطون من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ثم قال: وكونه من بني مالك من قيس فهو يعني أنه من بطون متأخر يعرفون ببني مالك، وأغلب الظن أنهم هم البطن الذي تحدر منهم آل جبر حكام المنطقة في القرنين التاسع والعاشر، كما أن أصدق الظن أنهم بنو قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الذين ذكر ابن العديم في تاريخ حلب أنهم كان منهم بنو قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيا بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة الذين نسب القرامطة لهم على أحد الأقوال. انتهى كلام القديح. وأنا لا أستبعد صحة كلام القديح لأنني لا أظن في الإحساء بادية معروفة لقريش، والله أعلم. والنص الأصلي لأحمد بن حجر العسقلاني يقول: (إبراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك بطون من قريش صاحب القطيف، انتزع جده جروان الملك من سعيد بن مغاس بن سليمان ابن رميثة القرمطي في سنة ٧٠٥هـ وحكم بلاد البحرين كلها، ثم لما مات قام ولده ناصر مقامه، ثم قام إبراهيم مقام أبيه وكان موجوداً في العشرين وثمان مائة وهم من كبار الروافض). راجع الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأحمد بن حجر ت ٨٥٢هـ دار الجيل بيروت ج ١/ ٧٤.

(٢) من سواد الكوفة إلى البحرين للشيخة مي الخليفة ص ٣٣٧.

(٣) المصدر السابق ص ٣٣٠، ٣٣١.

الغريب في الموضوع أننا نجد من يقول إنَّ العصفوريين استمرت إمارتهم قرناً ونصف القرن^(١)، وإذا قلنا إن بداية الدولة العصفورية كانت في سنة ٦٤٠هـ تقريباً، فهذا يعني أنها استمرت إلى سنة ٧٩٠هـ تقريباً! فهل هذا يعني أن ابن مغامس وجروان المالكي جميعهما من نفس الأسرة العصفورية؟ كما أننا نكون أمام مآزق ثانٍ بسبب ما أورده المقرئزي^(٢) من أن جروان بدأ حكمه في سنة ٧٥٠هـ وليس ٧٠٥هـ كما يشير بذلك مؤرخون نقل آخريهم عن أولهم.

خلاصة ما توصلت إليه قناعتي أن حكم ابن مغامس بدأ في سنة ٧٠٥هـ وانتهى في سنة ٧٥٠هـ على يد جروان مؤسس الدولة الجروانية التي انتهت دولة حفيده إبراهيم على يد آل جبر في سنة ٨٤٣هـ وليس ٨٢٠هـ كما يذكر بعض المؤرخين. ويذكر العسقلاني الذي توفي في سنة ٨٥٢هـ وقد أدرك دولة بني جبر قبل وفاته وأرخ لها: أن ((ما بين إمارة آل عصفور وآل جبر إمارة ثلاثة لبني مغامس)).

انتزاع مقبل بن جمار إمارة المدينة من منصور بن جمار

٧٠٩هـ ((منصور بن جمار بن شيحة ولد سنة ٦٥٥هـ...، وفي ضمن مدة إمارته انفرد عنه إخوته وقدموا عليهم أخاهم مقبل بن جمار وشيخوه على أنفسهم وحاصروا منصوراً فلم يقدرُوا عليه، فأظهر مقبل السفر إلى الشام لمصالح له فصنع سلماً مفصلاً يركب بعضه على بعض فلما جن الليل لسبت ١٨ من شهر...^(٣) سنة ٧٠٩هـ نصبه على الحصن ودخل مع إخوته على منصور فأكما أمره إلى الصباح ولم يشعر به أحد، فظن أهل المدينة أنهم لا يحاربونه، فعلم بهم كبش بن منصور فاستخرج بأهل المدينة فأجابوه وقاتلوا معه فقتل مقبل وقاسم وجوشن ابنا أخيه قاسم فعظمت المصيبة على منصور وقدم عليهم أخوهم أبو مزروع ودي بن جمار وقاموا بطلب الثأر فاستحكم بينهم الفساد^(٤))).



مركز بحوث تاريخ الخليج العربي

(١) يقول الدكتور فاروق عمر: ((استمرت إمارة العصفوريين العامرية أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان إلا أن مظاهر الانهيار بدأت بالظهور منذ حوالي النصف الأول من القرن الثامن الهجري حيث استفحلت الخصومات حول السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة نفسها. وقد جرَّ هذا التنافس بين الأمراء إلى لجوء الأمير الحاكم إلى المرتزقة والعبيد لحمايته بدلاً من اعتماده على أفراد قبيلته لأنه بات يخشى ضلوع بطون وأفخاذ قبيلته في مؤامرات ضده. (تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ٢١٥) في الهامش: د. الحميدان، إمارة العصفوريين، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، عدد ١٥، ص ١١٨.

(٢) قال المقرئزي في كتاب درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة أثناء ترجمته لابن جروان: ((ابن جروان ملك الإحساء إبراهيم بن ناصر بن جروان المالكي من بني مالك القرشي الشيعي ملك الإحساء. ورث الملك عن آبائه وأول دولتهم في سنة ٧٥٠هـ أخذها جده جروان من سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة القرمطي، وجميع أهل الإحساء والقطيف والبحرين وتاروت رفضة. وقام بعد جروان بالإحساء ابنه ناصر ثم قام إبراهيم بعد أبيه ناصر قبيل سنة عشرين وثمانمائة)).

(٣) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٨١.

ولاية أمير المدينة المنورة على نصف نجد

٧٠٩هـ ((ذكر المقرئ في كتابه (السلوك في معرفة دول الملوك) أن الملك المظفر قد ولي الشريف مقبل بن جمار بن شيحة أمير المدينة المنورة عند مقدمه إلى القاهرة سنة ٧٠٩هـ نصف إمرة نجد. ويرجع منير العجلاني (تاريخ البلاد السعودية) عند مناقشته لتلك الحادثة أن النصف الآخر من إمرة نجد كان في يد أخيه منصور، ويبدو من ذلك أن هذه التسمية كانت على الأقل وأن مصر كانت تنظر إلى نجد في تلك الفترة على أنها إحدى ممتلكاتها))^(١).

مقتل مقبل بن جمار

٧٠٩هـ ((مقبل بن جمار بن شيحة... قريب أمير المدينة وولد مستوليها طرقها من شعبان سنة ٧٠٩هـ فتغيظ منه كيش بن منصور بن جمار وهو ابن أخيه وكان إذ ذاك يخلف أباه على الإمرة فدهمهم مقبلاً ليلاً ونصب سلماً خشبياً كان معه مقطوعاً وصعد منه إلى السور فاستيقظ كيش وتقاتلا إلى أن قتل مقبل وقتل معه من أقاربه قاسم بن قاسم بن جمار واستمروا حزينين))^(٢).

مقتل الشريف جمار بن منصور

٧١٢هـ ((مات جمار بن منصور وخواصه... قيل إنه قتل في حرب بينه وبين...))^(٣)، وقيل بل غالوهما بادية مطير وهم نيام^(٤).

بعض بني لام يقطعون الطريق فيما بين مكة وتبوك

٧١٣هـ. قال أبو الفدا في تاريخه: اجتمع جماعة من عربان بني لام من عربان الحجاز وقصدوا قطع الطريق على سوقة الركب الذين يلاقونهم من البلاد إلى تبوك عند عود الحاج وساروا إلى ذات حج وانفقوا مع السوقية تقدير عشرين نفساً وأكثر ثم انتصروا على بني لام وهزموهم وأخذوا منهم تقدير ثمانين هجيناً وعادت بنو لام بخفي حنين.

قبائل طريق الحج المصري في عهد العمري

قال العمري المتوفى سنة ٧٤٩هـ الذي وضع كتابه في سنة ٧٣٨هـ: فأما طريق الركب المصري فمن القاهرة إلى عقبة أيلة لعائذ. (يقول المحقق في الهامش: عائذ جذام)

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي.

(٢) الدرر الكامنة ٥-١٢٥ (تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٧٥ من الهامش أسفل الصفحة).

(٣) فراغ في الأصل.

(٤) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٤١٠.

ومن العقبة إلى الدأماء ما دون عيون القصب لبني عقبة. (يقول المحقق في الهامش: عقبة بن محربة بن حرام من جذام)

ومن الدأماء إلى أكدي وهي قم الضيقة لبلي.

ومن أكدي إلى نما وهي آخر الوعرات لجهينة.

ومن نما إلى نهاية بدر على الفرعاء وإلى نهاية الصفراء (قرية فوق ينبع) على نقب علي لبني حسن أصحاب ينبع. (قلت: قوم الشريف قتادة) ويليه من أقاربهم من بني حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج في طرف قاع البزواء.

ومن الصفراء إلى الجحفة ورابع لزبيد الحجاز.

ومن الجحفة على قديد (قرب مكة) وما حولها إلى الثنية المعروفة بعقبة السوق (على مسافة نصف يوم من خليص) لسليم.

ومن الثنية على خليص إلى الثنية المشرفة على عُسفان للشريف جبار من بني حسن.

ومن الثنية المشرفة على عُسفان إلى الفج، وهو المسمى بالمحاطب لبني جابر وهم في طاعة صاحب مكة المعظمة.

ومن المحاطب إلى مكة لصاحب مكة المعظمة وبني حسن^(١).

٧١٥هـ (قال أبو الفدا) وفيها: توفي نجاد بن أحمد بن حجي بن يزيد بن شبل أمير آل مراد، وكانت وفاته في أواخر هذه السنة واستقر بعده في إمرة آل مراد ثابت بن عساف بن أحمد بن حجي المذكور وبقي ثابت المذكور ونوبة بن سليمان بن أحمد يتنازعان على الإمرة.

فرار الشريف حميضة إلى العراق وتجهيزه إلى مكة

٧١٥هـ - ١٣١٦م في هذه السنة فرّ حميضة بن أبي نمي شريف مكة إلى السلطان التري أولجايتو بن أرغون فأكرمه إكراماً عظيماً، فطلب منه العون لأخذ مكة ووعدته أن يخطب له بها فبذل له عسكرياً يذهب به إلى مكة ومنها إلى الشام، أو إلى الشام أولاً لأنه وعده أن يملكها له وأحسن أولجايتو منه شجاعة عظيمة وهمة عالية فعين له عشرة آلاف فارس من مغول وعرب (عقيل وخفاجة) وعرب البصرة وأمر عليهم الأمير طالب الدرفندي الأفتسي نائب السلطنة بالبصرة وجهاز معه خزانة ليسيّر بالعسكر مع حميضة ويقاثل عسكر المسلمين الواصلين إلى الحج، ويملك حميضة بدل أخيه رميثة، وساروا بعد منتصف سنة ٧١٦هـ تقريباً - وليس تاريخ مسيرهم معروفاً - من البصرة إلى القطيف متوجهين إلى أطراف الشام وأرسل الشريف حميضة إلى أمراء العرب من كل قوم فأجابوه، وأهم ذلك أهل الشام فالتجأوا إلى أمراء طيئ وقومهم وهم عرب كثيرون ليس في العرب مثلهم كثرة وتمولاً، وأمراؤهم آل فضل أمراء العرب. ولما جاوزوا البصرة بلغهم موت السلطان خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو (في ٢٧ رمضان ٧١٦هـ،

(١) مسالك الأبصار للعمري ت ٧٤٩هـ تحقيق الدكتور حمزة أحمد عباس ص ٤ ص ٣٩٥.

وكاتب الوزير رشيد الدين الطيب ذلك العسكر أن يفرقوا لعداوة كانت له مع السيد طالب، ففرق ذلك العسكر ولم يبق مع الدرفندي غير ثلاثمائة من التتر وأربعمائة من عقيل عرب البصرة، وكان قد استولى على البصرة ابن السوايكي وثار به الأعراب الذين جمعهم السيد حميضة مع أعراب طيئ فنهبهم، وحارب السيد حميضة في ذلك اليوم حرباً لم يسمع بمثله فيحكي عن السيد طالب الدلفندي أنه قال: ((ما زلت أسمع بحملات علي بن أبي طالب عليه السلام حتى رأيتها من السيد حميضة معانية)) فقد سار محمد بن عيسى بن مهنا بعربه من خفاجة وعرب إخوته وأولاد إخوته إلى الدرفندي فأحرز له بالقرب من البصرة وأتق مع في العشر الأخير من ذي الحجة فانهزم الدرفندي في بضع وثلاثين نفساً من الزامة وكبس عسكر حميضة ليلاً فوضع فيهم السيف وهو يصيح باسم الملك الناصر. وانهزم حميضة برقبته وأخذ حريم حميضة وما كان معه من الأموال وكذلك الخيم والأثقال والجمال وكان ذلك شيئاً عظيماً^(١).

وصول حميضة إلى مكة على فرس واحد

٧١٧هـ فيها: ((قدم الأمير حميضة من بلاد العراق، على فرس واحد، مسافة عشرين ليلة ومعه اثنان من أعيان التتار هما روقيدي وملك شاه، ومعه ثلاثة وعشرون راحلة فضلت من العسكر الذين خرجوا صحبته من أبي سعيد بن خربنده ملك التتار، وساعده الرافضة لنصرة حميضة وغزو مكة، ونبش قبري الشيخين من جوار النبي ﷺ.

فحاربهم الأمير محمد بن عيسى أخو مهنا، وكان ببلاد التتار قد خرج عن طاعة السلطان لما بلغه الخبر، فكسرهم ونهبهم، فأقاموا بوادي نخلة بعد أن لقوا في طريقهم شدة، واستأذن أخاه رميثة في دخول مكة فمنعه من ذلك، إلا بعد إذن من السلطان فأرسل له يخبره بذلك، فكتب السلطان إلى حميضة ومن معه من روقيدي وملك شاه يطلبهم بالحضور بين يديه بالأمان وجهز لهم عسكراً صحبة الأمير سيف الدين إيتمش المحمدي، وسيف الدين بهادر العبدي أمير علم فوصلوا إلى مكة، وأرسل الأميران إلى حميضة في معاودة الطاعة والتوجه معهما إلى الأبواب السلطانية فاعتذر من قلة النفقة، فأعطياه مالا، فلما قبضه تغيب وعاد الأميران إلى القاهرة))^(٢).

٧١٧هـ وفيها حج الأمير حسام الدين مهنا وولده سليمان في ستة آلاف وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف ولم يجتمع مهنا بأحد من المصريين ولا الشاميين^(٣).

استيلاء الشريف حميضة على مكة المكرمة

٧١٧هـ ((وفيها أو في التي بعدها: بعد عود الحاج من مكة وثب الأمير عز الدين حميضة على أخيه أسد الدين رميثة بموافقة العبيد وأخرجاه من مكة، فتوجه رميثة إلى نخلة واستولى حميضة على مكة،

(١) تاريخ أبي الفداء، وراجع عمدة الطالب لابن عتبة صفحة ١٦٨-١٦٩، وراجع الرسائل الكمالية ص ٢٤٢.

(٢) درر الفرائد المنتظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج ١ ص ٦٢٢.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ مكتبة المعارف بيروت ط ١٩٦٦م ج ١٣ ص ٩٥.

وقطع الخطبة السلطانية، وخطب لملك العراقين أبي سعيد بن خربندار بن أرغون بن أبغا بن هولكو وأخذ أموال التجار^(١).

التتار يقومون بإعطاء البصرة لفضل بن عيسى

٧١٨هـ ((في أوائل هذه السنة سار فضل بن عيسى إلى ابن خربندار وجوبان إلى بغداد واجتمع بهما وأحضر لهما مقدمة من الخيول العربية فأقبل جوبان عليه وأعطى فضل المذكور البصرة واستمرت له إقطاعاته التي كانت له بالشام بيده مع البصرة، وأقام فضل عندهم فترة واجتمع بقراستقر هناك ثم عاد إلى بيوته وبعد مسير فضل عنهما سار جوبان وابن خربندار عن بغداد إلى قنغولان وهي المدينة الجديدة المسماة بالسلطانية^(٢))).

حلف عقيل مع غيرهم لطردهم من البصرة

٧١٨هـ ((حالفت عقيل عرب الأحساء والقطيف على مهنا بن عيسى وطردهوا أخاه فضلاً عن البصرة، فجمع مهنا العرب وقصد عقيلاً، والتقى الجمعان وافترقا على غير قتال ولا طيبة بعد أن أخذت عقيل أباعر كثيرة تزيد على عشرة آلاف من عرب مهنا المذكور، وعاد كل من الجمعين إلى أماكنهما وكانت هذه البرية وغالب بلاد الإسلام مجدبة لقلة الأمطار وهلك العرب وضرب دواب نفوت الحصر^(٣))).

٧١٩هـ حج الركب العراقي فخرجت عليه العرب ونهبوه^(٤).



(١) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ١٥٨.

(٢) تاريخ أبي الفدا.

(٣) المصدر السابق.

(٤) (٧٧٠ - ٧٨١هـ).

(٥) درر الفرائد المنظمة للجزيري ج ١ ص ٦٢٤.

شيخ آل حرب يقبض على الشريف رميثة

٧١٩هـ ((يقال إن السلطان لما علم بهروب رميثة بن أبي نمي من سجنه في مصر كتب إلى شيخ آل حرب^(١) يقول له: هذا هرب على بلادك معتمداً عليك ولا أعرفه إلا منك، فركب شيخ آل حرب بالهجن سبق وسار خلفه مجداً فأدركه نائماً تحت عقبة إيلة فجلس عند رأسه وقال: اجلس يا أسود الوجه. فانتبه رميثة وقال: صدقت، والله لو لم أكن أسود الوجه لما نمت هذه النومة المشؤومة حتى أدركتني. فقبض عليه وحمله إلى حضرة السلطان فألقاه في السجن وضيق عليه فوجع في السجن ورمى الدم^(٢))).

ولاية عطيفة مكة ونزوح حميضة إلى اليمن

٧١٩هـ ((في المحرم ولى السلطان الناصر عطيفة بن أبي نمي إمرة مكة وجهاز عسكره مع أميرين.... وتوجهوا من القاهرة في المحرم فلما وصل العسكر إلى مكة أجلسوا بها عطيفة... وكتب الشريف عطيفة إلى السلطان: إن القواد في طاعته وإن حميضة نزح إلى اليمن وفارقه بنو شعبة^(٣) وغيرهم وكثر بمكة الأمن والعدل ورخصت الأسعار...^(٤))).

مهاجمة حميضة مكة مرة أخرى

٧٢٠هـ ((في جمادى الآخرة قصد حميضة مكة بجيش يريد أخذها، وقتل جماعة من أهل مكة والمجاورين بها، فخرج إليه أخوه عطيفة وأخوه عطا فآخر من إخوتها بعسكر ضعيف فنصرهم الله عليه وكسروه، وهرب من ممالك الأمراء ثلاثة ولجؤوا إلى حميضة^(٥)). وقام أحد المماليك الثلاثة الذين لجؤوا إلى الشريف حميضة قرب نخلة واسمه أسمندر باغتيال حميضة وهو نائم وعاد ليخبر بفعلته^(٦).

زوجة أمير المدينة تحذره من فتك الناصر وبني خالد وبني لام

٧٢٠هـ ((أمر الأمير منصور الخدام والمجاورين بالرحيل عن المدينة وقال: من تخلف بعد ثلاثة

(١) لا أعرف هل يقصد بآل حرب القبيلة التي تعود بنسبها إلى بني أمية في نواحي الشام أم حرب القبيلة المعروفة في الحجاز أم حرب أخرى؟

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ١٦٣.

(٣) ينسبون إلى المهلهل المعروف بسالم الزير أخي كليب أحد جبابرة العرب وفرسانهم الشجعان وهم من ربيعة بن نزار. وقيل في نسب بني شعبة غير ذلك، ومنهم من ينسبهم إلى كنانة المضرية، قال ابن سعيد المغربي عن بني شعبة: لم يبق في البادية ممن ينسب لتغلب ولهم قائمة غيرهم. انظر نشوة الطرب ج ٢ ص ٦٤٠.

(٤) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ١٦٣.

(٥) المصدر السابق ص ١٦٧.

(٦) المصدر نفسه ص ١٦٨.

أيام انتقمْتُ منه لمكاتبتكم للناصر في القبض والاعتقال، فقال شيخ الخدام الحريري: لا يهمكم قوله، فمن ذو كفاية فهو على ذاته ومن لم يكن فكل ما تحتاجون إليه فهو على الله ﷻ وعليّ، فأنا أحملك على رأسي إلى مأمركم وأنا الذي أعرف الملك الناصر، ثم أرسل إلى بني سالم وغيرهم من العرب ليأتوه بالعيس، وشرع في الزهاب والذهاب إلى الناصر.

وكان لمنصور زوجة صالحة ذات رأي شديد حذرت من فتك الناصر به، وبني خالد إخوان المدينة، وبني لام، فأرسل إليهم معتذراً منهم وعاهدهم على الأمن والاستمرار. والتمس منهم أن لا يكاتبوا الناصر فيه إلا بالإحسان. وفي زمن إمارته انتقل أمر القضاء من بني حسين إلى أهل السنة، فأولهم عمر بن^(١)...
الدمهوري. قتل منصور سنة ٧٢٨هـ)^(٢).

شراء كشب ومران والحفر من قبيلة زعب

يذكر ابن شدقم عند ذكره لعقب الأمير منصور بن جماز أمير المدينة المنورة أن أحدهم يدعى: ((زبان وأمه كثيرة وهو أكبر إخوته)). ويقول ابن شدقم عن روى منهم: ((رأى من والده الجفا والاختصاص بإخوته عنه، فلم يزل محتملاً وبالصبر متجرعاً، فرحل عنه إلى قبيلة زعب فأقام مدة طويلة على عز وكرم وإجلال وإعظام... هم قدموا واستفزعوا به على أعدائهم واقتدوا بالسبابة فاقتدت به العشائر، ومالت إليه ذوو العرف والخباير، فاشترى من زعب جميع كشب ومران والحفر بحصان أعور)).

وقال: ((الحفر: بالفتح ثم السكون من مياه تملئ بطن مهروز، ووادي الحفر موضع آخر، والحفر اليوم منزل الأشراف من آل زبان بن منصور، والحفر مصغر بين ذي الحليفة وملل وهو المسمى في حدود الحرم بالحفيرة يصل إليه ماء من الحفر، عليه نخيل بالدهنا^(٣) لبني سعيد، وموضع آخر بين مكة والمدينة ثم منعهم من المنزل به وشرب مائه، فرحلوا عنه فصار كل من يرد مياهه يمسكهم من كل غير بعير ومن كل غنم شاة، إلا المتاريك^(٤) وهم طائفة من زعب لم يمسكهم، وهم باقون مع نسله إلى غايتنا هذه سنة ١٠٧٨هـ لم يمسكوهم بل على معزة وكرامة وقد غار بهم على أبيه وإخوته فنهبهم وبدد شملهم مراراً متعددة. قال جدي حسن طاب ثراه: فزبان خلف سليمان، أمه عامية خالدية، ثم سليمان خلف أربعة بنين: إبراهيم الشعشاع، وسرداح، وزاهراً وزهيراً^(٥))).

(١) فراغ في الأصل.

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٧٥.

(٣) الدهنا: اسم موضع قرب ينبع.

(٤) بالنسبة للمتاريك، راجع سنة ٦٤٩هـ، فهم من نسل أمير المدينة عيسى بن شيعة الحسيني، فالأمير عيسى خلف أحد عشر ابناً، ومنهم: دمع ودمخ يقال لولده الدموخ، فدمخ خلف متروكاً، ويقال لولده المتاريك منازل بني حسين البادية.

(٥) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٨٢.

عناية ملك العراق بالحج العراقي ومجود قبائل البحرين عليه

٧٢٠هـ ((اعتنى أبو سعيد بن خربندا بأمر حاج العراق عناية تامة وغشى المحمل بالحرير ورصعه بالذهب، وباللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر...، فلما مرّ ركب العراق بقرب البحرين خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم، فتوسط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة آلاف دينار، فلما قيل لهم: إنما جئنا من العراق بأمر الملك الناصر صاحب مصر، وكتابه إلينا بالمسير أعادوا المال، وقالوا: لأجل السلطان الملك الناصر نخفركم بلا شيء، ومكنوهم من المسير، فبلغ ذلك السلطان فسر به، وبالف في الإنعام على العربان، ودعي لأبي سعيد بعد الدعاء للسلطان بمكة، وكان السلطان قد بعث إلى أمراء المغل وأعيانهم الخلع...))^(١).

٧٢١هـ ((في أولها حلف بنو حسن لرميثة، وأظهر رميثة مذهب الزيدية، وكتب عطيفة أمير مكة ومملوك كان معه لنائب السلطان، يذكران السلطان ذلك فوصلت الكتب للسلطان في ربيع الآخر أو في جمادى الأولى فانجرح السلطان من هذا الأمر واشتد غضبه على رميثة))^(٢).

نموذج شعري لغانم بن عبيد الصخري

٧٢٣هـ في هذه السنة قابل ابن فضل الله العمري غانم بن عبيد الصخري من بادية الشام على طريق الحج الشامي بالقرب من العلا، وقال عنه: ((هو شاب كما انفك من غمده وأول ما برز كريم بنده قد علا شرفاً وتلثم بعمامة مد منها طرفاً فأنشدني من شعره من قصيدة:

خِفَ الله في صَبِّ أصيَّبَ بنظرة فؤاد له أعشاره لا تشعبُ
وإنِّي بالحي الخلف لَمُولَعُ وإن لم يكن في الحيّ أهلٌ ومرحبٌ^(٣)

هذا النموذج الشعري لأحد رجال البادية في القرن الثامن الهجري، يعرفنا بحق على اللهجة السائدة في ذلك الوقت، ونلاحظ التطور الذي طرأ عليها وصولاً إلى زمننا الحالي، وسيرد في الكتاب نماذج أخرى لتكون رسماً بيانياً يرصد تغيّر اللهجة، وتغيّر الأسلوب الشعري.

حصن فيد وذكر ابني مهنا بن عيسى

في ذي الحجة / نوفمبر ١٣٢٦م وصل ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) صباحاً إلى حصن فيد وذكر أنه حصن كبير في بسيط من الأرض يدور به سور. وقال إنه في نصف الطريق من مكة إلى بغداد، وأن منه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر يوماً في طريق سهل به المياه في المصانع. وذكر التقاءه بأميري العرب فياض وحيار بكسر الحاء ابني مهنا بن عيسى آل فضل ومعهما من خيل العرب ورجالهم ما لا يحصون^(٤).

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/ دار اليمامة بالرياض ج ١ ص ٦٢٦.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ١٧٣.

(٣) الدرر الكامنة لابن حجر السفر الثالث ص ٢١٧.

(٤) رحلة ابن بطوطة محمد بن إبراهيم اللواتي، تقديم وتحقيق عبدالهادي التازي ط/ ١٩٩٧م المغرب م ١ ص ٤١٣.

دور خفاجة في طريق البصرة

قال ابن بطوطة: سافرت إلى البصرة صحبة رفقة كبيرة من عرب خفاجة، وهم أهل تلك البلاد، ولهم شوكة عظيمة وبأس شديد، ولا سبيل للسفر في تلك الأقطار إلا في صحبتهم، فاكثريت جملاً على يد أمير تلك القافلة شامر بن دراج الخفاجي^(١).

ووصف ابن بطوطة البصرة بقوله: إنها ثلاث محلات إحداها (محلة هُذيل) وكبيرها الشيخ الفاضل علاء الدين بن الأثير، هو من الكرماء الفضلاء وقد استضاف ابن بطوطة وبعث له بثياب ودراهم، والمحلة الثانية (محلة بني حرام) وكبيرها السيد الشريف مجد الدين موسى الحسني وهو ذو مكارم وفواضل وقد فعل لابن بطوطة مثل ما فعله ابن الأثير من الضيافة والكرم، أما المحلة الثالثة فهي (محلة العجم) ومتنفذا جمال الدين بن اللوكي^(٢).

وذكر أيضاً أن أهل البصرة على مذهب السنة والجماعة، ومن المشاهد التي شاهدها في البصرة مشهد طلحة بن عبيدالله أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومشهد الزبير بن العوام حواري الرسول ﷺ وهو بخارج البصرة ولا قبة عليه، وقبر حليلة السعدية رضي الله عنها وعليه قبة، وعلى ستة أميال منها بقرب وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وبها سوى ذلك الجم الغفير من الصحابة والتابعين من أصحاب يوم الجمل، وكان أمير البصرة حين ورود ابن بطوطة إليها ركن الدين العجمي التوريزي^(٣).

حكم بني نبهان الأتريين لعمان وتبعيتهم لهرمز

وورد في رحلة ابن بطوطة أن أمير ظفار في وقت مروره هو السلطان الملك المغيث ابن الملك الفائز ابن عم ملك اليمن - المجاهد نور الدين علي بن السلطان المؤيد هزبر الدين داود بن السلطان المظفر يوسف بن علي بن رسول - وكان أبوه أميراً على ظفار من قبل صاحب اليمن وله عليه هدية يبعثها في كل سنة^(٤).

وزار أيضاً مدينة قلعات العمانية وقال عن أهلها: ((وكلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب، وكل كلمة يتكلمونها يصلونها بلا، فيقولون مثلاً تأكل لا؟ تمشي لا؟))، وأما عن مذهبهم فقد قال: ((وأكثرهم خوارج لكنهم لا يقدرّون على إظهار مذهبهم لأنهم تحت طاعة السلطان قطب الدين تهتمن ملك هرمز وهو من أهل السنة))^(٥).

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧.

(٢) رحلة ابن بطوطة محمد بن إبراهيم اللواتي، تقديم كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٤م ص ١٨٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٨٨.

(٤) المصدر السابق ص ٢٦٥.

(٥) رحلة ابن بطوطة محمد بن إبراهيم اللواتي، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي ط/ ١٩٩٧م المغرب م ٢ ص ١٣٥.

وأما عن عمان فذكر أن عاصمتها هي مدينة نزوة وأن سلطانها هو أبو محمد بن نبهان من الأزدي بن الغوث، (وأبو محمد) لقب لكل أمير يتولى أمور عمان ويذكر أن أهلها إياضية^(١).

مرور ابن بطوطة بالقطيف والإحساء

ومر بالقطيف [وقال] عنها: ((مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير، يسكنها طوائف العرب، وهم رافضية غلاة يظهرون الرفض جهاراً لا يتقون أحداً)) ثم سافر إلى هجر وقال إنها صارت تسمى الحساء، وذكر كثرة نخلها وذكر أن أهلها عرب أكثرهم من عبدالقيس بن أفضى^(٢).

اليمامة سكانها بنو حنيفة وأميرها طفيل بن غانم

ويقول ابن بطوطة عن رحلته من الإحساء إلى اليمامة: ثم سافرنا منها - أي الإحساء - إلى مدينة اليمامة، وتسمى أيضاً بحجر مدينة حسنة خصبة، ذات أنهار وأشجار، يسكنها طوائف من العرب وأكثرهم من بني حنيفة وهي بلدهم قديماً وأميرهم طفيل بن غانم، ثم سافرت منها في صحبة هذا الأمير برسم الحج وذلك في سنة ٧٣٢هـ إلى مكة شرفها الله تعالى ولما انقضى الحج توجهت إلى جدة^(٣).

ذكر أمير المدينة كبش الحسيني ومسير الأمير حمزة العقيلي إليه

٧٢٥هـ في هذه السنة وقيل في سنة ٧٢٧هـ تولى السيد كبش بن منصور بن شيحة بن هاشم بن قاسم ابن مهنا الشريف الحسيني إمارة المدينة بعد أن قتل والده بشهر رمضان، وفي سنة ٧٢٩هـ ثار أولاد مقبل بن جمار على كبش وقتلوه فأمر ملك مصر بالإمارة لأخيه طفيل^(٤).

ففي سنوات حكم السيد كبش بن منصور على المدينة (من ٧٢٥هـ إلى ٧٢٩هـ) قام الأمير حمزة العقيلي بالرحيل إليه منطلقاً من جهة الغيبة في قلب نجد ومدحه بقصيدة جميلة وكان كمن يستجدي السحاب. ونترككم مع القصة برواية السيد ضامن بن شذقم، فهو يقول: ومما حكى ونقل لي عن الأمير كبش وكرمه: أن الأمير حمزة بن...^(٥) العقيلي كان سخيّاً كريماً مفرطاً وكانت زوجته تمنعه عن ذلك، فلطمها ذات يوم لتعرضها له، فهجرته لقلّة ما في يده، فرحل قاصداً الأمير كبش بهذه الأبيات، وكانت ركابه التي كان رحل عليها سبعة عشر بعيراً وقد ذكرها في هذه القصيدة قال:

١- زار الخيال قاصي المنزل وهناً وقد خفق السماك المنزل

٢- متهوداً ضاق الخروج وقد هدى خالي الحشا في نومه واستثقل

(١) المصدر السابق ص ١٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٥١.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٣.

(٤) تحفة الأزهار لابن شذقم ج ٢ ص ٤٠٤.

(٥) يياض في الأصل.

٣- وأحبه من طارش لو أنه
 ٤- حبيته فأصدني معرضاً
 ٥- متدللاً تيهياً على كماله
 ٦- يا نافل بالزين كل مقنع
 ٧- أسقمتني عمداً بغير جنية
 ٨- إن كان يعجبك الصدود فلأنني
 ٩- أرفق عليّ فلأنني بك راضي
 ١٠- من عشق مثلك درة مصيونة
 ١٤- أنت الخلي وأنا المصاب المبتلى
 ١٥- وأنا أسأل الله حيث بليتني
 ١٧- ما واجباً منك تهين مكرماً
 ١٨- المصطلين من الحروب لهيبها
 ٢٠- لا هايبين ولا ضعاف عزائم
 ٢٢- وتقول خذلي أميمة من بعدما
 ٢٣- جدّاً على مثلي المزاح يغيظها
 ٢٤- انتم غبوككم القراح وغيركم
 ٢٥- فوكمتها لما سمعت حديثها
 ٢٦- لا تكرمي عدم الكريم من الغنى
 ٢٧- يهفي عن الرعن الطويل تمامه
 ٢٨- فإن كان قل اليوم ما ملكت يدي
 ٢٩- ظل البكا ينهل من مطروفها
 ٣٢- أنشت إلي بناشد قد أبصرت
 ٣٣- من ذا تريد ومن تزور ولم تكن
 ٣٤- قلت الشريف ابن الشريف أزوره
 ٣٥- فانحيت من حول العيينة ضمرا
 ٣٦- متهمات من مصدن عوامداً
 ٣٧- كبش بن منصور بن جماز الذي
 ٤٠- أنت الحجا نعم الحجا لمن التجا

لو انجلي طيب الكرى لم ينجلي
 بالنوم واليقظ كذلك يفعل
 حبه بقلبي قط ما هو ينجلي
 لم يخط سهم مقلتيك المقتلي
 فإلى متى عني صدودك ينجلي
 راضي عدلت بحكمك أو لم تعدل
 من عشق لا بأنف ولا يتزعزل
 مثل الغزال الزيجان الأكحل
 ليس المصاب المبتلى مثل الخلي
 ببلية أن يبتليك المبتلي
 في قومه سمح الوجوه المبجلي
 الضاربين غليظ وسط الجحفل
 لو داسهم غير الزمان وكلكل
 نظرت سواي سيرة المترحل
 عسري وإيسار اللئام البخل
 يمتلئ من لبن البكار الحفل
 خطلاً وقلت لها: رويدك اعقلي
 والسيل حرب بالمكان المعتلي
 ويحل بالخفظ العميق الأسفل
 فالدن أحياناً يفيض ويمتلي
 غرفاً وظل الفيض ماماً جدول
 لنظاير دمن السوام وتعقل
 دوماً بزوار ولا مستفحل
 ابن الرسول ابن البتول ابن الولي
 يرفلن إرفال النعمان الجفل
 وعسى بعد وروده من لا نحمل
 حاز الثنا وعذاره لم يكمل
 وأنت الربيع لذي الزمان الممحل

- ٤٣- مانا بأول سَيدٍ وسحت به
لنظا إلى ملك نبيل ويجزلي
- ٤٨- ثم الصلاة على النبي محمد
ما لاح برق في السحاب المهطل
- قال الصويان في الشعر النبوي: وقد أفدت من مخطوطة الذكير في التعرف على اسم أبي حمزة الذي تقول المخطوطة إنه شفيح. وهذا اسمه أيضاً عند سليمان الدخيل...، واسم ابنه غانم. وفيما يلي أبيات شعرية مختارة من كتاب الشعر النبوي للصويان من قصيد شفيح أبي حمزة العامري.
- ٤٣- لا تكرهي عدم الكريم من الملا
فالسيل حرب للمكان المعتلي
- ٤٤- يهفي عن الرعن الطويل بمائة
ويقرّ بالغمض الوطي الأسفلي
- ٤٥- وإن كان قل اليوم ما ملكت يدي
فالدلو أحياناً يفيض ويمتلي
- ٤٦- وتيقني إنني وكل ذخيرة
ما نذخر إلا للزمان المعضلي
- وقال أيضاً:
- ٥٧- قومي شبانة ذو المفاخر والعلی
والعود ينبت في مكانه عودا
- ٥٨- المركبين الضد كل كريمة
النازلين المنزل المحمودا
- ٥٩- السالمين من العيوب وبالقسا
عيد الضيوف إلى غدا الماجودا
- ٦٠- قوم تزيدهم الحروب شجاعة
والغير منهم للحروب يبیدا
- ٦١- ما يشتكي منا الصديق شكية
يوم ولا رزت عسليه بنودا
- ٦٢- نبدي بحاجاته على حاجاتنا
بغم العدا وبمبتغى المقصودا
- وفي كتاب البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم لسليمان الدخيل^(١) توجد قصيدة لأبي حمزة شفيح العامري وسوف أذكر بعض أبياتها وذلك لأن القصد دائماً بالاختصار:
- فانشد سراة بني سنان بأنهم
بيض الوجوه رباب النعماء
- عن سبهم عرضي وعن تشتيمهم
قبل محال سبهم آبائي
- هل كيف يات الذم أبلج لم يكن
طول الحياة معتر وحية الأنواء
- أرى أخاك أبا منسيف قائلاً
صف لي بيوت مذمة وهجاء
- والا فسل ربيعة بن مقدم
مروي الغليلة صاحب الغراء
- لما لحقته بالمضيق فقال لي
قدم ووخر إن بغيت جزائي
- فعدلت رأس الرمح ثم ركزته
في صاحب المعذولة الشقراء
- فبقين من بعد الورود صوادر
كسين كسيت قطيعها بدماء
- والضعن ياما ذدتكم عن قربه
ذود السظمايا عن زلال الماء

(١) البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم، لسليمان الدخيل ط ١ ص ٢٠٣ ص ٥٢.

وحبستكم بالكفره عن فرسانكم
ما تذكرون البيض يوم تركتها
إن كنت يابن العم أكثر عزوة
إن الدجاج كثيرة أفراخها
ولا فسل عنا الصبي مغمس
في محفل يندب شبانه جدهم
الشابطين إذا القلوب تراجفت
بيض الثياب نقية أعراضهم
أما تميزكم علي بشعركم
وتيقنوا كل اليقين بأنني
منكم وإلا فالقريض أنا به
حنا حصاة المنجنيق على العدا
حنا كما روض غليظ نبتة
نصبر ولو حلق القصير خيارنا
وتأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا
ثم الصلاة على النبي محمد

عند احتراج الظعن بالصعداء
بيض الوجوه رباب النعماء
لا بأس يابن العم بأخذ الشاء
إن الصقور قليلة الأضناء
راعي القباء والمهرة الحمراء
لم يفض لي جفن على الأقداء
الصامدين صليبة الصهباء
عما يذم مغارس الهيجاء
سفهاً بقدر شجنكم وضفاء
تركي قضاكم عفة وحياء
فطن ويوجع بالكبود قضاء
حنا شراب الدم وحنا الداء
يصعب وطئه بغير حذاء
من خوفني تشمت بنا الأعداء
وفروجننا تأبى عن الفحشاء
ما غردت جنح الدجا الورقاء

وفاة أحمد بن تيمية

٧٢٨هـ قال ابن كثير: في ذي القعدة منها (سبتمبر ١٣٢٨م) كانت وفاة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه.

دخول قوات هرمز إلى البحرين

٧٣١هـ - ١٣٣٠م: في هذه السنة دخلت قوات هرمز إلى البحرين في عهد قطب الدين تهماتن الذي كان يحكم هرمز منذ بداية القرن الرابع عشر^(١).

٧٣٢هـ في هذه السنة توفي أبو الفداء الذي يصف مدينة الأحساء القديمة بأنها بليدة غير مسورة. ويعلق الأستاذ عبدالرحمن بن عثمان آل ملا على ذلك فيقول: هذا دليل على أن المدينة لم تعد على ما كانت عليه من الأهمية.

(١) مقالة مترجمة عن الإنجليزية نشرت في مجلة دراسات الشرق الأوسط ع ١٢ بتاريخ ١٩٨٧ بقلم Juan R.I Cole بكتاب من سواد الكوفة إلى البحرين ص ٣٢٩.

وفادة عدد من أمراء بني عقيل إلى مصر

وفيها (٧٣٢هـ) وفد عدد من أمراء بني عقيل إلى مصر وذلك حسب ما ذكر ابن فضل الله العمري وكان من بينهم: هلال بن أبي الحسن العامري العقيلي وكلبي بن ماجد العامري العقيلي وكانت الإمارة فيهم في أولاد مانع بن عصفور.

نموذج شعري لـ كلبي بن ماجد من أمراء البحرين

في الدرر الكامنة للعسقلاني قال: كلبي بن ماجد العامري العقيلي من أمراء البحرين ذكره الشهاب ابن فضل الله وقال: كان شيخ ذو وقار وإجلال وكان يفد على السلطان ويأتي بالخيال العربية [المشهورة] في سرعة السير، وكان السلطان يكرم وفادته فيرجع مسروراً. قال وأنشدني لنفسه سنة ٧٣٢ من قصيدة:

لَعَمْرُ سُلَيْمَى إِنِّهَا يَوْمَ وَدَّعْتُ نَعِيمَ نَفُوسٍ فِي الْوَرَى وَعَذَابُهَا
لَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ خَلْفِ رَمْلَةٍ عَالِجٍ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْبُعْدِ يَذْنُو اقْتِرَابُهَا؟

وللامير هلال بن أبي الحسين العامري

قال ابن حجر العسقلاني: هلال بن أبي الحسين العامري ثم العقيلي ذكره الشهاب ابن فضل الله وقال: كان من كبار قومه وله وفادات على الناصر ويهدي إليه الخيل الكرام قال وأنشدني لنفسه:

وَدِيمُومَةٌ تَيْهَاءَ كَلَّفْتُ حَاجِبِي سُرَى اللَّيْلِ فِيهَا وَاجْتَبَاءَ الْمُحَارِمِ
قَطَعْتُ بِهَا الظُّلُمَاءَ فِي كُلِّ وَجْهٍ أَشَقُّ الدُّجَى فِيهَا إِلَى أُمِّ سَالِمِ
دَاجٍ بَرَاهَا اللَّهُ لِلْعَيْنِ فِتْنَةً أَلَا مَكْذَا أَفْعَالُ غُرِّ الْمَنَاسِمِ

٧٣٦هـ في هذا العام وصل إلى الديار المصرية وفد من الدولة العصفورية العامرية إلى مصر وقابلوا السلطان الناصر قلاوون وكانت الإمارة فيهم في أولاد مانع بن عصفور، وكانوا يصلون إليها وصول التجار.

انتقال قبيلة مالك بن عقيل إلى جهات البصرة

وفي القرن الثامن الهجري: صارت قبيلة مالك بن عقيل التي كانت في أرض تيماء من نجد إلى جهات البصرة، بينها وبين الكوفة في الآجام المعروفة بالبطائح والإمارة منهم في بني معروف، وتقول المصادر التاريخية إنه بعد موت ملك التتار سنة ٧٣٦هـ: (تغلبت بعض قبائل العرب على البصرة). وربما أن قبيلة بني مالك هذه هي القبيلة التي في قبيلة المنتفق الآن.

الدولة الجلائرية (٧٣٧-٨٣٥هـ) في العراق

بعد وفاة خربندا التتري توصل إلى حكم العراق أسرة مغولية عرفت دولتها بالتاريخ بالدولة

الجلالونية وأصل هذه الأسرة من قبيلة جلاير المغولية فهي إحدى القبائل المغولية الأربع: أرلات، جلاير، قاجين، بارلاس^(١).

قال ابن كثير: ((جاءت الأخبار بموت ملك التتار أبي سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولكو بن تولي بن جنكزخان في يوم الخميس ١٢ ربيع الآخر ٧٣٦هـ بدار السلطنة بقراباغ وهي منزلهم في الشتاء ثم نقل إلى تربته بمدينة التي أنشأها قريباً من السلطانية مدينة أبيه وقد كان من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها وقد عز أهل السنة بزمانه، وذلت الرافضة بخلاف دولة أبيه، ثم من بعده لم يبق للتتار قائمة، بل اختلفوا ففرقوا شذر مذر إلى زماننا هذا وكان القائم من بعده بالأمر أرتكاوون من ذرية أبغا، ولم يستمر له الأمر إلا قليلاً)).

وبعد أن وقع الخلاف بين التركمان التريين، تفرقت كلمتهم وانقسمت المملكة بين أمرائهم وتغلب على بعض البلاد الفراتية المماليك (ملوك مصر والشام) وتغلبت بعض قبائل العرب على البصرة والسماعة والكوفة وعلى جميع البلاد الواقعة على حافة البادية وحافة سواد العراق وخرجت السلطنة من العائلة الجنكيزية، بعد أن دخلت جيوش حسن الكبير الجلائري الذي كان يحكم سيطرته على آسيا الصغرى إلى العراق في سنة ٧٣٨هـ، وامتدت سيطرته على البصرة أيضاً^(٢).

ما جرى للشريف أحمد بن رميثة في العراق

يقول ابن عنبه: ... ((وعاد - الشريف أحمد بن رميثة - إلى السلطان مصاحباً للقافلة العراقية، فأعظمه السلطان أبو سعيد إعظافاً عظيماً، وأحله مقاماً كريماً وفوض إليه أمر الأعراب بالعراق، فأكثر فيهم الغارة والقتل وكثر أتباعه وعرض جاهه وأقام بالحلة نافذ الأمر عريض الجاه كثير الأعوان إلى أن توفي السلطان أبو سعيد (ت ٧٣٦هـ)، فأخرج الشريف أحمد الحاكم الذي بالحلة، وهو الأمير علي ابن الأمير طالب الدلقندي الحسيني الأفطسي، وتغلب على البلد وأعماله ونواحيه وجبى الأموال وكثر في زمانه الظلم والتغلب، فلما تمكن الشيخ حسن ابن الأمير حسين أقبوقا الجلائري - (٧٣٨) - من بغداد وجه إليه العساكر مراراً فأعجزه لمراوغته مرة ومقاومته أخرى، ثم إن الشيخ حسن توجه إليه بنفسه في عسكر ضخم وعبر الفرات من الأنبار، وأحاط بالحلة، فتحصن الشريف أحمد بها فغدر به أهل المحلة التي كان اعتمد عليها، وخذله الأعراب الذين جاء بهم مدداً وتفرق عنه الناس حتى بقي وحده، وملك عليه البلد فقاتل عند باب داره في الميدان قتالاً لم يسمع بمثله وقتل معه أحمد بن فليته الفارس الشجاع وأبوه فليته، ولم يثبت من بني حسن غيرهما، وابتليا وقاتلا حتى قتلا. ولما ضاق به الأمر توجه إلى محلة الأكراد وقد نهبها مراراً وقتل جماعة من رجالها. إلا أنهم لما رأوه قد خذل أظهروا له الوفاء، وواعدوه النصر، وتعاهدوا له أن يحاربوا دونه في مضايق درب البلد حتى يدخل الليل، ثم يتوجه حيث شاء. وكان الحزم فيما أشاروا لكنه خالفهم وذهب إلى دار النقيب: (قوام الدين بن طاوس الحسيني) وهو يومئذ نقيب

(١) راجع: تاريخ الغياثي: الهامش تحقيق د. طارق الحمداني ص ٨١.

(٢) موسوعة البصرة الحضارية-جامعة البصرة.

الأشراف. فلما سمع الشيخ حسن بذلك أرسل إليه شيخ الإسلام بدر الدين المعروف بابن شيخ المشايخ الشيباني وكان مصاهراً للنقيب قوام الدين بن طائوس فأمنه الشريف وحلف له وأعطاه خاتم الأمان وأرسل به إلى الأمير الشيخ حسن.....، فضرب عنق الشريف بسبع ضربات....، وانقطعت قافلة العراق عن الحج مدة حياة الشريف رميثة - (ت ٧٤٦هـ) - ((١)).

ويقول ابن عنبه: ((فلما توفي - الشريف رميثة - وملك ابنه عز الدين أبو سريع عجلان... تكلم في الصلح فأجابهما السيد عجلان (ت ٧٨٨هـ). وكان للشريف أحمد بن رميثة ابنان هما أحمد ومحمود فقرر - الشيخ حسن الجلايري - لهما من مال الحلة في كل سنة مبلغ عشرين ألف دينار تحمل إليهما في كل سنة إلى الحجاز، ولم تزل مستمرة يأخذها محمود وأحمد.... أما أحمد بن أحمد بن رميثة فدرج، وأما محمود ابن الشريف أحمد بن رميثة فولد محمداً رأته بمكة شرفها الله تعالى سنة ٧٣٦هـ شاباً.... وأعقب محمد بن محمود بن أحمد غلاماً طفلاً مات عنه وهو صغير.. وليس لمحمد ولد غيره)).

وفي كتاب الأنساب لركن الدين الحسيني يقول: قتل الشريف أحمد سنة ٧٤٢هـ وهو الذي قدم الحلة من مكة وحكمها وحاربه الشيخ حسن أبو السلطان أويس سبع سنين إلى أن قتله في رمضان من هذا العام. ٧٣٧هـ ((فيها اصطالح الشريفان رميثة وعطيفة على المشاركة في الإمرة، وأقاما مدة ثم توجهوا إلى ناحية اليمن بالواديين، وترك عطيفة ولده مباركاً بمكة، وترك رميثة ولده مغامساً بالجديد، وحصل بين مبارك ومغامس منافرة، فركب مبارك إلى الجديد لقتال مغامس في يوم السبت ٢٧ رجب، وكان مع مبارك أصهاره الأعراب المعروفون ببني عمير أصحاب الخيف المعروف بخيف بني عمير بوادي نخلة، وجماعة من أهل مكة. فالتقى عسكره وعسكر ابن عمه فقتل من أصحاب مبارك خمسة أنفار ومن أصحاب مغامس نفر واحد، وأخذت لأصحاب مغامس خيول وهرب مغامس إلى الخيف)) (٢).

نفي العباسيين إلى قوص ونفي العبيديين إلى الفيوم

٧٣٧هـ قال ابن كثير: ((وفيها نفي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذويه وكانوا قريباً من مائة نفس إلى بلاد قوص ورتب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم فإننا لله وإنا إليه راجعون. وفي ثالث ربيع الأول من سنة ٧٣٨هـ رسم السلطان بتسفير علي ومحمد ابني داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى الفيوم يقيمون به)).

نموذج شعري لأحد بني لام من بادية الحجاز

٧٣٨هـ قال العسقلاني: شريك بن نجام الطائي اللامي من بني لام قبيلة من طئ يكنى أبا الصبهاء من بادية الحجاز قال ابن فضل الله لقيته سنة ٧٣٨هـ فأنشدني لنفسه قصائد قالها في وقعة كانت بينهم وبين بني مري.

(١) عمدة الطالب: لابن عنبه ت ٨٢٨ ص ١٧١-١٧٢.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ٢٠٧.

نُواسِلُ لِلْقَاءِ إِذَا اجْتَمَعْنَا عَدَدْنَا مِثْلَ أَقْسَامِ السَّمَاءِ
وَلَمَّا أَنْ أَتَوْا قُمْنَا إِلَيْهِمْ مَقَامَ الْأَشَدِّ تَقْدُمُ لِلضَّرَاءِ
وَقَدْ جَاؤُوا بِعَدْدٍ لَا يُبَارَى يُسَدُّ بِبَغْضِهِ رَحْبُ الْقَضَاءِ
فَلَوْلَا أَتْنَا كُنَّا رَجَالًا تَعُودُ طِفْلُنَا وَلِغِ الدَّمَاءِ
لَمَّا سَقَتْهُمْ مَنَّا رَجَالًا كُؤُوسَ الْمَوْتِ تُخْسَى كَالطَّلَاءِ
وَلَكِنَّا لِأَبَاءِ أَقَامُوا عَلَى الصَّهَوَاتِ شَامِخَةَ الْبِنَاءِ

بنو جعفر الطيار

يقول ابن عنبه (ت ٨٢٨هـ) نقلاً عن ابن معية الحسني النسابة (ت ٧٧٦هـ) عن رجل من بني الطيار ورد الحلة أيام حكم الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى أمير طيئ^(١) بها بأنه قال: ((نحن بنو جعفر الطيار^(٢)) بادية مع آل مهنا نحو من أربعة آلاف فارس نحفظ أنسابنا وننكح في أعراب طيئ ولا ننكحهم. لكن أكثرهم يجهلون أنسابهم ولا يعرفون اتصالهم ويكتفون أنهم من ولد جعفر الطيار وهم يعرفون بعضهم بعضاً ويفرقون بينهم وبين من لا ينتهي إليهم^(٣))).

وقال الإصطخري وهو يتحدث عن جبل رضوى: ((وبقره فيما بينه وبين ديار جهينة وبلي وساحل البحر ديار للحسين، حذرت بيوت الشعر التي يسكنونها نحواً من سبعمائة بيت وهم بادية مثل الأعراب ينتقلون في المراعي والمياه انتقال الأعراب لا تميز بينهم في خلق ولا خلق وتتصل ديارهم مما يلي المشرق بودان، وودان هذه من الجحفة على مرحلة وبينها وبين الأبواء التي هي على طريق الحاج في غربها ستة أميال، وبها كان في أيام مقامي بها رئيس الجعفرين أعني أولاد جعفر بن أبي طالب، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع وبينهم وبين الحسين حروب ودماء حتى استولت طائفة من اليمن يعرفون ببني حرب على ضياعهم فصاروا حزباً لهم فضعفوا^(٤))).

قال ابن خلدون: وقال ابن الحصين في ذيله على الطبري: (دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر). ثم قال: ((وترددت ولاية بني العباس عليها والرياسة فيها بين بني حسين وبني جعفر إلى أن أخرجهم بنو حسين، فسكنوا بين مكة والمدينة. ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد إلى القرى والحصون،

(١) عزل عن الإمرة سنة ٧٤٣هـ.

(٢) هناك زعامات تدعي الأرومة في جعفر فلعلها تعود لجعفر الطيار. وقال السهودي: ذكر أبو اليقظان أن عبدالله بن جعفر الجواد - الطيار - كان أجود العرب وأنه توفي بالمدينة وقد كبر، وقال غيره: توفي بالأبواء سنة تسعين، ويقال: إنه كان ابن عشر سنين حين قبض رسول الله ﷺ. راجع: وفاء الوفا للسهودي ص (٩١).

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: لابن عنبه ت ٨٢٨هـ ص ٧٧.

(٤) مسالك الممالك للإصطخري ص ٢٢.

وأجازوهم إلى الصعيد فهم هنالك إلى اليوم، وبقي بنو حسين بالمدينة إلى أن جاءهم طاهر بن مسلم من مصر فملكوه عليهم^(١).

٧٤٤هـ مات عيسى بن فضل الله بن عيسى بن مهنا، وكان ولي الإمرة بعد وفاة موسى بن مهنا، كان من خيار أهل بيته^(٢).

ولاية الشريف عجلان بن رميثة على مكة المكرمة

٧٤٤هـ فيها ((اشترى عجلان وثقة البلاد من أبيهما رميثة بستين ألف درهم، لأنه ضعف وعجز، ثم قبض السلطان ثقة ورد الأمر لرميثة، ثم ولي السلطان عجلان سنة ٧٤٦هـ، وفيها مات رميثة. ثم ولي ثقة مكة وهرب عجلان، ثم ولاه أمير الحج، ثم اشتركا في الولاية، ثم ولي محمد بن عطيفة وسند بن رميثة، ثم حصلت فتنة في مكة فقصد محمد بن عطيفة مصر فمات بها سنة ٧٦٣هـ ثم ولي عجلان واستمر إلى أن مات سنة ٧٨٨هـ))^(٣).

علاقة البحرين والقطيف بسلاطين هرمز

في سنة ٧٤٥هـ استطاع نظام الدين كيقباد القيام بانقلاب أقصى به أخاه الملك قطب الدين تهتمن الثاني عن حكم هرمز وأعلن نفسه سلطاناً عليها، وقد حاول تهتمن استعادة ملكه إلا أنه فشل في جميع محاولاته.

ولم يدم حكم نظام الدين طويلاً ففي سنة ٧٤٦هـ توفي، وكان يقول لولديه شادي وشنبا وهو يحتضر يجب إرجاع حكم البلاد لحاكمها الشرعي أي أخاه تهتمن، إلا أن ولديه لم ينفذا وصيته، وشاءت مشيئة الله أن يقوم الأهالي بمساعدة السلطان قطب الدين تهتمن في إنزال قواته على ساحل كرمان، ومن ثم الانتصار على أولاد أخيه واستعادة حكم جزيرة هرمز ثم قيس ولم يبق في يد شادي سوى جزر البحرين والتي استأثر بحكمها الأمير شادي إثر خلافه مع أخيه شنبا وهروبه إلى منطقة فال التابعة لهرمز.

وقد توفي السلطان تهتمن الثاني في سنة ٧٤٧هـ فتولى الحكم بعده ابنه تورانشاه إلى سنة ٧٧٩هـ^(٤).

وفي عهد تورانشاه حصلت تغيرات كبرى في جزيرة البحرين ومنها أنه لما توفي الأمير شادي الذي استغل في حكم جزر البحرين تولى بعده ابنه فولان، فلما علم شنبا بوفاة أخيه شادي عبر إلى جزيرة البحرين وقتل ابن أخيه وصار حاكماً للجزيرة، إلا أن حكمه لم يدم بسبب ظلمه وسوء سياسته فقام الأهليون بقيادة مير عجب والشيخ محمد البهلوان والشيخ أحمد بن راشد بن مانع بن عصفور بالثورة ضده واستطاع المير عجب قتله فأصبح الأخير هو حاكم الجزيرة.

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي باعلوي ص ٨٠٢.

(٣) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٤١٦-٤٢٠.

وعندما طلب المير عجب من الشيخين محمد البهلوان وأحمد بن راشد الاعتراف به حاكماً مستقلاً للبحرين رفضا وأصرّا على عودة البحرين إلى وضعها الصحيح بأن تعود تبعيتها لإقليم بلاد البحرين فأسرعا بالاتصال بحاكم القطيف الشيخ ماجد العصفوري وطلباً منه العون والمساعدة لتخليصهم من المير عجب بضم البحرين إلى حكمه في القطيف، فما كان منه إلا أنه شك في نواياهما فاعتقلهما وأرسلهما إلى تورانشاه وذلك إمعان منه في تبعيته له رمز حتى ولو كانت مجرد تبعية اسمية أو لمجرد الخوف من بأسه، فقدم تورانشاه على رأس قوة ضخمة وبرفقة الشيخين أحمد بن راشد ومحمد البهلوان الذي أمر بإطلاقهما وإكرامهما وأعدم المير عجب. ثم أكمل تورانشاه زيارته للقطيف ووجد الشيخ ماجد العصفوري باستقباله مقدماً فروض الولاء والطاعة^(١).

إكمال خندق المدينة لحمايتها من هجمات أعراب البادية

٧٥٢ هـ ((الأمير فضل أخو الأمير جماز بن هاشم ابن الأمير سالم، ولي الإمارة بعد موت سعد بن ثابت بن جماز ١٢ ربيع الأول سنة ٧٥٢ فأطاعه آل جماز وحالفوه وخطبوا له ثم وجهوا مانع بن علي بن أبي مزروع وودي بن جماز بن شيحة إلى السلطان...^(٢) ملتجئين منه الاستمرار فأجابهم لذلك ولم يزل بها أميراً إلى أن مات ١٦ ذي القعدة سنة ٧٠٤ ودفن في قبة الأئمة ثم ولي بعده مانع بن علي بن مسعود ابن جماز بن شيحة....

وفي زمن الأمير فضل أكمل عمارة الخندق حول المدينة التي بناها... وزير الملك العادل نور الدين محمود....، قبل هذه العمارة كان أهل المدينة في أشد ضيق وتعب وضرر عظيم من أعراب البادية خصوصاً آل ظفير^(٣)، لا يتركون لهم ما يوارون به أنفسهم من جليل ولا حقير سواء ما يأخذون من الإتاوة حمل بعير، فلما كملت عمارته كثرت بالمدينة الواردون فاتخذوها مسكناً ومقطناً^(٤).

أخذ عرب البحرين للبصرة والاستعانة بأمير طيئ لردهم

٧٥٥ هـ في هذه السنة قام عرب البحرين بالهجوم على البصرة بهدف الاستيلاء عليها، فتصدت لهم قوات اسفول وعجزت عن دفعهم خارج المدينة فما كان من حاكم العراق حسن الجلاني إلا أن استنجد بفواز بن مهنا الطائي من آل فضل واستطاع الاثنان أن يوقعوا هزيمة فادحة بعرب البحرين وإجبارهم على الخروج من البصرة بعد أن خسر الفريقان عدداً كبيراً من الجنود^(٥).

(١) المصدر السابق ص ٤٢٠-٤٢٤.

(٢) فراغ في الأصل.

(٣) قال العمري: أن (شمر ولام) من عرب الحجاز وديارهم جبلا طيئ وسلمى. (وظفير) من بني لام، ومترلهم الظعن قبالة المدينة. مسالك الأبصار للعمري ص ٤ ص ٣٥٦.

(٤) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٤٤.

(٥) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٤٠٩، نقلاً عن الحسيني في كتابه ذبول العبر ص ٣٠٢.

٧٥٦هـ وفيها: ((أفرج السلطان عن ثقبه وأخويه سند ومغامس وابن عمهم بشفاعة الأمير فياض بن مهنا فأقاموا بالقاهرة ثم فروا منها بخمسة أفراس))^(١).

٧٥٦هـ ((في جمادى الآخرة وصل الخبر إلى مكة بعزل الشريفين ثقبه وعجلان عن إمرة مكة، وتوليتهما لأخيها سند بن رميثة ومحمد بن عطيفة، وكان سند مع أخويه في ناحية اليمن، وابن عطيفة بمصر))^(٢).

ولاية الشريف مانع بن علي على المدينة المنورة

٧٥٦هـ ((مانع بن علي بن مسعود بن جماز بن شيحة، قد اجتمع آل جماز فقدموه عليهم رئيساً وولوه أميراً، بعد موت الأمير فضل بن هاشم بن سالم وذلك لسادس عشرين من شهر ذي القعدة سنة ٧٥٦هـ، ثم وجهوا أخاه مقبل بن جماز ومحمد بن مبارك إلى السلطان... ملتجئين منه العقد والاستمرار فأجابهم بالخلع والمراسيم لذلك، فكان مانع عديم الرأي والتدبير فكثرت الفتن.. وتزايدت به المصائب من آل منصور بن جماز فاستعان ببني لام وأهل المدينة والمجاورين والخدام فمدوه بالنصر والقيام لما بذل لهم من الأموال ثم جار عليهم جوراً عظيماً فبلغ ذلك السلطان فصرفه بالأمير جماز بن منصور فوصلت إليه الخلع والمراسيم لحادي عشر ربيع الأول سنة ٧٥٩هـ. لان إخوته قدموه عليهم بعد موت أخيهم طفيل))^(٣).

٧٦١هـ وفيها توفي أورخان الغازي بن عثمان الغازي بن طغرل، وكانت ولادته سنة ٦٨١هـ، وتولى الحكم سنة ٧٢٧هـ ومدة حكمه ٣١ سنة وبلغ من العمر ٨١ سنة، وبعد وفاته جلس بمكانه ابنه الغازي السلطان مراد خان الخداوند كار ومشى على سيرة أبيه^(٤).

٧٦٦هـ فتح تركيا للصرب والبلغار. *مركز تقيت كوتيزر علوم رسي*

٧٧٥هـ فتح مصر لأرمينيا.

٧٧٧هـ توفي السلطان أويس، وكان له ثلاثة من الأولاد ((السلطان حسين والسلطان أحمد وشهزادة شيخ علي. وكانت له بنت واحدة تزوجها شاه شجاع وأولدت منه ولداً أسماه زين العابدين... جلس السلطان حسين بتبريز سنة ٧٧٧هـ. استمر شهزادة شيخ علي ببغداد. كما كان في زمان أبيه ومعه الأمير إسماعيل))^(٥).

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار الإمامة بالرياض ج ١ ص ٦٥٦.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ٢٧٦.

(٣) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٧٣.

(٤) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ١٩٢.

(٥) تاريخ الغياثي ص ٩٨.

٧٧٩هـ - ١٣٧٧م تولى بهمنشاه حكم مملكة هرمز بعد وفاة والده تورانشاه واستمر إلى سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م، وفي عهده استمرت تبعية البحرين والقطيف وباقي جزر الخليج لمملكة هرمز، وكانت هرمز تؤدي الخراج إلى المظفرين حكام فارس في شیراز^(١).

٧٨١هـ ((استقر زامل بن موسى ومعيض بن فضل والداعي بن مانع في إمرة العرب عوضاً عن الأمير قار بن مهنا بعد موته))^(٢).

٧٨٢هـ ((وصل الموكب إلى الأزم فلم ترد بها الإقامة على العادة، فوقع بينهم الغلاء الشديد، وكان السبب في تأخيرها تخوف العرب الذين يحملونها من عرب بلقي، فإنه بلغهم أنهم أرادوا أن يتغوا الإقامة، فتأخروا بمغارة شعيب، فوصل الحاج إلى المويلح وإلى عيون القصب ولم يجدوا شيئاً، فغلا السعير))^(٣).

استيلاء العرب على البصرة

٧٨٤هـ وفيها: قتل حسين بن أويس، اغتاله أخوه أحمد بن أويس سلطان بغداد وكان استنابه على البصرة^(٤). واستولى العرب على البصرة في عهد إمارة أحمد بن أويس، ويذكر أن البصرة عندما دخل إليها الجيش التتري في سنة ٨٩٥هـ كانت في يد صاحب البحرين الشيخ صالح وتمكنوا من قتله في سنة ٨٩٦هـ.

بداية عهد المماليك الشراكسة في مصر

٧٨٥هـ في مصر نجحت ثورة قادها أبو سعيد برقوق الشراكسي الذي أعلن نفسه ملكاً إثر انتصاراته في هذا العام، ولقب نفسه بالظاهر برقوق^(٥).

نهب حاج شیراز والبصرة في الحسا على يد قريش النووي

وفيها (٧٨٥هـ) نهب حاج شیراز والبصرة في الحسا، وخرج عليهم قريش ابن أخي زامل^(٦) في (ثمانية آلاف نفس) فأخذ ما معهم من اللؤلؤ وغيره، وكان مبلغاً عظيماً، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ورجع

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص٤٢٧.

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط١/١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى الجزء الأول القسم الثاني ص٢٤٢.

(٣) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، اعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج١ ص٦٦٨.

(٤) الغمر بأبناء العمر للعسقلاني.

(٥) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٢٨٤.

(٦) قال ابن حجر العسقلاني عندما تكلم عن حوادث هذه السنة فقال: ((وفيها خرج زامل النووي...)) وهنا يتضح أنه ينسب إلى نوى وهي القرية التي نسب إليها الإمام النووي وهي قرية من قرى حوران في سورية.

من بقي منهم ماشياً عارياً، وقدم بعضهم إلى مكة صحبة حاج بغداد، وجبى قريش ركب العراقي، أخذ منهم (٢٠ ألف دينار) عن أخيه حساباً عن كل جمل دنانير حتى مكنهم من الحج^(١).

يقول الدكتور عبداللطيف الحميدان: إن المصادر لم تذكر اسم والد قريش بل اكتفت بذكر اسم عمه زامل بن موسى بن مهنا بن عيسى نظراً لشهرته الواسعة، إذ تولى زامل إمرة عرب بادية الشام مرتين الأولى سنة ٧٧٠هـ والثانية سنة ٧٨١هـ ولزامل هذا أخوان هما عمر ومحمد، ولا ندري أي هذين هو والد قريش^(٢). ويقول أيضاً: ونحن نعرف بأن آل فضل في البصرة كانوا على عدا مع إمارة العصفوريين في بلاد البحرين، لذا بقي أن نتساءل عما إذا كان قريش هذا قد اتخذ من جهات البصرة قاعدة لهجومه على قوافل الحجاج هذه؟^(٣)

ويذكر أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري أن الملك في المنطقة الشرقية عاد لآل جبر من بني عقيل قبيل عام ٧٨٥هـ^(٤)، ولا أعلم على ماذا استند في رأيه هذا؟! ونحن نرى أن الإمارة الجروانية لا زالت مستمرة في المنطقة في هذه السنة وإلى ما بعد سنة ٨٢٠هـ

٧٨٨هـ ((توفي عجلان، وولي المملكة ولده محمد ثم قتل عند تقييله لخف جمل المحمل. ثم ولي عنان بن مغامس بن رمثة، ثم عزل وولي علي بن عجلان، ثم قتل سنة ٧٩٧هـ وولي حسن بن عجلان))^(٥).

٧٨٩هـ وفيها: قتل الشريف كيش بن عجلان أثناء معركة له مع الشريف عنان بن مغامس^(٦).

٧٩١هـ في هذه السنة ابتدأ عهد حكم محمد شاه بن بهمنشاه بن تورانشاه على هرمز واستمر إلى سنة ٨٠٢هـ، وفي عهده وبالتحديد في سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م كان يدفع الخراج إلى السلطان تيمورلنك الذي أحكم سيطرته على جنوب فارس وأصبح هو السلطة المهيمنة على تلك المنطقة، وبالرغم من ذلك فقد هاجم الجيش التيموري هرمز العتيقة أي هرمز الساحل ودمر كثيراً من حصونها، ولكنه فشل في الهجوم على جزيرة (جرون) بسبب عدم توافر السفن اللازمة، وقيل إن سبب الهجوم التيموري على مملكة هرمز أن السلطان محمد شاه لم يؤدّ الخراج خلال أربع سنوات قبل سنة ٧٩٦هـ^(٧).

(١) درر الفرائد المنظمة للحاج للجزري ص ٣١٢ وراجع: بدائع الزهور لابن إياس.

(٢) م. كلية الآداب - البصرة، ١٦٤ السنة الرابعة عشر التاريخ السياسي لإمارة الجبور ل د. الحميدان ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق ص ٣٦.

(٤) مسائل من تاريخ الجزيرة العربية لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري ص ٢١٥.

(٥) السنن الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي باعلوي ص ٨٠٢.

(٦) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ٣٦٥.

(٧) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٤٢٨.

٧٩٢هـ استشهد الملك الثالث من رؤساء دولة بني عثمان وهو مراد خان الغازي بن أورخان، وعمره أربع وثلاثون سنة، ووُلِّي ولده يلدرم (الصاعقة) بايزيد خان^(١).



السلطان يلدرم بايزيد

مهاجمة ثامر بن قشعم لأملاك آل فضل في البصرة

٧٩٥هـ وفيها أوعز السلطان المملوكي الظاهر إلى زعيم قبيلة غزية، ثامر بن قشعم، الذي يقيم عادة قرب المشهدين، (كربلاء والنجف) بمهاجمة أملاك آل فضل في البصرة، فقام بالاستيلاء على أملاكهم ونهبها^(٢).

إرسال جيش تيموري لمهاجمة صاحب البصرة والبحرين

وفيها: زحف تيمورلنك^(٣) على العراق وطرد السلطان أحمد عن العراق^(٤)، وفي العام نفسه (٧٩٥هـ) ((جهز اللنك ولده بعسكر حافل إلى صالح بن جيلان^(٥) (صاحب البصرة والبحرين) فقاتلوه فهزمهم وأسر ولد تيمورلنك وخرج في إحضاره عز الدين أزدمر وجهز السلطان إليه ثلاثمائة ألف درهم فضة برسم النفقة فبعث إليه عسكرياً آخر فظفر بهم^(٦)). وذكر الحميدان نقلاً عن ظفرنامه لشرف الدين

- (١) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي باعلوي ص ١٤٠.
- (٢) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبداللطيف الحميدان ص ٣٦: عن ابن الفرات جلد ٩ ق ٢ - بيروت ١٩٣٨ م.
- (٣) معنى تيمور لَنك: اللَنك في اللُغة الفارسية الأعرج، لأنه كان به عرج، وكان أول أمره راعياً للغنم.
- (٤) التحفة النبهانية.
- (٥) هناك اضطراب في المصادر في بيان الاسم الصحيح لوالد صالح أمير البحرين والبصرة، ابن حجر يسميه جيلان والحميدان يسميه حولان أو جولان، وابن خلدون يسميه جيلان، وربما يكون اسمه جروان. قال ابن خلدون عن بني عبادة بن عقيل: وهم لهذا العهد (يقصد سنة ٧٩٩هـ) بالعراق مع بني المتفق. وفي البطائع التي بين البصرة والكوفة وواسط الإمارة فيهم على ما يبلغنا لرجل اسمه قيان بن صالح، وهو في عدد ومنعة. ولا ندرى أهو من بني معروف أمراء البطائع بني المتفق أو من عبادة الأخائل. راجع: تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢٥٨.
- (٦) أبناء الغمر لابن حجر ص ١٧١.

يزدي أن هذا الهجوم وقع في سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٣م وأن قائد الجيش هو حفيد تيمورلنك (أمير زاده ميرانشاه) وليس ابنه، وأنه قد طلب منه (التنكيل بالعرب الذين كانوا يقطعون طرق قوافل الحجاج)^(١).

ويشير الدكتور عبد اللطيف الحميدان إلى الحادثة التي وقعت في سنة ٧٨٥هـ من تعرض قريش ابن أخي زامل لحجاج شيراز والبصرة والحسا بقوله: ((يمكن أن نقول بأن هذه الواقعة قد مهدت السبيل لصالح ابن حولان (جولان) لأن يسط نفوذه السياسي على البحرين إضافة إلى البصرة لينتهي هذا النفوذ بهجوم تيمورلنك على البصرة سنة ٧٩٥هـ، والذي نتج عنه مقتل صالح)^(٢)، وكأن الدكتور الحميدان في قوله هذا لم يُبين بشكل قطعي ما إذا كانت إمارة صالح الأصلية البحرين أم البصرة، وإن كان في التعبير ما يشير إلى أنه استولى على البحرين بعد البصرة، وهنا اختلف مع أستاذه وأرجح بأن صالح احتل البصرة احتلالاً، بينما بلاد البحرين هي دولته الأصلية والله أعلم.

انتزاع مانع العقيلي البصرة من أحمد بن أويس

بعد مقتل صالح أمير البصرة والبحرين انتزع مانع أمير العرب البصرة من السلطان أحمد بن أويس ملك الدولة الجلايرية المغولية (٧٨٥-٨١٣) بعد تاريخ ٧٩٦هـ^(٣).

ويذكر الدكتور الحميدان: أن القبائل العربية على الحدود الشمالية لبلاد البحرين استطاعت بقيادة الشيخ مانع بن شبيب انتزاع البصرة من الدولة الجلايرية، وذلك في مطلع القرن التاسع ليحكمها هو وأولاده من بعده^(٤).

قصة الشريف ناهش الحسيني وولده مانع

قال ضامن بن شدقم: ناهش بن هريش بن عذا بن كوير بن منصور بن جماز بن شيحة: ...، أجحفت به الدنيا فعن له السفر إلى البصرة بولده مانع فأقام بها برهة من الزمن متخفياً في شدة كرب ومحن لا يقتاتان إلا من كد يديه، فأتى ذات يوم بجيش كثيف قاصداً بها حاكمها مانع بن...^(٥) العقيلي، فوقع بينهما حرب شديد حتى كاد ينكسر فيه مانع وكان ناهش واقفاً على الفريقين من بعد فرا^(٦)... الصانع أحد خدام مانع يلوذ على فرسه بآخر الجمع فقال له أعطني فرسك، ولأمة حربك، وهذا مانع ولدي فيها رهينك وكلما أصبته فهو بيني وبينك مناصفة، فنزل عنها وخلع لأمة حربته ودفعها إليه فلبسها وركب الفرس وأغار على القوم حتى دخل في وسطهم فقلب الميمنة إلى الميسرة ثم أعاد عليهم وخرج عن آخرهم، ثم

(١) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور ل د. عبد اللطيف الحميدان ص ٣٦.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦.

(٣) العرب والعروبة.. م ٢ ج ٦ ص ٨٠.

(٤) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ إمارة الجبور ل د. الحميدان ص ٤٠.

(٥) فراغ في الأصل.

(٦) غير مكتملة في الأصل ومن سياق الحديث كأنها فرأى.

عاد عليهم مرة أخرى فانكسروا عن آخرهم وأصاب من خيولهم وغنم من أموالهم فكل من رآه اعتقد أنه الصانع، فعرفوا مانعاً بخبره، فسأله عما بلغه فقال نعم، لو لم يتبعها غيرها لقلت نعم هو أنا ولكن ليس خافياً عليك صدور هذا الفعل مني بلا حساب ذوي المروات الأنجاب لا تخفى على ذوي الألباب فالقصة ما هي كيت وكيت، فأمره بإحضار ناهش فمضى إليه فامتنع عن المواجهة مراراً حتى أرسل إليه بخلع وجواد ما في الخيل أصعب منه فركب ومضى إليه فتلقاء بالإعزاز والإجلال والإكرام وأنعم عليه بنعم جزيلة، فأخذ قبل وصوله إليها فرجع إلى مانع فأجاد عليه فمضى فأخذ ثانياً، فعاد النعم عليه ثالثاً، ثم توجه إلى المدينة فقال فيه هذه الأبيات مخاطباً بها ابنه مناع:

- ١- يقول الحسيني الذي ساقه إلينا (النيا) باقدرا في قاصي النيا عن معارفه
- ٢- يروعك يا مئاع تكدير عيشة وَمَنْ ذاق لبن (لين) عقب جوع يوالفة
- ٤- ودار لنا فيما مضى يابن هاشم وضعن جميل الذي في عين شايفه
- ٥- فنحن جَمَى طيبة وسكان دارها وأهل جديد المدح منها وسالفه
- ٨- وَقُولُوا جَزَى الله العقبلي مانع من الخير ما تدرى له الريح عاصفة
- ١١- حوى عنوان الجود والناس عقبه يفوز بما خلى العقبلي عايفه^(١)

عودة الجلائري بعد عام من خضوع العراق لتيمورلنك

بعد أن عاد تيمورلنك إلى سمرقند أسرع السلطان أحمد بن أويس الجلائري بالعودة إلى بغداد، وحين سمع خواجه مسعود بتوجهه رحل عنها^(٢)، فدخلها الجلائري مرة أخرى بمساعدة بدو الشام وزعيم تركمان القره قونيلو قره يوسف الذي اعترف بتبعيته لسلطين مصر^(٣)، وكان خروجه من دمشق يوم الإثنين أول شعبان سنة ٧٩٦هـ فخلع عليه سلطان مصر وكتب له تقليداً بسلطنة بغداد وجهازه بما يحتاج إليه^(٤).

ومن هذا الخبر نتعرف على شيء مهم، ألا وهو: أن الحاكم المصري في تلك الفترة كان يمثل رأس الدولة الإسلامية، وليس ذلك بمستغرب إذا ما عرفنا أن الخليفة العباسي مقيم في القاهرة وتستمد منه سلاطين مصر المماليك الصفة الشرعية. وبما أن حاكم بغداد يخضع لسلطان مصر، فإن ذلك يعني أن جميع الأراضي الإسلامية تستمد سلطتها منه لا سيما الجزيرة العربية بأكملها التي هي موضع البحث.

(١) تحفة الأزهار لضاكن بن شذقم المجلد الثاني ص ٤٠١.

(٢) تاريخ الغبائي ص ١١٨.

(٣) ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ج ٢ للكسندر أداموف القنصل الروسي في البصرة عام ١٩١٢م ترجمة د. صالح التكريتي ١٩٨٢ ص ٥٥.

(٤) هامش: تاريخ الغبائي ص ١١٨- تاريخ ابن الفرات م ٩ ج ٢ ص ٣٨٣، السلوك، النجوم الزاهرة.

عودة تيمورلنك نحو العراق ولجوء رؤسائها للعثمانيين

١٣٩٧م ((تيمور لم يمنح أحمد بن أويس أكثر من أربع سنوات من الهدوء - أي منذ ١٣٩٣م - فقد تحرك مرة أخرى نحو بغداد وأجبر الأليكان وحليفه قرة يوسف على الهرب فلبأ الاثنان إلى بايزيد سلطان الأتراك العثمانيين الذين كان شأنهم حتى ذلك الوقت قد أخذ بالارتفاع. وقد ظهر أن الوالي الذي تركه أحمد بن أويس لحكم بغداد شخص يتميز بشجاعة فائقة، لذا فإنه رفض أن يسمح للفصيل الذي أرسله تيمور لإعادة احتلال عاصمة العباسيين السابقة بدخول المدينة.

وقد أغضبت هذه القلعة الجريئة زعيم المغول المخيف فقدم بنفسه إلى بغداد وظهر تحت أسوارها مع قواته الأساسية لكن ذلك لم يرهب الوالي الشجاع فواصل صد هجمات العدو لمدة أربعين يوماً، إلى أن استطاع تيمور في النهاية دخول المدينة عنوة في ٢٢ تموز ١٤٠١م، وقد خرب المغول المدينة تخريباً شديداً عقاباً لها على المقاومة.....، بلغ عدد الذين قتلوا من سكانها ما يقرب من التسعين ألف شخص. وفي الوقت نفسه تميز دخول أبي بكر ميرزا حفيد تيمور إلى البصرة وكان قد عين لإدارتها بقسوة لا تقل عن قسوة جده الأعرج^(١).

ملخص ما سبق من النصوص: أن تيمورلنك هاجم بغداد فهرب حاكمها في ذي القعدة ٧٩٥هـ / سبتمبر ١٣٩٣م ولجأ إلى الحكومة المصرية وفي نفس الوقت هاجم ابنه البصرة في بداية سنة ٧٩٦هـ وقتلوا صاحبها العربي صالح بن جولان صاحب البصرة والبحرين.

ثم إن السلطان أحمد بن أويس طلب الإذن من الحاكم المصري بالخروج إلى بغداد فكان خروجه من الشام في أول شعبان ٧٩٦هـ فما إن سمع خواجه مسعود بذلك إلا ورحل فدخلها أحمد بسلام. كما أن البصرة وردت الأخبار بأنها صارت تحت حكم أمير العرب مانع العقيلي في ذلك الوقت. واستمروا على هذا الحال نحو أربع سنوات ثم استأنف تيمورلنك هجومه من جديد في سنة ١٣٩٧م الموافق (٨٠٠هـ تقريباً) فكان ما كان في الخبر أعلاه.

٧٩٧هـ نهبت عرب هذيل الحاج في ليلة عرفة بطريق عرفة عند المأزمين [المضيق].

٧٩٧هـ قتل علي بن عجلان، وولي حسن بن عجلان على مكة، وتوفي سنة ٨٢٩هـ.

٧٩٩هـ كانت المدينة بيد ثابت بن جمار بن قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن القاسم بن عبدالله بن طاهر بن يحيى الفقيه من ولد الحسن من ولد جعفر من ولد عبدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين.

(١) ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ج ٢ للكسندر أداموف القنصل الروسي في البصرة عام ١٩١٢م ترجمة د. صالح التركي ١٩٨٢ ص ٥٥-٥٦.

أحداث القرن التاسع الهجري



مركز تحقيقات کچھویر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

هجوم الشريف حسن بن عجلان على البقوم وعلى الحمدة

٨٠١هـ ((في رمضان غزا السيد حسن بن عجلان عرباً يقال لهم البقوم فغنم منهم (١٠٠) ناقة وبقر وغنم) وعاد بذلك وكان البقر والغنم قد وكل حفظه إلى بعض غلمانه ممن ليس فيه كبير قوة، فاستنقذ ذلك منهم المنهوبون، وقتلوا من غلمانه جارالله بن أبي سليمان وتركياً وفاتتهم الإبل))^(١).

وفيها: ((في أول شوال توجه السيد حسن إلى وادي الطائف، لأن الحمدة^(٢) أهل الجبل حشموه في جبرته أهل الطائف، فاسترضاه الحمدة بثمانين ألف درهم وخلي عن جرمهم. ونال مثل ذلك من بني موسى أهل لية، واستدعى آل أبي النمر للحضور إليه فتوقفوا. فبذل له الحمدة أربعين ألفاً على أن يسير معهم إلى آل بني النمر، فسار معهم وهدم حصن آل بني النمر، وحصل فيه نهب كثير وقتل بعضهم وقتل من جماعته مملوكان وعاد إلى مكة في سادس شوال^(٣))).

٨٠٢هـ في هذه السنة توفي السلطان محمد شاه ملك هرمز وخلفه نجله قطب الدين فيروز الذي اتصف بالتقوى والورع^(٤).

٨٠٢هـ في ذي الحجة: توجه عبدالرحمن المهتار إلى الكرك...، وطلب من منجد بن خاطر أمير بني عقبة ٤٠٠ بعير^(٥).

٨٠٤هـ محرم: ((وفيه جاء الخبر بأن عرب بني سالم خرجوا على الحجاج فتحارب معهم أمير الحاج وكسرهم وقبض على شيخهم منجد بن خاطر وأحضره في الحديد إلى مصر))^(٦).

(١) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ٤١٣.

(٢) قال العاصمي: الحمدة من ثقيف. راجع: سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٤٨٨.

(٣) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ٤١٣.

(٤) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٤٢٩.

(٥) درر الفرائد المنظمة للحج.

(٦) المصدر السابق.

وفاة السلطان بايزيد في حبس تيمور

٨٠٥هـ مات السلطان العثماني بايزيد في حبس تيمورلنك بعد أن أمسك به في الحروب التي بينهما، وكان بايزيد قد حارب تيمورلنك الذي خرب البلاد وأكثر الفساد، وبعد موته حل بين أولاده نزاع واستقل بالولاية محمد خان سنة ٨١٦هـ.

وفاة تيمورلنك المغولي

٨٠٨هـ ((توفي تيمورلنك في ١٣ شعبان، وملك عامة بلاد العراق وخراسان وسمرقند والهند وديار بكر وبلاد الروم وحلب ودمشق وخرب مدن العالم وحرقتها وهدم بغداد وأزال نعم الناس وكان قاطع طريق وأول ظهوره ٧٧٣هـ))^(١).

رجوع الجلاليين والتركمان إلى عروشهم

((كان موت تيمور في ١٤٠٥م (٨٠٨هـ) سبب رجوع الجلاليين والتركمان إلى عروشهم بصدف تعد نادرة حتى في الشرق. فنظم العراق من جديد وأعيد تحصين بغداد بأسوار بقيت واقفة بسلام حتى القرن التاسع عشر بعد أن جبرت بعدد غير قليل من الحصاوات. غير أن تملك تبريز التي كان يحتاج إليها الجلاليون وتركمان القرّة قويونلي (الخروف الأسود) على سواء كان من الدواعي العديدة التي أدت إلى التحاسد أولاً، ثم إلى الحرب بين الطرفين. فأضاع السلطان أحمد حياته وإمبراطوريته بعد أن انهزم في حرب شعواء وبذلك خمد الاسم الجلالي و لم تقم له قائمة. فدخل ابن قرّة يوسف إلى بغداد))^(٢).

إطلاق سراح الشريف حسن بن عجلان وتوليته على مكة

٨٠٩هـ ((الشراكسة في مصر أطلقوا سراح أسيرهم حسن بن عجلان وكتبوا مرسوماً بولايته على مكة، فشذّ رحاله إلى مكة وتسلم زمامها من أخيه في ٢٤ من ربيع الآخرة سنة ٨٠٩هـ بدون قتال))^(٣).

إخماد ثورة الشريف جماز في المدينة المنورة

٨١١هـ سيّر الشريف حسن ابنه أحمد في جيش بلغت عدته (٢٦٠) ما بين فارس وراجل و(٢٢) مملوكاً) كما سير عجلان بن نصير الذي أمره على المدينة في جيش آخر لإخضاع الثورة - التي قام بها جماز بن هبة في المدينة - وقد نجح الجيشان في طرد الثوار وإقرار الأمر في المدينة لعجلان بن نصير (نعير).

(١) بدائع الزهور في وقائع الأمور لابن إياس.

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لوتكريك، للعربية جفر خياط ط٦/١٩٨٥ البرهان بغداد طبعه لوتكريك أول مرة ١٩٢٥م ص ٢٨.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص ٢٩١.

المقامات الأربعة في الحرم الشريف

٨١١هـ في هذه السنة بني المقام الحنفي من أجل أئمة المذهب الحنفي، وقد تم بناء أربع مقامات خاصة بأئمة المذاهب الأربعة وهي من جملة المستحدثات التي لا محل لها في الشريعة الإسلامية، وقد أنشئت في سنة ٨١٥هـ حينما كان يحكم مصر فرج بن برقوق بن أنس من ملوك الشراكسة. وأراد شاه إيران نادر شاه أن يزيد المقامات إلى خمسة بإنشاء مقام خاص للمذهب الجعفري إلا أنه لم ينل مطلبه^(١)، وذكر اللواء محمد صادق باشا أن المقامات الأربعة وجدت في سنة ٩٧٣هـ في زمن السلطان سليمان عند بناء أربعة مدارس بجوار الحرم للأربعة مذاهب^(٢)، ولا شك أن قول محمد صادق باشا في تحديد سنة إنشاء هذه المقامات الأربعة مختلف عما ذكرناه قبله من قول أيوب صبري باشا.

٨١٢هـ ((وشي بحسن بن عجلان عند الناصر فرج بن الظاهر برقوق صاحب مصر بوشايات ذكر فيها أن حسناً انحرف عن علاقته بالناصر، فأسر الناصر عزله عن مكة وأوعز إلى أمير الحج بأن يعدّ عدّته من السلاح والجيش والمدافع وأن يعلن أن غرضه من حركته هو اليمن وقد فعل.

لكن الشريف حسن لم يخف عليه الأمر وقرر الدفاع عن إمارته فاستنفر القبائل العربية والأشراف حتى اجتمع له منهم في الطائف، ولية، وجبل الحجاز أربعة آلاف واجتمع له في مكة ألفان، كما اجتمع له نحو ستمائة فرس. وبينما كان قائد الجيش المصري في طريقه إلى مكة أرسل الشريف حسن يبلغه: ((إني على استعداد لملاقاتك ولكني أرى أن تحرص ألا يصيب الحجاج شيء فلما أن تتقدم أو تتأخر عنهم)). وقبل أن تبارح الرسالة مكة وافى رسول مستعجل من الملك الناصر يعلن عن عدوله عن الحركة وتأييده من جديد لإمارة الشريف حسن^(٣).

يقول النجم عمر بن فهد: وقد وقف على أرجوزة بخط خالي الفقيه محيي الدين يحيى بن عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن فهد الهاشمي من نظمته تتضمن هذه القضية وفيها زيادة ونقصان فنذكرها لما فيها الفائدة:

قلت سأختصرها وهي (٨٤ بيت):

- | | |
|---|---------------------------|
| ٢٥- حَتَّى أَتَى الشَّرِيفَ مَنْ قَدْ أَخْبَرَا | عن المنادي وبكل ما جرى |
| ٢٦- فَجَمَعَ الْجَمُوعَ وَالْخِيُولَا | من كل فج قد أتوا سُيُولَا |
| ٢٨- وَعِدَّةُ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ جَمَعَا | ثلاثة من المئتين إذ دعا |
| ٢٩- وَبَعْدَهَا سِتُّونَ مِنْ مَيَّوَى الْتَّي | لم تأت من موسى ومن كنانه |
| ٣٠- فَخَيْلُ نَفْسِهِ ثَلَاثُونَ جَوَادَا | ومائة يا صاح كلها جواد |

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج ٢ ص ٧٤٠.

(٢) الرحلات الحجازية للواء محمد صادق باشا، إعداد وتحرير محمد همام فكري، بدر للنشر والتوزيع بيروت ط ١/ ١٩٩٩م ص ٣٢١.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨م ص ٢٩٢.

- ٣١- وعدة الرجال من الأصناف
 ٣٢- منهم قريش وكذا الجحادلة
 ٣٣- أما هذيل صرخهم يا صاح
 ٣٤- كذا بنو خالد مع سواة
 ٣٥- أما مطير مع عدوان فقد
 ٣٦- كذا خزاعة ولحيان أتوا
 اثنان مع ثلاثة الآلاف
 كذا بنو بيشة معهم صاهلة^(١)
 ألف مكمّلون بالسلاح
 وغيرهم من عرب السعادة
 جاؤوا كمثّل السّيل يرمي بالزّبذ
 يَبْغُونَ قَوْمًا قَدْ طَعَنُوا وَقَدْ عَتَوْا^(٢)

٨١٣هـ لم يحج أحد من العراق لأن فيها على ما يقال: قتل صاحب بغداد أحمد بن أويس، واستولى على بغداد التركمان^(٣).

٨١٤هـ فيها لم يحج العراقيون بركب وحج منهم ناس قليل من شيراز وغيرها من طريق الحسا والقطيف، مع الحاج العقيلي^(٤).

٨١٥هـ وفيها لم يحج ركب العراق وحج جماعة مع الركب العقيلي كالحالية^(٥)، ووقعت فتنة بعرفة بين العرب بين آل جميل وبين عترة قتل فيها جماعة من آل جميل فركب السيد حسن وجماعة الحاج وبنو حسن وفرقوا بينهم فانكسر آل جميل وخشي على الحاج فسلمهم الله^(٦).

انتزاع دوندي بنت السلطان حسين البصرة من مانع العقيلي

٨٢٠هـ في هذه السنة ملكت دوندي البصرة وانتزعتها من مانع أمير العرب بعد حروب وكان استيلاء العرب عليها في عهد الجلالية في إمارة أحمد بن أويس، وقوي أمر دوندي وانضم إليها جيش أحمد بأجمعه ثم ملكت واسطاً^(٧)، وهكذا فقد انتزعت الأميرة دوندي وابنها أويس الجلالي الحكم في البصرة من أمراء المتفق بعد انقراضهم.

(١) صاهلة: قبيلة هذيلية قديمة كانت تشغل حيزاً كبيراً من الطور الذي يشرف على أودية ضيم ودفان وإدام، ثم تناقصت ولعلها تفرقت، والباقي منهم اليوم حي قليل جداً يجاور بني فهم في سفوح السراة الغربية جنوب شرقي مكة في حدود يلملم وهم أهل زراعة. وهم بنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن أسعد بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر، منهم الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود بن الحارث بن شمع بن مخزوم بن صاهلة وأخوه عتبة رضي الله عنه. معجم قبائل الحجاز للمقدم عاتق البلادي ط ٢/١٩٨٣م دار مكة ص ٢٦٠.

(٢) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ٤٧٣.

(٣) المصدر السابق ص ٤٨٢.

(٤) درر الفرائد المنظمة للحج للجزيري.

(٥) المصدر السابق.

(٦) خلاصة الكلام لدحلان ص ٣٨.

(٧) تاريخ الجنابي.

تنازل ملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف عن الحكم لابنه

٨٢٠هـ / ١٤١٧م كان قطب الدين فيروز شاه الذي حكم حتى عام ٨٢٠هـ يلقب بملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف^(١)، وفي هذه السنة أجبره ابنه البكر سيف الدين مهار على التنازل عن عرش البلاد كما أجبره على الإقامة الجبرية في جزيرة قشم^(٢).

انتفاض البدو ما بين البحرين والحجاز

قال الحميدان: ((في صيف ٨٢٠هـ قام سيف الدين مهار بالتمرد على أبيه تهمتن الثالث فيروز شاه وأرغمه على التنازل عن العرش. فولد هذا التغيير توتراً واسعاً في مملكة هرموز. ويبدو أن هذا الوضع له انعكاسات في بلاد البحرين، فالمؤرخ الهرموزي البهمني نيمديهي يذكر لنا بأن البدو في بلاد البحرين قد انتفضوا عام ٨٢٠هـ بحيث أصبح من المتعذر على القوافل سلوك الطريق ما بين البحرين والحجاز))^(٣).

استقلال الإحساء عن حكم سيف الدين مهار وبقاء البحرين والقطيف وعمان وقلعات وهرمز تحت نفوذه

ويقول الحميدان: ((ذكرت كل من البحرين والقطيف وعمان وقلعات وهرمز وغيرها ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ ملك هرموز سيف الدين مهار الذي بداية حكمه ٨٢٠هـ بينما لم يرد ذكر للإحساء ضمن ذلك، في حين أن اسم الإحساء كان يذكر ضمن المناطق الخاضعة لنفوذ والده قطب الدين فيروز، وهذه النقطة تحملنا هي الأخرى على الافتراض بأن الإحساء كانت قد خرجت قبيل عام ٨٢٠هـ عن دائرة التبعية لملوك هرموز مثلما خرجت من أيدي بني جروان)). وأما ما ذكره المقرئزي فإنه قبيل سنة ٨٢٠هـ قام في حكم الإحساء إبراهيم بن ناصر بن جروان بعد أبيه.

في رمضان ٨٢١هـ / أكتوبر ١٤١٨م: ولد أجود بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري العقيلي نسبة إلى عقيل بن كعب بن ربيعة في بادية الإحساء.

خروج السيد زهير الحسيني على حاج عقيل

٨٢٨هـ ((خرج السيد زهير - ابن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة - الحسيني على حاج عقيل ونهبهم وسلبهم وأخذ أموالهم وجمالهم وأحمالهم وممن كان مع القفل ونهب قاضي مكة سراج الدين الحنبلي وعمر بن عبدالمجيد، وكانا وصلا من بلاد المعجم))^(٤).

(١) مجلة كلية الآداب البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبداللطيف الحميدان ص ٣٩.

(٢) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٤٢٩.

(٣) مجلة كلية الآداب البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبداللطيف الحميدان ص ٣٩.

(٤) إتحاف الوري لابن فهد ط ١ ج ٣ ص ٦٢٤.

وفيهما في ليلة ١٩ ذي الحجة: خرج قطاع الطريق من صاهلة وهذيل ودعد والندوين على الحاج بمضيق منى^(١).

وفاة الشريف حسن بن عجلان

٨٢٩هـ وفيه توفي حسن بن عجلان بالقاهرة، وولي ولده بركات، ثم عزل، وولي علي بن حسن، ثم قبض، وولي أخوهما أبو القاسم فعزل، ورد بركات ثم طلب من السلطان أن يولي ولده محمداً لأنه كبير وضعف، ومات سنة ٨٥٧هـ. واستمر محمد إلى أن مات ٩٠٣هـ^(٢).

٨٢٩هـ / ١٤٢٦م ((أرسل السلطان برسباي ثلاث حملات بحرية لفتح قبرص ردًا على هجمات الصليبيين وساعده في ذلك سلطان تونس الحفصي، وانتهى الأمر باحتلال قبرص سنة ١٤٢٦م وقد نتج عنه: انهيار قواعد الصليبيين في شرقي البحر المتوسط وظلت قبرص تابعة للمماليك حتى سنة ١٥١٧م حيث أصبحت تابعة للعثمانيين))^(٣).

٨٣٠هـ ((وفيها نهب قفل عقيل وفيهم سلطان لار^(٤)) فانهزم ورجع إلى بلاده وكان مع القفل الشريف أحمد بن حسن بن عجلان وأخوه علي وكان لهما مدة بالعراق وصحبتهما مال جزيل نهب جميعه وأموال كثيرة للحجاج))^(٥).

٨٣١هـ أخذ آل مغيرة قافلة كبيرة لأهل نجد خارجة من الإحساء على ماء أبي جفان^(٦).

٨٣٤هـ - ١٤٣٩م وردت مراسيم سلطانية بإعفاء الشريف من تقبيل خف الجمل إمعاناً بالخضوع!! الذي يأتي بالمحمل في عهد الشريف بركات بن محمد.

٨٣٧هـ ((في ١٨ جمادى الآخرة أرسل السيد بركات جيشاً مقدمه ابن عمه السيد رميثة - ابن محمد ابن عجلان - نحو بلاد الشرق، فغاروا في يوم الأربعاء سادس رجب على شهران وعرب كثيرة فانكسر جماعة الشريف وقتل السيد رميثة مقدم العسكر والقائد جماز بن مقبل العمري والقائد محمد بن جसार بن علي الحميضي وعدة من العبيد والمولدين بنيفون عن العشرين))^(٧).

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج ١ ص ٧١٢هـ، ودعد والندوين من بني جميل من هذيل. راجع: (معجم قبائل الحجاز للمقدم عاتق البلادي ط ١٩٨٣/٢م دار مكة ص ٩٢).

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي باعلوي ص ٨٠٢.

(٣) الممتاز في تاريخ العرب الحديث إعداد صبحي أبو صبيح ج ١ ص ٥.

(٤) من جزر الخليج العربي.

(٥) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة ج ١ ص ٧١٧.

(٦) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢٧٣.

(٧) إتحاف الوري للنجم عمر بن فهد ط ١ ج ٤ ص ٧.

٨٣٨هـ ((توفي الشريف زهير بن سليمان بن ريان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني في محاربة كانت بينه وبين أمير المدينة النبوية مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة في شهر رجب وقتل معه عدة من بني حسين. وكان زهير المذكور من أقبح الأشراف سيرة كان خارجاً عن الطاعة ويخيف السبيل ويقطع الطريق ببلاد نجد والعراق وأرض الحجاز في جمع كبير فيه نحو الثلاثمائة فارس وعدة رماة بالسهم وأعيان الناس أمره إلى أن أخذه الله وأراح الناس منه))^(١). وفيها: ((توفي الشريف مانع ابن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني أمير المدينة النبوية وقد خرج للصيد خارج المدينة في عاشر جمادى الآخرة وثب عليه الشريف حيدر بن دوغان بن جعفر بن هبة الله بن جماز بن منصور بن شيحة وقتله بدم أخيه خشرم بن دوغان أمير المدينة))^(٢) وبعد موت مانع بن علي بن عطية تنازع العجل بن عجلان وعلي بن مانع في الإمرة ثم استقرت الإمرة لوميان بن مانع عوض أبيه، وكان قتله في جمادى الآخرة^(٣).

وفاة ملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف

٨٣٩هـ ذكر ابن حجر العسقلاني فيمن توفوا في هذه السنة: فيروز قطب الدين فيروز شاه بن تهمتم بن جردن شاه بن طغلق ابن طبق شاه صاحب هرمز والبحرين والحسا والقطيف. وقال الحميدان: ((سيف الدين مهار الذي حكم حتى عام ٨٣٩هـ - ١٤٣٥م قد وصف بأنه صاحب هرموز والبحرين، وبأنه كان يبعث بالحكام من قبله إلى كل من القطيف والبحرين))^(٤).

محاربة الشريف بركات لبطن بشر من قبيلة حرب

٨٣٩هـ ((بعث السيد بركات بعثاً لمحاربة بشر من بطون حرب إحدى قبائل مذحج ومنازلهم حول سعفان نزلوها في سنة ٨١٠هـ وقد أخرجهم بتو لأم من أعمال المدينة المنورة فكثرت عبثهم وجعل هذا العبث أخا السيد علي بن حسن بن عجلان ومعه من بني حسن السيد ميلب بن علي بن ميلب بن رميثة وغيره والوزير شكر في عدة من وجوه أهل مكة...، فنزلوا عسفان يوم الخميس رابع عشر رجب وقطعوا الشية التي تعرف اليوم بمدرج علي حتى أتوا القوم، وقد أئذروا بهم فتنحوا عن الأرض وتركوا بها إبلاً مع خمسة رجال.

فأول ما بدؤوا به أن قتلوا الرجال الخمسة وامرأة حاملاً كانت معهم واستاقوا الإبل حتى كانوا في النصف من الشية المذكورة ركب عليهم القوم الجبال يرمونهم بالحراش والحجارة، فانهزم الأمير أرنبغا في عدة من المماليك، وقد قتل منهم ثمانية ومن أهل مكة ومن غيرهم زيادة عن أربعين رجلاً وجرح كثير

(١) النجوم الزاهرة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنباء الغمر ج ٣ ص ٦٢٨.

(٤) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور ل د. عبداللطيف الحميدان ص ٣٩.

ممن بقي وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرساً وعشرين درعاً ومن السيوف والرماح والتجافيف ونحو ذلك من الأسلحة ومن الأسلاب والأمتعة ما قيل إنه بلغ قيمته خمسة آلاف دينار أو أكثر^(١).

خروج بلي على الحجاج

٨٤١هـ ((نزل بركب الغزاوي ومن انضم إليهم من أهل الرملة والقدس وبلاد الساحل وأهل ينبع لما نزلوا في عودهم من مكة بوادي عتتر قريب من الأزلم بلاء عظيم خرج عليهم من عرب بلي نحو من ٤٠ فارساً و ١٤٠ راجلاً يطلبون منهم مالا^(٢))).

٨٤٣هـ ((وقع بالطائف ووجّ وليّة وعامة بلاد الحجاز وباء عظيم هلك فيه من ثقيف وغيرهم من العربان عالم لا يحصيهم إلا الله^(٣))).

انتصار تورانشاه حاكم قلعات على أخيه سيف الدين ملك هرمز

٨٤٣هـ: يقول الدكتور الحميدان: ((في عام ٨٣٩ ثار الأمير فخر الدين تورانشاه الثاني حاكم ميناء قلعات العماني ضد أخيه سيف الدين مهار ملك هرموز، وكانت ثورته بتحريض ومساندة فعالة من العرب، وكان لبلاد البحرين دور فعال في هذه المساندة إذ زود منها بالسفن، كما أمدته الإحصاء بالخيول وأقرضه تجار تلك البلاد الأموال اللازمة لتغطية تكاليف حملته. إلا أن الحرب انتهت بين الأخوين بعد أربع سنوات أي سنة ٨٤٣هـ لصالح فخرالدين تورانشاه وفاز بكرسي المملكة^(٤))).

استيلاء البدو على القطيف

ويقول الحميدان: إن الذي يهمننا من ثورة فخر الدين تورانشاه هي أنها قد أدت إلى تعزيز الدور الذي أخذ يلعبه عرب السواحل الشرقية للخليج العربي في الحياة السياسية لمملكة هرموز، كما أنها كانت فرصة للزعماء الطموحين لاستغلال هذه الاضطرابات للتحرك لتحقيق طموحاتهم، ويبدو أن الجبور كانوا من ضمن المنتهزين لهذه الظروف. فإن أوبين ينقل لنا عن المؤرخ الفارسي جعفري المعاصر للأحداث والقريب من موقع حدوثها قوله بأنه في سنة ٨٤٣هـ قام البدو بالاستيلاء على القطيف ونهبها^(٥). ويضيف الحميدان: إننا نميل بشدة إلى أن المقصود بهم هم بنو عامر بزعامة آل جبر، إن معلوماتنا تشير إلى أنه في حدود هذه الفترة كان بنو عامر يشكلون القوة القبلية الرئيسية والنشطة في بلاد البحرين.

(١) إتحاف الوري للنجم عمر بن فهد ط ١ ج ٤ ص ٩٠، وقد ذكر هذا الخبر أيضاً الجزيري في درر الفرائد المنظمة ج ١ ص ٧٢٤.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج ١ ص ٧٢٥.

(٣) إتحاف الوري للنجم عمر بن فهد ط ١ ج ٤ ص ١٤٠.

(٤) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبداللطيف الحميدان ص ٤١.

(٥) المصدر السابق.

انتصار تورانشاه لابد أن يكون فرصة مناسبة ومشجعة للمعارضين للملك المهزوم سيف الدين مهار للانقضاض على أعوانه والحكام التابعين له في كل مكان وطردهم من مواقعهم.

سقوط الدولة الجروانية وقيام الجبرية

٨٤٣هـ - ١٤٣٩م في هذه السنة تقريباً تمكن زامل بن حسين بن ناصر بن جبر من السيطرة على الزعامة في واحتي الحسا والقطف^(١)، بعد أن انتزعها من بني جروان، ويعود أصل آل جبر إلى قبيلة من قبائل نجد نزحت إلى الإحساء، والذي ذكره السخاوي هو أن سيف بن زامل أخو أجود ((قام على آخر ولاية الجراونة بقايا القرامطة حين رام قتله وكان الظفر لسيف بحيث قتله وانتزع البلاد المشار إليها وملكها وسار فيها بالعدل، فدان له أهلها ولما مات خلفه أخوه هذا - أجود - بل اتسعت له مملكته بحيث ملك البحرين وعمان ثم قام حتى انتزع مملكة هرموز ابن أخ لصرغل كان استقر فيها بعد موت أبيه وضيق على الابن المشار إليه وصار صرغل يذل له ما كان يبذله له أخوه أو أزيد وصار رئيس نجد ذا أتباع يزيدون على الوصف مع فروسية، تعددت في بدنه جراحات كثيرة بسببها وله إمام ببعض فروع المالكية واعتنائه بتحصيل كتبهم، بل استقر في قضائه ببعض أهل السنة منهم بعد أن كانوا شيعة وأقاموا الجمعة والجماعات وأكثر من الحج...))^(٢). وقال عبدالله الصويان: وجد الجروانيون أنفسهم نتيجة لضعفهم مضطرين إلى الاستعانة بشيخ الجبور زامل بن حسين ناصر الجبري العامري العقيلي النجدي وأن يمنحوه بعض الامتيازات المالية وذلك مثلما فعل قبلهم العيونيون مع العصفوريين^(٣). ثم حاول آخر أمراء آل جروان وهو إبراهيم بن ناصر القبض على سيف بن زامل إلا أن الأخير ابتدره بالهجوم وقتله وانتزع ملك الإحساء منه.

اختلاف حاكم الجزائر مع إخوته وقيام الدولة المشعشية

٨٤٤هـ نشب خلاف بين الأمير فضل بن عليان التبعي الطائي حاكم الجزائر التي هي قسم من الأهواز وبين إخوته، فصارت بينهم نفرة ساعدت على نجاح الحركة - المشعشية - حيث ارتحل هذا من الحويزة عاصمة الجزائر فاغتنم محمد المشعشع وابنه علي الفرصة وتمكنا من الاستحواذ عليها في سنة ٨٤٤هـ فكان ذلك تدشيناً رسمياً لقيام الدولة التي صارت الحويزة عاصمة لها^(٤).

وكان من أولى المواجهات مجيء السيد محمد المشعشع من (الدوب) بعد أن قل عليه وعلى من معه الزاد وتوجه إلى قلعة (الكحلاء) من أرض واسط التي هي تحت حكم الأمير محمد بن شاء الله،

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٦٨.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي الشافعي المذهب ولد في القاهرة سنة ٨٣١هـ وتوفي سنة ٩٠٢هـ دار مكتبة الحياة بيروت المجلد ١ ص ١٩٠.

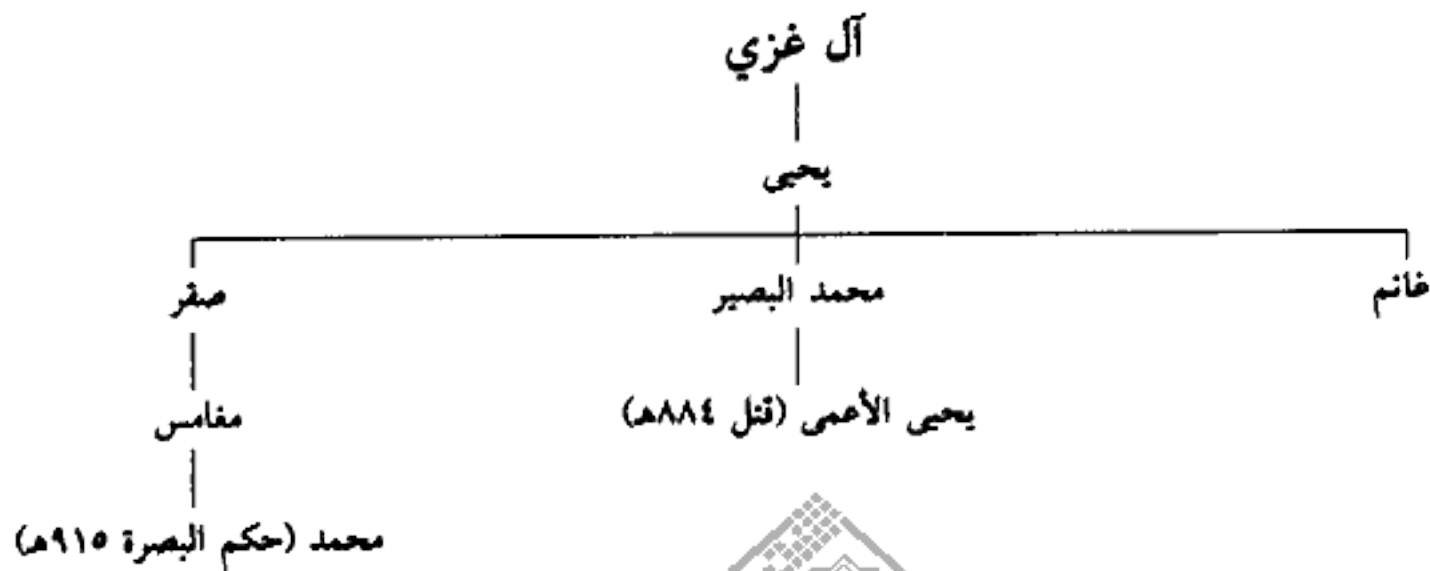
(٣) الشعر النبلي الصويان صفحة ٢٨٧.

(٤) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م ٢ ج ٦ ص ٤٦.

فتصادم مع أعراب (عبادة)، فهربت (حنظلة) ولم تثبت أمام المشعشين وقتل منهم السيد محمد أربعين رجلاً ثم نزلت المشعشة في بيوت الأعراب واستولت على غلاتهم وأموالهم^(١).

وفي سنة ٨٤٥هـ وصل القائد (أسبان) إلى الحويزة ودخل (المشعشع) الدوب وهو موضع ذو قصب ومياه لا يقدر عليه وجاءت أكابر الحويزة إلى أسبان بمفاتيح البلد فدخل أسبان المدينة وأخذ مال الأمان ومن أهلها حتى لم يبق شيئاً من المال عند أحد ورحل عنها وجميع أهلها معه.

وعبر شط العرب وحط على الزكية من البصرة، ثم قبضوا على شخص أرسله المشعشع إلى البصرة وفي يده مکتوب إلى (غانم بن يحيى حاكم البصرة)^(*): (أنت من ذلك الطرف وأنا من هذا الطرف نأخذ أسبان في الوسط ونقتله في الحال). لم يكذب أسبان خبر وقتل ذلك القاصد ورحل على طريق مشهد علي وكان طريقاً صعباً ووقع فيهم الجوع وقلة الطعام فمات من الجوع والعطش خلق كثير من أهل الحويزة^(٢).



أخذ الشريف بركات لبني سعد ثم أخذه لمطير

٨٤٨هـ في ليلة السبت ١٥ ربيع الآخر قدم السيد بركات بن حسن بن عجلان ومعه من الخيل سبعون ملبسين ومعه جماعة من ذوي حميضة وغيرهم، نحو ثلاثين فارساً، من ثنية كداء من أعلى مكة وانحدر بالأبطح، وسار نحو الشرق، فوجد بمكان يقال له البوابة، عرباً من بني سعد يقال لهم يَمَن. فأخذ لهم خمسين بعيراً وعدة من الغنم.

فلما كان صباح يوم الثلاثاء أغار على عرب مطير، وأخذ منهم عدة من الإبل نحو سبعمائة وأربعة

(١) تاريخ المشعشين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م. الآداب النجف ص ٤٣.

(*) يذكر الدكتور طارق الحمداني محقق تاريخ الغياثي أنه في مصادر أخرى كيانصد سالة خوزستان ص ٢٧ يذكر باسم يحيى بن محمد الأعمى، وقد قتل على يد السيد محسن المشعشع. وكان لحاكم البصرة ولد اسمه طلحة التقى في سنة ٨٥٣هـ مع السيد علي بن محمد المشعشع على أبواب البصرة فكانت الغلبة للأخير. انظر: تاريخ المشعشين لجاسم شبر ص ٤٨.

(٢) تاريخ الغياثي ص ٢٧٦.

أفراس طلائع، وقتل ثلاثة أنفس من عرب مطير، فولت مطير الدبر عن أموالهم وبيوتهم، فأغار السيد بركات على الحلة وقسم الغنيمة على رفقة. وجعل للراكب ناقتين ولكل اثنين من الرجال ناقة، وأخذ لنفسه المتبقي من ذلك، وهو خمسمائة، فاشترى بها خيلاً وركاباً ودروعاً بالشرق.

فوصل العلم بذلك إلى أمير مكة السيد أبي القاسم فأرسل إلى أخيه بعض الأعراب بأوراق مضمونها أن عرب مطير في ذمتي فرّد الجواب. إني تجهزت من العُد والعلم معك، فلم يأتني منك خبر عنهم ولا عن غيرهم والفرض بيني وبينك^(١).

خروج مطير على محمل الحج العراقي عند ركبة

٨٥٠ هـ ((حج محمل بغداد في هيئة عظيمة أرسله أحمد شاه بن يوسف من أولاد قره يوسف صاحب توريز لاستيلائه على بغداد وصحبته في الركب نحو ألف زاملة، وأميرهم شخص من شبان المغل يسمى جعفرأ وكانوا لما وصلوا ركبة خرج عليهم عرب يسمون مطيراً في مائة وخمسين فارساً ونحو ألفي راجل، وأرادوا أخذ الحاج فجاولهم الأمير في نحو خمسمائة قواس كانوا في الركب فظهرت من الأمير شجاعة عظيمة تبين فيها أنه من فرسان الإسلام فنصره الله تعالى على العرب ورد كيدهم في نحركم وكان قاضي الركب قاضي توريز مجد الدين بن برهان الدين الأبيجي^(٢)).

قدوم مانع المريدي من القطيف إلى الدرعية

٨٥٠ هـ في هذه السنة قدم مانع المريدي من مسكنه بلد الدروع من نواحي القطيف إلى اليمامة بعد مراسلة مع رئيس دروع حجر اليمامة بني عم دروع القطيف لما بينهم من المراحمة، فاستخرج مانعاً من القطيف، فأتاه في حجر وأعطاه المليد وغصية، فاستقر فيها هو وبنوه، وكان ما فوق غصية لآل يزيد الحنفيين إلى دون الجبيلة، ومن الجبيلة إلى الأبيكين إلى موضع حريملاء لحسن بن طوق جد آل معمر، ثم ولد لمانع المذكور ربيعة وصار له شهرة واتسع ملكه وحارب آل يزيد^(٣).

والجدير بالذكر أنه لم يحارب أحد آل يزيد وآل مزيد كمثل محاربة الدولة الجبرية لهم، بدليل قول الشاعر جعيث في مدح مقرن بن زامل (٩١٧-٩٢٨ هـ)، وهو بيته الذي يشرح فيه أن سادات حجر اليمامة وهم آل يزيد ومزيد تم إخضاعهم خضوعاً تاماً، ولعل ذلك تم بتعاون المردة والموافة مع السلطان مقرن، وقد ذكر ابن بسام وغيره غزوات سلاطين الدولة الجبرية على عائذ والدواسر في الخرج والوادي.

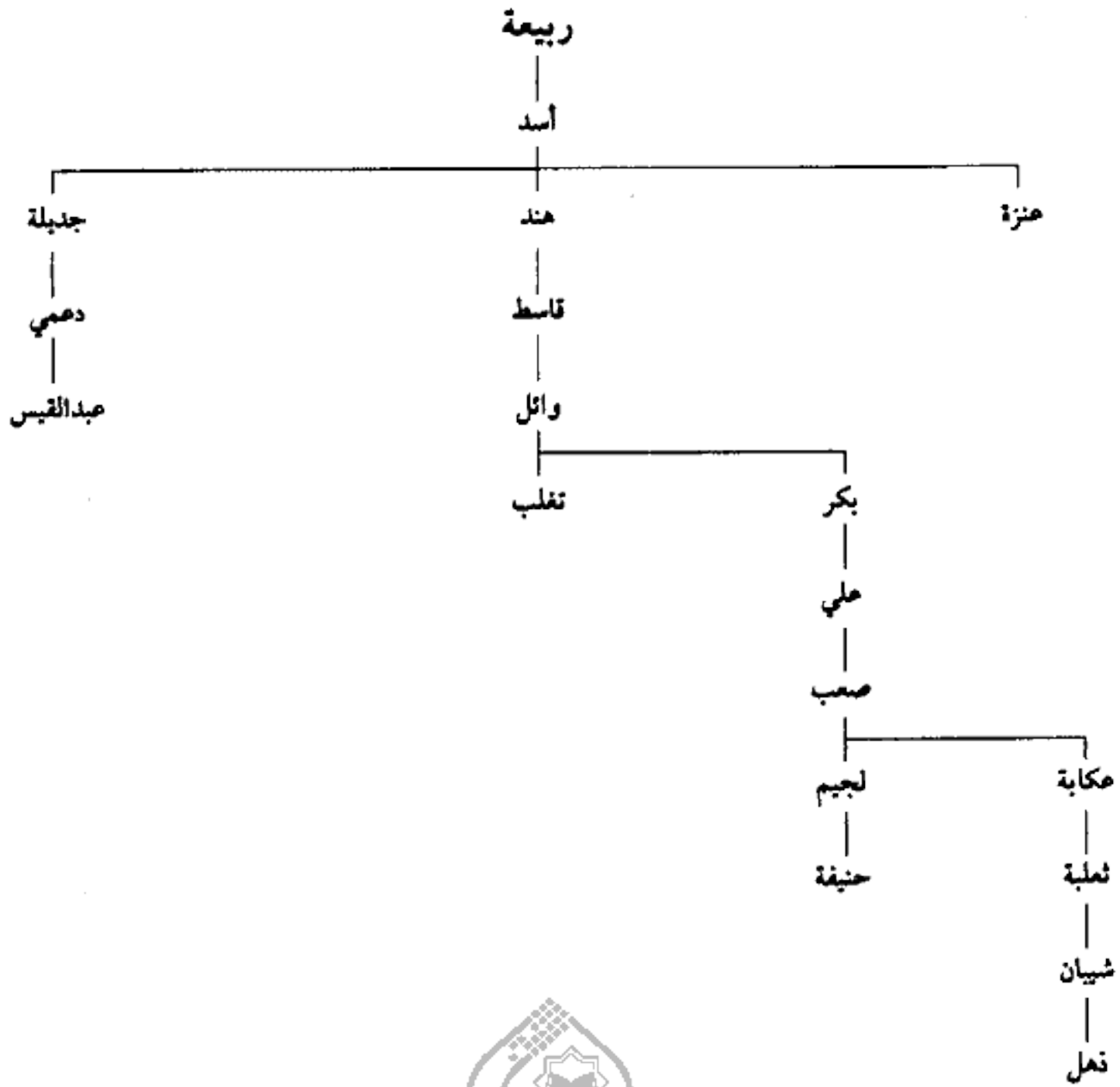
نسب المردة

يقول الشيخ المؤرخ عبدالله بن خميس: أما ما ورد عن سليمان الدخيل صاحب جريدة الرياض التي

(١) إتحاف الوري للنجم عمر بن فهد ط ١ ج ٤ تحقيق د.عبدالكريم علي باز ص ٢٢٧.

(٢) درر الفرائد المنظمة لعبدالقادر الجزيري ص ٣٣٠.

(٣) عنوان المعجد في تاريخ نجد لابن بشر ت ١٢٨٨ هـ م. الرياض الحديثة ص ١٦.



كانت تصدر بالبصرة، وكذا عن أمين التميمي في شجرته لنسب آل سعود من انتسابهم إلى ذهل بن شيان فليس في كلام الرجلين ما يؤيده من نقل أو واقع.

وأضاف: يقول المستشرق الإنكليزي (دوتي) إن بني حنيفة في وادٍ يحمل اسمهم منذ زمن الرسول ﷺ وهم عرب قدامى من عنزة وجددهم المشترك هو وائل. فهو يدخل حنيفة كلها في عنزة مطلقاً هذا الاسم على كل من كان من ولد وائل.

ثم يقول: ويقول العجلاني: المؤرخون وإن اختلفوا، متفقون في كثرتهم على أن آل سعود من وائل من ربيعة من عدنان^(١).

ويقول أوبنهايم: تقول الأنساب الأصلية التي نشرتها جريدة أم القرى المكية الرسمية يوم ١٥ يونيو ١٩٢٨م العدد ١٨٢ بمناسبة وفاة الإمام عبدالرحمن، إن آل سعود ينتمون إلى ربيعة فعلاً، لكنهم ليسوا من عنزة، بل من ذهل بن شيان من بكر بن وائل^(٢).

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٦ ص ٥٨.

(٢) البدو ج ١ ط ٢٠٠٧م تأليف أوبنهايم ومساعدته تحقيق ماجد شبر - الوراق لندن ص ١٩٣.

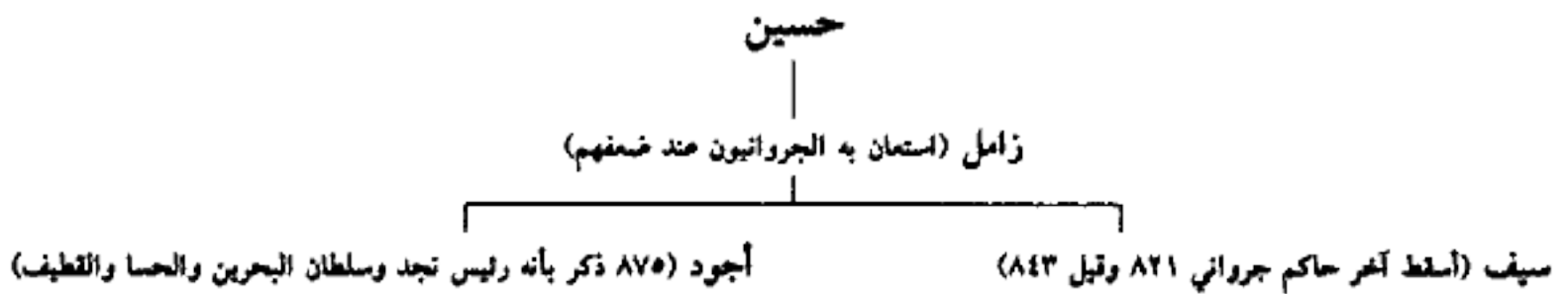
وبشكل عام فإن القول بنسب آل سعود إلى عنزة أو إلى آل حنيفة ليس بعيداً بالفعل عن الحقيقة، لأن المشهور الآن من قبائل ربيعة بن نزار عنزة، وأما مسميات حنيفة وعبد القيس وبكر وتغلب فإنها بحسب علمي قد اندثرت، ولقد وجدت ما يؤيد وجهة النظر هذه ويؤكددها وهو ما جاء عن أبي سعيد المغربي أثناء زيارته لبلاد المشرق العربي في منتصف القرن السابع حيث قال: ((لم أجد فيها - أي الجزيرة الفراتية - من يركب فرساً من تغلب ولا بكر، ولا لهم قائمة. وصارت دولة العرب هنالك لزبيد من طيئ، ولعبادة من المضرية، وتغلب وبكر دخلوا في الفلاحين وأمحي عنهم اسم العرب. ودخلت جزيرة العرب، فسألت: هل بقي في أقطارها أحد من ربيعة؟ فقالوا: لم يبق من يركب الخيل وفيه عريّة وحلّ وترحال غير عنزة، وهم بجهات خيبر، وبني شعبة المشهورين بقطع الطرقات وهتك الأستار في أطراف الحجاز مما يلي اليمن والبحر، وبني عنزة في جهة تبالة، وغير ذلك لا نعلمه في المشرق ولا في المغرب))^(١).

تعرض بني سعد لهجوم الأتراك وملاحقة الشريف

٨٥١ هـ ((في ضحى يوم عرفة كانت جفلة سبيها أن الأتراك تعدوا على غنم بني سعد وأخذوها فحصل بينهم قتال، فسمع الشريف بركات فجاءهم ومعه عسكر فقر العرب ونهب الغوغاء كثيراً من إبلهم وغنمهم وأثانهم وسكن الأمر ونودي بالأمان والبيع والشراء فأمن الحجاج))^(٢).

غزو زامل بن جبر الجبري للدواسر وعائذ على الخرج

٨٥١ هـ ١٤٤٧ م ((غزا زامل بن جبر الجبري العقيلي العامري ملك الإحساء والقطيف ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصبح الدواسر وعائذ على الخرج وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين ثم صارت الهزيمة على الدواسر وعائذ. واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وبعض إبلهم، وأقام في الخرج نحو عشرين يوماً ثم قفل راجعاً إلى وطنه))^(٣).



(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ٦١٠ هـ - ٦٨٥ هـ، تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، الأردن، ط ١٩٨٢/١ ص ٦٠٣.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/ دار الإمامة بالرياض ج ١ ص ٧٣٥.

(٣) تحفة المشتاق لابن بسام ت ١٢٤٦ هـ تحقيق إبراهيم الخالدي ص ٣٤.

غزو زامل بن جبر للدواسر

٨٥٢هـ ((في هذه السنة ظهر إلى نجد زامل بن جبر العقيلي العامري من الإحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة وقصد الدواسر في واديهم وكانوا قد أكثروا الغارات على بوادي الإحساء، فأوغروا صدره فدهمهم في منازلهم ثم إنهم صالحوه على أن يكفوا الغارات عمن تحت يده من العربان وأعطوه من الخيل والركاب ما أرضاه فرجع إلى وطنه))^(١).

تدخل الشريف بركات في حادثة تعرض حاج عقيل لنهب العرب

٨٥٣هـ ((في عصر يوم الجمعة ١٨ جمادى الآخرة توجه السيد بركات نحو الشرق لغزو عرب نهبوا حاج عقيل في السنة التي قبل هذه، ثم وصل العلم إلى مكة المشرفة في عصر يوم السبت ٢٦ الشهر بأنه ظفر بهم وغنم أموالهم))^(٢).

تناوخ عنزة والظفير على (نفي)

٨٥٣هـ ((تناوخ^(*) عنزة والظفير على (نفي) وأقاموا في مناخهم نحو عشرين يوماً يغادون القتال ويرأوحوه طراداً على الخيل، وكان رئيس عنزة جاسر الطيار ورئيس الظفير مانع بن سويط وكان ابن سويط قد أرسل إلى سالم بن مضيان^(٣) من شيوخ حرب يطلب منه النجدة فأقبل سالم ومن معه من بوادي حرب ونزلوا على الظفير، ثم مشى بعضهم على بعض وحصل قتال شديد.. وصارت الهزيمة على عنزة. وانهزموا بإبلهم ولم يتركوا منها إلا القليل وتركوا محلهم وأغنامهم، ومن مشاهير القتلى في هذه الواقعة من عنزة: جاسر الطيار ولاحم بن حصن، ومن الظفير: حمود بن سالم وجمعان بن دوخي، ومن حرب: خلف بن سالم بن مضيان))^(٤).

تناوخ عنزة والظفير على (الضلفعة)

٨٥٤هـ (١٤٥٠م) ((تناوخ عنزة والظفير على (الضلفعة) المعروفة في ناحية القصيم. واجتمعت قبائل عنزة ورؤساؤهم حينئذ: مصلط بن وضیحان وفهد بن جاسر الطيار وضیغم بن شعلان وصنيتان بن بكر، ورؤساء الظفير مانع بن سويط ونايف أبو ذراع، ومع الظفير من حرب سالم بن مضيان ومناحي الفرم. وأقاموا في مناخهم أكثر من أربعة وثلاثين يوماً حتى أكلت الإبل أوبارها من الجوع من طول

(١) المصدر السابق ص ٣٦.

(٢) إتحاف الوری للنجم عمر بن فهد ط ١ ج ٤ ص ٢٨٥.

(*) المناوخ طريقة تقليدية في حروب البادية وهي أن المتحاربين يركون جمالهم قبالة بعضهم البعض.

(٣) يرجع نسب ابن مضيان الظاهري إلى المرواحنة من بني سالم من حرب وقد برزت رئاستها في قبيلة حرب ابتداء من القرن العاشر الهجري كبديل لأسرة آل رومي الزبيديين المسروحيين. (ابن مضيان الظاهري وعلاقته بالحملات المصرية لغايز البدراني ١٩٩٤م ص ١٥).

(٤) تحفة المشتاق لابن بسام ت ١٢٤٦هـ تحقيق إبراهيم الخالدي ص ٣٦.

المناخ وكانوا في مناخهم ذلك يغادون القتال ويرأوحونه طراداً على الخيل ثم إنهم مشى بعضهم على بعض وصارت الهزيمة على الظفير واستولت عنزة على محلهم وأغنامهم وأخذت كثيراً من إبلهم وقتل من الفريقين خلق كثير، ومن مشاهير القتلى من عنزة: ضيغم بن شعلان، ونايف بن وضبحان، وقتل من مشاهير الظفير: مانع بن صويط، وماجد بن كنعان ودوخي بن حمود، ومن حرب: سالم بن مضيان، وشافي بن رومي، وخلف بن جاسر، وسرور بن فاضل^(١).

مهاجمة الفضول على (حفر العتك) ثم آل مغيرة على (الفرير)

٨٥٥هـ ((غزا زامل بن جبر رئيس الإحساء والقطيف وصبح الفضول على حفر العتك وأخذهم، ثم غزا على آل مغيرة وهم على الفرير فأندروا عنه وانهزموا فرجع إلى وطنه^(٢))).

فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ

٨٥٦هـ في هذه السنة أجلس مراد خان الثاني ولده محمد خان على التخت فافتتح القسطنطينية الكبرى سنة ٨٥٧هـ، ومات سنة ٨٨٦هـ، ثم ولي بعده السلطان بايزيد خان^(٣).

عدة وقعت بين عنزة والفضول

٨٥٦هـ أخذ الفضول قافلة كبيرة في العارض لعنزة، وفيها أغار آل المغيرة على عنزة في مبايض وأخذوا إبلًا كثيرة، فلحقهم أفراع عنزة، واستنقذوا إبلهم، وقتلوا رئيس المغيرة لاحم بن مدلج الخياري وعدة من أصحابه^(٤).

٨٥٧هـ غزت عنزة آل غزي من الفضول على تبراك بمنطقة المزاحمية، وأخذوا منهم إبلًا كثيرة، فلما كان بعد أيام أمر جاسر بن سالم آل غزي على قومه بالغزو على عنزة، فساروا إليهم وعنزة على جو أشيقر^(٥).

مهاجمة زامل بن جبر لبوادي زغب والعوازم^(٥)

٨٥٨هـ (١٤٥٤م) ((وفيها غزا زامل بن جبر العقيلي العامري من الإحساء ومعه جنود كثيرة من

(١) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ٢ تاريخ ابن عيسى ص ٣٤.

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي باعلوي ص ١٤١.

(٣) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت ١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج ٢ ص ٤٦٣.

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٦٣.

(٥) حسب ما اطلعت عليه يكون أول ذكر لقبيلة العوازم في سنة ٥٣٠هـ في الجريب بجهة جبل شمر الأعلى في المخلاف السليماني الواقع في إقليم تهامة، وكانت آنذاك ضمن القبائل الهمدانية، والجريب يبعد عن نجران حوالي مائتي كيلو متر. راجع ديوان السلطانين ط / ١٩٦٤م تحقيق وتعليق الأستاذ محمد بن أحمد بن عيسى العقيلي.

الحاضرة والبادية وقصدوا بوادي زغب^(١) والعوازم وهم على (اللبا نعبه)^(٢) فصباحهم وأخذهم وقتل منهم عدة رجال ثم رجع إلى وطنه^(٣).

وفاة الشريف بركات وتفويض الأمر لابنه محمد أبي نمي

٨٥٩ هـ ((في ١٩ شعبان توفي الشريف بركات بن حسن بن عجلان رحمه الله، بأرض خالد من وادي مر وحمل على أعناق الرجال إلى مكة وغسل وصلي عليه وطيف به سبعا على عادة أشراف مكة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة ورثاه الشعراء.

وجاء جواب عرضه ثاني يوم دفنه وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات وكان غائبا باليمن لقبض بعض أموال والده... وكان مولد الشريف محمد بن بركات في رمضان سنة ٨٤٠ هـ بمكة^(٤).

مقتل شيخ عدوان^(٥)

قال ابن شدقم عند ذكره لإبراهيم الشعشاع: ((إبراهيم الشعشاع بن سليمان بن زبان^(٦) بن منصور، يقال لولده آل إبراهيم وآل الشعشاع وكان شيخاً مقداماً مهاباً....، جفاه إخوته وبنوهم.... وكان لأخيه زهير بنت ذات حسن وجمال وقد واعتدال فخطبها سلطان مكة المشرفة أبو نمي، فامتنع بنو مرعي ونعيم وأبو زيد بنو عمها إبراهيم فتآلم أبو نمي فأمر بعض خواصه من عدوان بقتل الممتنع فظفروا به في القنص وذبحوه وهو نائم فركب عليهم - إبراهيم الشعشاع - وقتل منهم مقتلة عظيمة، وانفرد أصغر أولاده بشيخ عدوان وأتى به إلى والده مربوطاً فأمر بقتله وقال في ذلك هذه الأبيات:

نقود سلايل مع جحفل مطارق وفي رؤوسهن سوارق

(١) في المخطوطة الأصلية لتحفة المشتاق بخط صاحبها ذكرت باسم زغب، وكذلك في النسخة المخطوطة لتحفة المشتاق بيد نور الدين شريعة (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) ولكن في كتاب تحفة المشتاق الذي حققه الأستاذ إبراهيم الخالدي ص ٤٠ وردت باسم زغب. والمؤرخون ذكروا لنا زغب هلالية، وزغب سلمية. ففيما يخص زغب الهلالية راجع سنة ٣٩٣ هـ و ٣٩٨ هـ و ٣٩٩ هـ من هذا الكتاب، وأما زغب السلمية فراجع سنة ٤٤٥ هـ و ٥٤٤ هـ و ٥٩٠ هـ و ١١٠٢ هـ و ١١٠٠ هـ.

(٢) جاءت بهذا الشكل بخط ابن بسام وقد رسمتها رسماً، وذكرها إبراهيم الخالدي في تحقيقه للمخطوطة بأنها اللهاية.

(٣) تحفة المشتاق، صورة عن المخطوطة الأصلية بيد صاحبها ابن بسام ت ١٣٤٦ هـ تقريباً، الموجودة في مكتبة ابن قتيبة - حولي، الكويت.

(٤) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٤٣.

(٥) حادثة مقتل شيخ عدوان غير معلومة التاريخ ولكن ذكرناها في بداية ولاية الشريف أبي نمي لأنه أحد أطراف الحادثة والله أعلم.

(٦) ذكر الشريف زبان بن منصور باسم زيان أكثر من ثلاث مرات في الصفحة ٣٩٤ من تحفة الأزهار. (راجع سنة ٩٠١ هـ).

ولا تحسبنا من مطير ولا السذي أهل الحجاز تأتي إليك لفائق
بل نحن من ذويك وإننا نعدى الفتى عن شوهق وعواشق
قال ابن شدقم: قال جدي: إبراهيم الشعشاع خلف خمسة بنين: محمد وحمود ومرعي ونجيم
وأبا زيد.

أخذ الدواسر قافلة لأهل الإحساء قرب حرص

٨٥٩هـ ((أخذ الدواسر قافلة كبيرة لأهل الخرج خارجة من الإحساء ومعهم من الأموال والأمتعة
شيء كثير وذلك بالقرب من حرص))^(١).

٨٦٠هـ ((وفي هذه السنة تناوخت عنزة والظفير على وضاح ورؤساء عنزة إذ ذاك: مصلط بن
وضيخان، ومناحي بن ضيغم بن شعلان، وصنيتان بن بكر، ورئيس الظفير حيثنذ صقر بن راشد بن
صويط، ومع الظفير بنو حسين، وكان ابن صويط قد أرسل إلى بوادي حرب يستنجدهم فأتى إليه
عبدالله بن سالم بن مضيان ومناحي الفرم ومن تبعهما من بوادي حرب، فلما علمت بذلك عنزة خافت من
الهزيمة، فقدموا إبلهم وأغنماهم مع الرعاة أول الليل فلما أصبحوا مشى بعضهم على بعض واقتتلوا
فصارت الهزيمة على عنزة وتركوا ما ثقل من بيوتهم وأمتعتهم فغنمها الظفير وأتباعهم))^(٢).

وقعة بين عنزة والظفير في السر

٨٦١هـ ((حشدت قبائل عنزة ومعهم فريج بن طامي بن فريج شيخ آل كثير، وتناوخواهم والظفير
ومن معهم من بني حسن؟ وحرب في السر، وصارت الهزيمة على الظفير وأتباعهم، وقتل من الفريقين
عدة رجال. ومن مشاهير القتلى من عنزة: صنيتان بن بكر ونايف الدبداب وحسن بن قاعد، ومن مشاهير
قتلى الظفير وأتباعهم: خلف بن مانع بن سويط وصالح بن كنعان ورجاء بن جاسر، ومن حرب: مناخي
الفرم وسرحان بن مضيان ونقا بن ذهول وراجح بن حصرم))^(٣).
٨٦٢هـ - ١٤٥٨م في هذه السنة أوقع الله سبحانه وتعالى وباء عظيمًا في الإحساء والقطيف وفي
البوادي وفي الوشم^(٤) وسدير هلك فيه خلقت كثيرة وقيل إنه وقع سنة ٨٦٤هـ والله أعلم.

غزوة للشريف محمد بن بركات على البقوم

٨٦٣هـ ((في عصر يوم الإثنين ٦ شوال توجه السيد محمد بن بركات إلى الشرق غازياً عرب البقوم

(١) تحفة المشتاق لابن بسام تحقيق إبراهيم الخالدي ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٤١.

(٣) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ٢ تاريخ ابن عيسى ص ٣٥.

(٤) قال العمري في كتابه سنة ٧٣٩هـ نقلًا عن (الحمداني ت ٧٠٠هـ) بشأن عرب الوشم (ثرمد وشقر وأشقر): والعارض
وراء الوشم، والوشم هو الذي ينتهي إليه آل فضل إذا توسعوا في البر، وهم بنو زياد والجميلة. وعرب الخرج وهم
العقنان والبرحان ومن بلادهم البريد والنعام... مسالك الأبصار ص ٤ ص ٣٥٢.

فصبحهم في يوم الخميس تاسع الشهر وأغار عليهم وغنم منهم أموالاً كثيرة وقتل منهم جماعة. ولم يقتل من جماعة الشريف إلا عبد من عبيده ورجل آخر من العرب يقال له لهيب^(١).

٨٦٤هـ ((في يوم الإثنين ٢٠ رجب توجه السيد محمد بن بركات في جماعة من الأشراف والقواد ووزيره القائد بديد بن شكر من مكة إلى الشرق وعادوا في ليلة الأحد ثامن شوال))^(٢).

٨٦٥هـ ((توجه السيد محمد بن بركات في يومه صوب الشرق^(٣) غازياً ثم عاد إلى مكة المشرفة في يوم الخميس ثاني شهر رمضان))^(٤).

وفاة حسن بن طوق رئيس العينة

٨٦٥هـ وفيها توفي حسن بن طوق جد المعامرة أهل العينة. وحسن بن طوق هذا هو الذي اشترى العينة من آل يزيد من بني حنيفة في سنة ٨٥٠هـ^(٥).

زامل بن جبر يغزو آل مغيرة وسبيع في حابر سبيع

٨٦٦هـ ((غزا زامل بن جبر ملك الأحساء والقطيف ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية وتوجه إلى نجد، وصبح^(٦) آل مغيرة^(٧) وسبيع في حابر سبيع وأخذهم. وكان آل المغيرة قد أكثروا الغارات على بوادي الأحساء والقطيف، ثم توجه إلى الخرج وأقام فيها نحو عشرة أيام ثم رجع إلى وطنه))^(٨). وفي هذا العام توفي زامل آل جبر.

٨٦٦هـ ((نهب الحجاج الشاميين في عودهم عرب حرب بالموقد بالقرب من وادي مر فلما سمع السيد محمد بن بركات ذلك جهز مئة فارس فخلصوا كثيراً من أموال التجار))^(٩).

(١) إتحاف الوري للنجم عمر بن فهد ط ١ ج ٤ تحقيق د. عبد الكريم علي باز ص ٣٩٦.

(٢) المصدر السابق ص ٤٠٢.

(٣) في المصدر هذا الذي ننقل منه هذا الخبر أنت أخبار كثيرة عن غزوات الشريف محمد بن بركات للشرق دون ذكر الوجهة المقصودة، أو المقصودين بها، لذلك توقفنا عن نقلها لكثرة خروجه دون ذكر تفاصيل.

(٤) المصدر السابق ص ٤١٩.

(٥) تحفة المشتاق ص ٤٣.

(٦) من المبادئ التي يحافظ عليها أهل الجزيرة منذ القدم في حروبهم ألا يهاجموا حياً من أحياء العرب إلا صباحاً وبعد إطلاق طلقة تحذيرية خشية على الأطفال والنساء التي في المخيم أو في البلدة، وإذا كانت هذه هي القاعدة فإن لها شواذ، فمنهم من يخترق العادات والنظام عن طريق البيات الليلي وهذه نادرة الحدوث.

(٧) آل مدليج الخياري هم رؤساء آل المغيرة في ذلك الوقت. ولعل شيخهم في هذه الفترة وطبان الخياري المذكور في تحفة المشتاق سنة ٨٧٠هـ مقتولاً على يد قبيلة عنزة.

(٨) تحفة المشتاق ص ٤٣.

(٩) درر الفرائد المنظمة للجزيري.

وفاة السيد محمد بن فلاح المشعشع وإمارة ابنه محسن

٨٦٦هـ ((كانت وفاة السيد محمد بن فلاح يوم الأربعاء ٧ شعبان سنة ٨٦٦هـ، فخلفه في إمارته ابنه المولى محسن (٨٦٦-٩١٤هـ)...، ولقب بالملك المحسن وأوصاه والده بالتجنب عما ارتكبه أخوه وامتد ملكه إلى الجزائر وما وراءها إلى حدود سور بغداد من جهاته الأربع والبصرة وشط بني تميم وعبادان إلى الحسا والقطيف ثم الدورق والسواحل إلى بندر عباس وجميع البنادر إلى حدود فارس واستولى على كوه قيلويه ودهدشت ورامهرمز وشوشتر والبختيارية وأكراد لرستان الفيلية وبيات ودزفول والبالذانية وبشت كوه وكرمنشاه وسميرا وبهبهان))^(١).

انتشار الأمراض والأوبئة والقحط

٨٦٧هـ كثر الجدري والحصبة في نجد وهلكت خلائق لا يحصوها إلا الله واشتد القحط إلى عام ٨٧٠هـ. ٨٦٨هـ-١٤٦٣م اشتد الغلاء والقحط في نجد وأكلت الميتات وجلا كثير من أهلها للبصرة والإحساء.

٨٦٩هـ ارتحل من نجد خلائق كثيرة إلى الأحساء والزيبر وهلك في نجد خلائق لا تحصى. ٨٧١هـ أغارت عنزة على آل كثير وسبيع في سدير^(٢).

غزو الشريف أبي نمي لزبيد وللبقوم ولبعض عتيبة ومصالحته لبني سعد

٨٧٣هـ ((غزا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد بين خليص ورايح وقتل شيخهم رومي وأخاه مالكا ونحو سبعين رجلاً وغنم نحو ثلاثين ألفاً من المواشي))^(٣).

٨٧٤هـ ((في عشرين محرم غزا السيد الشريف محمد بن بركات جماعة من العرب وهم عرب البقوم من بني لام، وقيل إنهم قريب الثلاثين، وغنم منهم إبلاً وغنماً كثيراً.

وفي آخر شهر صفر توجه السيد الشريف ومعه عسكره من وادي مر إلى جهة الشرق لغزو بعض عرب عتيبة. فإنهم قطعوا المجود الذي بينهم وبينه وأرسل إلى مكة أن يرسلوا له آلة الحرب من دروع وتجفاف^(٤) وغير ذلك، فأرسلوا له ذلك، فلما قرب من العرب أنذروا به قبل وصوله بيوم فحملوا كلهم ورحل بعضهم ولحق الباقيين قبل سيرهم صبح يوم الثلاثاء ٢٧ صفر فقتل منهم نحو خمسين رجلاً وفر الباقيون فغنم منهم نعماً وشيئاً كثيراً))^(٥).

(١) تاريخ المشعشين لجاسم شبر م. الآداب النجف ص ٧٦.

(٢) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت ١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج ٢ ص ٤٦٧.

(٣) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٤٤.

(٤) التجفاف: الجمع تجافيف لباس أو آلة للحرب توضع على الفرس تقيه كالدرع ونحوه وذهبوا فيه إلى معنى الصلابة.

(٥) إتحاف الوري للنجم عمر بن فهد ط ١ ج ٤ تحقيق د. عبد الكريم علي باز ص ٥٠٤.

٨٧٥هـ ((سافر الشريف - محمد بن بركات - وعياله وعسكره إلى الشرق، وسمع أن نيته يصلح عرب بني سعد، وغاب ببلاد الشرق نحو ثلاثة أشهر وعاد بالسلامة))^(١).
وفيها (٨٧٥هـ) ((انقطع أناس بعقبة أيلة، وقطع عليهم بنو عطية^(٢) الطريق بنخل))^(٣).
وفيها: توفي تورانشاه ملك هرمز^(٤).

ذكر أجود بن زامل بلقب رئيس البحرين والحسا والقطيف

وفيها (٨٧٥هـ): ((لقب أجود بن زامل الجبري (٨٧٥-٩٠٢هـ/١٤٧١-١٤٩٧م) برئيس نجد وسلطان البحرين والحسا والقطيف))^(٥).
٨٧٦هـ حجت بنو جبر في خلق كثير^(٦).

٨٧٦هـ في هذه السنة غادر القاضي جمال الدين عبدالله بن فارس التازي مصر، وذهب إلى مكة حيث أقام فيها فترة يسيرة ثم توجه إلى بلاد البحرين برفقة سلطانها أجود بن زامل ومكث في خدمته هناك خمسة عشر عاماً، كانت نهايتها عام ٨٩٣هـ إذ حضر في ذلك العام موسم الحج بصحبة السلطان أجود ومات بعد موسم الحج بقليل، محرم ٨٩٤هـ كانون أول ١٤٨٨م))^(٧).

٨٧٧هـ مناخ الدواسر وآل مغيرة في الخرج وصارت الهزيمة على آل مغيرة^(٨).

خضوع سواحل الخليج لثلاثة حكام من آل جبر

٨٧٨هـ ((يذكر باربارو سفير البندقية إلى السلطان أوزون حسن في إيران عام ٨٧٨-٨٧٩هـ/١٤٧٤م

مركز بحوث ودراسات إسلامية

- (١) المصدر السابق ص ٥٢٣.
- (٢) ذكر الجزيري خبراً عن بني عطية وأضاف إليهم لقب الحويطات بقوله: (فاستولى بنو عطية الحويطات.. إلى آخر الخبر. (درر الفرائد المنظمة ط/ دار الإمامة بالرياض ج ٢ ص ١١٨٦) وقال الجزيري أيضاً: (وإنما لقبوا بذلك لما بنوه من الحيطان على النخل) (درر الفرائد المنظمة ص ١٣٣٦). وذكرت قبيلة باسم بني عطية من بني ملاص، من قبائل بني عوذ: بنو ملاص. وعوذ بن غالب من بني عيس. أنساب الأشراف للبلاذري ج ١٣ ص ٢١٠.
- (٣) درر الفرائد المنظمة للجزيري.
- (٤) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٤٣٢.
- (٥) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٦٨.
- (٦) درر الفرائد المنظمة لعبد القادر الجزيري ص ٣٣٧.
- (٧) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبداللطيف الحميدان ص ٦٢ راجع الضوء اللامع للسخاوي ٤٠، ٤٥، ٤٠.
- (٨) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت ١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج ٢ ص ٤٦٧.

أن السواحل العربية للخليج العربي كانت تحكم من قبل ثلاثة من الأمراء المسلمين، ومن المحتمل أنه يشير بذلك إلى حكومة أجود الذي يساعده ولداه في إدارة الإمارة وهما سيف وزامل^(١).

أخذ آل كثير والعوازم وزغب قافلة لأهل نجد على اللصافة

٨٧٩هـ ((في هذه السنة أخذ آل كثير والعوازم وزغب قافلة كبيرة لأهل نجد على اللصافة وهي خارجة من البصرة، وفيها من الأموال والأمتعة شيء كثير))^(٢).

دعم الجبور لسفغور بقوات في صراعه مع إخوته في جزيرة هرمز

٨٨٠هـ - ١٤٧٥م ((إثر وفاة ملك هرمز فخر الدين تورانشاه استغل الجبور نشوب الصراع بين أبنائه على خلافته في تأكيد سيادتهم على بقية المنطقة حين قاموا بالتدخل في ذلك الصراع لصالح سفغور أحد أبناء تورانشاه، حيث تم دعمه بقوات جبرية تم إنزالها في جزيرة هرمز مقابل تنازله للجبور عن مطالب هرمز السيادية على البحرين والقطيف، ولكن سفغور بعد أن استقرت له السلطة شرع في المطالبة بالبحرين والقطيف ودخل في صراع مع الجبور من أجل ذلك كانت محصلة ذلك بقاء البحرين والقطيف في أيدي الجبور مقابل موافقتهم على دفع مبلغ سنوي محدد لهرمز))^(٣).

يقول أحمد بن ماجد النجدي يصف جزيرة جرون أثناء خطه لكتابه ما بين سنة ٨٩٥ إلى ٨٩٦هـ: ((لأجود بن زامل بن حصين العامري أعطاه إياها هي والقطيف السلطان سفغور بن تورانشاه على أن يقوم بنصرته على إخوته ويملكه جزيرة جرون هرموز المتقدم ذكرها وكتب بها عليه حججاً واستثنى بعض بساينها ففعل له ذلك وقام بنصرته وملكه جرون وأخذ القطيف والبحرين في عام ٨٨٠هـ وقد أخذ ولد سيف بن زامل عمان بن شهاب بالسيف على سليمان بن سليمان بن نبهان في عام ٨٩٣هـ وولّى عليها إمام كبير الإباضية يدفع له محاصيلها وقد نصره أهلها فهدم جميع حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الإباضي))^(٤).

٨٨٣هـ تناوخ سبيع وآل كثير على ضرمى، وصارت الغلبة لسبيع^(٥).

(١) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبداللطيف الحميدان ص ٧٤.

(٢) تحفة المشتاق، مخطوطة بيد صاحبها ابن بسام ت ١٣٤٦هـ تقريباً.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهي ص ٧٤.

(٤) هذا النص نقلناه كما قرأناه عن صورة لمخطوطة أحمد بن ماجد، وهي منشورة في أكثر من مجلة ومن هذه المجلات: الوثيقة البحرينية العدد الأول.

(٥) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت ١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج ٢ ص ٤٦٨.

استيلاء محسن المشعشي على البصرة بعد قتل يحيى بن محمد بن مانع

٨٨٤هـ في هذه السنة قتل يحيى بن محمد بن مانع على يد السلطان محسن المشعشي^(١)، وظلت البصرة تحت حكم المشعشين إلى أن أخذها منهم محمد بن مغامس بن صقر بن يحيى واستعاد حكم آبائه وأجداده وذلك سنة ٩١٥هـ واستمر في حكم البصرة حتى وفاته سنة ٩٣٤هـ، ثم أتى بعده أخوه راشد ابن مغامس بن صقر واستطاع أن يضم كلاً من الإحساء والقطيف إلى حكمه.

٨٨٥هـ أخذ آل كثير قافلة لعنزة من الوشم كما أخذ آل مغيرة قافلة للدواسر خارجة من الإحساء^(٢).

وفاة السلطان محمد خان الثاني وتولي ابنه السلطان بايزيد خان الثاني

في سنة ٨٨٦هـ انتقل محمد الثاني أو محمد الفاتح إلى رحمة الله وكانت ولادته سنة ٨٣٣هـ وارتقى العرش ٨٥٥هـ ومدة سلطنته ٣٦ سنة وتوفي عن عمر بلغ ٥٣ سنة^(٣).

غزوة أجود بن زامل للفضول على تبراك

٨٨٧هـ ((في هذه السنة غزا أجود بن زامل العقيلي العامري من الإحساء ومعه جنود كثيرة من البادية والحاضرة وتوجه إلى نجد، وصبح الفضول على تبراك وغنم منهم غنائم كثيرة وكانوا قد أكثروا الغارات على بوادي الإحساء وقتل منهم عدة رجال))^(٤).

توجه الشريف بركات لغزو مطير

٨٨٧هـ - ١٤٨٢م ((في يوم الثلاثاء ٢٥ الشهر: وصل السيد الشريف بركات ابن السيد الشريف بركات ابن السيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان من الفريق وهم بناحية اليمن وأخبر

(١) في أيام السيد محسن (٨٦٦-٩١٤هـ) الذي امتد ملكه إلى الجزائر وبغداد والحسا والقطيف تغلب يحيى بن محمد الاعمى على البصرة. قال الأستاذ جاسم حسن شبرم: ((فركب المولى محسن بعساكره وأرسل إليه: إن المطلوب من العسكريين أنا وأنت فابرز إلي ولا تسفك دماء العباد، فقبل وتبارزا فابتدره يحيى بطعنة انحاز عنها المولى محسن المشعشي ثم بادره محسن بضربة قوية أردته صريعاً إلى الأرض، فأتاه والده محمد البصير راكباً حماراً تقوده جاريته فدخل على السلطان محسن وطالبه بديةً ولده فأعطاه ألف تومان وعين له راتباً يومياً يكفيه ويزيد، وأعطى لولد المقتول وكان طفلاً جواده الخاص والدرع الذي كان لابسه)). تاريخ المشعشين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبرم. الآداب النجف ص ٨٢ ويقول الأستاذ شبرم في هامش الصفحة: ينتمي يحيى بن محمد إلى قبيلة آل غزي في المتفق، ونقل الغياثي وتاريخ رستم باشا أن حاكم البصرة اسمه غانم بن يحيى.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٣ ص ٢٧٤.

(٣) كلشن خلفاً لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ١٩٦.

(٤) تحفة المشتاق لابن بسام تحقيق إبراهيم الخالدي.

بمراكب عدة واصله من الهند وأنها دخلت من باب المنذب، ثم توجه في هذا اليوم لنانحية المشرق لغزو عرب مطير مع أنه هو وإياهم صلح، لكن قيل إنه طمع في مالهم لكثرتهم ثم لم يجدوهم كأنهم أنذروا بغيرهم ففروا والحمد لله ثم رجع ووصل إلى مكة يوم السبت تاسع عشر الشهر^(١).

٨٨٨هـ ((سافرت قافلة بجيلة من منى وعرفة وكرا، فلما وصلوا قرب كرا خرج عليهم عرب هذيل وهم فرقة من عرب الغصغوص^(٢) أهل البادية ونهبوا القافلة جميعها وقتلوا جملة من الرجال وجرحوا بعضهم، ويقال إن الذي أخذه غير الجمال يجيء بأربعة آلاف دينار ثم إن العرب أرسلوا.. في الصلح وهم يردوا جميع ذلك لأربابه^(٣)).

وفيها (٨٨٨هـ): ((سافر الشريف محمد بن بركات إلى أهله بطريق جدة واستصرخ العربان على هذيل بأن يأخذوا عليهم الطرقات حتى يأمرهم بالزحف عليهم والطلوع عليهم بجبالهم وواعدهم على اليوم الخامس من الشهر^(٤)).

وفيها (٨٨٨هـ) في رجب: ((في يوم الحادي عشر منه حصل تنازع بين عرب عدوان وبين خزاعة عند السقي من بركة الماجن فوقع بينهما حرب حصل الغلب على خزاعة لقتلهم وكثرة أولئك^(٥)).

وفيها (٨٨٨هـ) في رمضان: ((في يوم الأحد ثاني الشهر وصل الخبر إلى مكة بأن السيد بركات - ابن محمد بن بركات - غزا الذين توجه إليهم - في المشرق - وأخذ منهم خمسة وعشرين قطيعاً وهربوا، وادعى بعض أهل المشرق المواجهين أن لهم مالا عند هؤلاء وديعة فجاؤوا فأعطوهم المدعى وبقي الباقي^(٦)).

وفيها (٨٨٨هـ) في ذي القعدة: ((وصول أجود بن زامل المشهور بابن جبر إلى المدينة الشريفة.. في بعض جماعته^(٧)). وفيها ((كان الحاج هنيئاً ولم يحصل لأحد تشويش مع كثرتهم، خصوصاً بنو جبر، فإنهم كانوا نحو عشرين ألف زاملة^(٨)).

٨٩٠هـ غزا أجود بن زامل شيخ الأحساء والقطيف وصبح الدواسر على الخرج^(٩).

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد مكتبة الشاطی ص ١٠. نسخة مخطوطة.

(٢) المصدر السابق ص ١٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٦.

(٤) المصدر السابق ص ١٦.

(٥) المصدر السابق ص ١٨.

(٦) المصدر السابق ص ٢٠.

(٧) درر الفرائد المنظمة.

(٨) تاریخ ابن عیسی للشیخ إبراهیم بن صالح بن عیسی ت ١٣٤٣هـ دراسة وتحقیق د/ أحمد بن عبدالعزیز البسام ج ٢ ص ٤٧١.

٨٩٠هـ ((وصلت قافلة من المدينة الشريفة....، وفي خروجهم من المدينة خرج عليهم بالفريش عرب لعلهم من بلي أخذوا جميع ثيابهم وأمتعتهم وأحمالهم))^(١).

٨٩٢هـ في جمادى الأولى: ((جاءت الأخبار من عند الأمير أقبردي الدوادار بأنه قد انتصر على العرب الأحامدة، وكان متوجهاً إلى الوجه القبلي سبب ذلك، فقتل منهم ما لا يحصى وأسر نساءهم وأولادهم، وبعث بهم إلى مصر، فباعوهم كما يباع الرقيق من الزنج...، وقد مهد بلاد الصعيد منهم وكانوا أظهروا الفساد بها جداً))^(٢).

٨٩٣هـ ((سافر - السيد الشريف بركات بن محمد - هو وأولاده وعسكره إلى جهة الشرق للغزو، فإنه يقال إن بعض بني لام خرب بعض حصون في شامان))^(٣).

تعمير يوسف بن أحمد أبي ريشة الطائي لموقع حريملاء

يقول الأستاذ صالح الطعيس: حريملاء ذكرت كروضة ترعى فيها الحيوانات وتتبع أمير ملهم المعروف بابن عطا وهنالك بعض الآثار (مثل الرجوم، وأطلال قصره الحجري وبعض القصص الميثرة) الدالة على هذا الحاكم منها في حريملاء رجم العطيان المنتصب فوق ضلع المرقب شرقي حريملاء. وقال الطعيس: وفي كتاب العقدين الأخيرين من القرن التاسع الهجري نعث على رواية تاريخية ما تزال متداولة إلى وقتنا هذا يرويها الشيخ محمد بن ناصر العمراني عن أبيه عن جده فيقول: إن أول من عمر حريملاء كقرية مبنية محاطة بسور وحفر فيها الآبار وشق القنوات شخص يدعى ((يوسف أبو ريشة)) قدم من بلاد الشام تنفيذاً لأوامر أبيه الذي كان رئيساً لإحدى القبائل البدوية هناك إذ بعد حروب استعرت في بلاده: إما مع قبيلة أخرى، أو قتال في ذات القبيلة، فكر أحمد أبو ريشة أن يترك بلاده وينكس إلى موطنهم الأول وسط نجد، فأمر ابنه يوسف أن يرحل إلى نجد ويختار مكاناً صالحاً لإقامة قبيلته...

ثم يقول: وعندما بدت بوادر ازدهار حريملاء زراعياً بعد أن تجلى تقدمها عمرانياً حاول ابن معمر أمير بلدة العينة الاستيلاء عليها بالقوة ولكنه لم يتمكن من ذلك لمناعة تحصينها واستبسال قاطنيتها في الدفاع عنها...

في الوقت ذاته ضاق أحمد أبو ريشة ذرعاً بمطالب ابنه المتزايدة عبر سبع سنوات وتطلع إلى معرفة ما وصلت إليه هذه البلدة من تقدم زراعي، - كتب إلى ابنه طالباً منه تعريفه بأسماء نباتات مهجره وأن يرسل له شيئاً من ثمرها فأجابه ابنه بأنه لا يزال منهمكاً في الأعمال الإنشائية وأن النبات السائد طبيعي وهو الحرمل. فاستشرى غضب الوالد وأمر ابنه بالعودة إلى بلاد الشام قائلاً عبارته المشهورة التي ذهبت مثلاً:

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد ص ٢٨.

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن إياس.

(٣) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد مكتبة الشاطي ص ٤١.

((خل حريملا في كبد أهلها)). فهجر يوسف أبو ريشة ومعظم الوافدين معه حريملاء إلى موطنهم بلاد الشام وذلك في السنة ٨٩٣هـ^(١).

استحواذ ابن عطا أمير ملهم على حريملاء

وقال الأستاذ الطعيس: وفي خلال هذه الحقبة من الزمن كان ابن عطاء أمير ملهم قد قويت شوكته وأصبح منافساً عتيداً لابن معمر رئيس العيينة، مما اضطره إلى أن يغض النظر عن استحواذ العطيان على حريملاء أو ضمها إلى ملكهم بعيد نزوح يوسف أبو ريشة عنها.

نسب العطيان إلى وائل وعامر

قال ابن لعبون في المخطوط الذي صنفه في سنة ١٢٥٥هـ: ((لعامر قربي نسب ودار بالعطيان سكان ملهم القدماء، وقال: أما بنو وائل ساكنو ملهم فالظاهر أنها لم تخل منهم جيلاً بعد جيل وقد جاورهم فيها غيرهم وآخر من ذكر من رؤسائهم ابن عطا المتسبون إلى وائل وعامر ولم يذكر ممن)).

وقال الكلبي في جمهرته (ت ٢٠٤هـ): عائذ بن صعصعة بن معاوية وإخوته من أمه وأبيه هم عامر ومرة ومازن ووائل، وأهمهم وائلة بها يعرفون أي الوائليون.

وقال الجاسر في مجلة العرب: قبيلة عائذ من قبائل بني عقيل بن عامر بن صعصعة وقد انتسب العائذيون إلى قبيلة قحطان الآن حالهم حال عبيدة في الرين من قشير من بني عامر وحال الشثور وآل حيان من آل زياد من بني عامر.

مسير الشريف محمد بن بركات إلى بني لام

٨٩٣هـ / ١٤٨٨م في هذه السنة سار الشريف محمد إلى منازل بني لام.

عجل بن غدفا وكليب بن مانع

في نسخة مصورة من مخطوط الجواهر الحسان لصفي الإسلام أحمد بن مغيزل بن أبي بكر الأسدي البلاء^(٢) وجدنا أخباراً مهمة ذات علاقة بأحداث المنطقة في ذلك الوقت وخاصة فيما يتعلق بحروب السيد محمد بن بركات مع بني لام ومطاردته لهم ومحاولته القبض على رئيسهم عجل بن غدفا، وجاء فيها ذكر لجوء الشريف حسين إلى سليمان بن أحمد شيخ الغزي من بني لام هارباً من محمد بن بركات، ويعطي هذا المخطوط تفاصيل مهمة عن طوائف بني لام المتعددة، وقد ذكر أن شيخ المتفق في ذلك الوقت هو كليب بن مانع الذي ستأتي له أخبار أخرى في هذا الكتاب.

(١) مدينة حريملاء لصالح الطعيس ج ١ سنة ١٩٧٩م.

(٢) حاولت قراءتها بدقة رغم أن الخط غير واضح، وللأسف لم يصلني من هذه المخطوطة إلا ثلاث ورقات، وأصل هذه المخطوطة محفوظ في مكتبة جامع صنعاء من اليمن.

أجود بن زامل يهاجم الدواسر على الحرملية

٨٩٣هـ ((في هذه السنة غزا أجود بن زامل بجنود كثيرة من الحاضرة والبادية وتوجه إلى نجد وصبح الدواسر هم وسبيع على الحرملية وأخذهم وكانوا قد أكثروا الغارات على بواديهم، وقتل منهم عدة رجال من الفريقين))^(١).

وفيها (٨٩٣هـ): حج الأمير أجود بن زامل في نحو (١٥ ألف من الرجال) ونزل بالمنحنى قرب حراء^(٢)، وذكر أنه نزل خلف بستان ابن مزنة إلى جهة سبيل جاني بك^(٣).

استيلاء سيف بن أجود على عُمان

وفيها (٨٩٣هـ) استولى سيف بن أجود بن زامل على عمان، وولّى عليها إمام كبير الإباضية يدفع له محاصيلها وقد نصره أهلها فهدم جميع حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الإباضي.

وكان قد اشتد الصراع النبهاني الإباضي وتعمد مما أدى إلى استنجد الإمام الإباضي عمر بن الخطاب الخروصي بأمير الجبور أجود بن زامل الذي لم يتردد في إرسال جيش سنة ٨٩٣هـ - ١٤٨٧م لنجدة الإباضية رغم اختلافه وإياهم في المذهب وقد نجح قائد الجيش سيف بن زامل في طرد النبهانية...

وظلت الحرب سجالاً بين الإباضية والنبهانية مما سهل استمرار نفوذ الجبور في عمان باسم حماية الإمامة الإباضية.... وكان الإباضية مقابل ذلك يؤدون رسوم حماية للجبور على شكل مواد عينية من المحاصيل الزراعية العمانية^(٤).

وقعة لينة بين كليب بن مانع شيخ المتفق وأجود بن زامل

وردت في كتاب الشعر النبطي للصويان مساجلات شعرية بين شعراء الدولة الجبرية وشعراء المتفق لحروب وقعت بينهم، ومنها قصيدة قالها ابن زيد وجهها لكليب بن مانع شيخ المتفق، وهو ممن قاوم نفوذ أجود، ونافسه، فحدثت بينهم وقعة على مورد لينة هزم فيها أجود كلياً وأصحابه وأزاحهم عن ديارهم، يقول ابن زيد:

- ١- يقول ابن زيد قول راعي مثايل مقال على كل الرواة مكاد
٤- فخصوا بتسليمي كليب بن مانع ومن لذوي دانيه عزاء وعماد

(١) المصدر السابق ص ٥٣.

(٢) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/ دار اليمامة بالرياض ج ١ ص ٧٦٢.

(٣) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري لعبدالعزیز بن فهد ص ٤٣.

(٤) تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى للدكتور فاروق عمر ص ٢١٨، وفي الهامش: راجع الأزكوي،

كشف الغمة (الجزء المحقق) ص ٧٥ الفتح المبين (المخطوط) ورقة ٩٤-٩٦ السالمي، تحفة الأعيان من صفحة

٨٤ فما بعد.

- ٥- قولوا إن الذم مأهوب واجب
٧- إن كان سيف حان أو جاء يومه
٨- ما مات إلا عنك في كل لقوة
١٠- طمعت وقلت القوم لاش خلافة
١١- ومنيت من يعطيك ميراث جده
١٢- نحن غصة في كبد الأعدا مطيلة
١٣- تموض بقعا في بساتين مرغم
١٤- عداك ابن جبر يا كليب وعادته
١٦- فخذ حذر لو ماكنت راعي عداوة
١٧- كما أنك منكأر ولا فيك طيب
١٩- فزادت لك المهلا علينا حماقة
٢١- أسألك بآيات القران وفضلها
٢٣- من المبتدي منا بالإحسان أول
٢٤- فذا ذكرها قد جالكم يآل مانع
٢٦- ترى إن كانت الميعاد لينة^(٢) بيننا
٢٨- وخليتها كره وخليت حولها
٢٩- قسمناكم أثلاث فثلثين عندنا
٣٠- وجمع ابن صلال قبيل ابن قشعم
٣١- وخانوا بنا ابنا وثال^(٤) قصورنا
٣٢- فقل لال عيسى^(٥) عيذاب الله خيلهم
٤٠- أبا مند زين المشافيق أجود
- والاعلام^(١) يحيا ذكرها ويعاد
ومهد في بطن الثرى بمهاد
لكم عند زومات العدو سناد
وكل على ماضي قديمة عاد
وذا ظن من لا يختشي بغداد
إلى قلت يبرا غلها زاد
والأوطان في سوق العراق بلاد
لشرواك عن عادي مقامه عاد
مبين فعذري في عداك باد
وأنت في البشر الردي ستاد
وظليت مع راعي الحمافة غاد
وأم القسرى والمرسلات وصاد
و من له مبدأ بالثنا ومعاد
والأجواد ما تدع الجميل زهاد
فلا نرتضي من دونها بسداد
بيوت على روس الرفاع تشاد
وثلك ابن غزي^(٣) فراح بداد
عداه عن أسباب الملامة عاد
والأدناس تدعي الخائنين رماد
فهن مطاويع وهن جياذ
إلى غدى المستأخرين غواد

(١) الأعلام تعني الأخبار، وتستخدم في الشعر النبلي في وقتنا بصيغة العلوم.
(٢) وقعة لينة يبدو أنها وقعة كبيرة شاركت فيها عدة أطراف، ولكن الغريب أن التواريخ النجدية لم تذكرها مما يجعلنا نضع هذه المصادر في محل الشك والريبة.
(٣) ابن غزي، شيخ الفضول من بني لام، وشيخهم في ذلك الوقت هو سليمان بن أحمد.
(٤) ابنا وثال زعماء الأجود من المتفق.
(٥) آل عيسى من القديمات، والقديمات أبناء قديمة بن نباتة، وهم إخوة المتفق، ويبدو أنه عندما استولى العصفوريون على حكم البلاد انقادت لهم جميع القبائل بما فيهم إخوتهم المتفقيون وسادوهم. وعلى حسب فهمي للبيت فإنه يقصد أن خيل آل عيسى طأوتهم على الفرار، وهي كناية عن الجبن.

فرّد ابن حماد شاعر القديّعات :

- ١- يقول ابن حماد ومن لا يكوده
 - ٦- سرها وتلفي من عزانا جماعة
 - ٧- فعمهم بالتسليم مني وقل لهم
 - ٨- لفاني بلا جهل كتاب مؤرخ
 - ٩- يقول ابن زيد عيذ بالله خيلنا
 - ١٠- فاطوع منها خيلكم يوم دبرت
 - ١٣- فيا مبلغ جانبي سلامي عساكر
 - ١٤- يقول بيوت الشعر يبغي تعلق
 - ١٥- وهو كان مثل النار في دار عامر^(١)
 - ١٦- فقد طحت في أيدي القديّعات وأيتلوا
 - ١٧- من بهجي القوم الذي يخفرونه
 - ١٨- وقولك سيف مات منا وهو لنا
 - ١٩- فلا مات إلا عنك وآزيت عقبه
 - ٢٠- وقد كان بأطراف الرماح على أجود
 - ٢١- وهو عقب ما داس فيكم جذت به
 - ٢٦- فسايلك بآيات القرآن جميعها
 - ٢٨- من المبتدي فيما ذكرت ومن بقي
 - ٢٩- (يوم شراك التمر)^(٢) باغ طلوعه
 - ٣٠- عداكم عنها كليب بن مانع^(٣)
 - ٣١- وجبتوا كما جابوا زياد لواهج
 - ٣٢- جزيتوا كما جاز كليب بن وائل
 - ٣٣- وأشركت في الأعلام شيخان عامر
- مثايل ترثي بالهيجا وتعاد
أهل مقفلات بالعدو جباد
الأعلام فيها كاذب ووكاد
بذم وعندي كاغد ومداد
فهن مطاويع وهن جباد
وهن من أطراف الرماح شراد
كما أنه من روس الملوك وعاد
إلى نفر سادوا عليه وباد
وصيورها بعد الثقوب رماذ
زمامك ولا مدت عليك أباد
عن الذبح مغزي بغير فؤاد
الى شد للحرب العوان شداد
كما ثم ما عاد فيه معاد
وسلم ولا من عقب ذيك يعاد
جواده ولا عرجت عليه جواد
كما سلّطني بالمرسلات وصاد
يقاضي بسو فالسؤال يعاد
ولا عادت الإحساء لكم ببلاد
وصار لحزمتكم فنا ونفاد
وغيره من حر الوقيعه حاد
فشر بشر قبل ذاك فباد
تبادا وهم عما تقول براد

(١) دار عامر تسمى اليوم ديرة عامر، وهي معروفة إلى اليوم، وبالتحديد هي السوداء، وبشكل عام هي ما بين الإحساء إلى البصرة، وقال عجل بن حنيت في حرب له ضد بني عامر: ((صبحنا على الوفرا داوير عامر... وغدى مالهم للطامعين أقسام)).

(٢) يوم شراك التمر وقعة لم يؤرخها المؤرخون.

(٣) هنا يقصد الشاعر أن كليب بن مانع شيخ المتفق أزاح آل جبر عن الإحساء.

٣٦- ومن قبله المطلاع^(١) فيكم وقبعة
 ٣٩- قتلوا مشاكيل القديمات عليه
 ٤١- قتلنا لكم خمس وعشرين سابق
 ٤٢- مع خمسة منكم وعشرين خليوا
 ٤٤- قضا في عليان وفي قتل مانع
 ٤٥- وقولك بقعاً في بساتين مرغم
 ٤٦- نبائع فيها يابن زيد ونشتري
 ٤٧- نجيتها مع فجاج الخلا وأنت غافل
 ٤٨- على رأي شيخ بالحروب مسلط
 كليب زبن الجاذيات ابن مانع^(٢)

لجا غلها بأقصى ضميرك زاد
 بلا سبب يا عايلين عناد
 وتسعين قلع والمعجاج ركاد
 لطير الفلا والضاريات معاد
 والأقلاد تدعي الخائنين رماذ
 والأوطان في سوق العراق بلاد
 من أموالكم ماهي لنا بتلاد
 على ضمير من مالكم وجياد
 يخلي قراشيع الخصيم بداد
 ومن له مبدأ بالثنا ومعاد

وفيما يلي قصيدة لابن زيد في مدح ناصر بن قشعم:

٩- فيا بشر إن قابلت نزل ابن قشعم
 ١٠- وقابلت ملك شرف الله وجهه
 ١٢- وهذا وكيد تنقي الخيل ناصر
 ١٣- جزيل العطا واف الذمام ابن قشعم
 ١٤- شميمي الاوزا قشعمي مجرب

صليل وصرنجاج حذاء زعوق
 جزيل العطا واف الذمام صدوق
 بها الخيل عن روس الرماح دروق
 طوال الملاهي^(٣) من عطاه وفوق
 كما السيف من بطن الجفير دلوق
 وهذه أبيات يحذر فيها ابن زيد شخصاً اسمه سليمان من مناواة أجود ويذكره بفضل أجود عليه
 ٢- فقل أيها الركب الذي قد تقللوا علي ضمير من عيدهيات قودها
 ٣- فردوا سلامي يم قوم تجمعوا
 ٤- حذاري حذاري يا سليمان لا تكن
 ٥- ولا تنس جزيلات العطايا من أجود
 كما جمعت عجمان سند لبودها
 فراشة نار حين جاها وقودها
 إذا نسي جزلات العطايا جحودها

(١) المطلاع قرب الجهراء في الكويت، وحدثت عليه وقعة بين المنتفق وبين آل جبر، وهو يوم قتل فيه عدد من شجعان القديمات.

(٢) على حسب ما ورد في مخطوط الجواهر الحسان لأحمد بن مغيزل الأسدي البلاغ فإن كليب بن مانع هو شيخ المنتفق. كما أن القصيدة توضح أنه شيخ القديمات والقديمات نسبة إلى: قديمة بن نباتة بن عامر كما ذكر في قلائد الجمان، ومنهم مانع بن عصفور الذي حكم الإحصاء هو وأولاده لمدة قرن ونصف القرن بدءاً من سنة ٦٥١هـ، واسمه هكذا: مانع بن عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان بن غفيلة [الغفيلات] بن شبانة [الشبانات] بن قديمة [القديمات] بن نباتة بن عامر العقيلي.

(٣) طوال الملاهي هي الخيل.

- ٦- فياويل كل الويل من حارب أجود
٧- ونادي المنادي للرحيل ودنيت
الى جر من روس البوادي جنودها
بليهيبة مثل البنايا حيودها

يقول ابن زيد في وصف مسيرة حياة أجود بن زامل الشخصية وكيف يمارس حياته:

- ٨- لوا شارع الصمان في جبل مشرف
٩- مقتلة الغزلان صادقة الحيا
١٠- من الشعثميات الذي تحجز اللوى
١١- عدت لها من يوم هجراني أهلها
١٣- لها معدن في قرب حزوى^(١) ومسكن
١٩- تبين عنها يا نبيط بن ثابت
٢٠- فهي دار من يقري ويذري وينتخي
٢١- أبا سند حرج الجواد ابن زامل
٢٢- وافي الذرى ما خان يوم عميله
٢٣- ولا طواع البوقات في مال جاره
٢٦- يحل بها الدهنا إلى جاده الحيا
سقاها بهتان الزبانا صدوقها
يشق الدجى نور السنا من بروقها
إلى الزرق واليتم المغاني حقوقها
ثمان وتغير الليالي خلوقها
عن القيض في برد الثرى من عروقها
فلا عقب صحباك المعادي تذوقها
ويدي عليها بالهوادي حقوقها
إلى جذبوا شرثاتها من لحوقها
والأعلام تلقي غربها من شروقها
والأقلاد ما تلقي إلى من يبووقها
والإحساء إلى طاب الجنا من عذوقها

في سنة ٨٩٤هـ الموافق ١٤٨٩م اكتشف البرتغالي فاسكو دي جاما رأس الرجاء الصالح وتمكن من الوصول إلى كلكتا بالهند

حرب مكة مع آل جميل

٨٩٤هـ ((القايد مفتاح البوقير من كبار عبيد السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات: ((خرج يريد عرب آل جميل وهم بجبلهم المقيمين به بالقرب من عرفة ومن الحجاز، وأرسل إلى العربان بأن يسيروا معهم ومن لا يسير فهو من الشريف في عنقا، فأبى كثير من العربان المسير، وانتمى إلى جميل عرب هذيل وغيرهم، فلما وصل البوقيري إلى تحت جبلهم ترك الذين أخذهم من مكة وبعض العربان ومعهم خباكان هما عنان بن قنيد أخو مسعود وعلي بن رشيد وتوجه هو والخيالة وكثير من العسكر إلى الحجاز ليأخذ أهل الحجاز ليسيروا معه عليهم من أعلى الجبل أو ليقطع كرمهم بأعجاز وكذا دوراً لهم فلما سمع آل جميل بأنه فعل ذلك نزلوا على الذين تحت الجبل وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ونهبوهم وتبعوهم للسبي إلى أن أوصلوهم لعله إلى قرب عرفة ومسكوا جماعة منهم الخباكان وأطلقوهم كرامة للشريف وكان ممن قتل حسين بن ماجد...، وتسمى هذه الغزوة ((مراوة)) وجاء الخبر إلى مكة ثامن الشهر -

(١) حزوى تقع ما بين وادي مبهل وجبل التريبي والجراة (الرفيعة)، وباختصار حزوى بين الدهنا والصمان من الجهة الشمالية الشرقية.

محرم - فحصل الضجيج والبكا من نواحي مكة على المقتولين ثم حضر المقتولون وكانوا ثلاثة وأربعين، فبلغ الشريف جمال الدين محمد بن بركات ذلك فأمر بخمسين فارساً ملبسة من خيله وثلاثمائة راجل وجميع عرب الدار لقريش وخزاعة وبني أسلم وهذيل أن يرحلوا بأهلهم وهوشهم إلى تحت جبلهم ويقيموا هنا إلى أن ينزلوا على حكمهم أو أن يقاتلوا أو يفني أزودتهم وينزلوا للقتال أو غيره ويكون مفتاح البوقيري مع من معه في طريقهم في جهة الحجاز.....

وفي أوائل النصف الثاني من الشهر - محرم - توجه عسكر من مكة من عسكر الشريف إلى عرب آل جميل فأقاموا بعرفات وأرسلوا لجمع من العرب يصلون إليهم^(١).

٨٩٤هـ ((في يوم السبت تاسع الشهر - ربيع الأول - اجتمع عرب العلويين عن الجمال (..) للصلح مع الشريف كأنهم كانوا باحوا مع عرب آل جميل فوق الاتفاق معهم على أن لا يعينوهم ولا يسيروا عليهم وحلفوا على ذلك عند الحجر الأسود))^(٢).

٨٩٤هـ ((في يوم السبت رابع الشهر - شعبان - نودي بأن يخرج جميع العربان إلى عرفة بحلتهم لغزو آل جميل، وسمعت بأن الشريف اتهم جماعة من العربان بممالة آل جميل منهم الندويون فنقم عليهم والله يلطف بالمسلمين، وفي توجههم لبلادهم أخذوا إبلاً^(٣))).

((وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر سمعنا بمكة أن علي بن سالم أخا زيد بن سالم شيخ آل جميل وصل إلى السيد بركات فأمر به فطوق في رقبته الحديد ويقال إنه أخو الشريف محمد من الرضاعة...))

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر - شعبان - دخل السيد بركات وعسكره إلى مكة المشرفة ومعه نحو عشرة من العربان ومنهم علي بن سالم وابنه وابن أخيه زيد بن سالم واثنان من الطلحات - من آل جميل - واثنان من الندويين بسبب الإبل التي أخذها أظن لخزاعة وأمر السيد بركات جميع العربان بالرحيل ونادى لآل جميل في العربان أنهم في وجه السيد بركات^(٤).

غزو الشريف بركات للروقة

٨٩٤هـ ذو القعدة: ((ليلة سابع الشهر سرى الشريف زين الدين بركات ابن صاحب مكة السيد الشريف محمد بن بركات إلى جهة الشرق لغزو عرب من بني لام الروقة فإنهم منافون ومعه جماعة من العسكر وراية.... ويقال إنهم لم يجدوا العرب الذين طلبوهم وإنما وجدوا عرباً من ناصرة أو عرب سبيع فغنموا منهم إبلاً كثيراً يقال إنها ألف^(٥))).

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق ص ٤٨.

(٥) المصدر السابق ص ٤٩.

٨٩٦هـ في هذه السنة: ((لم يحج في هذا العام ركب العراقيين ولا الأروام ولا المغاربة ولا بني جبر ولا عقيل ومع كثرة الحاج كانت الأسعار رخيصة))^(١).

٨٩٧هـ خرج عرب الأندلس بعد حربهم مع الأسبان مدة اثني عشر عاماً.

٨٩٧هـ في هذه السنة ((لما صعد الركب الأول إلى سطح العقبة خرج عليهم بنو لام ونهبوهم))^(٢).

٨٩٨هـ وفيها: ((لم يحج حج العراق ولا حج بني جبر ولا زيلع والسرو وغيرهم))^(٣).



(١) درر الفرائد المنظمة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إعداد الجاسر ط/ دار اليمامة ج ١ ص ٧٦٦.

أحداث القرن العاشر الهجري



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

غزوة السلطان أجود لزغب والعوازم وهتيم ثم الدواسر

٩٠٠ هـ فيها ((غزا أجود بن زامل من الإحساء بجنود كثيرة من الحاضرة والبادية وصبح بوادي زغب والعوازم وهتيم على ثاج وغنم منهم شيئاً كثيراً وقتل عدة رجال من الفريقين، ثم توجه إلى نجد وصبح الدواسر على الرويضة وقتل منهم عدة رجال))^(١).

بنو لام يقطعون طريق الحاج

٩٠٠ هـ ((وفي هذه السنة اتفق أن الحاج المصري خرج عليه العرب فأخذوا غالبه وكذلك الغزاوي خرجوا عليه ولكن لم يظفرهم الله به، وكذلك الحاج الشامي خرجوا عليه وأخذوه أجمع وأسروا بعض التجار، وكل ذلك فعل بني لام المفسدين))^(٢).

أخبار بني لام وشيخهم عجلان وأخبار بني حسين وعدوان

٩٠٠ هـ شعبان: ((في ليلة الثلاثاء حادي عشر الشهر وصل إلى مكة المشرفة صاحبها السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وعسكره بقصد التوجه إلى الشرق لأجل غزو عرب من بني لام بلادهم عجلة وقصدوا أن يربعوا ببلاد الشريف اسم شيخهم عجلان بينه وبين جماعة له (...) ^(٣) الفتنة فأجلوه أيضاً إلى هنا في نحو أربعمئة فارس أو أكثر. وأرسل ولديه إلى الشريف ليستأذناه في ذلك فبلغه أن يصلإ إليه، فأرسل ملحم بن مفتاح المغربي في جماعة إليهما ليقتلوهما قبل أن يصلإ إليه فوجدوهما قبل أن يدخلأ مكة فقتلاه في يوم الإثنين عاشر الشهر وخرج الشريف وجماعته من مكة في ليلته فتوافى هو ومن واعدته من بني حسين غير عدوان الذين دخلوا في وجوههم فصبحوهم صبيحة الأربعاء بالقرب من السيل

(١) تحفة المشتاق، صورة عن المخطوطة الأصلية بيد صاحبها ابن بسام ت ١٣٤٦ هـ تقريباً.

(٢) سبط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٢٩٣.

(٣) بياض في الأصل.

فوجدوهم قد أُنذروا في تلك الليلة أو في ذلك الوقت فانهزم الرجال على جبلهم وتركوا عيالهم وغالب مالهم فاشتغل العسكر بالغنيمة ففاتهم الرجال^(١).

((وغنم شيئاً كثيراً من الإبل والغنم والبغال والحمير والسمن وبعض الخيل ولم يقتلوا النساء ولا الصبيان ويقال إن الشريف كتب إلى قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بأنه غنم منهم شيئاً كثيراً لم يغنمه قط لا هو ولا آباؤه. ويقال إن السمن عندهم لو أهرق لسال^(٢)...))

قَتْلُ الشَّامَانِيِّينَ ابْنِ عَجَلِ بْنِ غَدَفَا اللَّامِيِّ وَغَيْرِهِ

٩٠١ هـ ((في يوم الإثنين ٢٦ رجب تحقق الخبر الذي أشيع من أيام وهو أن عجل بن غدفا اللامي (بعدا ورحف)^(٣) إلى بلاد صاحب مكة بالشرق فارتفع عرب شامان في الحرة، وأغزى جماعة من عرب عجل فظفر بهم الشامانيون فيما يقال وقتلوا ابناً له وغيره وأخذوا له ثمانية وعشرين فرساً، وهو جالس هناك في كثيرة، ويقال إن في نية الشريف التوجه إليه^(٤))).

٩٠١ هـ ٢٧ رجب: وصل إلى مكة الشريف بركات بن محمد ومعه العسكر، وفي ثاني يوم وصل أبوه السيد محمد وفرق العسكر معه لأجل غزو اللامي المذكور ((عجل بن غدفا^(٥))).

من أخبار المدينة المنورة وأمرائها

٩٠١ هـ ((أمير المدينة حسن بن الزبير بن المنصور قام في سنة ٩٠١ هـ ضد الشريف مكة محمد بن بركات وأعد بعض المجرمين المسلحين في السادس من ربيع الأول من نفس السنة، وفي وقت الظهر دخل الحرم الشريف وقد أعد أدوات الحفر مثل الفأس والمجرفة وكسر باب خزانة حجرة السعادة ونهب جميع تلك الأشياء الثمينة، كما أخذ مبلغ (١٣٠٠٠) المحفوظ في الخزانة لصرفه على لوازم مسجد السعادة وانسحب إلى قلعة التي تسمى حصن الأمير، ومعه تلك الأموال وأحضر الصياغ من السوق وأذاب جميع القناديل المصنوعة من الذهب والفضة.

وأدخل حسن بن الزبير كثيراً من أراذل الناس في الحرم الشريف لينهبوا الخزانة النبوية وحملهم ما اغتصبه من القناديل، كما حمل حصانين وبغلاً بما اغتصبه، ولما كان قد بقي تسعة أجولة من الفضة جاء بالحمالين من السوق وحملهم بها، هذا ما يروون^(٦))).

٩٠١ هـ في ٢٦ رجب: وصل فارس بن شامان بن زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جمار بن

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق ص ٨٣.

(٣) غير واضحة، وقد رسمتها رسماً

(٤) المصدر السابق ص ٨٩.

(٥) المصدر السابق ص ٨٩.

(٦) مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، أيوب صبري ج ٣ ص ٣٥٣.

شبيحة الحسيني إلى المدينة متولياً من قبل صاحب مكة^(١)، وهو أول من تولى المدينة الشريفة من آل زيان بعد الأمير حسن بن زبيري النعيري فأحسن السيرة، ثم صرف بنابت بن ضيغم النعيري سنة ٩٠٣هـ^(٢).

وفاة الشريف محمد بن بركات وولاية ابنه بركات

٩٠٣هـ توفي الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان في ١١ محرم... وكانت مدته (٤٣ سنة)... وتولى بعده ابنه الشريف بركات بن محمد ومولده سنة ٨٦١هـ بمكة وجاء التأييد له من سلطان مصر، وأشرك معه أخاه هزاعاً ثم خالفه أخوه هزاع ومعه أخوه أحمد الملقب بالجازاني. وتدخل مع أمراء الحاج فسعوا في ولاية مكة^(٣)، والشريف محمد بن بركات هو الذي صاهر الجبريين فقد تزوج بنت محمد بن أجود.

تأسيس الدولة الفارسية الصفوية

٩٠٥هـ - (١٥٠٠م تقريباً): في هذه السنة تأسست دولة الصفويين في إيران بزعامه الشاه إسماعيل ابن حيدر ((الذي كان محاطاً بهالة من القداسة استمدتها من أجداده أصحاب الطريقة الصفوية «الصفوية» في أردبيل وعلى رأسهم الشيخ صفي الدين، وكان أتباعه يتألفون من سبع وحدات قتالية، بعضها قبائل وبعضها تجمعات إقليمية، جميعهم من أصل تركي وبعضهم جاء من الأناضول))^(٤).

وقد قام إسماعيل الصفوي بعدة أعمال أهمها أنه وحد إيران وجعلها شيعية، وجعل التشيع مذهباً رسمياً للدولة، واتخذ من تبريز عاصمة له، وفي سنة ١٥٠٨م تمكن من ضم العراق^(٥).

غزوة مطير على زيد بموافقة الشريف بركات

٩٠٦هـ ((صَبَحَ بعض عرب مطير وقد كانوا نازلين بالجعرانة بإذن السيد الشريف زين الدين بركات ابن محمد بن حسن بن عجلان بعض زيد وهم بنو أحمد وهم نازلون من البير عمل زيد وقتلوا منهم اثنين واثنين بهم جراحة فزعجه واستاقوا لهم إبلاً نحو ثمانين. وجاء الخبر إلى مكة فتوجه الوالي على فرسه، وصبياناه على بعض جمال إلى الجعرانة فواجه مطيراً فقالوا: إننا غالطين في مهدنا وما غرنا إلا زيد))^(٦).

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد.

(٢) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٩٤.

(٣) تحفة المشتاق لابن بسام تحقيق إبراهيم الخالدي.

(٤) البدو ج ٤ ط ٢ تأليف أوبنهايم ومساعدته تحقيق ماجد شبر ص ١٨.

(٥) الممتاز في تاريخ العرب الحديث إعداد صبحي أبوصبيح ج ١ ص ٣.

(٦) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد ص ١١٦.

غزوة الشريف بركات لمطير ولبنى لام

٩٠٦هـ شوال: ((توجه السيد الزيني بركات إلى غزو مطير بجهة الشرق ومعه إخوته وعسكره... وفي يوم الأربعاء ٨ شوال دخل السيد بركات بن محمد صاحب الحجاز ومكة من غزوة لعرب مطير بجهة الشرق ظفر بهم وكسب منهم جملة من المال ووجد بعضهم مصالحين فردّ على المصالحين ما لهم))^(١). وورد في المصادر التاريخية أن الشريف بركات تمكن أخيراً من السيطرة على قبيلة بني لام الذين يسكنون بنواحي المدينة بعد إلحاق الهزائم بهم في هذه السنة.

تنافس الشريف بركات مع الشريف هزاع على ولاية مكة

٩٠٦هـ ((تسلطن الملك قانصوه الغوري بتخت مصر، فجهز للشريف هزاع بن محمد خلعة سنية بإمرة مكة المشرفة صحبة أمير الحاج فلاقاه عند ينبع ولبس التشاريف السلطانية وسبق إلى مكة لتمهيد البلاد وتطمين العباد، فلاقاه الشريف بركات خارج مكة فاقتلا قتالاً شديداً فانكسر هزاع، ولحق بأمرأه الحاج فأعانوه، وأقبلوا بجمعهم من العساكر والحجاج على الشريف بركات، فولى عن محاربتهم إلى جدة وما يليها ونهب بعض عساكره كل ما مروا به))^(٢).

وفي ذي القعدة: ((استعدّ السيد بركات وجمع الجموع ونزل بأرض حسان وجاء خيل كثير من الشرق بنو حسين وعدوان وبنو سعد فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشري الشهر نزل السيد بركات هو وجميع عسكره عند رأس عين الجموم وهم مستعدون باللبس الكامل))^(٣).

وفاة الشريف هزاع وولاية الشريف جازان

٩٠٧هـ الخامس من رجب توفي الشريف هزاع رحمه الله، فتولى الإمارة بعده أخوه الشريف جازان.

عمارة سور جدة

٩٠٨هـ سبب عمارة سور جدة كان لما حصل بمكة المشرفة وجدة من نهب وقتل وسفك دماء من بعض عربانها، وهم بنو إبراهيم من أهل ينبع، وزيد ومن تبعهم، ((ونهبوا مكة وجدة ومعهم طائفة من عصابة الشراكسة يسمون العادلية، وصل فارس منهم من العادلية إلى جدة، ولم يكن عليها حيتث سور، خرج الخواجة محمد بن يوسف القاري من بيته وحمله على فرسه ووصل به إلى بلاد زيد طائفة مالك بن رومي، ولم يفكروا إلا بجعة من المال.

(١) المصدر السابق ص ١١٩.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣١٣.

(٣) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد ص ١٢٠.

وبلغ ذلك السلطان الغوري وأنه لم يكن بها حيثئذ سور، فبعث الأمير قيت الرجبي في طائفة من العسكر نحو ألف فارس غير الرماة والمشاة وذلك في عام ثمان وتسعمائة لقتال العربان المذكورين، وهم حيثئذ يبنع متحصنون بها وأميرهم المرحوم السيد هزاع بن محمد بن بركات، ولما بلغ المذكورين وصول الأمير قيت الرجبي بعسكره خرجوا من يبنع هاربين^(١).

مقتل السيد جازان صاحب مكة وولاية الشريف حميضة

٩٠٩ هـ ((في صبح يوم الجمعة ناسع رجب قتل صاحب مكة السيد جازان بن محمد بن بركات عند باب الكعبة وهو يطوف، قتله الترك المقيمون بمكة لما لم يروا ما يعجبهم، وخافوا على أنفسهم منه فتواطؤوا على قتله وحمل إلى المعلاة ودفن على أخيه مهيزع بإشارة أخيه حميضة، وبعد فراغ دفنه ألبس الأمير الباشا السيد حميضة بن محمد الخلعة وأقامه على الحجاز حتى يأتي أمر السلطان من مصر، وكانت ولايته للحجاز يوم مات أخوه هزاع خامس رجب سنة ٩٠٧ هـ.

.. ثم جاء الشريف بركات ودخل مكة في شعبان وخرج منها جازان، ثم جمع جازان عسكراً وقصد مكة، ولما سمع به بركات خرج إلى جهة اليمن ودخل جازان مكة وحصل بها الغلاء والخوف وصور جماعة.. ونهبت العربان من جبل أبي قبيس ثم قصد بركات مكة وصادمه جازان والتقوا بالمنحنى فهزم بركات ونهبوا أمواله وجماله، وقصد بركات الأشراف آل أبي نمي الذين باليمن وساعدوه وهاجم بهم حلة جازان فنهبها ودخل مكة وحفر خندقاً على مكة ولما جاء جازان لم يجد وصولاً إلى مكة فانهزم.

ثم في رابع شوال هاجم مكة على غفلة، وانهزم بركات، واستولى جازان على مكة وقتلوا خلقاً كثيراً ونهبوا البيوت وسبوا الأرقاء وأمهات الأولاد وكثيراً من أولاد الناس، وتوجهوا إلى يبنع، واستفك جماعة أولادهم بمال كثير. وفي ذي القعدة وصلت التجريدة من مصر وجعلوا لكبيرهم مالاً في تولية جازان وقبض بركات فلما وصلوا خلعوا على بركات، ولما وصلوا المدرسة قبضوا على السيد بركات وجماعة، وطلبوا إخوانه فلم يجدوهم، ونهبوا دار الشريف بركات ودور أصحابه وأخذوا إبله وأرسلوا للسيد جازان فألبسوه الخلع والتزم للسلطان ستين ألف دينار، واستمر بمكة إلى أن قتل في التاريخ المذكور رحمه الله وإيانا^(٢).

فرار الشريف بركات من مصر

وفيها فرّ بركات من منزله الذي خصه به الغوري في مصر على أثر وصوله مأسوراً في ركب الحج المصري، وفي يبنع علم بأخبار قتل أخيه أحمد الملقب بجازان، الذي قتل في المطاف في صباح يوم الجمعة ١٠ رجب ٩٠٩ هـ وعلم أيضاً باستيلاء أخيه الثاني حميضة على مكة، فقرر الارتحال إلى بعض الجهات شرقي مكة ليعمل على انتهاز الفرصة لاستخلاص مكة من أخيه حميضة. فسار الشريف بركات

(١) السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة لعبدالقادر بن أحمد بن فرج الشافعي خطيب جدة. تحقيق د. محمد عيسى صالحية ط ١٩٨٣م ص ٥٠.

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي باعلوي ص ٦٩.

من ينبع إلى المدينة ثم منها إلى الشرق فنزل على السيد حميدان بن شامان الحسيني ببعض القبائل وكان بعض الأشراف من بني حسين خطب ابنته الشريفة عيشة بنت حميدان فقبله، وفي الحي زير يضرب، وقد تهيؤوا للزواج ولم يبق إلا العقد فسأل الشريف بركات من العريس أن يسمح له بهذه البنت فيتزوجها، وكان عمر الشريف بركات وقتها ٤٨ سنة هجرية، فسمح له بها فعقدوا بها على الشريف بركات، فدخل بها الشريف بركات فحملت منه بالشريف أبي نمي بن بركات^(١).. ولم يدم انتظاره إلا بضعة أشهر وقد استطاع أثناء ذلك أن يستنفر بعض القبائل من بني عقبة وبني لام وغيرهم حتى اجتمع لديه عدد وافر استطاع أن يهاجم به مكة يوم التروية^(٢).

٩٠٩ هـ في عقيب ذي القعدة: قبض أقباي الكاشف على شخص من العربان المفسدين يقال له ابن بهيج.

هجوم الشريف بركات على مكة

قال العاصمي: ((وصل إلى مكة سابع ذي الحجة - ٩٠٩ - معه جيش عظيم من بني لام وأهل الشرق وسائر المفسدين، فمنع الناس من الوقوف يوم الخميس حتى صالحه أمراء الحاج على أربعة آلاف أشرفي يسلمونها ويخلي بينهم وبين الوقوف يوم الجمعة ففعل... وهرب حميضة ودخل بركات مكة...^(٣)). وكان هجوم الشريف بركات بن محمد بن بركات على مكة في يوم التروية ومعه من العرب عتية وغيرهم وشرعت العرب بالنهب^(٤).

هجوم بني خالد على الشريف إبراهيم والقبض على شيخ لهم

٩١٠ هـ جمادى الأولى: ((في أوله وصل الخبر إلى مكة بأن جماعة من عرب بني خالد بيتوا الشريف إبراهيم بن بركات بن حسن عم السيد بركات وقيتباي وأخذوا جميع ما معه من خيل ونقد ويقال إنه ألفا دينار وغير ذلك، ولم ينبج إلا بنفسه وبلغ الشريف قيتباي ذلك وكان عنده موسى بن أبي مكران الذي كان (...)^(٥) عند جازان فقبض عليه و...^(٦)... رقبته الزنجير) وأرسل به إلى القنفذة حتى يعود ما أخذه جماعته^(٦).

غزوة الشريف بركات لعتيبة وبلاغه بفيلة بني خالد

((وفي يوم الجمعة ثاني الشهر - جمادى الأولى - وصل الخبر إلى مكة بأن الشريف بركات غزا

- (١) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٤٨.
- (٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨/١٩٩٩ م ص ٣١٤ وراجع خلاصة الكلام للدحلان ص ٤٩.
- (٣) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣٠٢.
- (٤) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٤٩، وراجع تحفة المشتاق لابن بسام.
- (٥) ما بين أقواس كلمات لم أتمكن من قراءتها.
- (٦) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد ص ١٤٦.

عتية وقتل منهم أزيد من أربعين نفساً وأسر ثلاثة من أولاد مشايخهم فأرادوا فداهم فامتنع وشنقهم، وكان قبض على جماعة منهم قبل ذلك وهم مربوطون عنده، ولما بلغه فعل بني خالد توجه إلى مكة، فوصل إلى بير البرود بالقرب من الجعرانة في ليلة الأحد رابع الشهر وتوجهت إليه زوجته أم الكامل ولم تواجهه قبل ذلك بعد مجيئها من مصر، وتوجه الناس للسلام عليه...^(١).

جمع عدد من الأشراف لجمع من بني إبراهيم وزيد للمجوم على مكة

٩١٠هـ رجب: ((بلغ أهل مكة وأهل جدة بأن السيد الشريف حميضة وعياف - ابن محمد بن علي - وملحم ومالك بن رومي وظاهر بن قماز تحركوا وطلبوا السفر إلى مكة المشرفة وجدة وجمعوا جمعاً من بني إبراهيم ومن زبيد وغير ذلك ومن جملتهم ملعب بن بزال وزايد بن حريص وإبراهيم بن بسام، وجمع كثير نحو المائة فارس وألف راجل وأكثر وتجهزوا للسفر فمنعهم السيد الشريف يحيى بن سبع أمير ينبع و(السعيد) من ذلك، وأشار عليهم بعدم التوجه فلم يرجعوا لقوله وزادوا في طغيانهم، فلما علم منهم المخالفة كتب للجناب العالي الخواجكي الشمس القادري عظم الله شأنه كتاباً يعرفه وصولهم إلى مكة وجدة ويحذرهم منهم، فإن قصدهم النهب والفساد فعند ذلك اجتهد الخواجا شمس الدين القادري المشار إليه وجماعة التجار المقيمين بجدة وحملوا ما خافوا عليه في الجلاب وعز عليهم والسنابيك، وساروا عن جدة، فبلغ الشريف حميضة وجماعته المذكورين فعل التجار ذلك وتحرزهم فقصدوا جهة مكة فلما وصلوا إلى خليص جهزوا قاصداً يسمى الشريف أبا سعد المحلش إلى مكة المشرفة للمقر الأشراف السيفي بكباي باش المماليك السلطانية بمكة المشرفة أعز الله أنصاره ليعرفه أن الشريف حميضة المذكور بيده مرسوم شريف اتفقوا عليه وتعهدوا على ما فيه، فوصل القاصد المذكور وأخبره بذلك، فلما سمع ذلك جهز المقر المشار إليه جوابه على لسان الفقير إلى الله تعالى الشيخ الصالح الورع الزاهد العارف بالله تعالى سيدي عبدالكبير نفعنا الله ببركته والمسلمين، وصحبه مملوكان وعرفه أن يذكر لهم أنهم لا يمكنون من الدخول لمكة المشرفة إلا بمرسوم الشريف، توجه السيد عبدالكبير المذكور ومن معه إلى الشريف حميضة المذكور وأخبره بذلك فذكر أن إقامتهم بمكة المشرفة ثلاثة أيام ليتجهز للسفر لجهة اليمن لمحاربة أخيه الشريف بركات...^(٢).

خبر غريب عن عرب ابن جبر

٩١٠هـ على الرغم من أن الجزيري ذكر في درر الفرائد المنظمة أنه ((في هذه السنة حج أجود بن زامل صاحب الإحساء في جمع كبير.. يقال إنهم ٣٠ ألفاً فأكثر))، إلا أن الغريب ما قاله ابن فهد في بلوغ القرى حيث يقول: ((حج الأمير محمد بن علي بن جبير المتقدم عن أبيه في مملكته والمشار إليه ولم يفعل من المعروف شيئاً مما كان يقطعه أبوه وتأخر بمكة إلى سفر المصري. وكانت عادته النفر من منى

(١) المصدر السابق ص ١٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٥٠.

وجاء لمكة من المدينة الشريفة مع الشامي، وأراد زيد نهب الشامي فحماء مجيئه معهم، بل قال إنهم استأذنوا ابن جبر أن لا يدخل بينهم فامتنع وقال: هذا ما يكون، ثم ما سلم الشامي منه فإنه سافر أخذ له مقطراً كبيراً في الدسة عند خليص ليلاً والآخذون جماعة (...) (*) ولم يتبعهم أحد ولو تبعهم أحد لرد ما أخذ وعاد الراكبون من الرجال والنساء ويقال في ذلك مال كبير^(١).

أولاً: هذا النص توجد به بعض كلمات لم تتمكن من قراءتها بسبب عدم وضوحها فوضعناها بفراغ.
ثانياً: نلاحظ في هذا النص أن ابن جبر يذكر بصيغة التصغير (جبر) ولاحظت هذا الشيء في أكثر من نص لمؤلفين آخرين.

ثالثاً: الغريب في هذا النص أنه المفروض في هذه السنة أن يكون سلطان آل جبر أجود بن زامل الذي خلفه ابنه محمد إلى سنة ٩١٢هـ ولكن من أين جاء اسم الأمير محمد ابن السلطان علي؟

يفهم من مذكرات القائد البرتغالي أفونسو دلبوكيرك أن مسقط كانت في وقت دخولهم لمياه الخليج جزءاً من مملكة هرمز، وأما المناطق الداخلية من عُمان فقد كانت تتبع شيخ آل جبر، الذي كان له أخوان آخران يقسم معهما جميع البلاد الجبرية الممتدة حتى عدن، والممتدة شمالاً حتى ساحل البحر العربي الممتد حتى قرب مكة، ويحكم البلاد الجبرية جميعها الأخ الأكبر الذي يقر له أخواه بالملك والتبعية. ولابن جبر السيادة على بلاد فرتك وظفار وقلهات ومسقط وتمتد حدوده لتصل إلى بلاد شيخ عدن، أما الأخوان الآخران فاستقرّا على ساحل بحر فارس أخذ أحدهما من ملك هرمز جزيرة البحرين حيث مغاصات اللؤلؤ، كما أخذ منه القطيف^(٢)، وكان لأجود من الأولاد زامل ومقرن وسيف وسند.

رابعاً: يشير هذا النص إلى وجود شخص اسمه زيد كان ممن يقطع طريق الحاج عند خليص ولكن لم يبين هويته.

الحجة الأخيرة لأجود بن زامل

٩١١هـ أبدى الحميدان شكه في صحة الخبر الذي نقله العاصمي من أن: ((في هذه السنة: حج أجود بن زامل في جمع عظيم يقال إنهم يزيدون على ثلاثين ألفاً))^(٣). حيث يقول الحميدان: لا يعقل أن يقود السلطان أجود حملة الحج وعمره يبلغ التسعين وهي سن كبيرة إضافة إلى أن حج تلك السنة كان في فصل الصيف. ثم يقول: إن العاصمي بعيد جداً عن تاريخ آل جبر ولم يورد عنهم إلا التزر القليل، ويدل على عدم درايته بتاريخهم أنه كان يسمي والد أجود بن زامل بزاید. لذلك فالحميدان كان يستبعد أن يكون أجود حياً إلى هذه السنة أو أن يكون على رأس السلطة^(٤). وبمراجعة سنة ٩١٠هـ يتضح أن شك الدكتور الحميدان كان في محله، حيث يذكر الخبر أن أمير آل جبر هو الأمير علي.

(١) المصدر السابق ص ١٥٣.

(٢) السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك المجلد الأول ص ١٨٤.

(٣) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣١٧.

(٤) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبد اللطيف الحميدان ص ٦٥.

وصول جماعة ابن (جبر) وفيهم اثنان من اولاد مقرن بن أجود

٩١١ هـ ذو الحجة: ((في يوم الأربعاء خامس الشهر وصل جماعة ابن جبير وفيهم ولد ولد أجود مقرن ووصولهم من المدينة الشريفة، جاؤوا من غير الطريق الجادة خوفاً من اجتماع بني إبراهيم وزبيد بالطريق، فجاؤوا إلى الصفراء ثم أخذوا غير طريق بدر وما طلّعوا إلّا بين عسفان ووادي مر...))^(١).

مهاجمة الشريف إبراهيم بن بركات لبني خالد

٩١١ هـ محرم: ((في هذا الشهر أرسل الشريف محمد بن بركات بن علي وعمه إبراهيم بن بركات في سرية إلى بني خالد عرب بناحية اليمن فصباحوهم فقتلوا شيخهم وغيره ومسكوا (أخاشيهم)^(٢) فاضل فشنق بأمر الشريف ونهبوا مالهم وتركوا بقية الحلة وهؤلاء غرماء إبراهيم بن بركات الذين نهبوا وسبوا حريمه كما تقدم ثم أرسل لأخيهم المحبوس بالجزيرة المسماة بالقنفذة فأمر بشنقه فشنق ثم غرق وشنق أخاهم الربيط ويقال إن المقتول نحو العشرة والمأخوذ من خيلهم مثلاً ومن الإبل كثيراً))^(٣).

أخذ عتيبة لإبل عريب الدار قريش ومن خزاعة ولحيان

وفي أواخر هذا الشهر - محرم - أيضاً أخذ عرب عتيبة (المناقون^(٤)) إبلاً لجماعة من عريب الدار لقريش من جهة عرفة ومن خزاعة ولحيان برأس العين قريب مكة ففزع بعض العربان وراهم... فقاتوهم))^(٤).

إغارة شيخ عتيبة علي بن سالم على إبل قريش قرب عرفة

٩١١ هـ شوال: ((في صبح يوم الخميس ثامن عشرين الشهر أغار خمسة عشر خيلاً من عرب عتيبة وفيهم شيخهم علي بن سالم على إبل قريش (بالأراك^(٥)) قرب عرفة وغيرهم فاستاقوا إبلاً هرب منها الإبل (الأوارك^(٥)) وذهبوا بالباقيين فجاء المنذر بمكة فاهتم بالباش لذلك في خيل كثير من الأتراك والموالي وأحمد بن حسن وتوجهوا خلفهم الزيمة بعد أن انقطعت الخيل والرجال ومات من الخيل ستة بالطريق فاتتهم القوم لكنهم وجدوا هذيلاً أهل سولة والزيمة انتزعوا من القوم الإبل وهي نحو أربعين وثلاثة من خيلهم أعيوا ودلوا على رجلين في الجبل من القوم فطلعوا لهم وأخذوهم فوجدوا أحدهما من أولاد مشايخهم الكبار وتوجهوا من الزيمة إلى سولة بعد أن أضافهم شيخ الزيمة وأقاموا بسولة يوم الجمعة

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد ص ١٦٤.

(٢) الكلمة التي بين قوسين أظنها (أخا شيخهم)، والمعروف من الأخبار السابقة أن الشريف قتيبي قبض على أحد مشايخ بني خالد وربطه وهو موسى بن أبي مكران. وبهذا يتضح أنهم ثلاثة إخوة: فاضل وهو الوارد ذكره في هذا الخبر، وموسى المقبوض عليه في مكة عند الشريف قتيبي، والثالث المحبوس بالقنفذة.

(٣) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى لعبدالعزیز بن عمر بن محمد بن فهد ص ١٥٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٥٤.

وأضافهم شيخها وعادوا لمكة آخر ليلة السبت ومعهم الأسيران وأما الإبل فإنها بميلهم توجهت إلى أهلها^(١).

في جمادى الثانية من سنة ٩١٢ هـ خرج كافل المملكة الحلبية هو وعسكره والمقاتلة لبني لام وغيرهم من العرب المفارجة وغيرهم من المفسدين وقتلوا منهم مقتلة كبيرة وسبوا نساءهم وأولادهم^(٢). وذكر ابن فهد أنه في رمضان ٩١٢ هـ ((تجريدة قصدت بني إبراهيم إلى محلهم وهم لا يشعرون بمحلهم واقتلوا فانكسر بنو إبراهيم (...)) مقتلة كبيرة منهم وهرب الباقيون ولولا الليل حجز بينهم لما نجا منهم أحد...، واشتركوا على جميع ما لهم من نساء وأولاد ورقيق ومال وأثاث ومأكول، ويقال إن المقتول منهم أكثر من ثلاثمائة ونرجو من الله أن يسمعنا عن باقيهم ما يسر وهذا المرجو من فضل الله، وبيع المنهوب برخص حتى رأيت في بعض الأوراق أن البيت بيع بثلاثة عشر محلق وجهاز روس جماعة من العربان سلخت وحشيت تبنياً إلى السلطان بحراً...، ولم يقتل من التجريدة غير مملوكين.. وقواس^(٣) أو قواسين...)) وكان مع بني إبراهيم يحيى بن سبع وولده وملحم وابن أخيه عبدالله بن محمد بن مسعود، فهربوا إلا عبدالله فقتل.

انتصار العساكر على يحيى بن سبع

٩١٢ هـ ((في مستهل ذي القعدة حضر عدة هجانة من مكة وأخبروا بأن العسكر المتوجه إلى يحيى ابن سبع قد انتصر عليه نصرة ثانية، وكان من ملخص أخبار هذه النصرة أن العسكر لما تواقع مع يحيى بن سبع وانكسر أولاً فتوجه إلى طائفة من العربان يقال لهم العنزة وهم من بني لام فالتجأ إليهم واستمر مقيماً في مكان بالقرب من الينبع^(٤))).

إشارة إلى وجود حلف كبير باسم بني لام

في الخبر السابق ذكر ابن إياس أن عنزة من بني لام وقد ذكر مؤرخون آخرون أن البقوم من بني لام وأن الروقة من بني لام وسبيع من بني لام ومطير من بني لام بالإضافة إلى الظفير وشمر وبني خالد وغيرهم. وهذا ما يجعلنا نضع احتمالية وجود حلف كبير قائم بين هذه القبائل تحت قيادة بني لام، وإن كان بعضهم من بني لام أصلاً، والله أعلم.

ويقابل هذا الحلف حلف شبابة، وحلف خندف في الحجاز.

(١) المصدر السابق ص ١٦٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٨.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٩.

(٤) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط ١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى الجزء الرابع ص ١٠٦.

طَيْئُ بنِ أَدَدِ بنِ زَيْدٍ

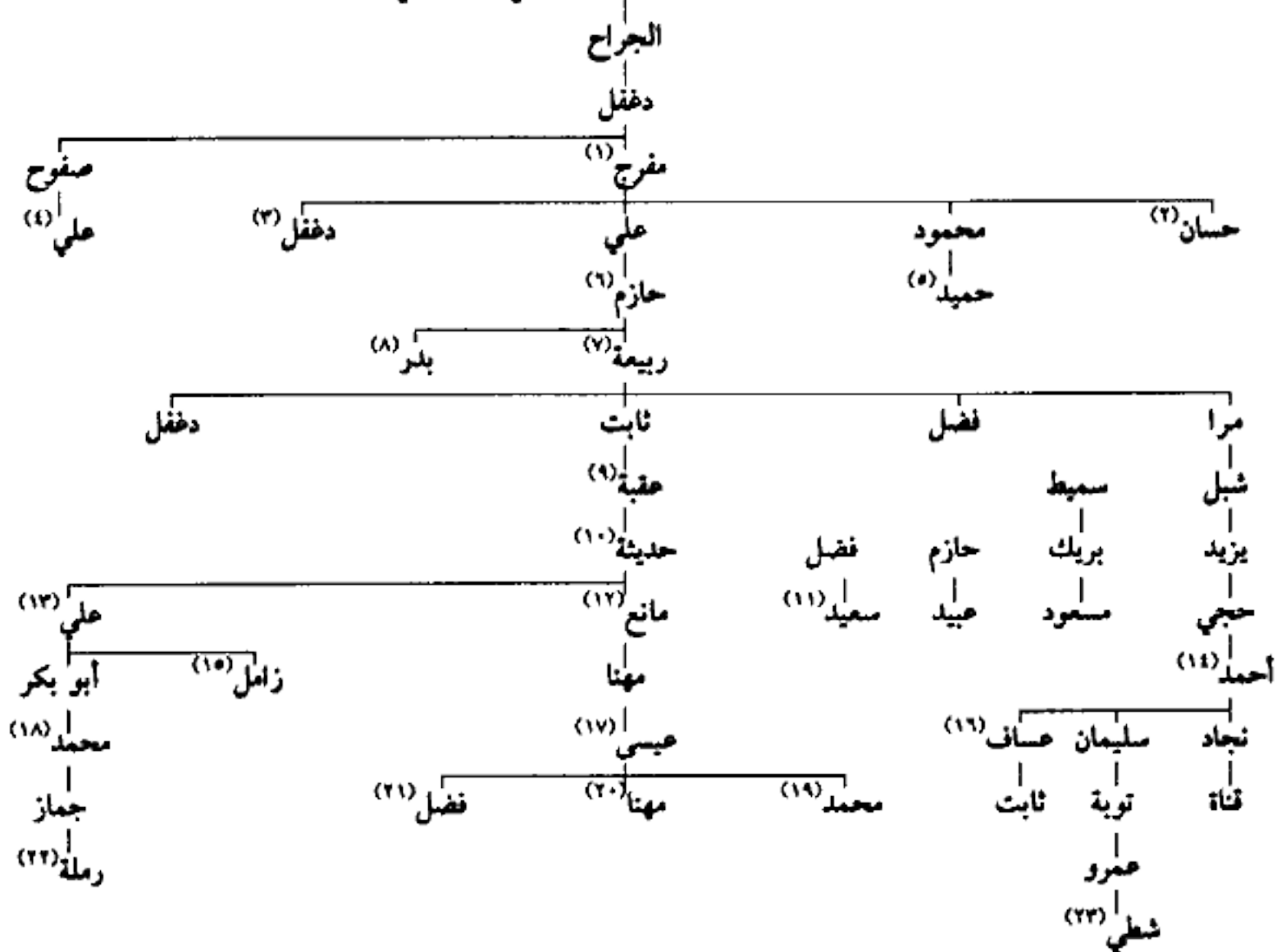


(١) غزية بن أبي بن غنم بن حارثة بن ثوب بن معن بن عنود بن حارثة بن لام.

(٢) كانوا مع جرم بالشام.

(٣) منهم طائفة بالطائف.

(شبيب) أو سيف الطائي الثعلبي



- (٤) بالشام والعراق والحجاز وفيما بين العراق والحجاز. قال في العبر: وفيهم الإمارة في العراق إلى الآن، فعن بطونهم: البطين وأفخاذهم آل دعيج وآل روق، ومن بطونهم: الأجود وأفخاذهم آل منيع وآل سنيد وآل منال....
- (٥) زبيد الأحلاف: بسنجار، في صبح الأعشى: ومن بطون سعد العشيرة بن مذحج: زبيد: وهم بنو منه بن صعب بن سعد العشيرة. وتعرف زبيد هؤلاء بزبيد الأكبر، زبيد الحجاز.
- (٦) قال الحمداني: ويقال: إن بني الحجاج من بني خماس.
- (٧) ذكر الحمداني بني لام وذكر أن ديارهم أجأ وسلمى، وقال: وظفير من لام ومنازلهم الظعن قبالة المدينة، وهناك لام بن أفلت بن ثعل.
- (٨) ٣٦٠ عيّنه القرامطة أميراً على الرملة.
- (١) ٣٦٩ كان أمير بني طليح وسائر العرب بفلسطين، ت ٤٠٣هـ.
- (٢) ٣٩٥ استماله الفاطميون ت ٤٣٣هـ.
- (٣) ٣٦٠ عيّنه القرامطة على الرملة بفلسطين.
- (٤) ٣٩٦ استدعاه خليفة مصر وأكرمه وكذلك فعل القائد فضل بن صالح.
- (٥) ٤٥٩ أفرج عنه الفاطميون.
- (٦) ٤٥٩ أفرج عنه الفاطميون.
- (٧) ٤٦٨ ظهر على مسرح الأحداث.
- (٨) ٤٦٨ ساند الجيش الفاطمي.
- (٩) في مصادر أخرى يرد اسم هكذا: عقبة بن حازم بن فضل بن ربيعة.

استتجاد الشريف بركات بمحمد بن أجود

ذو الحجة ٩١٢هـ / أبريل ١٥٠٧م: ((في يوم الثلاثاء سابع الشهر أو في ثانيه (يوم الأربعاء) وصل الشيخ محمد بن أجود بن زامل وولده وابن أخيه مقرن بن زامل وابن عم أبيهم صالح^(١) وغيرهم من أهلهم وجماعتهم وهم فيما يقال نحو الثلاثين ألفاً أو خمسين أو ستين أو مائة والله أعلم من جهة المدينة))^(٢). وذكر ابن فرج أن وصول محمد بن أجود بن جبر الذي أسماه سلطان البحرين والبرين والحسا والقطيف إلى مكة كان بعسكرٍ عددهم خمسين ألفاً، وأنهم جاؤوا بمكاتبة من السيد بركات بن محمد لقتال قبائل غالبهم حيثنَّذُ زُيِّد الذين في ينبع ووصفهم بأنهم (من أهل الفساد والزيف والعناد) وعندما وصلوا وجدوا العساكر المصرية جاءت مدداً من الغوري ثم قال: ((فدمروهم بعون الله تعالى الكبير المتعال وكفى الله المؤمنين القتال، وطافوا بالبيت وتحللوا من الإحرام، ورجعوا إلى بلادهم من غير ضرر لأحد من الأنام بعد أن ألبسوا باش العسكر خلعة منية، وحصل لهم ثواب ما جاؤوا لأجله ببركة وصدق النية))^(٣).

دخول البرتغاليين إلى الخليج العربي وتصدى آل جبر لهم

٩١٣هـ - ١٥٠٧م في هذه السنة دخل البرتغاليون الخليج العربي ونهبوا عدداً من مدن الساحل

(١٠) في زمن الملك العادل أعطي إمرة العرب.

(١١) ت ٦٣٠هـ.

(١٢) ٥٩٨ هاجم بني عقيل هو وسعيد بن فضل ومسعود بن بريك.

(١٣) ٦٣٨-٦٦٣هـ.

(١٤) ت ٦٨٢هـ وكانت سراياه تصل نجداً والحجاز.

(١٥) عزل ليجعل بدله عيسى بن مهنا.

(١٦) ٦٩٤ قتل كبير آل برمك وآل مرا وبني حارثة.

(١٧) ت ٦٨٣هـ.

(١٨) ٦٩٢ أعطي إمرة العرب.

(١٩) ت ٧٢٤ تجاوز السبعين. كان أميراً على خفاجة.

(٢٠) ت ٧٣٥هـ، في سنة ٧١١ أعان نائب حلب وفي سنة ٧١٢هـ أقطع السلطان خدابنده الحلة لمهنا أمير طين، وفي سنة

٧١٣ طلب السلطان حضور مهنا إلى مصر فامتنع فاستدعى فضل بن عيسى وأعاد إليه الإمرة.

(٢١) ٧١٦ استقر أميراً موضع أخيه مهنا، وفي سنة ٧١٦. تحالفت ضده قبائل عقيل وطردته من البصرة.

(٢٢) ٧٦١هـ عين في هذه السنة.

(٢٣) ٧٤٨ ابن عيبة أمير آل عقبة عرب البلقاء إلى الحجاز.

(١) صالح بن سيف بن زامل، هو الذي تولى الحكم بعد وفاة السلطان محمد بن أجود.

(٢) بلوغ القرى في ذيل إتخاف الوري لعبدالعزیز بن فهد ص ١٧١.

(٣) السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة لعبدالقادر بن أحمد بن فرج الشافعي خطيب جدة ١٠١٠هـ تحقيق د. محمد عيسى

صالحية ط ١٩٨٣/١ ص ٥٦.

العماني كقلهات والقريات ومسقط وخورفكان، كما استولوا على هرمز لفترة قصيرة. ويذكر الأميرال البوكرك بأنه عندما وصل أمام صحار، كانت وصلت إلى المدينة نجدات تتألف من (٧٠٠٠ رجل) يقودهم ابن جبر. وكان الجبريين قد أرسلوا بقواتهم عام ١٥٠٧م أيضاً لنجدة ميناء مسقط الذي يحاصره الأسطول البرتغالي^(١).

حديث المصادر البرتغالية عن سعة نفوذ آل جبر

عند دخول البرتغاليين لمنطقة الخليج العربي تحدثوا عن سعة نفوذ الجبريين في عمان فقد ذكر البوكرك أن عمان الداخل كانت خاضعة لملك الجبور الذي وصفه بأنه يحكم أيضاً جميع جزيرة العرب^(٢). ويفهم من تقارير البرتغاليين التي كتبت عند أول دخولهم للخليج، أن الشيخ أجود بن زامل قد فارق الحياة وأن البلاد التي تضم كلاً من ظفار وعمان وبلاد البحرين ونجد كانت تحكم من قبل ثلاثة إخوة أكبرهم كان يقيم في عمان أما أخواه الآخرون اللذان يعترفان بزعامته الكبرى على الجبريين فيقيمان على سواحل الخليج العربي، وأن أحدهم كان يحكم جزيرة البحرين والقطيف^(٣).

إعداد حملة هرمزية تستهدف الجبريين تأخرت أربع سنين

٩١٣هـ - ١٥٠٧م في جمادى الأولى (سبتمبر تقريباً): ((أصدر خواجه عطار بياناً وزع في كافة أنحاء مملكة هرموز أعلن فيه بأنه لما كان في النية شن حرب ضد الجبور فعلى كافة السكان إلقاء القبض على من يجدونه من البرتغاليين في منطقة الخليج وتسليمهم أحياء إلى السلطات من أجل زجهم في هذه الحرب وأن أي شخص يتماهل في ذلك سوف يكون جزاءه الموت))^(٤)، ويقول د. الحميدان: ((مهما يكن من أمر فإن خواجه عطار لم يقم بحملة ضد الجبور إلا بعد مرور أربع سنوات على بيانه هذا)).

مقتل مالك بن رومي الزبيدي وأولاده الثلاثة وبعض قومه

٩١٣هـ جمادى الثانية: ((في ظهر يوم الثلاثاء سابع عشري الشهر جاء قاصد من الشريف بركات بأوراق منه ومن ولده السيد علي وغيرهما إلى مكة يخبر فيها بقتل مالك بن رومي الزبيدي وأولاده الثلاثة مقرص وقادم وداغر ومشهون بن رومي وولده جازان و(دين)^(*) بن مشهون رومي وعلي بن خريص وولده (قفل)^(*) ابن عم مالك بن رومي ومحمد بن مقبل وشوفان و(....)^(*) ثلاثتهم من ذوي روايا وشادي من ذوي (جماع)^(*) وكان القتل يوم السبت رابع عشري الشهر بخيل قريب الروحا والمدينة فإن الشريف

(١) م. كلية الآداب، البصرة، ١٦٤، إمارة الجبور ل. الحميدان ص ٧١.

(٢) يرى الدكتور الحميدان أن مسألة حكم آل جبر لجميع الجزيرة العربية هي مسألة مبالغ فيها.

(٣) م. كلية الآداب، البصرة، ١٦٤، التاريخ السياسي لإمارة الجبور ل. د. عبداللطيف الحميدان ص ٦٥، ٥٨.

(٤) المصدر السابق ص ٥٢ - 126-27 AUBIN, ibid.

وجماعته تبعوهم وظفروا بحلتهم ففنوها ثم سافروا في أثرهم إلى أبيار علي عند المدينة ثم انقلبوا راجعين فتبعوهم إلى أن ظفروا بهم وقتلوهم ولم يسلم منهم إلا ولد لمقرص طفل^(١).

استيلاء الشاه إسماعيل على البصرة ورجوعها لحكم آل مغامس

في الوقت الذي دخلت الأساطيل البرتغالية إلى منطقة الخليج العربي، وفي الوقت الذي فكرت هرمز بإعداد حملة تطال منطقة الجبرين، امتدت يد الدولة الصفوية لتستولي على البصرة التي كانت آنذاك تتبع دولة الآق قوينلي التركمان وتدار من قبل أسرة آل المشعشع.

ففي سنة ١٥٠٨م (٩١٤هـ تقريباً) سقطت البصرة في يد الشاه إسماعيل الصفوي على أثر مقتل زعيم المشعشعين علي وأيوب ابني السيد محسن بن محمد سنة ٩١٤هـ - ١٥٠٨م على يد الصفويين. ولكن هؤلاء الأخيرين لم يحكموها حكماً مطلقاً. حيث ينقل فاضل بيات عن الباحث التركي صالح أوزبران أن المنطقة وقعت تحت سيطرة بعض الأمراء والحكام والقبائل العربية، ويذكر الوهبي أنه في هذه السنة المذكورة تمكنت قبيلة المنتفق العامرية بزعامة محمد بن مغامس بن صقر الفضلي من السيطرة على منطقة البصرة والاستفراد بحكمها مستعدين زعامتهم السابقة عليها من المشعشعين^(٢).

من الأسباب التي جعلت إسماعيل الصفوي يهم بالاستيلاء على البصرة سنة ١٥٠٨م: اضطراب الأحوال السياسية فيها، ووضعها الاقتصادي والتجاري الممتاز، وأهمية العراق كمركز للتشيع حيث يضم تراث الشيعة ومزاراتهم، ولنشر المذهب الشيعي في العراق الذي باحتلاله أصبحت الدولة الصفوية الشيعية ملاصقة للدولة العثمانية السنية مما ساعد على وقوع الصدام بين الدولتين.

حروب المماليك والملك إياس ضد البرتغاليين

في ١٥ أغسطس ١٥٠٨م الموافق (١٧ ربيع الثاني ٩١٤هـ تقريباً) أبحر البكويرك من سقطرة عائداً إلى هرمز، وأثناء عودته هاجم قلعات، وأخضعها انتقاماً من أهلها للمساعدات التي قدموها لحاكم هرمز، ولتقضهم للاتفاقية التي وقعوها معه أثناء الحرب^(٣).

٩١٤هـ جمادى الأولى، قال ابن فهد: ((وصل إلى مكة أو جدة من المماليك الذين توجهوا إلى الهند مع الأمير حسين - الكردي - من جهة بلاد ابن جبر برّاً وأخبر أنهم انتصروا على الفرنج و(تفرقوا)^(٤) وأخذوا من الفرنج مركبات وسمعنا قبل ذلك أنهم قتلوا من الكفار نحو خمسمائة، وكان المركب الذي أخذه من ملكهم وابن أخيه وأنه غرق أو قتل نفسه وأن الكفار قتلوا من المسلمين نحو

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري لعبدالعزیز بن فهد ص ١٧٤.

(٢) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني لفاضل بيات ص ٣٩ وراجع: العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٦٩.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١٦٠.

(٤) الكلمة غير واضحة وبدون نقط وكتبناها هكذا ولعلها: تفرقوا. والله أعلم.

ثلاثمائة وأخذوا منهم ثلاثة أغربة وأن الملك إيّاس وجماعته لم يقاتلوا لأن مراكبهم صغار وبعد أن هرب الكفار عاد الأمير حسين والملك إيّاس إلى بلده على نية حمل مراكب كبار والعودة إليهم، فالله يبلغهم مقاصدهم^(١). وبشكل عام فإن المصادر التاريخية تشير إلى أن حملة المماليك ١٥٠٨م فشلت مما أدى إلى ازدياد ثقة البرتغاليين في أنفسهم ودفعهم إلى الاقتراب من السواحل العربية والسعي إلى مواجهة مكشوفة، فيما شعر المماليك بعدم جدوى المقاومة^(٢).

التعاون الإيراني البرتغالي ضد العثمانيين والعرب

يقول الدكتور الحميدان: ((الشاه إسماعيل كان قد اتصل بالبرتغاليين في هرموز من أجل إقامة جبهة مشتركة ضد العثمانيين وقدم لهم بعض المطالب بهذا الخصوص من خلال سفيره إلى البوكر وكان أحد هذه المطالب أن يقوم البرتغاليون بتأمين السفن اللازمة من أجل تنقل رعاياه ما بين هرموز والبحرين والقطيف. وقد قبل البوكر من حيث المبدأ هذا الطلب لكنه اشترط على الشاه إسماعيل أن لا يؤدي ذلك إلى أي عمل يضر بأراضي مملكة هرموز أو بجزيرة البحرين.

ثم قال: ومما يشير الأسف حقاً أن المؤرخ الإيراني عباس إقبال قد حرف هذه النقطة بالذات وادّعى أن الشاه إسماعيل قد طلب من البوكر أن تقوم سفن برتغالية بنقل قوة عسكرية إيرانية لاحتلال البحرين والقطيف وأن البوكر قد وافق على هذا الطلب.

وقال: إن التدقيق في النص الإنجليزي لمذكرات البوكر هي المصدر الوحيد للمفاوضات التي جرت، ويثبت أن عباس إقبال قد لجأ مع الأسف الشديد إلى التزوير والتحريف عند ترجمة معنى هذا النص إلى الفارسية وغرضه واضح وهو أن يظهر أن الادعاءات الإيرانية في جزر البحرين كانت قديمة، ترجع إلى عهد الشاه إسماعيل، وأن إسماعيل حينما طالب بذلك لابد أنه كان يستند على حق تاريخي في ذلك وأن حفيده عباس قد حقق هذه الأمنية...^(٣).

قام سفير الشاه إسماعيل بمقابلة أفونسو دلبوكيرك في الهند وعبر عن رغبة الشاه إسماعيل في توثيق عرى الصداقة مع ملك البرتغال ويشكره على كرم الضيافة التي يتمتع بها سفراؤه من البرتغاليين في الهند، وعندما انتهت المقابلة طرح السفير أمامه أربع مسائل منصوص عليها في التعليمات الموجهة إلى السفير:

المسألة الأولى: أن العوائد المالية المفروضة على البضائع القادمة من فارس إلى هرمز إنما هي من حق الشاه إسماعيل.

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري لعبدالعزیز بن فهد ص ١٨٠.

(٢) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ١٠٦.

(٣) م. كلية الآداب، البصرة، ١٦٤ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبداللطيف الحميدان ص ٧٢، عباس إقبال - مطالعاتي درباب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس The Commentaries, IV, 153-4.

المسألة الثانية: أن المنطقة الساحلية الواقعة بين البحرين والقطيف يجب أن تكون مخصصة لسفنه العابرة إلى سواحل شبه الجزيرة العربية^(١).

ووردت الإشارة إلى أن البوكيرك أرسل مبعوثاً يدعى روي جوميز إلى الشاه إسماعيل يعرض عليه تقديم المساعدة ضد المماليك والعثمانيين ((إني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ كل ما يريد))^(٢).

ضرب الاقتصاد الجبري في مياه الخليج

((لجأ البرتغاليون إلى الضغط على الجبور عن طريق ضرب تجارة بلاد البحرين، فقد قاموا عام ٩١٥هـ بنهب سفينة في مياه الخليج العربي كانت قادمة من جزيرة البحرين وعلى ظهرها حمولة ثمينة جداً من لؤلؤ البحرين))^(٣)

الدعم العثماني للمماليك مصر

٩١٧هـ - ١٥١١م ((وفي هذه السنة أرسل العثمانيون مساعدات أخرى إلى المماليك ضمت ٤٠٠ مدفع و ٤٠ قنطار بارود، كما تفصح وثائق طوب قابي باستانبول عن إرسال العثمانيين عدداً من البحارة إلى السويس في سنة ٩١٨هـ - ١٥١٢م لإنشاء السفن، وفضلاً عن هذا كانت مصر تعتمد على العثمانيين في الحصول على المواد الداخلة في صناعة السفن. ويذكر الباحث التركي خليل إينالجيک أن أنظار العالم العربي إزاء تهديدات البرتغاليين المتمثلة بقطع الموارد الحياتية في المحيط الهندي والاستيلاء على الحرمين الشريفين - وإخراج عظام الرسول ﷺ من قبره - لم تكن متجهة نحو قانصوه الغوري فقط، بل كذلك إلى السلطان العثماني))^(٤).

انتهاء الاحتلال المرزوي المؤقت لجزر البحرين

٩١٧هـ - ١٥١١م ((قام خواجه عطار شخصياً بقيادة حملة بحرية كبيرة ضد جزر البحرين نجحت في احتلالها، إلا أن هذا الاحتلال كان لفترة قصيرة إذ قام الجبور باستغلال قوتهم البرية الضاربة في عمان ودفعوا إليها بقوات أخرى وحركوها نحو سواحل عمان وهددوا خواجه عطار باكتساح ممتلكات مرز في الساحل العماني والاستيلاء على موانئها فيما إذا لم ينسحب من البحرين. أدرك

(١) السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك المجلد الأول ص ٦١٥.

(٢) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ١١٥.

(٣) م. كلية الآداب، البصرة، ١٦٤ إمارة الجبور لـ الحميدان ص ٧١، Sousa, Op.

(٤) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل مهدي بيّات ٢٠٠٣ بيروت ص ٥٩.

خواجة عطار قوة موقف الجبور في مواجهة خططه، ثم النتائج الخطيرة التي قد تتسبب في تهديد مملكة هرموز فيما لو نفذ الجبور تهديداتهم هذه والتي سوف يكون من نتائجها الواضحة إغلاق الخليج العربي في وجه السفن التجارية المتجهة إلى هرموز وهذا يعني دماراً حقيقياً لها، فما كان من خواجة عطار إلا أن انصاع بسرعة لهذه التهديدات وانسحب من البحرين تاركاً حكمها لإمارة الجبور^(١). وكانت القوات الجبرية في وقتها تحت قيادة مقرن بن زامل الذي تصدى لتلك الهجمات التي استهدفت البحرين ببطولة^(٢)، وكان السبب الداعي للهجمات الهرمزية على الجبريين، أنه عندما احتل البرتغاليون في عام ١٥٠٧م مرفأ هرمز المهم للتجارة الدولية والواقع في جزيرة عند مخرج الخليج العربي، وأصبح ملك هرمز خاضعاً للبرتغاليين، أوقف أمير بني جبر الذي كان يحكم في الإحساء دفع الرسوم التي كان مديناً بها لملك هرمز لقاء ميناء القطيف، أكبر ميناء في شرقي الجزيرة العربية وجزر البحرين، المركز الرئيسي لصيد اللؤلؤ، نتيجة لذلك أصبح ملك هرمز يتأخر بدوره عن دفع ضرائبه للبرتغاليين، مما دعا البرتغاليين في النهاية إلى التدخل بأنفسهم في هذه القضية^(٣).

انتصار الشريف بركات على بني عقبة والمفارقة

٩١٧هـ ربيع الثاني: ((وفي هذا الشهر وآخر الذي بعده جاءت أوراق من الشريف بركات بن محمد ابن بركات بن حسن بن عجلان...*)) أخبار مع القصاد ومضمون ذلك أن الشريف بركات انتصر على عرب بني عقبة والمفارقة الذين عندهم (... بن سبع)^(٤) وأن بعض المفارقة كان مع السيد بركات وغنم بعض أولاد يحيى ويرجونه خوفاً من أن يأخذهم...*)) منهم ثم طلبه منهم ولم نسمع بأخذه منهم وأنه ألجأهم إلى شعب مدة فضاخوا وطلبوا منه الأمان على أن...*)) أراد إلا جماعة يحيى فإنه طلبهم فقالوا لا يمكن ثم أعطوه جميع ما طلب غير ذلك وجاء عرار بالمراسيم السلطانية...*)) وفيها طلب الصلح بينه وبين يحيى بن سبع والرضا عن أخويه راجع وملحوم...*))^(٥).

مقتل السمرقندي على يد قبيلة عنزة

٩١٧هـ جمادى الأولى: قال ابن فهد ((سمعنا أن عبدالبرهان السمرقندي وصل إلى السيد بركات مع الشريف عرار ومعه مراسيم وأوراق للناس ثم أراد أن يسبق بالمجيء إلى مكة فمنعه الشريف فما سمع، وتقدم فلاقاه جماعة من عنزة مرحلين فقاتلهم وقتل منهم وقتلوه وواحداً من أصحابه، ونجا اثنان فيما يقال، وأخذ ما معه والمراسيم والأوراق...*))^(٦).

(١) م. كلية الآداب، البصرة، ع ١٦ التاريخ السياسي لإمارة الجبور لـ د. عبداللطيف الحميدان ص ٥٣.

(٢) م. الوثيقة العدد ١١ سنة ٨٢ ص ١٣٢.

(٣) البدوج ٤ ط ٢ تأليف أوبنهايم ومساعدية ص ٢٠٤، راجع سنة ٩٢٧هـ.

(٤) ذكر ابن فهد في سنة ٩١٢هـ لجوء يحيى بن سبع إلى عنزة.

(٥) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري لعبدالعزیز بن فهد ص ١٩٨.

(٦) المصدر السابق ص ١٩٨.

مكافأة الشريف بركات للقبائل التي ناصرته في حملته على ينبع

٩١٧هـ جمادى الأولى: ((الشريف بركات: .. أعطى للعربان الذين جاؤوا معه إلى ينبع من بني عقبة وبني لام وغيرهم خيلاً كثيراً وخلعاً وأحسن إليهم))^(١).

الشريف قيتبای يغزو ربيعة من قبائل الشرق

٩١٧هـ جمادى الأولى ((توجه في أواخر هذا الشهر السيد قيتبای بعسكر وخيل كثير لغزو عرب في الشرق يقال اسمهم ربيعة))^(٢).

وفاة سلطان مكة الشريف قيتبای

٩١٨هـ ((في يوم الأحد حادي عشر ربيع الأول توفي سلطان مكة الشريف قيتبای محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، وكانت ولايته ٣ صفر ٩١٠هـ برضا أخيه بركات وكان له الدعاء وملاقة الحاج والمعول على بركات في جميع الأمور))^(٣).

وفاة السلطان بايزيد وحكم السلطان سليم الأول

٩١٨هـ توفي السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان بن مراد خان بن يلدرم بايزيد خان ابن مراد خان الغازي ابن أروخان ابن السلطان عثمان الغازي. وجددهم الأعلى عثمان أصله من التراكمة الرحالة النازلة من طائفة التتار، وهو أول من ولي منهم السلطنة في بلاد الروم سنة ٦٦٩هـ وهو ابن أخ أرطغرل بن سليمان، مات سنة ٧٢٥هـ^(٤).

مركز تحقيقات تاريخ و جغرافيا

لجوء بني السفر إلى بني جابر من مطارديهم الحربيين

٩١٩هـ في ربيع الثاني الموافق (يونيو ١٥١٣م تقريباً): ((.. اتفق أن بعض حرب تبعوا أعداء لهم من بني السفر فلجؤوا إلى جماعة من بني جابر فمنعوهم منهم فشكا حرب بني جابر إلى الشريف بركات فغضب على بني جابر وأمر حرباً كل بلادهم فلجأ بنو جابر إلى الشريف وأعطوه ألف دينار فقال ما يأخذ ولا عشرة بل تملى بينهم وإلى الآن لم يفصلوا والله أعلم ثم جمعوا جماعة في خيل وجاؤوا إلى البلاد وجدوا تمرهم أخضر واستاقوا إبلهم فلاقاهم ناس قليل من بني جابر فناوشوهم فقتل شخص من حرب

(١) المصدر السابق ص ١٩٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٩.

(٣) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي اليمني ص ١٤٣.

(٤) المصدر السابق ص ١٤٣.

وكون من الفريقين جماعة ثم خافوا وهرب بنو جابر فسمع الشريف بذلك فدخلوا عليه بجماعة فعفا عنهم وأمر لحرب أن ترد لهم إبلهم^(١).

سرور سلطان مصر من الصراع الدائر بين العثمانيين والصفويين

يرى الباحث التركي إسماعيل أوزون جارشيلي: ((أن السلطان المملوكي قانصوه الغوري كان مسروراً بالصراع الدائر بين الدولتين العثمانية والصفوية إذ إن هذا الصراع يحمي دولته من المخاطر المحدقة بها))^(٢).

في يناير ١٥١٤م وصل ميخويل فيريرا إلى تبريز ومن ثم للشاه إسماعيل الذي استقبله استقبالا طيباً وحمله هدايا ثمينة لأفونسو دلبوكيرك، وحمل هذا المبعوث البرتغالي انطباعاً طيباً عن بلاط الشاه إسماعيل^(٣).

الشاه الإيراني يحذر السلطان المملوكي من العثمانيين

يبدو أن الأحوال السياسية قد انقلبت في المنطقة من جراء الإرادة العثمانية بالتدخل لفك التحالف الفارسي البرتغالي في السيطرة على مياه الخليج العربي وجميع موانئه، مما تسبب في إرعاب الشاه إسماعيل الذي طالت يده العراق والتصقت حدوده بحدود الدولة العثمانية، لهذا السبب وغيره: ((أرسل الشاه إسماعيل الصفوي رسالة إلى السلطان المملوكي يدعوه إلى التحالف محذراً إياه بأن السلطان سليم إذا ما أقدم على حملة ثانية إلى إيران فإنه يتمكن من الاستيلاء عليها، ولن يكفي بذلك بل سيتوجه نحو البلاد العربية للسيطرة عليها ويقضي على الدولة المملوكية))^(٤).

مركز بحوث تاريخ إيران

الانتصار الساحق لتركيا على إيران في معركة جالديران

٩٢٠هـ في ٦ رجب الموافق (٢٧ أغسطس ١٥١٤م تقريباً): ((وقعت بين سليم شاه بن عثمان وبين الشاه إسماعيل الصفوي وقعة مهولة تشيب منها النواصي بالقرب من تبريز وقتل من عسكر ابن عثمان ٣٠ ألفاً وقيل ٦٠ ألفاً وقتل مثل ذلك من عسكر الصفوي وكانت الكسرة أولاً على ابن عثمان وآخر الأمر أن الصفوي انكسر كسرة قوية وقتل غالب عسكره وانهزم الباقون وقد ملك السلطان سليم غالب بلاد الصفوي من ممالك الشرق)).

(١) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري لعبدالعزیز بن فهد ص ٢١٣.

(٢) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د. فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣ بيروت ص ٦٠.

(٣) السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك المجلد الأول ص ٤٣٦.

(٤) تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د. فاضل ص ٦٠ - هامه: عن شكري - سليمانمة: جلال زادة.

القيادة البرتغالية في الخليج ترى سهولة مهاجمة مكة

٩٢١هـ في خطاب من أفونسو دلبوكريك القائد البرتغالي الذي قاد الحملة على منطقة الخليج العربي إلى قيادته السياسية في لشبونة سنة ٩٢١هـ - ١٥١٥م تطرق أثناء حديثه عن أهمية البحرين، وبقيّة ممتلكات الجبور إلى سهولة مهاجمة مكة المكرمة انطلاقاً من الحسا ((لأنها لا تبعد عن البحرين والقطيف إلا بست عشرة مرحلة في حالة الاعتماد على الجمال وتلك المسافة قصيرة جداً))^(١).

إعداد حملة بحرية مصرية لمهاجمة البرتغاليين

٩٢١هـ قال ابن إياس: في يوم الإثنين ١٠ رجب جلس السلطان في الميدان وعرض العسكر المعين إلى جهة الهند، فعرضهم وهم باللبس الكامل.. وكان مجموع هذا العسكر المتوجه إلى الهند نحو ستة آلاف إنسان وقد أمدهم بالطبول والزمرور ومكاحل النفط والبندقيات وكان عدة المراكب التي أنشأها السلطان بالسويس عشرين مركباً وقد شحنها بالمكاحل والمدافع والبارود وغير ذلك^(٢).

سعى الجبرين لإقامة علاقات ودية مع البرتغاليين والمرمزين

٩٢١هـ - ١٥١٥م قال الوهبي: ((سعت الزعامة الجبرية في الحسا إدراكاً منها لميزان القوى القائم إلى إقامة علاقة ودية مع البرتغاليين وأتباعهم الهرمزيين تجنباً لأية مواجهة معهم وذلك بإيفاد رسول من قبلها سنة ٩٢١هـ إلى البوكيرك في هرمز ومعه عدد من الخيول العربية، ويبدو أن هذا المسعى قد حقق قدراً من النجاح))، ونلاحظ أن هذا التحرك الدبلوماسي الذكي من قبل الجبريين جاء في وقت كانت الكفة تميل فيه إلى صالحهم شيئاً فشيئاً بسبب الانتصار الأخير للعثمانيين ضد الدولة الحليفة الأولى للبرتغاليين المتمثلة في الدولة الفارسية، وكانوا على يقين أن المحافظة على سلامة أراضيهم ولو بإظهار بعض اللين سيكون في صالحهم في النهاية.

معركة مرج دابق وسقوط دولة المماليك

بلغ السلطان سليم بن يزيد ظلم الغوري في مصر، وكان يُعدُّ لحملة عسكرية جديدة، وبعد أن انتشرت أخبار استعداداته لحملة الجديدة أشاع بأن هذه الحملة تستهدف إيران فقط للقضاء على الدولة الصفوية، وأرسل رسالة إلى وزيره الأعظم سنان باشا المخادم على رأس (٤٠ ألف) من الجنود إلى أطراف الفرات، إلا أن قانصوه الغوري كان يرتاب من نوايا سليم غير السليمة ضده، فاتخذ تدابير احترازية، وكأنه صدّق تحذير الشاه إسماعيل له عندما حذره في السابق، فقطع الغوري الشك باليقين وسار بجيشه إلى حلب تحسباً لأي طارئ قد يحدث.

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ١١٤.

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط ١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى ج ٤ ص ٤٦٦.

وأبلغ سنان باشا الوضع إلى السلطان، ويرى الباحث إسماعيل أوزون جارشيلي أن وصول السلطان الغوري إلى حلب كان مبنياً على اتفاق مع الشاه. أو أن السلطان سليم فسر على هذا النحو.

فاستغل الاتفاق الدائر بين الصفويين والمماليك واعتبره وسيلة - لإصدار فتوى بشرعية الحرب ضد المماليك - فاستشار علماء الدين في مشروعية إعلان الحرب على حاكم مسلم تصدى له في حملته على الملحدين (أي الصفويين)، فأفتوا ضد هذا الحاكم. وكان من ادعاءات السلطان سليم أن المماليك غير قادرين على القضاء على التهديد الغربي المسيحي.. وأن العرب في هذه المناطق رفعوا شكواهم من ظلم المماليك إلى العثمانيين.

وتقابل الجيشان العثماني والمملوكي في يوم ٢٥ رجب ٩٢٢هـ / الموافق ٢٤ أغسطس ١٥١٦م على بعد أربعة فراسخ من حلب في ((مرج دابق)) وكان الغوري متوهماً من أمير الأمراء خير بيك ومرجان بردي بيك الغزالي فأمرهما أن يتقدما إلى القتال، وكانا أرسلتا إلى السلطان سليم وطلبا منه الأمان وتوثقا منه بما يطيب خواطرهما فلما التقى العسكران فر أحدهما من الميمنة، والآخر من الميسرة ودامت الحرب من أول النهار إلى قريب العصر، وكان الجيش العثماني يتفوق على الجيش المملوكي في المعدات الحربية وبخاصة امتلاك المدافع، وانهزم عسكر الغوري ولقي السلطان قانصوه الغوري حتفه في المعركة، والسلطان قانصوه هو: ((قانصوه أبو النصر سيف الدين الظاهري الأشرفي فالغوري نسبة إلى طبقة الغور، والظاهري نسبة إلى الظاهر خشقدم، والأشرفي نسبة إلى الأشرف قيتباي))^(١).

السلطان سليم أقر الأمير مدح آل أبي ريشة على إمرة العرب

ذكر ابن إياس: أن السلطان سليماً^(٢) العثماني حينما استولى على بلاد الشام عام ٩٢٢هـ بعد تغلبه على قانصوه الغوري في مرج دابق أقر الأمير مدح بن ظاهر الحيارى من فخذ أبي ريشة على إمرة العرب في جملة من أقرهم من حكام العرب على الإقطاعيين في هذه البلاد.

استقبال السلطان سليم بعد عودته من مصر لشيخ القبائل العربية

يبدو أن السلطان سليماً لم يتمكن خلال حملته إلى بلاد الشام من استقبال جميع شيخ القبائل العربية وتلقي ولاءهم، ولكن بعد عودته من مصر تحقق له هذا الأمر، إذ تلقى ولاء العشائر البدوية العربية في بلاد الشام كبنى إبراهيم، وبنى سالم، وبنى عطا وبنى عطية وبنى سعد.

(١) تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د. فاضل بيات ص ٦١-٦٢) وراجع: السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي اليمني ص ١٨٩-١٩١.

(٢) كان السلطان سليم ياوز (القاطع) يلبس النظارات كما كان تيمور لك يلبسها. وهو أول من شرف بلبسها. راجع: تاريخ الدولة العثمانية ل يلماز أوزتونا - جريدة الرأي العام بتاريخ ٢٤ أغسطس ٢٠٠٥ بقلم مهنا حمد المهنا ص ١٤.

وتحتفظ مكتبة طوب قابي سراي باستانبول برسالة مقدمة من قبل بعض العشائر العربية وبضمنهم ابن حرفوش، وابن سعد وعشائر بني إبراهيم وبني صايم وبني عطا وشيوخ صفد والغزة وأعيان حلب^(١).

تنازل الخليفة عن الخلافة ونقله إلى استانبول

أمر السلطان سليم بنقل بعض السلاطين المماليك والخليفة وأقربائه والعلماء المتنفذين والشيخو والأمرأ الذين يشكلون خطراً على الدولة العثمانية إلى استانبول...، وكتباً قيمة من بعض المكتبات المصرية^(٢).

مقرن بن أجود يتزعزع الإمارة من صالح بن سيف

٩٢٢هـ-١٥١٦م في هذه السنة ثار مقرن بن أجود بن زامل على خاله وابن عم أبيه صالح بن سيف وانتزع منه الإمارة وظل الصراع قائماً بين الاثنين حتى استشهد مقرن. أثناء وجود صالح في بلاد الشام^(٣)، ولا تتيح المصادر التي بين أيدينا معرفة السبب الذي أدى إلى قيام الأمير مقرن بالانقلاب على خاله صالح، إلا أنني رأيت من سياق الأحداث أن صالحاً كان مهادناً للبرتغاليين بينما كان مقرن مقاوماً لوجودهم مما أدى إلى مصرعه في النهاية، فلذا أظن أن وصول مقرن للحكم هو بناء على معارضته لسياسة خاله تجاه البرتغاليين، وإذا صدق هذا فإنني لا أشك بأنه سيجد له تأييداً شعبياً ساحقاً.

ومقرن هذا هو الذي امتدحه الشاعر جميل بن اليزيدي عندما قال:

- | | |
|-----------------------------------|---|
| ١١- فيا ناق من وادي نعام تغللي | وأرجي لك التوفيق ضد الشدايد |
| ١٦- لعل خلاف السير يا ناق والسرى | وقطع الفيافي والديار البعايد |
| ١٧- تزورين بي سمح النبا ابن زامل | مقرن مناي لشبك ضيم الشدايد |
| ١٨- ولاقيت عقب السير يا ناق مقرن | وقابلت وجه فيه للحمد شاهد |
| ١٩- نشأ بين سيف والغريزي زامل | فيالك من عم كريم ووالد |
| ٢٠- وبين (أجود سلطان قيس) وركنها | عن الضيم أو في المعضلات الشدايد |
| ٢١- حمى بالقنا هجر إلى ضاحي اللوى | إلى العارض المنقاد نابي الفرايد |
| ٢٢- ونجد رعى ريعي زاهي فلاتها | على الرغم من سادات لام وخالد |
| ٢٣- وسادات حجر من يزيدي ومزيد | اقتادهم قود الفلا بالقلايد ^(٤) |

(١) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د. فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣ بيروت ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق ص ٨٤.

(٣) الشعر النبطي للصويان.

(٤) المصدر السابق، وأما الفلا فهو جمع فلوة وهي المهرة الصغيرة، والقلايد هي أرسان الخيل، والمعنى أنه يقودهم من أنوفهم كما تقاد المهار بأرسانها.

وهذه القصيدة توضح أن نفوذ السلطان مقرر القيسي كان ممتداً من الإحساء إلى عمان إلى نجد، وأن أنعامهم كانت تصل برعيها حتى نجد التي كان يتسيدها بنو لام وبنو خالد، وأن نفوذهم امتد إلى حجر اليمامة والتي كان متسيداً عليها بنو يزيد ومزيد من عائد. وهنا نتذكر كثرة غارات السلطان أجود إلى نجد والخرج^(١).

خوف شريف مكة من البرتغاليين

((ذكر سليمان ريس في تقريره إلى السلطان العثماني سليم ياوز عام ٩٢٣هـ - ١٥١٧م من أن شريف مكة كان خائفاً من البرتغاليين إلى درجة أنه قد قرر اللجوء هو وعائلته إلى الجبال للاحتماء بها منهم))^(٢).

استقبال السلطان سليم لأبي نمي بالتبجيل والإكرام

٩٢٣هـ وفيها ((قدم على السلطان سليم السيد الشريف أبو نمي محمد ابن ملك الحجاز بركات بن محمد، أرسله والده وعمره يومئذ ١٢ سنة، فقبل بالتبجيل والإكرام وأعطاه جميع ما طلب ورام، وكان معه السيد عرار بن عجل النمري وعاد إلى والده معزراً مكرماً ومعه أحكام بجميع ما طلبه، وأرسل مع السيد عرار أمراً بقتل الأمير حسين، وهو الذي استخرجه لعداوة كانت بينهما، فأخذ، وأرسل مقيداً إلى جدة، وغرقوه في البحر، وكان كردياً دخيلاً في طائفة الجراكسة لا يعتبرونه بينهم))^(٣).

تعرض جفيمان بالمفارقة وعنزة للركب الشامي أثناء عودته في العلا

٩٢٤هـ فيها جاءت ((أخبار شنيعة بأخذ الحاج الشامي بالقرب من العلا. وذلك أن بعض شيوخ بني لام يقال له جفيمان جمع لهم عرب المفارقة وعنزة^(٤) وجلس لهم في الطريق فلما حاذوه خرج عليهم فقاتلهم عند محفة زوجة نائب الشام المقر الكافلي.. فقتل من الشاميين نحو سبعين نفساً وأخذ العرب منهم ألفاً وثمانمائة جمل... وصالح الحلييون والأروام عن أنفسهم بخمسة عشر ألف دينار حتى سلموا من النهب وأعطوا العرب رهائن منهم حتى يجبوا لهم المال، فقدر أنهم جبوا لهم ثمانية آلاف، واستفدى بعض الشاميين حمولهم وحریمهم بنقد غير ذلك منهم القاضي تقي الدين القاري الناظر على أوقاف الحرمين.. اشترى زوجته وولده بثلاثين ديناراً. ثم بلغ العرب وصول نجدة من الشام لهم نحو خمسمائة رام بالقوس والنفط على رواحل مردقة ووراءهم غير ذلك، فهربوا عنهم بما أخذوه ولم يستكملوا المال))^(٤).

(١) انظر سنة ٨٥١هـ.

(٢) مجلة كلية الآداب، ١٦٤ الحميدان ص ١٠٨.

(٣) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي اليمني ص ٢١٩.

(٤) نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري لجارالله بن فهد المكي ص ١١٦.

قتال بين السلطان مقرن بن زامل واحد اقربائه

٩٢٥هـ قال ابن فهد: ((وذكروا أن بدوهم - أي الجبريين - وقع فيها قتال بين سلطانهم مقرن بن زامل وبين قريه في قرية قريبة منه وكان دعي له في بعض البلدان، فغيب الشيخ مقرن على القاضي محمد ابن فرق فخشي وفر إلى بلدة أخرى من أعمال بلاده فإله تعالى يحميه))^(١).

تعرض شيخ المفارجة (جغيمان) للطريق

٩٢٦هـ تعرض للركب في تلك السنة سلامة بن فواز شيخ بني لام المفارجة، عرف بجغيمان ومعه ليف من العريان نحو عشرة آلاف نفر.

ومن تلك السنة أيضاً: قرر لسلامة بن فواز المذكور في كل سنة من الخزائن السلطانية ألف دينار راتباً له ولأولاده من بعده ليكف عن الركب المصري ودربه وليكن من حراسه وضمنه فيما يأتي منه صهره الشيخ عمرو بن عامر بن داود أمير بني عقبة ((المتاريك)) العوامرة والمزايدة وجعله وكيلاً عنه في قبض ذلك^(٢).

وفاة السلطان سليم

في ليلة السبت لسبع مضين من شوال ٩٢٦هـ توفي السلطان سليم خان بن بايزيد، وكانت ولادته سنة ٨٧٢هـ وجلس على تخت العرش سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وعمره يومئذ (٤٦)، وكان سلطاناً قاهراً ملكاً جباراً كثير السفك عظيم الفتك، وكان كثير الفحص عن أخبار الناس والتجسس عن أخبار الممالك، وعارفاً بمسالك الطرق، وكان كثير المطالعة للتواريخ متفرساً في اللغة الفارسية والرومية وله فيها نظم فائق وشعر رائق وكان عارفاً باللغة العربية^(٣).

مركز بحوث ودراسات إسلامية

هجوم برتغالي هرمزي على جزر البحرين

٩٢٦هـ في هذا العام: ((اتفق البرتغاليون مع ملك هرموز على القيام بغزو لجزر البحرين، فحشدوا لهذا الغرض قوات كبيرة في جزيرة هرموز جندت من سواحل الخليج العربي يدعمها الأسطول البرتغالي. وقد وقع هذا الهجوم أثناء تغيب السلطان مقرن بن زامل في الحجاز لحضور موسم الحج، لذا فقد تولى مقاومة هذا الهجوم حاكم البحرين والقطيف الشيخ حميد^(٤) ابن أخت السلطان مقرن، وبسبب المقاومة الشديدة التي أبدتها الجبور وسكان البحرين إضافة إلى معاكسة الرياح الشديدة لسفن الحملة تم إحباط

(١) المصدر السابق ص ٢٠٥.

(٢) درر الفرائد المنظمة.

(٣) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي اليمني ص ٢٣٥.

(٤) نرى خطأ بعض المصادر عندما تظن أن الشيخ حميداً هذا هو جد آل حميد شيوخ بني خالد، لأن آل حميد في تلك السنين كانت طائفة كبيرة معروفة وليست محصورة بشخص، وسيأتي بيان ذلك في الصفحات القادمة.

هذا الهجوم. وعلى أثر ذلك سارع السلطان مقرن بالعودة من الحجاز وتوجه إلى جزر البحرين ليشرف بنفسه على الاستعدادات الضرورية لمواجهة هجوم ثانٍ مرتقب^(١).

الاحتلال البرتغالي للبحرين الذي استمر مدة طويلة

في سنة ١٥٢١م أرسلت قوة كبيرة من هرمز بقيادة أنتونيو كورسا إلى البحرين، وقيل كان ذلك في مايو وقيل في يوليو وكلا الشهرين من أشهر الصيف الحارة والأرجح أن الهجوم كان في ١٠ شعبان ٩٢٧هـ ١٧ يوليو ١٥٢١م.

ويقول الحميدان: ((وقد ذكرت المصادر البرتغالية أن هذه القوات كانت تتألف من قسمين، قسم قد أعده ملك هرموز وهي تتألف من (٣ آلاف رجل) من المرتزقة من فرس وعرب تحملهم (٢٠٠ سفينة) ويقودهم وزير ملك هرموز ريس شرف الدين. أما القوة البرتغالية فتتألف من (٤٠٠ رجل) تحملهم (٧ سفن كبيرة) مزودة بمدافع ضخمة بقيادة أنطونيو كورسا تصدى الجبور لهذا الهجوم يقودهم السلطان مقرن شخصياً وجرت المعارك الحامية في هجير الصيف، وكانت المعارك تتوقف بسبب شدة الحر ثم يعاود الطرفان الهجوم على بعضهم البعض، وكان مقرن على رأس قواته يحث الجنود على الصمود والاستبسال إلى أن جرح جرحاً بليغاً بسلاح ناري في فخذه نقل على أثره إلى أحد المساجد حيث توفي فيه بعد ستة أيام متأثراً بجراحه. لم تتوقف المعارك بعد إصابة مقرن فقد كان يتولى القيادة الشيخ حميد إلى أن استشهد مقرن، فانهارت معنويات قواته، وكثرت القتل والجرحى، فأمر الشيخ حميد قوات الجبور بالانسحاب إلى القطيف فوراً ونقل جثمان خاله مقرن ليدفن في الأحساء. وتذكر المصادر البرتغالية بأن الوزير ريس شرف الدين قائد القوات الهرموزية قد أمر قواته بضرورة انتزاع جثة السلطان مقرن من أيدي القوات المنسحبة فتم له ما أراد وقام بقطع رأس السلطان مقرن وحمله معه إلى هرمز^(٢).

وكان قد تعزز التحالف الفارسي البرتغالي - الحبشي إثر الغزو البرتغالي.

وفي العام نفسه الذي تم فيه احتلالهم للبحرين توجهوا لاحتلال القطيف وفي العام نفسه هجمت السفن البرتغالية على ميناء جدة. وبقيت البحرين منذ ذلك الوقت تحت حكم البرتغال لفترة طويلة من الوقت^(٣).

كان الهجوم البرتغالي على قلعة البحرين في يوم ٢٧ يوليو ١٥٢١م ومعها القوات الهرموزية المتحالفة معها، وفي تاريخ ٢ أغسطس ١٥٢١م انتهت المعركة مسفرة عن النصر الساحق للمتحالفين ومقتل السلطان مقرن وانسحاب بقية القوات العربية بقيادة الشيخ حميد ابن أخت السلطان مقرن، وتم تنصيب حاكم عربي يدعى بكرأ أو بشيراً يتبع البرتغاليين^(٤).

(١) مجلة كلية الآداب، ١٦٤ الحميدان ص ٧٩، وراجع: البدو ج ٤ ط ٢ تأليف أوبنهايم ومساعدته ص ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ - Sousa, 256.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١٦٢.

(٤) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط ١ ص ٥٣٢-٥٤٢.

رواية مختلفة عن كيفية استشهاد السلطان مقرن

المؤرخ المصري ابن إياس يشير إلى أنه في المحرم من عام ٩٢٨هـ وصلت إلى مصر شائعة تفيد بمصرع الشيخ مقرن فيقول:

((وأشيع قتل الأمير مقرن أمير عربان بني جبر متملك جزيرة بين النهرين إلى بلاد هرمز الأعلى، وكان أميراً جليل القدر معظماً مبعجلاً في سعة من المال، وكان مالكي المذهب، سيد عربان الشرق على الإطلاق، وكان أتى إلى مكة وحج في العام الماضي، وكان يجلب إلى مكة اللؤلؤ والمعادن الفاخرة...، قيل إنه لما دخل مكة والمدينة تصدق على أهلها بنحو خمسين ألف دينار، فلما حج ورجع إلى بلاده لاقته الفرنج في الطريق وتحاربت معه، فانكسر الأمير مقرن منهم وقبضوا عليه باليد وأسروه، فسألهم أن يشتري نفسه منهم بألف ألف دينار فأبى الفرنج ذلك وقتلوه بين أيديهم، ولم يغن عنه ماله شيئاً، وملكوا منه جزيرة بين النهرين، وملكوا قلعتها التي هناك، واستولوا على أموال الأمير مقرن وبلاده، وكان ذلك من أشد الحوادث في الإسلام وأعظمها، وقد تزايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندي والأمر لله تعالى))^(١).

أصبحنا الآن أمام روايتين مختلفتين من حيث تحديد الوقت الذي قتل فيه سلطان الجبور، فالأولى تقول إنه قتل في صيف ١٥٢١م (شعبان ٩٢٧هـ) والثانية تقول إنه حج في موسم سنة ٩٢٧هـ أي في شهر ذي الحجة (الموافق لشهر نوفمبر ١٥٢١هـ).

وفاة السلطان صالح بن سيف الجبري

في سنة ٩٢٨هـ توفي ((السلطان صالح بن السلطان سيف متملك بلاد بني جبر، كان من بيت السلطنة هو وأبوه وجده وهو خال السلطان مقرن وقد وقع بينهما وقعة عظيمة تشهد لصالح بالشجاعة التي لا توصف، فإنه كر على مقرن وعسكره وكانوا جمًّا غفيراً بنفسه، وكان خارجاً لصلاة الجمعة لا أهبة معه ولا سلاح فكسروهم، ثم كان الحرب بينهما سجالاً، وقدم دمشق في سنة سبع وعشرين وتسعمائة فأخذ عن علمائها وأجازهم منهم الرضا الغزي وولده البدر وكان في قدمته متسترأ مختفياً غير متسبب إلى سلطنة وسمى نفسه إذ ذاك عبدالرحيم ثم حج وعاد إلى بلاده^(٢) وكان مالكي المذهب فقيهاً متبحراً في الفقه والحديث وله مشاركة جيدة في الأصول والنحو وكان محباً للعلماء والصلحاء شجاعاً مقداماً عادلاً في ملكه صالحاً كاسمه توفي ببلاده قاله في الكواكب))^(٣).

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي ط ١٩٧٤م تحقيق وتقديم محمد مصطفى ج ٥ ص ٤٣١.

(٢) وهنا يتضح أن السلطان صالح بن سيف حج أيضاً في موسم سنة ٩٢٧هـ وهو العام نفسه الذي ذكر ابن إياس أنه العام الذي حج فيه مقرن بن زامل.

(٣) شذرات الذهب ج ٨.

إمارة الجبور بعد استشهاد السلطان مقرن

يذكر جبار الله بن فهد في نيل المنى: أنه بعد استشهاد السلطان مقرن حكم عمه علي بن أجود الذي لم تطل إمارته أكثر من شهرين وأعقبه ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود لمدة ثلاث سنوات أعطى بعدها الإمارة بيعاً لقطن بن علي بن هلال بن زامل.

في ١٢ ربيع الآخر ٩٢٨هـ تحركت قوات برتغالية وجبرية إلى صحار العمانية، وحاصرت القوات البرتغالية بقيادة (دون لويز) سواحل صحار بسفنها الضخمة ذات المدافع الثقيلة، وحاصرت قوات الجبريين المكونة من أربعة آلاف وخمسمائة جندي أسوار المدينة من ناحية البر، فاتصل الأهالي بالجبريين وطلبوا حمايتهم خشية من البرتغاليين وقد وافق الأمير حسين بن سعيد على ذلك العرض بعد أن سمح للحامية الهرمزية بالخروج من المدينة وصار هو رئيساً لها واعترف بالسيادة البرتغالية على صحار^(١).

احتلال آل جبر لصحار بمساعدة البرتغاليين

٩٢٩هـ / ١٥٢٢م انتهز شيخ آل جبر حسين بن سعيد فرصة اندلاع ثورة قامت في هرمز فترأس ٣٠٠ فارس و٤٠٠٠ من المشاة وتحالف مع البرتغاليين واحتل صحار^(٢).

شراء قطن بن علي بن هلال الإمارة من ناصر بن محمد بن أجود

٩٣١هـ في حدود هذه السنة اشترى قطن بن علي بن هلال إمارة الجبور من ناصر بن محمد بن أجود، ولم تزد مدة حكم قطن بن علي أكثر من سنة، ثم خلفه أحد أولاده الذي تنازل بدوره عن الحكم بعد فترة وجيزة وسلم السلطة لابن عم والده عيسى بن زامل بن هلال بن زامل الجبري.

وفاة الشاه إسماعيل الصفوي

٩٣٠هـ ((توفي الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي وكان مولده في سنة ٨٩٢هـ وكان ظهوره سنة ٩٠٥هـ... وهو الذي غير اعتقاد أهل بلاد فارس، وفي سنة ٩١٥هـ ظهر من أتباعه شخص في بلاد الروم يقال له شيطان قولي أهلك الحرث والنسل وهم بالفساد والقتل وتبعه غواة لا تحصي وقويت شوكته وعظمت به البلوى فأرسل السلطان بايزيد وزيره الأعظم علي باشا بعسكر كبير فاستشهد علي باشا وانكسر

(١) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص ٥٤٤، عن كتاب: العرب والبرتغال في التاريخ لفالح حنظل ص ٣١٦.

(٢) تاريخ الخليج وشرق الجزيرة العربية د. محمد محمود خليل مكتبة مدبولي ط١ ص ٤٦٥، نقلاً عن جان أوبين وكاسكيل عن باروس، وعن كتاب سيرة الإمام العادل ناصر بن مرشد لمؤلف مجهول، مخطوطة في المتحف البريطاني ورقة ٢٢، وكتاب: سلطنة هرمز العربية لأحمد جلال التدمري ج ٢ ص ٧٥.

شيطان قولي وقتل أكثر جماعته ولم يزل شاه إسماعيل يزداد حتى ملك خراسان والعراقين وغيرها من البلاد، فهب السلطان سليم خان لقتاله والتقى العسكران ونصر الله السلطان سليم خان^(١).

الذعر الإيراني من شائعة الاستعدادات العثمانية

٩٣١/هـ ١٥٢٥م ذعر البلاط الإيراني في شتاء العام المذكور عند سماعه بالاستعدادات الواسعة النطاق التي كانت تجري في استانبول. وكان السلطان قد استعمل عبارات الوعيد في أخريات رسائله التي بعث بها لتهتة الشاه طهماسب الصبي (ت ٩٨٤هـ) يومذاك. فاتصل المشاورون الصفويون بملك هنغارية وإمبراطورها ليعاونهم على العدو المشترك. فرد سليمان على ذلك بإعدام نفوس الأسرى الإيرانيين الذين كانوا معتقلين في غاليلولي حينذاك. فبات في حكم المقرر عنده توجيه حملة قوية على إيران، غير أن السلاح التركي قد حُول ضد هنغارية بدلاً من ذلك^(٢).

دخول هنغاريا تحت الدولة العثمانية

في عام ٩٣٢/هـ ١٥٢٦م حدثت ((معركة موهاج)) بين الجيش العثماني بقيادة سليمان القانوني والجيش المجري وقد انتصر فيها المسلمون ومن نتائجها: أن دخلت المجر (هنغاريا) تحت لواء الدولة العثمانية ودخول السلطان إلى بودابست عاصمتها في أول أيام عيد الأضحى وكان السلطان سليمان قد صلى صلاة عيد الفطر في بلغراد عاصمة يوغسلافيا^(٣).



السلطان سليم الثاني
١٥٧٤ / ١٥٢٤



السلطان سليمان القانوني
١٨٦٦ / ١٤٩٥

- (١) السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر للسيد محمد الشبلي اليمني ص ٢٨٦.
- (٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لونكريك، للعبية جعفر خياط ط ١٩٨٥/٦ البرهان بغداد طبعه لونكريك أول مرة ١٩٢٥م ص ٣٥.
- (٣) تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا - جريدة الرأي العام بتاريخ ٢٤ أغسطس ٢٠٠٥م بقلم مهنا حمد المهنا ص ١٤.

انتزاع راشد بن مغامس للبصرة من يد الفرس

٩٣١هـ وفيها كانت ولاية راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل للشرق وكان في البصرة بعدما انتزعها من الفرس^(١).

نهاية دولة آل جبر باستيلاء راشد بن مغامس على بلادهم

٩٣٢هـ بحدود هذا العام استعان بعض أمراء آل جبر لضعفهم بسلطان الشرق راشد بن مغامس فقدم من البصرة وتحارب مع عضيب بن زامل بن هلال فاستولى على ما بيده وأقام بالإحساء والقطيف وولى البصرة لأخيه محمد^(٢).

وتذكر المصادر أن آل جبر بعد مقتل السلطان مقرن بن زامل تخالف على السلطنة عدة أمراء منهم، أي أن الخلاف دبّ بينهم واستحكمت العداوة، فلجأ بعضهم إلى سلطان البصرة ليستعين به على أبناء عمومته فكان كما تقول المصادر (كالمستجير من الرمضاء بالنار)، فما إن أتاحت الفرصة لراشد بن مغامس للتدخل إلا وقد أزاح أمراء آل جبر من طريقه وانفرد في حكم البلاد. ومن المؤشرات التي تدل على شدة النزاع والخلاف بين الجبريين إلى درجة أنهم بعد ذلك ضعفوا وذهبت ريحهم قول جعثن اليزيدي الذي مدح مقرن بن زامل آخر حكام آل جبر الأقوياء:

- ١- بقول وهذا للفتى بن مبارك ولا يدرك العليسا من الناس غادر
- ٣- قل الله لي من فوت لاما قبيلة سعى بينها الواشي بخبيث المسائر
- ٤- عصاة على الداني مطاويح للعدا أكفا عن المعروف عمي البصائر
- ٥- سعت بينهم الأعدا بالأشوار فأصبحوا بالأقدار صرعى في لحود المقابر

ومن قصيدة لأبي زيد وهو شاعر من شعراء الدولة الجبرية، يرثي الحالة التي وصلت إليها قبيلة آل جبر وتفرقهم، يبدؤها بالشكوى والتحسر على فراق القبيلة والديار، ويقول الدكتور الصويان ((هذه النغمة السائدة في شعره)):

- ١- إلى الله أشكو فوت لاما قبيلة قمين بها بت القوي من خصيمها
- ٢- وهجران من غير اختياري منازل أبى القلب ينسى ما مضى من قديمها
- ٣- مني وخلاني بزوراً من النيا صروم شظا لام الأخلا وخيمها
- ٤- بل العزا مقسوم الآلاف كلما تلا قسمة لقي العيا من قسيمها

(١) نيل المنى بذيل بلوغ القرى جار الله بن فهد ٤٢١.

(٢) المصدر السابق.

وصول سلطان الشرق الجديد راشد بن مغامس إلى مكة المكرمة

٩٣٣هـ (١٥٢٥م) ((في يوم الأربعاء ٢ ذي الحجة: تتابع حاج الشرق وفيهم سلطانهم الجديد وهو الشيخ راشد بن مغامس بن صقر بن محمد بن فضل سلطان البصرة والحسا والقطيف ورفقته نحو خمسة آلاف نفس على رواحل وبركوا في الأبطح على عادتهم. وكانت ولاية سلطانهم للشرق في سنة ٩٣١هـ. وكان بالبصرة فاستعان به الباقي من بني جبر لضعف حالهم وقوي عليهم وأخذ منهم الحسا والقطيف وأعمالها، وذلك لما استولى الفرنج المخدولون على بلدهم وقتلوا سلطانهم الشيخ مقرر بن زامل بن أجود بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري في سنة ٩٢٧هـ.

ثم وليها بعده عمه علي بن أجود نحو شهرين فأخذها منه ابن أخيه ناصر بن محمد بن أجود فأقام بها ثلاث سنين، وأعطاهم بيعاً قطن بن علي بن زامل فأقام فيها نحو سنة، ثم مات فخلفه ولده، ثم عجز عنها ودفعها لعضيب بن زامل بن هلال، وأقام بها نحو سبعة أشهر فأخذها منه بالحرب الشيخ راشد بن مغامس المذكور وولى البصرة لأخيه محمد، وأقام هو بالحسا والقطيف. وخرج الحج منها صحبة الشيخ يحيى ابن أخيه محمد والشيخ مهنا وقاضيه العلامة جمال الدين محمد بن عبد العزيز الشهير بقرق المكي البصري الشافعي وغيرهم من أكابرهم ولحقهم الشيخ راشد في الطريق بعد نصف شهر^(١).

ونفر الحاج من منى في اليوم الثالث يوم الإثنين ثاني عشر الشهر. وسافر سلطان الشرق إلى جهة المدينة الشريفة لزيارة القبر الشريف^(٢).

وفي أخريات عام ٩٣٣هـ عاد الشيخ راشد إلى البصرة بعد الحج مع قافلة حجاج البصرة وتولى الحكم فعلاً بعد وفاة أخيه محمد السلطان كما يرويه الجوزي.

مركز تحقيقات كلية الدراسات الإسلامية

(١) ٩٣٣هـ حج هذه السنة كان في ولاية الأمير تميم بن مغلباي.

(٢) نيل المنى بذيل بلوغ القرى، جار الله بن فهد ٤٢١.

ومن أجداد آل جبر الذين يذكرون في قصائد مدحهم غريب ومقدم والمضا أو أبو المضا أو ماضي، ففي كتاب خيار ما يلتقط من الشعر النبط للحاتم^(١) نجد بيتاً في مدح مجرن ولد عقيب، يقول: ((إلى صبيحي من أولاد المضا، راعي عطايا ما يمن أجزالها))، وقال عامر السمين في مدح قطن بن سيف:

قيسٌ خيار عقيل جملأ كلهم العامري من قيس أوفى مقسما
والى تفاخرت الأصول بعامر فخيرها وأعزها المتقدما
والى المقدم أصلهم آل المضا والى المضا من قيس أوفى مقسما

انتصار الشريف أبي نمي على عرب سبيع في جهة الشرق

٩٣٥هـ ((في يوم الجمعة ١٧ محرم^(٢) جاء الخبر إلى مكة بنصرة الشريف أبي نمي على عرب سبيع قبيلة من بني لام^(٣) في جهة الشرق وأنه واجههم في يوم الثلاثاء وكاد لهم فقتل له مملوك وبعض جماعته وجرح آخرون وقتل من العرب نحو العشرين نفساً وقيل خمسون واضطرب الناس في الخبر وتحققت النصرة وترادفت الأخبار بها))^(٤).

(٤) حاول إبراهيم بن ناصر بن جروان القبض عليه، إلا أنه ابتدره بالهجوم وقتله وانتزع الإحصاء منه. وفي سنة ٨٥٠هـ كانت البلد بيده.

(٥) ٩١٦-٩٢٢هـ.

(٦) حكم لمدة شهرين.

(٧) ٩٢٧هـ - ١٥٢١م.

(٨) حكم لمدة سنة.

(٩) حكم سنة ٩٦٣هـ.

(١٠) ورد ذكر محمد بن جفير بن علي بن هلال في سنة ٩٦٥هـ.

(١١) عجز عنها.

(١٢) ذكرت بعض المصادر تسلسله هكذا كأحد أحفاد السلطان أجود، إلا أن شاعره الخلاوي كان يلقبه بالسيار، ويسميه المنيعي، ويسمى قومه المنيعية، وهنا تقع نقطة الاختلاف، ففي أسماء سلاطين آل جبر لم نجد مثل هذه الأسماء (المنيعي والسيار) أما نقطة الاتفاق بينهم هو أنهم جميعهم يحملون لقب سلطان عقيل.

(١٣) ذكر في سنة ١٠١٧هـ.

(١٤) ذكر في سنة ١٠١٧هـ.

(١٥) ذكر في سنة ١٠٢٦هـ.

(١٦) أمير الإحصاء ١٢٨٧هـ.

(١) خيار ما يلتقط من الشعر النبط للحاتم في ط ٣/١٩٨١م ج ١ ص ٥٦.

(٢) يوافق ١ أكتوبر ١٥٢٨م تقريباً.

(٣) راجع سنة ٩١٢هـ ولاحظ قولنا عن التحالف اللامي.

(٤) نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إنحاف الوري لجار الله بن فهد المكي ص ٤٣٨.

التهديد البرتغالي والتمهدة المغامسية

في أول سنة ٩٣٥هـ أواخر صيف ١٥٢٨م بادر القبطان مندوزا (قبطان هرمز) بإرسال رسالة تهديد إلى السلطان راشد بن مغامس مطالباً إياه بتسليم ما بحوزته من سفن وأسلحة نارية إضافة إلى الجنود الروم (الأتراك)، الذين كان يستخدمهم فحاول السلطان تهدة مخاوف البرتغاليين وكسب ثقتهم، ولكنه فشل أمام إصرارهم وغطرستهم، الأمر الذي أدى إلى إثارة النزاع بينهم استمر بضع سنوات.

إجلاء البرتغاليين من الإحساء بقيادة أحد شيوخ آل جبر

في سنة ١٥٢٩م التي تبدأ بـ ٢٠ ربيع الثاني ٩٣٥هـ تقريباً تمكنت ثورة شعبية في الإحساء من إنهاء النفوذ البرتغالي بقيادة حسين بن سعيد شيخ بني جبر^(١).

تنصل راشد بن مغامس من دعوة حاكم جزيرة هرمز

بعد وصول راشد بن مغامس إلى سدة الحكم حدثت ثورة في المنطقة ضد الوجود البرتغالي فما كان من راشد إلا أن وقف إلى جانب البرتغاليين وأعلن تحالفه معهم، وكان الرئيس شريف في هرمز يكره راشداً ويحاول بسعي حثيث منذ الاضطرابات الأخيرة للانتقام منه وإخضاعه لسلطته، وقد استدعاه إلى هرمز أكثر من مرة بحجة مناقشته في بعض الشؤون المتعلقة بكشوف الحسابات وادّعى بأنه لا يزال في ذمته للملك نحو ٢٠،٠٠٠ أشرفي لم يسدها لخزينة الدولة، غير أن راشداً كان يدرك الهدف من وراء تلك المناورة فرفض التوجه إلى هرمز، وعندما وصل القائد دوم نونو داكنها نائب الملك على الهند إلى مسقط بتاريخ ١٩ مايو ١٥٢٩م الموافق ١١ رمضان ٩٣٥هـ تقريباً حضر الشيخ راشد لاستقباله وشرح له ملابس تلك القضية وأبدى استعداده للذهاب إلى هرمز شرط أن يكون في حماية السلطات البرتغالية الحليفة، فوافق القائد على اقتراحه^(٢).

مركز بحوث تاريخ الخليج العربي

البرتغاليون يوجهون ضربة عسكرية لحليفهم

وفي هذه السنة (١٥٢٩م - ٩٣٥هـ) دخل أسطول تركي للخليج فلم يقابل مقاومة ودية لأن حاكم البصرة كان محالفاً للبرتغاليين في مقابل معونتهم له ضد زعيم مجاور له في بلاد ما بين النهرين، وكان حاكم البصرة قد تعهد بأن يأخذ على عاتقه منع الأتراك من الاتجار هناك إذا عاونه البرتغاليون، فقام القائد ميلشور تافارز دي سوسا بحملة لمساعدته، فزار البصرة وتوغل شمالاً في دجلة والفرات، على أن حاكم البصرة رفض أن يفي بوعوده بإعاقه التجارة التركية، وأبى حسب المعتاد القيام بتنفيذ مساومته فانتقم دي سوسا منه بحرق مدينتين عند مغادرته، وقيل بل أحرق عدة من القرى القصية ثم انسحب^(٣).

(١) القوى السياسية في كوت الإحساء - يوسف جعفر سعادة ط ٩٧ ص ٢٤٧.

(٢) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١٧٠.

(٣) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لونغريك، للعبية جفر خياط ط ١٩٦٢/٣ ص ٤٠ وراجع: السجل التاريخي =

قيام البرتغاليين بهجوم ثانٍ على البحرين

وفي نوفمبر ١٥٢٩م الموافق ربيع الأول ٩٣٦هـ تقريباً قام البرتغاليون بهجومهم الثاني على البحرين بـ (٤٥٥ محارباً) و١٣ مركباً مختلفة الأحجام.

خضوع القطيف للسيادة الهرمزية الخاضعة للسيادة البرتغالية

يبدو أن الإرادة الهرمزية والبرتغالية أبت إلا أن يكون الخليج العربي بأكمله خاضعاً لسيطرتهم ولم تكتفِ ببعض الرسوم التي يقدمها الحاكم بل إن القطيف سقطت في أيديهم، فوق ما تشير إحدى الوثائق المحلية، فإن القطيف كانت في ١٩ ربيع الأول ٩٣٧هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٥٣٠م تحت سيادة ملك هرمز محمود شاه الخاضع للسلطة البرتغالية، وقد استمر حكم مملكة هرمز للقطيف حتى سنة ٩٤٦هـ - ١٥٣٩م تقريباً حيث تشير الرواية البرتغالية إلى أن ملك الحسا مانع بن راشد، قد تمكن من إنهاء الحكم البرتغالي الهرمزي للقطيف^(١).

سيطرة العثمانيين على كل العراق

٩٤٠هـ / ١٥٣٤م في هذه السنة خضع العراق كله للحكم العثماني بعد انتصار سليمان القانوني على الصفويين في بغداد، وكان السلطان سليم الأول قد استولى على شمال العراق منذ أن انتصر على الصفويين في معركة جالديران أغسطس سنة ١٥١٤م رجب ٩٢٠هـ^(٢).
يذكر القائد البرتغالي أفونسو دلبوكيرك أن مدينة بغداد كانت في العادة تابعة لحكام أرمينيا إلى أن استولى عليها الشاه إسماعيل منهم، ثم صارت تابعة للعثمانيين^(٣).

وصول حاج كبير من الشرق فيهم ابن سلطانهم

٩٤٠هـ في صباح يوم ٣ ذي الحجة الموافق ١٥ يونيو ١٥٣٤م تقريباً: ((وصل لمكة حاج كبير من الشرق فيهم الشيخ مبارك محمد ابن سلطانها الشيخ مبارك راشد المسعفي^(٤) ويقال عدد من معه فوق عشرة آلاف نفس... ورخص القماش الهندي بوصوله صحبتهم))^(٥).

= للخليج القسم التاريخي المجلد الأول - لوريمرت ١٩١٤م طبعة جامعة قابوس ص ٦.

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٨٤.

(٢) الممتاز في تاريخ العرب الحديث إعداد صبحي أبوصييح ج ١ ص ١٣.

(٣) السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك المجلد الأول ص ٦٥٣.

(٤) يتضح اضطراب الاسم في هذه الفقرة وكان فيه شيئاً من الغموض ولكن الذي نعلمه أن سلطان الشرق في ذلك الوقت هو راشد بن مغامس المتفقي والله أعلم.

(٥) جار الله بن فهد نيل المعنى بذييل بلوغ القرى ٥٧٦/٢.

وصول سلطان البصرة راشد بن مغامس المنتفقي لمكة

٩٤٢هـ وفيها: ((وصل لمكة، حاج كبير من البحر شاماً ويمناً وكذا من الشرق ومنهم سلطان البصرة راشد بن مغامس المنتفقي^(١) بجمع كبير يقال نحو عشرين ألف نفس وكان دخولهم لمكة في ٧ ذي الحجة^(٢) ونزلوا عند جبل حراء^(٣))).

مسير الشريف أبي نمي لمحاربة عرب سبيع وشيخهم الرويبي

٩٤٤هـ قال ابن فهد: ((سافر صاحب مكة السيد أبو نمي محمد بن بركات الحسني إلى جهة الشرق على نية محاربة عرب سبيع وشيخهم الرويبي وأخفى طلبه لذلك، فأنذر خصمه به فقر منه ولم يلحقه...)).

جفيمان شيخ مطير وسعي شيخ بني حرب بن علي

ثم قال: ((فتوجه - الشريف أبو نمي محمد - من غيظه بحرأ بخيله ورواحله إلى جهة عرب مطير وبني حرب بن علي وشيخ أولهما جفيمان^(٤) والثاني سعي فكبس فريقهم وأخذهم بغتة فكسب مالهم من الخيل والإبل والغنم شيئاً كثيراً. فمن الخيل يقال نحو المائة ومن الإبل والغنم بالآلاف. ثم إن شيخ بني حرب أظهر له الصلح وأنه طائعه فرد عليه تعلقه وغنم الباقي ودخل به مكة وباعه بها^(٥))).

إعلان حاكم البصرة الولاء للعثمانيين

في سنة ٩٤٥هـ الموافق ١٥٣٨م أظهرت عشائر المنتفق الطاعة والانقياد لسلطنة آل عثمان، وذلك بعد أربع سنين من دخول العثمانيين إلى بغداد، وكان حاكم البصرة آنئذ وأميرها ورئيس أمراء عشائر تلك

- (١) نلاحظ أن في الخبرين السابقين ورد اللقب العائلي لسلطان المشرق مرة بالمسعفي ومرة المنتفقي، والصواب هو المنتفقي.
- (٢) الموافق ٢٨ مايو ١٥٣٦م تقريباً.
- (٣) نيل المنى لابن فهد ٢/٦٣٣، وراجع قوافل الحج المارة بالعارض لراشد بن عساكر ط ١/٢٠٠٥ الرياض درة التاج ص ٢٧.
- (٤) المعروف في النصوص السابقة أن جفيمان هو سلامة بن فواز شيخ المفارجة من بني لام، وكونه هنا أصبح أميراً على قبيلة مطير فهذا الشيء يجعلنا أمام عدة احتمالات:
الأول: إما أن قبيلة مطير لامية وجفيمان هو أميرها والمفارجة منهم.
الثاني: أن شيخ بني لام يقود عدة قبائل ومن أهمهم قبيلة مطير.
الثالث: أن جفيمان هذا اسم لشيخ آخر من مطير وليس بالضروري أن يكون جفيمان اللامي.
- (٥) نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الوري لجار الله بن فهد المكي ص (٧٢٨).

الأنحاء كافة، راشد^(١) بك ولد مغامس. وقد جاء في (تاريخ النخبة) أنه في هذه السنة قام بتسليم مفاتيح قلعة البصرة وسائر القلاع إلى وزير السلطان الملقب بمير محمد^(٢).

فقد أرسل راشد بن مغامس وفداً برئاسة ابنه مانع وضم وزيره وقائد جنده مع هدايا كثيرة إلى السلطان وسلمه مفاتيح مدينة البصرة وأعلن - أو أعاد إعلان - خضوعه للدولة العثمانية، فكان ذلك مدعاة لسروره^(٣)، وعلى أثر هذا عهد السلطان إليه بالبصرة على أن يقوم بضرب النقود وقراءة الخطبة باسم السلطان^(٤).

ويرى الأستاذ فاضل بيات في كتابه (دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني) أنه ربما أراد الشيخ راشد من إعلان ولائه للسلطان العثماني جر الدولة العثمانية باعتبارها أعظم قوة برية يومذاك إلى رأس الخليج لتقوم بدور إقصاء النفوذ البرتغالي وكسر الطوق المفروض على تجارة المشرق العربي.

ثم قال: ((تكمُن أهمية إعلان شيخ البصرة ولاءه للسلطان العثماني في أن ذلك يقف دليلاً مهماً على استيلاء القوى المحلية من الظروف القائمة عموماً بما فيها التحالف القائم بين البرتغاليين والفرس... ويلاحظ أن قوى محلية قد حذت حذو شيخ البصرة وأرسلت تطلب حماية العثمانيين. وقد حصل كذلك مع شَيْخِي القُطَيْف^(٥) والبحرين ووالي الحويْزة مبارك بن مطلب^(٦))).

أما الأستاذ علي الشرقي فكان له رأي مغاير حيث يذكر أن راشد بن مغامس بتسليمه مفاتيح البصرة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني متظاهراً بتسليم البلاد ((ما كان إلا مخادعاً، فبدهائه جعل البصرة كرة تدحرجها الحوادث بين الصفويين ومركزهم في شيراز، وبين العثمانيين المنكمشين في بغداد. والشيخ راشد يلعب على الحبلين. أما كرة لعبه فلم تكن إلا مدينة البصرة وكردلان^(٧) والمناوي فقط. وبقية النواحي كانت بيد المتغلبة من العشائر^(٨))).

(١) كان المؤرخ النبهاني وابن غملاس في ذكرهم لهذه الأحداث يستون والي البصرة مغامس بن مانع واسم ابنه راشد والظاهر أن أحدهما ينقل من الآخر، لذلك استبعدت روايتهما لما فيها من التعارض والتناقض مع المصادر الأخرى التي هي أكثر دقة ووضوحاً ومنطقاً، وقد دعت الأمانة العلمية إلى الإشارة إلى اختلاف روايتهم.

(٢) تاريخ المتفق ص ١٢.

(٣) كلشن خلفاً لنظمي زادة مرتضى أفندي تم طبع هذا الكتاب سنة ١١٤٣هـ، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ١٩٩.

(٤) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣ بيروت ص ٤٠.

(٥) كان الشيخ المحلي للقطيف في ذلك الوقت من آل جبر.

(٦) م.دراسات الخليج ع ٤ س: الرابعة ٧٨ - الدور التاريخي للبصرة.. عماد الجواهري ص ٨٦.

(٧) كردلان مرة ترد بصيغة قردلان ومرة بصيغة سقردلان ومرة جيرديلان. وفي سنة ٧١٨هـ ورد ذكر مدينة قنغردلان وهي المدينة الجديدة المسماة بالسلطانية.

(٨) تاريخ المتفق لعلي الشرقي ص ٧٦.

سيطرة العثمانيين على قطر والقطيف والإحساء

١٥٣٨م - ٩٤٥هـ في هذا العام وصلت بعض من قوات حملة سليمان الخادم بعد عودتها من الهند إلى منطقة الخليج العربي وتم استيلاؤها على قطر ثم زحفت منها براً إلى القطيف والإحساء^(١). وذكر بعض المؤرخين أن راشد بن مغامس انتزع القطيف من الإدارة الهرمزية في هذه السنة المذكورة مما يدل على وجود تنسيق مسبق بينه وبين القوات العثمانية القادمة من الهند بأمر من السلطان، فقد زحف السلطان راشد من البصرة باتجاه القطيف في أواخر هذه السنة وهو يقود جيشاً كبيراً ضم في صفوفه نحو ألفين من رماة البنادق من عرب وأتراك فوجد ترحيباً من سكانها وعلى رأسهم وزيرها الذي هو من أمراء الجبور فتحت له الأبواب ودخلها دون أدنى مقاومة واستحق لقب سلطان البصرة والإحساء والقطيف.

انسحاب راشد من أمام أمير بادية القطيف

يقول الدرورة: لقد تفجر صراع دام مفاجئ بين السلطان راشد وزعيم بني خالد^(٢) أمير بادية القطيف في أثناء حصار البحرين دون أن تعرف أسبابه.

وأضاف الدرورة: ويضيف الحميدان: اضطر السلطان راشد^(٣) أخيراً إلى طي راياته والتوجه جريح النفس صوب البصرة حاضرة مملكته ولعله يحس بدنو أجله تاركاً وراءه ولده مانعاً لمعالجة أوضاع الإحساء والقطيف.

ويقول الدرورة: يرجح الحميدان: أن السلطان راشد^(٣) كان موته نتيجة لسقوطه قتيلاً في إحدى معاركه مع بني خالد.

بداية حكم السلطان مانع بن راشد بن مغامس

١٥٣٩م - ٩٤٦هـ يمكن اعتبار هذه السنة هي بداية حكم السلطان مانع ملك الإحساء، بعد اختفاء اسم والده عن مسرح الأحداث، والذي يرى البعض احتمالية وفاته في هذه السنة، وقد استطاع مانع بن راشد الاستيلاء على القطيف.

(١) كتاب بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي ص ١٢٠: ساحل الذهب الأسود ١٤٦، الخليج العربي في ماضيه وحاضره لخالد الغزي بغداد.

(٢) كما قلنا قبل قليل أمير القطيف كان أحد أمراء آل جبر، ولكن هل زعيم بادية القطيف مختلف عن المدينة نفسها؟

(٣) يشير بعض المؤرخين إلى احتمالية وفاة السلطان راشد بن مغامس في هذه الأثناء. والذي بموته قام التنافس والصراع على السلطة بين أمراء الدولة المغامسية من آل راشد بن مغامس وآل محمد بن مغامس مما سبب تصدع وتجزؤ الإمارة وأضعفها، وأذن بدنو أجلها، ويعتبر هذا النوع من التنافس من أكبر الأسباب التي تنهي البيوتات الحاكمة في كل زمان ومكان.

الشريف أبو نمي يعلن الجهاد على البرتغاليين في جدة

٩٤٨هـ في هذه السنة توالى هجمات البرتغاليين على شواطئ العرب، ((وقد استطاعوا أن يتصلوا بجدة التي سورها حسين الكردي في عهد الشراكسة، وأن ينزلوا في مرسى كان معروفاً بأبي الدوائر بالقرب من جدة وكانوا في (٨٥ مركباً) مشحوناً بالرجال والسلاح فتحمس أبو نمي - محمد بن بركات - للقائهم ونادى في أسواق مكة وبين القبائل بالجهاد العام فتطوع الأهلون كما تطوعت البادية فأعطاهم من السلاح ما يكفيهم وخرجوا في جيش جرار إلى جدة حيث قابلوا العدو المغير وصدوه بقوة السلاح عن مينائهم وكان أبو نمي في الصفوف الأولى للمدافعين وقد رثي لابساً درعه شاكى السلاح يتقدم المجاهدين^(١).

توجه مانع للقطف لمحاربة البحرين

توجه ((مانع بن راشد)) ملك الأحساء إلى القطف لمحاربة ملك البحرين محمد الفالي فتوسط بينهما سعد بن عبدالله من سكان الأحساء فأضيا هدنة.

إلا أن ملك الأحساء جمع عدداً كبيراً من المحاربين وعاد للاستقرار بالقطف وعندما علم بعض أصحابه إن بنيته محاربة مسلمي البحرين فروا بأنفسهم وأولادهم وعائلاتهم وكان أول هؤلاء محمد بن رحال وذويه، توجه للبحرين وكذلك محمد بن مسلمة وصحبه وقومه رغم أنه من الأحساء.

تعرض مانع لمجوم في أطراف البصرة وعودته للأحساء

ولما رأى السلطان مانع بن راشد تلك المعارضة من أصحابه عندما أراد الحرب ضد البحرين وحاكمها الهرمزي محمد الفالي، انتقل إلى البصرة التي كان يحكمها في ذلك الوقت ابن عمه عثمان بن محمد بن مغامس، وبينما هو مخيم في جوابها، هجمت عليه أعداد كثيرة من سكانها وهزموه وقتلوا عدداً كبيراً من قواته، بينما تمكن هو من الفرار على ظهر فرسه وذلك بعد أن تعرض لجروح بليغة وعاد للأحساء.

وفاة الشيخ عثمان بن محمد وتنصيب ابنه الصبي محمد

وبعد أن عاد السلطان مانع إلى الأحساء مهزوماً، واستطاع جمع عدد كبير من الرجال ضمنهم أعراباً كثيرين، حيثئذ وصله خبر موت ملك البصرة الذي كان أحد أقاربه (يدين للأتراك) أي أن أحد أقارب ملك البصرة يدين للأتراك، وخلفه صبي صغير فتوجه مانع للبصرة يريد استخلاصها لنفسه من يد الصبي محمد ابن عثمان^(٢).

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٤٧ وراجع خلاصة الكلام ٥٢.

(٢) محمد بن عثمان بن مغامس سيرد ذكره في معكال.

استيلاء الشيخ مانع بن راشد على البصرة

وفي أواخر سنة ٩٤٩هـ الموافق لمارس ١٥٤٣م تقريباً وافت الأخبار الشيخ مانعاً بوفاة الشيخ عثمان بن محمد الفضلي حاكم البصرة وتنصيب ابنه محمد خلفاً له رغم صغر سنه فما كان من مانع إلا أن انتفض مجدداً ونسي كل ما عاناه من نكسات وأخذ في حشد أتباعه وتنظيم صفوفهم بصورة أفضل.. ولما وصل إلى البصرة فتح له أعيان المدينة الأبواب.

تواطؤ خصوم الإمارة المغامسية مع حاكم البحرين الهرمزي

توحد الإمارة المغامسية أثار حسد خصومهم في الداخل والخارج فوضعوا كل إمكاناتهم تحت تصرف حاكم البحرين محمود الفالي لكي يلحق الأذى بالشيخ مانع فقام بهجوم مباغت استهدف السفن الراسية بالقطيف مما أثار الشيخ مانعاً فأمر بالاستيلاء فوراً على سفن أهل البحرين الراسية بالبصرة وشط العرب ومصادرة حمولتها، فاستغل حاكم البحرين محمد أو محمود ذلك وهاجم القطيف بحيث أحرق ١٥٠ مركباً له، وفي نهاية المطاف قام أعيان المدينة بعد أن استأثروا من تصرفات الشيخ مانع بحق تجار البحرين وطرده من مدينتهم وهو لم يكمل عامه الأول، وعينوا عوضاً عنه أحد أقاربه المسمى الشيخ يحيى بن محمد بن مغامس وأرغم السلطان مانعاً أن يقبل اقتسام المملكة مع أبناء عمه حيث تكون الإحساء والقطيف من نصيبه والبصرة من نصيب ابن عمه يحيى بن محمد الذي بادر إلى إعادة سفن البحرينيين المصادرة إلى أصحابها وعرضهم عما فقدوه من مال وأضرار^(١).

يذكر الدكتور فاضل بيات: أن مانع بن راشد ((اضطر إلى التنازل عن موقعه - في حكم البصرة - ليحيى شيخ بني أمان Aman. وقد رفض هذا الأخير الخضوع للعثمانيين فأعلن تمرده إلا أن حركته قمعت من قبل العثمانيين))^(٢).

المساعدة في استرجاع البصرة مقابل تسليم القطيف

٩٥١هـ في هذه السنة اتصل مانع بن راشد بن مغامس بالقائد البرتغالي في هرمز لويس يطلب منه المساعدة على قتال العثمانيين فوافق شريطة تخليه عن القطيف لهم وهناك لم تجد الدولة العثمانية بُدّاً من أن تحكم المنطقة حكماً مباشراً، وهذا ما سيحركها في سنة ٩٥٣هـ

في شعبان ٩٥١هـ الموافق نوفمبر ١٥٤٤م بعث الشيخ مانع برسالة إلى لويس فلكاو بريرا قبطان هرمز الجديد يعبر فيها عن رغبته في صداقة ملك البرتغال وحرصه على توثيقها واستعداده لتسليم القطيف إليه على أنه يأمل في المقابل أن يمدّه ملك البرتغال بالدعم العسكري المؤثر لكي يستطيع استرجاع عرشه الذي اغتصب منه بالبصرة.

(١) راجع تاريخ الاحتلال البرتغالي للإحساء لعلي الدرورة.

(٢) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣ بيروت ص ٤٠.

فقام القبطان بإرسال مبعوث برتغالي إلى الشيخ مانع حاملاً إليه رد القبطان إضافة إلى تكليفه بجمع المعلومات العسكرية عن المنطقة وقابل الشيخ مانعاً وعرض عليه الشروط التي يراها القبطان لدعمه عسكرياً من استعادة عرشه وكانت الشروط تتلخص في فقرتين:

أولهما: ضرورة تسليم القطيف قبل الشروع بتقديم الدعم العسكري المطلوب.

ثانيهما: أن يتعهد الشيخ مانع بدفع مبلغ معين من المال في كل عام إلى خزانة مملكة هرمز بعد استعادة عرشه^(١).

وهذه مقتطفة من رسالة القبطان إلى ملك هرمز مؤرخة في ذي القعدة ٩٥١ هـ الموافق فبراير ١٥٤٥ م تقريباً: ((وصلتني قبل بضعة أيام رسالة من ملك الإحساء الشيخ مانع يعبر عن رغبته في صداقة مولاي ويبين أنه لم يقم بالاستيلاء على القطيف إلا من أجل تسليمها إليكم ويطلب الدعم والمساعدة ضد البصرة لأنه ملكها الشرعي...)).

سقوط القطيف أمام حملة برتغالية هرمزية

في آخر رسالة قرأناها من القبطان البرتغالي إلى قيادته في هرمز قبل نحو ثمانية أشهر كانت توضح أن العلاقات بين البرتغاليين وبين مانع بن راشد منسجمة للوصول إلى هدف مشترك يتمثل في أن يسلم لهم مانع القطيف، ثم يقومون هم بمساعدته في إخضاع البصرة وإعادتها لحكمه، ولكن يبدو أن هناك ثمة تطورات جرت لم تكن في صالح هذا التحالف الوليد.

فبعد ثمانية أشهر تقريباً من آخر رسالة، أي في رجب ٩٥٢ هـ الموافق سبتمبر ١٥٤٥ م: أعدت حملة مشتركة لغزو القطيف ضمت (٢٠٠ برتغالي و٧٠٠٠ من الفرس والعرب) بقيادة سوزا والرئيس نور الدين ابن شرف الدين الغالي، وبناء على ما ورد في وثيقة برتغالية بتاريخ ١٥٤٥/١١/٢٠ م (منتصف رمضان ٩٥٢ هـ) جاء خبر قيام الحملة المشتركة بقيادة ~~برنالدو دو سوزا~~ كاتب الوثيقة وحوالي ستة أو سبعة آلاف فارسي وعربي تحت رئاسة نور الدين بن شرف التابع لملك هرمز، وغادرت الحملة من هرمز وتوقفت في البحرين قليلاً لجمع قطع الأسطول ولاستكمال معدات الحصار. ثم توجهوا لميناء القطيف ورسوا عند شاطئه ليلاً فواجهتها القوة المرابطة هناك (٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ مقاتل كانوا في المدينة)، قتلوا حوالي ثلاثين أو أربعين فارسياً من فرقة كاتب الوثيقة ((سوزا)) وجنديين برتغاليين ويذكر أن خسائر المدافعين كانت أكبر مما اضطرهم إلى الانسحاب بعد قتال شديد ومنهك استغرق أربعة أيام ومعهم أهالي المدينة. وبعد قصف متواصل للقلعة تم اقتحامها على وجه السرعة لورود أخبار عن مقدم مانع بن راشد من الإحساء على رأس قوات ضخمة قوامها ١٤٠٠٠ أو ١٥٠٠٠ مقاتل وعدد كبير من الفرسان وحاملي الأسلحة النارية إضافة إلى الهجمات الخاطفة التي كانت تشنها القوات المدافعة المنسحبة من المدينة.

أما الشيخ مانع بن راشد ما إن علم بالأمر حتى حشد قواته على جناح السرعة وسارع يحث الخطى نحو القطيف وحينما علمت القوة البرتغالية باقتراب الشيخ مانع من القطيف سارعت بالانسحاب مخلفة

(١) تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف لعللي الدروسة.

وراءها القوة الهرمزية بقيادة الرئيس نور الدين الفالي وما إن وصل الشيخ مانع بن راشد إلى مشارف القطيف حتى علم بسقوطها بأيدي الغزاة البرتغاليين والهرمزيين ومن ثم كر راجعاً من حيث أتى.

اختفاء اسم السلطان مانع بن راشد من ساحة الأحداث

بعد أن فقد مانع القطيف في سنة ٩٥٢هـ - ١٥٤٥م عاد أدراجه إلى الأحساء وهو محتفظ بقوته وبحكم الأحساء وفي خلدته أنه ربما يسترجع القطيف من جديد بعد أن تنسحب الحملة البرتغالية. ولكن مع هذا اختفت أخبار مانع بعد ذلك من الأحساء والبصرة، وورد ذكر زعيم آخر من آل مغامس بعد تلك الفترة بخمس سنوات يتحالف مع البرتغاليين ويشارك في حملتهم على القطيف سنة ٩٥٧هـ - ١٥٥٠م ثم ينقطع أي ذكر لآل مغامس في منطقة الأحساء مؤقتاً.

سقوط آخر أمراء آل مغامس في البصرة يحيى بن محمد

بعد أن سقط حكم آل مغامس عن القطيف في سنة ١٥٤٥م سقط حكمهم عن البصرة أيضاً في سنة ١٥٤٦م حيث تذكر المصادر التاريخية أن السلطان سليمان القانوني طالب الشيخ يحيى حاكم البصرة بإعادة بعض الأشخاص المطلوبين من قبل العثمانيين والذين فرّوا إلى البصرة إلا أن يحيى لم يكثر بهذا الطلب، وبهذا أصبح كمن يدعو القوات العثمانية للتحرك نحوه.

وفي رسالة أرسلها بكربكي بغداد إلياس باشا إلى حاكم الجزائر ((إلى الشمال من البصرة)) علي بن عليان التبعي الطائي في هذه السنة ١٥٤٦م يتوضح لنا شكل السياسة الجنوبية للدولة العثمانية:

((منذ مدة طويلة تربطنا وإياكم علاقات ودية كبيرة وإننا على مقربة من بعضنا البعض ويرد الكفار - أي البرتغاليون - من مختلف المناطق بشكل مستمر وبأمان وطلب مني السلطان سليمان قبل أيام أن أتوجه إلى البصرة وأقوم بفتحها وأتوجه منها إلى هرمز والهند ومحاربة البرتغاليين الضالين وإنهاء جميع إداراتهم والقضاء عليهم. وقواتي على وشك التحرك وسنأتي عن طريق زكية ونملك كل المستلزمات من مدافع كبيرة وسفن وكل ما يلزم الجند وسنلتقي في القرنة ومنها سننطلق للسيطرة على البصرة عن طريق النهر والبر)).

وبعد أن تلقى إلياس باشا أمر التحرك نحو البصرة قام بتسيير أسطول مكون من ١٢٠ سفينة إلى زكية سلم قيادته إلى سنجق بكلي (أمير سنجق) الموصل كما أرسل القوات البرية تحت إمرة علي الذي يتسبب إلى أسرة ذي قدر. وعندما وصلت هذه القوات إلى القرنة سيطرت على قلعة (عجلة)^(١).

وقد زار إلياس باشا في طريقه الروضة الرضوية لفتح خير^(٢)، وفي هذه الظروف رفع شيخ آل قشعم راية التمرد.

حاول ابن عليان حاكم (المدينة) بمنطقة الجزائر صد هذه القوات إذ سار على رأس ثلاثة آلاف من أتباعه المقاتلين إلى العثمانيين إلا أنه انهزم كما انهزمت أمام العثمانيين القوات الواردة من أطراف البصرة

(١) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني أ.د. فاضل مهدي بيات ٢٠٠٣ بيروت ص ٤١.

(٢) يقصد بفتح خير علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وهذه القوات هي بالتأكيد كانت تحت إمرة الشيخ يحيى الذي كان يتحكم بالبصرة، الأمر الذي أدى إلى هروب المدافعين عن البصرة، فبقيت المدينة دون دفاع فدخلها العثمانيون بقيادة إياس باشا في ٢١ شوال ٩٥٢هـ ٢٦ ديسمبر ١٥٤٦م.

ويقول النبهاني الذي كان لا يزال يسمى حاكم البصرة في تلك الأثناء براشد بن مغامس: ((ومن ثم هرب الشيخ ابن مغامس إلى نجد فأراً))، وطبعاً الذي فر إلى نجد متوارياً هو يحيى بن محمد بن مغامس حاكم البصرة، والصبي محمد بن عثمان بن محمد بن مغامس وليس براشد.

وبينما يذكر الوهبي أن سيطرة العثمانيين على البصرة كانت في ٢١ شوال ٩٥٣هـ ١٤ ديسمبر ١٥٤٦م^(١) يذكر نظمي زادة أن تحرك والي بغداد إياس باشا كان في بداية سنة ٩٥٣هـ. وقد انشغل إياس باشا بتنظيم شؤون البلدة وأعلن أهالي واسط والجزائر الخضوع والطاعة، ثم انتقل من وظيفته في بغداد وحل محله هاد باشا^(٢).

دخول العثمانيين للإحساء ورافقهم عبدالله بن مانع بن راشد

بعد استيلاء العثمانيين على البصرة اتجهوا لاحتلال الأحساء، وأشارت الرواية البرتغالية إلى أن سيطرة العثمانيين على الأحساء تمت بواسطة قوات عثمانية اتجهت من البصرة إلى الأحساء عن طريق البر، وذلك بتعليمات من محمد باشا أمير إيالة البصرة، وتشير إحدى الوثائق البرتغالية إلى أن الشيخ عبدالله ابن حاكم الأحساء السابق (مانع آل مغامس) كان مرافقاً لتلك منذ تحركها من البصرة. وأنه قام بدور مهم في سرعة تحرك الحملة وتهيئة المناخ لها عند وصولها للمنطقة.

ومن المحتمل أن عبدالله كان ضمن القوى المحلية التي ناصرت العثمانيين أثناء صراعهم مع الشيخ يحيى في سبيل الاستيلاء على البصرة، خاصة أن يحيى كان منافساً قوياً لمانع والد عبدالله، ونجح في عزل مانع عن زعامة البصرة والتولي بدلاً عنه^(٣).

قرار العثمانيين تسليم القطيف لعبدالله آل مغامس

في رسالة من مانوئيل قبطان هرمز إلى دي كاسترو نائب ملك البرتغال في الهند بتاريخ يوليو ١٥٤٧م الموافق جمادى الثانية ٩٥٤هـ ذكر: إن محمد باشا قرر الاستيلاء على القطيف وتسليم حكمها لأمير عربي والمقصود به هو الشيخ عبدالله (عبيدالله) بن مانع.

عودة القوات العثمانية إلى البصرة

بعد أن تمكنت القوات العثمانية من بسط سيطرتها على الأحساء سنة ٩٥٤هـ ١٥٤٧م عاد جزء كبير

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ١٣٢.

(٢) كلشن خلفاً لنظمي زادة مرتضى أفندي تم طبع هذا الكتاب سنة ١١٤٣هـ، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٢٠١.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ١٣٢.

منها إلى البصرة في حين تم تعيين الشيخ عبدالله بن مانع أميراً على الحسا من قبل العثمانيين، وترك تحت تصرفه (١٥٠) عسكرياً عثمانياً وذلك لتعزيز سلطتهم في الحسا، ولحفظ الأمن والنظام، وتشير المصادر التاريخية بأن تلك القوة العثمانية من الأتراك المرتزقة الذين استأجرهم الشيخ عبدالله لمساندته وأنها فيما يبدو من طائفة المتطوعة أو المتفرقة التي كان يتم تجنيدها لحماية الأمير وفرض النظام، وأن تلك القوة رابطة في قلعة الهفوف قاعدة المنطقة^(١).

أخذ قوافل عنزة على اللصافة

في سرد المؤرخ ابن بسام لأحداث سنة ٩٥٣هـ يذكر تعرض قوافل عنزة الخارجة من البصرة لهجوم على اللصافة استولت فيه هتيم وزغب وسبيع على قوافلها التموينية^(٢)، ويعد هذا الخبر من الأخبار النادرة عن قبائل المنطقة الشرقية الذي نتعرف من خلاله على بعض منها.

عنزة تغزو العوازم وزغب على ثاج

٩٥٥هـ / ١٥٤٨م في هذه السنة ((صبحوا عنزة العوازم وزغب على ثاج^(٣) وأخذوهم وقتلوا منهم عدة رجال))^(٤).

وقوع القطيف والإحساء تحت الحكم العثماني المباشر

٩٥٧هـ قرر المجلس الوطني السلطاني باسطنبول التحول من سياسة التهدة مع البرتغاليين إلى سياسة المواجهة الشاملة، فوصل إلى البصرة سعيد بن أحمد بن عبدالله cide amede Bedola أحد أعيان الإحساء وأعلن بصفته الشخصية وبوصفه ممثلاً للأهالي والأعيان عن مساندته للجهود العثمانية المعدة لطرد البرتغاليين من القطيف والبحرين ومبدأ استعداد المسبق للإسهام في الحملة بإمكانياته المالية والبشرية، وكانت هذه الثورة الكبرى التي أثارها أهل القطيف بالتعاون مع شيخ الإحساء عبدالله بن مانع^(٥) الذي كانت له صلة وثيقة بالعثمانيين وله موقف واضح ضد البرتغاليين وحلفائهم في القطيف والبحرين. وتوجهت القوات العثمانية الإضافية بقيادة محمد بيك إلى الحسا بتأييد من أهالي الإحساء وتنسيق

(١) المصدر السابق ص ١٣٤.

(٢) تحفة المشتاق، مخطوطة بيد صاحبها ابن بسام ت ١٣٤٦هـ تقريباً.

(٣) قال الكولونيل لويس بيلي في رحلته التي قام بها عام ١٨٦٥م ١٢٨١هـ: حكى لي صبحي عن خرائب حصن يسمى ثاجاً... وذكروا أن ثاجاً كانت في الأيام السالفة المدينة الرئيسية في الإحساء، وبأنها كانت مشيدة بالحجارة البيضاء الكبيرة، وأضافوا أن أساساتها ما زالت يادية للعيان على طول يناهز الميل وعرض نصف الميل تقريباً. وما زالت بالجوار توجد بعض الخرائب وآبار ماء. ويبدو بعد ذلك أن بلدة كبيرة ومزدهرة تسمى Dua قد قامت مؤخراً على مقربة من ثاج.

(٤) تحفة المشتاق، مخطوطة بيد صاحبها ابن بسام ت ١٣٤٦هـ تقريباً.

(٥) القوى السياسية في كوت الإحساء-يوسف جعفر سعادة ط ٩٧ ص ٢٤٧.

مسبق معهم. وتشير المصادر إلى أنه قد تم عزل محمد باشا Mamede Baxa أمير أمراء إيالة البصرة، وتكليف بيرم بيك Barom Beqe أحد أمراء ألوية إيالة البصرة بإدارة الإيالة مؤقتاً ريثما يصل قباد باشا Cobade Baxa أمير أمرائها الجديد وتم توزيع تلك القوات على عدد من المواقع الداخلية في الإحساء^(١).

وفي هذا الوقت قامت القطيف بطرد حاكمها واستنجدت بالأتراك الذين في البصرة لحمايتها من البرتغاليين^(٢)، فتحركت في صيف ١٥٥٠م أواخر سنة ٩٥٧هـ من البصرة حملة بحرية عثمانية بقيادة مراد بيك، مكونة من ست سفن فوستا Fusta على متنها حوالي (٢٠٠) جندي وقامت بمحاصرة القطيف عن طريق الساحل، بينما تولت قوة عثمانية بقيادة أمير الإحساء عبدالله بن مانع قادمة من (موقع قريب) قوامها (٥٠٠) مقاتل بمهاجمة المدينة ومحاصرتها من البر، وقام العثمانيون بإمداد الشيخ عبدالله برماة البنادق وإسناده بقوة بحرية ويبدو أن ذلك قد تم وفق تخطيط مسبق مع أهالي القطيف، مما أقنع حاكم القطيف التابع للبرتغاليين بعدم جدوى المقاومة وتكللت الخطة بنجاح غير متوقع نظراً لقيام وزيرها بتسليمها ومغادرة المدينة، وقام الأهالي المتذمرون من حكم البرتغاليين وتعسف قادتهم بتسليم قلعة المدينة للقوات العثمانية^(٣). وقد أعقب ذلك قيام الرئيس مراد قائد القوة البحرية العثمانية بتولي مقاليد السلطة في المدينة مباشرة مما يعني تجاهله للشيخ عبدالله بن مانع الفضلي وأحقته بحكم القطيف لاسيما وأنه بذل جهداً كبيراً ورئسياً من أجل الاستيلاء عليها فكان طبيعياً أن ينسحب إلى الإحساء ويقطع صلاته بهم^(٤). ويبدو أن تصرف مراد بك غير مرض للأهالي حيث إن أهل القطيف أخرجوه بعد ذلك وتعقبوه إلى شط العرب^(٥)، ويذكر أن الزعيم المغامسي عبدالله بن مانع قد تحالف مع البرتغاليين في حملتهم على القطيف في سنة ٩٥٧هـ، ثم انقطع أي ذكر له بعد هذه الحادثة^(٦).

محمد باشا (فاتح باشا) أول حاكم عثماني على الإحساء

ذهبت القطيف من يد آل مغامس وهما هي الإحساء هي الأخرى تذهب من أيديهم بعد أن عُيِّن محمد باشا (فاتح باشا) حاكماً عليها وهو يعتبر أول أمير يتم تعيينه حاكماً على الحساء، من داخل المؤسسة الإدارية العثمانية، وقد عين محمد بك في البداية بصفته أمير لواء الإحساء (الحسا سنجاغي بكي) ثم تم ترفيعه إلى رتبة أمير أمراء (بكلربكي) ومنح لقب الباشوية وهو على رأس العمل في الإحساء وذلك إثر تحول الحسا في التنظيم الإداري إلى إيالة (الحسا إيالتي) سنة ٩٦١هـ ١٥٥٤م^(٧).

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ١٣٤ - ١٣٧.

(٢) قرون من تاريخ العراق الحديث: لونكريك، للعربية جفر خياط ط ٣/ ١٩٦٢ ص ٤١.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ١٤٦.

(٤) تاريخ الاحتلال البرتغالي للإحساء لعلي الدرورة.

(٥) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لونكريك، للعربية جفر خياط ط ٣/ ١٩٦٢ ص ٤١.

(٦) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي.

(٧) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٢١٤.

العثمانيون ينتقمون من أهل القطيف بمهاجمة مسقط!!

بعد أن احتل مراد بك القطيف وأخرج أهله وتعبوه إلى شط العرب، قام الترك بمجازاة أهل القطيف بسبب إخراجهم لمراد بك، بأن غزوا مسقط وقسم وهددوا هرمز، فقطع رأس هذه الحركة ببرك في استانبول. ولم يستطع خلفه مراد بك أن ينجز شيئاً، وقد دحر قائد بعده يدعى علي جلبي في موقعة سنة ١٥٥٣م (٩٦١هـ) على أن التهديدات بقيت موجهة نحو المراكز البرتغالية^(١).

نزوح بعض أهل القطيف إلى أوال بسبب النعرة الطائفية التركية

يقول صاحب كتاب ساحل الذهب الأسود: ((يبدو أن الأتراك أبدوا نعرة طائفية بعد استيلائهم على القطيف فنزح كثير من أشرافها إلى جزيرة أوال وعلى رأسهم آل مقلد من بني وائل ومنهم شيخ القطيف الأكبر أبو علي عبدالله بن ناصر بن حسين بن مقلد المتوفى سنة ٩٩٩هـ)). وفي أثناء مسح وتعداد سكان لواء القطيف سنة ٩٥٩هـ تمت الإشارة في نهاية ذلك المسح إلى أن بدو عرب طائفة ذلك اللواء هم طائفة العماير: ومنهم: جماعة آل ماجد شيخهم شبيب والشيخ عساف، جماعة آل مبارك شيخهم علي بن غانم، جماعة آل مانع شيخهم قاسم بن شبلي، جماعة آل أبي الدلف^(٢)، جماعة آل توبة شيخهم سالم بن راشد، آل مفدع، وكذلك طائفة آل نقيان ومنهم: جماعة آل علي شيخهم موسى بن محمد، جماعة ابن يزيد^(٣).

تقسيم البصرة إلى ثمانية سناجق وثلاث نواح

في سنة ١٥٥٢م تحولت البصرة إلى إيالة (ولاية) عثمانية، وقسمت إلى ثمانية سناجق، وثلاث نواح، وهذه السناجق هي: البصرة (مركز الإيالة)، شرش، غراف، صدر سويب، زكية، محرز، قبان^(٤)، قطيف. والنواحي هي: عشار، ناحية شمال خلق^(٥).

الغارات البرتغالية تدمر القطيف وتصل البصرة

٩٥٩هـ - ١٥٥٣م يبدو أن القطيفيين كانوا ثوريين إلى درجة أنهم كلما وُلِّيَ عليهم حاكم ليس منهم قاموا بطرده، فبعد طردهم للحاكم التركي مراد بك قاموا أيضاً بالتنسيق مع الأتراك بطرد الحاكم الهرمزي الذي عين بعد أن سقطت بلادهم في يد البرتغاليين، ولهذا السبب استاء حاكم جزيرة هرمز، بسبب طرد الحاكم الهرمزي على القطيف الذي قام بمناشدة البرتغاليين بمساعدته، فجهز في الهند أسطولاً مؤلفاً من

(١) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لونكريك، للعربية جفر خياط ط ٣/١٩٦٢ ص ٤١.

(٢) بالنسبة لجماعة أبو الدلف: فقد ذكر فضل الله العمري في زمنه بأن صدقة بن إبراهيم بن أبي دلف الأمير الحالي لبني مانع بن عصفور أو على أنهم أبناء عمومته وذكر أنه من أمراء المرتبة الأولى في المخاطبات وقد ذكرناه في موضعه من الكتاب.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٣٣٨ نقلاً عن طابو دفتری ٢٨٢ ص ٣٤٠، أوائل رجب ٩٥٩هـ.

(٤) قبان: تقع على المصب الرئيسي لنهر الكارون وهي سوق تجارية هامة، ومركزاً لمنطقة مروية جيداً.

(٥) م. دراسات الخليج: ٣٥٤ السنة التاسعة - التنظيمات الإدارية العثمانية في إيالة البصرة، علي شاکر علي ص ١٢٩.

١٩ سفينة تقل (١٢١٠) رجال بقيادة أنطونيو دي نورها وأرسل إلى القطيف واستطاعت الحملة البرتغالية بمؤازرة حملات الموالين لشيخ هرمز أن تطرد الأتراك من القطيف بسرعة^(١)، بل وتدمير المدينة وتسويتها بالأرض^(٢)، إذ قام المهاجمون بأعمال انتقامية إذ عمدوا إلى هدم الحصون والقلاع ثم منها توجهوا إلى البصرة، لكن قائد الأسطول البرتغالي خشي الخيانة فلم تطل إقامته في البصرة^(٣) وقيل خدعهم واليها الباشا وأقنعهم بالرجوع.

الحملة العثمانية الثانية على الأحساء

٩٦٠هـ - ١٥٥٣م: ذكر في أواخر هذه السنة قيام حملة عسكرية عثمانية ثانية على الأحساء بقيادة محمد باشا ونجحت هذه الحملة في احتلال الأحساء، وذكر الأستاذ علي الدرورة أنه لم تتوافر أية معلومات بخصوص الحملة العثمانية أو تاريخها أو الأحداث التي رافقتها إضافة إلى موقف حاكمها الشيخ عبدالله (عبيدالله) بن مانع بن راشد الفضلي لكن من المرجح أنه اتجه إلى اليمامة حيث ممتلكاتهم في معكال^(٤).

تعيين مسعود بن حميد أميراً على بعض بلاد العارض ونجد

عندما احتلت القوات العثمانية الأحساء وفرضت سيطرتها على جميع أنحاء المنطقة احتاجت إلى تأمين طريق سير القوافل من الشرق إلى الغرب مروراً بالأراضي النجدية، وكان وسط نجد عبارة عن صحاري ممتدة، بعيدة عن الممرات المائية وطرق الملاحة البحرية التي تقل كبار السفن الحربية، وكان من الصعب وضع الحاميات التركية فيها فأرادت ترك هذه المهمة لمن يقع عليه الاختيار من القبائل القوية، لذا وقع الاختيار على فئة آل حميد المتأخمين لمكة المكرمة وتم إنزالهم في وسط نجد لحفظ الأمن في وسط الجزيرة النائي.

وذكرت وثيقة عثمانية تم كشف النقاب عنها مؤخراً مذكلة بتاريخ ١٠ محرم ٩٦١هـ الموافق (١٦ ديسمبر ١٥٥٣م تقريباً) أنه: ((قام العثمانيون عن طريق أميرهم في الأحساء محمد أمير (بك) بتعيين مسعود^(٥) بن حميد أميراً على بعض بلاد العارض ونجد كالعيننة، ومعكال، ومنفوحة، وحريملاء، والقصب، بمبلغ وقيمته (٣٠٠,٠٠٠) أقة، إلا أنه لم يستمر طويلاً بسبب قيامه بثورة على العثمانيين، عندئذ صدرت الأوامر العثمانية للأشراف في هذه السنة ٩٦١هـ بوضع البلاد النجدية من بين الأقاليم التي تكون تحت حمايتهم^(٦))).

(١) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول - لوريمرت ١٩١٤م طبعة جامعة قابوس ص ٦.

(٢) القوى السياسية في كوت الأحساء - يوسف جعفر سعادة ط ٩٧ ص ٢٤٧.

(٣) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول - لوريمرت ١٩١٤م طبعة جامعة قابوس ص ٦.

(٤) تاريخ الاحتلال البرتغالي للأحساء لعلي الدرورة.

(٥) نعتقد أنه مسعود بن ربيعة آل حميد جد الشيخ (براك بن غرير بن عثمان) بن مسعود بن ربيعة آل حميد.

(٦) قوافل الحج العارة بالعارض لراشد بن عساكر ط ٢٠٠٥/١ الرياض درة التاج ص ١٢.

بدء حكم الشريف حسن الذي صارت البلاد النجدية تحت ولايته

٩٦١هـ في هذه السنة تولى الحكم في مكة المكرمة الشريف الحسن بن أبي نمي محمد وكان عمره حينئذ ثلاثون عاماً، وأمه هي فاطمة بنت يسار بن عنقا بن وبير بن محمد بن عطيفة بن أبي نمي محمد^(١)، وفي عهده صدرت إليه الأوامر بأن تكون مسؤولية الأمن في نجد من اختصاصه، فلهذا السبب بلغ اتساع أراضيه مساحة هائلة، فقد ذكر السيد ضامن بن شديم نقلاً عن جده أن الشريف حسن كان يحكم: ((من مكة إلى خيبر شمالاً ثم إلى الأحساء شرقاً وإلى اليمامة وسط نجد إلى العقيق في الجنوب الشرقي من مكة إلى ملل)) وذكر قصيدة تقتطف منها الآتي:

دان الشريفين خوفاً من بواتره	ودان خيبر مع خرج ومعكال
من العقيق إلى جرف العنابس بالجما	الى الجفيمما إلى مهران فالمال
الى الفريش إلى فرش إلى ملل	الى الحنايا إلى بيداء دجال
الى الحسا إلى وادي النقيع الى	يريم به الريم أجوالاً مع أجوال
الى غراب إلى حزم النواعم فالعبلا	الى البويرات أصفى مورد المال
وتارة من حمى الوادي إلى حسن	مع دار شمر بطنان وأجبال

وقد استمر الشريف حسن بالحكم إلى سنة ١٠٠٨هـ حيث تولى ولده أبو طالب، وقد توفي حسن سنة ١٠١٠هـ في فارعة أقصى نجد بعد وصوله إليها بأقل من ٥٣ يوماً فحمل إلى مكة، وقبر بالمعل^(٢).

قطع آل حميد وآل غزي طريق حجاج العراق

٩٦٢هـ على الرغم من أن الأتراك أرادوا من إنزال ابن حميد في نجد وتقويته بالمال والسلاح أن يكون عوناً لهم لا عبثاً عليهم، إلا أن المصادر تذكر أن ابن حميد بعد أن منحته السلطة التركية ثقتها ثار في البلاد ولا تعرف سبب ثورته فلعل لديه من الأسباب ما يبررها، ومن مظاهر هذه الثورة قطعه طريق الحجاج العراقي فقد ذكر الجزيري نقلاً عن بعض خواص حمزة بن إسكندر أمير الحجاج العراقي عن السبب في

= نص الوثيقة الأصلي من كتاب قوافل الحج لابن عساكر: ((عرض محمد بك، لحصنة (الإحساء) بك، بأن القرى التي تعرف بأسماء عينية (عينة) وتعزة (لعلها عرقة) ومعكال ومنفوحة وقصبة وجريمة (حريملاء) في الولاية المذكورة بأن تعطى كسنجاق لشيخ مسعود (سعدون) من الأعراب المشهورين ببني حميد (القاطنين) أطراف مكة المشرفة (وبذلك) فإن العرب الموجودين إلى الكعبة لن يكونوا قادرين على إلحاق أضرار (بالولاية) وقد منح (السنجاق) بـ ٣٠٠,٠٠٠ أفجة)) انتهى. كتبت هذه الوثيقة بتاريخ ١٠ محرم ٩٦١هـ. المصدر: الكندري فيصل، العرب ج ١١، ١٢ الجماديان ١٤٢١هـ ص ٥٣٢.

(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار: لضا من بن شديم ج ١ ص ٥٢٣.

(٢) المصدر السابق.

تأخير الحاج العراقي بالجمل فذكروا ((أن السبب في ذلك عدم الأمن من الطرقات من عربان آل غزي وشخص من مفسدي العربان يدعى بابن عجل ومن ابن حميد من عربان نجد))^(١).

استعادة الجبريين الحكم على يد مقرن بن غصيب

قال أ. خالد بن أحمد الفريدة (باحث آثار سعودي) أن الجبريين استعادوا الحكم لأنفسهم في سنة ٩٦٣هـ على يد مقرن بن غصيب، في ((فترة النزاع بين ابن مغامس والعثمانيين))^(٢). وهذا القول يجرنا إلى احتمالية أن يكون المقصود في النص السابق للجزيري عندما ذكر ثورة عربان آل غزي أن المتزعم لهذه الحركة هو أحد أفراد أسرة آل مغامس لا سيما الموجود في معكال منهم، وأن هذا الزعيم الفضلي جذب ابن حميد وابن عجل إلى صفه في هذه الثورة، التي أراد من قيامها إعادة سلطته على المنطقة. فإذا كانت هذه السنة التي حددها الفريدة على أنها السنة التي استعاد فيها الجبريون سلطتهم على المنطقة فأين نذهب من قول الدكتور عبدالكريم الوهي عندما قال تم ((تعيين مصطفى باشا أميراً لأمرأ إيالة الحسا خلفاً لأمير أمرائها الأول محمد باشا في النصف الثاني من سنة ٩٦٣هـ تقريباً إلى سنة ٩٦٥هـ))^(٣)، ثم ذكر أنه في النصف الثاني من سنة ٩٦٥هـ تم تعيين مصطفى باشا أميراً أمرأ على إيالة الحسا!!، فأين ومتى وكيف حكم الجبريون الإحساء؟

قصيدة الكليف في الأمير مقرن بن قضيب بن زامل بن هلال

قال الصويان في كتابه الشعر النبطي: آخر شاعر من شعراء الدولة الجبرية يصلنا إنتاجه شاعر تكتب بعض المخطوطات اسمه الكليف وبعضها تكتبه الجليف... وقصيدته على وزن الرجز في مدح مقرن ولد قضيب تنيف على مائة بيت:

- | | |
|---------------------------------|---|
| ١- زهت الديار بحسنها وجمالها | واستبشرت بالعز روس رجالها |
| ٢- وبها القلوب اطمأنت بعدما | كثرت وشاة السوف في نزالها |
| ٩- ولي إمام في الديار وقد طمى | بالعلم بحر من بحور ظلالها |
| ١٠- بالعدل وإصلاح العشيرة بعدما | كثرت وشاة السوف بين رجالها |
| ١٤- إلى غريري من أولاد المضا | راعى عطايا ما يمن إجزالها |
| ١٥- شيخ العشيرة مقرن زاكي الوفا | حمال من جل الخطوب أثقالها |
| ١٦- قد شاف بالأعمام ما لا يرتضى | بالدار واقفى زاهد بأعمالها ^(٤) |

(١) درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج للجزيري، إهداء الجاسر ط/دار اليمامة بالرياض ج ٢ ص ١٢٩٠.

(٢) مجلة الواحة السعودية الصادرة ببيروت في ع ٣٠ سنة ٢٠٠٤م ص ١١٥.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهي ص ٢١٥.

(٤) يقول الصويان: ويعلق الحميدان على البيت (١٦) بقوله ((يفهم من ذلك أن بلاد الجبور كانت تحكم من قبل عدد من أعمام مقرن وأن حكمهم كان غير مرضي فحرضه الشاعر على الثورة ضدهم)).

خوف القطيعة بالصديق وقالها
يسعى ويشكي ما جرى في حالها
قطع بأيدي الظالمين أوصالها
من شوفته زريقة يدعى لها
أهل الشروق وغربها وشمالها
وبنى بيوت المجد فوق حلالها
يا ستر بيض قد ذهبن دلالها
وطبيعة تزها بحسن جمالها
نور على نور يصير أذكى لها
ودخوله القالات ما يعبا لها
فالنفس لا بد البلا يفتالها
لو قال هاك من الوعود أثقالها
حده برجوى حيلة يحتالها
شروى سراب طافح في لالها
براقة بالما هيار جالها
فادر إن الأخرى حالها من حالها
وإن قص ما له حيلة يحتالها
نال المذلة دقها وجلالها
فأضرب بحد السيف روس رجالها
وأهل الشروقات استعن بأموالها^(١)
كل البرايا مشتهين وصالها
في موضع ما رامها من نالها
بعد الجمال بأزرى حالها
فالنفس لا بد الإله يسألها
ما هوب محتاج يريد نوالها
إن شحت أولاد العمم بمالها

١٧- متسلل عن ديرته وأصحابه
١٨- حتى بقي الطراش يتعب بينهم
١٩- ويقال ياستر العشيرة قد بقي
٢٠- فأجاب كالحجر القطامي جارد
٢١- حول محل الملك فانقادت له
٢٢- بالسيف حل الدار كره والقنا
٤٤- يابو مبارك لا بليت بسية
٥٦- فإن كنت ذو حلم وعقل كامل
٥٧- فارتد لحكمك من حكومة غيرك
٦٠- والمهلكات إعجاب إمر برأيه
٦٥- وابعد عدوك عن محل نلته
٦٦- واحذر عدوك لو تسيد عندك
٦٨- واحذر عدوك لو صفى لك وجهه
٦٩- يعطيك بالراحات أقوال وهي
٧٠- ويشاشة بالوجه مثل ركية
٧٢- فلي زلفت رجلك وحل بها القضا
٧٣- واعرف بأن الطير سعده ريشه
٧٥- ومن لا ينال معزة برفيقه
٧٦- فإن كنت تبغى ملك هجر صادق
٧٧- واجعل قديمي في محل مقدم
٩٢- الدار شروى زينة معشوقة
٩٣- فإن حازها بعمل غيور حفظها
٩٤- وإن عدت البعل الغيور تلطمت
٩٥- وإلى وليت كن حفي ريف
١٠١- جت من فؤاد ناصح بمحبة
١٠٣- وأنا بحالات الصديق مساعف

(١) أورده الحاتم هكذا: ((واجعل جديمه في محل مجدم،،، وأهل الجنوب فاستعن بأموالها)). راجع: خيار ما يلتقط من الشعر النبط للحاتم في الطبعة الثالثة ١٩٨١م الجزء الأول ص ٥٨.

حرب أمير المدينة مع أبناء عمومته وعدد من القبائل وهجوم الشريف نحو شمر

٩٦٣هـ قال العاصمي: ((في عام ثلاث وستين من القرن العاشر كان أمير المدينة المنورة مانع الحسيني، وكان من أجل الأمراء قدراً وأرفعهم ذكراً، بلغ بمصاهرة موالينا وسادتنا حماة الحرمين محلاً منيفاً رفيعاً وعزاً منيعاً وشوكة قاهرة وحرمة وافرة.

وكانت عادة أمراء المدينة السابقين يسلمون لبني عمهم من السادات بني الحسين ولعربان عترة وضمير ونحوهم مواجب ومرتبات من الأموال الجزيلة والحبوب والأقمشة الجليلة، فمنعهم من ذلك الأمير مانع استخفافاً بهم وعدم مبالاة، فجمع كل من الطوائف المذكورة جماعة وحضر معهم. فأما السادات الأشراف آل نكير فمقدمهم الأمير منصور بن محمد - بن جامع - أمير المدينة المنورة، وابن أميرها سابقاً. وأما السادة الأشراف من آل جماز فمقدمهم أولاد مولانا جماز. وأما طائفة العربان فمقدمهم الشيخ المعروف بأبي ذراع وغيره من أكابرهم.

فلما خرج ركب الحاج المدني على عادتهم أواخر ذي القعدة^(١) وأصبحوا بـ ((وادي الفريش)) صبحتهم الطوائف المذكورة في جمع من الأشراف عظيم، ومن العربان بخيل وركاب مع اللبوس والزانات وأحاطوا بالركب جميعه، وكان في الركب الأفندي الأعظم عبدالرحمن قاضي المدينة، والجناب العالي الأمير محمد بن حسن وشيخ الحرم المدني وأعيان المدينة من وجوه العرب، وسادات بني الحسين، فكان موقفاً شنيعاً، ومنظراً قبيحاً وقع فيه قتل وسلب وطعن وضرب وأهل الركب محرمون والطوائف المذكورة مجرمون.

وسلم أعظم الركب وأعيانه، ثم انفصلوا بعد أن التزم لهم القاضي، وشيخ الحرم المذكوران بحصول مواجبهم وعادتهم، فلما وصل الخبر ذلك إلى الشريف حسن سكت على ذلك مطمئناً خواطر الحجاج، حتى انقضت أيام المناسك. ثم أرسل سرية من الشجعان الفرسان وأمر عليهم السيد عجل بن عرار برسم حماية الركب المدني إلى وصوله المدينة، ثم يستمرون بها حفظاً لها.

ثم بعد ذهاب الحجيج من مكة نادى بالمسير إلى غزو الطوائف المذكورة، فخرج بذاته العزيزة في عسكر جرار.... فلما بلغهم أن الملك المنصور الهزبر المعروف المشهور قصد اللحق بهم على كل حال، شمرؤا نحو شمر، وهربوا إلى رؤوس الجبال، فقصدتهم إلى منازلهم ومساكنهم، وخرب شمر المذكور، لأنه من أمنع مواطنهم ثم قبض على أعيان الطوائف المذكورة الذين شنوا الغارة وكبل أشرافهم بالجنازير الحديد ودخل بهم وهم أسرى بين يديه مدينة جده السعيد^(٢).

(١) أكتوبر ١٥٥٦م تقريباً.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣٧٤.

قال خالد عبدالمنعم العاني: ((بعد أن انقضت مناسك الحج: قام الشريف حسن بن أبي نمي بتجهيز العساكر للحاق بعرب الضمير وعترة التي يقودها أبو ذراع ومن معهم من الأشراف من آل حسين وآل نكير وآل جماز فشمرؤا نحو =

قال الشيخ نور الدين علي الشهير بالجهم يهني الشريف حسن بالظفر في غزوة جبل شمر وإيقاعه ببني لام وذلك سنة ٩٦٤هـ:

- ١- كَيْفَ يَكْفِيكَ مِنْ دَمِ الْأَبْطَالِ ما أسألت لك الظُّبَا والسَّعْوَإِلي
٢٣- وَأَسَأَلْتُ فِي الشَّرْقِ سَبِيلَ نَجِيعٍ سَارَ فِي الْغَرْبِ بِالرَّوَاسِي الثَّقَالِ
٢٤- وَسَبَّحْتُ حِلَّةً وَحَلَّتْ مُحَلًّا قَصَّرَ الْبَدْرُ عَنْهُ فِي الْإِثْصَالِ
٢٥- ما بنو لام ما قبائل نجد ما لقاء الفرسان والأبطال
٢٦- إِنْ هُمْ فِي لِقَاكَ إِلَّا (.....) بمخاليب الأسد والأشبال
٢٧- جَعَلَتْهُمْ بُزَائِكَ الشُّهْبُ طُعْمًا حِينَ مَزَّقَتْهُمْ بِرَشْقِي النَّبَالِ^(١)

غزوة الشريف أبو نمي لبني لام والظفير

٩٦٥هـ فيها ((غزا السيد أبو نمي بن بركات طائفة بني لام والظفير وكانوا أخذوا قافلة المدينة زمن موسم ٩٦٢ فظفر بآل ظفير وقبض على شيخهم (أبو ذراع) وتمزقت طائفته وتشتت بنو لام وتمزقوا كل ممزق في أطراف الحسا وتبع آثارهم وهذه أول غزوة غزاها وحده ومعه أخوه السيد ثقبه^(٢))).

معركة بين عنزة والظفير على المستوي

٩٦٦هـ ((في أيام الربيع على المستوي تناوخت عنزة ومعها فدغم آل مسعود وراجح بن ناشي من شمر مع الظفير بادي الفرم وهذا بن مضيان وجاءت سبيع والسهول لنجدة الظفير وصارت الهزيمة على عنزة وأتباعهم ومات من سبيع المشهور شارع بن جاسر الصيافي وفهد بن سرور المليحي ومن السهول كريوين بن عمهوج شيخ الزقاعين ومن الظفير جمعان بن سويط وشخبوط بن حلاف ومن شمر فدغم آل مسعود وحاضر بن مشهور وخلف بن عقمان^(٣))).

فشل حملة عثمانية في تحرير البحرين بسبب الدعم الإيراني والبرتغالي

(٩٦٦هـ تقريباً) ١٥٥٩م قال لوريمر: ((اتجه أسطول تركي مكون من سفينتين كبيرتين و٧٠ مركباً شراعياً على ظهره (١٢٠٠ تركي وإنكشاري)^(٤) لمهاجمة البحرين. وقام الرئيس مراد الذي كان في مركز

= جبل شمر وتحصنوا في حصن شمر وباقي الحصون في أعالي جبل آجا واستطاع الشريف حسن أن يشتت شملهم ويهدم هذه الحصون ومنها حصن شمر)). راجع آل الجربا ومشاهير قبيلة شمر في الجزيرة العربية لخالد عبدالمنعم العاني - راجعه وقدم له الشيخ عبدالكريم مشعان الفيصل الجربا - الدار العربية للموسوعات ص ٥٣.

(١) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣٨٧، والقصيدة أربعون بيتاً ولكن اخترنا منها هذه الأبيات.

(٢) درر الفرائد المنظمة.

(٣) تحفة المشتاق تحقيق إبراهيم الخالدي.

(٤) الإنكشارية: مهمتها حماية الولايات، وتقيم في القلاع العسكرية والمدن. أصلها يعني شارية ومعناها الحرس =

الحكم هناك باسم شيخ هرمز بطلب النجدة من الشيخ ومن البرتغاليين، وسرعان ما تحرك أسطول برتغالي إلى مكان الأحداث ولدى وصوله قام بمساعدة الرئيس مراد وثلاثمائة فارس مسلحين تسليحاً جيداً بالهجوم على الأتراك الذين كانوا يحاصرون القلعة الرئيسية. فاستدرج الأتراك البرتغاليين إلى كمين وألحقوا بهم خسائر فادحة حيث بلغ قتلهم ٧٠ رجلاً، وأخيراً وبعد تلقي الحلفاء الإمدادات من هرمز اضطرت القوات التركية بالبحرين إلى الاستسلام وسمح لهم بالانسحاب بعد تسليم أسرارهم وسلاحهم وخيلهم ودفع مبلغ عشرة آلاف دوكة^(١).

ثورة بني خالد بزعامة الشيخ سعدون وادعائه بملكية الإحساء

وفيها على قول الوهبي: ((ثار بنو خالد بعد شعورهم بضعف العثمانيين وقلة جنودهم في المنطقة على إثر حملة الإحساء الفاشلة على البحرين وما أدت إليه من أسر حاكم الإحساء مصطفى ومعظم جنوده سنة ٩٦٦هـ/١٥٥٩م وقد تمكن بنو خالد بزعامة سعدون في ثورتهم تلك من الاستيلاء على أجزاء عديدة في المنطقة وجعلوا المبرز مقراً لحكمهم وحاولوا ضم بقية المنطقة والاستيلاء على قلعة الإحساء ولكنهم فشلوا في ذلك))^(٢).

((وكان سعدون حاكم اللواء - لواء الصحراء - قد ادعى ملكية الإحساء ووزع الأراضي على عشائره وأتباعه من البدو بختمه الشخصي وقد وضع يده على بعض القرى والأرياف، وقبض على عثمان حاكم لواء العيون المسؤول عن المقاطعة في غياب حاكمها العام وحسين الدفتردار بالإنابة أثناء مفاوضة سعدون لحل النزاع وطلب (٦٠٠,٠٠٠ أقة) فدية لهما، وأعلن أن الإحساء بأكملها ملكاً له))^(٣).

الأمر بالقضاء على كل من يؤيد أو يتعاون مع سعدون

٩٦٨هـ ٢٢ صفر - ١٤/١١/١٥٦٠م بقول الوهبي: ((جام ضمن وثيقة بهذا التاريخ موجهة إلى حاكم عام الإحساء تتضمن أمراً من السلطان باستمرار سجن كل من عثمان بك وحسين دفتردار وتحصيل ما في حوزتهما من الأموال والأمر بالقضاء على كل من يؤيد أو يتعاون مع سعدون ومن بينهم أغا تكلو الذي حاول برجاله أيضاً إطلاق سراح المسجونين السابقين وإيصالهما إلى جهة سعدون وكذلك سلطان علي أمير لواء القطيف المتفق مع المتمرّد سعدون بن حميد كما يرد تفويض السلطان لحاكم عام الإحساء بما يجب عمله مع أغوات القطيف المتعاونين مع الثائرين والذين أكثرهم من العجم والأجانب، الأمر الذي يعني استمرار ثورة سعدون ومساندة القطيف لها حتى تاريخ الخطاب)).

= الجديد ويقوم هذا النظام على ضريبة الدم أي يقدم رعايا الدولة في أوروبا ضريبة من أبنائهم تقوم على خدمة السلطان والولاء له، يؤخذ الأطفال صغاراً ويربون في البلاط السلطاني تربية عسكرية ودينية.

(١) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول - لوريمرت ١٩١٤م طبعة جامعة قابوس ص ٧.

(٢) بنو خالد وعلاقتهم بنجد.

(٣) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للأستاذ عبدالكريم الوهبي.

ولاية مانع على المدينة بعد عزل جماز

٩٦٩هـ في هذه السنة تم عزل الشريف جماز عن إمرة المدينة المنورة ووليها الشريف مانع، الذي اشتهر بالرفض، وسب الشيخين^(١).

غياب الشريف أبي نمي في الشرق لمحاربة بني خالد

٩٧٠هـ يقول الجزيري: ((انقطع الحج من البصرة سبع سنوات أولها ٩٦٣هـ بأمر من السلطان خوفاً من العدو كما قيل، وذكر لي من أثق به أنه ضبط جمال أهل البصرة وعقيل وبني جبر فكانت ١٧ ألف مطية.

وفي هذه السنة لم يحج الشريف أبو نمي بن بركات ولم يحضر الموسم لغيبته بالشرق، لحرب فئة تدعى بني خالد من طوائف عربان بني لام، ويقال إنه قطع أعناق نحو (١٥٠ منهم) واعتقل بعض أكابرهم، وزينت له مكة في شهر ذي القعدة^(٢).

هوشة بين عقيل من عربان البصرة وقبيلة عدوان في مكة

((وكانت هوشة أيضاً يوم التروية بين عقيل وعدوان وحجز بينهما فعادوا إلى الهوشة يوم السبت عاشر ذي الحجة بوادي محسر المجاور لمنى، سبب ذلك أن عربان عدوان لهم عادة على عقيل (بالضمة والسكون) من عربان البصرة جباية على الجمال وما معهم من المتجر فيقال إن عدوان طلبوا من عقيل عن كل جمل (٢٦ نصفاً) فاجتمعوا بسبب ذلك.. قتل فيها من عقيل نفران ونفر من عدوان^(٣).

ذكر محمد بن علي بن حدجة صاحب الرس

٩٧٠هـ (ذكر ابن بسام): إن محمد بن علي بن حدجة أقام عند بني خالد في عنيزة وصار راعياً عندهم ورزق بأربعة أبناء وصار في غير وقت العمل دائم الجلوس عند بيته فلقبوه أبا الحصين ثم خرج منهم بأولاده واشترى بلدة الرس^(٤).

الأوضاع السياسية في إيالة البصرة

٩٧٢هـ ذكر أن إيالة البصرة كانت في هذه الأثناء تتعرض لهجمات رجال البادية مما دعا بغداد إلى

(١) درر الفرائد المنظمة للحج.

(٢) ذو القعدة ٩٧٠هـ يوافق يونيو ١٥٦٣م تقريباً.

(٣) درر الفرائد المنظمة للجزيري.

(٤) تحفة المشتاق تحقيق إبراهيم الخالدي.

المطالبة ((بإرسال التعزيزات المستعجلة للدفاع عن قلعة البصرة المحاصرة من قبل الأعراب المتمردين الذين عجزت القوات العثمانية في المدينة عن صدّهم)) وذلك ٢٢ شوال ٩٧٢ هـ الموافق مايو ١٥٦٥ م^(١). ومع بدء السنة الجديدة ٩٧٣ هـ في محرم، الموافق ٤ أغسطس ١٥٦٥ م تم تعيين فرح باشا أمير أمراء على البصرة، بعد أن كان يشغل منصب أمير أمراء إيالة الحسا خلفاً لغضنفر باشا المتوفى. وتولى محمد باشا إمرة إيالة الحسا بعد انتقال فرح باشا مباشرة^(٢).

ولاية مظفر بن سلطان على عُمان

٩٧٣ هـ في هذه السنة توفي سلطان بن محسن بن سليمان بن نهبان وتولى الأمر بعده ابنه مظفر بن سلطان، ولم يترك لإخوته رأياً في الأمر إلا أنه لم تطل أيامه فمات وخلف ولداً صغيراً اسمه سليمان لا يصلح للقيام بأمر الملك، وكان فلاح بن محسن عم أبيه مالكاً لحصن مقنيات وقد كان مظفر، عدلاً في ملكه وكانت مدة ملكه عشر سنين ثم مات وملك بعده سليمان بن مظفر^(٣).

احتلال المنتفق للجزائر بقيادة ابن عليان

٩٧٥ هـ على ما يذكر النبهاني فإن في هذه السنة: ((جمع ابن عليان جموعاً من أعراب المنتفق وأعراب الجزائر وسار بهم نحو الجزائر فاحتلها كرهاً فجهز والي بغداد الجنود وساقها نحو ابن عليان تحت قيادة إسكندر باشا، وكذلك حشد والي البصرة عساكره ووجهها نحو المذكور فطردوا ابن عليان))^(٤).

معارك بين الدواسر والفضول

٩٧٦ هـ وفيها ((أخذ الدواسر قوافل الفضول وهي خارجة من الإحساء في العرمة وقتل عدة رجال من الفريقين منهم: فلاح بن مصيخ من شيوخ الفضول. وفيها أغار آل غزي من الفضول على أهل المجمع ففرعوا عليهم ولحقوهم في المشقر...صارت الهزيمة على آل غزي))^(٥).

نشأة بلدة الزبير

في سنة ٩٧٩ هـ-١٥٧١ م كان ابتداء نشأة وقيام مدينة الزبير عندما أصدر السلطان سليمان ابن السلطان سليم الثاني أن يقام فيها مسجد على ضريح الصحابي الزبير بن العوام، فشيّد هناك مسجد

(١) بنو خالد للوهبي.

(٢) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٢٢١.

(٣) عمان عبر التاريخ للسيابي ج ٣ صفحة ١٥٦.

(٤) التحفة النبهانية.

(٥) تحفة المشتاق لابن بسام تحقيق إبراهيم الخالدي.

وأقيمت قبة على ذلك الضريح في شهر رجب من العام نفسه، فأخذ الناس يقصدون ذلك المسجد ويسكنون حذاه وسميت المدينة باسمه (الزبير). وهي قائمة على آثار مدينة البصرة القديمة على مقربة من أرض واقعة الجمل، ويقول صبغة الله الحيدري: البصرة الجديدة تبعد عن البصرة القديمة مقدار ساعتين^(١) ولا أعلم هل يقصد صبغة الله سيراً على الأقدام أم على الدواب.

٩٨٠هـ تناوخ الدواسر، وآل مغيرة على الحرملية مع آل مغيرة آل كثير، وسبيع، والسهول، ومع الدواسر آل مسعود من قحطان، وأقاموا في مناخهم أكثر من عشرين يوماً ثم صارت الهزيمة على الدواسر^(٢).

ذكر أمراء العارض الذين يسيرون الحجاج إلى الديار المقدسة(*)

٩٨١هـ في هذه السنة في الثامن من رجب بعث أمير الإحساء عثمان بكتاب إلى السلطان العثماني يذكر فيه بعض شيوخ نجد (من أمراء العارض) الذين يسيرون الحجاج إلى الديار المقدسة وهم عيسى بن عثمان شيخ قلعة الدلم وإبراهيم بن موسى (بن ربيعة المريدي) شيخ قلعة الدرعية وحسين بن أبي اللوابطة شيخ قلعة السلمية وأحمد بن عطاء شيخ قلعة ملهم وهؤلاء قاموا بتسيير الحجاج سنة ٩٨٠هـ وأجاب السلطان العثماني بتعيين هؤلاء الشيوخ وأن يسيروا الحجاج في الطريق المسموح به.

تعيين سعدون حاكماً على المنطقة بشرط إقامة عشيرته بالإحساء

٩٨٣هـ في وثيقة عثمانية بتاريخ ٢٢ صفر ٩٨٣هـ الموافق ٢ يونيو ١٥٧٥م جاء الآتي: ((إلى إلياس حاكم عام الإحساء، لقد كتب لنا سعدون أحد شيوخ البدو بأنه كان مستقراً في الصحراء ولا يقترب من المناطق المأهولة ولم يقم بالاتصال بأية قلعة تابعة لأي حاكم عام، ولكن بما أنك يا إلياس رجل واضح فإنه أتى لك بكل قبائله وأهله وسلم لك عن طيب خاطر وذلك لأنه يثق في عدلكم وشهامتكم وقد كتبتم لنا بولائه وطلبتم منا أن نعيّنه في المنطقة التي يحكمها أخوه. الأمر: أنيطوا به حكم المنطقة كما عليكم أن تصرفوا لأخيه ٤٠ أقبه في الأسبوع تصرف من الخزينة))^(٣).

قال الوهيبي: ثم جاء في حكم موجه إلى حاكم عام بغداد في ٢٦ شعبان ٩٨٣هـ ٤/١٢/١٥٧٥م أن

(١) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد إبراهيم فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي دار الحكمة ط ١/ ١٩٩٨م ص ١٥٨.

(٢) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت ١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج ٢ ص ٤٨٨.

(*) عن هذا النص الصغير ألف الأستاذ راشد بن عساكر كتاباً يتناول شرح جميع جوانب هذا الخبر، وأسماء (قوافل الحج المارة بالعارض)، وهو كتاب مفيد، وأرى أن المناطق المذكورة تقع في طريق حجاج الإحساء في ذلك الوقت.

(٣) بنو خالد للوهبي.

ابن حميد من أعيان العرب وقد تم توجيه لواء إليه في الإحساء بمائتي ألف أقة في السنة، بشرط أن يقيم في الإحساء مع عشيرته ويقوم بمهمة حفظها وحراستها من أشقياء البدو، وأن سعدون يهمل ويتراخى في أداء واجبه هذا، وقد نص الحكم في النهاية على أن يوجه والي بغداد خطاب استمالة وترغيب إلى سعدون لحثه على القيام بما أسند إليه من واجبات، ومع هذا فلم يتقيد سعدون بتلك التعليمات بل بدا أنه يتمتع بنفوذ واسع يتعدى الإحساء وقدرته على الحركة حتى بغداد في الشمال، إذ بعد أشهر من عودته إلى ولايته ورد خبر من بغداد إلى مجلس السلطان يوضح أن سعدون قد وصل بقومه إلى تلك المدينة وأنه يحاول الحصول على الإمدادات والمؤن. وكان رد المجلس السلطاني أن طلب من بغداد إشعار سعدون بأن راتبه يدفع له في حالة بقاءه مع قومه في الإحساء وليس خارجها^(١).

ويعلق makdville على هذا بقوله: (في الحقيقة لقد كانت الدولة تدفع لسعدون ليعمل على الحفاظ على السلم وسط قبائل شرق الجزيرة العربية وليعمل على منع النهب في الإقليم، وبما أن هذا كان يتفق مع غرض سعدون بأن تكون له اليد الطولى على قبائل المنطقة وكان في نفس الوقت يحقق غرض العثمانيين، فإن كلا الطرفين كان قانعا بهذا التنظيم)^(٢).

توغل بني لام إلى عربستان

١٥٧٥م ((في حوالي هذا العام بدأت هجمات بني لام الذين كانوا قد احتلوا قبل ذلك بوقت قصير المناطق الواقعة بين دجلة والجلال الإيرانية من مندلي وبدره حتى الكرخة، أدت غزوات هؤلاء البدو الرحل إلى إيقاظ الميل الكامن إلى السلب والنهب لدى قبائل الحويزة، وقد عانت المناطق الريفية التابعة لذي قار وشوشتر من هجماتهم، وفي ذلك الوقت ظهر في المراجع لأول مرة تعبير عربستان كاسم لمنطقة الحويزة))^(٣).

٩٨٣هـ في هذه السنة تولى سليمان بن مظفر الحكم بعمان بعد أبيه وهو ابن اثنتي عشرة سنة واستولى على الأمر، وقد حاربه أهل نزوى وكان معهم جبري يقال له محمد بن جيفر وعنده جيش عظيم فتأمر عليه النبهانيون والتفوا عليه من جميع النواحي فقتلوه عليه^(٤).

ويذكر أن سليمان توفي في سنة ١٠١٩هـ عن عمر يناهز السابعة والأربعين، وقد استمر في الحكم لأكثر من ٣٥ عاماً تقريباً، وفي هذه المدة تزوج زوجة محمد بن جيفر الذي قتل على يده هو وعرار بن فلاح بن عبدالمحسن بن سليمان بن نيهان، وناصر بن قطن بن علي بن هلال بن زامل، وهي بنت عمير بن عامر.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٣.

(٣) البدو ج ٤ ط ٢ تأليف أوبنهايم ومساعدية، شبر ص ١٩.

(٤) عمان عبر التاريخ لسالم السيابي ط ٨٢ ج ٣ صفحة ١٥٦.

تصدي ابن حميد لمحمد بن عثمان الذي أعلن أحقيته بحكم المنطقة

٩٨٦هـ - ١٥٧٨هـ شارك ابن حميد أمير لواء البادية ضمن تحالف من قبائل البادية الموالية للعثمانيين في الإيالة سنة ٩٨٦هـ في التصدي لتمرّد قبائل المتفق بزعامة الشيخ محمد بن عثمان (*) الحاكم المحلي للصحراء في ولاية البصرة والذي كان قد أعلن التمرد على العثمانيين وعن أحقيته بحكم البصرة والحسا^(١).

فإثر مساندة العديد من القبائل ومن ضمنها شمر وبنو لام قاد محمد بن عثمان تلك الجموع إلى جهة الأحساء وهاجم العمائر إحدى بطون بني خالد الشهيرة وتمكن من نهبها ثم أعلن عن نواياه وأحقيته بالأحساء وقرر الاستيلاء عليها، وعلى أثر هذا الهجوم قام سعدون بمهاجمة تلك القوات ومطاردتها في الصحراء (عن طريق خيالته) وبعد انضمام مهنا بن خالد حاكم لواء المام إليه ازدادت قوته فتخلت قبائل بني لام وشمر عن حليفهما محمد بن عثمان ونهبت معسكره ثم انضمت إلى قوات مهنا بن خالد، ومع أن محمد بن عثمان قد نجا بنفسه في تلك المعركة إلا أنها حدثت من نشاطه وطموحاته في المنطقة^(٢).

سقوط معكال واعتقال زعمائها ثم تأخير محمد بن عثمان عليهم

٩٨٦هـ قال عبدالملك بن حسين العاصمي عن غزوة معكال: ((برز مولانا الشريف حسن إلى غزو معكال بأقصى البلاد الشرقية لأمر فعلوها، فيها طعن على الدولة الإسلامية، وحسبك السنة النبوية المبرورة: (الفتنة من ههنا) وأشار إلى الجهة المذكورة، فقام مولانا المشار إليه في ذلك حماية لبيضة الإسلام خصوصاً حجاج بيت الله الحرام، وزوار جده محمد ﷺ، فوصل دارهم وقتلهم فيها احتقاراً لهم، وعساكر الإسلام الله يحميها ويبلغها بسعده أقصى آمانيها في جمع كذلك يزيدون على خمسين ألفاً، وطال مقامه فيهم حتى استأصل أهل الدار رجالاً وأموالاً وكل من كان إليهم ألفاً.

...، فلما عاد مولانا الشريف من الشرق سالماً في النفس والأهل والمال، غانماً ملك معكال، وما قرب منه من سائر المحال، ودخل مكة على أجمل الأحوال ومشايخهم بين يديه في الحديد والأغلال، ثم أقاموا في ظل نعمه مدة عام كامل، فطلبوا من فضله وإحسانه الشامل أن يكونوا خدامه في محل سلطانهم وأن يحملوا إليه ما يرضيه كل عام من محصول أوطانهم، فأجابهم إلى مطلوبهم، وأمر عليهم محمد بن عثمان (*) بن فضل حيث لم يبق من بيت سلطنتهم إلا هذا النسل^(٣).

(*) بتقديري قد يكون عمر الشيخ محمد بن عثمان في تلك السنة بحدود الخمسة والأربعين عاماً تقريباً، وذلك لأنه في سنة ٩٤٨هـ عندما كان صبيّاً، عيّن حاكماً على البصرة بعد وفاة والده الشيخ عثمان بن محمد بن مغاس فحكمها لعدة شهور ثم عزل بسبب صغر سنه وبُذِلَ بابن عمه الشيخ مانع بن راشد.

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٤٠٧.

(٢) بنو خالد للوهبي ص ١٣٣.

(٣) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣٧٧.

قال الشيخ عبدالله بن خميس: ويسجل أحد شعراء مكة - محمد بن علي بن إسماعيل الطبري (٩٣٢-١١١٠) هذه الوقعة، ووقعة أخرى في نواحي الخرج بقصيدة يقول فيها:

ويحسب الناس من أهل البديع ومن أهل السليمية الغبراء، ومعكنا
أو (آل خالد) من أهدى ضلالتهم نفوسهم فغدوا هذياً وقرباناً^(١)

غزوة الشريف لسوق الخميس بهذيل وغطفان وعدوان وبني سعد وغيرهم

٩٨٧هـ ((عزم الشريف حسن في هذه السنة على غزو سوق الخميس: فاجتمع بسوقه من بادية مكة المشرفة طوائف هذيل وغطفان وعدوان وبني سعد وما اتصل بهم من المؤلفة، فاجتمعوا بناديه الفسيح رحابه.... ثم سار بهم بعد مدة فلما وصل واديهم ونزل مخيمه المعظم في ناديهم قال لهم بعض عقلاء الرجال اطلبوا من مولانا الصلح، فأجابوا جواب أهل الغرور والهوس، على سبيل التهكم: اسألوا عن الصلح جبل ملس. فعم القتل معظم الرجال وأسر النساء والأطفال، ثم قبض على مائة وسبعين من أشرفهم وكبلهم في الحديد في أعناقهم وأطرافهم))^(٢).

حرب الشريف أحمد النقيب مع بني سليمان بنواحي ينبع

٩٨٧هـ قال ضامن بن شذقم: ((وفيها عصى بنو سليمان إحدى قبائل عنزة، وقطعوا الطرق وأسباب العالم عن الذهاب والإياب فجرد أحمد النقيب^(*) عزمه لجماعة من بني إبراهيم الغمر أشراف ينبع فحل بناديههم ونزل بطن واديهم فحاربهم وظفر بهم وغنمهم، فاستفزعوا عليه العربان واستجلبوا عليه ذوي البغي والطغيان، وأحاطوا به كالمعصم من السوار وطرحوه عن جواده بأسنة الرماح وكادوا يقتلونه بحد السلاح فأنقذه سلامة بن صبيح، وأحمد بن سليمان بن شرفي، وحربي بن (...)^(**) واستخلوه وأركبوه إياها لما بينهم، وكسا بها من الحالفة، ثم إن الشريف حسن أمد أحمد النقيب بمائة رامي بندق، وسير معه أمير المدينة ميزان بن علي بن محمد ابن الأمير حسن بن ثابت النعيري والسادة الأشراف بني حسين البادية، وبني إبراهيم الغمر وغيرهم من أهل ينبع والبدوان، وكان أحمد النقيب هو سيد القوم ورئيسهم وإليه انتهى الرأي والأمر...، فسار بهم إلى وادي محسوس بأعلى وادي ينبع المحروس فأحاط بهم يوم التروية الضحى من النهار، كما أحاط المعصم بالسوار فاستأصل شأفتهم بكمال العدة والعدد فقتل الأبطال واستأسر الأعيان وغنم الأموال وهرب الباقيون في رؤوس الجبال، ثم أجاد بما هو أهله على سلامة وأحمد وحربي لما أسدوا معه، ثم توجه إلى ساحة الشريف حسن فشكره لما قد فعل ثم عاد إلى وطنه وأهله فأتته الشعراء.

(١) تاريخ اليمامة لعبدالله بن خميس.. ج ٢ ص ٢٧٩.

(٢) سبط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣٧٨.

(*) ابن سعد نقيب أشراف بني حسين من قبل الشريف حسن بن أبي نعي.

(**) فراغ في الأصل.

أَبْقَيْتَ مَنَا عَلَى حَرْبِي وَصَاحِبِي
أَمَّا فَلَاحُ فَلَاحِ الْعَكْسِ طَالَعِهِ
وَالْمَقْشَعَرُ الَّذِي تَحْتَ السِّیُوفِ غَدَا
فَقُلْ لَأَلِ سَلِیْمَانٍ وَتَابِعِهِمْ
إِنَّ ابْنَ سَعْدٍ إِلَهُ الْعَرْشِ نَاصِرُهُ
حَامِي الْحِجَازِ الَّذِي فِي ذَاتِهِ حَسَنٌ
وَنَاشِرُ الْعَدْلِ فِي أَكْنَافِ كَازِمَةٍ
سَلَامَةٌ بِنِ صَبِیْحِ أَكْرَمِ الْعَرَبِ
وَمَقْبَلٌ مَدْبَرٌ بِالْقَبْلِ وَالْهَرَبِ
بِالْقَشْعَرِیَّةِ فِي هَمٍّ وَفِي نَصَبِ
مَقَالَةٍ سَلِمَتْ مِنْ وَهْمَةِ الرَّیْبِ
بِالْمُضْطَفَى وَالْمَلِیْكَ الْعَالِیِ النَّسَبِ
وَافِي الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ وَاللُّقَبِ
وَبَاذِلِ الْفَضْلِ فِي الْقُرْبَى مَعَ الْجَنْبِ^(١)

دخول إنجلترا تحت الحماية العثمانية

كانت إسبانيا وملكها شارل كونيت يهدد إنجلترا ويريد ضمها إلى ملكه مما دعا الملكة إليزابيث إلى طلب الحماية من السلطان العثماني فكتب السلطان سنة ١٥٨٠م للملكة ((وأنتم كذلك عليكم الطاعة والانقياد لبابي العالي)) ووعدا بالمساعدة المالية والعسكرية وبذلك نجت إنجلترا من الغزو الإسباني^(٢).

خضوع البرتغال للاحتلال الإسباني

١٥٨٠م في هذه السنة: وقعت البرتغال تحت سيطرة إسبانيا إبان حكم فيليب الثاني الذي استولى عليها بغير إراقة دماء^(٣)، مما حد من نشاط القوات البرتغالية في الخليج لوقوع بلدهم تحت وطأة الاحتلال.

غزوة الشريف للمرة الثانية على البديع والخرج والسلمية والإمامية

٩٨٩هـ ((سار الشريف حسن بن أبي نمي إلى ناحية الشرق مرة ثانية لمخالفة وقعت بينهم متناهية، في جيش كثيف ومدافع كبار ففتح مدناً وحصوناً تعرف بالبديع والخرج والسلمية والإمامية ومواضع في شوامخ الجبال تزيد على ما سبق بأمثال أمثال، فقويت شوكته وعز سلطانه، ثم عين من رؤسائه من ضبطها، على أمور اقترحها واشترطها فعاد مؤيداً منصوراً))^(٤).

(١) تحفة الأزهار لضم بن شدقم ج ٢ ص ٢٩٩.

(٢) تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا - جريدة الرأي العام بتاريخ ٢٤ أغسطس ٢٠٠٥م بقلم مهنا حمد المهنا ص ١٤.

(٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١٨٢.

(٤) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣٧٩.

مسير الخوالد لمساندة أهل الرياض

((ولما بلغ بني خالد مسير الشريف إلى الخرج ساءهم ذلك وكانوا قد ندموا على تقاعدهم عن مساندة أهل الرياض في غزوته الأولى عليهم، فأرادوا أن يمدوا أهل الخرج وينصروهم، فجمعوا، وقبل أن يسيروا علموا باستيلاء الشريف عليهم وأنه على وشك الرجوع فرصدوا له في الطريق في جريدة خيل وجيش، وكان الشريف قد بعث عيوناً تقدموه، فرجعوا إليه وأخبروه أن بني خالد رصدوا له في الطريق، فما لبث حتى وافاه جيش بني خالد، وقد استعد للقاءه فهاجموه، واقتتلوا قتالاً شديداً كانت نهايته هزيمة بني خالد))^(١).

قال العاصمي: ((أخبره بعض عيونه التي يبثها في البلاد أن جماعة من شوكة بني خالد تجمعوا وتحزبوا، ومن طريقك ترصدوا وتقربوا في جمع من الشجعان والأبطال حتى جرائد الخيل وكرائم الجمال. فتدارك مولانا المشار إليه من الحزم ما أمكن.

فوافاه الجيش الخالدي فوجد مولانا على غاية الحذر فتقابلا وتقاتلا، فهرب الخالدي وانكسر، فقتل مولانا أكثرهم عدداً، وغنم خيلاً وإبلأً وعدداً ولم ينج منهم إلا الهارب...))^(٢).

انقراض دولة آل أجود بالإحساء

(٩٨٩ هـ تقريباً) ١٥٨١ م يذكر الأستاذ يوسف جعفر بأن الحسا كانت حتى هذا العام خاضعة للحكم الجابري أي (بني جبر)^(٣)، ويوافقه بالقول المؤرخ ابن ماضي حيث يشير إلى انقراض دولة أجود بن زامل من الحسا في هذا العام^(٤).

الاستعانة بشريف مكة وبأبي ريشة لرد هجمات البدو عن الإحساء

٩٩٠ هـ تفيد المراسلات التي تمت في هذه السنة بين السلطات العثمانية في الإحساء والباب العالي باسطنبول أن الإحساء قد تعرضت لهجوم عنيف من قبل سعدون من بني خالد ومن معه من القبائل العربية، وأنهم استباحوا البلد وقتلوا الكثير من الجند، وبناء عليه جاءت الأوامر بالاستعانة بشريف مكة وبأبي ريشة إذا لزم الأمر من أجل إحلال الأمن^(٥).

يقول الوهي: ويبدو أن العثمانيين قد قرروا هذه المرة مطاردة الثائرين والدخول معهم في معارك صحراوية، إذ طلبت إمدادات كبيرة ومن مناطق جديدة لمساندة لواء الإحساء عسكرياً فقد طلب إلى كل

(١) خزانة التواريخ النجدية ط ١ ج ٧ مطالع السعود لمقبل الذكير ص ٣٠.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣٧٩.

(٣) القوى السياسية في كوت الإحساء-يوسف جعفر سعادة ط ٩٧ ص ٢٢٧.

(٤) تاريخ تركي بن ماضي مخطوط ورقة رقم ٣.

(٥) سواحل نجد ((الإحساء)) في الأرشيف العثماني ط ٢٠٠٥ م ل.أ.د. زكريا كورشون ود. محمد موسى القريني ص ١٦.

من محمد أبي ريشة حاكم منطقة الصحراء الواقعة جنوبي حلب وزعيم قبائلها، وشريف مكة حسن، بالسير إلى الأحساء بكامل قواتهما لمساعدة حاكم الأحساء في القضاء على المتمردين.

فقد جاء في ضمن (خطاب موجه إلى محمد أبي ريشة في ٨ جمادى الأولى ٩٩١ هـ / ٥/٣١ م) أن الشقين سعدون وعبيكة من بني خالد هاجما برجالهما الأحساء مما أدى إلى مصرع أعداد كبيرة من القوات العثمانية إضافة إلى الخسائر المادية الكبيرة، وأنهم الآن يتظاهرون بمظهر الصلح والصلاح، وإذا لم يتم القضاء عليهما فسيمعظم أمرهما ويزداد شرهما، وكان الأمر أن عليه أن يسير إلى المنطقة على رأس رجاله من العشائر والقبائل، ومن ثم التشاور مع حاكم عام الأحساء وشريف مكة المكرمة حول ما يجب القيام به للقضاء على المتمردين المذكورين، وتم توجيه خطاب إلى أمير مكة الشريف حسن بهذا الخصوص إضافة إلى إشعار حاكم الأحساء بضرورة القبض على الثائرين حالاً^(١).

استمرار ثورة سعدون

قال الوهبي: ((ورد في خطاب في ١٩ ربيع الآخر ٩٩٢ هـ / ٥/١ م إلى حاكم عام الأحساء يتضمن الأمر بالتحقيق الدقيق في الاضطرابات التي سببها كل من سعدون أمير البادية ومحمد بك وموسى بك وداود آغا، ويتضح من خلال ذلك بقاء سعدون في منصبه كأمر لواء وتواطؤ بعض القادة العثمانيين معه مرة أخرى.

وعلى الرغم من ذلك تستمر ثورة سعدون بسبب ضخامة قوات سعدون فيطلب إرسال تعزيزات عاجلة إليه ولو بصورة مؤقتة، ولكن طلبه يرفض بسبب الحرب مع الصفويين وأن عليه معالجة الوضع اعتماداً على قدراته حتى يهدأ الوضع في إيران وتزد تفصيل ذلك في خطاب موجه إلى حاكم عام الأحساء ٩٩٢ هـ رداً على خطاب سابق يتعلق بحاجته إلى أربع مائة جندي إضافي منهم مائتان من القناصة لمدة ثلاثة أشهر بسبب وصول (الآلاف) من فرسان بني خالد إلى الأحساء أثناء حلول موسم صرام التمور في الأحساء تحسباً ضد مهاجمتهم للقلعة ولإنهاء أعمالهم العدوانية على الأنفس والممتلكات في القرى المجاورة وأنهم يجدون بأعداد ضخمة لا يمكن صدّها)).

وفاة الشريف حسن وولاية الشريف أبي طالب وحرب أحمد النقيب وميزان النعيري مع الجلاس من عنزة

٩٩٢ هـ قال ابن شدقم: ((توفي الشريف حسن بن أبي نمي بن محمد بن بركات الحسيني فجلس على سرير ملكه ابنه الأكبر أبو طالب، فعصت البادية وطغت وقطعوا الطرق، فظفر قوم من الجلاس إحدى طوائف عنزة بسيدتين شريفتين أحدهما من الأحساء والآخر من اليمن وكان معهما عيالهما فأهانوهما

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص ١٣٦.

بالضرب والجراحات وأخذوا جميع أموالهما وأبقوهما عرايا فركب أحمد النقيب^(١) ومعه الأمير ميزان بن علي النعيري وعلي بن أحمد الدويدار حاكم المدينة يومئذ فأدركوهم بالصهباء فاستعادوا ما أخذوه من السيدين، وربط كبارهم وغنم أموالهم ثم أخذ منهم العهود والمواثيق أن لا يعودوا لمثلها وأن يسلموا لولي نعمته الشريف أبي طالب كل زمن عدة من الخيل والجياد والإبل المخدومة. ثم دخل على خير وقبض على كل من تغيب وتستر عنه، ثم عاد إلى وطنه فامتدحه جماعة من الشعراء:

أرادت عيون في زمانك دولة	على ظنهم حاشا من الفنى يهندوا
تعدّوا على زوار طيبة وأسرفوا	بسلب وضرب مثله ليس يعهد
وولوا كما ولي يهود بخيبر	(**)
فلما نمت أخبارهم نحو مكة	إلى من له رب السماء مؤيد
أراد رعاه الله أن يأتي بنفسه	لينصر جيران النبي وينجد
فقلت بنو الزهراء.....	يكفيك منا المهذب وأحمد
حبيب نسيب نجل سعد وحمزة	وزيرك والسيف المهذب واليد
كذلك حوى من زرود وينبع	وبدر مع الصفراء والخيف سندوا
ومن مكة الغراء أتمه عصابة	لأعدائه سلّوا السيوف وجرّدوا
فلما أتى الصهباء في قرب خيبر	رأى عين القوم الذين تعددوا
فحاط بهم قبضاً وأسراً فأخبروا	بما كان في مدسوس (**)
وكن عنيزة قد أقاموا بخيبر	وقصدتهم بعد الجذاذ يشرّدوا
فلما أحسوا بالشريف تبادروا	ومالوا لما يرضيه قول مؤكّد
وإن يسلموا كل الذي كان عندهم	من الكسب في الماضي وما قد تجودوا
وإن له في كل عام جميعاً عليهم	وفي الحال لا زالوا من الخير يسعدوا
فقل لمنوز والذي في ديارهم	من العرب إن يدنوا وإن يتبعّدوا ^(٢)

٩٩٥هـ - ١٥٨٧م بداية حكم الشاه عباس الكبير على إيران.

(١) الغريب أن ضامن بن شدم يذكر أن وفاة أحمد النقيب كانت في المدينة سلخ شهر ربيع الثاني سنة ٩٧٨هـ ولا شك أن هذا التاريخ مناقض لما ورد في هذه السنة المذكورة ٩٩٢هـ وكذلك مغالط لما ورد في سنة ٩٨٧هـ ولا أعلم ما هو الصحيح إلا إذا كان هناك شخصان بالاسم نفسه ومتقاربين في الفترة. راجع: تحفة الأزهار لابن شدم ج ٢ ص ٣٠٤.

(٢) تحفة الأزهار لابن شدم الحسيني المدني ج ٢ ص ٣٠٢.

بداية حكم الشاعر بركات المشعشي أمير الحويزة

٩٩٦هـ - ١٥٨٨م وفيها كانت بداية حكم الشريف بركات بن مبارك بن عبدالمطلب المشعشي أمير الحويزة، واستمر بالحكم لمدة ٢٨ سنة. وناخذ له هذه الأبيات التالية من كتاب (الشعر النبطي للصويان):

- ١- عفا الله عن عين للاغضا محاربة
- ٥- إذا ما هذان أضعف البعد عزمه
- ٦- شهرت عن الزهدا وهي لي فضية
- ٨- فيا مبلغ عني ذوي الجود والصخا
- ٩- مبارك زبون الجاذيات ابن مطلب
- ١١- وقل يا حمى دن السبايا من القنا
- ١٦- بنيت لنا بيت من العز شامخ
- ١٧- لا تحسب أني بعد حسنك والرضا
- ١٨- فلا شك جاني منك ملفوظ كلمة
- ١٩- تقول لي يا ثبر وأنا غذوتك
- ٢٠- ولا ثبر إلا من يهد وينثني
- ٢١- وعاتبتي من غير ذنب جنيتهم
- ٢٢- أراك تعاتبني ولا دست زلة
- ٢٣- ترى عرق وجهي وجاهي وشيبيتي
- ٢٥- وأنا اخترت بعد الدار في نازح النيا
- ٤٤- إذا الخل أوري لك صدود فأوره
- وكن عنه أغنى منه عنك ولا تكن
- و قلب دنيف زايد الهم شاعبه
- يعيش بذل راكب فوق غاربه
- ولا يدفع المخلوق ما الله كاتبه
- و من شب شارات المعالي مكاسبه
- ذرى الجار والجالين عن كل نايبة
- إلى أحمر من عود البلنزا ذوايبه
- سل الله ألا يهدم الضد جانبه
- أبغضبك بالدنيا ولاهيب واجبة
- على حضرة الرماق والخلق قاطبة
- ولا ثبر إلا من يفاجي قرابيه
- في ساعة والهوش حام جوانبه
- عساه يحظى بالغنى من تعاتبه
- والغير لوداس الخنا ما تعاتبه
- و لا قوله بركات كدهين جانبه
- صدود ولو كانت جزال وهابيه
- جزوع إلى حقت بالأقفا ركايبه

وتتداخل المصادر عند ذكر فترة حكم بركات وأبيه مبارك، فها هو العزاوي نقلاً عن كشف الظنون يقول: إن مبارك بن مطلب بن بدران خرج في سنة ٩٩٨هـ على المولى زنبور الذي تولى الحكم بعد أبيه سجاد في سنة ٩٩٢هـ فأقصاه عن الحكم وحل محله إلى أن توفي سنة ١٠٢٥هـ أو سنة ١٠٢٦ حسب اختلاف الروايات^(١).

وإن مباركاً قام بتوطيد دعائم حكمه وقرب عشائر آل غزي إليه حيث كانوا أساس ملكه فأقطعهم

(١) العرب والعروبة م ٢ ج ٦ ص ٥٤.

الأراضي وأغدق عليهم الأموال الطائلة ورتب لستمائة رجل من أكابرهم رواتب وتعيينات سنوية وجعل لهم الزعامة على القبائل حتى أنه لم تنزل قبيلة في بلاده إلا بموافقتهم^(١).

خطاب السلطان العثماني إلى الشيخ سعدون آل حميد

٩٩٨هـ في خطاب من السلطان مراد الثالث إلى سعدون بتاريخ ١٦ رجب ٩٩٨هـ (٢١/٥/١٥٩٠م):
((إلى الأمير سعدون لقد كنت سابقاً خادماً مخلصاً لهذه السلطنة ولكنك أصبحت في الفترة الأخيرة سبباً للمشاكل، يجب أن أفهم كل الظروف التي أدت إلى هذا التغيير، ولهذا فقد وجهت حاكم عام الإحساء أحمد للاتصال بك والاجتماع بك. فوضّح له شكايته بكل تفصيل وصراحة وسيكتب لي بدوره بالتفاصيل كلها أيضاً وإن شاء الله سنعمل بالعدل لإزالة كل المظالم التي وقعت)). إلا أن رد فعل سعدون على الخطاب لم يكن إيجابياً فقد صدرت الأوامر من جديد إلى البصرة لإنهاء تلك الثورة بمساندة من بغداد^(٢).

خطاب السلطان العثماني إلى حاكم البصرة

٩٩٩هـ جاء ضمن خطاب في جمادى الأولى ٩٩٩هـ مارس ١٥٩١م موجه إلى حاكم عام البصرة متعلق بثورة الأعراب تلك وما سببته من زعزعة للاستقرار في الإحساء، وإن أوامر صدرت لحاكم عام بغداد بتزويده بعثاد وقوات عسكرية ستصل قريباً. وإن عليه الاستعداد وتجهيز القوات الموجودة لديه ريثما تصل قوات بغداد وكلف بقيادة الحملة بنفسه أو يختار من لديه القدرة على ذلك ويثق فيه.

تبعية بولندا ولتوانيا للدولة العثمانية

طبقاً لمعاهدة ١٦ سبتمبر ١٥٩١م فإن بولندا ولتوانيا تتبع الدولة العثمانية وتدفع مبلغاً وقدره ربع مليون ليرة ذهبية سنوياً وأن يخاطب إمبراطور ألمانيا بصفة أرشيدوق النمسا ويعتبر تابعاً للخليفة^(٣).

(١) العرب والعروبة م ٢ ج ٦ ص ٥٤.

(٢) بنو خالد للوهبي ذيل مهمة دفترى ٤ ص ٢١٢ تاريخ ١٦ رجب ٩٩٨هـ.

(٣) تاريخ الدولة العثمانية ليلماز أوزتونا - جريدة الرأي العام بتاريخ ٢٤ أغسطس ٢٠٠٥م بقلم مهنا حمد المهنا ص ١٤.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أحداث القرن الحادي عشر الهجري



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تكرار القول بانقراض دولة آل أجود في الإحساء

يقول ابن عيسى في كتابه الموسوم (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد): ((وفي تمام الألف تقريباً استولى الروم على بلد الإحساء والقطيف ورتبوا فيها العساكر وبنوا فيها حصوناً واستقر في الإحساء فاتح باشا^(١) من جهة الروم وانقرضت دولة أجود بن زامل بن جبر العامري العقيلي فسبحان من لا يزول ملكه)).

وكذلك قال الفاخري^(*) (١١٨٦هـ - ١٢٣٥هـ): ((وفي تمام الألف استولى الروم على بلد الإحساء ونواحيها ورتبوا فيها عساكر وبنوا حصوناً واستقر فيها فاتح باشا من جهة الروم وانقرضت دولة آل أجود الجبري العامري وذويه)).

عصر منيع والخلوي

من ممّا لم يعجب ويعشق شخصية الكريم السخي منيع بن سالم ممدوح شاعر الحكمة والمواعظ والتجارب الكثيرة راشد الخلوي، ومن ممّا لم يتساءل من هو منيع وما نسبه ومتى كان زمانه وأين كان مكانه وما قصته بالضبط.

ساحاول في الأسطر التالية إلقاء الضوء على بعض الجوانب التاريخية لهاتين الشخصيتين المعروفتين إلى حد كبير، المجهولتين إلى حد أكبر منه، ونقول قد وقع الاختلاف في أصل منيع وزمانه ومكانه ووضعه الاجتماعي، وتوصل أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري في آخر أمره إلى أن منيع بن سالم

(١) يوجد وإل عثمانى اسمه محمد باشا ويسمى فاتح باشا كان أول أمير عثمانى يُعين أميراً على الإحساء في سنة ١٥٥٠م الموافق ٩٥٧هـ ولا أعلم هل هو الذي يقصده ابن عيسى والفاخري وغيرهم، أم أنهم يقصدون فاتح باشا الذي سذكروه في سنة ١٠٤٠هـ.

(*) المؤرخ الفاخري ولد في سنة ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م في بلدة التويم في إقليم الرس ونشأ بها وقرأ القرآن فيها، وقد توفي والده عام ١٢٢٢هـ، ثم انتقل إلى الإحساء عام ١٢٢٨هـ وبقي فيها حتى توفي عام ١٢٣٥هـ، وهكذا اسمه محمد بن عمر بن حسن بن محمد بن فاخر بن حسن بن سليمان بن عيسى بن علي بن عثمان بن عبدالله بن مشرف الرومبي النجدي الحنبلي.

ممدوح الخلاوي من بني عقيل وأنه آخر ملوك آل أجود، انحدر للعراق في تمام الألف فانقرضت به دولة آل أجود. ومنيع هذا كان حاكماً في الإحساء والقطيف ونجد، فكان آخرهم وهو الذي انحدر إلى العراق وسكن الشامية بعشائر الأجود، وهذا كما قلنا آخر ما توصل إليه الظاهري^(١).

ويلاحظ أن الخلاوي في شعره كان يسمي قوم منيع بالمنيعية ويسمي منيعاً بالمنيعي ويسميه أيضاً بالسيار:

منيعية لا تتقي بأس فارس	ولا يتقى من لا وساع مضاربه
عقالهم تكفيك عقال غيرهم	وعيالهم تكفيك في الحرب صاحبه
منيعية فيهم حلیم وعایل	وفيهم رجال داب لله نايبه
رجال حظاها الله بالدين والهدى	وبالسيف ناموس وبالضيف واجبه
مثل الحيايا لينات الملامس	وفي البأس تلباس من الموت حاله

وفي الأبيات التالية يطلق على منيع لقب (سلطان عقيل)، فهل منيع بالضرورة يكون عقيلياً؟ رأينا في التاريخ أن هناك كثيراً من القبائل رؤساؤها ليسوا منها، والأمثلة كثيرة على ذلك، ولكن ما دمنا نتكلم عن بني عقيل الذين من قبائلهم قبيلة المتفق، فالكل يعرف أن زعماءها الحاليين ليسوا منهم بل إن أكثر المؤرخين ذكروا بأنهم من الأشراف، وهم الذين حلوا محل آل مغامس آل غزي الفضليين. ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن سلطان عقيل ليس من الضروري أن يكون عقيلياً.

على شان سلطاني عقيل كميتها	زمان القسا يشفي قراه الولايه
سريع القرا للضيف في ليلة الشتاء	وعيد المقاوي سيد الناس ماجد
فمن عاش بالدنيا يرى يا بن نالهم	كريبه الليالي والأمور الشدايد
كفا الله ذاك الوجه نار من اللضا	بحق المصلي والدعا في المساجد
يامن غذا من حرة عامرية	سماوية نمرا الذراعين صايد

وقال أيضاً:

نزارية تحدا لمحد ربيعة منيعية تدعى وفاة الخصايل

وأما عن الزمان والمكان والنفوذ فيذكر صالح القاضي المتوفى سنة ١٣٥١هـ أن الشاعر راشد الخلاوي توفي في سنة ١٠١٠هـ^(٢) مما يعني أن الأحداث التي جرت لمنيع بن سالم كانت قبل هذه السنة، وعلى حسب ما نعلم فإن الإحساء لم تخل من عام ٩٥٧هـ إلى تمام الألف الهجرية من الولاة الأتراك، هذا

(١) مسائل من تاريخ الجزيرة العربية لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ص ٢٢٠-٢٢٤، نقلاً عن عباس الغزاوي في كتابه عشائر العراق ج ٤ ص ٧٨.

(٢) خزانة التواريخ النجدية ط ١ ج ٨ تاريخ صالح بن عثمان بن حمد بن إبراهيم القاضي ت ١٣٥١هـ ص ٢٩.

إلى جانب أن المنطقة بعد دخول الأتراك إليها ظلت هدفاً مشروعاً لطموحات حكامها السابقين من آل مغامس الذين حاولوا أكثر من مرة إعادة سيطرتهم عليها.

لذا أظن أن منيعاً إما أنه كان يمارس سلطته في المنطقة كأداة إلى جانب الولاة الأتراك، أو أنه كان مجرد زعيم محلي لبلدة صغيرة بمستوى أمراء القبائل وليس على مستوى رؤساء الدول كسلاطين آل جبر الماضين. وهذا الاحتمال يقويه وصف الخلاوي لمنيع بأنه صاحب مغازٍ وعقيد قوم ومن العارفين لمواضع المياه. وأما الاحتمال الثالث وهو الأرجح عندي أن نفوذ منيع كان يشمل اليمامة وبلدة مقرن وبيرين والسيح وحاجر والثليما وهي الأسماء المتكررة في شعر الخلاوي على أنها ديار منيع:

متى هزها شوق المنيعي وسنعت	قدا نجمة السهلي من الشوق طاربه
جد السرى والسير عشرين ليلة ^(١)	في كورها ما صافح النوم راكبه
فلولا هواء ارتاح حالي وناقني	ولولا هواء القلب ما اصفر جانبه
فلولا منيع سور (حجر) وبابها	وابنا عقيل عصابة من قرايبه
لك الله ما سنعت لسهيل ناقني	ولولا ما نوقت (يسرين) شاربه
فلولا منيع فوقها عفت مابها	فلا رغبتني بالدار إلا لجانبه

وقال في منيع وقومه ويذكر بعض مراعيهم ويحدد ديارهم:

رعى الله حي للمنيعي وقومه	وأسقاه من غر الفوادي سحايه
عسى سربهم مرعاه بأكناف (حاجر)	ومن فوق (وادي السيح) ترعى ركايه
سحاب الحيا أسقاه وأروى وعله	وخشم (الثليما) فاض وأروى شعايه

وقال راشد الخلاوي يحث منيعاً على مبادرة عدوه ومباغتته قبل أن يقع المحذور:

دع عنك يا مشكاي ما لج بالحشا	وما قالت قوم من الموت هايه
فإلى الحر صار العار والذل حظه	فالموت ستر له يغطي معايه
فدعنا نصبحهم على سبق القطا	هوى الريح يكفيها عن الماء شاربه

(١) في الأصل الذي نقلنا منه وهو ديوان شعر الخلاوي الذي جمعه المؤرخ عبدالله بن خميس، جاء بدل عشرين ليلة (خمسين ليلة)، وخمسون مدة مبالغ فيها، وهي أكيد وضعت خطأ، لأن لو فرضنا أنه يقطع في اليوم على دابته ٣٥ كم فقط فهذا يعني أنه قطع مسافة ١٧٥٠ كم إلى بيرين، وهذا يعني أنه قدم إليها من ديار بكر بين تركيا والعراق وإيران، وأما إذا قلنا إنه يقطع في اليوم ٧٠ كم فهذا يعني أنه جاء من مسافة ٣٥٠٠ كم وهذه المسافة تعني أنه جاء من موسكو عاصمة روسيا. لذا أظن أن الكلمة الصحيحة التي غُيّرت هي (عشرين ليلة) وهي تتماشى مع وزن البيت، لذا أرجح أن تكون نقطة الانطلاق التي جاء منها الخلاوي هي جنوب البادية العراقية.

وكذلك جاء بدل (حجر) التي ثبته (هجر) وأظن أن الأخيرة مقحمة على النص وليست فيه أو أنها صحفت، وأن الصحيح أنها حجر، أي حجر اليمامة، لأن الخلاوي ذكر في رحلته إلى منيع الورد إلى مياه بيرين في نجد كما أنه حدد ديار منيع تحديداً واضحاً.

وعيناه لو تبكي لك الدم كاذبه
 بالسيف عدى عن مراعي ركايه
 ويحمي الحما تطمع عليه الثعالبه
 في كل حال تملك أعداه غاربه
 و لو كان من فوق الثريا مناصبه
 غبن كبير و حبة القلب ذايبة
 بالسيف لا تخشى الضد تحاربه
 ومن جاك منهم صاحب لا تصاحبه
 ولا هابك إلا من وطا السيف غاربه
 وروح بلا رأس فلا جتك حاربه
 ولا ألف عام يصحب الذل صاحبه
 والذل لو بالمال ما زان صاحبه
 فكم فارس أفناه من لا يقاس به
 واحذر صديق السو ألف انحاطه
 من غر جدك وأخرجه من مراتبه^(٤)
 و ياما و ياما صار فيها بجانبه

وحريب جدك لو صفا ما يودك
 ومن لا يعدى عن مراعي جدوده
 ومن لا يرد الضد بالسيف والقنا
 إذا كان حكم فيه ذل لحاكم^(١)
 و من قيد بزمام فهو في مذلة
 أو صاب للسيار^(٢) ما صاب راشد
 جد قلت له يا صاحبي حي حيهم
 ولا تعف عمن لا يرى العفو منه
 ما طاعك إلا من فرا الزان جنبه
 راس تقصه تكتفي بأس شره
 مقام الفتى في منصب العز ساعة
 والعز ولو بالقل زين على الفتى
 ليأك تسبق رأس من هان قدره
 احذر عدوك في الملا فرد^(٣) مرة
 حذرا الريا يا صاحبي لا يفرك
 وهو في نعيم مستقيم بداره

سقوط دولة منيع السيار بن سالم المنيعي على يد زيد

الآيات التالية توضح نهاية منيع وسقوط دولته على يد زيد ومعه أحد حلفائه الذين شنوا حرباً غادرة على منيع دون سابق إنذار:

وأخزي لزيد بن الزواني وصاحبه
 حتى نحذر الحذر ممن نحاربه
 ليل الثلاثا يوم من فاز فاز به
 وأضحوا بعار العار وأخزي معايه
 من خالهم قبح أولاد تلاد به

ألا قبح الله للفراميل كلها
 فلا غلنا حرب على واضح النقا
 ألا ليتني في ذلك اليوم حاضر
 سفاسيف قوم دمر الله دارهم
 نemat البلا والعوق والبوق والخنا

(١) هذا البيت يؤكد أن منيعاً ليس مجرد أمير، بل إنه حاكم، ويسميه الخلاوي أيضاً: سلطان عقيل.

(٢) السيار هو منيع.

(٣) كلمة ((فرد مرة)) تدل على لهجة الخلاوي العراقية.

(٤) هذا البيت يدل على أن جد منيع كان حاكماً، ولكنه اغتر في رأيه وأضاعه من استشاره.

رحيل منيع عن دياره بعد الهزيمة الشنيعة التي أطارت بحكمه وشئت قومه، وهي الرحلة التي تكاد تجمع الأقوال على أنها باتجاه الشمال:

قل: الله هل شفت السخي ابن سالم
تطاوحنه الأيام لين أودعنه
يشد على ثلب وهو كان قبل ذا
وهو كان في ما قد مضى في زمانه
وهو عجب الركب لولاه ما غزوا
ودليل عوص الناجيات إلى اختفت
وإلى بغا يمضي على العزم وانتوى
سريع القرا للضيف في ليلة الشتا
فمن عاش بالدنيا يرى يا ابن سالم
كفا الله ذاك الوجه نار من اللضا
يامن غذا من حرة عامرية
تري الثنا يابن كليب على الفتى
فلا واخليلي الذي يعطي الغنا
ترا إن كان جد ماثوا فيا طول ما ملوا
توجد في البادية الجنوبية من الأراضي العراقية فيضة تسمى المنيعية، وفيها آبار تسمى آبار المنيعي^(١) تقع في الحجرة وهذه الفيضة ضمن مساكن قبيلتي المتفق والظفير في الماضي والحاضر.

وقال الخلاوي عن كرم منيع:

ملكنا منيع بالحذايا من العطا
دعنا عطاياه الغنى كل مرة
لجلنا يعم الفود من فوق دارنا
كفاني من الدنيا منيع همومها
حباني منيع كل خير وكثر
كفاني عن الدنيا فلالي بها هوى
رد العدا بالمشرفيات والقنا
نكفنا على حب المنيعي وقومه

يا ما ملا لهذا وهذا مزاهبه
وياما وياما ناخ حي مراكبه
وفي كل زام حوزة الفود زاهبه
وحباني وصان الوجه عما يشان به
فلا ظنتي بالناس ناس تقاس به
ولا لي بأهلها رغبة كود جانبه
عني وقومي يوم قومي محاربه
والروح منا في مراضيه ذايبه

(١) البدو والقبائل الرحالة في العراق لمكي الجميل دار الرافدين بيروت ط ٢٠٠٥ م ص ٢٦٣.

وقوع ألوية الإحساء في يد الخوالة ما عدا صفوى والقطيف

في شوال ١٠٠١هـ - ١٥٩٣م لم يتبق من ألوية الإحساء تحت السيطرة العثمانية سوى لواء صفوى والقطيف أما بقية الألوية ففي يد بني خالد إنهم هم القائمون فعلاً على الولاية، كما أن واردات المنطقة قد انخفضت إلى ٣٠ حمل أقجة لا تكفي لتسديد قسطين من مستحقات الطوائف العسكرية.

القبض على حسين بن هريش لقيامه بالقرصنة البحرية

في سنة ١٠٠١هـ تدهورت الإمكانيات البحرية في إيالة الحسا إلى درجة أغرت بعض القراصنة المحليين على مهاجمة سفن الصيد والغوص التابعة لرعايا الإيالة، مما دفع أمير أمراء الإيالة السابق إلى تزويد الأسطول بسفيتين حربييتين بتمويل من موارده الخاصة، الأمر الذي مكن أسطول الإيالة من فرض الأمن ومكافحة القراصنة وإلقاء القبض على أبرز زعمائهم ويدعى حسين بن هريش حيث تم إعدامه مع خمسة من رجاله^(١).

مقتل عبد الباقي باشا وتعيين أحمد باشا مكانه على الإحساء

قبل ٢٥ رمضان ١٠٠٣هـ - ١٥٩٥م انتهت فترة ولاية عبد الباقي باشا أمير أمراء إيالة الحسا مقتولاً وهو على رأس عمله على يد المتمردين، وعلى أثر مقتله تم تعيين أمير أمراء جديد وباشا عمله قبل ٢٥ رمضان ويبدو أن اسم هذا الأمير هو أحمد باشا^(٢).

وفاة الخليفة العثماني مراد خان وخلافة ابنه محمد خان

١٠٠٣هـ في هذه السنة: توفي السلطان مراد خان بعد مرض، توفي عن عمر خمسين سنة ومدة حكمته إحدى وعشرين سنة، وقد دفن في مغنيسيا، وتولى السلطنة بعده ابنه محمد خان، وبعده عين الوزير حسن باشا حاكماً على بغداد^(٣).

بداية حكم أفراسياب على البصرة

كان في البصرة وإل عثمانى اسمه علي باشا، لم تمكنه موارده المالية القليلة من إخماد الثورة التي ألت ببلاده فاضطر إلى مغادرة البصرة وتسليمها إلى شخص يدعى أفراسياب كان يعمل كاتباً للجنود باعها له بشمانية أكياس رومية.

(١) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ٤٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣.

(٣) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٢١٠.

أصبحت ولاية أفراسياب هذا على البصرة بداية حكم جديد في المنطقة عرف بالعهد الأفراسيابي وذلك سنة ١٠٠٥هـ - ١٥٩٧م.

ويرجع أصل هذه الأسرة إلى سلاجقة الترك وقد لقب أفراسياب بالديري نسبة لموطن أمه مما دفع البعض إلى نسبته لأصل عربي وهناك من نسبته إلى أصل فارسي، وقد استمرت حكومة أفراسياب في السلطة حتى وفاته سنة ١٠١١هـ.

إنزال بني كعب بالقبان

كان الكعبيون^(١) من أنصار أفراسياب (١٠٠٥-١٠١١هـ) ودعائه ومحبيه وأعوانه ويتضح ذلك جلياً في كتاب زاد المسافر للشيخ فتح الله الكعبي، لذلك نقلهم من العراق وأسكنهم (قبان) وخصّهم بالأحواز، وجعلها منازل ومساكن لهم، ويعود ذلك لسببين:

- ١- مكافأتهم بهذه المنطقة الخصبة التي تطيب بها السكنى وتحسن المعيشة.
- ٢- جعلهم على حدود البصرة، حتى يحفظوا له الثغر، ويردوا غائلة العدو، ويصدوا هجمات الغزاة.

وقد أوفوا له، فعند استيلاء عباس الصفوي على العراق، كان موقف الشيخ بدر بن عثمان رئيس كعب مشرفاً من (علي باشا ابن أفراسياب)، فعندما أمر بتسليم نفسه إلى إمام قليخان أسوة بغيره أجاب بأنه ما دام (علي باشا) حياً فإنه لن يسلم^(٢).

وعن أصل بني كعب قال الأستاذ علي نعمة الحلوي في كتابه الأحواز: وقد خصّهم السيد أحمد الكسروي بالفصل الثاني من كتابه الفارسي (تاريخ بانصدساله خوزستان) أي (٥٠٠ سنة من تاريخ عربستان) ويذكر أن عشائر كعب فرعان (١) كعب (٢) بنو حزن^(٣).

ذكر هجمات مبارك بن مطلب على أنحاء البصرة وقرى البصرة والإحساء

١٠٠٦هـ قال العزاوي نقلاً عن كتاب جامع الدول: ((في سنة ١٠٠٦هـ (١٥٩٧م) خرج خارجي من

(١) قال الشيخ يوسف القناعي: بنو كعب من سبيع تحولوا من العراق إلى الدورق في سنة ١١٧٨هـ (١٧٦٤-١٧٦٥م تقريباً). انتهى كلام القناعي، وما نقلناه أعلاه يقلب قول القناعي رأساً على عقب ويدحضه في أمرين، الأول أن بني كعب انتقلوا إلى الدورق في زمن أفراسياب وليس في سنة ١١٧٨هـ، والثاني أن بني كعب أقدم وأكبر من سبيع وليس من المعقول أن يعود القديم للجديد والكبير للصغير. راجع: صفحات من تاريخ الكويت ص ٩٠، قرأت على نصوص شعرية تدل على أن لبني كعب موطن قدم في كاظمة وأنهم كانوا يترددون عليها وأنهم يعرفون هذه المنطقة جيداً. وبني كعب من نفس الأصل الذي ترجع إليه قبيلة المستفق، ولا شك أن دولة بني عامر بن صعصعة انتهت بنهاية دولة آل مغامس مما أضعف السلطة المركزية فيهم وتفرقها في يد عدة رؤساء.

(٢) تاريخ إمارة كعب، تحقيق علي نعمة الحلوي ١٩٦٨م النجف الأشرف ص ٣٢.

(٣) الأحواز عربستان لعلي نعمة الحلوي ج ١ دار البصري بغداد ط ٢/١٩٦٩م ص ٢٢٢.

جانب البصرة يقال له السيد مبارك جمع جمعاً عظيماً من أوباش العرب والعجم فنهبوا البلاد وأفسدوا فيها وعزوا إلى كشف الظنون: مبارك هذا هو ابن المطلب بن بدران وأنه خرج في سنة ٩٩٨هـ على المولى زنبور فأقصاه عن الحكم وحل محله إلى أن توفي في سنة ١٠٢٥هـ أو سنة ١٠٢٦هـ حسب اختلاف الروايات^(١).

في فذلكة كاتب جلبي في حوادث ١٠٠٦هـ: ((لما قام به السيد مبارك من أعمال نهب وإفساد فتجاوز على أنحاء البصرة وسواحل الإحساء وحدودها.. وكان أهل تلك الأصقاع استمدوا من شاه العجم^(٢) فكان ضرر جيشهم أكبر فاستعانوا بالدولة العثمانية. وفي ذي الحجة من السنة المذكورة كتبت الدولة العثمانية لشاه العجم لدفع غائلته، إلا أن الفذلكة أسدلت الستار عن النتائج^(٣))).

في سنة ١٥٩٨م ((اجتمع تسعة تجار من شمال هولندا وقرروا تأسيس شركة تجارية أطلقوا عليها اسم شركة الأراضي البعيدة في امستردام، على أساس أنها تتولى مهمة إرسال السفن التجارية إلى الشرق حتى بلغ عدد السفن المرسلة إلى الهند قبل بدء القرن السابع عشر أكثر من ٦٥ سفينة زارت جاوة، سقطرة، تايلاند، كمبوديا، كانتون، وحتى اليابان^(٤))).

خلاص البحرين من أيدي البرتغاليين على يد شاه فارس

في سنة ١٦٠٢م الموافق ١٠١١هـ فقد البرتغاليون سيطرتهم على البحرين، بعد أن طردهم شاه فارس منها^(٥)، وفقدوا سيطرتهم أيضاً على هرمز في سنة ١٦٢٢م الموافق (١٠٣١هـ تقريباً)^(٦).

تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية

وفي هذه السنة توحدت عدة مؤسسات تجارية هولندية في مجال التجارة الدولية بإيعاز من ملك هولندا بموجب ترخيص ملكي، وأسست شركة الهند الشرقية الهولندية مع امتياز لمدة ٢٠ عاماً، وصدر في الوقت نفسه مرسوم يخول الشركة حق مزاولة التجارة مع الشرق وعقد المعاهدات والأحلاف

(١) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م ٢ ج ٦ ص ٥٤.

(٢) ذكر بعض ملوك الدولة الصفوية:

١- الشاه إسماعيل (١٥٠٢/١٥٢٤م).

٢- الشاه طهماسب (١٥٢٤/١٥٧٦م - ٩٨٤هـ).

٣- الشاه محمد خدابنده (١٥٧٧/١٥٨٧م).

٤- عباس الكبير (١٥٨٨/١٦٢٩م).

(٣) تاريخ المشعشين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م. الآداب النجف ص ١٠٧.

(٤) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية، لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص ٢٣.

(٥) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول ص ١٤.

(٦) أبوحاكمة: محاضرات في شرقي الجزيرة العربية.

والاتفاقيات، وفتح مراكز وتأسيس قواعد تجارية، وأصبحت شركة الهند الشرقية الهولندية فيما بعد أداة للاستعمار الهولندي فيما وراء البحار، فدخلت في صراع مرير مع الإسبان والإنكليز والبرتغاليين في تلك المناطق^(١).

حكم الشيخ الجبري لجزيرة البحرين وانقراض دولته

قال الشيخ محمد بن خليفة الطائي في التحفة النبھانية: ((في سنة نيف وعشرة بعد المائة والألف استقل بالبحرين الشيخ الجبري وهو من بقايا الجبريين الذين كانوا يحكمون الأحساء فانقرضت دولتهم من الأحساء في سنة ٩٩٩ هـ كما بيناه في تاريخ الأحساء.

ولما استتب للشيخ الجبري الحكم على جزيرة البحرين جعل مقره قرية يقال لها العمرو وبني بها قلعتين على جبلين هناك متقابلين والبلدة بينهما. وكان له وزير يسمى (الشيخ فرير بن رحال) وسكنه الرفاع الشرقي وبني به قلعة عظيمة ولتقادم السنين خربت تلك القلعة...

ويقال إن سبب انقراض دولة الشيخ الجبري من البحرين هو أنه كان مغرمًا بالنساء، لم توصف له امرأة جميلة إلا سعى في طلبها إلى أن يتمكن منها حلاً أو حراماً: فوافق في بعض الأيام أن أحد جلسائه جعل يصف له امرأة بالجمال الفائق ودقة الخصر الرائق، وقال إنها إذا استلقت على ظهرها يمكن أن تمر الرمانة من تحت خصرها فتعجب الشيخ الجبري من ذلك وقال هل توجد امرأة اليوم بمثل ما وصفت؟ قال إن زوجة وزيرك الشيخ فرير هي أكمل حسناً مما ذكرناه. فشغف الشيخ الجبري بها... فوجه وزيره المذكور بهدايا إلى بعض الأمراء كالعادة وبعد مضيه بعث إلى زوجة الوزير المذكور وأمرها أن تنهيا لمجيء الحاكم إليها في ليلة معينة وشدد الطلب عليها في ذلك فخافت من بطشه فأجابت طلبه، فلما أتى الحاكم إلى منزلها ليلاً زفت له جارية من خدمها فنام الحاكم معها حتى الصباح ظناً منه أنه هي زوجة وزيره الموصوفة بالحسن لكنه لم يجدها على ما وصفت له، فلما قدم الوزير أعلمته زوجته بما جرى وأنها خدعت الحاكم بزفاف إحدى الخدم فشكرها زوجها على حسن صنيعها وصيانة نفسها. ثم لما حضر الوزير مجلس الحاكم وشرعا يلعبان الشطرنج كالعادة فانقلب الوزير فارتجل الحاكم بهذين البيتين (من النبط):

ذيب سرى في ظلام الليل كل شاتك كل اللحم والشحم وأروى مشاشاته
والصاحب اللي بعد تهوى مشاشاته إن ردت لاماه لا تطرى لياشاته

معرضاً فيها بقصته مع زوجة الوزير ففهم الوزير المرمى وتألم من ذلك، ثم إنه جد في اللعب حتى غلب الحاكم وأظهر الوزير السرور ثم أنشد أبياتاً منها:

من حبل للبطوط واصطاد عنقوده هاذاك بيسن الخلايق شاع مفقوده

(١) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩ م ص ٢٣.

قاصداً بها إجابة الحاكم، فشرع الحاكم بالقضية وعرف أنه خدع وتحقق لديه ما مر بخاطره اضطجاعه تلك الليلة في بيت الوزير، فحنق لذلك وسل سيفه وجندل وزيره في الحال، لأن المسألة وافقت المثل (لا عازة انقضت ولا سر انكتم) فلما خبرت زوجة الوزير بقتله خافت على نفسها وفرت إلى دارين وشرعت في تدبير الأخذ بثأر زوجها...، (قدمت هدية للشاه عباس الصفوي الثاني^(١) وأغرته على الاستيلاء على البحرين)...، أمر عامله الذي في شيراز واسمه (الله ويردي خان) بأن يأخذ البحرين من يد العرب فجمع جموعاً من أهل المحمرة ومن أهل القصبة وجهزهم تحت قيادة (خاجا معين الدين الفالي) فسار بهم نحو البحرين فبرز لهم الشيخ الجبري بجيش مؤلف من آل أبي مهير فتقابل الجمعان وحصلت بينهما معركة شديدة قتل فيها الشيخ الجبري وتفرقت جموعه).

وفاة الشريف أبي طالب صاحب الحادثة المشهورة مع قبيلة زعب قرب بيشة

١٠١٢هـ في هذه السنة توفي الشريف أبو طالب بن الحسن بن أبي نمي رحمه الله بمحل قرب بيشة، عن عمر يناهز الخامسة والخمسين، قال العاصمي: ((قبل وفاته بأيام كان وقع من شيخ زعب جنابة فحبسه فيها، ثم إن جماعة الشيخ الزعبي طلبوا من الشريف أبي طالب أن يرضى عليه ويعطوه ما يطيب خاطره، واتفقوا بينهم على مائة فرس وألف بعير وكذا وكذا من الدراهم.

ثم أحضروا جميع ذلك ووصلوا به إليه. فقال لهم: أنا ما كان مرادي إلا تأديب الشيخ الزعبي وليس غرضي في طمع منه. والذي وصلتم به من الخيل والإبل هو معاد لكم. ولم يقبل من ذلك شيئاً. وكسا الشيخ الزعبي وجماعته الذين كانوا معه في الحبس بعد أن أطلقهم، وأمر لهم بتفاريع جسيمة^(٢).

ولاية الشريف إدريس بن الحسن وشركاه على مكة المكرمة

١٠١٢هـ وفيها ولي الشريف إدريس بن الحسن، وأشركوا معه في الدعاء ابن أخيه الشريف محسن ابن الحسين بن الحسن، وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن الحسن^(٣).

ابن معمر ينتزع حريملاء وملهم من العطيان

يذكر الأستاذ الطعيس أن بلدة حريملاء ظلت جزءاً من إمارة العطيان بملهم، إلى أن دبت الخلافات

(١) نلاحظ أن الخبر يربط وقت وقوع الأحداث بالشاه عباس الصفوي الثاني الذي كان حياً حتى سنة ١٠٦٢هـ ولكن السنة التي ذكرها النبهاني تدخل في فترة حكم الشاه عباس الأول الذي توفي في سنة ١٠٣٨هـ، ثم جاء بعده الشاه صفي ثم جاء الشاه عباس الثاني المذكور، علماً بأن الدولة الصفوية انتهت في سنة ١١٤٨هـ. راجع هامش ص ١٢١ من كتاب إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي ٩٠٦هـ إلى ١١٤٨هـ.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٣٩٤.

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٤٠٠.

بين أهالي ملهم أنفسهم، فانقسموا إلى حزينين، أحدهما مؤيد لحكم العطيان، والآخر معارض له، وذلك في العقد الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، فانتهاز ابن معمر رئيس العينة هذه الخلافات، وأغار على ملهم، والتحموا في معركة ضارية، انتهت بانتصار ابن معمر انتصاراً ساحقاً، وانتزاعه حريملاء من العطيان^(١)، هذا ما ذكره الطعيس، ويدلّ كلامه على أن ابن معمر انتصر على أهل (ملهم) واستولى على (حريملاء)، وهذا يعني أن هاتين البلديتين دخلتا تحت يد ابن معمر.

ويذكر ابن بشر، أن ابن معمر، بعد أن أجلى العطيان من ملهم، نزلوا القصب، ثم إن ابن معمر ردهم إلى بلدتهم ملهم من رؤيا رآها اقتضى برأيه ردهم بسببها.

ذكر حكم الشيخ عبدالله بن راشد علي كوييدة

ذكر تكسيرا في رحلته من بغداد إلى حلب بنهاية ١٦٠٤م (١٠١٣هـ تقريباً) أنه مر بالدرهمية والبرجسية والرميلة ثم جاء إليها وكانت تحكم من قبل الشيخ عبدالله بن راشد الذي كانت له صلات جيدة مع باشا البصرة، وزعيم البرتغاليين فيها^(٢)، وأرجح أن يكون الشيخ عبدالله من رؤساء المنتفق ولا سيما من آل مغامس.

ولاية علي باشا الملقب بالبغدادي على الإحساء

في سنة ١٠١٨هـ بعد وفاة بهرام باشا والي الإحساء أقر المجلس السلطاني تعيين علي باشا بدلاً منه بصفة رسمية بتاريخ ١٠ جمادى الآخرة التاسع من مستمير وذلك بناء على ((ما أبداه من مقدرة وما قدمه من خدمات جليلة سابقة)). كان علي من نتاج أفراد الطبقة العسكرية العثمانية التي استقرت في المنطقة العربية وازدادت صلتها بها نتيجة التزاوج وترايط المصالح، فقد تم تلقيب علي هذا بالبغدادي نسبة إلى نشأته ببغداد وارتباطه بها، وقد أدى استقراره هو وأفراد عائلته في الإيالي وتكوينه لأسرة حاكمة، وما اشتهر عنه وعن العديد من أبنائه من تدين وغنى ونيل قسط وافر من المعرفة والثقافة... إلى شهرة واسعة. وقد استمر في منصبه حتى سنة ١٠٤٤هـ^(٣).

الصلح بين الاتراك والإيرانيين

١٠٢٢هـ (١٦١٣م تقريباً) في هذه السنة انعقد الصلح بين دولتي الفرس والترك وكان من جملة الشروط التي تعهد بها الشاه أن لا يشتم الصحابة ولا الأئمة المجتهدين ولا أم المؤمنين عائشة وأن يأذن لمن أراد القدوم إلى أنحاء بغداد وأن تراعى الحدود التي كانت أيام السلطان سليمان فلا يتعرض للقلاع

(١) مدينة حريملاء لصالح الطعيس ج ١ سنة ١٩٧٩م.

(٢) م. دراسات الخليج ٥٨ع: طريق البصرة-حلب للقوافل التجارية، مصطفى عباس ود. فلاح عبدالمحسن ص ٦٦.

(٣) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٢٥٥-٢٥٩.

والبقاء وأن تكون البلدان والممالك التي في يد مبارك بن مطلب المشعشي تابعة لبغداد وأن لا يساعد ولا يحمي من قبل الشاه^(١).

مبارك المشعشي وهجماته المتصلة على البصرة والإحساء

١٠٢٢هـ ١٦١٣م كان آغا حسين باشا حاكماً للبصرة وقد خاف جانب مبارك فأخذ يجاريه ويسترضيه إسكاناً لمطامعه في البصرة ونواحيها، وقد كان مبارك يحاول الاستيلاء على البصرة ولكن قوة الترك هي التي منعت من الادعاء بحكمها.

ويبدو من الحوادث المتقدمة أن السيد مباركاً كانت هجماته متصلة على البصرة والإحساء والجزائر حتى استولى على البصرة وجميع القرى المجاورة لها ولم تتمكن الحكومة التركية منه حتى عقدت الصلح بينها وبين الشاه دفعاً له ولهجماته المتتابعة. وبناء على هذا فإن البصرة كانت في يد السيد مبارك وهو أهداها إلى علي باشا مسبقاً كما نص على هذا صاحب كتاب أعيان الشيعة^(٢).

القتال بين الأمراء الجبريين ونبهان بن فلاح بعمان

١٠٢٦هـ ((أخذ نبهان بن فلاح جنوداً من أخواله آل ريس ووصل بهم إلى الظاهرة ودخل فدى، وأقام فيها مدة أيام، ثم جاء أحد ممن كان له مصاحباً من أهل ينقل من قبل، فقال له: (نحن ندخلك البلد، ونثبت قدمك، ونشد عضدك، وننصرك على القوم، ونستفتح لك الحصن)).

فسار بقومه، وأدخله ينقل ليلة النصف من ربيع الآخر، سنة ١٠٢٦هـ. وحكم مقابض البلاد من أولها إلى آخرها، إلا الحصن. وكان فيه قبيلة من بني علي فتحصنوا، وأحرق بهم نبهان، واستقام بينهم القتال، فخرج راجل من الحصن، ومضى إلى الأمير قطن بن قطن.

وكان الأمير يومئذ ناصر بن ناصر، فركب معه محمد بن محمد بن محمد بن جيفر، وعلي بن قطن ابن قطن، وقطن بن علي بن هلال، وناصر بن ناصر بن قطن، بما عندهم من القوم. وكان مسكنهم بيادية الشمال فساروا حتى دخلوا ينقل. فاستقام بينهم وبين نبهان القتال. واشتد الطعن والنزال...

فانكسر عسكر السلطان نبهان بن فلاح فمنهم من قتل ومنهم من طلب التسيار، فسير، ومنهم من مضى على وجهه^(٣).

قصيدة العليمي في الأمير قطن بن قطن الجبري

فيما يلي قصيدة عامية للشاعر محمد العليمي في مدح الأمير قطن بن قطن بن علي بن

(١) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م ٢ ج ٦ ص ٥٤.

(٢) تاريخ المشعشين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م. الآداب النجف ص ١٠٩.

(٣) تاريخ أهل عمان: تحقيق / سعيد عبدالفتاح عاشور ص ١٢١.

هلال بن زامل الجبري ولا يعلم تاريخ هذه القصيدة إلا أن هذا الأمير كانت إمارته على أحد أقاليم عمان في بداية القرن ١١هـ، وعدد أبيات هذه القصيدة في الأصل ٣٧ بيتاً وسنختصرها:

- ١- يا زابر في عمان قبل ينجالي
- ٢- ياطول خطوتك من نجد إلى ملح؟؟
- ٣- أنا بوادي عمان عنك منتزح
- ٤- أهلا هلا مرحبا في طارش هشل
- ٧- يا مايث العطر يا غص الشباب ويا
- ٨- وراي أنشد طروشك عنك محتفي
- ٩- قال اقبل العذر مني لا تكذبني
- ١٥- أصبحت كني ملكة الهند مع حلب
- ١٦- يا لايمين العلبي في مودته
- ٢٠- الله يسفي ديار حل جانبها
- ٢٤- يسقي الدجاني^(٢) إلى برك إلى ملح
- ٢٥- من عقب خمسين تلقى الزهر مختلف
- ٢٦- تعني إليه ركاب الممحلين كما يعنى
- ٢٧- قطن بن قطن بن النخي قطن
- ٢٨- شيخ عطايه جرد الخيل مليحة
- ٢٩- والحرر والتمر صفت من وهابيه
- ٣٠- خواض جمع العدا في كل هيزعة
- ٣١- والبيض فيها كشمس الصبح شارقة
- ٣٢- ينخن سور الظعن (أبو منيف قطن)
- جنع الدجى والملا بالنوم ذهالي
- ومن دونك البيد قفر صحصح بالي
- وانته بوادي حنيفة^(١) عالي الأوشالي
- في تالي الليل عندي نافق غالي
- حوري الألحاظ يا جرار الأذيالي
- ولأ أنت من جاك ما سايلت عن حالي
- ولا تطع يا العلبي في الأقوالي
- مع مصر والشام وما يخزن من المالي
- ما أظن فيكم ورب البيت عقالي
- من مدلهم طوال الليل هطالي
- إلى سنام^(٣) إلى معمورة الجالي^(٤)
- يشادي لزل الزوالي عند دلالي
- إلى (قطن) المظيوم والمحتاج والجالي
- ولد هلال عريب الجد والخالي
- وكل أجرد عطيميط وصهالي
- وهجاهج الهجن منتوبات الأصالي
- خرس تجاول بها فرسان الأبطالي
- ينخن فوق الحني في حسها العالي
- والموت يمشي معه قصاف الآجالي

- (١) وادي حنيفة يسمى وادي القرى، ومن القرى أو البلدات الواقعة عليه سدوس والعينة والجيلة.
- (٢) [الدجاني] على طريق الحاج من البصرة، قبل منطقة سدير والوشم. وكذلك يُذكر أنه بين اللهاية وسدوس رغم طول المسافة بينهما.
- (٣) المشهور في هذا الاسم جبلين، الأول جبل سنام الذي في عالية نجد والثاني جبل سنام الذي بين الكويت والبصرة وهو المقصود.
- (٤) [معمورة الجال] يقصد بها مدينة كاظمة المنصورة، القرية من الكويت، وهذا دليل مهم على أنها كانت موجودة حتى ذلك الوقت كمستقر بشري عامر.

خلال عامي ١٦١٨م و١٦١٩م استطاعت القوات الهولندية أسر (٢١ سفينة) إنجليزية، بينما لم يأسر الإنجليز إلا واحدة مما يدل على قوة الهولنديين، ومع هذا التنافس فقد تم التوافق بينهما في عام ١٦١٩م عندما ساعد الهولنديون الإنجليز في تجهيز عشر سفن حربية في الشرق لحماية التجارة^(١).

بداية ضعف الدولة العثمانية

١٠٢٩هـ في الوقت الذي كان السلطان مراد الرابع ما يزال طفلاً، تكالبت الظروف في إضعاف الدولة العثمانية ولو بشكل مؤقت، وكان أسلاف السلطان مراد قد سمحوا للفوضوية أن تجمع قواها من كل جهة، حيث يذكر لونكريك أن التأثير أباظة في ذلك الوقت كان يتسبب آسيا الصغرى، وأن القبائل اللبنانية في عصبان علني، وحكام مصر وسائر الولايات مترددون في ولائهم، وأصبحت حاكميات البربر في حكم المستقلة، وفي القسطنطينية نفسها كانت خزانة بيت المال فارغة، ودار الصناعة معطلة، والعملة النقدية لا رواج لها، والمخازن خاوية والسكان جوعاً والجيش مشتتاً^(٢).

هذه الظروف جميعها اضطرت الدولة العثمانية إلى توقيع معاهدة صلح في سنة ١٠٢٩هـ - ١٦١٩م بينها وبين إيران.

سقوط جزيرتي هرمز والبحرين في يد الشاه عباس

وفي الوقت الذي ضعف فيه أمر البرتغاليين في الخليج دبت الفوضى والاضطرابات في الأقطار التي كانوا يسيطرون عليها^(٣)، وكان العثمانيون منشغلون في حروب أوروبا، فاستثمرت تلك الظروف وأسفرت عن تعاون بريطاني إيراني سقطت بموجبه جزيرة هرمز بيد قوة فارسية بريطانية مشتركة في عام ١٠٣١هـ ١٦٢٢م^(٤).

وبعد سقوط هرمز نشب الخلاف بين سكان جزيرة البحرين ورفع أبناء الشيعة شكواهم إلى الشاه عباس (الصفوي) طالبين مساعدتهم على خصومهم فجهز جيشاً لاحتلال البحرين بقيادة (قولبخان) فاحتلها في السنة نفسها أي (سنة ١٠٣١هـ) ونصب الصفويون على البحرين (سوندك سلطان)^(٥).

(١) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص ٢٩.

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لونكريك ط ٦ ص ٧٠ - يقول المترجم عما بين قوسين: هذا ما كتبه كريسي ص ٢٤٦.

(٣) مجلة الوثيقة ع ١ ص ٨٢: تاريخ العتوب، د/ علي أبا حسين ص ٨١.

(٤) التحفة النهائية.

(٥) م. الوثيقة ع ١ ص ٨٢: تاريخ العتوب د/ علي أبا حسين ص ٨١ راجع سنة ١٦٠٢م، وقرأت في بعض المصادر أن من أبناء الشيعة الذين رفعوا الشكوى إلى الشاه عباس رجل وجيه يقال له عبيد آل مذكور وهو من رؤساء البحرين العرب الذي ذهب إلى فارس بدعوة من الشاه على ظهر سفينة أقلته من البحرين إلى بوشهر ومن هناك انطلق إلى الشاه فشجّعه على التدخل السريع مما أسفر عن الانتصار الإيراني على جزيرة البحرين، فعُيّن لإدارة شؤونها سوندك سلطان وهو من العجم.

١٠٣١هـ تغلب بكر الصوباشي أحد الإنكشارية الذي كان برتبة صوباشي وارتقى إلى رتبة آغا على خصومه في بغداد وأعلن استقلاله وانفصاله عن الدولة العثمانية^(١).

الاحتلال الإيراني لبغداد والبلاد العراقية

١٠٣٢هـ - ١٦٢٣م بكر الصوباشي أحد المتغلبين على بغداد كانت تضرب به الأمثال بسبب ما جرّه على نفسه وعلى بلاده من وبال، حيث إنه بعد تغلبه على الأمر اضطر إلى إعلان الانفصال عن الدولة العثمانية التي لم تعترف به ولا بحكومته، وفي خطوة منه يعتقد أنها في المسار الصحيح بعث بمفاتيح بغداد إلى شاه إيران مما يعني دخوله تحت الطاعة الفارسية وذلك نكالا في الدولة العثمانية التي لم تعترف به.

وهذا ما جعل الدولة العثمانية تتراجع عن موقفها المتعنت لأنها نظرت إلى المصلحة العليا للبلاد والعباد، فأرسلت إلى بكر الصوباشي بهذا الخصوص ولكن بعد فوات الأوان، حيث إن الجيوش الفارسية كانت تطرق أبواب بغداد بقوة، فوقعت بغداد في يد إيران وندم بكر الصوباشي حيث لم يعد ينفع الندم. فاجأ عيسى خان قائد جيوش الشاه عباس سكان بغداد بتسليط النار عليهم وشرّد أطفالهم ونساءهم حتى وصف يوم دخوله كيوم من أيام القيامة، وراحت جيوشه تقتل وتنهب ووقعوا بأهل السّنة والجماعة قتلا ذريعا وفتكا^(٢).

قال نظمي زادة: إن احتلال بغداد أدى إلى الكثير من الأضرار والتصفيات العدوانية، وصار عزيز القوم ذليلاً وتركوا الكثير من الأولاد والبنات أيتاماً وأرامل بسبب قتل آبائهم ورجالهم أو بيعهم في المزاد وصاروا يتنقلون من يد إلى يد وكثير منهم أخذوا إلى ديار إيران وتفرقوا في البلاد، وتهدم الكثير من المدارس والمساجد.

وبعدها أعلنوا الأمان وصدر العفو عن الآخرين وأطلقوا سراح المسجونين وقسموا الأرزاق على السكان وأكثرهم اختار الهجرة نحو بلاد الروم حتى أن والذي المرحوم - القول لنظمي زادة - أيضاً بعد اختفائه بضعة أيام ترك ماله وما يملكه وفارق هذه الديار بزي درويش ولم يصحب معه سوى الوالدة^(٣).

وبعد نجاح احتلال بغداد قامت القوات الإيرانية بتوزيع حامياتها على المدن المهمة في العراق^(٤) ومنها كركوك والموصل، ثم تم الزحف على البادية واستولوا على الحلة ومنطقة نفوذ أبي ريشة وعانة وطيار القريبة من حلب وهدد هذه المدن أيضاً، ونصب في عانة حامية، ولكن بعد سفر الشاه وانسحاب قواته تحرك أبو ريشة الذي بقي على ولائه للسلطان وزحفت قبائله، فاستعادوا طيبة وعانة وقتلوا سبعين قزلباشياً كانوا في الحاميات ولم يوقف الزحف إلا تحرك (ناصر بن مهنا) أمير غزية حاكم (مشهد

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٢١٢.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠.

(٣) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٢٢٠.

(٤) أربعة قرون من تاريخ العراق ص ٥٦.

الحسين) والمنطقة الممتدة بين الحلة والبصرة، ولم يكن بمستوى أبي ريشة من حيث الزعامة، وكان أحد العاملين المهمين في سقوط بغداد في يد الفرس نظراً لولائه لهم، فقد تصدى لتحركات أبي ريشة وقاتله قتالاً ضارياً، فقتل من أتباعه وخرب أراضيه^(١)، ولكن أبي ريشة الذي تنحصر المصادر في تسميته بين اسمين مطلق أو مدلج اضطر فيما بعد إلى الرضوخ للسيطرة الفارسية وتعرض لهذا السبب لانتقام الأتراك^(٢).

الاتفاقية الهولندية الإيرانية

بعد مفاوضات جرت بين الشاه عباس ومبعوث هولندي أصدر الشاه فرماناً شمل امتيازات سخية جداً رغم معارضة الإنجليز والكثير من المسؤولين في الحكومة الصفوية، ويتكون فرمان من ٢٣ بنداً، تم توقيعه بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٦٢٣م:

- ١- السماح للهولنديين بالدخول إلى كل المناطق التي تحت حكم الشاه لعرض بضاعتهم أو شراء بضاعة فارسية للحد الذي يرى فيه الهولنديون مصلحتهم التجارية.
- ٢- لا يجوز إجبار الهولنديين على شراء بضائع ضد رغبتهم، بل يشترون البضائع التي يرغبونها بدون ضغط من أي شخص كان.
- ٣- لا يدفع الهولنديون ضرائب أو رسوماً عن البضائع التي يصدرونها أو يستوردونها ولا حتى أرصدتهم، مع استثناء وحيد بالنسبة لأرصدتهم الصغيرة طبقاً لقانون قديم.
- ٤- ليس لأي وزير الحق في حجر بضاعة هولندية أو إيداعها سواء كانت مصدرة أو مستوردة، وعدم منع الهولنديين من اصطحابها إلى أي مكان يرغبون من قبل أي حاكم مهما كان.
- ٥- يسمح للهولنديين استخدام كل أنواع الأوزان التي تكون في عهدهم في البيع والشراء ولا يحق لأحد من الوزانة الرسميين الاعتراض، ولهم الحق في وضع أجرة الوزن عدا الطلبات الشخصية للشاه التي تستثنى من الأجور.
- ٦- يحق لأي هولندي حتى لو كان بدون هوية التجول في المناطق التي تحت حكم الشاه.
- ٧- يتعهد الشاه بتعويض الهولنديين عندما تؤخذ بضاعتهم من قبل سلطة شرعية.
- ٨- تنقل بضاعات الهولنديين بالعربات، وليس بالجمال، ويكون كل أصحاب العربات تحت خدمة الهولنديين بصورة توازي مستوى المواطنين في بلاد فارس.
- ٩- على الموظفين الفرس تهيئة الدور المحصنة والطعام والشراب والجياد وكل شيء يحتاجه الهولنديون، إضافة إلى قطعات حماية لمرافقتهم.

(١) رحلة ديلافاليه إلى العراق ص ١٤٢.

(٢) البدو ج ١ ط ٢ لأوينهايم ت/ ماجد شبر ص ٤٤٧.

١٠- تتمتع دور الهولنديين بحرية كاملة دون استثناء، ولا تدخل في إطار ملك أو عقار وإذا حصل وأجبر الهولندي بالتخلي عن العقار فعليه مقاومته بالقوة.

١١- يسمح للهولنديين بشراء العبيد من أي قطر كان يرغبون وإدخاله إلى بلاد فارس.

١٢- يسمح للهولنديين ممارسة طقوسهم وشعائهم الدينية دون معارضة.

١٣- إذا حصل وأسلم أي شخص هولندي فمن حق رئيس الوكالة نفيه في أي وقت يشاء.

١٤- إذا اقترف أي هولندي ذنباً ما، أو جريمة قتل، أو خالف القانون، فسوف لن تحقق معه أية سلطة في بلاد فارس بل يحاسب من قبل رئيسه طبقاً للظروف المحيطة بالحالة ومن الجهة التي يراها^(*).

١٥- إذا وجد أي هولندي بصحبة امرأة فارسية، فسوف لن يعاقب من قبل مسؤول الأمن في البلاد بل من قبل رئيسه بعد أن يتأكد أنه مذب حَقاً.

١٦- يخصص مكان لدفن الموتى من الهولنديين وحسب طقوسهم وشعائهم الدينية.

١٧- لا يجوز إيذاء ومعارضة أي شخص في خدمة الهولنديين، كما يسمح لكل الأشخاص سواء كانوا فرساً أو بنغالاً أو أرمناً أو أتراكاً للعمل بكل حرية في خدمة الهولنديين بدون معارضة.

١٨- يتمتع المترجم أو دليل السائح في دور الهولنديين التجارية بحرية كاملة توازي عضو مجلس الأمة الهولندي، ولا يزعجه أو يعارضه أحد.

١٩- إذا تعرضت السفن الهولندية لأي أذى أو حادث في مكان ما تحت حكمه وتلفت البضائع فعلى الوزير المختص تعويض الهولنديين عما فقدوا من دون اعتراض.

٢٠- يسمح للهولنديين بتصدير الجياد وأي نوع من الحيوانات التي يرغبون تصديرها.

٢١- لا يؤخذ أي مبلغ أو ضريبة عن البضائع المشتراة من شيراز وهرمز من قبل الهولنديين تحت أي ادعاء كان.

٢٢- لا يؤخذ أي مبلغ من الهولنديين الذين يعملون بحراسة الطريق في أية منطقة.

٢٣- وعد الشاه الهولنديين أنه سيمنحهم امتيازات إضافية حالما يحتاجون^(١).

وكانت كل هذه التنازلات التي قدّمها الشاه عباس للهولنديين هي من أجل أن يوافقوا على طلبه في أن تقطع العلاقات التجارية والسياسية بين هولندا والدولة العثمانية، ومشاركة القوات البحرية التابعة للشركة الهولندية مع القوات الفارسية في طرد البرتغاليين من مسقط وعمان، إلا أن هذين الطلبين قوبلا بالاعتذار^(٢).

(*) تقول الأستاذة هيفاء الربيعي: هذه الفقرة بالذات شجعت الهولنديين فيما بعد لاستخدام العنف والقوة ومخالفة القانون واقتراف الجرائم دون رادع.

(١) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص ٤٠-٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣.

فالشاه يريد استثمار التعاون الإيراني الهولندي لتحقيق أهدافه السياسية وأما الهولنديون يريدونها تجارية لا سياسية^(١).

إقامة وكالة تجارية برتغالية في البصرة

(١٠٣٢هـ تقريباً) ١٦٢٣م قال لوريمر: ((عند فقدان هرمز وجه البرتغاليون نشاطهم التجاري وحماسهم للتبشير إلى البصرة فأقاموا فيها وكالة تجارية وجماعة دينية ومعهداً للتعليم الديني وظلوا هناك حتى عام ١٦٤٠م على الأقل))^(٢).

سلامة البصرة من الاجتياح الإيراني

(١٠٣٢هـ تقريباً) ١٦٢٣م البصرة نجح حاكمها التركي في الدفاع عنها بمساعدة البرتغاليين الذين تركوا فيها خمس سفن لمساعدة الأتراك على الجيش الفارسي. وفي ٢٣ مارس ١٦٢٥م الموافق ١٣ جمادى الثانية ١٠٣٤هـ تقريباً تخلى الفرس فجأة عن هجومهم على البصرة^(٣).

من مشاهدات ديلالافاليه في جنوب البصرة

في ٢٣ مايو ١٦٢٣م (٢٣ رجب ١٠٣٢هـ تقريباً) قال ديلالافاليه: سرنا ستة فراسخ فوصلنا إلى قرية كوييدة التي يعتبرها الأعراب قلعة، وكان شيخها يجمع الإتاوة من القوافل العابرة واسمه الشيخ عبدالله، توقفنا خارج هذه القرية بانتظار القبوجي الذي زار الباشا، لأنه طلب منا أن يرافقنا في طريق عودته إلى اسطنبول^(٤).

الجدير بالذكر أننا دفعنا الضرائب في الطريق الصحراوي أربع مرات! ولا أعلم أكان دليلنا يخدعنا أم أن هذه العادة الجارية. فقد دفعنا أولى الإتاوات للشيخ عبدالله صاحب كوييدة...، والإتاوة الثانية يستوفيها شيخ عربي آخر في البادية اسمه ((ابن خالد))...، والإتاوة الثالثة تدفع إلى شيخ عربي ثالث يلقب ((بالأعور))... ومثل الإتاوات تدفع لشيخ آخر هو ((ابن عم الأعور)) المذكور.

في ٥ يونيو: بارحنا كوييدة قبل بزوغ الشمس فوصلنا عند الظهيرة قرب آبار يطلقون عليها اسم ((الغنيومات)) وهناك وجدنا عدداً من البدو نازلين في تلك الديار، لقد خفت في بادئ الأمر من هؤلاء الرجال، ولكن عندما اقتربنا منهم رأيناهم مساكين مسالمين، فأنزلنا الرحال واسترحنا.

بلغنا هناك أن قبضة من قطاع الطرق قد أعدوا العدة لمهاجمتنا وقد سبقونا في البادية، فللتأكد من هذا الخبر عاد رئيس الجمالين إلى كوييدة ليستطلع الأمر فهناك تتجمع عادة عيون العشائر، وفي الليل

(١) المصدر السابق.

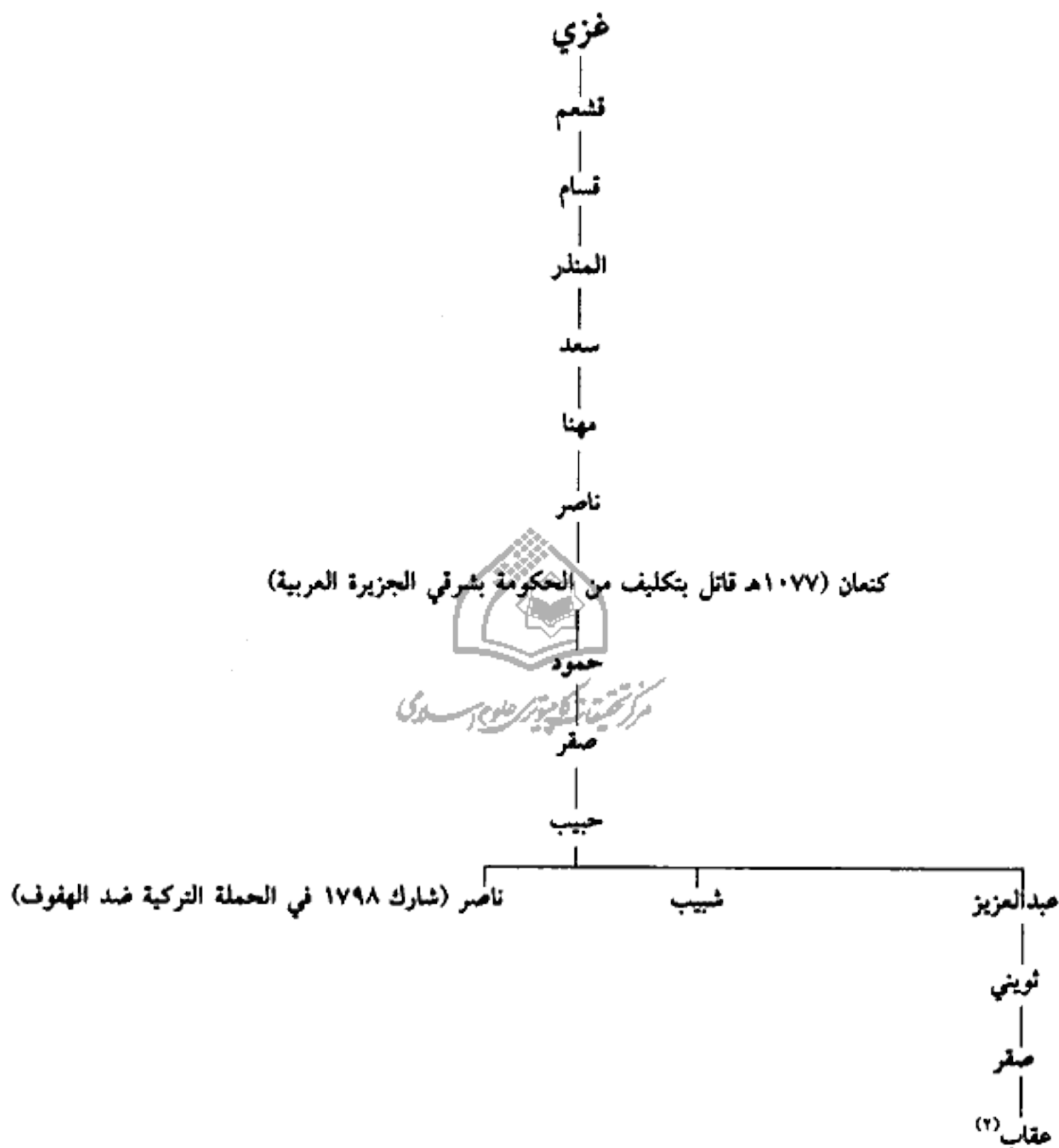
(٢) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول ص ٤٠.

(٣) المصدر السابق ص ٣٢.

(٤) رحلة ديلالافاليه إلى العراق ص ١٥٢.

رجع إلينا مؤكداً صحة الخبر ونصحنا بالعودة إلى القرية، ولا أعلم مدى أمانة الرجل في كلامه، فعدنا في اليوم التالي ونزلنا في العراء خارج القرية، ثم دعينا للدخول إليها لنكون في مأمن من اللصوص ونضيق آثارنا على جواسيسهم وكأننا غيّرنا خطتنا وعدلنا عن السفر^(١).

١٣ يونيو: غادرنا كويبة في الليل ومررنا من جديد بالغنيمات. وفي ١٤ حزيران (يونيو) أكملنا السير إلى منتصف النهار أيضاً فنزلنا قرب مياه مرة المذاق، هناك هبت علينا رياح حارة شديدة اقتلعت خيامنا ومزقتها بحيث اضطررنا في الليالي التالية إلى النوم في العراء.



(١) المصدر نفسه ص ١٥٥.

(٢) راجع: البدوج ٣ ط ٢ تأليف فرنر كاسكل ومساعديه تحقيق ماجد شبر ص ٥٨٨، وراجع (تاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ج ٤ ص ٥١).

توغل شريف مكة إلى قرب الإحساء واجتماعه ببعض اقربائه

١٠٣٢هـ ((توغل الشريف إدريس بن حسن بن أبي نمي وابن أخيه محسن بن حسين في الشرق ووصلا بالفريق إلى قرب الإحساء اجتماعا بذوي عبدالمطلب وكانوا في العام الماضي نافروا عنهم الشريف إدريس فقام الشريف محسن في موافقتهم لعمهم فتم ذلك وطابت نفوسهم، وصل الشريفان بفريقهما إلى الإحساء وضربت خيامهم قبالة الباب القبلي من سور الإحساء وأكرمهم صاحبها علي باشا الكرامة التامة وأقاموا نحو ثمانية أيام ولم يتفق لأحد من أشراف مكة المتولين من القتادين وصول الإحساء كما اتفق لهذين الشريفين))^(١).

استيلاء ناصر بن مرشد على خورفكان

١٠٣٢هـ - ١٦٢٣م في هذه السنة استعاد الإمام ناصر بن مرشد بن سلطان اليعربي خورفكان الذي يتنافس عليه الفرس والبرتغاليون.

جدول لامراء عُمان وإماراتها

في هذه الأوقات كان ملك عمان في أيدي المتزعمين التاليين:

الرقم	المنطقة	صاحبها
١	نزوى	سلطان بن محسن بن سليمان بن نبهان
٢	سمائل	مانع بن سنان العميري
٣	بهلى	سيف بن محمد الهنائي
٤	سمد الشان	علي بن قطن الهلالي
٥	أبراء	محمد بن جيفر بن جبر الجبري
٦	صور وقريات ومسقط والجانب الشمالي من الباطنة	البرتغاليون
٧	نخل	لعمه سلطان بن أبي العرب
٨	الرستاق	في يد أبي سلطان بن أبي العرب
٩	حصن الغبي	لآل هلال رهط الجبور
١٠	حصن مقنيات	الجبور
١١	ينقل	الجبور ومالكها ناصر بن قطن وكانت لمحمد بن جيفر

(١) سبط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٤٠٩.

١٢	صحار	البرتغال
١٣	جلفار	بيد العجم والمالك لها ناصر الدين العجمي ^(١)

مقتل أولاد صاحب بلدة مقرن

١٠٣٣هـ في ربيع الأول الموافق يناير ١٦٢٤م تقريباً: قتل أولاد مفرج بن ناصر صاحب بلدة مقرن^(٢).

اتساع حكم علي باشا البغدادي إلى هرمز

١٠٣٣هـ - ١٦٢٤م حكم علي باشا علاوة على ممتلكاته جزيرة هرمز لمدة ٢٥ عاماً، وفي خلال حكم ابنه حسين باشا تطلع إلى التوسع فأرسل قوة استولى بها على القطيف وعين عليها والياً من قبله^(٣). وفي عام ١٦٢٥م حصل تقارب إنجليزي هولندي عندما تعاونوا في أسطول مشترك صد الأسطول البرتغالي الذي تقدّم لاحتلال هرمز، فأصبحت سفنه بخسارة كبيرة فاضطر إلى التراجع إلى مسقط لإعادة التنظيم، لكن سرعان ما أصاب سياسة التحالف هذه الضعف بعد أن استنفذت أهدافها^(٤).

وفاة الشريف إدريس في جبل شمر

١٠٣٤هـ مات الشريف إدريس بن حسن بن أبي نعي محمد وهو في الستين من عمره في جبل شمر، فأعلن محسن بن حسين بن حسن استقلاله بالإمارة^(٥)، وكان الشريف إدريس قد عاش بعيداً عن مكة نحو شهرين في مكان يسمى ياطب عند جبل شمر^(٦).

ولاية حسين أفراسياب على البصرة

١٠٣٥هـ في هذه السنة وجهت ولاية البصرة إلى حسين باشا أفراسياب^(٧)، الذي ((حاول أن يدعم استقلاله الحقيقي في ولاية البصرة، ولهذا لم يكن للعثمانيين أي تأثير فعلي عليه، لذلك فقد توجهت

- (١) عُمان عبر التاريخ لسالم السيابي ج ٣ ص ١٩٣.
- (٢) تاريخ الجامعة لعبدالله بن خميس ج ٢ ص ٢٨٠.
- (٣) القوى السياسية في كوت الأحساء- يوسف جعفر سعادة ط ٩٧ ص ٢٤١.
- (٤) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص ٤٨.
- (٥) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج ٥ ص ٨٠.
- (٦) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨م ص ٣٥٩.
- (٧) ولاية البصرة ومستلموها لابن الغملاس ت ١٣٣٣ دارمنشورات البصرة ٦٢.

أنظار الأوروبيين الإنكليز والهولنديين رغم حصولهم على الامتيازات التجارية في الدولة العثمانية إليه للحصول على امتيازات مماثلة منه تضمن مصالحها التجارية هناك^(١).

ولاية الشريف أحمد بن عبدالمطلب على مكة المكرمة

١٠٣٧هـ ((ثار الشريف أحمد بن عبدالمطلب بجدة فتوجه محسن في أعوانه لملاقاة الثائرين وما كاد يترك مكة حتى ثار الشريف مسعود بن إدريس بن حسن بن محمد بن بركات في مكة، فلما بلغ محسن ابن الحسين بن حسن بن محمد ذلك ترك أمر جدة وعاد إلى مكة فنشب القتال بينه وبين مسعود فيها، ففرقوا عن محسن ففر إلى اليمن تاركاً مكة لأحمد بن عبدالمطلب وذلك في عام ١٠٣٧هـ^(٢).

ولاية الشريف مسعود بن إدريس ثم الشريف عبدالله بن الحسن

١٠٣٨هـ بعد أن قتل الشريف أحمد بن عبدالمطلب في سنة ١٠٣٨هـ - تولى على مكة - الشريف مسعود بن إدريس ولم تطل مدته، ثم وليها الشريف عبدالله بن الحسن بن أبي نمي^(٣).

دفاع بني كعب عن البصرة ضد الفرس

خلال حصار البصرة من قبل الفرس (١٠٣٨هـ - ١٦٢٩م) أثبت شيخ كعب القبان بدر بن عثمان ولاءه المطلق لعلي باشا أفراسياب. إذ وقف بمنتهى الحزم ضد من فكروا بالالتحاق بالفرس بسبب الوضع اليائس للمدافعين، وبعد إنقاذ المدينة بما يشبه المعجزة أدى نبأ وفاة الشاه عباس الكبير إلى رفع الحصار فجأة^(٤).

بعد وفاة الشاه عباس الأول اعتلى عرش بلاد فارس الشاه صفي^(٥).

انهيار أجزاء من جدران بيت الله الحرام

((البلاد الحجازية قد تعرضت في يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر شعبان المعظم من سنة ١٠٣٩هـ (٣ أبريل ١٦٣٠م) إلى رعود وصواعق وبروق وأمطار لم ير لها مثيل، إذ إن المياه التي نزلت من السماء تجمعت وكونت سيولاً كسيل العرم وهجمت بشدة إلى داخل المسجد الحرام وزادت ساعة بعد ساعة وارتفع مقدار ذراعين من فتحة مفتاح باب المعلى.

(١) المجلة العربية للعلوم الإنسانية ع ١١ مجلد ٣ ص ٨٣: حكومة حسين باشا أفراسياب للحمداني ص ١٥٨.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨م ص ٣٦٠.

(٣) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص ٣٤.

(٤) البدو ج ٤ ط ٢ تأليف أوبنهايم ومساعدية تحقيق ماجد شبر ص ٨٣.

(٥) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص ٥٠.

إن الحوانيت والمدارس والمنازل التي تصادف وجودها في طريق السيل الشديد انهارت كلها...، وكانت جدران البيت المعظم قد أوشكت على السقوط بعد وقت قليل من أداء صلاة العصر من يوم الجمعة ٢١ شعبان.

وفي اليوم الثاني من دخول السيول داخل الحرم الشريف انهارت جدران الركن الشامي والركن العراقي فجأة، واختلط صخب الانهيار بأصوات الرعود والصواعق، فاستولى على أهل مكة خوف شديد حتى أن بعضهم ماتوا من شدة الفزع.

عقد في ذلك، التاريخ أمير مكة المعظمة الشريف مسعود بن إدريس اجتماعاً في داخل الحرم مع الطبقة المختارة من الأشراف وسكان مكة، وبعد التشاور أسرعوا بإنزال القناديل الذهبية والفضية المعلقة في داخل بيت الله وبعد ذلك أخبروا الركاب السلطانية ما حدث، وأوصلوا خبر انهيار بيت الله بواسطة محمد علي باشا والي مصر^(١).

من الأخبار الأولى للمردة أسلاف آل سعود وآل ثاقب

١٠٣٩هـ / ١٦٣٠م ذكر حسين خلف الشيخ خزعل أنه بعد وفاة مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي خلفه في هذا العام المذكور ولده الأكبر ربيعة ثم قامت فتنة بعد وفاة ربيعة أسفرت عن استيلاء ابن أخيه مرخان بن مقرن بن مرخان على الحكم.

اشتراك محمد بن عبدالله وزيد بن محسن في ولاية مكة المكرمة

١٠٤٠هـ توفي الشريف مسعود بن إدريس وبوفاته اجتمع الأشراف واتفقوا على تولية (عبدالله بن حسن بن أبي نمي)، وكان عبدالله رجلاً عظيماً صالحاً وكان من أكابر آل أبي نمي وبه سمي (العبادلة) من الأشراف في مكة ومن ذرية العبادلة (آل عون).

ثم تنازل عبدالله بن الحسن لمحمد بن عبدالله وشريكه زيد بن محسن، واستقام الأمر لهما، وتوفي عبدالله بن الحسن بعد أشهر من تنازله في جمادى الآخرة من السنة نفسها ١٠٤١هـ، رحمة الله عليه^(٢).

إلا أن الشريف محمد بن عبدالله بن الحسن بن أبي نمي لم يدم في الحكم طويلاً إذ جاء في السنة المذكورة عسكر من اليمن ((ودخلوا مكة المكرمة عنوة بالسيف وقتلوا شريفها يومئذ محمد بن عبدالله وفعلوا بمكة ما فعله بالمدينة فلقبهم أهل مكة بالجلالية))^(٣).

(١) موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب أيوب صبري باشا ج ١ ص ٤٤٩.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨/ ١٩٩٩م ص ٣٦٧.

(٣) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب لعبد الرحمن الأنصاري تحقيق محمد العروسي المطوي ١٩٧٠ المكتبة العتيقة ص ٧٥.

اشتراك نامي بن عبدالمطلب وعبدالعزیز بن إدريس بولاية مكة

١٠٤١هـ ((نودي بالشريف نامي بن عبدالمطلب أميراً على مكة وندب للاشتراك معه في الحكم الشريف عبدالعزیز بن إدريس...، وكان ذلك في ٢٦ شعبان من السنة نفسها. وبدخولهم فرزید بن محسن إلى البادية ثم توجه إلى بدر ثم إلى المدينة فاستقر فيها وسميت الواقعة بـ واقعة الجلالية))^(١).

فرار الشريف نامي وشريكه وولاية الشريف زيد

١٠٤١هـ فر الشريف نامي في بعض رجاله إلى خارج مكة، ثم تابع فراره إلى الشرق وتبعه عسكر الجلالية وقد انتهى بهم إلى تربة وتحصن معهم فيها كما فر شريكه عبدالعزیز فيمن تبعه إلى ينبع.

وباتت مكة في ليلة ٥ ذي الحجة من العام نفسه تنتظر دخول القادمين من الجموم...، وفي ٦ ذي الحجة (٢٤ يونيو ١٦٣٢م تقريباً) أقبل الشريف زيد في موكب حافل تتقدمه صناجق الأتراك حتى نزل في دار السعادة وأطلق مناديه ينادي بالأمان^(٢).

في عام ١٦٣٢م حصل الإنجليز على بعض الامتيازات من الشاه صفي حاكم بلاد فارس وجدّوا معه العقود السابقة بعد أن تم الاتفاق على دفع ١٥٠٠ تومان للشاه سنوياً على شكل هدايا^(٣).

غزوة الشريف زيد على آل صبح من حرب

١٠٤٣هـ ((غزا الشريف زيد بن محسن فخذاً من قبيلة حرب اسمها صبح فاستطاع أن ينكل بهم ويعيدهم إلى طاعته))^(٤).

وباء الخيل

وفي هذه السنة وقع الفناء في الخيل بمكة حتى لم يبق فيها إلا فرس واحد جعلوه لركوب الأمير وركب بقية الأشراف الحمير^(٥).

إعادة تعيين سوندك سلطان على البحرين

١٠٤٣هـ (١٦٣٣م) في هذه السنة عزل عن البحرين سوندك سلطان، إلا أنه توجه بهدايا للشاه منها سيف (تيمورلنك) فأعاده إلى البحرين ثانية إلى سنة ١٠٧٧هـ^(٦).

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٦٨.

(٢) المصدر السابق ص٣٦٩.

(٣) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزیز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩م ص٥٣.

(٤) تاريخ مكة لأحمد السباعي

(٥) المصدر السابق ص٣٧٠.

(٦) م. الوثيقة ع ١ ص ٨٢: تاريخ العتوب، د/ علي أبا حسين ص ٨١.

تحركات الإمام ناصر العسكرية في الأراضي العمانية

١٠٤٣هـ في هذه السنة: ((اتفق ناصر بن مرشد مع والي لوى حافظ بن سيف أن يصير إلى صحار، ويبني فيها حصناً. فأرسل الوالي إلى من بقربه من القرى من بني خالد وبني لام والعمور، وكان رجال من صحار يدعونه إلى ملكها، فمضى بجيشه، وبات بقرية عمق، وصبح للبلد ضحى. وذلك آخر يوم من المحرم سنة ١٠٤٣هـ فأناخ بمكان يسمى البدعة من صحار))^(١).

لجوء ابن قطن إلى الظفرة وتعصب بني ياس له

كان ناصر بن قطن يغزو أرض عمان انطلاقاً من بلد الإحساء بعد هروبه من ينقل العمانية وذلك لأخذ الإبل والأموال فيعود بجميع ما استولى عليه إلى الإحساء، فما زال على هذا الحال في كل سنة. فكتب الإمام ناصر بن مرشد لواليه محمد بن سيف الحوقاني أن يتجسس عن قدومه، فما إن أقبل ناصر حتى تلقاه محمد بن سيف، فصد الشيخ ناصر عن جيش الإمام قاصداً للظفرة ودخل حصنها بمن معه من البادية وعصبت له عصبة من قوم بني ياس، ثم اختار الشيخ ناصر بن قطن الجبري خيار السلام فوجه رسله للوالي محمد بن سيف الحوقاني ملتصقاً منه الصلح وكان قد قل على الوالي الزاد، وتعذرت عليهم البلاد فوافق بشرط رد ما نهبه فكان ذلك^(٢)، وكان مقدام بني ياس في ذلك اليوم يسمى صفر بن عيسى فقتل وكان له أخ يدعى محمد بن عيسى^(٣).



- (١) تاريخ أهل عمان: تحقيق / سعيد عبدالفتاح عاشور ص ١٣٦.
 - (٢) سيرة الإمام ناصر بن مرشد لابن خلفان بن قبصر، تحقيق القيسي ص ٧٦-٧٧ / تاريخ أهل عمان: تحقيق / سعيد عبدالفتاح عاشور ص ١٤١.
 - (٣) سيرة الإمام ناصر بن مرشد لعبدالله بن خلفان بن قبصر، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي ص ٨٩ (تاريخ أهل عمان: تحقيق / سعيد عبدالفتاح عاشور ص ١٤١) (تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان) للعلامة عبدالله بن حميد السالمي ت ١٣٣٢هـ ج ١-٢ ص ١٤.
- في كتاب تاريخ أهل عمان يسمى الموضع الذي جرى فيه القتال الشعب ويسمى أمير بني ياس سقير بن عيسى. أما تحفة الأعيان فيسمى المكان الشعبية ويسمى أمير بني ياس صقر بن عيسى. ويسمى بني ياس ببني لياس وطبعاً صفر وسقير وصقر هو تصحيف لاسم واحد، والصحيح هو صقر والله أعلم.
- كما أن السالمي يسمي جيش الإمام ناصر بن مرشد بجيش المسلمين جرياً على عادة المؤرخين المتحمسين لائمتهم في ذلك الوقت، وقد رأينا هذا الحماس أيضاً من مؤرخي الدولة السعودية الأولى من أمثال ابن غنام وابن بشر والفاخري ويرأي إن هذا الحماس لا يجوز لأن جميع أبناء الجزيرة العربية مسلمين إن شاء الله، وأما الصراع بينهم فلم يكن إلا من أجل الاستقلال بالسلطة والتوسع على حساب الآخرين، والحملة التآديبية والراعدة ضد المعارضين - هذا على مستوى الرؤساء والأمراء، وأما على مستوى الأفراد العاديين بادية وحاضرة فاقتالهم إما على المال أو لأخذ الثار أو الطمع أو طلب المرعى الجيد، غفر الله لهم جميعاً.

اتفاق الجبري والخالدي على غزو بني خالد وبني لام في الباطنة

ناصر بن قطن الجبري اتفق رأيه ورأي محمد بن عثمان آل حميد الخالدي وعندهم أقوام من بادية الإحساء فمضى إلى الباطنة فهجم على بلدان بني خالد وبني لام أولو الإبل، وأخذوا منهم جميع مواشيهم وسلبوا ما على النساء من الحلبي والحلل ورجعوا بما أخذوا إلى الإحساء.

اعتقال ابن حميد الخالدي بحصن الغبي^(١)

((ثم إن محمد بن عثمان آل حميد الخالدي كان من أصحاب ناصر بن قطن غزا ببعض جماعته أرض عمان وقصد بلاد السر وأناخ بقرب بلدة الغبي فطلب سعيد بن خلفان من ابن حميد المواجهة وقال له: أما ترد ما كسبته ونهبت من العباد؟ فأعرض عنه بوجهه وتولى، وقد رفض المطالب. فأمر سعيد بن خلفان بأسره ووضع بحصن الغبي))^(٢).

ولاية محمد بن علي على الإحساء بعد والده علي باشا

١٠٤٤هـ - ١٦٣٥م في هذه السنة انتقلت ولاية الإحساء بعد وفاة علي باشا^(٣) إلى ابنه محمد، الذي استمر في السلطنة حتى سنة ١٠٧٤هـ ١٦٦٤م^(٤).

نزول آل رباع حريملاء

١٠٤٥هـ قال ابن بشر: نزل آل رباع حريملاء وغرسوها، اشتروها من حمد بن عبدالله بن معمر التميمي، وكانت ملكه بعدما أخذ ملهم وأجلى منها العطيان المعروفين فنزلوا القصب ثم ردهم ابن معمر إلى بلدهم ملهم من رؤيا رآها اقتضى برأيه ردهم بسببها.

ولاية راضي بن فنخة على المدينة المنورة

١٠٤٦هـ (١٦٣٦م تقريباً) في هذه السنة تولى على إمارة المدينة الشريف راضي بن فنخة بن عميرة ابن شهوان بن أحمد بن زهير بن زبان بن منصور بن جماز بن شيحة، ثم إن سلطان مكة المشرفة الشريف زيد بن حسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي الحسني أرسله بهدايا إلى السلطان مراد خان حين فتح بغداد سنة ١٠٤٨هـ ومات هناك بنواحي اسطنبول^(٥).

- (١) بلدة الغبي من بلاد السر في عمان وكانت لرهمط من آل هلال الجبريين قبل أن تستولي عليها قوات الإمام ناصر بن مرشد وتوحد البلاد.
- (٢) سيرة الإمام ناصر بن مرشد لعبدالله بن خلفان بن قيصر، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي ص ٨٥.
- (٣) هناك مصادر تذكر أن علي باشا لم يمت في هذه السنة، بل إنه مات في سنة ١٠٦٠هـ أو في التي تليها في المدينة المنورة. راجع تاريخ اليمن طبق الحلوى لعبدالله بن الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم ص ١٢٢.
- (٤) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي.
- (٥) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٨٧.

وقعة مران

قال ابن شدقم: ((رشود بن محمد بن فنخة كان سيداً جليل القدر عظيم الشأن..... له في الحروب مواقف عظيمة وغارات عالية عديدة قد بان في لحيته الشيب قبل إكمال عارضيه فشيخه جميع بني حسين..... فمنها أنه قد عصى بهم على الشريف زيد بن محسن فسير عليهم جيشاً كثيفاً فمنهم السادة الأشراف آل طفيل وآل نعيم والحذيفات من سويدا بني حسين ومطير وعدوان والأساعدة^(١) الجبالية ومقدمهم الشريف حسن وصنوه خرار ابنا أحمد بن حراز بن...^(٢) الحسيني ولم يكن مع رشود آل شهوان وآل شامان آل جماز، فالتقوا بماء يقال لها مران أحد موارد الحاج العراقي..... فساق بنو حسين عليهم المسوقة وفيها خمسة هودج، فمنها ثلاثة لآل زبان أحدها لعيال رشود والثاني لعيال يحيى بن كليبات والثالث لعيال حسين بن مانع فكلها عقرت، والرابع لعيال منصور بن صويدر بن كليبات والخامس لعيال مسعود بن حماد بن ناموس الجمازي، فطرح عنده بزيغ بن حمدان بن ناموس، فغار رشود على هودج عيال حجر بن سيحان العدواني فطرح دونه فانكسر بنو حسين عن آخرهم ثم ردوا عليهم ثانياً وأولهم علي المفتضح بن مسعر الشفيعي^(٣) على العقيد حسن، فانهزم منه حسن بن أحمد بن عرار، وغار مهنا بن راشد آل باذر النعيري على أخيه حراز بن أحمد فعقر فرسه وقبض عليه دخيل الله بن سلطان بن نبيه، فالذي قتل في الجبالية مائة وخمسون رجلاً غير البادية وانهزم الباقون فلزم أثرهم من الفجر إلى الزوال فاغتنموا الخيل والعيس وربطوا كثيراً من الرجال وهودج شمسية عيال شبيب بن فارس العرادي وهودج عيال ساعد ابن رشود المطيري، ونزل حسن بن أحمد بوادي العقيق وأرسل إلى الشريف زيد يعرفه بذلك فأمدّه بالمال والرجال، فعاد على بني حسين يثرب ولم يكن أحد ذلك اليوم حاضراً منهم غير أربعين رجلاً فتأهبوا للقتال ثم إن حسناً رجح الصلح ورجع عما نواهم به من القبح، فأمر بكف القتال^(٤))).

إعادة بغداد إلى السيادة العثمانية

١٠٤٨هـ - ١٦٣٩م تمكن السلطان مراد الرابع من انتزاع إيالة بغداد وإعادتها إلى السيادة العثمانية من جديد^(٤)، وعرض أفراسياب حاكم البصرة طاعته وبعث بهدايا، فقرر السلطان إبقاءه حاكماً عليها.

(١) يقول منديل آل فهيد: من المعلوم أن الأسعدي والحافي أخوين نزحاً من بلادهم المسماة رهاط في الحجاز، من ضواحي مكة المكرمة، فأما الحفاة فغالبيتهم بادية، وأما الأساعدة فأغلبيتهم حاضرة، أقصاهم في العراق بالديوانية والحاويقة بادية وحاضرة يقال لهم ساعدة. ومن الأساعدة المسامير مع الظفير والمويشر والقعيد في الجوف، والذكران والسلمان وعدة أسر في عنيزة، والرشود، والفوزان والصقران في بريدة وغيرهم كثيرون. راجع كتاب: من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية لمنديل الفهيد ط ٢٠٠٣/٤م ج ١ ص ١٤٩.

(٢) علي المفتضح العريان الحسيني: أدركته المنية بالفلاة (ره) سنة ١٠٦٦هـ. راجع: تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٤١٣.

(٣) تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٣٨٧.

(٤) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية ص ٤٣٤.

((ووصلت كذلك في الوقت نفسه مفاتيح قلاع قورنة^(١) (قطر) مع هدايا من حاكم عمان وسبعون مفتاحاً للقلاع التي تحت يده، فأعيد تولية حاكمها [زين الدين خان] مقبولاً رسمياً. ثم وصلت هدايا من [شفيق] خان الحسنة = (الحسا) مع ستين مفتاحاً للقلاع فأعيد تعيينه حاكماً عليها^(٢))).

استقلال البرتغال من إسبانيا

١٦٤٠م استردت البرتغال استقلالها من إسبانيا، كما أن النجاح الذي حققه البرتغاليون على العمانيين في مسقط في نفس العام قد ضاعف من معنوياتهم وابتهاجهم^(٣).

وصول قبيلة شمر إلى الجمات العراقية ومزاحمة قبائلها

١٠٥٠هـ - ١٦٤٠م في هذه السنة وردت إلى العراق أعداد كبيرة من قبيلة شمر، وقد وصلت شمر إلى تدمر وخربتها ونازعت قبائل الموالي وعنزة وآل أبي ريشة ووقعت بينهم الضحايا وسالت الدماء^(٤).

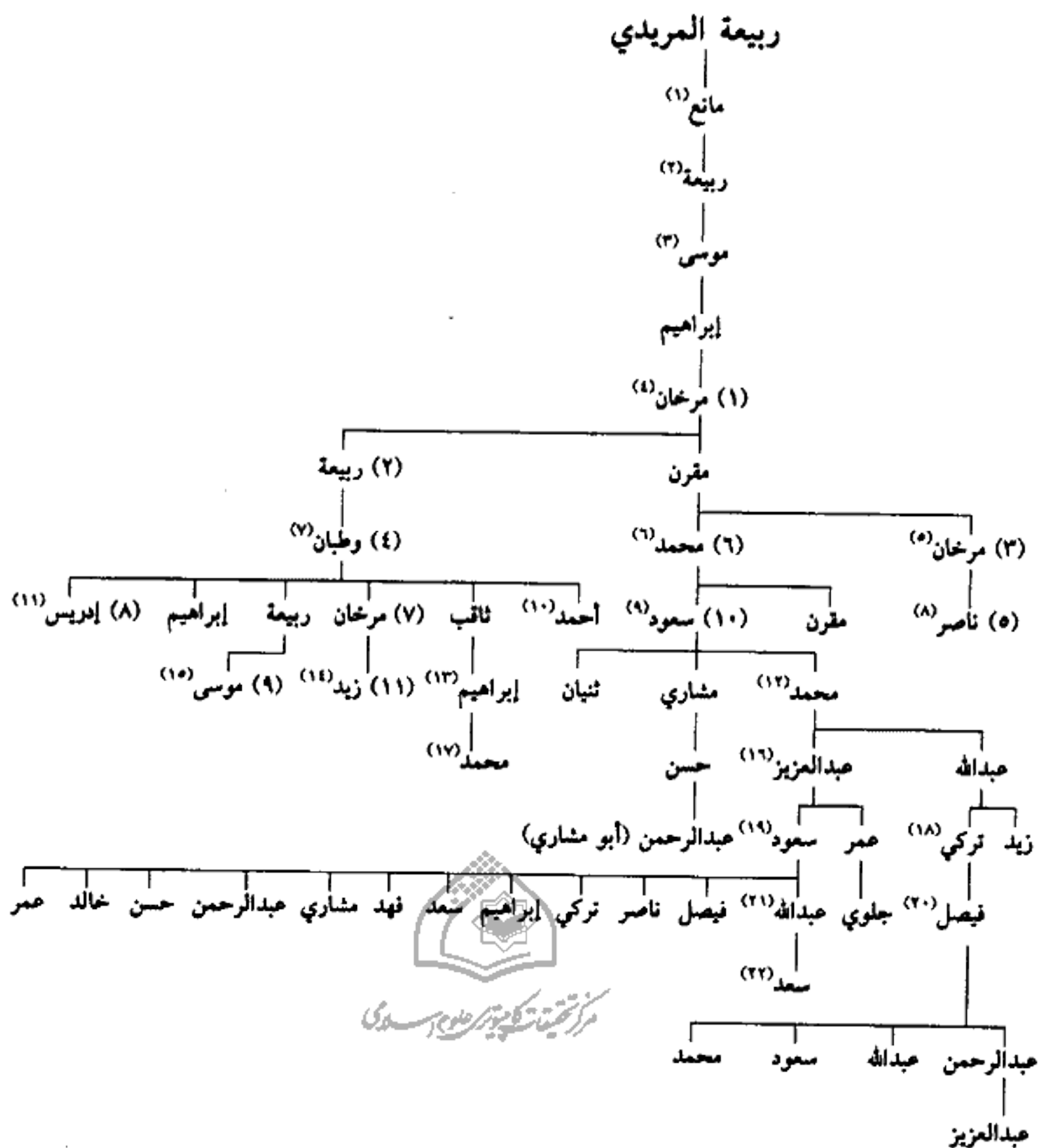
تحرير الساحل العماني

١٠٥٤هـ - ١٦٤٤م سيطر العمانيون على ساحل بلادهم الذي كان قد احتله الإفرنج وهم لم يكونوا يتوقعون أن ينجحوا في ذلك^(٥).

ولاية حسين باشا على البصرة من بعد والده علي باشا

في شعبان ١٠٥٥هـ / سبتمبر ١٦٤٥م تولى حسين باشا السلطة في البصرة من بعد والده علي باشا (الديري الأفراسيابي)^(٦).

- (١) تفسير قورنة بأنها قطر والحسنة بأنها الحسا، من رأي المترجم ولا نستبعده، لا سيما وكنا قد ذكرنا أن محمد باشا تولى حكم الإحساء خلفاً لوالده سنة ١٠٤٤هـ.
- (٢) بغداد اللجنة العامة معرب من سياحته ترجمه محمد جميل الروثياني ١٩٩٨م ص ٤١.
- (٣) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١٩٢.
- (٤) آل ربيعة الطائيون لفرحان أحمد سعيد ط ٢-٢٠٠٣ ص ٢٢٦.
- (٥) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط ٨٣ ص ١٩٤.
- (٦) بنو خالد للوهبي.



(١) تذكر المصادر أنه قدم هو وابنه ربيعة من القطيف في سنة ٨٥٠ هـ إلى نجد على ابن درع رئيس الدروع فأعطاه المليد وغصية.

(٢) كثرت جيرانه من الموالفة وحارب آل يزيد، ولعل ذلك تم بالتعاون مع مقرن بن زامل كما ذكرنا في موقع آخر من الكتاب. وقد لجأ ربيعة بن مانع إلى حمد بن حسن بن طوق هرباً من ابنه موسى.

(٣) احتال على قتل أبيه الذي تمكن من الهرب إلى حمد بن حسن بن طوق رئيس العيينة ثم إن موسى جمع جموعاً من الموالفة والمردة، وسطا بالمزايدة وقيل صبح آل يزيد في النعيمة والوصيل وقتل منهم أكثر من ثمانين رجلاً واستولى على منازلهم ودمرها.

(٤) ت ١٠٣٩ هـ - ١٦٣٠ م.

(٥) قتل ١٠٥٦ هـ - ١٦٤٦ م.

مقتل مرخان بن مقرن على يد وطبان بن ربيعة

١٠٥٦هـ فيها: قتل مرخان بن مقرن قتله ابن عمه وطبان بن ربيعة، واستولى على غصيبة المعروفة في الدرعية^(١).

وفاة أمير العيينة حمد بن معمر وولاية أخيه بعده

وفيها (١٠٥٦هـ): توفي حمد بن عبدالله بن معمر أمير بلد العيينة حاجاً في المناسك، وتولى بعده أخوه ناصر بن عبدالله ولم تتم له الولاية إلا أشهراً معدودة، إذ ثار عليه ابن أخيه دواس بن معمر، فقتله سنة ١٠٥٧هـ وتولى الإمارة من بعده، ولكنه قتل أيضاً سنة ١٠٥٨هـ وتولى بعده محمد بن حمد بن عبدالله ابن محمد بن معمر، وأجلى منها آل محمد^(٢).

ولاية رميزان بن غشام على روضة سدير

١٠٥٧هـ ((خرج الشريف زيد غازياً نجداً.. ونزل بالروضة وقبض على محمد بن ماضي وقتله،

(٦) تولى الإمارة ١٠٨٤ - ١١٠٦هـ شيخ غصيبة.

(٧) قتل مرخان بن مقرن.

(٨) أمير الدرعية قتل ١٠٨٤هـ.

(٩) ت ١١٣٧هـ وحكم بعده زيد.

(١٠) ق ١٠٨٤هـ.

(١١) ١١٠٧هـ، إدريس ت ١٢١٣هـ.

(١٢) ببيع ١١٣٩ - ١١٧٩هـ.

(١٣) إبراهيم بن ثاقب في سنة ١٧٩٨ - ١٧٩٩م / ١٢١٣ - ١٢١٤هـ سار في حملة بغداد ضد آل سعود، وفي سنة ١٢٤٠هـ صار أميراً على الزبير.

(١٤) قتل ١١٣٨هـ.

(١٥) من ١١٢١ - ١١٣٢هـ.

(١٦) ولد ١١٣٣ (١١٧٩).

(١٧) صار أميراً للزبير سنة ١٢٤٧هـ، وقتل ١٢٥٢هـ.

(١٨) ق ١٢٤٩هـ.

(١٩) و ١١٦٥ - ١٢٢٩هـ.

(٢٠) ت ١٢٨٢هـ.

(٢١) ١٢٢٩ - ١٢٣٣هـ.

(٢٢) أطلق مراحه في احتلال الدرعية.

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٦ ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق ج ٦ ص ٥٦ نقله عن تاريخ مقل الذكير ص ٩ - ٢٩.

وولى فيها رميزان بن غشام بعد أن نكل بأهل البلد تنكياً شديداً ثم رحل منها ونزل بيان الماء المعروف في العارض قاصداً العينة^(١).

مقتل دواس بن معمر رئيس العينة وإمارة محمد بن حمد

١٠٥٨ هـ وفيها: ((قتل دواس بن محمد بن عبدالله بن معمر رئيس بلدة العينة، وتولى في العينة محمد بن حمد بن عبدالله وأجلى منها آل محمد، فلم تتم لهم ولاية العينة إلا تسعة أشهر))^(٢).

المصالح البرتغالية في كونك

١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م فيما بعد هذا العام المذكور كانت المصالح البرتغالية ((تنحصد في كونك وفي رحلات أسطول (جوا) نصف القرصية، وكانوا يعتقدون أن غزوات القرصان العرب كانت بتحريض من البريطانيين إن لم تكن بقيادتهم هم أنفسهم، وتمكنوا من إثبات ذلك في ١٦٨٩ م (١١٠١ هـ) عندما سلبت معاملهم في كونك سفينة بريطانية خاصة، وبهذه الحقارة قضت نجها قوة البرتغاليين البحرية في الخليج غير مأسوف عليها))^(٣).

ذهاب وفد من مدينة القرين لتهنئة سلطان عُمان

في يوم ٢٣ يناير ١٦٥٠ م / (٢٠ محرم ١٠٦٠ هـ تقريباً) استطاع سلطان بن سيف أن يطرد البرتغاليين من مدينة مسقط، ((فاجتاحت منطقة الخليج فرحة غامرة بطرد البرتغاليين منها ويشير عبدالله محمد الطائي في كتابه (قصة الشراع الكبير) إلى تشكيل وفود عربية من بلدان الخليج العربي ومنها وفد (القرين) لتهنئة سلطان بن سيف، ويعقب الأستاذ عبدالرزاق البصير في كتابه (الخليج العربي والحضارة المعاصرة) على هذه الوقائع بقوله: وهذه قضية تاريخية تعني أن القرين مدينة يسكنها جمع غفير من الناس بخلاف ما يقوله المؤرخون، والفترة التي يتحدث عنها المرجحون الأستاذ عبدالله الطائي مؤلف هذه القصة تقع في سنة ١٠٥٨ هـ - ١٦٤٨ م))^(٤).

الصراع الهولندي الإنجليزي في مياه الخليج العربي

تصاعد الصراع الهولندي الإنجليزي إلى حد إعلان الحرب على بعضهما عام ١٦٥٢ م وبخاصة في عهد كرومويل في إنجلترا لغرض فرض الهيمنة البحرية، وعملت هولندا على نقل الحرب إلى ما وراء البحار ومنها منطقة الخليج العربي بصورة خاصة فأرسلت أسطولاً ضخماً إلى مياهه^(٥).

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ٤٢.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص ٥٦.

(٣) أربعة قرون لـ لونكريك ص ١٠٥.

(٤) الكويت في القرنين ١٨ و ١٩ لخالد سالم حوادث وأخبار ط ١٩٩٥ م ص ٦٢.

(٥) غزاة في الخليج: الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية لهيفاء عبدالعزيز الربيعي المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٨٩ م ص ٦٩.

في عام ١٦٥٣م صعد الهولنديون من صراعهم مع الأوروبيين في البصرة فاستخدموا القوة في منع الإنجليز والبرتغاليين من الوصول إلى هذا الميناء بالهجوم على أربع سفن إنجليزية و١٠ سفن برتغالية والاستيلاء على ما فيها^(١).

دخول الجيش العثماني للبصرة ثم عودة حسين باشا مرة أخرى

١٠٦٤هـ ترك علي باشا ولاية البصرة وذهب إلى استانبول فعاد حسين باشا للولاية ثانياً تغلباً ثم صدقت ولايته فبادر بحكم حكومة مستبدة غير مرضية من ظلم واعتساف ولم يكتف بذلك حتى طرد متصرف الإحساء محمد باشا عن عمله سنة ١٠٦٦هـ وأرسل متصرفاً من قبله إلى غير ذلك مما استلزم سوق العسكر عليه^(٢).

رغبة قبائل من بلاد الجميلي الدخول في طاعته إمام اليمن

ذكر المؤرخ اليمني عبدالإله بن علي الوزير أنه في سنة ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م ((وصل من قبائل بحدود البصرة من بلاد الجميلي البديع ما بين الإحساء والدواسر مكتوب يذكرون اشتياقهم إلى أن يتدوا لهم الإمام - اليمني - ويسلموا إليه واجبهم، لما بلغهم من عدله، ولم يتم ذلك لبعد الديار والأبدان وكون تلك الجهة مما يضبطه نائب السلطان بن عثمان وهو أقرب إليهم وأشد وطأة عليهم))^(٣).

ثم في حوادث سنة ١٠٧٣هـ / ١٦٦٣م ذكر أنه فيها: ((وصل إلى حضرة أحمد بن الحسن شيخ يقال له الجميلي وبلاده يقال لها البديع، متوسطة بين الدواسر وبين الإحساء، وولاية بلاده منسوبة إلى الشريف صاحب مكة في الجملة فأكرمه وعاد بلاده وأمه خطيب استدعاه المذكور، فلما استقر في بلاده خطب للإمام جمعة أو جمعيتين ثم عاد الخطيب، ولم يتم ذلك الترتيب))^(٤).

احتمال هجرة الجميلات من البديع

وبمقابلة النصين السابقين ببعضهما نخرج بنتيجة مفادها أن (الجميلي) هو تصحيف (للجميلي) الذي بلاده يقال لها (البديع)، والمعروف أن البديع هي من نفس منطقة الأفلاج والهدار، كما أن الجميلي هذا من الجميلات نسبة إلى جميلة، والبديع دارهم. وقد قال ابن لعبون: (يقال إن بعض الدواسر الذين ليسوا في زائد، (من تغلب)، ومن حاضرتهم في هذا الزمان الجميلات في الأفلاج، كان لهم في الماضي رياسة وسيادة).

(١) المصدر السابق ص ٦٧.

(٢) ولاية البصرة ومستلموها لابن الغملاس ت ١٣٣٣ ص ٦٢.

(٣) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري المسمى طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى لعبدالإله بن علي الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم حازم.

(٤) المصدر السابق.

يقصد ابن لعبون أن الدواسر فرعان، فالذين ليسوا من زايد، فهم من تغلب، والجميلات هم من تغلب، وتغلب بن وائل، وعلى هذا فهم وائلون.

والنقطة الثانية التي نود ملاحظتها أنه في المرة الأولى في سنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٧م تقريباً) كان الشيخ الجميلي أو قومه قد اكتفوا بإرسال مكتوب برغبتهم الدخول تحت لواء إمام اليمن رغم بُعد البلدين مما دعا الأخير إلى الاعتذار.

ولكن بعد ست سنوات أي في سنة (١٠٧٣هـ - ١٦٦٣م) ذهب الشيخ الجميلي بنفسه إلى اليمن لمقابلة إمام اليمن شخصياً وهناك طلب الدخول في طاعته على الرغم من أن الإمام كان قد اعتذر في السابق لدخول بلاد الجميلات في عهدة الأشراف، ولكن الشيخ الجميلي الذي يبدو أنه كان مضطراً استطاع إقناع الإمام، وربما دل هذا الخبر على أن في بلاد الجميلي وقعت مشاكل كان الشريف أحمد بن الحارث أمير نجد قد عجز عن حلها.

وبالرغم من الترتيب الذي وضع لإدخال البلاد تحت طاعة إمام اليمن إلا أن الأمور لم تدم إلا أسبوع أو أسبوعين، وهنا نضع عدة احتمالات: لاشك بأن الشيخ الجميلي قد وضع نفسه بمأزق عندما وضع بلاده تحت سلطة إمام اليمن، وذلك يعني خروجه عن سلطة الشريف نجد، لذا إن لم يتسبب هذا الوضع الجديد بمعاداة الشريف له، فإنه على الأقل سيفقده علاقته به، ثم إن إمام اليمن في الأساس لا يستطيع مساعدة الجميلات لا من قريب ولا من بعيد، وهذا الوضع الخطير ربما يضع أمام الشيخ الجميلي التغلبي خيار الحرب أو الهجرة أو أن يتصالح مع الشريف مرة أخرى.

ولكن فالتنا نقطة أخيرة: عندما ذهب الشيخ الجميلي إلى إمام اليمن لطلب الدخول في طاعته إما أنه كان يعاني من مشاكل في منطقته كالحروب الأهلية وأنه لم يستطع التصدي لها، أو ربما أن مشكلته كانت في الأساس مع الشريف الذي تقع بلاد الجميلات تحت نفوذ سلطته، وأمام هذين الاحتمالين نرى أنه لم يعد أمامه سوى خيار الهجرة بعدد من قومه، ومن المرجح أن الجميلي الذي بلده في الجنوب ستكون هجرته إما إلى الشمال أو إلى الشرق مبتعداً قدر الإمكان عن نفوذ الشريف اليمامة ونجد وسطوته. وفي ذلك الوقت كانت الحروب مستعرة بينه وبين قريه الشريف مكة.

وربما أن وصولهم إلى المنطقة الشرقية كان مواكباً لأحداث هجوم قوات البصرة على الأحساء والقطيف عندما حاولوا احتلالهما، فتمكن براك بن غرير الزعيم القبلي في الصحراء من طردهم والانفراد بحكم المنطقة.

ويذكر أنه في قطر منطقة تسمى البديع، وربما هي التي هاجر إليها الجميلات من الأفلاج وأطلقوا عليها هذا الاسم تيمناً باسم بلادهم التي هاجروا منها في الأفلاج، وهنا نضع تساؤلاً: متى عُرف اسم البديع التي في قطر؟

عودة حسين باشا لحكم البصرة

١٠٦٨هـ في هذه السنة رجع حسين باشا إلى البصرة وحكم بها^(١).

خروج الشريف زيد إلى بلدان نجد

١٠٦٩هـ قال ابن بشر: ظهر الشريف زيد بن محسن على نجد ونزل قرى التويم وقدم في سدير وأخر، وأخذ وأعطى^(٢).

الفتنة بين أمير مكة وأحمد بن الحارث أمير نجد

١٠٧٠هـ ((انقطع فيها حاج العراق لما حصل بين الشريف زيد والشريف أحمد بن الحارث من الفتنة، وطريق العراق تقطع عرض بلاد اليمامة، وهي بلاد ولاية الشريف أحمد، وأما تجار الحسا فإنهم نفذوا من بندرهم البحرين المعروف بالقطيف إلى البحر الفارسي وخرجوا إلى عدن وتركوا مكة))^(٣).

توفير مقر جديد لشركة الهند البريطانية في البصرة

في إبريل ١٦٦١م (١٠٧١هـ تقريباً) عاودت شركة الهند اتصالاتها مع حكومة البصرة ممثلة بحاكمها حسين باشا، حيث أوفدت الشركة السيدان جورج كرانمر وروبرت سانتهيل إلى البصرة على ظهر الفرقاطة أميرتا وحددت لهما التعليمات بأن يذكر الباشا بالوعد الذي قطعه على نفسه في السنة السابقة بأن يقدم للشركة مقرّاً أفضل من الذي استولى عليه، وعند وصولهما البصرة وجدا ذلك المقر مشيداً. وقد تحسنت العلاقات بين حسين باشا والشركة نوعاً ما في السنوات التالية^(٤).

نهب المحمل الشامي على يد عنزة وبني لام

١٠٧٢هـ وفيها انتهب المحمل الشامي قبائل عنزة ولام^(٥).

١٠٧٣هـ وفي هذه السنة: ((جاء الخبر مع حاج اليمن أن عنزة انتهبوا الركب الشامي وهزموا أميرهم، وأسروا ولده وهو صغير السن فتفاداه منهم بمال جزيل، وأما أمير حاج اليمن فإن الحرامية تلقوه في رجوعه))^(٦).

(١) ولاية البصرة ومستلموها لابن الغملاس ت ١٣٣٣ دار منشورات البصرة ٦٢.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٦ ص ٨.

(٣) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري المسمى طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى لعبدالإله بن علي الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم حازم.

(٤) مجلة العربية للعلوم الإنسانية ع ١١ مجلد ٣ صيف ٨٣: حكومة حسين باشا أفراسياب للحمداني ص ١٥٨.

(٥) تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري المسمى طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى لعبدالإله بن علي الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم حازم.

(٦) تاريخ اليمن المسمى طبق الحلوى وصحاف المنّ والسلوى لعبدالإله بن علي الوزير تحقيق محمد عبدالرحيم حازم.

إخضاع القطيف والإحساء لحاكم البصرة حسين أفراسياب

١٠٧٣هـ ((حسين باشا الأفراسيابي باشر باحتلال القطيف فسير إليها قوات برية وبحرية استطاعت دخول البلدة واحتلالها بالقوة وعانى أهل القطيف من وحشية وفساد القوات التي أعلنت مطالبها الجائرة وفرضتها على الجميع، وبهذا أصبحت القطيف ضمن سيادة حسين باشا فعين عليها أحد أتباعه))^(١).

وكان سبب غزو حسين أفراسياب للقطيف والإحساء أنه لما حدثت فتنة بين حسين باشا آل أفراسياب وأعمامه كان أمير الإحساء محمد بن علي باشا قد ناصرهم ودلهم على طريق الالتجاء إلى الدولة العثمانية وساعدهم بكل ما أوتي، ثم أراد حسين باشا الانتقام منه، وأول عمل قام به أنه استمال العشائر الكبيرة هناك وفي مقدمتها (بنو خالد) التي كانت تتنازع في السلطة وأميرها آنثو براك، فقربه إليه واتفق معه، وأرسل جيشاً بقيادة أمير له اسمه سلمان، وكان ذلك في سنة ١٠٧٣هـ - ١٦٦٢م.

وارتكب جند حسين باشا أعمالاً كثيرة في الإحساء وقتلوا منها خلقاً كثيراً واستباحوا النساء والأموال، وضيقوا الحصار على الإحساء، فوجد واليها محمد باشا في نفسه ضعفاً، لم يستطع الكفاح، فاضطر إلى أن يسلم البلد إلى الأمير سلمان، بعد أن طلب الأمان من أمير بني خالد (براك) وأجلى الباشا وأعوانه عن البلد.

استيلاء براك على الحكم وإرسال يحيى باشا للقضاء على براك

((ولما رام سلمان دخول الإحساء منعه الشيخ براك وانتزع أسلحة من معه وطردهم، فحكم البلد وكان حاكماً عادلاً، ولما علم حسين باشا بذلك، جهز جيشاً بقيادة الأمير يحيى للقضاء على براك، فانتصر الأمير يحيى، وهرب الشيخ براك فجاء أعيان الإحساء يطلبون الأمان فأمّنهم، فصار يحيى حاكماً وحاول أن يمدد حكمه إلى عمان))^(٢).

على حد وصف أحد شهود العيان لأحداث عام ١٦٦٤م / ١٠٧٤هـ ذكر أن الهولنديين كانوا في هذه الفترة سادة الموقف في التجارة الفارسية ويأتي الإنجليز بالدرجة الثانية^(٣).

تعزيز قوات يحيى باشا بقبيلة القشعم

قال الدكتور عبد الكريم المنيف الوهبي: جهز - حسين باشا - جيشاً بقيادة أبرز رجاله وهو صهره ووزيره يحيى آغا بمشاركة جميع رجال قبيلة القشعم بزعامة الشيخ كنعان وذلك سنة ١٠٧٥هـ^(٤).

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد لعبدالكريم الوهبي - عن الغرابي.

(٢) أرجوزة في تاريخ البصرة، واقعة حسين باشا لياسين حمزة الشهابي كان حياً ١٠٨٦هـ تحقيق فاخر جبر مطر ص ٣٧ من شرح المحقق الذي استند في معلوماته هذه إلى التحفة النباهية ٢٧٦، تاريخ العراق بين احتلالين ٧٤/٥، مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٠١/١.

(٣) غزاة في الخليج العربية لهيفاء الربيعي ص ٨١.

(٤) راجع: بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي ص ١٦٥-١٦٦.

قال ياسين بن حمزة الشهابي البصري الذي كان حياً في سنة ١٠٨٦ هـ في أرجوزته في الصفحة ٣٧:

فَعِنْدَ ذَا أَرْسَلَ سَلْمَانَ إِلَى
فِي نَبْذَةِ مَنْ الْجَنُودِ الْمَارِقَةِ
عَقْدَ أَتَوْهَا سُرْعَةً يَبْغُونَا
فَحَاصِرَتُهُ الْأَشْقِيَا فِي الْبَلَدِ
وَلَمْ يَكُنْ كَفَوْا لَهُمْ وَخَافَ أَنْ
فَرَامَ مَنْ بَرَّكَ الْأَمَانَا
فَبَعْدَ ذَا سَلَّمَ سَلْمَانَ الْبَلَدُ
وَمَحْضَرٍ مِنَ الشَّيُوخِ الْكُتْلِ
فَرَامَ سَلْمَانَ الدُّخُولَ فِي الْبَلَدِ
فَلَمْ يَدْعُهُمْ ذُو الدَّهَاءِ بَرَّكَ
فَاسْتَأْصَلَ السَّلَاحَ مِنْهُمْ بِالْهَدَدِ
فَصَارَ فِيهَا حَاكِمًا بِالْعَدْلِ
حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْحُسَيْنِ الْخَبِيرِ
فَلَمْ يَسْمَعْهُ غَيْرَ بَعَثَ الْجُنُودَ
فَجَمَعَ الْعَسْكَرَ ثُمَّ سَيَّرَهُ
وَكَانَ يَسْحَبِي لَهُمْ أَمِيرًا
يَبْذُلُ جَهْدَهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ
ثُمَّ مَشَى عَلَيْهِمْ فِي الْحَالِ
هَذَا وَبَرَّكَ مَنْ الْحَصَنِ خَرَجَ
فَاقْتَتَلَ فَصَارَ يَحْيَى غَالِبًا
فَعِنْدَ ذَا جَاءَتْ لَهُ الْمَشَايِخُ
فَالْتَمَسُوا الْأَمَانَ لِلرَّعِيَّةِ
فَصَارَ فِيهَا حَاكِمًا زَمَانًا

الإحساء وبرّك يزكي العملا
أهل الفساد الأشقيا الزنادقه
خروجها منها وهم يبغونا
تسعر في قلوبهم نار الحقد
يحصل بالحصار وفن وفتن
فلم يكن في أمية خوانا
من بعد قبض بشهود وسند
وسار نحو الحرم المبجل
مع جنده أهل الفساد والحقد
شيخ بني خالد الفتاك
ثم جميعهم من الإحساء طرد
يبرز أرباب الثقي والفضل
فصار فيهما جرى يفتكر
لأخذها منه وبذل الجهد
ولم يكن يفعل ذا بمشوره
مدبراً وناصحاً نصيراً
مقصده روماً لتحصيل العلا
واضطفت الرجال لسلقتال
للملتقى من غير خوف وخرج
و رد برّك وولسى هاربا
وخوفهم منه عظيم رايخ
منه لهم فجاء بالعطيّه
يروم من أرسله عمائنا

ومما قال شهاب الدين الموسوي المعروف بابن معتوق^(١) في قصيدة له يمدح بها الوزير حسين باشا بن علي باشا ويهنيه بفتح حصن الهفوف تأتي بهذه الأبيات:

سَلِّ الهفوفَ عن الأعرابِ كَمْ تَرَكُوا مَنِ الكُنُوزِ وجناتِ بُبُقَعَتِهِ
وسائلِ الجيشِ عَنْهُمْ كَمْ بِهِ نَسَفَتْ عَوَاصِفُ النَّصْرِ طَوْقًا عِنْدَ سَطَوَتِهِ

ثم يقول بعد بيتين:

يا خالديونَ خنتم عهدَ سَيِّدِكُمْ هَلَّا وَفَيْتُمْ وَخِفْتُمْ بِأَسَ سَطَوَتِهِ
يَحْيَى دَعَاكُمْ لِمَوْلَاكُمْ لِتَقْتَسِبُوا مِنْ نُورِهِ فاضطَلَيْتُمْ نَارَ جَذَوَتِهِ

إلى أن يقول:

بَرَآكَ رَبُّكَ مَا بَرَآكَ مِثْلُهُ وَلَا خَصَصْتَ فِي بَرَكَاتٍ مِنْ عَطِيَّتِهِ
كفرتَ رَبُّكَ الثَّانِي وَخَنْتَ بِهِ يَكْفِيكَ مَا فِيكَ مِنْ حَرَمَانٍ نِعْمَتِهِ

استعانة والي الإحساء المخلوع بشريف مكة للتوسط له لدى الخليفة.

((مال والي محمد باشا المخلوع إلى شريف مكة زيد يطلب منه أن يتوسط في أمره لدى السلطان محمد، شاكياً ظلامته، وما حل به من قبل حسين باشا آل أفراسياب الذي ضم الإحساء إليه، دون أخذ موافقة الدولة العلية، وعلى هذا أرسل السلطان إلى الوزير (قرة مصطفى باشا) والي بغداد أن يستطلع الأخبار عن هذه الفتن، وأن يحققها ويعلمه.

ومن ثم استفهم الوزير قرة مصطفى باشا من حسين باشا عما فعل، فكان جوابه أن ذلك إنما جرى منه بأمر سلطاني، وأن الأمر لدى يحيى باشا أمير الإحساء وأنه سوف يأتي به. تعلق بذلك ولا أصل لما أجاب به.

وحينئذ كتب حسين باشا إلى يحيى حاكم الإحساء ما جرى من المخابرة، حاكياً ما ابتلي به، ومن جملة ما كتب: أن يأتي على عجل ليتخذ معه الأهبة لما يتوقع حدوثه، فأرسل الكتاب مع الساعي محمد، فوقع الكتاب بيد شيخ العرب^(٢) الذي سلمه إلى محمد حاكم الإحساء السابق، وكان إذ ذاك في بغداد، فقدمه إلى الوزير، وكان فيه طعن في شخصية الوزير قرة مصطفى باشا، فاشتد حنقه وسخط على حسين باشا، وصار ينتظر الفرصة للوقعة به. ولكنه عزل. فلم يسع محمد باشا غير السكوت والانتظار^(٣).

(١) ديوان طراز البلغاء وخاتمة الفصحاء لابن معتوق، ضبطه ووقف على طبعه سعيد الشرتوني اللبناني ط/ بيروت ١٨٨٥ ص ٢٠٣.

(٢) شيخ العرب اسمه محمد أما الساعي فلم يذكر اسمه، وفي هذا الزمن كان هناك شيخ من شيوخ المتفق الواقعة ديارهم بين الإحساء والعراق اسمه محمد بن راشد.

(٣) أرجوزة في تاريخ البصرة، واقعة حسين باشا لياسين حمزة الشهابي كان حياً ١٠٨٦ هـ تحقيق فاخر جبر مطر ص ٣٧ من شرح المحقق.

قال ياسين بن حمزة الشهابي في أرجوزته في الصنمحة ٤٠ :

وبَيْنَ الْأَحْوَالِ لِلشَّرِيفِ
فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخْبَرَ السُّلْطَانَا
هَذَا وَلَمَّا أَطْلَعَ السُّلْطَانُ
أَرْسَلَ لِلْوَزِيرِ مُصْطَفَى بِأَنْ
وَكَانَ إِذْ ذَاكَ الْوَزِيرُ ذُو الْوَفَا
فَعِنْدَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ أَرْسَلَ
مَلْ كَانَ بِالْأَمْرِ مِنَ السُّلْطَانِ
فَقَالَ بَلْ عِنْدِي مِنَ السُّلْطَانِ
وَهُوَ لَدَى يَحْيَى وَلَيْسَ فِي الْبَلَدِ
وَذَا تَعَلَّلَ فَلَا أَضِلُّ لَهُ
فَعِنْدَ ذَا أَرْسَلَ مَكْتُوباً إِلَى
وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ مَا فِيهِ بِأَنْ
وَفِيهِ أَقْوَالُ أَثَارَتِ الْجَفَا
فَصَادَفَ السَّاعِي شَيْخُ الْعَرَبِ
هَذَا وَقَدْ أَرْسَلَهَا وَلَا وَنَى
وَكَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ فِي بَغْدَادَ
بِأَمْرِ سُلْطَانِ الْوَزَى مُحَمِّدٍ
فَجَاءَ بِالْكُتُبِ إِلَى الْوَزِيرِ
فَاشْتَدَّتْ الْبَغْضَاءُ فِي الْقُلُوبِ
يَنْتَظِرُ الْفُرْصَةَ فِي الْأُمُورِ
لِكَيْتُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ انْقَعَزَ
فَعِنْدَ ذَا أَرْسَلَ لِلْحَسَا عَمَرُ

وَمَا جَرَى لَهُ مِنَ التَّخْوِيفِ
بِحَالِهِ وَبَيْنَ الْبُرْهَانَا
عَلَى الَّذِي أَبْدَعَهُ الشَّيْطَانُ
يُحَقِّقُ الْأَخْبَارَ عَنْ تِلْكَ الْفِتْنِ
حَاكِمَ بَغْدَادَ دِيَارِ الْخُلَفَا
إِلَيْهِ يَنْتَفِعُهُمْ عَمَّا فَعَلَا
أَمْ كَانَ تَسْوِيلاً مِنَ الشَّيْطَانِ
أَمْرٌ جَلِيلٌ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
وَسَوْفَ آتِيكُمْ بِهِ مَعَ مُغْتَمَدِ
لَوْ صَحَّ قَوْلُهُ لَمَّا مَاطَلَهُ
يَحْيَى وَيَحْكِي فِيهِ مَا بِهِ ابْتِلَا
تَأْتِي سَرِيعاً كَيْ تُدَافِعَ الْفِتْنِ
فِي حَقِّ ذِي الْمَجْدِ الْوَزِيرِ الْمُصْطَفَى
مُحَمَّدُ ثُمَّ حَظِي بِالْكُتُبِ
إِلَى مُحَمَّدٍ يَنْفِي الثَّنَا
أَتَوْا بِهِ لِيَمْنَحَ الْبِلَادَا
ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَالذُّكَا وَالشُّؤْدِدِ
فَأَبْصَرَ التَّقْصِيرَ فِي التَّغْيِيرِ
وَصَارَ ضِدُّهُ عَلَى الْمَطْلُوبِ
عَلَى الْحُسَيْنِ الْفَاجِرِ الْغَدُورِ
فَلَمْ يَسْغَ إِلَّا السُّكُوتُ أَوْ أَجَلَ
وَجَاءَ يَحْيَى كَيْ يُصَادِفَ الْقَدْرَ

الكتاب الذي كان مع الساعي المرسل من حسين باشا في البصرة إلى يحيى باشا في الحسا وقع في يد شيخ العرب محمد.

كما أن محمد باشا والي الإحساء السابق استدعي إلى بغداد ليختار خلفاً له عليها، فاختر عمر باشا.

حسين باشا يطرد محمد باشا للمرة الثانية من الإحساء

١٠٧٦هـ - ١٦٦٥م في هذه السنة قام حسين باشا بطرد متصرف الإحساء محمد باشا مرة ثانية عن الإحساء وبادر بالظلم وصادر أموال التجار والأهالي بغير الحق وتجاسر على قتل الفقراء ظلماً وعدواناً فلما وصل ذلك إلى مسامع السلطان أمر حالاً بتأديبه وأصدر منشوراً بأن تسير العساكر تحت قيادة والي بغداد إبراهيم باشا^(١).

ولاية عمر الحليبي ومحاصرة براك للإحساء

وكان حسين باشا قد استدعى الأمير يحيى وسير مكانه عمر الحليبي فولي الإحساء، إلا أن براكاً لم يصنع إليه، ورام مع أصحابه قتاله، وعند ذلك حاصر البلد فاضطرب الأهليون لما أصابهم من جوع ومن ضجر، وعمر الحليبي هذا هو الذي تذكره المصادر النجدية كآخر حاكم عثماني للإحساء في تلك الفترة.

إخراج براك بن غزير لوالي الإحساء عيسى بن علي دون قتال

بعد هذه الاضطرابات التي جرت، أمر حسين باشا الوالي عمر الحليبي أن يسلم البلاد إلى عيسى والي القطيف دون قتال، وبعد أن سلمت البلاد له أتى براك إلى عيسى بن علي وطلب منه أن يخرج من الإحساء وهو آمن، حيث ادعى أن أخاه محمد باشا قد أنابه، فخرج عيسى إلى القطيف دون قتال.

قال ياسين بن حمزة في أرجوزته ص ٥٥ :

هَذَا وَلَمَّا جَاءَ بَرَاكَ الْخَبَرُ	أَتَى إِلَى الْحَسَا لِإِخْرَاجِ عُمَرَ
أَعْنِي الْحَلِيبِي فَلَمْ يُضْغِ لَهُ	بَلْ رَامَ مَعَ أَصْحَابِهِ قِتَالَهُ
فَعِثِدَ ذَاكَ طَيِّبَ الْأَبْوَابِ	مَعَانِدًا، وَقَاتَلَ الْأَغْرَابِ
فَحَاصَرُوهُ مُدَّةً سَدِيدَةً	بِعَسْكَرٍ شَوْكُهُ شَدِيدَةٍ
وَالْخَلْقُ فِي جُوعٍ وَفِي اضْطِرَابٍ	وَفِي صُورٍ مِثْلِهِ وَائْتِحَابٍ
عَسْكَرُهُ يَأْتُونَ لِلْبُيُوتِ	يَنْتَزِعُونَ مَا رَأَوْا مِنْ قُوتِ
فَاشْتَقَلَ الْخَلْقُ عَلَيْهِ بِالدُّعَا	وَأَنْ يُزِيلَ عَنْهُمْ ذَا الْبِدْعَا
فَعِثِدَ ذَاكَ رَبُّنَا تَقَبُّلاً	دَعَاهُمْ مِنْ وَثْقِهِ تَقْضِلاً
فَأَرْسَلَ الْحُسَيْنَ بَعْدَ مَا ابْتُلِيَ	أَنْ سَلَّمَ الْبِلَادَ عَيْسَى بْنُ عَلِي
أَخَا الْجَلِيلِ ذَا الْجِجَا مُحَمَّدٍ	وَأَتِ الْيُنَا سُورَةً لِلْمَدَدِ
فَسَلَّمَ الْبِلَادَ عَيْسَى وَطَلَعَ	وَفِي حِمَى الشُّيُخِ عَيْسَى انْتَفَعَ
مَعَ مَنْ بَقِيَ مِنْ رَجَالِهِ	مُسَلِّمًا بِحَالِهِ وَمَالِهِ

(١) ولاية البصرة ومستلموها لأبن الغملاس ت ١٣٣٣ دار منشورات البصرة ٦٢.

وَقَدْ أَتَى بِهِمْ إِلَى السَّيْلَادِ
لِيَكُونَ نَجْلِي لَدَى الْحُسَيْنِ قَدْ
فَاسْتَخْرَجَ ابْنَهُ مِنَ (الْعِلِّيَّةِ)
فَجَاءَ بِرَأْسِكَ إِلَى عَيْسَى وَقَدْ
فَلَأَنِي قَدْ نُبْتُ عَنْ أَخِيكََا
فَقَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ وَخَرَجَ
وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ مُسْتَعِداً
فَجَاءَ عَيْسَى بَعْدُ لِلْقَطِيفِ
وَكَانَتْ الْقَطِيفُ فِي يَدَيْهِمْ
مِنْ قَبْلِ ذَا حِينَ أَنَاءَ الْعَسْكَرُ
فَسَارَ فِيهِمْ سِيرَةَ الْأَجْوَادِ
صَارَ رَهِيناً وَلِذَا بِالسَّيْرِ جَدُ
ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى الْبَرْيَةِ
قَالَ لَهُ اخْرُجْ آمِناً مِنَ الْبَلَدِ
بِأَمْرِهِ وَصِدْقُ ذَا يَأْتِيكََا
وَصَارَ يَدْعُو ذَا الْجَلَالِ بِالْفَرَجِ
لِيُخْرِجَ بِرَأْسِكَ وَلَا أَرْدَى
مُبْتَغِياً مَعُونَةَ اللَّطِيفِ
أَنْعَمَ فِيهَا خَضْمُهُمْ عَلَيْهِمْ
لَعَلَّ فِي هَذَا الْأَمْرِ تُنْتَرُ

صدور الأوامر إلى والي بغداد بنزع البصرة من يد حسين باشا

١٠٧٦ هـ مما يذكره فتح الله بن علوان في أحداث هذه السنة أنه ورد أمر من السلطان إلى إبراهيم باشا حاكم بغداد على أخذ البصرة من يد حسين باشا بسبب شكوى حاكم الإحساء - محمد بن علي البغدادي - عليه، فتجهز إبراهيم باشا بعسكر عظيم قيل إنهم كانوا خمسين ألف محارب ومعه سبع باشاوات، ولما سمع حسين باشا بذلك بنى القلعة المعروفة بالقرنة وأحكامها واستعد للحصار ولما وصل إبراهيم باشا إلى البلد الموسومة بالعرجا أرسل كتاباً إلى أهل البصرة عامة والكواوزة خاصة عنوانه:
من إبراهيم باشا إلى مشايخ أهل البصرة ومن فيها من الرعايا والتجار خصوصاً قدوة الراسخين الشيخ ذو الكفل وقد كان هو بقية الموجودين من أولاد الشيخ عبدالسلام نفسه: أما بعد فسلام عليكم ومعلوم عندكم أننا متوجهون إلى فتح البصرة من يد الطاغية حسين باشا فحين اطلاعكم على مضمون كتابنا تطيرون أنفسكم وتؤمنون الرعايا فما ينالكم منا إلا الخير والسلام.

ثورة أهل البصرة على حسين باشا أثناء غيابه في القرنة

ولما ورد الكتاب إلى الشيخ ذي الكفل وجماعة المشايخ سمعوا وأطاعوا له وعصوا خليفة حسين باشا على البصرة وأخرجوا عياله وحرمه منها ثم حاصروا خليفة حسين باشا وكان يقال له محمد بن بداغ وقتلوه.

ولما سمع حسين باشا بذلك وهو محاصر في القرنة جهز عليهم عسكرياً وغزاهم بياتاً وهم نائمون وأضاح الصبح فوجدوا الشيخ ذا الكفل مقتولاً وبعضاً من أعوانه وانهزم الباقون من البصرة^(١).

(١) أحداث البصرة: زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر: للشيخ فتح الله بن علوان ص ٣٩.

مساندة الموالي لوالي بغداد ومساندة المنتفق لوالي البصرة

في أثناء هذه الأحداث مالت عشيرة الموالي التي يرأسها الأمير علي الشديد أبو ريشة إلى والي بغداد وجاءت إليه بقيادة علي ومعه الأمير رشيد وهما من الأمراء الموالين للدولة على رأس قوة تقدر بثلاثمائة رجل، ولكن عند اقترابهم من كوت المعمر تصدت لهم بعض عشائر المنتفق التي كانت تساعد آل أفراسياب الذين حكموا البصرة فطردوهم وعادوا من حيث أتوا^(١).

توقيع الصلح بين إبراهيم باشا وحسين باشا

وأما إبراهيم باشا فإنه وصل القرنة وحاصر حسين باشا أشد الحصار وبقي على ذلك مدة ثلاثة أشهر ولما لم ينالوا منه، أظهروا له الصلح فتصالح معهم على أن يرسل وزيره يحيى آغا، وتعهد له إبراهيم باشا بأن يأخذ له أمر الحكم ويرسله مع يحيى آغا ولما رجع إبراهيم باشا تبعه أربعة من الكواويزة.

ذهاب الكواويزة إلى الخليفة احتجاجاً على حسين باشا

١٠٧٦هـ قال ابن علوان: لما كان من أمر الكواويزة ما كان حتى ضاق بهم كل مكان.. انهزم منهم أربعة من أهل الشأن وتبعهم بعض أتباعهم وذلك حين رجوع إبراهيم باشا من حربه.. وكان لسوء القدر أن أرسل حسين باشا معهم وزيره.. يحيى آغا ابن علي آغا وهو حينئذ صهره.. كي يصلح من أمره ما فسد.. ولما فارق هو والكواويزة الأوطان، وتوجهوا يؤمون السلطان وذلك لثمانٍ مضيّن من شوال سنة ١٠٧٦هـ (٦ إبريل ١٦٦٦م تقريباً) وبهذا التاريخ جرى الصلح بين إبراهيم باشا وحسين باشا بعد حرب طويلة.. ورجعوا عنه.

عزل سوندك عامل الصفويين على البحرين وتلاه تعيين عدة عمال

١٠٧٧هـ (١٦٦٦م) في هذه السنة عُزل - سوندك^(*) سلطان المعين على البحرين من قبل الصفويين - فخلفه (بابا خان)، فكان ظلوماً غشوماً، فطلب أهل البحرين عزله وعين (سلطان بن غزل خان) ثم خلفه الأمير (مهدي قلي خان) الذي تم عزله سنة ١١١٣هـ الموافق (١٧٠١م) لظلمه وجوره ونصبوا في محله قزاق سلطان^(٢).

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٨٥، وراجع: آل ربيعة الطائيون ص ٢٢٤، وراجع: كلشن خلفا لنظمي زادة ص ٢٦٧.

(*) يبدو مما تقدم أن سوندك سلطان قد حكم البحرين منذ ٤٦ سنة تقريباً.

(٢) م. الوثيقة ع ١ ص ٨٢: تاريخ العتوب، د/ علي أبا حسين ص ٨١.

مقتل أمير المدينة المنورة محمد بن مسعود

في ربيع الأول ١٠٧٧هـ قتل الشريف محمد بن مسعود(*) بن حماد(**) بن ناموس بن لقطان بن إبراهيم بن زهير بن هبة، على يد بادية مطير في حرب بينهم، وكان فارساً بطلاً شجاعاً ولي الشيخة على آل جماز بعد عمه صالح.

وفاة الشريف زيد بن محسن وولاية ابنه الشريف سعد

وفيها (١٠٧٧هـ): مات الشريف زيد بن محسن، وولي مكة ((بعده ابنه الشريف سعد بن زيد، حتى جرت منه أمور أنكرها السلطان أحمد بن مراد فبعث إليه الأجناد وخرج عن مكة إلى (بجيلة)، ووليها الشريف بركات من آل أبي نمي حتى توفي ووليها ابنه أياماً يسيرة))^(١).

سعة نفوذ الشريف زيد ومعتقده المذهبي

((ذكر عبدالله العياشي في رحلته كثيراً من مناقب الشريف زيد ثم قال: وقد ولي الحجاز من أطراف اليمن إلى أقصى نجد مما يلي البصرة ثم إلى خير مما يلي ناحية الشام. ثم قال: وكان يعتقد اعتقاد أهل بيته من الزيدية ثم باينهم ورجع إلى معتقد أهل السنة وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة وكف أهل بيته عن كثير مما كانوا ينالون من أهل السنة ومنعهم من إظهار معتقداتهم))^(٢).

عودة النزاع بين رميزان بن غشام وخصومه

استمر رميزان متغلباً على روضة سدير طيلة أيام الشريف زيد فلما توفي الشريف المذكور^(٣) قويت شوكة خصومه فرجع أبناء راجح إلى محللتهم بالروضة وعمروها وتجدد النزاع بينهم كما كان سابقاً إلى أن قتل رميزان وضعفت شوكة آل أبي سعيد^(٤).

ويقول الشيخ عبدالله بن خميس^(٥): إن رميزان قتل في سنة ١٠٧٩هـ حسب رواية ابن بشر، وبعض الروايات تقول إنه قتل أو مات في حدود ١٠٨٤ - ١٠٨٥هـ.

(*) تولى الإمارة سنة ١٠٥٦هـ.

(**) تولى الإمارة سنة ١٠٣٧هـ.

(١) اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية لمحمد بن إسماعيل الحسيني ص ٣٥.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩م ص ٣٧٢.

(٣) يذكر ابن خميس أن الشريف زيداً توفي في سنة ١٠٧٤هـ ولكن الأصح أنه توفي في سنة ١٠٧٧هـ والله أعلم.

(٤) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٦ ص ٤٢.

(٥) المصدر السابق ص ٨٢.

قصيدة رثاء لرميزان في محمد سلطان عامر

وفيما يلي نقتطف بعض الأبيات للشاعر رميزان بن غشام من كتاب الشعر النبطي للصويان في رثاء شخص اسمه محمد، ولم يعط الصويان أي معلومات عن تاريخ هذه القصيدة أو عن محمد هذا، أو بالأحرى لم يجد، ولكن القصيدة تسمي محمد بسلطان عامر وأنه كان حاكماً ذا قوة ونفوذ وأن لرميزان علاقة وثيقة به، حيث يقول عنه رميزان: ((أخاً عشت أنا وياه))، وهذا يدل أيضاً على أنه مقارب له في السن وعاش معه بنفس الفترة، قال رميزان:

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------------|
| وأعظم أمر قد جرى من عظامه | ٨- وأشد مصيبات البرايا مصيبتني |
| ذرى الجار عما يشتكي من هضايه | ٩- حليف الثنا المعروف ((سلطان عامر)) |
| ومن شب زينات المعاني قسايمه | ١٠- حليف الثنا زين السجايا محمد |
| عليه لساني في القضا غير عازمه | ١١- أخاً عشت أنا وياه بالعمر لو زرى |
| دماج على طيب الليالي ملايمه | ١٢- شفيقي على عصر التصابي وشملنا |
| أصاويبها في لاجي الروح واجمه | ١٣- شعب لامنا البين المفاجي بغاره |
| طعين الحشا أو عضني ناب كاظمه | ١٤- لكني نهار ألفي غداً بعلمه |
| من الحرب ما يبحث كدا من يغارمه | ٢١- ألى واعضيدي بالليالي إلى بدى |
| هل الأرض ملوها هل الأرض عامه | ٢٤- مكفيني إشيا لو تقاسي أمرها |
| وياما وطا راس المعادي بصارمه | ٢٨- فياما عفا زلات من جاء مجرم |
| صروف الليالي عن عقيل يوالمه | ٢٩- أخا العون جالي كل هم من أجله |
| والأضداد تسمى خوفة منه خادمه | ٣٠- ذرى الجار والجاني عن كل مشكل |

فتنة الشريف حمود بن عبدالله ومطالبته بالحكم

الشريف حمود بن عبدالله: ((رام الشيخة والإمارة بعد وفاة الشريف زيد بن محسن فاجتمع معه قاطبة العشيرة والقراة، فثار بينه وبين سعد بن زيد الفتنة واشتدت العداوة فاختر الرحلة إلى ينبع، فتبعه سائر الأشراف، فاجتمعت عليه أكثر العربان من كل مكان، ثم أرسل ولده أبا القاسم وبني أخيه ومحمد ابن أحمد الحارث إلى مصر لطلب الإمارة فأعزهم باشواقها إلى الغاية وأرسل إليه خمسمائة من المصرية لتكشف الخبر وتصلح بينه وبين سعد بالنصفة...، فلما قربوا من ينبع برز بقومه وعشيرته وأتباعهم لاستقبالهم وقد أئذ أصحابه من الفتك قبل الفتك وجعل في لوزة من الطريق كمينه، فلما تقابلت الفتان غارت عليه خيل ذي البغي والطفيان ورموهم بالرصاص وجردوا البيض الصفاح، فأتتهم تلك الكمينه فقتلوه عن آخرهم إلا الشاذ منهم وغنموا جميع ما معهم من الأموال، وقبض على رئيسهم ثم عفي عنه. وفي شهر ذي القعدة لهذا العام - ٩ - توجه منها إلى خير ثم إلى (**)... ففرقت عنه الأشراف

والأتباع والعربان عندما أصابه التعب الشديد... فحمود خلف ابنين: أبا القاسم ومحسناً أمه فاطمة بنت زيد بن محسن^(١).

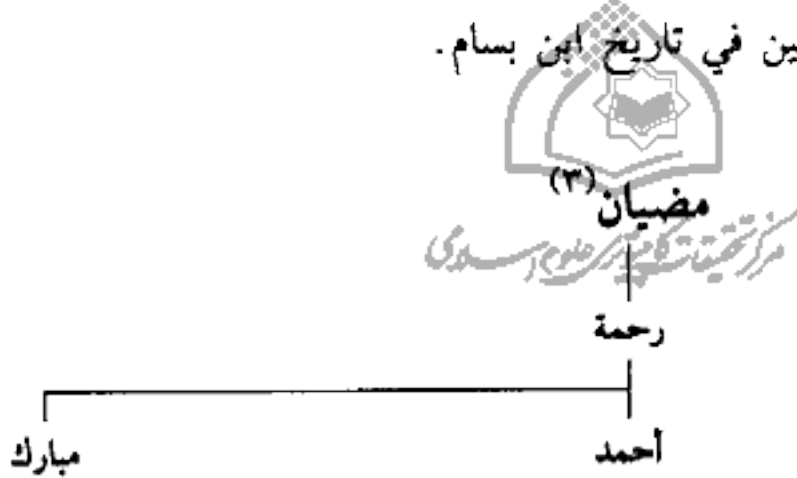
إيقاع الشريف حمود بالتجريدة المصرية ((وقعة ينبع))

في يوم الأربعاء ١٤ رجب ١٠٧٨ هـ أوقع السيد حمود بن عبدالله بالتجريدة التي جهزت من مصر وكان جيشه يتكون من أهل ينبع وجهينة وعنزة وغيرهم، وقال العاصمي: ((فأخذوهم عن آخرهم وقتلوا وسلبوا أموالهم وأسروهم ولم يسلم منهم إلا نحو المائة، وكان معهم مال جزيل فذهب شذر مذر^(٢))).

أحمد بن رحمة بن مضيان شيخ حرب

في أحداث هذه السنة (١٠٧٨ هـ) جاء ذكر الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان، حيث أطلق عليه مؤرخ الحجاز عبدالملك العاصمي: (شيخ العرب وسلطانها القائم بخدمة الحرمين منذ أزمان، الشهاب أحمد ابن رحمة بن مضيان).

يقول الأستاذ فايز البدراني: وقد شهد عصر هذا الشيخ أحمد بن رحمة بن مضيان صراعاً مريراً بين قبائل حرب وأشراف الحجاز. وتاريخ رئاسته كان خلال الفترة من ١٠٧٠ هـ إلى ١٠٩٠ هـ تقريباً. ومما لا شك فيه أن بينه وبين الشيخ مضيان بن زبن - بن جمعة بن جبار شيخ المراوحة من بني سالم - عدداً من الرؤساء - الذي ذكر الشيخ الجزيري أنه التقى به في بعض رحلاته للحج أثناء عبور الحاج المصري لدرك بني سالم بين ينبع والمدينة. ولا يستبعد أن يكون مضيان هذا هو الذي ينسب إليه آل مضيان^(٣) إذا ما أخذنا في الاعتبار رأي بعض المشككين في تاريخ ابن بسام.



(١) تحفة الأزهار وزلال الأنهار لضماني بن شدقم ج ١ ص ٥٤٠.

(٢) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٤٩٨.

(٣) ذكر من آل مضيان الشيخ مضيان بن حمد شيخ بني سالم ولعل مضيان تصغير لمضيان جرياً على عادة العرب، فعلى سبيل المثال نذكر منها أن الشيخ عريعر آل حميد في مصادر كثيرة يذكر باسم عرعر، وكذلك يذكر هكذا أيضاً في الشعر الخالدي.

جاء ذكر الشيخ مضيان في تحفة الأزهار حيث قال ابن شدقم عند حديثه عن الشريف: يحيى بن عامر بن حيار بن خنوش بن محمد بن أحمد بن شليل بن سلطان بن يعيش بن مفرج بن أبي حمزة عمارة بن سبيع بن المهنا الأكبر، فهو يقول، قال جدي علي: كان يحيى صديقاً لوالدي رحمهما الله بينهما مودة ومواصلة ومحابة ومعاضدة ومحاماة ومنها أنه فرغ لوالدي إلى حديقته الشير خيلاً ملتصقاً مستكماً لامة حربه حين الخام مع بني السفر في سبيل أبي =

اختيار يحيى آغا على ولاية البصرة

ذكرنا فيما سبق أنه لما وقع الصلح بين إبراهيم باشا والي بغداد وبين حسين باشا والي البصرة (١٠٧٦هـ / ١٦٦٦م) غضب الكواويزة من هذه النتيجة وذهبوا على شكل وفد إلى الخليفة العثماني في اسطنبول وبعث معهم حسين باشا صهره يحيى آغا للدفاع عنه أمام الخليفة.

قال ابن علوان: ((ولما وصل المشايخ الكواويزة ويحيى آغا إلى السلطان وتسئى لهم بث الأضغان شكوا إليه مصابهم.. وأباحوا فعل حسين باشا بهم لديه وأكثروا الشكوى عليه، فمذ سمع شكواهم أجاب دعواهم..... وقال لهم: قد عزلناه. فمن تختارون مكانه؟ فقالوا: قد اخترنا مملكتنا يحيى.. وهو أطوع أوليائك. فقال ليحيى: قد اخترناك حاكماً للبصرة)).

قال ابن علوان: وحين فوض إليه أمر البصرة اجتمع لديه من بني الأصفر أربعون ألفاً وقيل ستون ألفاً وقيل وهو الأصح ثمانون ألفاً، وكان نزولهم في اليوم الرابع من رجب.

ولما اتصل خبر توجه العثمانيين من اسطنبول إلى البصرة بحسين باشا عزم على محاربتهم فجمع جيوشه واستعمل الحزم، وكان من بعض حزمه أنه أصر على إخلاء الديار فخرج الناس ملء الفجاج والطرق في غرة جمادى الثانية (١٨ نوفمبر ١٦٦٧م تقريباً).

وهلال بن سنبل صاحب الشرطة يدور في الأسواق.... وما مضت الأيام الثلاثة إلا والبصرة خالية المرافق، وكان المسلط على تحويلهم من نههم وتهويلهم ابن شاطر أحمد للسراجي وما يليه والأمير حسن بن طهماز أمر باقي البلاد إليه، وكان تمام خراب الجانب الغربي من شط العرب لمضي النصف من شهر رجب^(١).



= جيدة ثم إنه أشار عليه أن يحالف كبارهم وشيوخهم.

قلت: وهذا الحلف بينهم يومئذ مضان بن حمزة شيخ بني سالم، ومالك الجمل بن سحيم الفريد، ومحمد وحمدان ابنا عتيق الوهبي، فتعاطوه وتحالفوا وتعاهدوا بأن كلاً منهم صديق صديقه وعدو عدوه، جالب الخير لحليفه، ودافع الشر عنه، وليس على حسين بن علي الركوب إلى الحروب والغارات في الكروب بل النفع لهم على الأعداء بما اقتضاه الحلف في الوقف لسياق الدماء وعليهم النفع بالمعاوضة له ودفع الأعداء عنه بما اقتضاه الجهد حلفاً مؤيداً موروثاً سرمداً ماضياً على الأعقاب وأعقاب الأعقاب، والاتباع وأتباع الأتباع، لا انتهاء له ولا غاية لحدّه ولا مركز لآخره، فعلى هذا تعاطوا وتحالفوا وتعاهدوا بعهد الله وبميثاقه على كتاب الله وعهد رسوله ﷺ وأمانه وميثاقه ثم تلازموا على الأعراض من النكث والخيانة والبوقه فمن نكث فإنما ينكث على نفسه يوم القيامة، ومن أوفى بما عاهد الله سيؤتيه أجراً عظيماً. وقد حضر هذا الحلف فضل بن جمعة الفريد وعامر الحبيطي وسلامة بن... آل حميدان وأجازوا الحلف كما هو مذكور وبهذا وقع الإشهاد والله خير الشاهدين وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. حرر خامس عشري من شهر رجب الفرد سنة ٩٨٥هـ شهود الحال: يحيى وصالح ابنا عامر الفالامي، ومحمد بن راضي الوحاوي، وإبراهيم بن قناع الز... وبريك بن... راجع: تحفة الأزهار لابن شدقم ج ٢ ص ٤٦٦.

(١) أحداث البصرة: زاد المسافر ولجنة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا أفراسياب: للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي المولود في سنة ١٠٥٣هـ ص ٢٤ وما بعدها.

فقد أوعز الباشا قائد القوات على حسب قول نظمي زادة إلى ((كل مير ميران الموصل موسى باشا ومير لواء جصان خلف بك بالتقدم أمامه بواسطة السفن، أما هو وبقية القوات فقد تحرك حسب الخطة المرسومة، في اليوم السابع من جمادى الآخرة سنة ١٠٧٨ هـ حتى وصل إلى قلعة شولر فحط رحاله هناك بضعة أيام واصل بعدها سفره إلى الإسكندرية ومن هناك اتجه إلى زيارة سليل حيدر الكرار ونور عين أحمد المختار الإمام الجلي أبي عبدالله الحسين بن علي (عليه السلام)).

وبعد أداء الزيارة اتجه نحو الحلة ومن هناك عطف على زيارة الإمام الهمام، وعند عودته سافر إلى الشنافية، ثم أذن لبقية الوزراء والأمراء بزيارة الروضة الرضوية لأسد الله الغالب ومظهر العجائب رابع الخلفاء المؤمنين علي المرتضى (كرم الله وجهه)، ثم سافروا إلى الرماحية ومنها إلى العرجة حيث مكثوا فيها مدة بانتظار ورود السفن، وفي صباح اليوم العشرين من رجب المرجب صدرت الأوامر بالحركة وكانت العساكر كأمواج البحر أو كسيل العرم تندفع وتتماوج حتى وصلوا إلى كوت معمر، فتصدى لهم أحد شيوخ عشيرة المنتفق المسمى شيخ عثمان مع حوالي الألف من أتباعه وأراد أن يقطع عليهم الطريق فأزاحوه وواصلوا سفرهم حتى وصلوا إلى المحل المسمى منصورية، ومن هناك استأجروا سفناً لنقل القوات والمعدات، ودفعوا عن كل سفينة أربعمائة بارة حتى وصلوا إلى شط العرب وحاولوا عبوره من المكان الذي سبق لإبراهيم باشا أن عبه بمنتهى المشقة.

ولما كان مرورهم من ذلك المكان لا يخلو من محاذير ربما تعيقهم عن الوصول في الوقت المناسب فقد اتجهوا نحو الجزائر، ولأجل بث الرعب في قلوب المتمردين أوعز إلى حاكم الرقة دولار باشا، أن يأخذ قواته ويسير بها إلى الجانب الأيمن، أما حاكم الموصل وقائد قوات الإنكشاريين فإنهم تقدموا الجيش بواسطة السفن، وتبعهم بعدئذ القائد الأعلى وبقية العساكر ووصلوا الجزائر، ونظراً لكثرة الأنهر العميقة والجداول الواسعة التي تحول دون مواصلتهم السفر فقد انشغلوا باتخاذ ما يلزم لرفع هذه الموانع.

وفي غرة شعبان وصلوا ديار بني أسد وضربوا خيامهم وعسكروا هناك.

أما حسين باشا فقد جمع حوله ما يقارب الخمسة آلاف من رجاله بكامل أسلحتهم وقبعوا يتربصون بالجيش خلف النهر، وأخيراً أطلقوا النار على القوات العسكرية التي تقدمت منهم فقبولوا بالمثل واشتد الرمي واستعملت المدافع واستبسل الطرفان في القتال.

وبينما هم على هذه الحالة، تقدم من جانب البادية حاكم الرقة دولار باشا وهجم بقواته على حصون الثوار من الجانب الأيمن فاضطربوا عندئذ ثم مالوا إلى الفرار بواسطة المشاحيف التي كانوا قد أخفوها لوقت الحاجة وقتل منهم حوالي الخمسمائة رجل وغرق ثلاثمائة وانهزم الباقون هنا وهناك.

ثم عبرت قوات الحكومة الباقية واقتربت من البلدة واتخذت لها مواقع للقتال وذلك في اليوم الثالث من شعبان من السنة المذكورة، ونصبوا جسراً للعبور تحت حراسة كل من قوات الوزير كنعان باشا ودولار باشا ومن بعض المتطوعين، وبعد ذلك تقدم القائد الأعلى وبقية القوات وعبروا الشط.

وفي اليوم الرابع من شهر رمضان اصطدموا بالثوار الذين تجمعوا خلف شط زكية الذي اتخذته

حسين باشا وجماعته من أعراب الجزائر مقرًا احتياطيًا، ولأجل اصطيادهم أمر الوزير إبراهيم باشا والي ديار بكر بعبور شط زكية بأي طريقة كانت، فعبره هو وقواته وتمكن من دحر الثوار إذ فروا نحو الجهة الإيرانية بعدما تركوا الكثير من القتلى^(١).

وكان حسين باشا قبل وصولهم استعد لحربهم وبنى ثمة متريساً وأعد فيه خميساً فلما نظر البعض إلى البعض قامت الحرب فلم تكن إلا كجولة جايل حتى انتصرت الروم على العرب وقد حق القول بأنه لم يبق من عسكر البصرة إلا القليل وحين اتصل الخبر بالحسين عمد إلى حصنه الحصين الموسوم بالعلية وحشد فيه جنوده وعبر إلى الجانب المعروف بسحاب القريب وبنى فيه الخيام. قال الراوي: لما هزم الجمع وانكسر اتبعوهم مشرقين حتى شارفوا العلية رأي البصر ونزلوا محاصرين وجاهدوا وهزم حسين باشا وجنوده أجمعين.. وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر رمضان. قيل لما أحصي من قتل من الرجال كانوا أربعة آلاف مع الزيادة غير الرؤوس والقادة.

انهزم الأهالي في كل اتجاه في الفلاة وقسم كبير فرَّ إلى الحويزة وأما حسين باشا فقد توجه طالباً بلاد العجم^(٢).

تنصيب يحيى باشا على البصرة باسم السلطان

((وفي الصباح مع قول المؤذن الله أكبر، دخلت المدينة قوات الحكومة وقتل من الذين كانوا يحاربون الجيش حوالي الأربعين رجلاً ثم صدر العفو عن الآخرين وسمح للهاربين بالعودة.... وتحركت القوات واحتلت البصرة بكاملها، ونصب يحيى باشا حاكماً عليها))^(٣).

فرار حسين باشا إلى إيران ثم الاستقرار النهائي في الهند

فرَّ حسين ليلاً إلى المكان الذي أعده لتراجعته في بلاد الحويزة، وانتفض الدفاع فهرب الجند والقبائل الذين كانوا في الحامية...، ثم رفع يحيى إلى الباشاوية، وعوهد بأوثق العهود وأبقى في الحامية ألف وخمسمائة إنكشاري وسجل ثلاثة آلاف من الجنود المرتزقة....

وعلى هذا قدر لحسين أن لا يعود لبلاده مطلقاً، وحاول بلا جدوى في شيراز أن يقنع الشاه بشد أزره. ومن بعد ذلك سافر إلى الهند مع ابنه علي بك، إلى بلدة ((أوجين)) وهناك وكل إليه ملك البلاد إدارة مقاطعة ما، ومن ثم وقعا معاً في حومة الوغى دفاعاً عن الملك وحفظاً لمصالحه بعد أن تصاهرا من جهة النساء عائلة من الدورق لا يزال نسلها (نسلهما) فيها.

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٢٧٠-٢٧٢.

(٢) أحداث البصرة: زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا أفراسياب: للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي المولود في سنة ١٠٥٣ هـ ص ٣٩ وما بعدها.

(٣) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٢٧٠-٢٧٢.

تغير احوال بني كعب وتفرقتهم وضعف قوتهم

((ضعفت قوة الكعبيين عندما هوجم (حسين باشا) من قبل العثمانيين وانغمروا بعض الوقت، وهاجر معظمهم إلى بندر معشور ولكنهم لم يقدروا العيش هناك لشدة المجاعة فعادوا إلى القبان، وتفرق بعضهم في الأقاليم، وتبدلت أخلاقهم وعاداتهم لتأثرهم بجيران المشعشعين وأصبحوا يختلفون كل الاختلاف عن سلفهم رجال الشر وتخلصوا من اللصوصية التي اتصفوا بها))^(١).

مشيخة عثمان ابن أخي محمد بن راشد على المنتفق

١٠٧٨هـ من حوادث هذه السنة مجيء الشيخ عثمان ابن أخي الشيخ محمد بن راشد بن مغاس لمناصرة الدولة العثمانية طالباً الأمان، وكذا ورد ابن عمه (عبيد) مزاحماً له في الرئاسة، فتقاتلوا ببغداد، فخر (عبيد) صريعاً وهرب أعوانه الذين جاؤوا معه، ومن عثمان تكون فخذ العثمان.

ويقول العزاوي: الشيخ عثمان ورد في عمود نسب آل شبيب^(٢). وإن عم عثمان هو محمد بن راشد ابن مغاس بن مانع بن راشد بن مغاس. ومن ثم نعلم تكون فخذ الراشد وفخذ العثمان والمحفوظ أن عثمان بن شبيب^(٣).

قال ياسين بن حمزة الشهابي في أرجوزته ص ٧١:

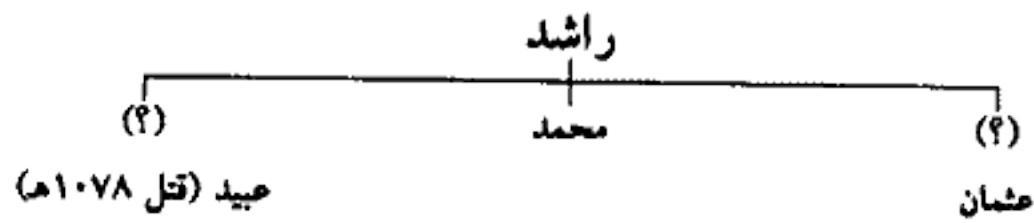
وَجَاءَهُ عُثْمَانُ ذُو الْمَحَامِدِ ابْنُ أَخِي مُحَمَّدِ بْنِ رَاشِدِ
مُسْتَسْلِماً وَطَالِباً أَمَاناً مِنْهُ فَأَعْطَاهُ أَمَاناً زَانَا
وَهُوَ كَرِيمٌ مِنْ شُيُوخِ الْمُنتَفِقِ وَلِلصُّفُوفِ فِي الْحُرُوبِ يَخْتَرِقُ
فَمُذْ أَتَى صَيِّرَهُ شَيْخٌ لَهُمْ مَنَزَلاً أَتْبَاعُهُ مَحَلُّهُمْ
فَرَدَّهُ مُحَافِظاً مَعَ عَسْكَرِهِ عَنِ الْخُسَيْنِ ذِي الدُّهَا وَمُنْكَرِهِ
فَجَاءَهُ ابْنُ عَمِّهِ عُبَيْدُ يَكِيدُهُ وَقَدْ دَهَاهُ الْكَيْدُ
وَأَخْبَرُوا عُثْمَانَ عَنْهُ أَنَّهُ آتٍ إِلَيْكَ لِیُزِيلَ عُيْبَتَهُ
فَنَبَّهَ الْعَسْكَرُ ثُمَّ يَمُومُوا إِلَيْهِ وَالْقَوْمُ بِهِ لَمْ يَعْلَمُوا
وَقَدْ تَلَاقُوا سُرْعَةً وَاقْتَتَلَا فَجَاءَ لِلشَّيْخِ عُبَيْدُ الْبَلَا
فَجَنَذَلُوهُ سُرْعَةً صَرِيعَا وَمَنْ نَجَا مِنْهُمْ غَدَاً سَرِيعَا

(١) تاريخ إمارة كعب، تحقيق علي نعمة الحلو ١٩٦٨م النجف الأشرف ص ٣٢.

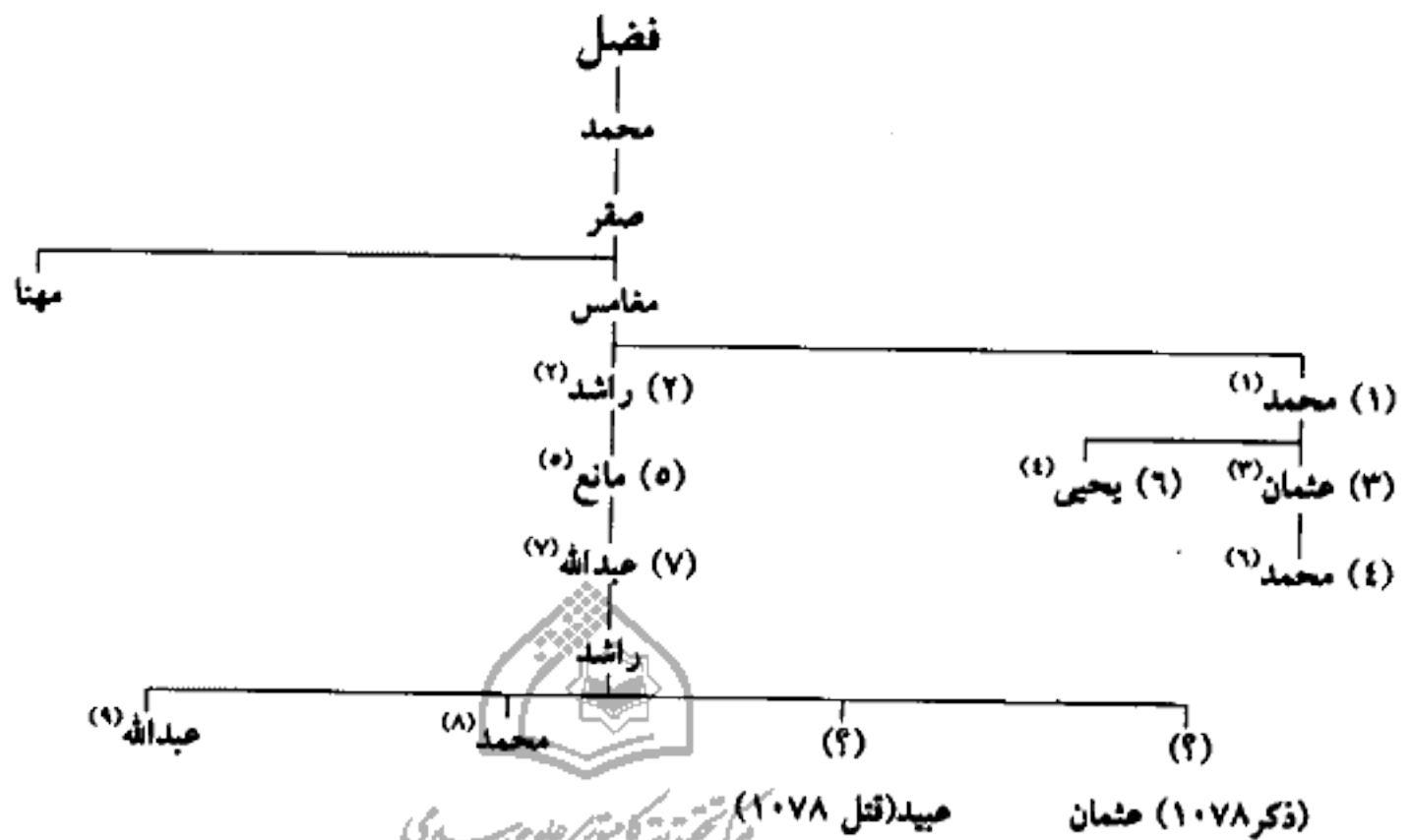
(٢) لا أتفق مع بعض المؤرخين الذين يخلطون بين أسرتي آل شبيب وآل مغاس، لأن آل شبيب أسرة تنسب إلى أشرف الحجاز قدمت إلى العراق بحدود سنة ١٦٤٨م تقريباً، وأما آل مغاس فهم من آل غزي من بني لام من طيئ والرابط الوحيد المشترك بينهما أن آل شبيب صاروا امتداداً لآل مغاس في مشيخة المنتفق، والله أعلم.

(٣) عشائر العراق لعباس العزاوي ج ٤ ص ١٠٨.

فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ الْإِقْبَالِ لِمُصْطَفَى بَاشَا الْوَزِيرِ الْعَالِي
 أَلْهَمَهُ رَبُّ الْعِبَادِ الْعَدْلَ وَزَادَهُ كُرَامَةً وَقَضَا
 وَجَلَّتْ الشُّيُوخُ بِغَدَّةٍ إِلَى بَعْدَادَ فِي أَرْغَدٍ عَيْشٍ وَعِلَا



(على كلام المزوي بقول: المحفوظ أن عثمان بن شبيب)



- (١) حكم البصرة سنة ٩١٥ هـ، وتوفي سنة ٩٣٤ هـ.
- (٢) حكم الإحصاء سنة ٩٣١ هـ، وحكم الإحصاء والبصرة سنة ٩٣٤ هـ، وحكم الإحصاء والبصرة والقطيف سنة ٩٤٤ هـ.
- (٣) حكم البصرة من سنة ٩٤٦ هـ إلى ٩٤٨ هـ.
- (٤) في سنة ٩٣٣ هـ خرج بحجاج المشرق. وحكم البصرة سنة ٩٤٩ هـ حتى استيلاء العثمانيين على البصرة.
- (٥) حكم الإحصاء نائباً عن والده سنة ٩٣٤ هـ، وحكم الإحصاء والقطيف سنة ٩٤٤ هـ، وحكم الإحصاء والبصرة والقطيف سنة ٩٤٨ هـ، وحكم الإحصاء والقطيف سنة ٩٤٩-٩٥١ هـ.
- (٦) حكم البصرة في سنة ٩٤٨ هـ، وتولى حكم أطراف ولاية البصرة ليقود مقاومة آل مفاس ضد العثمانيين. وفي سنة ٩٨٥ هـ حكم بلد معكال لشريف مكة.
- (٧) حكم الإحصاء سنة ٩٥١-٩٦٠ هـ.
- (٨) شيخ العرب سنة ١٠٧٤ هـ.
- (٩) ذكر مرتين بكوييدة. ١٠١٣-١٠٣٣ هـ.

. آخر حاكم من أسرة آل مغامس هو راشد بن مغامس المقتول فيما بين سنتي ١٠٧٩هـ - ١٠٨٠هـ على يد براك بن غرير آل حميد كما سيأتي بيانه بعد قليل، وراشد هذا لم أجد في المصادر من تسلسل اسمه ما يساعد على ربطه في شجرة النسب التي وضعتها ربطاً مباشراً.

مقتل راشد بن مغامس واستيلاء براك آل حميد على الإحساء

١٠٧٩هـ في هذا العام شق على راشد بن مغامس أمير المتفق استيلاء بني خالد واستبدادهم بملك الإحساء فجهز حملة لغزو براك وجماعته في الإحساء^(١)، فثار براك بن غرير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة زعيم قبيلة آل حميد من بني خالد ومعه محمد بن حسين بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد ومهنا الجبري أحد أفراد عشيرة أجود بن زامل على راشد بن مغامس أمير المتفق الذي كان فيما يبدو لعبة في أيدي الأتراك، وتمكن براك من قتل عدد كبير من البدو الذين كانوا في جيش راشد ونهب أموالهم وطردهم من الإحساء، وانهزم الباقون إلى العراق^(٢)، وكانت بادية الإحساء قبل آل حميد من طوائف المتفق^(٣).

ثم إن براكاً بعدما تخلص من المتفق وقضى عليهم، اتجه نحو الحامية التركية في كوت الهفوف أي قلعتها فاحتلها وأعمل السيف في حاميتها وطرد من ظلوا أحياء فيها من البلاد^(٤).

ووجه جبر بن سيار قصيدة إلى رشيدان بن غشام ذكر فيها مسألة^(٥) طرد بني خالد لطعن وقيس والأتراك عن الإحساء:

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| ١- سقها وسرما ليلها ونهارها | متعمد زراجها وغتارها |
| ٢٠- وإلى خلاف الخمس جيت لديره | تدرج بجنات النخيل أنهارها |
| ٢١- ملك لروس قبيلة تلقى بها | فضل إلى ضم القرا جزارها |
| ٢٥- أولاد بلع ذؤابة خاليد | ابن الوليد أزكى سلام زارها |
| ٢٦- قتلوا بها طي وقيس فأذعن | أتراكها وأروامها وأمصارها |
| ٢٧- بذلوا بها مهج النفوس فأدركوا | لذاتها ممزوجة بامرارها |
| ٢٨- عفوا جوانبها بضرب صوارم | ما سرحت فيها القضاة اسطارها |
| ٣١- براك بن غرير أمضى خالد | مولى مفاخرها سنا منوارها |
| ٣٤- وقر السلام وفيه خلط ملامة | يعرف مشاحي رمزها خبارها |

(١) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب لحسين خلف الشيخ خزعل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ حمد بن لعبون ص ٤٠.

(٤) راجع: تاريخ نجد لفيلبي، وراجع: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى.

(٥) كتاب الشعر النبطي للصويان.

- ٣٥- را شين يا دال ألف نون ومن نشا
 ٣٩- الهاك عنا بالقطيف مواكل
 ٤١- متفرش غالي الحرير مضرب
 ٤٣- فإن كنت تزعم أن في ذا مفتخر
 ٤٤- فاعلم تراها رتبة مذمومة
 ٤٥- ما ففك ذا يصلح لعبد خائب
 ٤٦- عفن لحوح كرف عبد ماهر
 ٥٠- أف لعيش أنت فيه ونعمة
 ٥٥- واعلم تراي اليوم بأحسن رتبة
 ٥٦- متبدل سرج الجواد بمنبر
 ٥٧- بالصف معتكف وأرجي توبة
 ٥٨- متقيد في خطبة جوزية
- شمسطاه ما حل الملام عذارها
 ومواقع يشظي الدماغ بزارها
 يضرب عليك السطار مع زمارها
 مع رتبة تزهي بها حضارها
 ماشومة بثس الفخار فخارها
 منتج قيان من ضنا عشارها
 بالوجه سلاك الحكي مذارها
 غدا مع الفجار من كفارها
 عظماً تزحزح عن فؤادي نارها
 وجماعة تعكف علي خيارها
 من سيدي وأرجي نخط أوزارها
 تجلي القلوب المصدية بأنوارها

ذكر المقر الصيفي لحكم آل حميد

((امتد نفوذ بني خالد من الإحساء إلى منطقة نفوذ العثمانيين في العراق، وكانت الكويت مقر حكمهم الصيفي))^(١).



مسير صاحب الإحساء محمد بن غرير لغزو بلاد العارض

١٠٧٩هـ (قال ابن بشر) وفيها سار محمد آل غرير صاحب الإحساء وصبح آل مغيرة وعايذ على حابر سبع في العارض وقتل منهم الخياري ثم صبحهم في الصيف وهم في حابر المجمع وقتلهم.

انضمام الشريف محمد بن زيد إلى ثورة الشريف حمود ضد أخيه

١٠٧٩هـ ((كان عصيان الشريف حمود في ينبع قد تفاقم أمره وكثرت قلاقله وانضم إلى صفوفه عاصي جديد هو محمد بن زيد الذي اختلف مع أخيه وغادرها مغاضباً لينضم إلى حمود في ينبع. وصدرت الأوامر العثمانية إلى صاحب مصر بإرسال حملة عسكرية إلى ينبع لتأديب العصاة في جمع من مقاتلة الأشراف وبعض المتطوعة من قبيلة جهينة، وفتكوا بها فقتل منها نحو (٤٠٠ جندي) وفر الباقون وقد أسر

(١) مجلة: دراسات تاريخية، جامعة دمشق ع ٣ ١٩٨٠م: البصرة أول قاعدة بحرية للتوسع العثماني في الخليج العربي بقلم: د. مصطفى النجار ص ١٠١.

قائد الحملة ونساؤه وأولاده فأبقوهم في الأسر كرهائن مقابل أسراهم من الأشراف في مصر وذلك في رجب ١٠٧٩هـ^(١).

زحف الجيش العثماني على البصرة وهروب صاحبها إلى الهند

١٠٨٠هـ في شهر صفر الموافق يوليو ١٦٦٩م بدأ الزحف العثماني مجدداً على البصرة، وانهارت معنويات يحيى باشا وفرّ إلى الهند بدون قتال وكان مصيره كمصير الوالي الذي سبقه حسين باشا الذي فرّ إلى الهند، ودخل الجيش العثماني البصرة ونصّب رئيس الحجاب مصطفى باشا والياً عليها^(٢).

ونتج عن ظروف الحرب أو بسبب السياسة السيئة التي أظهرها العثمانيون تجاه الأجانب عن مغادرة الكثير من السكان لمدينة البصرة^(٣).

توجه محمد بن زيد إلى بني سعد لخروجهم عن الطاعة

١٠٨٠هـ في ربيع الآخر: ((توجه السيد محمد بن زيد إلى قبيلة بني سعد في جمع يسير وهم في منعة وشاهق خطير، وأراد قتالهم لخروجهم عن الطاعة فأرسل وعرف أخاه الشريف سعداً فجمع جمعاً وأمرهم بالمسير إليه والذهاب. فبينما هم كذلك إذ وصل الخبر إليه بالصلح على المال لتسلم الرقاب))^(٤).

وقعة الشريف حمود مع الظفير في نجد

ذكر فيلبي أنه في سنة ١٦٦٩م عاهدت إلى الشريف حمود قيادة حملة عامة على نجد فأخضع قبائل متعددة ولكن كان هدفه الرئيسي قبيلة الظفير النازلة في العراق إذ كانت هذه القبيلة قد نهبت عدداً كبيراً من إبل عشائر (الصمدة) إحدى بطون قبيلة (الظفير) وقد انضم هؤلاء إلى جيش حمود وتبعهم سلامة بن سويط^(٥).

سبب اتّقاء الشريف حمود مع قبيلة الظفير

وعن سببها يقول العاصمي: ((سبب وقعة الظفير أنه انضم إلى جهامة السيد حمود قبيلة من ظفير

(١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط٨/١٩٩٩م ص٣٧٥.

(٢) أرجوزة في تاريخ البصرة، واقعة حسين باشا لياسين حمزة الشهابي كان حياً ١٠٨٦هـ تحقيق فاخر جبر مطر ص٧٩ في شرح المحقق.

(٣) م. العربية للعلوم الإنسانية ع ١١ مجلد ٣ ص٨٣: حكومة حسين باشا أفراسياب للحمداني ص ١١٦٣.

(٤) سمط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٥١٥.

(٥) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لست جون فيلبي تعريب عمر الديراوي، منشورات المكتبة الأهلية بيروت ص ١٣.

يقال لها الصمدة، ثم انضم إليهم شيخهم الأكبر مع جماعته الأدين وعصبته الأقوين وكان محباً للسيد حمود بمنزلة العين للإنسان، والإنسان للعين، وهو ذو شهامة وصرامة، يعرف بمرشد بن سلامة، فوق من جماعته جرم اقتضى أن يؤاخذوا بما هو المعتاد النموي عليهم في مثله، وهو أخذ الشعثاء والنعامة، وفي خيار أوائل الأباغر، وخيار تواليها، فلم يرضوا بذلك، وقالوا هو جور وحيف، وليس عندنا دون ذلك إلا حد السيف، فأشار سلامة المذكور إلى السيد حمود وقال له: (اربطني ولست في ذلك بملام، فوالله لتأخذن ما تريد بالتمام). فقال: (كلا والله لا ربطتك ونخوة آبائي الكرام وكيف ذاك وفي بطنك من عيشي طعام وكفى به التزام ولزام)، فذهب سلامة إلى قومه وقد تهيؤوا للقتال والنضال والعدوان ونهياً كذلك السيد حمود ومن معه من بني عمه ومن الصمدة وعدوان.

فانخزلت الطائفة من الصمدة، وولت ناحية ناجية، وانكفأ الجمعان بعضهم على بعض، واختلط الفرسان...، وقتل من السادة الأشراف زين العابدين بن عبدالله والسيد أحمد بن حسين بن عبدالله والسيد شنبر بن أحمد بن عبدالله.

وصوب السيد ظفير ابن السيد زامل بن عبدالله أصاويب وكذلك صوب السيد باز بن هاشم بن عبدالله إلا أن الله سبحانه وتعالى من بالعافية عليهما والله الحمد. ثم إن السيد غالب بن زامل صبحهم بعد مديدة، فحلم عن ستين لحية منهم ولم يشف عن واحد من القتلى كبده. ولم تزل معهم ظفير في قتل وطراد إلى أن أصلح بينهم المرحوم الشريف أحمد بن زيد^(١).

قطع ابن رشيد لطريق الحجاج في منطقة العلا

١٠٨١ هـ ورد في كتاب (الرحلة الحجازية لأوليا جلي) وهو يتكلم عن قلعة العلا ويقول ((كان يجب وضع جند في هذه القلعة لتأمين سبل الحياة في هذه المنطقة لأن الذين سيأتون إلى هذه المنطقة ما لم يجدوا ماء بها فإنهم لن يجدوا له أثراً في شق العجوز - مذبج الناقة من قبل قوم صالح عليه السلام على الرغم من أن هناك بحيرة قوامها حوالي مائتي متر وعرضها عشرة باعات بجوار هذه القلعة وقد قام الملعون المسمى ابن رشيد بغلقها في السنة الماضية وأطلق النيران على الحجاج ولم يحظ الآلاف منهم هم وبهائمهم على أي قطرة من الماء لدرجة أن العديد من الحجاج قد تقدت أجسادهم من شدة العطش وقيلولة الشمس... - ثم قال - فإذا بصوت جاويش الكتبية يقطع هذا السكون معلناً سنصل اليوم عند الظهر إلى الممر المسمى قضاء صالح فاستعدوا وكونوا على يقظة تامة لأن ابن رشيد قام بقتل الحجاج في هذا الموقع في العام الماضي والواقع أنه منقاد لطاعة حسين باشا هذا العام)). وبخبر آخر يقول (مأمون أصلان في كتابه قافلة الحاج الشامي) انتهب الحاج الشامي في مدائن صالح من قبل عرب حمولة ابن رشيد^(٢).

(١) سبط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٥١٨.

(٢) بدو الرشيدة تحقيق ابن حنية.

هجوم براك بن غزير على الظفير وعلى آل نبهان

وفيها (١٠٨١هـ - ١٦٧٠م): ((ظهر براك بن غزير بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد صاحب الإحساء وطرد الظفير، وأخذ آل نبهان من آل كثير على بلد آل سدوس))^(١)، وفيها أيضاً وقعة الكيثال بين الظفير والفضول بنجد^(٢)، وفي السنة التي بعدها (١٠٨٢هـ) وقعة الملتبهة بين الظفير والفضول.

تولية الشريف بركات بن محمد علي مكة

١٠٨٣هـ في هذه السنة طلبت الخلافة العثمانية في تركيا إلى مصر إرسال ثلاثة آلاف جندي إلى مكة، وإلى حلب بإرسال ألفي جندي وجعلت قيادة الجيش إلى صاحب حلب حسين باشا، كما أمرت حسين باشا أن يأتمر بأمر الشيخ محمد سليمان المغربي - من أكبر علماء عصره - وانتهى الجيش المصري إلى مكة في موسم ١٠٨٣هـ وعسكر في جروال ثم وصل جيش حلب فعسكر في الزاهر وفطن الشريف سعد للأمر فبات منه على حذر.

وقصد حسين باشا والشيخ محمد المغربي إلى المسجد حال وصولهما فأديا نسكهما وقابلا الشريف سعداً فأظهرا له الود وقبّل حسين باشا يد الشريف ثم سهر عنده في بيته إلى منتصف الليل.

وأرسل الشريف سعد يطلب خلعتة المعتادة من الباشا فطلب الباشا إليه حضوره ليشرب قهوته فامتنع فأعاد دعوته فلم يقبل وقال: إن العادة جرت بإرسالها إلي فقال الباشا: ليس لك عندنا خلعة فتأهب الشريف سعد للقتال فندب الباشا من ينادي بالأمان وأرسل الخلعة إلى الشريف سعد..... ولما انتهوا إلى منى بات الشريف ينتظر من الباشا إعلان مرسوم التأييد له كالمعتاد فلم يفعل فأرسل ينبه الباشا، فطلب الباشا حضوره فلم يقبل.....، فغادر منى خفية في بعض أنصاره إلى الطائف ومنها ارتحل إلى تربة فيشة ثم سلك طرقاً كثيرة حتى انتهى إلى دار الخلافة في تركيا... ثم أرسلوا إلى الشريف بركات بن محمد من آل بركات وأعلنوا ولايته^(٣).

تحالف قبلي بين البصرة وبندر ريق ضد الهولة

قبل عام ١٦٧٤م بفترة قصيرة استطاع تحالف القبائل العربية في المنطقة الواقعة بين البصرة وبندر ريق (وهي منطقة تشمل أرض قبيلة الخليفات) من طرد الهولة من شواطئ اللؤلؤ في البحرين^(٤)، وهذا الخبر يدل على قوة الهولة وكثرة عددهم التي استطاعت مجابهة أو التي تصدت لها قبائل عديدة تقع

(١) عنوان المجدد في تاريخ نجد لابن بشر ص ٦٦.

(٢) المصدر السابق ص ٦٦.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨/١٩٩٩م ص ٣١٤ ص ٣٧٨.

(٤) نشأة الكويت تأليف ب.ج. سلوت رئيس الأرشيف الهولندي صدر سنة ١٩٩١/٩٠م في هولندا، مركز البحوث والدراسات الكويتية ط ٢٠٠٣م ص ١١٧.

أراضيها فيما بين البصرة وبندر ريق الذي يقع على الجهة الأخرى من الخليج العربي مقابل شواطئ الكويت.

وقعة القاع

١٠٨٤هـ فيها: ((قتل محمد بن زامل بن إدريس بن حسين بن مدلج رئيس بلد التويم وإبراهيم بن سليمان بن حماد بن عامر الدوسري رئيس بلد جُلاجل في ((وقعة القاع))، وهي وقعة مشهورة بين أهل التويم بأهل جُلاجل))^(١).

انتصار الشريف بركات على قبيلة حرب

وفيها (١٠٨٤هـ) ((خرج الشريف بركات والسادة الأشراف والعساكر والعربان إلى قتال حرب وشيخهم أحمد بن رحمة فكان الظفر فيها للشريف ومن معه))^(٢).

قال السباعي: خرج في عام ١٠٨٤، ١٠٨٥ على رأس جيش من الأشراف والعربان وبعض العساكر لقتال العصاة من قبيلة حرب، ولما نزل قرية بدر لم يبدأ القتال فوراً بل ظل يربط فيها، وكلما اعتزم العمل عاود الصبر حتى صاروا لا يهتمون لحركته، فلما طال الأمر ورأى بعضهم يفترق عن بعض وثب عليهم وثبة جبارة فكسر جموعهم واستأصلهم وأقام في قتلهم ستة أيام قطع فيها دابرهم وأحرق نخيلهم وأقام حكمه في بلادهم، ولما انتهت الأخبار إلى مكة زينت أسواقها ثلاثة أياماً ابتهاجاً بالنصر^(٣).

إخضاع أهل وادي الفرع بعد عصيانهم

١٠٨٥هـ قال الدحلان عن هذا العام: خروج مولانا الشريف بركات إلى الفرع وأقطاره لتمرده أهله غلبة وخروجهم عن طاعته..... ونزل بقرية تسمى أم العيال وأمر السيد ناصر ابن السيد أحمد الحارث بالنزول بقرية أخرى تسمى بأبي ضباع ثم استمر مقيماً بتلك الدويرة إلى أن ذهبت جميع أموالهم ومزارعهم حتى عادوا إلى طاعته راغبين من غير قتال ثم لما مشى قبض على خمسة وعشرين شخصاً من كبارهم وأتى بهم إلى مكة في الحديد إلى أن ماتوا بأجمعهم..^(٤)

وفاة حمود بن عبدالله وأحمد بن محمد الحارث

١٠٨٥هـ وفاة السيد حمود بن عبدالله بن حسن بالطائف وفيها توفي السيد أحمد بن محمد الحارث^(٥).

(١) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ١ تاريخ ابن لعبون ص ١٩.

(٢) سمط النجوم العوالي.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨/١٩٩٩ م ص ٣٨٣ وراجع إفادة الأنام للشيخ عبدالله غازي.

(٤) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٩٤.

(٥) المصدر السابق ص ٩٤.

محدار معظم بوادي الفضول إلى جهة الحويزة والعمارة

١٠٨٥هـ في هذه السنة وقع قحط شديد سمي (جرمان)، وهي السنة التي فيها حדרوا بوادي الفضول إلى الشرق^(١)، ونزلوا نواحي الحويزة والعمارة وبقي لهم بقايا قليلة يتعلقون العربان ثم رجع منهم إلى نجد وبقي الكثيرون هناك، واستمر القحط الشديد وكثر الجراد في نجد إلى سنة ١٠٨٧هـ مما اضطر العديد من القبائل للهجرة في اتجاه الشرق^(٢).

سنة غيبية

١٠٨٦هـ في هذه السنة أسر براك بن غرير الشيخ سلامة بن سويط رئيس بوادي الظفير. قال ابن منقور: وفيها غيبية بني خالد، وأما هدية فبعدها بسنة. وعن سنة غيبية يقول الفاخري: هي اسم حراة بين بني خالد وأخذ براك رفاقته وقتل محمد بن حسين بن عثمان بن مسعود بن ربيعة آل حميد، وهو ابن عمه الذي ساعده على نيل الحكم هو ومهنا الجبري.

وفي كتاب الشعر النبطي للصويان: يقول براك في قصيدة طويلة سوف أختصر فيها:

- | | |
|------------------------------------|---------------------------------|
| ١- جوابك في مبداه ماناب عاشقه | وبالمنتهى أنواه ماهيب لايقه |
| ٣- رضيناك فيما قد رضينا مساند | وترك الحمايا صرت مفتاح غالفه |
| ٤- سنام لعظم الضد بأسباب همه | توابعها فضل من أيدي الزنادقه |
| ٥- فحاشاك لافاجاك من لا تريده | عن أدفاعها خوف المصلاة ناطقه |
| ٦- فبئس فعال يا مهنا رضيتها | وغير سديد الرأي من ذا معاشقه |
| ٧- فلو كنت محتاج لمبذول مالههم | عذرناك يامن شانت أنواه شايقه |
| ٨- للأصحاب فيما قد مضى ثم زينت | لك النفس ترك الند وأرضاً محاقه |
| ٩- تريد تصلح في حمانا قبایل | مجتمعة من كل قيق لفايقه |
| ١٠- وحننا بحرب كل يوم وليلة | نعالج فيها من خبيث مناطقه |
| ١١- نوزم بها شعث النضا كل لقوة | على الترك وأرواح عن البيع نافقه |
| ١٢- لمن يطلب العليا وماياكم العدا | تعرض بها لإتلافها في مغارقه |
| ١٣- ونقع من البارود والطورس كنهأ | رعود تجلي زجرها عن بوارقه |
| ١٤- إلى ثار عنها الغبو صرنا ولاتها | بلا زغب ولا نتقي عن ممارقه |
| ١٥- على كل قبا فوقها كل نادر | الى جار من ضرب الفرنجي مطارقه |

(١) سمط النجوم العوالي.

(٢) عنوان المجد لعثمان بن بشر.

- ٢٠- فتم وارع في واديك ماكنت جامع
 ٢١- وخالقك يا معدوم الإرشاد لو تكن
 ٢٢- وياطون ما لا تهتوي ثم خيرهم
 ٢٤- ومن قبلهم....
 ٢٥- وتبقى على بيت ابن سلطان عامر
 ٢٦- فكم ديرة صافت عداها وحاربت
 ٢٧- ففي ثارنا من دارنا ما تعابه
 ٢٨- ألين أخذنا ثار دار عزيزة
 ٢٩- وجاراتك اللي طالعت من بيوتها
 ٣٠- رجال ملت أركان حجر صرايع
 ٣١- وذاك الذي تعهد من الحزم عندنا
 ٣٢- وممنا فحول أروامها اللي ربوا بها
 ٣٣- وأخذنا معاليم على ما أنت خابر
 ٣٤- بنت اللحا ما هوب هرج سملق
 ٣٥- على راي من منا حمى حرمة الحمى
 ٣٦- ولا نتقي الحكام من خوف بأسها
 ٣٧- من أفعالنا اللي عاد شرواك يتقي

- بذلك وسدد عنك ماكنت فاتقه
 تخلي الأرض منا مابغوا منك دانقه
 لك تتخذ منهم رفيق ترافقه
 تواعد مائمت باقي لحايقه
 ومن له تذاكير بالآثار سابقه
 عزاهها عليها راية الذل خافقه
 مسا أو صباح يا مهنا نوايقه
 علينا إلى ما غير الدار مارقه
 أخذنا قضاها من عداها بطارقه
 بالإيمان كم رأس خلا من علایقه
 تمايز عنها بعد ما هيب رايقه
 بالأنعام وأخذنا أهلها بصاعقه
 ولا ينحصى مرسومها من بنايقه

 وفي كل ما يدرون تبدي حقايقه
 بأكنافها ذل ورجوى لفايقه

ومن أجل إكمال الصورة وإيضاح سبب قتل براك لولد عمه حسين بن عثمان ومهنا الجبري يجب الإتيان على جزء من قصيدته الموجهة إلى حسين:

- ٣- ذا سالف الدنيا كفى الله شرها
 ٤- ولا يستفيد المرء منها سوى التقى
 ٥- والثانية روس المعالي فإلى بقى
 ٧- وبذل العطا للمستحقين والقرا
 ٨- والرابعة بذل الحمايا إذا جرى
 ٩- والخامسة جر السبايا على العدا
 ١٠- فقم أيها الغادي على عيدهية
 ١١- إلى جيت عنا طيب الفال والذي
 ١٢- حسين حمى خيل الشفايا إذا بقت

- أهلها على نوعين راضي وغاضب
 وحفظ لدين الله خير المطالب
 صبور على الوجلا شقا كل طالب
 إذا حجبت غير السنين الكواهب
 على اللحم الداني من الدهر نايب
 بسيف وذلبيات السبايا جنائب
 عمانية من طيبات النجايب
 رقى بالثنا في عاليات المراقب
 جياذ الرزايا قاسيات المعاصب

ومن ليس في شهوات الأنذال راغب
سعوا به من صوبي نحوس الأقارب
حدرت العدا من عاليات المراتب
والأضداد في أكبادها الغل ناشب
بتدبير أحوال خباث المناقب
بلا سبب يوطيك ما أنت ضارب
بعمون إله العرش من كل جانب
بلا طيب من كل مغبون ضارب
إذا فاتني نفع الصديق المقارب
إذا ما دهاك أمر وأنا عنك غايب
على الخلق ستر من حسانيه حاجب
وبال إلى عد النبا بالمراكب

١٣- وقل له أيا من لا كسى الشين عرضه
١٤- لبيتك ماطاوعت الأوباش بالذي
١٥- بلا جرمة سويتها غير أنني
١٦- ومكنتكم منها على واضح النقا
١٧- صار الجزا لي منك ماهوب طيب
١٨- وحالفت عظم الضد تبغى تهينني
١٩- ففرقت شوفات علينا تظاهرت
٢٠- حدرت سلاطين الحسا من تخوتهم
٢١- وأنا أحمد المولى على كل ما جرى
٢٢- وطاوعت بي من لا يسدون غيبتي
٢٣- تراني عن الزهدا غني بمن له
٢٤- وقول بلا فعل على من يقوله

وأورد مقطعاً من قصيدة لمحمد أخي براك بن غرير لأخذ الحكمة الاستفادة منها لمعرفة ما يجري في ذلك الوقت ومعرفة الظروف المحيطة:

١- إلى سرت يامن فالك الرشد مشمل
٣- إلى جيت عقب السير عنا قبيلة
٤- وساع الهوايا من ذرى روس خالده
٥- بلغ سلامي غير وإن وخص لي
٦- حسين بن عثمان حمى ثقل التلا
٩- عفى الدرب عنكم ما لفي منك طارش
١٠- قضيت حقوق الدار حتى صفت لنا
١٢- تركنا كماء الترك فيها فرايس
١٣- ولولاك ما جا عن هل الفسق مخبر
١٤- لعينيك عفينا وعفنا مصالح
١٥- توهمت عين النصيح مني مضرة
١٦- وحاشاك ما ترضى علينا بنكبة
١٧- نسقي عداك أن قدر الله مثلما

على عيرة قد شاب ملقى وثورها
تزور العدا ما لا عداها تزورها
وبالعليا طوال شبورها
شقا ضدها موزي هواها ونورها
ورداد غيضات العدا في نحورها
فلاعلام عنكم دائرات دثورها
على الزين واسقينا عدانا مرورها
بطون الضواري والحداء هي قبورها
ولا فكها منا ولو طال سورها
وجاز أمرنا عما مضى من دثورها
ولم تعتبر باللي مضى من أمورها
ولا تسمع النمام فينا وزورها
سقينا عدانا بالكدي من مرورها

يقول الصويان: توفي براك بن غرير سنة ١٠٩٣هـ وتوفي محمد أخوه في سنة ١١٠٣هـ وقام مكانه ابنه سعدون بعد مقتل ابن عمه ثنيان بن براك لكي لا ينافس في الحكم الذي بلغ ذروته في عهده وتوفي سعدون ١١٣٥هـ.

وقعة هدية

١٠٨٨هـ وفيها وقعة هدية بين بني خالد، وأخذ آل كليب وقتل ساقان كبير آل مانع^(١). وفيها: أخذ براك بن غرير آل عساف من آل كثير قرب الدرعية عند الزلال عند الدرعية.

مناخ الضلعة

وفيها (١٠٨٨هـ): ظهر محمد الحارث إلى نجد. وقتل غانم بن جاسر رئيس الفضول. وفيها: وقع مناخ الضلعة من ناحية القصيم بين الشريف محمد الحارث وبين الظفير وصارت الهزيمة على الظفير^(٢)، ثم اصطلحوا وأخذ الحارث عليهم العقال وأنزلهم من سلمى الجبل المعروف في جبل شمر.

بنو لام يقطعون الطريق قرب الحويزة

١٠٨٩هـ وفيها: ((تصدت قبيلة بني لام للمسافرين وقطعت الطرق، ولما وصل خبرهم إلى المسؤولين أرسل الوزير حملة عسكرية عليهم تقدر ما بين الأربعة والخمسة آلاف جندي بقيادة الكتخدا، وعند وصول هذه القوة إلى قرب الحويزة هجمت على العصاة وانتصر عليهم ثم عاد إلى بغداد))^(٣).

الصرر الممنوحة للقبائل الواقعة على طريق الحج الشامي

١٠٩٠هـ ذكر المؤرخ العثماني راشد^(٤) ((أن الدولة العثمانية كانت تقوم بتسليم أمراء الحج (٢٣٩٠٠ غروش) من خزينة دمشق لأجل تسليمها إلى شيخ دمشق وقبائل آل معمور وقبيلة وحيدان وبني صخر وعنزة والقبائل الأخرى المتواجدة على طريق الحج الشريف. وقد استمر هذا الأمر إلى سنة ١٠٩٠هـ ومن هذه السنة وحتى سنة ١١١٠هـ تم منح العشائر البدوية كبني صخر وعنزة (٢٠٧٣٤ غروش) زيادة على الصرر الممنوحة لها. ولكن قام فيما بعد بعض قطاع الطرق من البدو بالنزول في طريق الحج للإغارة على الحجاج. ولهذا قامت الدولة بزيادة الصرة^(*) الممنوحة إلى بعض العشائر وإيصالها إلى (١١١٠٠٠) غروش وذلك من أجل كسبها والحيلولة دون قيامها بعرقلة سير الحجاج، غير أن أمراء

(١) تاريخ الفاخري مطبوع ص ٧٧، تذكر بعض المصادر أن اسمه هكذا: ساقان بن خلف آل مانع من السحبان من بني خالد.

(٢) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى.

(٣) كلشن خلفاً لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٢٨٣.

(*) أول من أرسل الصرة إلى الحرمين الخليفة المقتدر العباسي (٢٩٥-٣٢٠هـ).

الحجاج قاموا بالامتناع عن منح هذا المبلغ إليهم وبدؤوا بالتصدي لهم في أماكن خاصة لمنعها من الإغارة على الحجاج، كما قام شريف مكة هو الآخر بقطع الصرر المخصصة من موارد جده لعشيرتي عنزة وبني صخر كما اعتقل ١٥٠ فرداً من أفرادهما، مات منهم ٥٠ فرداً، غير أن الشريف لم يأخذ بنظر الاعتبار أن ما قام به سيستفز العشيرتين ويولد عندهما روح الانتقام ولم يذهب إلى وضع عدد كافٍ من الحرس لمرافقة الحجاج. فأغار البدو سنة ١١١١هـ على الحجاج وكان أمير الحج محمد باشا... فنهب البدو أموال الحجاج وقتلوا عدداً منهم، وكانت ردة فعل الدولة قوية وحملت أمير الحج مسؤولية ما تعرض له الحجاج متهمة إياه بالإهمال والتقصير فقامت بعزله واعتقاله^(١).

وقعة دقلة وهي سنة حجرة الدغيرات

١٠٩٢هـ قال الفاخري في تاريخه: وفيها وقعة دقلة، ومقتلة عنزة قتل منهم الظفير ناساً كثيراً، وقتل فيها لاحم بن خشرم النبهاني، وحسن بن جمعان، وهي سنة حجرة الدغيرات في رغبة، وأخذ محمد الحارث الدواسر حول المردمة، وفيها مقتل عدوان بن تميم راعي الحصون، وبناء منزلته، وقتل محمد ابن بحر في المنيزة الداخلة.

انتقال عشيرة آل حميدي من قطر إلى البر الإيراني

(١٠٩٢هـ تقريباً) ١٦٨١م ذكر الأستاذ يوسف جعفر أن في هذه السنة المذكورة كانت عشيرة آل حميدي من بني خالد قد انتقلت من قطر إلى البر الإيراني في الجنوب في مكان يدعى (كجوة) وتفرقوا في عدة قرى متخذين ألقاباً مختلفة منها: الصابرية، الأحمدية، الفلامرية. واستمر حكمهم حتى ١٧١٩م (١١٣٢هـ تقريباً) بعد وفاة الشيخ ياسر بن منصور بن خالد بن مهنا الجبري في قرية البمبرية^(٢). ثم قال: ((وفي عام ١٧٢٤م (١١٣٦هـ تقريباً) احتل الشيخ جبارة بن ياسر جزيرة البحرين وسكن بها مع عائلته، إلا أن الحكومة المركزية احتلت الجزيرة في عام ١٧٣٧م، وقد أصبحوا عجماً تكلموا الفارسية وتشبهوا^(٣))).

وفاة الشيخ براك بن غرير

قال ابن عيسى: في ١٠٩٣هـ مات براك بن غرير بن عثمان آل حميد الخالدي رئيس الحسا والقطيف وتولى بعده أخوه محمد وصال على أهل اليمامة^(٣). وكذلك قال الفاخري في تاريخه.

(١) دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني لفاضل بيات ص ١٥٥.

(٢) القوى السياسية في كوت الأحساء - يوسف جعفر ص ٧٦.

(٣) بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى.

تدهور العلاقات الإيرانية الهولندية

في عام ١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م بدأت علاقة شاه إيران بالهولنديين تتأزم بعدما انكشفت له أساليب الأعيههم، وتبين له إخلاص الإنجليزين^(١).

وفي الوقت الذي بدأت علاقات الشاه سليمان بالهولنديين تسوء يوماً بعد يوم قرر الهولنديون اللجوء إلى أسلوب التخويف والقهر مرة أخرى لا سيما وأنهم نجحوا في هذا النهج في عام ١٦٤٥م، وعندما لم يستجب الشاه لمطالبهم اندفعوا لاحتلال جزيرة قشم وهرمز وخرج وغاروا على بندر عباس عدة مرات وأسروا ثلاث عشرة سفينة تجارية فارسية.

ولم يتأثر الشاه بذلك لأنه عرف أهداف الهولنديين، ولما وجد الآخرين أن استخدام القوة لم يحقق لهم هدفهم طالبوا الشاه بالتفاوض، لكنه رفض أيّ تفاوض معهم حتى يطلقوا سراح السفن الفارسية ويجلوا عن الجزر التي احتلوها، فاستجاب الهولنديون إلى طلب الشاه، وأطلقوا سراح السفن الفارسية في يونيو ١٦٨٤م وانسحبوا من الجزر التي احتلوها^(٢).

وفاة الشريف بركات

وفي ١٠٩٤هـ توفي الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بناء على ما ذكره السيد دحلان.

حالة الفوضى في الحجاز

قال المستشرق جيرالد دغوري: ((في نهاية موسم حج ١٦٨٣م (ذي الحجة ١٠٩٤هـ تقريباً) سيطرت الفوضى وعمت ولم يستطع الشريف سعيد أن يعالجها فعين أحمد بن غالب مكانه بالإناة وذهب يريد أن يلتحق بقافلة حجاج الشام.

جمع أحمد بن غالب رجاله واقترح أن يتولى مسعود بن سعد الحكم ولكن وبعد فترة قصيرة وصلت تقارير سعيد عن حالة الفوضى في مكة وعن سوء تصرف الزوج في الحكم إلى السلطان العثماني والذي تضايق جداً من الحالة فأرسل في الحال إلى أحمد بن زيد والموجود في المنفى في كيرك لينسه في آسيا الصغرى مقترحاً عليه حكم الحجاز.

وافق أحمد وانحدر لمرافقة قافلة الحجاج عند العلا في شمال الحجاز ووضع عليه الخلعة في المدينة، ودخل مكة سنة ١٦٨٤م، وكان وزير سعد رجل يمني ومعروف لدى عامة الناس وقد نصبه أحمد وزيراً له أيضاً.

(١) غزاة في الخليج لهيفاء الربيعي ص ٨٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٨٨.

أما العالم الكبير الشيخ سلامة بن مرشد بن سويط من قبيلة الظفير من العراق وكان قد استقبل سابقاً في مكة وتولى التحكيم بين أفراد أسرة الأشراف وكان داعية سلام.

وحالما أعيدت الأمور إلى نصابها في مكة تجهز الشريف أحمد لمعاقبة قبيلة عنيزة (عنزة) في نجد والذين انتهزوا الفرصة حيث حالة الفوضى كانت منتشرة في الحجاز فأصبحوا متمردين فهزموهم هزيمة نكراء^(١).

في ٢ ذي الحجة ١٠٩٥هـ وصل الشريف أحمد بن زيد إلى مكة ودخلها بموكب حافل ((ومدحه الشعراء الذين مدحوا من قبله وسيمدحون من بعده))^(٢).

دخول ابن سويط في طاعة الشريف

١٠٩٦هـ ((في يوم الجمعة ١٧ شعبان دخل شيخ آل ظفير سلامة بن مرشد بن صويت مكة في أمان الله، وأمان مولانا الشريف أحمد بن زيد خاصة والأشراف جميعهم عامة، وألقى السلم ودخل تحت الطاعة، فأمر له الشريف أحمد بمضارب نصبت بالمحصب، وأقام قريباً من شهرين، فذكر مولانا الشريف للأشراف أن ابن صويت جاءكم بأهله وحلته، وقد دخل علي، فإن عفوتهم فأنتم محل العفو فها هو قد استسلم، فأجابوه بالسماح، وكتبوا خطوطهم بالسماح عن ابن صويت عن جانيته وذلك ببركة الجميع والشريف أحمد نظر الله إليه بعين عنايته))^(٣).

من الأخبار النجدية المتفرقة

١٠٩٦هـ أخذ الظفير جردة لثيان بن براك بن غرير. وفيها رخص الزاد وكثر الفقع وهي سنة ديدبا وقيل سبع^(٤).

اتفاق ابن معمر وابن سعود على مهاجمة حريملاء

وفيها (١٠٩٦هـ): ((اتفق عبدالله بن معمر، وسعود بن محمد بن مقرن رئيس الدرعية، على مهاجمة حريملاء، فهاجموها وقتلوا من أهلها عدداً كثيراً)).

الغارة على حريملاء مرة أخرى

١٠٩٨هـ أعاد ابن معمر رئيس العيينة الكرة فأغار على حريملاء وقتل من أهلها عدة رجال^(٥).

(١) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١ / ص ١٨٠.

(٢) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط١٩٩٩/٨ م ص ٣٨٩.

(٣) سبط النجوم للعاصمي ج ٤ ص ٥٦٧.

(٤) تاريخ الفاخري، مطبوع.

(٥) تاريخ اليمامة لعبدالله بن خميس .. ج ٢ ص ٢٨٢.

مسير أهل حريملاء ومعهم محمد بن مقرن إلى سدوس

١٠٩٨هـ سار أهل بلدة حريملاء، ومعهم محمد بن مقرن رئيس الدرعية وزامل بن عثمان رئيس الخرج وتوجهوا إلى بلد سدوس^(١) وهدموا قصرها، وخرّبوا مساكنها^(٢).

الاقتال بين آل مغيرة وآل عساف

١٠٩٨هـ ((وفيها الواقعة المشهورة بين آل مغيرة وآل عساف من آل كثير في الحائر، وقتل من الفريقين عدة رجال منهم: محمد الخياري رئيس عربان آل مغيرة))^(٣).

واقعة بين آل مغيرة وبني عامر بن صعصعة

(بدون تاريخ): تذكر بعض المصادر التاريخية وقوع معركة ضارية بين آل مغيرة وبين بني عامر بن صعصعة على الوفراء، وخلدت هذه المعركة في أشعارهم حيث يقول شاعر بني لام:

صبحنا على الوفراء دواوير عامر وغدا مالهم للطامعين أقسام

قال المغيرة: وقد ذكر في زمن سعود بن عبدالعزيز رحمه الله سنة ١٢٠٠هـ أن رجلاً من أهل سميرا، لَمَّا مرَّ بها غازياً الإمام سعود رحمه الله، قال للرجل: ما عمرك؟ وكان كبير السن، قال (١٢٤ سنة)، قال له: من أشد القبائل أدركتها بنجد؟ فقال له: آل مغيرة، وكبيرهم عجل نزل بنا غازياً وكانت عداد خيله (١٥ ألفاً)^(٤).

وللوصول إلى تاريخ منحدد لوقوع هذه المعركة التي ذكرناها بين آل مغيرة وبين بني عامر بن صعصعة نقول: بما أن المسن الذي أدرك عجل بن حنيت كان عمره عندما مر به الإمام سعود (١٢٤ سنة) فهذا يعني أنه ولد في سنة ١٠٧٦هـ.

وبما أن مقل الذكير يقول في تاريخه لأحداث سنة ١١١١هـ إنه بعدما قدم عثمان بن نحيط من الإحساء واستولى على بلد الحصون ((حصل بينه وبين أخيه فايز سوء تفاهم فخرج هذا مغاضباً لأخيه فأراد عثمان استرضاء أخيه فأرسل له قصيدة)). مما قال عثمان بن نحيط:

٤٢- وين آل عجل ووين غدت ممالكهم من عقب الإقبال وجموع ورايات

(١) قال الهمداني عن قرية سدوس: من وراء الابكين وهما قرنان جيلان، وهي قرية بني سدوس بن ذهل بن ثعلبة، وهي قرية جيدة وفيها قصر سليمان بن داود عليه السلام، مبني بصخر منحوت عجيب خراب، وبقيت القصة. راجع: صفة جزيرة العرب للهمداني تحقيق الأكيح ص ٢٦٧.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص ٨٨.

(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت ١٣٤٣هـ ص ٧١.

(٤) مبالغة واضحة في عدد الخيل.

إذاً الحادثة التي نتكلم عنها هي ما بين سنة ولادة ذلك المسن ١٠٧٦هـ وبين سنة ١١١١هـ وهي السنة التي قُلت فيها القصيدة السابقة وذكر فيها زوال دولة آل عجل.

فهذا يضعنا أمام ٣٥ عاماً لا بد أن يكون عجل بن حنيتم موجود خلالها وبالأخص في منتصفها أي فيما بين ١٠٨٥هـ وبين ١١٠٠هـ وعلى وجه التقريب نقول: ربما تكون السنة المقصودة هي ١٠٩٣هـ والله أعلم.

يقول المغيري: ومما يؤثر أن بني عامر بن صعصعة حبسوا أخا عجل، وكانوا بالوفراء، فغزاهم وقتلهم قتلاً ذريعاً، وأطلق أخاه، وقال قصيدته التي أولها:

حدرت من حليت بلياً ضعافين وغطى القوم من كثر الغبار عمام
إلى قوله:

وصبحت بالوفراء دواوير عامر وغدا مالهم للطامعين أقسام
ويقال إن المبيحيص، سمي بعد هذه الغزوة لكثرة الجيش والخيال التي بحصته بحوافرها ومناسمها^(١).

وكانت للأمير عجل بن حنيتم وقعة شديدة مع الشريف بركات وذكر أن الشريف غنم من جيش عجل عشرين ألف رأس من الإبل وثلاثمائة فرس والسمن لو أهرق لسال الشعر، والمعروف أن الشريف بركات حكم مكة المكرمة من سنة ١٠٨٣هـ إلى سنة ١٠٩٣هـ.

نبذة عن الأمير عجل بن حنيتم

كان عجل بن حنيتم لا يدع أحداً يمر ببلدة الشعراء ويشرب من مياهها حتى يدفع له بكرة من إبله. وقد جاء في معجم جغرافية الأدب العامي أن (ماسل - أفقرا) موارد قديمة حددها الشاعر قرب الشعراء.

قالت شما بنت عجل بن حنيتم من آل مغيرة:

كم وسمنا على الشعراء من زين بكره جابتها الأنضأ والوجيه السمايح
مواريدها بالقيظ قلبان ماسل ومداهيلها الشعراء سقتها الروايح
وأجار عليهم يا (أفقيرا) مايجونها لي العد مطوي الجبا بالصفايح

ويعلق الأستاذ سعد بن جنيدل على هذه الأبيات بعدما أوردها في بحث خاص له في جريدة الرياض السعودية:

الشعراء: بلد قديم معروف يقع في عالية نجد غرباً من مدينة الدوادمي، كان آل مغيرة يسكنون فيه. الأنضأ: نجائب الإبل، والوجيه السمايح: وجوه أهل السباحة من الرجال.

(١) المنتخب في ذكر أسباب قبائل العرب لعبد الرحمن المغيري تحقيق د. إبراهيم الزيد ط ١٩٨٥ ص ٢٦٢-٢٦٤.

ماسل: ماء قديم في جبل، يسمى حجم ماسل يبعد عن الشعراء جنوباً شرقياً حوالي ثمانين كيلاً.
أجار عليهم: منعهم وبلغهم منعه لهم، أجار: حلف وآلى.

أفقرا: ماء مشهور قديم يقع شمالاً عن الشعراء حوالي ثمانين كيلاً، وقد قامت فيه هجرة.

العد مطوي الجباء: يقصد به حلبان، وهو ماء قديم من مياه البادية يقع عن الشعراء جنوباً حوالي ستين كيلاً، وقد قامت فيه هجرة عامرة، وهي بهذا تبين حدود الحمى من ناحية الجنوب ومن ناحية الشمال ومن ناحية الشرق فهذه البلاد التي بين هذه المياه وبين مقره في الشعراء.

قال المغيري: ((عجل بن حنيتم واحد من رؤسائهم - يقصد آل مغيرة - استقر في مدينة الشعراء...، وخلفه في الرياسة، أيديد بن عروج من قبيلة آل كثير، أو من عمارة آل غزي من بني لام، الذي عاش في العمارة في نجد، فمعظم رجال قبائل آل مغيرة والفضول وآل كثير نزحوا إلى العراق))^(١).

وقال المغيري: ((وقد تمكنت آل مغيرة في نجد بعد بني هلال، وكان آخر ملوك آل مغيرة، عجل ابن حنيتم، ومسكنه بلد الشعراء من نجد وآثار قصر عجل باقية إلى الآن، ومن قوله في ذكر بلده الشعراء:

هذي بسلامي جنب تيما مقيمة ما دامت الشعراء هيام قليبها
مضى حقنا على الشريف ابن هاشم على الحوض حقه من وردها يجيبها
وهي قصيدة طويلة))^(٢).

تيما: هضبة حمراء كبيرة جنوب بلدة الشعراء. والقلب الهيام: هي البئر التي لا تثبت جدرانها حتى ترص بالحجارة وآبار الشعراء كذلك.

مقتل وديد بن عروج على يد شمر

بدون تاريخ: قتل وديد بن عروج الذي خلف عجل بن حنيتم في مشيخة بني لام الذين منازلهم بين العارض والإحساء، ذبحوه سنا عيس حائل بدليل قصيدة زوجته التي رثته فيها:

يلتاع قلبي كل ما أذكر سواياه كما يلوع الطير شبك الحبايل
لا وا حبيبي أربع سنين فرقاء عليه أنا قصيت كل الجدائل
لا وا حبيبي يتلف الهجن ممشاه إلى بقاله نية ما يسايل
لا وا حبيبي يسقي الربع من ماء دليلهن لا ضيعوه الدلائل
لا وا حبيبي كل يوم تنصاه تلقى ربوعه طيبين القبايل

(١) المنتخب في ذكر أسباب قبائل العرب لعبد الرحمن المغيري تحقيق د. إبراهيم الزيد ط ٢٢ ١٩٨٥ ص ٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٢-٢٦٤.

لا وا حبيبي تذرف السمن يميناه
لا وا حبيبي وافيات سجاياه
لا وا حبيبي طاح يوم الملاقاة
لا وا حبيبي طير شلوى تعشاه
عندي مثيله واحد كنه إياه
السزول زولسه والحلايا حلاياه
يا ما ذبح ما بين كبش وحابل
عليه غضات الصبايا غلايل
بنحور غلبا فوق قب الاصايل
قطاعا المهجة سناعيس حايل
عليه من توصيف خلي مثايل
و الفعل ما هو فعل وافي الخصايل

ويتضح في القصيدة أنها مدحت زوجها المتوفى وديد بن عروج على حساب ذم أخيه لزّام الزوج الحالي، وكأنها كانت تتمنى أن لا يكون أقل شأنًا من أخيه من حيث الكرم والشجاعة، ولأنها لم ترّ منه ما تتمنى جاءت القصيدة التي كانت نتيجتها الطبيعية نقمة لزّام عليها وغضبه.

فأمرها ذات مرة أن تجهز له مطيته، ثم أعلن الغزو واستمر في غزاته ثلاثة أشهر ثم عاد سالماً غانماً ومعه الكثير من الأموال والحلال، فنظرت زوجته إلى حالة مطيته التي أضناها طول السفر وأصببت بالهزل والضعف، فتبينت لها حقيقة معدن زوجها ذي القوة والصبر والجلادة، فندمت وشعرت بالأسف على قصيدتها السابقة، وخافت من أن يكون لزّام قد بيت النية على أمر ما، فأنقذت موقفها بهذه القصيدة التي تمدحه فيها:

يا بكرتي علام حالك ضعيفي
عقب الفسق ومهادرك بالمصيفي
عقب الأباهر والسنام المنيفي
حر شهر من ماكره له رفيفي
قطع عليك ديار قوم تخيفي
أقفا عليك من الحسا للقطيفي
وتدمر وصلها وخمها مستخيفي
واخذ عليك أذواد جو مريفي
وعادوا على العارض ركيب يهيفي
زهابهم حب القرايا النظيفي
توي هنيئ وطاب بالي وكيفي

وعندما سمع بالقصيدة لزّام بن عروج قال سلمت وكأنه كان يضر لها شراً، وارتد عنه في اللحظة الأخيرة ثم قال القصيدة التالية:

أنا ابن عروج وهندي سواتي
خمسین يوم والنضاً مقفياتي
موصل سمان الهجن شي ما يجنه
مع أربعين وهن على وجهه

نمشي النهار وليلنا ما نباتي كم ذود مصلاح منيس خذنه
من ظن فينا الطيب شافه ثباتي واللي هقا فينا الردى ضاع ظنه

والعروج هم شيوخ الفضول من بني لام من بني طيئ وتوجد عوائل كثيرة متحضرة من الفضول
ومنهم المغيرة مع عتية ويقولون منهم الزرفان الذين مع الزميل من شعر ومنهم الغزي بالعراق.

لمن كانت القوة في عالية نجد

قال المغيري: ((ومن بني هلال بن عامر بنو هلال، الذين شاع ذكرهم في نجد، جماعة أبي زيد
الهلالي، وقد انتقل هذا الجبل إلى المغرب وقد قيل فيهم من يقول:

رابعت أنا نجد البيوق وبقاني أول باقة باقة (بني هلال)
وثاني باقة باقة (آل مغيرة) اللي دروعهم حمول جمال
وثالث باقة باقة (بني لام) أهل السموت عقال الرجال
وعد (جديع) وتوغظ (للدويش) والهرومة ما تجنى الرجال

وجديع هو ابن هذال كبير عنزة، قد استحال في نجد بعد بني لام، ثم بعده الدويش، ثم بعد
الدويش ابن هادي قحطان، ثم بعدهم عتية))^(١).

وقعة مرازم بين الشريف وبني خالد غربي نجد

قال الوهبي: ((ورد في سنة ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م إشارة إلى موقعة تدعى مرازم بين الشريف وبني
خالد برئاسة محمد بن غرير بالقرب من الدقاين في غربي نجد وبالرغم من عدم ذكر نتيجة المعركة إلا
أنها أول مواجهة بينهما منذ تولي بني خالد السلطة وقد جاءت بعد اعتداء الشريف أحمد بن زيد بن محسن
على أهالي عنيزة في السنة التي قبلها وارتكابه أعمالاً وحشية فيها والمعروف أن آل جناح من بني خالد
كانوا في تلك الفترة من أبرز عشائر عنيزة))^(٢).

وفاة الشريف أحمد بن زيد وولاية الشريف أحمد بن غالب

١٠٩٩هـ ((في أواخر ربيع الثاني مرض الشريف أحمد بن زيد وفي ١٢ جمادى الأولى توفي إلى
رحمة الله عن عمر يناهز ٧٤ سنة وكانت ولايته هذه أربع سنوات إلا ثلاثة أيام. ولما توفي العم اجتمع كبار
العسكر وبعض الأشراف والأعيان لدى قاضي الشرع واتفقوا على تنصيب سعيد بن سعد بن زيد.

(١) المصدر السابق ص ٣٩٣.

(٢) بنو خالد وعلاقتهم بنجد ص ٢٠٤.

وكان الشريف أحمد بن غالب من ذوي بركات يقيم في هذه الأثناء في ينبع فكتب إلى صاحب مصر وهو من الأتراك يئذ مالا يقدره الدحلان بمائة كيس ويطلب إليه العمل على توليته مكة ووجهه غير ذلك مالا كان مجتمعاً في مصر لفقره مكة يبلغ نحو ٧٥ ألف قرش!! فكتب صاحب مصر إلى والي جدة بموافقة على تنصيب الشريف أحمد فامثل والي جدة ونادى بذلك في جدة. ودخل الشريف أحمد بن غالب مكة في ثاني شوال ١٠٩٩هـ^(١).

هجوم محمد بن غرير على آل عثمان العائدين في الخرج

وفيها (١٠٩٩هـ): ((ظهر محمد بن غرير آل حميد الخالدي رئيس الحسا والقطيف ونزل الخرج وحصل بينه وبين آل عثمان رؤساء الخرج من عايد قتال شديد، ثم إنهم صالحوا ورجع عنهم))^(٢).

وفاة الشيخ محمد بن بدران بن زايد الدوسري

وفيها (١٠٩٩هـ): ((كثر العشب والفقع والجراد، ورخص الزاد حتى بلغ التمر عشرين وزنة بمحمدية، والحب خمسة أصواع هذا في سدير وبيع في الدرعية ألف وزنة بأحمر.....

وفيها مات الشيخ محمد بن عبدالله بن سلطان بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان بن جمعان بن سلطان بن صبيح بن جبر بن راجح بن خترش بن بدران^(*) بن زايد الدوسري قاضي بلد (المجمعة))^(٣).

نسخ الموطأ في فيلكا بيد علي بن مسعيد

وفي هذه السنة (١٠٩٩هـ - ١٦٨٢م) تم نسخ مخطوطة كتاب الموطأ للإمام مالك في جزيرة فيلكا بيد مسعيد بن أحمد بن مساعد بن سالم^(٤)، وقال الأستاذ خالد سالم محمد^(٥): جاء في نهاية نسخة الموطأ ما يلي: ((وقع الفراغ من كتابة الموطأ صبحى يوم الاثنين من شهر عاشوراء للسنة الرابعة والتسعين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام بقلم أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته علي بن مسعيد بن أحمد بن مساعد بن عبدالله بن سالم نزيل فيلكا غفر الله له ولوالديه ولمشايقه)). وفيها: قتل جساس رئيس بوادي آل كثير^(٦).

- (١) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩م ص ٣٩١.
- (٢) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت ١٣٤٣هـ ص ٧٣.
- (*) إذا كان الاسم صحيحاً فهذا يعطي نتيجة تفيد بأن وقت ولادة بدران بن زايد كان قبل خمسة قرون من هذه السنة التي توفي فيها هذا الشيخ والله أعلم.
- (٣) تاريخ الفاخري، من تسلسل الاسم - إذا تأكدت صحته - يكون زمن بدران بن زايد المذكور هو في حدود منتصف القرن السادس للهجرة أو نهاية القرن الخامس.
- (٤) جريدة الوطن بقلم د. ميمونة الصباح العدد ١٠٧٠٣ - ١٧/١١/٢٠٠٥م.
- (٥) الكويت في القرنين ١٨ و ١٩ حوادث وأخبار ط ١٩٩٥م ص ٢٦.
- (٦) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ص ٧٣.

أحداث القرن الثاني عشر الهجري



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقتل مرخان بن وطبان وولاية أخيه إبراهيم

١١٠٠هـ وفيها: ((قتل مرخان بن وطبان أمير الدرعية على يد شقيقه إبراهيم غدرًا، واستولى على الدرعية وفيها ولد محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان في الدرعية الذي تولى حكمها ١١٣٨هـ أي كان عمره. (٢٨ سنة هجرية) وقد ذكر هذا الخبر ابن منقور في أحداث هذه السنة فقال: وفيها قتل مرخان بن وطبان))^(١).

ذكر عدة حوادث

وفيها (١١٠٠هـ): ((جاء مطر دقيق وبرد شديد وجمد المطر على جريد النخل وغيرها حتى أهداب عيون الإبل فسميت سليس، وهي سنة الخليل بين زعب وعدوان وبني حسن والساقة على عنزة، وقتلة الموح وعمار الجرباء. وفيها أخذوا الظفير والفضول الحاج العراقي عند التئمة... وفيها أخذ محمد آل غرير جردة مقحم))^(٢).

وفيها (١١٠٠هـ): مات عبدالله راعي ثرمدا، وشاخ ريمان^(٣).

وقوع الطاعون بالبصرة ونواحيها وحكم بني كعب للقبان

١١٠٢هـ في هذه السنة ((وقع الطاعون في البصرة ونواحيها وبالقبان وأفنى منها خلقاً كثيراً، ومن بعد ذلك حكم بالقبان علي بن ناصر بن محمد، وقتل من يد كعب^(٤) وحكم من بعده عبدالله بن ناصر

(١) خزنة التواريخ النجدية ط ١ ج ٣ تاريخ ابن منقور ت ١١٢٥هـ ص ١٩.

(٢) تاريخ الفاخري.

(٣) خزنة التواريخ النجدية ط ١ ج ٣ تاريخ ابن منقور ت ١١٢٥هـ ص ١٩.

(٤) قال يوسف بن عيسى القناعي في كتابه: صفحات من تاريخ الكويت ط ٤ س ١٩٦٨ م. حكومة الكويت: بنو كعب من سبيع تحولوا من العراق إلى الدورق سنة ١١٧٨هـ؟ وقد نوهنا فيما سبق عن خطأ التاريخ الذي وضعه الشيخ القناعي، لأن انتقالهم كان قبل ذلك بسنوات كثيرة، إلا إذا كان يقصد هجرة جزء متأخر منهم. وقد قال لوريمر: =

وقتل، وحكم رحمة وقتل، وكان منتهى الأربعة إلى سنة ١١٣٥ هـ مدة ملكهم ثلاثة وثلاثين سنة^(١).

قال لوريمر: ((النصار والدريس الأسلاف الأسطوريين لبني كعب في جنوب عربستان قد مضوا في طريقهم من نجد إلى الدورق واحتلوها بعد أن طردوا منها بعض القبائل العربية وبعض الأتراك الأفشار أو العوشار الذين كانوا يمتلكونها.

لكن ليس هناك ما يؤكد تاريخ هذه الأحداث بمجملها، كما أن قبّان كانت على ما يبدو عاصمة لبني كعب في أوائل القرن السابع عشر، وبقيت كذلك حتى عام ١٧٤٧م عندما جرى الانتقال إلى مدينة الفلاحية أو دورق الفلاحية^(٢).

بداية مشيخة آل شبيب الاشراف في قبائل المنتفق

في حوالي هذه السنوات بدأت مشيخة آل شبيب في المنتفق وبالتحديد فيما بين (١٦٥٠ - ١٧٠٠م تقريباً)، وذلك استناداً إلى قول خورشيد أفندي في تقرير فريق (لجنة تقصي الحقائق) الذي استمر عملها مدة أربع سنوات بدءاً من سنة ١٨٤٨م حيث قال: ((تنحصر زعامة المنتفق في حمولة عائلة آل شبيب، جاءت هذه العائلة من الحجاز قبل ١٥٠ أو ٢٠٠ سنة، وسكنت وسط هذه القبائل من بني مالك والأجود وبني سعيد)).

وتقسم حمولة آل شبيب إلى ثمان عوائل وسميت كل عائلة باسم أبرز رجل فيها وهم: السعدون، الراشد، الصقر، العزيز، الصالح، العيسى، العلي، العثمان^(٣).



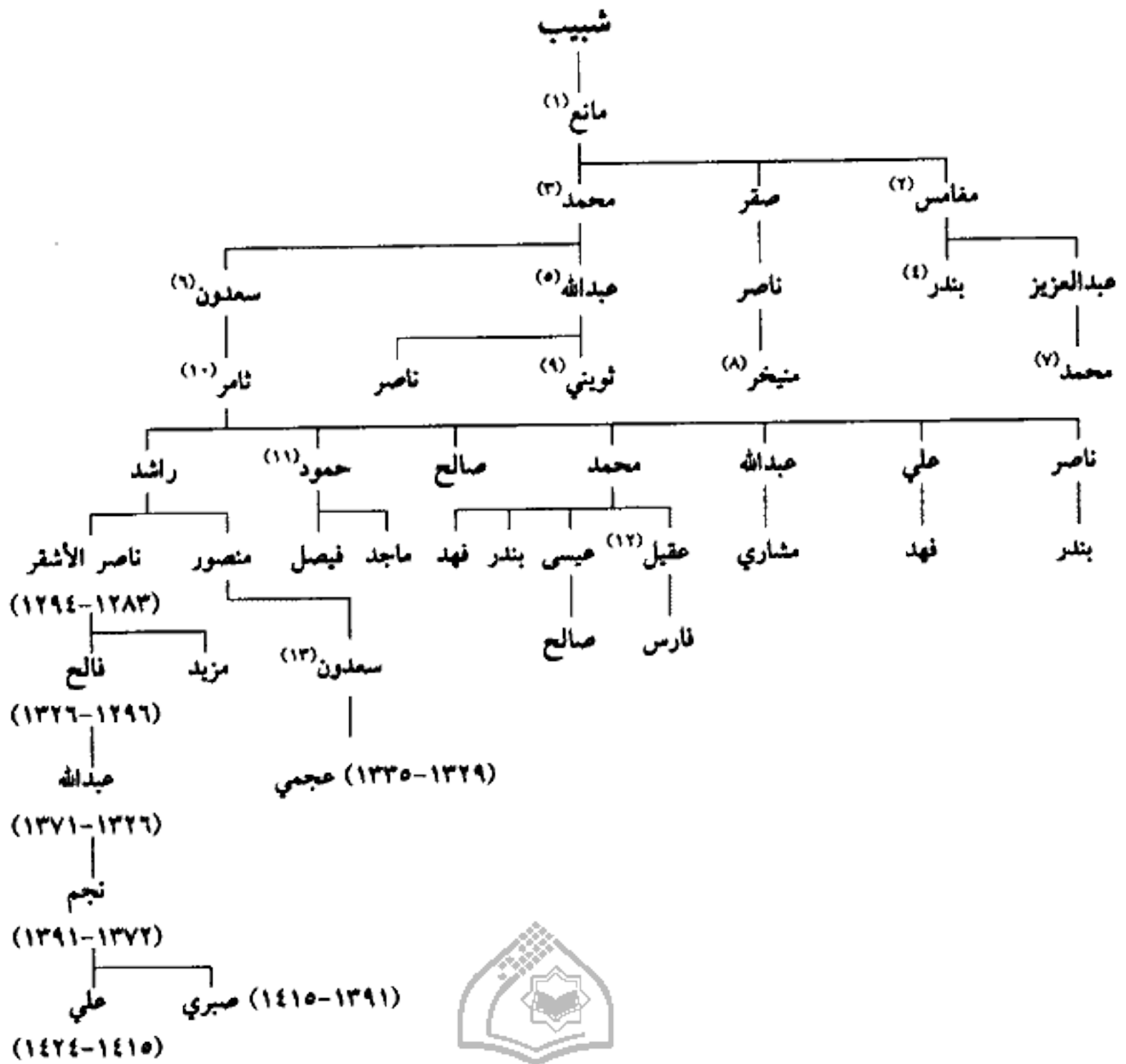
مركز بحوث ودراسات في تاريخ العراق

= ((يدّعي بنو كعب أنهم عوامر أو أنهم من بني عامر، وهم ينحدرون من بني كعب بن ربيع بن عامر الذي يقال إنه هو نفسه المنحدر الرابع والعشرون من نسل إسماعيل. ويقال إن وطن المنشأ للكعبيين كان في نجد، وإن بعض أفراد القبيلة ما يزالون هناك في مكان يدعى البيشورانية (Bishauraniyah)، ومهما يكن من أمر فإن الجهود المبذولة إلى الآن للتعرف إلى هذا الموقع قد باءت بالفشل)). والظاهر أن لوريمر لم يهتئ له الله من يحول كلمة (Bishauraniyah) إلى العربية التي هي اسم واضح لبيشة ورنية.

(١) تاريخ إمارة كعب، كتاب يعود تاريخه إلى سنة ١٢٧٠ هـ حققه علي نعمة الحلو ١٩٦٨م النجف الأشرف ص ١٣.

(٢) السجل التاريخي للخليج ق. الجغرافي المجلد الرابع - لوريمر ص ١٢٨.

(٣) ولاية البصرة من كتاب سياحة نامة حدود تأليف خورشيد أفندي ترجمة نوري السامرائي جامعة البصرة ص ٥١.



مركز بحوث ودراسات في تاريخ الجمهورية الإسلامية

- (١) ١٠٨٠-١١١٥ هـ // ١٦٨٢-١٧٠٥ م، وفي عام ١١٠٢ هـ احتل البصرة. (كلشن خلفا) وفي عام: ١١٠٦ هـ أعلن نفسه خليفة عن راشد بن مغماس آل شبيب (تاريخ نجد لفلبي) وفي عام: ١١٠٦ هـ سقط الميناء بيد مانع بن مغماس (أربعة قرون - لونكريك).
- (٢) ١١١٥-١١٣٠ هـ // ١٧٠٥-١٧١٨ هـ، استولى على البصرة وفي عام ١١١٩ تمرد ضد باشا البصرة (كلشن خلفا) وفي عام ١١٢٠ مغماس بن مانع بن راشد جرت له حروب (السامرائي) وفي عام ١١٢١ ناصر شيخ المتفق يحارب مغماس شيخ المتفق (كلشن خلفا).
- (٣) ١١٣٠ - قتل ١١٤٧ هـ.
- (٤) ١١٣٠ هـ -
- (٥) ذكر ١٧٦٨-١١٨١ هـ تقريباً.
- (٦) ترأس ١٧٣٧ - قتل ١١٥٤ هـ.
- (٧) ١٢٤١ هـ طلب المشيخة ولكن أعطيت لبراك بن ثويني.
- (٨) بعد ١١٥٤ هـ.
- (٩) عين وقتل ١٢١٢ هـ.

تعيين أحمد بن عثمان باشا على البصرة وذكر الطاعون

١١٠٢ هـ ((في أوائل هذه السنة (أكتوبر ١٦٩٠ م تقريباً) عين الوزير أحمد باشا نجل عثمان باشا حاكماً على البصرة.

وفي أواسط هذه السنة (مارس ١٦٩١ م تقريباً) ظهر الطاعون في بغداد وانتشر داخلها وحواليها وأخذ يزداد رويداً رويداً... وقد تجاوزت الوفيات الآلاف واستمرت هذه الأحوال إلى منتصف شهر شعبان (منتصف مايو ١٦٩١ م تقريباً) حيث خف لهيب الطاعون.... وبسبب هذا الوباء اضطرب النظام لهجرة الكثير من الموظفين وغيرهم إلى أطراف بغداد مما حمل بعض أعراب البادية إلى انتهاز هذه الفرصة وقاموا بأعمال النهب والسلب والغارات هنا وهناك. وسرى الطاعون إلى البصرة أيضاً حيث فتك بالآلوف إلى درجة أن الذي يموت يدفن في مكانه لعدم وجود من ينقله))^(١).

احتلال الشيخ مانع زعيم المنتفق للبصرة

((حدث نزاع بين الحكومة والأهلين حول الرسوم والضرائب وتمردوا، ثم احتل البصرة الشيخ مانع شيخ المنتفق وعشيرته، ولكنه أخلاها بعدئذ خوفاً من عقاب الدولة ونزولاً عند نصيحة أهل الحل والعقد من سكان البلدة وعاد متسلمها إلى مقر حكمه))^(٢).

إصدار الأوامر لوالي بغداد للقضاء على حركة شيخ المنتفق

١١٠٣ هـ ((بعد حروب مع شيخ المنتفق صدرت الأوامر بتعيين الوزير خليل باشا وهو أخو البرزكان أحمد باشا حاكماً على البصرة، ولأجل القضاء على حركة شيخ المنتفق وتأمين تسليم البصرة إلى المشار إليه فقد صدرت الأوامر بتعيين أحمد باشا والي بغداد قائداً عاماً للقوات التي جمعت من كركوك والموصل وديار بكر وقد تقدمت على رأسها حتى بلغ جزائر البصرة.

وبعد اصطدام دام بضعة أيام انهزم الباشا أيضاً في سلخ رمضان سنة ١١٠٤ هـ وكانت هزيمة منكرة، إذ استولى العرب على كل الذخائر والأموال التي معه وفرقوا حملته وقتلوا البعض وأسروا البعض الآخر وفر الباقيون نحو البصرة وبغداد ومعظمهم ما بين جريح ومريض، وعاد أيضاً كل من الباشا المشار إليه ووالي البصرة خليل باشا إلى بغداد مخذولين.

(١٠) ١١٨٩-١١٩٣ هـ.

(١١) تولى أول مرة ١٢٠٢ هـ.

(١٢) ذكر ١٢٤٢ هـ.

(١٣) ١٣٠١-١٣٢٩ هـ بتداخل مع فالح.

(١) كلشن خلفاً لنظمي زادة مرتضى أفندي، ت. موسى كاظم نورس ص ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٨.

وعرضت تفاصيل هذه الموقعة على الدولة العلية التي أوفدت إلى الشيخ مانع رئيس المايين السلطاني للتحقيق، حيث تبين له أن سبب ثورة الموماً إليه إنما كانت من جراء تعدي الولاية حدود واجباتهم وقسوتهم على أفراد الأمة، وإنه ما يزال تحت طاعة الدولة العلية وأوامرها، وعليه فقد صفحت عنه، وهدأت الأمور وعاد خليل باشا إلى البصرة وتولى الحكم فيها بغير منازع ولا ممانع^(١).

مشاركة بني خالد للعثمانيين ضد المنتفق بقيادة ثنيان

١١٠٣هـ - ١٦٩٢م شارك بنو خالد في عملية التصدي لحركة التمرد التي قادها الشيخ مانع بن شبيب زعيم قبائل المنتفق ضد السلطة العثمانية في إيالة البصرة^(٢)، وقتل فيها ثنيان بن براك أحد المرشحين الأقوياء لتولي الزعامة الخالدية بقرب البصرة أثناء قيادته لقوات بني خالد في صراعها مع المنتفق سنة ١١٠٣هـ^(٣).

وفاة الشيخ محمد آل غرير وشيخة سعدون بن محمد

وفيها (١١٠٣هـ): مات محمد بن عثمان آل غرير رئيس بني خالد، وقتل ابن أخيه ثنيان بن براك وقتل في مسيره الأول حسن جمال وابن عبدان ثم قتل سرحان، وفيها تولى سعدون بن محمد آل غرير الرياسة على بني خالد وأخذ زعب^(٤).

١١٠٤هـ وجهت ولاية البصرة إلى خليل باشا أخي أحمد باشا والي بغداد^(٥).

عودة البصرة إلى حكم الشيخ مانع وطرد خليل باشا منها

١١٠٥هـ وفي هذه السنة عادت البصرة إلى حكم شيخ المنتفق مانع بعد أن خرجت الولاية من يد واليها خليل باشا الذي تعرضت العلاقات بينه وبين شيخ المنتفق مانع إلى الفتور، مما أدى إلى التصادم وكانت النتيجة خروج الوالي من البصرة^(٦)، ويقول ابن الغملاس أن الأهالي حنقوا على خليل باشا فطردوه من البلدة ودعوا شيخ المنتفق مانع فسلموا إليه إدارة الولاية في سنة ١١٠٦ إلى ١١٠٩هـ^(٧).

وبعد أن حاز مانع بن شبيب رئيس بوادي المنتفق لهذه المكانة المرموقة بتملكه للبصرة^(٨)، أعلن

(١) المصدر السابق ص ٣٠٠.

(٢) العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية للوهبي ص ٤٦٤.

(٣) بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهبي ص ٣٥٦.

(٤) تاريخ الفاخري.

(٥) ولاية البصرة ومستلموها لابن الغملاس ت ١٣٣٣ دار منشورات البصرة ٦٢.

(٦) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٣٠١.

(٧) ولاية البصرة ومستلموها لابن الغملاس ت ١٣٣٣ دار منشورات البصرة ٦٢.

(٨) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ص ٧٦.

في هذا العام نفسه خلفاً لراشد بن مغامس المقتول سنة ١٠٨٠هـ في حكم البصرة ونواحيها، ولا شك أن الأتراك لم يكونوا قد شددوا قبضتهم عليها بسبب سوء الحالة الصحية فيما بعد الدمار الذي لحقها من جراء الطاعون^(١)، الذي أصابها عام ١١٠٢هـ^(٢)، وقد سقط الميناء بيد مانع الذي يسميه لونكريك بابن مغامس وقال إنه لم يحصل في هذه المرة مصادقة ملكية على الاغتصاب^(٣) وأما الفاخري وابن عيسى فيدعوانه بمانع بن شبيب.

بداية حكم سلطان حسين الصفوي

في سنة ١١٠٥هـ - ١٦٩٤م جلس (سلطان حسين بن الشاه سليمان) على كرسي الحكم في إيران بعد وفاة الشاه سليمان، واستمر حتى سنة ١١٢٥هـ - ١٧١٢م.

وفاة محمد بن مقرن

وفيها (١١٠٦هـ): توفي محمد بن مقرن بن مرخان الذي ذكر ابن بشر أنه صاحب الدرعية، وذكر ابن منقور أنه شيخ غصيبة، وفيها أيضاً قتل إبراهيم بن وطبان قتله يحيى بن سلامة أبو زرعة^(٤). وهي سنة عروى على السهول، وفيها توفي إبراهيم بن راشد بن مانع راعي القصب وتولى ابنه عثمان^(٥).

استيلاء سلطان بن حمد القيسي على الدرعية

١١٠٧هـ فيها قتل إدريس بن وطبان بن ربيعة بن مرخان رئيس الدرعية، واستولى عليها سلطان بن حمد القيس^(٦)، ولكن الأستاذ حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه لا يسمي سلطان بن حمد بالقيس، بل ((القيسي من بني خالد رؤساء الإحساء))^(٧).

تأجيل حملة الولاة العثمانيين ومعهم شريف مكة لاستنقاذ البصرة

وفيها (١١٠٧هـ): صدرت الأوامر السلطانية إلى والي ديار بكر حسين باشا وولاة كركوك والموصل والرها بوجوب الحركة لإنقاذ البصرة، وأضيف إليهم شريف مكة المكرمة الشريف سعد، على أن يكونوا كلهم تحت قيادة والي بغداد، ولكن شاء الله أن يتأجل موعد سفر هذه الحملة ووفاة والي ديار

(١) تاريخ نجد لفيلبي.

(٢) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، ت. موسى كاظم نورس ص ٢٩٨.

(٣) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: لونكريك، للعرية جفر خياط ط ١٩٦٢/٣ ص ١١٩.

(٤) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص ١١٧، وراجع: خزانة التواريخ النجدية ط ١ ج ٣ تاريخ ابن منقور ت ١١٢٥هـ ص ٢٠، وراجع: خزانة التواريخ النجدية ط ١ ج ٣ تاريخ ابن ربيعة ت ١١٥٨هـ ص ٣٩.

(٥) تاريخ الفاخري.

(٦) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى ص ٧٧.

(٧) تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب لخزعل.

بكر المرحوم حسين باشا، وارتفاع الأسعار في بغداد وتبرم رجال الحملة بهذا السفر، وقلة رغبتهم فيه، كل هذه الأسباب أوجبت عودتهم من حيث أتوا^(١).

مكافحة والي بغداد للقبائل المتمردة على السلطة

انشغل والي بغداد بمطاردة المتمردين من الأعراب، ((ثم إن جماعة من عشيرة شمر يبلغ عددهم الثلاثمائة رجل أخذوا يعيشون فساداً حوالي نهر عيسى وقطعوا الطرق على المارين، فانعطف نحوهم وقتل البعض وشرد الباقين.

وأما من جهة الشامية فقد تواردت الأخبار بتمرد الأعراب هناك واتفق في ذلك الوقت وجود أمير الموالي حسين عباس في بغداد فأرسله والي مع مقدار من العساكر إلى ضرب الثائرين فتغلب عليهم وشردوهم واستولى على حوالي الألفي بعير منهم.

وعلى طرف الدجيل جماعة من بني جميل ومهرود وقسم من عشيرة زبيد، وأخذوا يغيرون هنا وهناك يقتلون وينهبون، فسار الوزير بنفسه نحوهم على رأس قوة عسكرية وتمكن من تشتيتهم، وما عدا هؤلاء وأولئك ثار أعراب بني لام بأطراف مندلي وقطعوا الطريق، فتحرك الوزير أيضاً لتأديبهم على رأس قوة جمعها من عساكره ومن عشيرتي الليات وباجيان وهجم على المتمردين وتغلب عليهم.... وقد ظل مدة أربع سنوات في حرب مع العصاة، سواء في أطراف بغداد أم في أطراف البصرة، وكان في كل مرة يتغلب عليهم^(٢).

بحث الهولنديين عن اللؤلؤ في البحرين

١١٠٧ هـ / ١٦٩٦ م بعث الهولنديون خيراً إلى البحرين للبحث عن اللؤلؤ، غير أن الأوضاع المتوترة حول البصرة والصراع بين عرب عمان والصفويين أنهت المحاولة كما أنهت التجارة الهولندية هناك^(٣).

انتقاض الأشراف العبدالة على الشريف سعد بن زيد

١١٠٧ هـ ((الأشراف ذوو عبدالله نقضوا الطاعة وتجمعوا في مكان يقال له الحمام (بتشديد الميم) من وادي فاطمة واجتمع إليهم جماعة من قبائل الروقة ومطير فاستعان سعد بن زيد بأقربائه من ذوي زيد وأصدقائه من ذوي بركات وسار إليهم فعلم أنهم تركوا الحمام في طريقهم إلى جدة فاتبعهم حتى قضى على حركتهم فأطاعوه وأخلصوا له وبذلك عاد الاستقرار إلى ما كان^(٤).

(١) كلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٢.

(٣) غزاة في الخليج لهيفاء الربيعي ص ٩٧.

(٤) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ١٩٩٩/٨ م ص ٣٩٩.

تعيين الشريف عبدالعزيز على ولاية نجد

١١٠٨هـ في هذه السنة تم تعيين الشريف عبدالعزيز على ولاية نجد^(١). ثم في السنة التالية قام الشريف سعد بن زيد غزا نجداً وهاجم روضة سدير واعتدى على أهلها واعتقل زعيمها ماضي بن جاسر ثم توجه إلى التويم (وجلاجل والباط) ثم رجع إلى مكة المكرمة.

وقعة بين الظفير والفضول وإلقاء القبض على الشيخ سلامة بن صويط

وفيها (١١٠٨هـ): حصلت وقعة بين الظفير والفضول في موضع يسمى الأبرق فانهزم الفضول وقبض الشريف عبدالعزيز على سلامة بن مرشد بن صويط رئيس الظفير، ولعل لذلك علاقة بحادثتهم مع الفضول، وكان الأشراف يتدخلون في شؤون نجد وفي شؤون القبائل تدخلاً فعلياً على أن الشريف عبدالعزيز ليس هو صاحب السلطة في الحجاز، ولا هو مندوب من قبيلة، وإنما كل شريف يعمل لحساب نفسه إذا ضاقت عليه المآكل في الحجاز جمع له من أوباش الناس من لا يعيش إلا بالسلب والنهب ثم يخرج لنجد. كما كانت مفككة الأوصال لعدم الرابطة بينهم^(٢).

إخراج حاكم الحويزة لشيخ المنتفق واستيلائه على البصرة

وفيها (١١٠٨هـ) في ذي القعدة (نهاية مايو ١٦٩٧م تقريباً) أخذ راعي الحويزة فرج بن مطلب البصرة^(٣) فقد حارب مانعاً بجيش جرار حتى تمكن منه واستولى عليها^(٤) وأخرج مانعاً بالخدعة والدسائس والحيل^(٥).

ولما بلغ خبر استيلاء فرج الله خان على البصرة إلى السلطان العثماني وجه ولاية البصرة إلى والي حلب علي باشا وأمره بجمع العساكر وقتاله وإخراجه من البصرة، فاجتمعت العساكر من حلب وديار بكر والموصل وبغداد حتى بلغ الجيش قرابة خمسين ألفاً، وصل القرنة ١١١١هـ فدخلها علي باشا بدون قتال^(٦).

العلاقات الإيرانية الهولندية العمانية الإنجليزية

١١٠٩هـ - ١٦٩٨م حاول الهولنديون التقرب من الشاه حسين الذي كان لا يطيقهم مقدمين استعدادهم للتعاون معه ضد عرب عمان الذين ظهروا في ذلك الوقت كأكبر قوة عربية بحرية في منطقة

(١) تاريخ ابن منظور.

(٢) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٦ ص ٣٥.

(٣) تاريخ ابن يوسف وتاريخ الفاخري.

(٤) تاريخ المشعشين وتراجم أعلامهم لجاسم حسن شبر م. الآداب النجف ص ١٦٠.

(٥) ولاية البصرة ومستلموها لابن الغملاس.

(٦) تاريخ المشعشين لجاسم حسن شبر م. الآداب النجف ص ١٦٠.

الخليج العربي وكان الشاه حسين يخشى مواجهتهم بعد أن هدده إمام عمان بالإغارة على بندر عباس، وكان هذا العرض الهولندي مشروطاً بإزاحة الإنجليز! فرفض الشاه ذلك، رغم أنه لم يحصل من الإنجليز إلا على الوعود المراوغة^(١).

وفي عام ١٦٩٩م قام الشاه حسين بزيارة الوكالة الإنجليزية ولم يزر الهولندية.

طاعون البصرة ونواحيها

١١١١هـ في هذه السنة وقع الطاعون العظيم والموت الذريع في البصرة ونواحيها. قال محمد بن حيدر: هذا الطاعون لم يعهد مثله لأنه أفنى البصرة وأخربها خراباً لم يعمر إلى زماننا هذا^(٢).

حدوث تبدلات كبرى في مسميات القبائل وديارها

قال لونكريك في كتابه أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث في الصفحة ٧٧: في الفترة الواقعة ما بين ذلك القرن ونهاية القرن السابع عشر حدث عدد عظيم من التبدلات في ديار القبائل وتجمعها أو تفرعها وفي تشتتها واندماجها مما أدى لتعديل الخارطة القبائلية.

فكم من فقير أو مجازف قد التفتوا حول سيد أو حول صبي من أبناء الرؤساء فكُونُوا قبيلة تسمى باسمه، وربما زادت في عدد خيام هذه القبيلة الأحوال أو الحرب أو عقد الصلح أو قوة الشخصية أو كل هذه العوامل فأدت لتوسع القبيلة أو انقسامها ينتمي كل منها إلى ولد أو أخ من أبناء المؤسس الأول أو إخوته وقد تتدخل الاساطير لتؤكد الأصل.....

جبر بن سيار ينتقد عصره ويذكر استغلال رجال الدين لمناصبهم

١١١٠هـ يذكر المؤرخ عبدالله الحاتم أن الأمير الشاعر جبر بن سيار أرسل في هذه السنة قصيدة لسعود بن مانع بن نحيط أمير حوطة سدير ويقول الصويان: من المعروف أن آل نحيط أمراء صبحا والحصون قارة سدير لا الحوطة.

ويستنتج الصويان أن الشخص المرسل إليه القصيدة هو أخو نحيط، سعود بن مانع بن عثمان بن عبدالرحمن آل حديثه الذي كان معاصراً لجبر، وهنا يرد جبر على سعود:

- | | |
|-----------------------------------|------------------------------|
| ٢- كل على مادبر الله والفتى | يظام إلى قلت حمايا عشايه |
| ٣- فقلت لمنتوب الجدود ابن مانع | رفيع الثنا وأزكى تميم سرايره |
| ٤- إلى عدت أنساب العرب فانت فخرهم | بتميم وبالجواد أطوال شبايه |
| ٥- هم الرأس من جثمان عمرو وغيرهم | الى نتبت الأصال فأنتم مفاخره |

(١) غزاة في الخليج لهيفاء الربيعي ص ٩٥.

(٢) عنوان المعجذ في تاريخ نجد لابن بشر ص ١٠٢.

- ١٢- وكل كبير التاج فصل مطوع
 ١٣- كما الديك براق الجناحين مكحل
 ١٤- يطالع في كتب التسانيد معرض
 ١٥- وشيخان إن فكرت فيها لكنها
 ١٦- إن جيت تبغي نفعها جاك ضرها
 ١٧- مفاخيرهم فرش وغرس وملبس
 ١٨- ترى كسبهم ظلم الرعايا وطبعهم
 ١٩- وبالناس جرثوم تولعت بغضه
 ٢٠- كذوب شموخ أزهر العين وثبته
 ٢١- وكل أعرابي دنوع مكهكه
 ٢٢- فلا وجعي من كل قطر مسلط
 ٢٤- تمنيت لي في وسط الأجداث منزل
 ٢٥- ولا عيشتني مع كل فدام قرية
 ٢٧- وكل ستاد يرفض الغش نصحه
 ٢٨- مع كل قصاب سروق معتق
 ٣٠- نظرت لدى الركن اليماني خريدة
 ٣١- تطوف وتستلم اليماني وكبرت
 ٣٢- لها عين أدمي شقى كل عاشق
 ٣٣- لمستها وقد أولجت كتفي بكتفها
 ٣٤- أسباب ذا صار العمى لي عقوبة
 ٣٥- فأنا على ما بي ترى يابن مانع
- خبث إلى كشف الغطا عن سرايره
 يرى الطوع في شال على الرأس كايه
 عن الفهم ما ياعض لنفسه نظايره
 ثعالب طرفا تفسد الملك جايره
 جهار وفيهم نية الخير بايره
 ومباخر يا حازم الرأي ثايره
 يدلك عليه إن مات تشبح بصايره
 ملاحظه من شربة الكيف طايره
 ربيب المواقد محجر في حضايره
 هباله تغاره والمصافيه بايره
 على الجار في أخذ القضا من خسايره
 أو الصين مقلوع النيا في ودايره
 أخا الجهل مسلوب الحيا عن مصايره
 من الغش ممزوج خباث سرايره
 على المكر حلاف عثى في نحايره
 مطالعة في ملزم الحجر كايه
 لها دمة خوف اللظى من سعايره
 لقتلي على غير الملازيم دايره
 وفاح علي المسك من ما غدايره
 فكم نظرة صار العمى في نظايره
 وكل فتى يعطى الجزا من مسايره

عثمان بن نحيط يدعو أخاه إلى أخذ العبرة من مصير الملوك السابقين

١١١١هـ في هذه السنة عندما قدم عثمان بن نحيط من الإحساء واستولى على بلد الحصون حصل بينه وبين أخيه فايز سوء تفاهم فخرج هذا مغاضباً لأخيه ونزل قرية صبحا ولم يكن لذلك سبب وجيه إلا وشايات الأعداء وتدخلهم في أمورهم فأراد عثمان استرضاء أخيه فأرسل له قصيدة يعتذر فيها فأجابه أخوه بمثلها وصلحت الحال بينهما لما عرف كل منهما ما عند الآخر، ومما قال عثمان بن نحيط^(١):

(١) الشعر النبطي للصويان عن مقل الذكير ومخطوطة هوير.

يحصل مع إقبالها منها مكافاة
خلي خلي سوى رسم العملات
عسر الليالي وأهل بذل المروات
هجر مع الخط وبلاد بعيديات
سيقت لهم من حمى نجد الهديات
من عقب الإقبال وجموع ورايات
والزير بدر فتى الجودا وشيمات
وأهل سميلة ووين الناس هيهات
دارت على أمثالهم كل آفات

٣٧- شف الليالي لها أفلاك تدور ولا
٣٨- لعبت بأهلها ألين ادعت منازلهم
٣٩- وين السلاطين هل المنشأ الكرام على
٤٠- وشيوخ الأجود وين هم بعد ما ملكوا
٤١- ما كنهم غربوا بطن النفوذ ولا
٤٢- وين آل هجل ووين غدت ممالكهم
٤٣- وأبو علي شبيب وين دولته
٤٤- وين الضياغم أسالك وين وجهوا
٤٥- دارت عليهم صروف النايبات وكم

ويرد فايز على أخيه عثمان. وفي البيت (١٥) يشير فايز إلى حكاية تتعلق بشخص اسمه منيع لها مغزى يتعلق بما حدث بين فايز وأخيه لكنتا لا ندري من يكون منيعاً ولا نعرف قصته.

يحفظ صديقه إلى ما داس زلات
وإن بانث الثالثة فادمع معانة
قل ما خلق وانذفه زد له بمجفأة
لو كان نار وله عقل وبه ذات
وراع العيا بالعيا جازه مقاضاة
ويصير في فرقى الممات على الجمالات
يشرب بكأس الصفا عقب الكدارات
ما راد قال الهدي في كل نيات
يرى وما قد يرى لكل شوفات
متفاخت جذبهم فيه الحماقات
أخير من جمعهم خوف المنفاثات
وشفنا بما قال شارات وعلامات
يجيك بالنفع فاثبت له مصافاة
وهو كما عزة بالنفع والآت

١٠- وكل أخا ثقة وإن شاخ بوطنه
١١- وإن بانث له زلة أخرى عفى عنها
١٢- وإن بانث الرابعة خله وشم عنه
١٣- صديقك إن ما ورد ما كنت وارد
١٤- تنعاف عشرة صديق ذي سجيته
١٥- يصير شروى منيع هو وصاحبه
١٦- هذاك يثبت على خير وصاخيته
١٧- يصير درع منيع دون صاحبه
١٨- فإن كان دوم يرى رأي وصاحبه
١٩- متفاختين وكل ضارب نهج
٢٠- ففراقهم للذي ضده مقابله
٢١- قد قال بيت جعيثن صادق المثل
٢٢- كم من عدو تمنى خفض قامته
٢٣- وكم من صديق تظن أنه أخا ثقة

عدة أخبار نجدية متفرقة

وفيها (١١١١هـ) قتل محمد بن سحوب وابنه^(١)، وفيها قتل زامل بن تركي رئيس الدلم من قبل ابن عبدالله^(٢)، وفيها أخذ القعاسا الحوطة، وملكوا المدلج الحصون وأظهروا آل تميم وولوا فيها ابن نحيط، وملكوا آل أبي راجح ربع آل أبي هلال، وذلك أنه سافر فوزان بن زامل بآل مدلج وتوابعهم وقصد مدينة الداخلة واستخرجوا آل أبو هلال من منزلتهم وقتلوا من قتلوا منهم وماضي بن جاسر وركدوا له الولاية ودمروا منزلة آل أبو هلال، وهي (سنة وتر) على الظفير، وفيها ربط سعد بن زيد الشريف في مكة نحو مائة شيخ من عنزة، وفيها سطوة ابن عبدالله على الدلم، وسطوة دبوس في أشيقر وقتلته، وفيها قتل عليان ابن حسن بن مغامس في قصر الحريق قتله آل راشد وآل محيوس، وجلال بن يوسف^(٣). وفيها فتنة بني علي المشهورة في حرة قريظة^(٤).

ولادة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونسبه

وفي هذه السنة ١١١١هـ كانت ولادة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعمر حتى سنة ١٢٠٧هـ فكان عمره عند وفاته ٩٢ سنة^(٥)، وقال ابن بشر في سابقة سنة ١١١٥هـ: إنه وفيها ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان في بلد العيينة ونشأ قبل أن ينتقل أبوه عبدالوهاب إلى بلد حريملاء^(٦).

حدوث منافرة بين الأشراف ذوي عبدالله والشريف سعد بن زيد

١١١٢هـ في هذه السنة حصل بين الشريف سعد وبين الأشراف ذوي عبدالله ((منافرة لعدم الوفاء بمعاليمهم فثار عليه ذوو عبدالله عن آخرهم وكان من جملتهم السيد أحمد بن حازم بن عبدالله وعزموا على الخروج من مكة ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفاً فتلافى أمرهم ووعدهم))^(٧).

حصار ابن صويط لآل غزي على سدير

وفيها: كان حصار ابن صويط لآل غزي من الفضول على سدير ثلاثة^(٨).

- (١) تاريخ ابن ربيعة.
- (٢) تاريخ اليمامة لعبدالله بن خميس.. ج ٢ ص ٢٦٦.
- (٣) تاريخ الفاخري.
- (٤) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب لعبدالرحمن الأنصاري تحقيق محمد العروسي المطبوع ١٩٧٠ المكتبة العتيقة ص ١٠٤.
- (٥) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ٢٢٩.
- (٦) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص ١٤٠.
- (٧) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ١٢٦.
- (٨) تاريخ الفاخري.

فشل التحالفات ضد الظفير

١١١٣هـ في هذه السنة حدثت وقعة السليح والبترا الموضع المعروف عند نفوذ السر غربي القصيم وذلك أن الشريف الحارث وأهل الحجاز وابن حميد سعدون بن محمد آل غرير ومعه تحالف قوي من قبائل بني خالد والفضول صبحوا الظفير فيها فأخذوا جردات تلك الغزوان^(١).

انهزام ابن صويط إلى الغوطة غربي جبل أجأ

وفي السنة نفسها (١١١٣هـ) ترد هزيمة ابن صويط زعيم الظفير على يد سعدون الذي طارد فلوله المنهزمة حتى تعدت منطقة حایل.

ويقول الوهبي^(٢): ذكر ابن ربيعة: ((عداه الجبل))، بينما أورد ابن عباد عبارة: ((أدخله الغوطة)). ولعل المقصود بالغوطة التي تقع غربي جبل أجأ في منطقة حائل. وذكر الفاخري أن في هذه السنة (١١١٣هـ) مات سلامة بن مرشد بن صويط ودفن بالجيلة، ووقع بمكة غلاء عظيم. لكن ابن عباد يذكر مطاردة سعدون لابن صويط وإيصاله الغوطة في حوادث سنة ١١١٤هـ.

عدة حوادث

وفيها: سعدون أخذ زعباً وأدى عليهم، ويذكر ابن عباد هذه الحادثة في سنة ١١١٤هـ، وكذلك الفاخري يقول كما قال ابن عباد.

وفيها لما نهب عرب عنزة جماعة ديس الحاج الشامي، أتوا بالأموال المنهوبة إلى المدينة المنورة وباعوها بأبخس قيمة^(٣)، لأن القبائل كانت تقابل تخفيض أموال الصرة أو الامتناع عن دفعها بغارات تشنها على قوافل الحج العائدة، ((فقد نهبت عنزة عام ١١١٢هـ - ١٧٠٠م الحجيج في منطقة الشريف الأكبر، لأنه رفض دفع الصرة لها، وألقى بعدد من أبنائها في السجن، حيث مات قسم منهم))^(٤).

عزل مهدي قلي خان عن البحرين وتنصيب قزاع سلطان

١١١٣هـ (١٧٠١م) عزل الأمير مهدي قلي خان عن البحرين لظلمه وجوره ونُصِبَ في محله قزاع سلطان. فقال أحد الشعراء موضحاً أحوال البلاد وسبب عزل الولاة وأرّخ صرف الوالي المعاصر لدخول العتوب بقوله:

(١) هامش كتاب: بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى، وراجع: بنو خالد للوهبي.

(٢) بنو خالد للوهبي هامش ص ٢١٢.

(٣) تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب لعبد الرحمن الأنصاري فرغ منه ١١٩٧هـ تحقيق محمد العروسي المطبوع ١٩٧٠ المكتبة العتيقة ص ١٧٨.

(٤) البدو ج ١ ط ٢٠٠٧م تأليف أوبنهايم ومساعدية تحقيق ماجد شبر - الوراق لندن ص ١٢٦.

مهدي قلبي صرفوه عن بحریننا عام الفستور وحكموا قزاعا
ملا الفجاج ببغیه وفجوره فلذا أتى تاریخه (قد زاغا)^(١).

تجارة العتوب والخلیفات والهولة في البحرين التابعة لفارس

١١١٣هـ قال الدكتور القاسمي^(*): في نهاية القرن السابع عشر كانت هناك ثلاث طوائف في منطقة الخليج وهي: العتوب والخلیفات وتسكنان بالقرب من الديلم الواقعة في منتصف المسافة بين بوشهر ومدخل شط العرب.

وطائفة الهولة المكونة من سبع أو ثمان من القبائل وتسكن بندر كنغ القرية من مدخل الخليج، وكانت هذه القبائل جميعها تغوص في مغاصات اللؤلؤ القريبة من البحرين وتبيع ما تجمعها من لؤلؤ في سوق البحرين التابعة لفارس وبها حاكم من قبل السلطات الفارسية.. وكان يجمع مبالغ طائلة من الرسوم التي بالغ في فرضها على سفن الغوص وتجار اللؤلؤ^(٢).

(١) م. الوثيقة ١٤ ص ٨٢: تاريخ العتوب، د/ علي أبا حسين ص ٨١.

(*) الوثيقة العثمانية التي أوردها الدكتور القاسمي في كتابه بيان الكويت (ط ٢٠٠٤م)، وأوردها أيضاً الدكتور علي أبا حسين في مقاله عن تاريخ العتوب في العدد الأول من مجلة الوثيقة البحرينية سنة ١٩٨٢م، وأوردها كذلك الأديب سعود الجمران في كتابه رحلة سادلير مترجمة من قبل الدكتور كورشن، وقام بترجمتها أيضاً آخرون وتكلم عن أهميتها سلوت، هناك عدد قليل يطعن فيها، ولا يأخذ بها، مع أن الأصل منها محفوظ في الأرشيف العثماني، ويتعاطى معها الكثير من أساتذة الجامعات والباحثين.

والحقيقة لم يرَ من قبل فريق الهجوم طعن مباشر في الوثيقة، ولكن الطعن موجه نحو ما جاء فيها من اختلاف في الترجمات التي اطلعوا عليها، وذكروا أنها ثلاث ترجمات، والحقيقة أنني اطلعت حتى الآن على أربع ترجمات وليست ثلاث، وكانت تختلف فيما بينها بفوارق طفيفة ولكنها بالإجمال تتفق في النسق العام مع بعضها من حيث المضمون، وبذلك نرى أنه إذا كان الخلل في الترجمة فلا يعني هذا أن الخلل في نص الوثيقة.

ومما يؤكد حقيقة الوثيقة ما ورد في مخطوطة (لؤلؤة البحرين) الذي ذكر القتال الذي دار بين العتوب والهولة سنة ١١١٢هـ قرب البحرين وهو ما أشارت إليه الوثيقة، وورد أيضاً ذكر قبيلة الخلیفات في وثيقة هولندية سنة ١٧٥١م في بندر ديلم وهو بالضبط ما تشير إليه الوثيقة من أن بندر ديلم كان من مواطن الخلیفات ووجودهم في هذه السنة المذكورة يأتي مصداقاً لما ورد في الوثيقة العثمانية.

وكذلك مما يدل على حقيقة الوثيقة أنها أشارت إلى التنافس والصراع الدائر بين الهولة والقبائل الأخرى على مغاصات اللؤلؤ، ولو عدنا إلى سنة ١٦٧٤م من هذا الكتاب لعلنا بداية الصراع الذي توج بحرب سنة ١٧٠١م والذي أقصيت خلالها العتوب والخلیفات عن دائرة المنافسة وابتعدوا إلى الجهة الثانية من الخليج العربي.

وكذلك مما يدل على صحة الوثيقة ذكرها لعلي باشا الذي تذكر المصادر أنه تولى الحكم على البصرة من سنة ١٧٠١م إلى سنة ١٧٠٤ أو ١٧٠٥م.

(٢) بيان الكويت د. سلطان بن محمد القاسمي الشارقة ٢٠٠٤م ط ١ ص ١٢.

إيقاع الفتنة بين العتوب والخليفات والهولة

وقال القاسمي: ولما كانت تلك القبائل تمثل قوة بحرية مزودة بالبنادق والمدافع فإن المسؤولين التابعين لفارس^(*) في البحرين قاموا ببيت بذور الفتنة بين تلك الطوائف حتى لا تتحد ضدهم. فعادى بعضهم بعضاً...

وفي إحدى المرات هاجمت طائفة الهولة قبيلة العتوب المتحالفة مع الخليفات في البحر إذ باغتهم وقتلوا من العتوب أربعمائة من الرجال واستولوا على جميع أموالهم ففر من بقي من العتوب ولجؤوا إلى الخليفات بعد ذلك اكتشفت القبيلتان (العتوب والخليفات) أن مصدر هذه الفتنة هم المسؤولون التابعون لفارس في البحرين^(١).

هجوم الخليفات والعتوب على البحرين في أول رجب

قال القاسمي: فاتفقتا - قبيلتا العتوب والخليفات - على أن تقوموا بالهجوم عليهم وقتلهم وتخريب البحرين فقام رجالهما في بداية شهر رجب من سنة ١١١٣هـ (بداية شهر ديسمبر ١٧٠١م) بالهجوم وإحراق المنازل الكائنة خارج قلعة البحرين ونهبوا أموالهم وقتلوا رجالهم ثم عادوا من حيث أتوا أي من بندر الديلم القريبة من شيراز عاصمة فارس^(٢).

نزوح العتوب والخليفات إلى البصرة

وقال القاسمي: وبما أن تحريك جنود فارس على الديلم لا يستغرق إلا بضعة أيام فقد اتفق العتوب والخليفات على مغادرة الأراضي الفارسية والتوجه إلى البصرة التابعة للدولة العثمانية. فانتقلوا جميعاً ودخلوا أرض البصرة في يوم الأربعاء الموافق ٢١ من رجب ١١١٣هـ الموافق ١٧٠١/١٢/٢١م وكان عددهم نحو ألفي بيت في مائة وخمسين من المراكب وكل مركب مزود بمدفعين أو ثلاثة بالإضافة إلى ثلاثين أو أربعين من المسلحين بالبنادق^(**).

(*) كانت تلك الفتنة تحاك بتدبير من مهدي قلي خان الوالي الفارسي على إيران.

(١) بيان الكويت ص ١٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢.

(**) أساءل: كيف تقول هذه الوثيقة إنهم كانوا ألفي بيت ثم قسمهم على المراكب؟ فهل يعني ذلك أنه تم إحصائهم وهم في مراكبهم؟ أم أن هذا كان عددهم بعد نزلهم إلى اليابسة؟ وهل يعني بقوله ألفي بيت أنهم كانوا ألفي أسرة والتي في الغالب تتكون من أب وأم وأولاد وربما أحفاداً فإذا قلنا الأسرة الواحدة تتكون من خمسة أفراد فهل يعني ذلك أنهم عشرة آلاف نسمة؟ وإذا كانوا عشرة آلاف نسمة، فأين ذهب هذا العدد الضخم عندما نزلوا الكويت؟ أرى أن هذا العدد كبير جداً وصعب تحركه بشكل منظم حتى ولو كانوا على قلب رجل واحد، وإن كان العدد المذكور صحيحاً وكانت هذه الصورة حقيقية فيدل ذلك على أن الأمر الذي أصابهم جلل، وربما أنهم كانوا مهددين بالتصفية العرقية والحرب الإبادة. ولكن أساءل مرة أخرى: بعد هذه الهجرة الكبيرة هل استطاع أحد من المهاجرين العودة إلى دياره مرة أخرى؟

نزل رجالهم من المراكب وتوجهوا إلى مقرّ والي البصرة^(*) قائلين له: إننا جميعاً من أهل الإسلام وقد تركنا ديار الروافض ونحن دخیلون علیکم وأنتم أعلم بحالنا. رحب الوالي بهم وسألهم عن عملهم الدائم فأجابوا: بأن عملهم هو نقل التجار والتجارة بین البصرة والموانئ الأخرى^(١).

يقول ب.ج. سلوت: ومما يدخل الرضا على النفس حقاً أن هذه الوثيقة الموجودة في المحفوظات العثمانية تؤكد روايات العتوب التي تقول إنهم جاؤوا عن طريق البصرة أو جنوب إيران فهاتان الروايتان صحيحتان^(٢).

ويقول سلوت: تبين الإشارات التي ترد في كتابات أوتر (القنصل الفرنسي في البصرة)، وكذلك ما تميل إليه الوثيقة العثمانية أن العتوب لم ينتموا إلى مجموعة قبائل العراق العثماني، ولكن إلى القبائل التي تمارس الغوص على اللؤلؤ التي لم تكن لها أي اتصالات مع السلطات العثمانية، ولو أنهم انتموا إلى الأوساط العثمانية لما احتاجوا إلى إذن لكي يستوطنوا في البصرة وما كانت الوثيقة العثمانية لتكتب^(٣).

يقول الأستاذ سعود الجمران استناداً على كلام الأستاذ حسين خلف خزعل في كتابه تاريخ الكويت السياسي، أنه توجد أقسام من بني عتبة في الدورق والمحجرة بعربستان انخزلت عن القبيلة الأم لدى هجرتهم إلى البصرة واستيطانهم ضواحيها وأم قصر، وذلك قبل نزوحهم مرة أخرى إلى الكويت والإقامة فيها^(٤).

وكان أول نزول العتوب في منطقة المخراق على الضفة الغربية من شط العرب بولاية البصرة العثمانية، ثم نزحوا بعد فترة إلى أم قصر^(٥).

نزوح المهاجرين من البصرة ونزولهم منطقة أم قصر

ويكمل الشيخ الدكتور القاسمي وقائع ما جرى للعتوب بعد أن نزلوا البصرة: وفي اليوم التالي ذهب أحد رجالهم ويدعى (ماجد) إلى مقرّ الوالي قائلاً إنه لم يعين لهم مكاناً بعد، فهل سيقون على هذه الحال لبعض الوقت؟ فردّ الوالي بأنهم إذا سمح لهم أن يبقوا بالبصرة بصورة دائمة فعندئذ تعطى لهم أماكن. كان الوالي متخوفاً من وجود (العتوب والخليفات) في منطقة البصرة، لذلك أشار عليهم أن يتوجهوا إلى مكان بعيد عن البصرة، فتوجهوا إلى خور عبدالله، ونزلوا منطقة أم قصر للرعي ولتنقلات مراكبهم بحريّة إلى موانئ الخليج وغيرها^(٦).

(*) كان علي باشا والي البصرة من سنة ١٧٠١م إلى سنة ١٧٠٥م.

(١) بيان الكويت ص ١٣ راجع سنة ١٧١٣م.

(٢) نشأة الكويت تأليف ب.ج. سلوت رئيس الأرشيف الهولندي صدر سنة ١٩٩١/٩٠م في هولندا، مركز البحوث والدراسات الكويتية ط ٢٠٠٣م ص ١١٧.

(٣) المصدر السابق ص ١١٩.

(٤) رحلة عبر الجزيرة العربية لـ الكابتن سادير تحقيق الجمران ص ٢١٠.

(٥) المستودع والمستحضر، لخليف بن صغير الشمري، دار نينوى، دمشق ٢٠٠٨م ص ٢٢.

محاولة الإصلاح بين المهاجرين والهولة

كتب الوالي رسالة إلى السلطان العثماني شرح له فيها أسباب قدوم العتوب والخليفات وأنهى رسالته بالتالي: ((وقد أرسلنا رجلاً إلى قبيلة الهولة، كي يأتوا ونعقد الصلح بينهم وبين الخليفات والعتوب. لأنه إذا لم يتم إصلاح ما بين هؤلاء، فإن ضرراً شديداً سيلحق بقدوم التجار إلى البصرة وعودتهم منها. أما إذا جاؤوا وأجريت المصالحة بينهم، فإن جانب البحر سيكون آمناً من شرهم. وإذا تم إصلاح ذات بينهم، عندئذ يظهر ما إذا كان الخليفات والعتوب سيقومون بالبصرة أم لا. أما الآن فإن ذلك غير معروف)).

إبعاد المهاجرين من منطقة أم قصر وتوجههم إلى الصبية

لم يستطع والي البصرة إتمام ذات البين لتشدد الهولة والعتوب والخليفات مما اضطره إلى إبعاد العتوب والخليفات من منطقة أم قصر حيث انتقلوا إلى منطقة الكويت^(١).

ويقول الأستاذ سعود الجمران: وحسب رواية ما يزال يرددها آل صباح حكام الكويت إلى اليوم، فإن أجدادهم قد جاؤوا إلى الكويت بعد أن طردهم الأتراك من أم قصر على خور الزبير وهو مكان قديم كانوا يتخذونه لقطع الطريق على القوافل المتجهة إلى البصرة أو القادمة، منها وكذلك للقرصنة على السفن في شط العرب^(٢).

ويقول ب.ج. سلوت: لا بد أن قبيلة الخليفات قد عادت إلى بندر ديلم، أما العتوب فحسب روايتهم أبعدهم الحكومة العثمانية من البصرة لأنهم شكّلوا عقبة للملاحة في شط العرب، فوصلوا بأسلوب غير معروف ووقت غير محدد إلى الكويت^(٣).

ثورة الأشراف ذوي عبدالله على الشريف سعد

١١١٤ هـ ذكر السيد الدحلان أن ((الأشراف من ذوي عبدالله ثاروا مرة ثانية على الشريف سعد، فطالبوه في معاليمهم وأدّعوا عليه بعدم الوفاء بها ولم يتم لهم معه حال فخرجوا مغاضبين له....

الأشراف الجلوية - ذوي عبدالله - أخذوا على اليفاع وقصدوا درب جدّة، فرجع الشريف سعد ومن معه على الوادي ثم وصلوا جدّة وباتوا فيها فجاءهم هتيمي وأخبر الشريف بأن الأشراف الجلوية غزونا ونهبوا إبلنا ونجعنا، فقال له الشريف سعد أتعرف محلّهم؟ قال نعم. قال أنت الدالّ عليهم فساروا بجيشهم وحشّوا في سيرهم فأدركوهم عند الظهر مقيلين وجميع ما أخذوه من هتيم عندهم فأقبل عليهم الشريف بمن معه من الأشراف والعسكر... واقتتلوا معهم فقتلوا من القوم زهاء ثلاثين غير المصابين

(١) بيان الكويت ص ١٣، وراجع سنة ١٧١٥م حيث إن العتوب استقروا في الصبية (١٢ عام تقريباً) قبل مسيرهم عنها إلى الكويت.

(٢) رحلة عبر الجزيرة العربية لـ الكابتن سادلير تحقيق الجمران ص ٢١١.

(٣) نشأة الكويت تأليف ب.ج. سلوت ص ١١٨.

وكان مع الأشراف الجلوية من شيوخ العرب هنيديس شيخ الروقة ورابعه، وحسين بن سويدان شيخ مطير ورابعه، فنهب الشريف ومن معه من الأشراف جميع ما كان معهم من الإبل والبندق وغير ذلك وردوا على هتيم جميع ما أخذ منهم، وردوا على الجلوية بعض خيل وركاب بواسطة بعض الأشراف وكانت هذه الواقعة يوم الأحد ١٧ ربيع الثاني^(١).

سنة سمدان

١١١٤هـ ذكر ابن ربيعة: وفيها سمدان العوازم أي هلاك العوازم من شدة القحط^(٢)، وقال ابن بشر: وفي هذه السنة: أول وقت سمدان المحل المعروف والقحط والغلاء الذي سمد فيه أهل الحجاز وكثير من البوادي^(٣).

النزاع بين فوزان آل معمر وبين جبور بني خالد امراء الجناح في عنيزة

١١١٥هـ ((في هذه السنة حصل خلاف بين فوزان وبين الجبور، أدى إلى قتال، قتل فيه فوزان بن حميدان أمير عنيزة آخر يوم من جمادى الثاني سنة ١١١٥هـ (١٠ نوفمبر ١٧٠٣م) واستولى الجبور على عنيزة كلها بأقسامها وتوحدت إمارتها فهدموا قصر آل معمر وهو المسمى قصر الكعيد)).

أمير العوازم يقدم الدعم المادي لعنيزة

في خبر أورده الشيخ عبدالوهاب بن تركي عن أحداث سنة ١١١٦هـ ذكر نزول (أمير العوازم جنب^(*)) بلد عنيزة، ومعه حاج لأهل المشرق كبير، نزلها بعد انصرافه من الحج في شهر صفر^(٣) يونيو ١٧٠٤م.

وعن هذا الحادث أيضاً، يقول مقبل الذكر: (وقد اطلعت على بعض ترسيمات لأهل القصيم أردت وضع العبارة للتذكرة وإن لم أفهم معناها، قال: وفي صفر ١١١٦هـ نزل (جنب^(*)) دار عنيزة برجوعه من الحج ونثر فيها الدراهم الشيء العظيم).

ويضيف الذكر معلقاً: ولم يتضح لنا هذا الاسم، هل هو اسم شخص أو أمير؟ وإنما الذي لفت نظرنا قوله: (وملاها من الفلوس) مما يدل على الفائدة التي حصلت من مروره وأثرها في البلاد مما جعل هذا المؤرخ يرسمها مع الحوادث التاريخية^(٤).

(١) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٣ تاريخ ابن ربيعة ت١١٥٨هـ ص٤٠.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص١٣٩.

(*) جنب تصحيف لجبر.

(٣) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٤ تاريخ نجد للشيخ عبدالوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي توفي بعد سنة ١٢٥٢هـ ص١٥٥.

(٤) خزانة التواريخ النجدية ط١ ج٧ مطالع السعود لمقبل الذكر ص٧٢، انظر أيضاً: تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص٥١.

وبالتوفيق بين الخبرين، يتضح أن هذه الترسيمات (جب دار)، أو (جنب بلد) هي تصحيف لـ(جبر دار، أو جبر بلد) وهكذا تكون صحة المعنى بعد ترميم الخبرين كالآتي: ((نزل أمير العوازم جبر بلد عنيزة في صفر ومعه حاج لأهل المشرق كبير ونثر فيها الدراهم الشيء العظيم وملاها من الفلوس)).

وقد ورد في التواريخ النجدية ذكر أمير من أمراء قوافل الحج في سنة ١١٣٣هـ اسمه جبر، فلعله هو بعينه جبر المذكور في هذه السنة (١١١٦هـ).

ومنصب أمير الحج الذي كان يتبوأه أمير العوازم يعتبر من المناصب الرفيعة في الدول الإسلامية، وقد شغله على مرّ التاريخ كثير من الشخصيات المهمة، وهذا يدل على المكانة العالية التي يتمتع بها جبر، ومن المرجح أنه عُيِّن في هذا المنصب من خلال أمير الإحساء سعدون بن محمد آل غرير الخالدي (١٠٩٣هـ / ١١٣٥هـ) الذي كان يمتد نفوذه من الحساء حتى الديار الشامية والعراقية والعمانية وأقصى نجد، ومن المعلوم أن لأمراء الحج أجراً يتقاضونه ربما ريال أو ريالين عن كل حاج، هذا عدا المكافأة المخصصة له من الوالي ومن الدولة العثمانية نظير تسييره لقوافل الحج، وهذا ما يفسر لنا كيف أنه نثر في عنيزة من الدراهم الشيء الكثير.



وفي تاريخ قبيلة العوازم هناك أمير يدعى جبر بن جامع، يُذكر في القصائد الحربية كقائد قوي وعظيم ومن هذه القصائد قول الشاعر على أثر حرب للعوازم مع الظفير:

صباحنا دواوير على جال ملهم	سويطية يشكي الحفيف مليلها
سويطية كسابة للطيب والثنا	وأهل طعون ما ينادي قتلها
سرنا وساروا ونخنا ونؤخوا	وذو قربة ما عاد يربح عميلها
سرنا وسار الله عليهم ودبروا	بايمائاً روم تلظى فتيلها
يا كن حس الكافريات بيننا	رعود من الجوزا صدوق مخيلها

إلى أن يقول:

مهبول يا ببيع جبر جواده يا عنك ما يلقا مثاني* يجيلها
يحدما في ماقف الموت ساعة لين إن قصاف العمار يزيلها
عودة إلى الخبر السابق: الملاحظة الجديرة بالنظر هي أن خط سير هذه القافلة قد أخذ طريقاً بعيداً
بعض الشيء عن مسلك قافلة الحج الإحسانية حيث إنها وطئت عنيزة والتي هي على طريق حاج أهل
الكويت والعراق، فلعل هناك أسباباً أخرى لم يذكرها المؤرخ.

غرقه السليمي في عنيزة

وفي هذه السنة (١١١٦هـ) هطلت في عنيزة أمطار غزيرة أربت على التلال والمجاري وهدمت بعض
المنازل، وتسمى غرقه السليمي وهو رجل أعمى دخل عليه السيل فأغرقه^(١).

مقتل هنيذس شيخ الروقة على يد قبيلة هذيل

وفيها: ((عتيبة ليلة التاسع من شوال قتلت أربعة من هذيل واثنين من قريش قريباً من السد فخرجت
هذيل في صبيحتها في نحو مائتي مقاتل إلى أن وصلت المعابدة فوجدوا هناك حياً من عتيبة وفيهم هنيذس
شيخ الروقة فقتلوه، وقتلوا معه سبعة أنفار من عرب عتيبة، وطرحوهم في الطريق ورقوا جبل الخندمة))^(٢).

احتلال الشريف عبدالكريم البركاتي لمكة المكرمة ومعه عتيبة وحرب

١١١٦هـ ((لم يدم سعد بن زيد في إمارته - الرابعة - إلا ١٨ يوماً لأن الأمير عبدالكريم بن محمد
ابن يعلى من ذوي بركات الغائب في اليمن عاد في جموعه من بني عمومته وأنصاره من قبائل عتيبة
وحرب فهاجم مكة واحتلها في ١٧ شوال))^(٣) وفيها: ((أخذ الشريف سعيد ما يلي الحجون ومعه عبيده
وجماعة من النفعة ومعهم محمد بن جمهور العدواني شيخاً عليهم))^(٤).

مسير الاشراف البركاتية للشريف سعيد

((السيد عبدالله بن محمد بن بركات بن محمد ومن معه أرسلوا للشريف سعيد وقالوا له: اخرج من

(*) يقصد ببيع المثلان أنه عندما يبيع رجل فرساً لرجل آخر فإن البائع يشترط على المشتري أن يكون له البطن الأول
والثاني مما تلده الفرس المبيعة ولا يسقط هذا الشرط إلا بفقدان الفرس أو موتها، وهكذا يدل البيت على أن من
بيع جواده لجبر فإنه خسران لأنها حتماً ستموت في أقرب معركة.

(١) خزنة التواريخ النجدية ط ١ ج ٨ العنيزة: للشاعر الشيخ عبدالعزيز بن محمد القاضي ص ١٧١.

(٢) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ١٤٤.

(٣) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨/١٩٩٩ م ص ٤٠٦.

(٤) خلاصة الكلام للسيد زيني دحلان ص ١٣٤.

بلاد الشريف - عبدالكريم - فرد لهم جواباً غير لائق فأيقنوا منه الخلاف، فسارت الأشراف بمن معهم من العساكر ومعهم ابن زياد شيخ أهل الفرع بما معه من قومه ومبارك بن رحمة بمن معه من قومه إلى أن وصلوا ينبع البحر فمانعهم السيد عبدالله بن سعيد فحاصروه أياماً ثم عجز وطلب الأمان فأمنوه وخرج ليلاً إلى أن لحق بأبيه وأقام معه بالجابية وتفرقت عنهم العرب^(١).

محاولة الشريف سعد دخول الطائف

بعد أن خرج الشريف سعد إلى المعابدة ((أرسل إلى ابن أخيه الشريف عبدالمحسن وطلب الإقامة بنجد مكفولاً مكفوفاً معاملاً له، ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبدالكريم بعث إليه فيما طلبه من ابن أخيه الشريف عبدالمحسن فأجابه إلى ذلك، وذلك بعد خروجه من مكة إلى نواحي الشرق. ثم بعد برهة جمع جماعة من الروقة ومخلد والنفعة وقبائل من الأعراب وأطمعهم بالمال وأراد أن يدخل بهم الطائف فصده وكيل الديرة السيد عبدالله بن حسين بن جودالله^(٢).

ولاية الشريف عبدالكريم على مكة المكرمة

..... ١٧٠٥م في هذا العام تولى الحكم في مكة المكرمة الشريف عبدالكريم بن محمد، واستمر حتى أقبل في سنة ١٧١١م، وعاد بعد بقليل وبقي حتى سنة ١٧١٥م حيث تقاعد ليعيش عند قبيلة حرب، وبعدها ذهب إلى مصر حيث توفي هناك بالوباء^(٣).

الهجمات العُمانية على الأراضي الفارسية

خلال الفترة من (١٧٠٥-١٧٠٦م) حاولت شركة الهند الشرقية الهولندية التقرب من الشاه حسين مرة أخرى بحجة مساندته البحرية الفارسية ضد عرب عمان الذين استمروا في شن هجمات متكررة على الساحل الشرقي للخليج العربي، لكن الشاه رفض ذلك وفضل التعاون مع الإنجليز الذين باتوا يخشون التقارب الهولندي - الصفوي رغم تحالفهم في أوروبا^(٤).

وفي عام ١٧٠٧م / ١١١٨هـ بدأ الصفويون يستأثرون من معارضة عرب عُمان لسفنهم وخاصة بعد أن وقعت إحدى السفن الفرسية بأيديهم، فازداد قلق الشاه حسين حتى اضطر إلى إعادة الطلب من الهولنديين والإنجليز معاً لمساعدته من أجل الوقوف ضد الإمام سيف بن سلطان إمام عُمان آنذاك^(٥).

(١) المصدر السابق ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٨.

(٣) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط ١ / ص ١٨٥.

(٤) غزاة في الخليج العربية لهيفاء الربيعي ص ٩٩.

(٥) المصدر السابق ص ١٠٠.

إمارة نجم آل غرير على الحاج العقيلي

١١١٧ هـ في موسم حج هذه السنة كان نجم بن عبيدالله بن غرير أميراً على الحاج العقيلي^(١).

استيلاء أمير المنتفق مغامس بن مانع على البصرة

١١١٧ هـ ((مات والي البصرة فارتبكت حالتها وأخذت القبائل تتمرد...، واغتتم أمير المنتفق مغامس بن مانع الذي صارت إليه الإمارة بعد أبيه الفرصة فزحف واستولى على البصرة... ولقد كتب والي بغداد إلى الآستانة بحالة جنوب العراق واستيلاء مغامس على البصرة فأرسلت إليه مرسوماً بولاية البصرة إضافة إلى ولاية بغداد وأمرته بتجهيز الجيوش وبذل الجهود في إخماد الفتن واسترداد البصرة. فاستعد فزحف. وأخذ أولاً يجتهد في إخضاع القبائل النائرة وكان من هذه القبائل قبيلة زبيد بزعامة شيخ شيوخها عبدالقادر فنكل بها وهزمها، ثم لقي في طريقه بعض فروع من المنتفق فضربها وشتتها واستولى على كثير من مواشيها ومتاعها. ثم سار إلى البصرة وكان الأمير مغامس قد علم بزحفه فجمع جموعاً عظيمة روى المؤلف - العزاوي - نقلاً عن مصادره أنها كانت مئة ألف أو يزيدون بما جاءه من مدد من نواحي بغداد والإحساء والحويزة وعشائر آل سراح وزبيد وبني خالد وغزوة ومياح وشمر حتى امتلأت بهم السهول وقد اشتبكت قوات الطرفين وأبلى كل منهما بلاءً عظيماً غير أن الدائرة دارت على العرب.

وقد قتل تركي شيخ قبيلة الأجود وكان جباراً عنيداً فكان قتله من أسباب انكسارهم وهزيمتهم. بعد أن بلغ من هلك منهم نحو عشرة آلاف. وكان الوالي يبذل الذهب والفضة بسخاء لكل من يأتيه برأس أو قلب منهم ثم ذهب إلى البصرة فدخلها ووطد النظام فيها.

على أن مغامساً لم يكف عن نشاطه وطموحه فقد أخذ يتجول بين العشائر محاولاً تجديد العهد معها. وقد استجابت له قبيلة غزوة فأعطته عهداً بأن لا يأتيه من قبلها شرٌّ وأن تحمي ظهره من ناحية الشامية.

وحينئذٍ هاجم حسكة والرماحية والأنحاء الأخرى المناوئة لها ونهبها وأحرق زرعها. وجاء الشيخ شبيب أمير قبائل قشعم إلى بغداد فشكا للوالي من قبيلة غزوة واتفاقها مع مغامس وحذره من العواقب. ... ولقد مال نحو عشائر المنتفق فأرسل إليه أميرها الشيخ ناصر عريضة يشكو فيها مغامساً ويقول إنه أصل الشر...

واستأنف الوزير وجموعه تعقب مغامس حتى وصل إلى مكان يعرف بأبي مهنة كان مغامس قد تحصن فيه هو ومن معه من ربيعة وسياح والمنتفق في عدد يتراوح بين خمسين وستين ألفاً. ويظهر أنهم وبرغم هذا العدد فضّلوا الانسحاب من وجه الوزير والتفرق في البطائح فتعذر على الوزير تعقبهم. أما مغامس فقد ذهب إلى الحويزة (لاجئاً)^(٢).

(١) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ٧ مطالع السعود لمقبل الذكر ص ٧٣.

(٢) العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي لمحمد عزة دروزة م ٢ ج ٦ ص ٨٦.

خروج عشائر شمر عن طاعة الدولة في العراق وتمرد عشيرة غزيرة

١١١٨هـ وفيها ((خرجت عشائر شمر عن الطاعة وراحت تعيث فساداً، ثم تبعتها بقية العشائر الكائنة غربي نهري الفرات. وكثرت تعدياتهم وقطعوا الطريق فتحرك الوزير على رأس قوة من قوات بغداد وعبر نهر الفرات واتجه نحو تجمعاتهم ثم هجم عليهم فمزقهم وشردهم في البراري وعاد غانماً منصوراً.

وفي هذه السنة: تمردت عشيرة غزيرة التابعة لشيخ آل قشعم. وانبرت تقطع الطريق وتسلب الرائج والغادي في بادية السماوة والرماحية ونهر الشاهي. وكثر توارد الشكاوى من أعمالهم فاتجه الوزير نحوهم وأحاط بهم وظلّ يحاربهم لمدة ثلاثة أو أربعة أيام مزق خلالها شملهم وأسرا اثنين من شيوخهم ثم عاد إلى بغداد.

أما عشيرة شمر الماز ذكرها فإنه بعدما كانت تتجول شرقاً وغرباً وتقضي أيامها في النهب والسلب فقد عادت إلى صوابها وسلكت طريق الرشاد وعاشت هي وأفخاذها وشيوخها بهدوء وسكون^(١).

((استدعى حال شمر العقاب، فعبر الباشا الفرات من جنوب الفلوجة، وبعد تعقيب شديد أنزل بها خسارات فادحة وسلب أمتعتها، وجردت الحملة التالية على قبائل الفرات الأوسط كالحميد والسعدة والرافع، وكانت هذه الحملة إجابة لتذمر شبيب شيخ قشعم وبمساعدة قطعات قبائلية كبيرة فانهت الحركات بخضوع العدو، وتلت ذلك حملة على زبيد فطلبوا العفو ساعة وصول الباشا))^(٢).

وقعة الخضار^(٣)

ذكر ابن بشر وقعة خضار الماء في حوادث سنة ١١١٨هـ، وقال ابن خميس نقلاً عن الذكير أنها وقعت في سنة ١١١٥هـ، ثم يقول: حدثت وقعة الخضار بين الظفير وعنزة في نواحي الدهناء، وسبب ذلك أن الظفير كانوا نازلين في سدير. وكانت منازلهم هم وعنزة في ذلك الوقت في أراضي القصيم، وكانت بلاد الظفير بتلك السنة أكثر خصباً من بلاد عنزة فتقدموا إلى سدير يتبعون مواضع الربيع لإصلاح ماشيتهم معتزّين بقوتهم، وساعدهم الشريف عبدالعزيز العدو اللدود للظفير فطردهم عن سدير، وسار الظفير إلى الدهناء فتبعتهم عنزة والشريف وحصل بينهم قتال شديد في موضع يسمى الخضار القريب من الدهناء فانهزمت عنزة والشريف، واستولى الظفير على بعض ما معهم، وأخذ ابن صويط خيمة الشريف عبدالعزيز^(٤).

(١) كلشن خلفاً لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٣٢٢.

(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق: لونكريك ص ١٢٤.

(٣) قال ابن بشر: طردت عنزة ابن صويط عن سدير، ثم إنه جرى بين عنزة والظفير وقعة في الخضار عند الدهناء، وأخذ ابن صويط خيمة عبدالعزيز الشريف.

(٤) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٦ ص ٣٨ نقله عن تاريخ مقبل الذكير ص ٢٦.

نزول الحاج العقيلي في ثادق

١١١٩هـ يقول مقبل الذكير: ((في هذه السنة نزل الحاج العقيلي الإحسائي بلد ثادق ومعه سعدون بعسكره، وهذا مما يرجح أن بني خالد من بني عقيل وإنما جدهم القريب^(١) خالد غلب على عقيلتهم^(٢))).

وقت شيخة بداح بن بشر العنقري على ثرمدا

وفي حوادث هذه السنة ذكر ابن بشر مسير العناقر أهل بلدة ثرمدا بالصمدة من الظفير على أهل وثيا وقلوهم وذلك وقت شيخة بداح في أهل ثرمدا.

ويقول فايز البدراني^(٣): وأعتقد أن بداحاً المذكور هو بداح بن بشر بن ناصر العنقري الفارس المشهور.. وقد توفي هذا الفارس بداح بن بشر بن ناصر بن إبراهيم بن خنifer العنقري رئيس بلد ثرمدا سنة ١١٣٦هـ ولبداح قصيدة فريدة يقول فيها:

لنا يا ما غزينا وجينا	وياما ركبنا حاميات المشاويح
وياما على أكوارهن اعتلينا	وياما ركبناهن عصير مراويح
وياما تعاطن الهنادي يدينا	وياما تقاسمنا حلال المصاليح
وراك تزهد يا أريش العين فينا	تقول خيال الحضرة زين تصفيح
الطيب ما هو بس للضاعينا	مقسم بين الوجيه المفاليح
البدو واللي بالقرا ساكنينا	كل عطاه الله من هبة الريح
يوم الفضول بحلتك شارعينا	والشلف ينحونك سواة الزنايح
يوم انجم رمحي خذيت السنين	واذعيت عنك الخيل صم مدابيح

إرسال الحملات لإخضاع الشيخ مغامس بن مانع

١١١٩هـ ((شيخ المنتفق مغامس بن مانع بدرت منه ما يدل على التمرد ضد أوامر والي البصرة الوزير خليل باشا، ومنها أنه تغلب على الجزائر والنواحي الأخرى، فأرسل - الوزير - حملة لتأديبه وإعادته إلى الطاعة، ولكن هذه الحملة ارتدت على أعقابها مهزومة إلى البصرة. مما أثار الرعب في قلوب السكان. فأرسل والي بغداد مدداً من العساكر المشاة وجهزهم بالمعدات والذخائر إلى خليل باشا يستعين بهم.

(١) بنو خالد وجودهم قديم في التاريخ وممن ذكرهم الحمداني المتوفى سنة ٧٠٠هـ في كتاب فضل الله العمري مسالك الأبصار.

(٢) خزنة التواريخ النجدية ط ١ ج ٧ مطالع السعود لمقبل الذكير ص ٧٤.

(٣) من أخبار القبائل في نجد.

وأرسلت الدولة: فرماناً إلى والي بغداد ليتولى بنفسه القيادة العامة على القوات التي سوف ترسلها هناك. وأصدرت أوامرها إلى والي كوتاهية الوزير المحترم حسن باشا ومحافظ ديار بكر الوزير المكرم رجب باشا والي الموصل وأمراء كركوك والقوات الإنكشارية الموجودة في بغداد حيث اختارت منهم مقدار خمسمائة جندي من المتصفين بالبسالة والإقدام. ولأجل جمع هذه القوات وجعلها على أتم استعداد أرسلت القلابجي باشي من البلاط السلطاني.

وأخذت هذه القوات تتوارد على بغداد الفوج بعد الفوج... وعسكروا في الجانب الغربي من البلدة.

تحرك من بغداد في أوائل رجب من سنة ١١٢٠هـ ووصل إلى الحلة، وبعد مكوثه هناك مدة أسبوع، واصل سفره حتى وصل العرجة التابعة لولاية بغداد ثم دخل الأراضي التابعة لولاية البصرة، واتجه نحوها من جانب البادية.

ثم إن الشقي - مغامس بن مانع - أرسل جواسيسه يستطلعون له الأوضاع، ولما علم بمقدم هذه القوات سارع إلى اتخاذ الحيطة وجمع جموعه خلف الأنهر والأهوار والجزائر التي يصعب اجتيازها وأقام في الجانب الغربي من نهر عتتر، وكان بصحبته عدد كبير جداً من العشائر وخاصة عشائر المتفق ونجد والعراق.

واستمرت الحرب أربعة أيام واشترك في القتال ما يقرب من الخمسة آلاف جندي ومع ذلك لم يتزحزح الثوار.....، وأخيراً ضيقت الجيوش عليهم وأمطرتهم بوابل من قنابل المدافع ورصاص البنادق حتى اهتزت الأرض من تحت أقدامهم.....، وعندئذ انتهزوا فرصة حلول الظلام وفرّوا نحو البادية تاركين أثقالهم وأطفالهم ونساءهم فنجوا بعضهم وغرق في الأهوار البعض الآخر.....، وهكذا تمزقوا شذراً مذبذباً^(١).

ذكر القبائل التي كانت تناصر الشيخ مغامس بن مانع

١١٢٠هـ - ١٧٠٨م: قال السامرائي: ((في أيام الوزير حسن باشا جرت حروب طاحنة توالى فيها النجدات بينه وبين العشائر التي انتصرت للشيخ مغامس بن مانع بن راشد الذي تولى إمارة المتفق بعد أبيه السراج وزبيد ومياح وبني خالد وغزية وشمر. وقد دامت الحروب إلى التاسع من رمضان وفي أثناء المعركة قتل الشيخ تركي شيخ الأجود وكان عضد الشيخ مغامس فتأثر به وأدى ذلك إلى انسحابه لأنه كان شوكتهم^(٢))).

(١) كلشن خلفاً لنظمي زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٣٢٣-٣٢٥.

(٢) ولاية البصرة من كتاب سياحة نامة حدود تأليف خورشيد أفندي ترجمة نوري السامرائي، جامعة البصرة.

نزول الحج الإحصائي العينية بقيادة نجم آل غرير

١١٢٠هـ ((نزلت قافلة الحج الإحصائية العينية في طريق العودة من مكة بقيادة نجم بن عبيدالله بن غرير))^(١).

انتهاء فترة حكم بني خالد للدرعية

طال حكم سلطان بن حمد القيسي من بني خالد للدرعية حتى كرهه الناس وثاروا عليه وقتلوه سنة ١١٢٠هـ وبعد مقتله تولى الأمر في الدرعية أخوه عبدالله ولكن مدة حكمه لم تدم طويلاً فقتل سنة ١١٢١هـ ١٧٠٩م وبمقتله انتهت فترة حكم بني خالد للدرعية^(٢). وتولى في الدرعية موسى بن ربيعة بن وطبان^(٣).

وقعة الساقة بين بني خالد والظفير عند الحجرة

١١٢١هـ - ١٧٠٩هـ في هذه السنة تجدد الصراع بين بني خالد والظفير حيث هاجم سعدون آل غرير قبيلة الظفير في موقعة تدعى الساقة عند الحجرة. وفي السنة التالية عسكر الفريقان مدة طويلة وجرت بينهما عدة مواقع في وضاح ونفي ومع هذا لم يستطع أي من الطرفين تحقيق نصر حاسم فانسحبا عن بعضهما محتفظين بقدراتهما العسكرية^(٤).

ثورة الأمير مغامس رئيس المنتفق مرة أخرى

وفيها (١١٢١هـ): ((ثار أيضاً مغامس ولم يعتبر بتلك الموقعة في السنة الماضية، وجمع مقداراً من أفراد عشيرة غزية وهجم بهم على ناحية الرماحية وأحرق المزارع وقطع الطرق، وعندما علم الوزير بادر بالسفر نحوه برغم حرارة المناخ حتى وصل منتصف الطريق بين البصرة وبغداد، وأرسل العتاد والأسلحة الكافية بعده عن طريق الحلة.

مركز بحوث تاريخ العراق

وقد بلغ المتمردين قرب وصول الحملة واجتيازها الحلة ونهر الشامي، انتقل الشقي من مكانه إلى الجزائر وراح من هناك يحرض العشائر على الثورة، وقد رأى الوزير أن هذه الثورة أخذت تتسع، كتب إلى الدولة العلية يعلمها بهذه الحوادث الجديدة))^(٥).

حرب داخلية بين شيوخ آل شبيب أدت إلى انقسام المنتفقين

((وفي أواخر شهر رجب من السنة المذكورة سافروا - قوات الدولة العثمانية - نحو الجهة

(١) قوافل الحج المازة بالعارض لراشد بن عساكر ط ١/٢٠٠٥م الرياض (درة التاج ص ٣٤) تاريخ ابن ربيعة ص ٨٠.

(٢) حسين الشيخ خزعل تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص ١٦٢.

(٤) بنو خالد للوهبي.

(٥) كلشن خلفا لتنظيم زادة مرتضى أفندي، نقله إلى العربية موسى كاظم نورس ص ٣٢٥.

المقصودة، ولما وصلوا السماوة علموا أن الشيخ ناصر شيخ المنتفق في حرب مع مغامس، وبما أن معظم عشائر المنتفق مع هذا الأخير فقد اندحر ناصر بوجه خصمه، ثم هجم مغامس على الجزائر وضبطها وحاصر البصرة، فما كان من القائد العام إلا وأسرع نحوه...

وعند اقترابه من تلك الجهات سمع الشقي مغامس بمقدمه وفرّ نحو الجوازر وتحصن خلف الأنهار والأهوار والأمكنة التي يصعب الوصول إليها. ولكن الوزير لاحقه وعبر تلك الحواجز وأحاطت قواته بالعشائر الثائرة من كل صوب وناحية، وكان عدد أفرادها يتراوح بين الأربعين والخمسين ألفاً، ومع ذلك لم تصمد أمام ضربات العساكر المتلاحقة، خاصة وأن زعماءهم كل واحد منهم أخذ يخلق المعاذير للعودة إلى دياره، وأخيراً انهزمت جموعهم^(١).

مرور ابن علوان على الكويت ووصفه لها

وفيها ١١٢١ هـ (١٩ يوليو) ١٧٠٩ م: وصل مرتضى بن علوان الدمشقي العلوي إلى الكويت وكتب عنها ما يلي: ((ثم مضى إلى خمسة عشر يوماً، دخلنا بلداً يقال له الكويت بالتصغير وهي بلد لا بأس بها تشابه الحسا إلا أنها دونها ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها وكان معنا حج من أهل البصرة فرق عنا من هناك على درب يقال له الجهراء ومن الكويت، إلى البصرة أربعة أيام وفي المركز البحري يوم واحد لأن الميناء البحري على كثف الكويت وأما الفاكهة والبطيخ وغير ذلك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب بأنها ميناء البحر أقمنا بها يوماً وليلتين وتوجهنا على بركة الله تجاه النجف الأشرف نهار الأحد عشر الشهر المذكور (الحادي عشر من الشهر) وهذه الكويت المذكورة اسمها القرين ومشينا قبل وصولنا إليها على كنفار (ساحل) البحر ثلاثة أيام والمراكب مسيرتنا والميناء على حدود البلدة يأتيها ساير الحبوب من البحر حنطة وغيرها لأن أرضها لا تقبل الزراعة حتى ما فيها شيء من النخيل ولا غير شجر أصلاً وأسعارها أرخص من الحسا لأنها كثيرة الدفع))...

التشابه العمراني بين الكويت والإحساء في رواية مرتضى بن علوان، وسفره من الإحساء إلى الكويت برأ دون الإشارة إلى وضع الكويت السياسي، يُوحى بأن العلاقة قوية بين هاتين المدينتين والتي نرجح وقوعها تحت حكم واحد يتمثل في آل حميد رؤساء بني خالد.

وصف مرتضى بن علوان للإحساء

إنها بلدة عظيمة البناء، واسعة الرحاب كثيرة المياه تشتمل على عيون جارية وآبار معينة ومساجد وعلماء وصلحاء.. محصولها النخيل وجلّ غلاتها التمر مع الرخص.. ومواشيهم جميعاً الإبل والبقر والحمير مع أهلها أكلهم التمر غير أن البقر يحلون لهم التمر بالماء ويسقوهم إياه والنوا يغلوا عليه في الماء حين يلين ويجعلوه لهم علفاً، ويذكروا أن نصف أهلها شيعة ونصفها سنة ومتحددين اتحاد الأهل من غير عناء بينهم وكذلك قراها. وكافلها ووالها وحامياها يقال له الشيخ سعدون (ابن محمد بن غريب

(١) المصدر السابق ص ٣٢٦.

١١٠٣-١١٣٥) من عرب خالد ووزيره شيعي ويقال له الشيخ ناصر وإنه من أولاد مروان بن الحكم. واجتمعنا ببعض أهل البلد من الفريقين وكل منهما راضي عن الآخر.

ووصفه للحج العقيلي في مكة المكرمة

((وقد واجهنا في طريقنا المبارك حج مقبل علينا فسألنا عنه فقيل لنا حج مخلط أعجام ومشاهدة، يقال لنا الحج العقيلي وقد دخل مكة بعد العصر وصار له غاية الحصر، فبعضهم طاف وسعى وتم حجه بالتمتع على الوجه الاضطراري، ووقفت بعرفة ليلاً وبعضهم نقل تمتعه إلى الأفراد ووقع في بلاء بين العباد))^(١).

وقوع خلاف بين شريف مكة وأمير حج الأحساء

١١٢٢هـ - ١٧١٠م في موسم الحج وقع خلاف بين أمير حج الأحساء^(٢)، والشريف عبدالكريم لرفض الأول تسليم الإتاوة^(٣)، وقد اعتبرت تلك الحادثة سبباً لعزل الشريف عبدالكريم من ولاية مكة. قال الذكير عن هذه الحادثة: ((سار حاج الحساء لأجل أداء الفريضة وأميره اسمه حمزة، فلما وصل مكة كان لبعض الأشراف رسم على حاج الأحساء، فطلب الشريف من أمير الحاج دفع الرسم المعتاد الذي يشبه الإتاوة، فأراد حمزة منع ذلك، وساعده على ذلك نصوح باشا أمير الحاج الشامي بذلك الوقت، وحصل بسبب ذلك منافرة بين شريف مكة عبدالكريم بن ليلي ونصوح باشا))^(٤).

قال أحمد السباعي: ((كان لأشراف مكة على حجاج الحسا إتاوة خاصة جرى بذلك العرف القديم لديهم ولقد أراد أمير الحسا في هذا العام أن يماطل فيما جرى به العرف فاتصل بقائد العسكر التركي نصوح باشا فمنع الأشراف من التعرض له، فشكا الأشراف أمرهم إلى الشريف عبدالكريم فبعث إلى نصوح باشا يمنعه من التدخل في شؤون بلده، فغضب الباشا وتوعد فلما أتم الحج رحل إلى المدينة فتعرضت له قبيلة من حرب، فلم يخالجه شك في أنها دميصة من عبدالكريم، فاستكتب أعيان الحجاج في قافلته محضراً بالأمر وقدمه إلى استامبول، ثم أبدى رأيه في توجيه الإمارة إلى الشريف سعيد فوافق الباب العالي على هذا وأرسل مرسومه بذلك فوصل إلى المدينة في أواخر شوال ١١٢٣هـ))^(٥).

مرافقة ابن علوان الدمشقي لقافلة الحج العقيلي الأحسائي

مرت قافلة الحج الأحسائية العائدة من الحج بنفي ثم ثرمداء فالعيننة ومنها إلى الأحساء ولم يشر

(١) قوافل الحج العارة بالعارض لراشد بن عساكر ط ١/٢٠٥ الرياض درة التاج ص ١٩.

(٢) لم يرد اسمه والأرجح أنه من زعماء بني خالد أو أتباعهم.

(٣) خلاصة الكلام لزيني دحلان.

(٤) خزانة التواريخ النجدية ط ١ ج ٧ مطالع السعود لمقبل الذكير ص ٧٨.

(٥) تاريخ مكة لأحمد السباعي ط ٨/١٩٩٩م ص ٤١٢.

ابن علوان المرافق لتلك القافلة إلى أية متاعب أمنية واجهها في الطريق كما ترد الإشارة إلى مرور قافلة الحج الإحسانية مرة أخرى بالعارض بعد خمس سنوات (أي سنة ١١٢٧) بإمرة ابن عفالق، وقد مكثت مدة تزودت ببعض مستلزماتها الغذائية^(١).

هجوم عوف على الحجاج

وفي هذه السنة (١١٢٢هـ / ١٧١٠م) دفع نصوح باشا لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيساً فأرسل مبارك بن مضيان إلى العرب وفرق عليهم الدراهم وتعاهد معهم على الكف عن القتال وأرسل للبasha حال يصل إليك مرسولي ارحل بالحج لأن العرب جمعتهم عندي وفرقت عليهم الدراهم، فعند ذلك رحل البasha بخزنته وصحبته أكابر الحج وأتباع الدولة، وتأخر كثير من الحجاج، وكان بعض العرب وهم عوف استقلوا ما أعطاهم الشيخ مبارك من الدراهم لكثرتهم، فحصل بينه وبينهم موافقة ثم نكثوا عليه ولحقوا بالحجاج الذين تخلفوا وأخذوهم عن آخرهم^(٢).

معركة بين سعدون آل غرير والظفير

وفيها (١١٢٢هـ): ((مناوخ سعدون وآل ظفير لوضاخ ونفي، ثم كل منهما ألقى على حميته، وأكل الدبا والخيفان غالب زرع سدير وضر النخل إلى القصيم))^(٣).

مواجهة بين شريف مكة المكرمة وبين الشريف عبدالكريم

١١٢٣هـ في هذه السنة: جاءت الأخبار للشريف سعيد بأن الشريف عبدالكريم وصل إلى خلبص ونيتته الوصول إلى مكة ومعه جماعة من الأشراف والعرب فبرز الشريف سعيد لملاقاته وأخرج العساكر والمدافع إلى طوى وطلب قبائل هذيل وثقيف وبني سعد وناصره ثم رحل من طوى إلى النوارية ثم منها إلى الوادي.

هجوم سعدون آل غرير ومعه عبدالله آل معمر على اليمامة

١١٢٦هـ وفيها: ((أغار سعدون بن محمد بن حميد آل غرير رئيس الحسا والقطيف هو وعبدالله بن معمر رئيس بلد العيينة على اليمامة من بلد الخرج، ونهبوا منها منازل، فظهر عليهم البجادي بالخييل))^(٤).

(١) بنو خالد للوهبي ص ٢١٨.

(٢) خلاصة الكلام للسيد دحلان ص ١٦٣.

(٣) خزنة التواريخ النجدية ط ١ ج ٣ تاريخ ابن منقور ت ١١٢٥هـ ص ٢٣.

(٤) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابن عيسى.

نزول حاج الإحساء بقيادة ابن عفالق على العارض

١١٢٧هـ وفيها ((نزل حاج الإحساء في العارض أميره ابن عفالق واشترى صاع سمن بمشخص والطلاي بأحمرين))^(١).

١٧١٥م في هذا العام قام عبدالله خان المشعشي بدخول المنطقة العثمانية^(٢).

فترة الاضطرابات في الخليج العربي

في سنة ١٧١٥م بدأت محاولات الدولة العثمانية في الاستيلاء على البحرين التي كانت آنذاك تحت نفوذ الفرس، وفي سنة ١٧١٧م تمكنت القوات العثمانية من الاستيلاء عليها، مما جعل الفترة ما بين هاتين السنتين فترة اضطرابات في الخليج، بل توقفت التجارة في البصرة تقريباً، فلذلك ليس من المستغرب أن يهاجر بعيداً عنها من كان يتمون منها^(٣).

نزوح العتوب من أم قصر إلى الصبية

كما قلنا إن آل صباح ومن معهم كانوا نازلين في (أم قصر) بناءً على أوامر والي البصرة الذي طلب منهم الابتعاد عن البصرة حتى يبت في أمرهم من قبل السلطات العثمانية العليا، وكانت الحكومة العثمانية قد رأت أن مسألة وجودهم من عدمها متوقفة على ما ستسفر عنه المفاوضات بينهم وبين الهولة للإصلاح بينهم حتى لا تتعرض تجارة البصرة للضرر.

ولا بد أنهم مكثوا في منطقة أم قصر فترة من الزمن ليست معلومة ولكن يبدو لي أنها قصيرة وكانت في خلالها تجري محاولات الإصلاح بين العتوب والخليفات من جهة وبين الهولة من جهة أخرى.

ولما فشلت محاولات الصلح وخوفاً على ألا يصاب اقتصاد البصرة بالضرر، تم إبعاد العتوب مرة أخرى عن منطقة أم قصر على يد الأتراك، فنزحوا باتجاه الجنوب ليستقروا فترة من الزمن تقدر بـ (١٢) عاماً تقريباً) أو أكثر بقليل في (الصبية)^(٤).

ومن الصبية إلى الكويت

وفي ذات يوم - من أيام سنة ١٧١٥م - وهم في (الصبية) بلغهم مسير قبيلة الظفير إليهم، فخشوا منهم فتحركوا عن موقعهم واستأذنوا أمير بني خالد لينزلوا في أرضه الكويت.

(١) عنوان المجد لابن بشر.

(٢) البدو ج ٣ ط ٢ تأليف فرنر كاسكل ومساعدته تحقيق ماجد شبر ص ٢٨٠.

(٣) نشأة الكويت تأليف ب.ج. سلوت ص ١١٨، ١١٦.

(٤) نستدل بأنهم مكثوا في الصبية ثلاثة عشر عاماً، بقول المؤرخ حسين خزعل عندما ذكر مسير الظفير لغزو العتوب في الصبية سنة ١٧١٥م.

وعلى حسب الرواية المحلية من العوائل التي كانت موجودة في الكويت عند قدوم العتوب إليها عائلتا بورسلي والمصبيح، وأما الذين نزلوا مع آل صباح، بناء على رواية المؤرخ الشملان وغيره: آل خليفة، الجلاهية، الزايد، المعاودة، الرومي، آل سيف، آل ابن علي، آل نصف، آل خالد، والبدر.

وكانت الكويت خارج سيطرة حكومة البصرة تماماً، وتخضع لسيطرة بني خالد الذين لم يكونوا أصلاً على وفاق مع العثمانيين^(١)، ومن الجدير بالذكر أن العتوب عندما اتجهوا إلى الجنوب لم يقوموا بتأسيس مدينة الكويت كما يزعم بعض المؤرخين، لأنها في الأساس كانت موجودة قبل وصولهم، ولو أمعنا النظر فيما ذكره الرحالة مرتضى بن علوان الدمشقي عندما مر بالكويت في سنة ١١٢١هـ - ١٧٠٩م لتبين لنا أن الكويت كانت موجودة قبل قدوم آل عتبة إليها بكثير، وبذا يمكن أن تتأكد الرواية المحلية القائلة بأن براك بن غرير الذي استولى على حكم المنطقة منذ سنة ١٠٨٠هـ (١٦٧٠م) هو الذي بنى الكوت الذي سمي فيما بعد باسم الكويت، والكوت هو القلعة الصغيرة، على غرار كوت إبراهيم في الإحساء، وكان يبنى من أجل وضع الحاميات العسكرية فيه وجعله مخزناً للأسلحة، ولا بد أن يكون هذا الكويت هو الحدود الشمالية للإمارة الحميدية الخالدية التي كانت تتخذ من الكويت مقراً صيفياً لحكمها، وذكر سلوت أن الرواية الكويتية تقول ((أن الكويت - كبلد - نشأت في وقت ما من القرن السابع عشر كقرية ونمت مساحتها ببطء قرب مقر صيفي لبني خالد يحتمل أن يكون في منطقة الجهراء في الطرف العلوي من جون الكويت))^(٢).

وكان آل حميد عندما بنوا هذا الكوت، وضعوا فيه جماعة من أتباعهم، واتخذوه مستودعاً للأسلحة لتجهيز قواتهم أثناء غزواتهم الشمالية جنوب العراق، وهذا الحصن يقع في منطقة بهيتة التي عليها الآن قصر السيف^(٣)، وفي رواية أخرى نقلها لي الشيخ أحمد الغنام الرشيد أن هذا الكوت في ما قيل كان يقع في مكان المستشفى الأمريكي الذي شيد في السابق عند ما يسمى اليوم بمتزه (يوم البحار)، ويظهر لي أن الموقع الأخير كان يشتمل ويضم خرائب الحصن البرتغالي الذي ذكره المستشرقون بأنه يقع إلى القرب من الكويت، أي أنه ليس الكوت الحميدي.

أما الكويت فليس بين مرور ابن علوان عليها في سنة ١٧٠٩م ووصفه لعمارتها التي قال إنها مشابهة للإحساء وبين بداية حكم براك بن غرير إلا ٣٩ سنة فقط، هذه السنين كانت كفيلة بتكوين حزام من السكان واستقرار بعض التجار حول هذا الكويت الناشئ.

ولا شك أن الكويت بعد قدوم آل عتبة إليها في سنة ١٧١٥م أي بعد بداية حكم آل حميد للمنطقة بـ ٤٥ عاماً دخلت في مرحلة جديدة من التاريخ، إذ خرجت بعد مدة من استقرارهم من مسمى البلدة الصغيرة، إلى ارتداء لباس الدولة والكيان المستقل، وذلك بعد أن رأت في نفسها القدرة على القيام بهذا العمل بتوافر الظروف المناسبة، وصدق بهم قول الوليد بن المغيرة الذي قال ((والله ما نزل قوم قط على

(١) نشأة الكويت تأليف ب.ج. سلوت ص ١١٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤.

(٣) المستودع والمستحضر، لخليف بن صغير الشعري، دار نينوى، دمشق ٢٠٠٨م ص ٢٣.

قوم إلا أخذوا شرفهم وورثوا ديارهم^(١)، وهذا ما حدث فعلاً إذ إن آل الصباح ورثوا أرض آل حميد وحكمهم، مصداقاً لقول الرب ﷻ: ﴿الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾. وهذا ما حدث بعد ذلك، فقد انفرد العتوب بحكم المنطقة بعد بني خالد.

نعود إلى حديثنا عن خروج آل عتبة من الصبية إلى الكويت: فقد ذكر المؤرخ حسين خزعل أن نزوح العتوب من وجه الظفير كان في سنة ١١٢٨هـ - ١٧١٥م إلى الكويت فيقول: فلما علمت قبيلة الظفير باجتماع آل الصباح في الصبية سارت لغزوهم وفي أثناء سيرها ألقت القبض على أحد رجالهم لكي لا يفشي أمر سيرها وعزموا على قتله، غير أن ذلك الرجل توسل إليهم وأقسم لهم أيماناً مغلفة على أن لا يخبر أحداً بأمرهم فوثقوا بقوله وأطلقوا سراحه. وما كاد هذا الرجل يفلت من أيديهم حتى سار مسرعاً إلى قومه فقصده ديوان أحدهم المدعو (دولة) وخاطبه بأبيات من الشعر، وقد استعمل التلميح دون التصريح حتى لا يحثت يمينه:

عَمَّرُ الْغُلَيُّونَ يَا دَوْلَهُ تَرَى دُثْيَاكَ مَغْلُولَهُ إِنِّي خَلَفْتُ - بِاللَّهِ - مَا أَقُولَهُ

فانتبه دولة مع بقية من كان معه في ذلك المجلس إلى إشارة الرجل، وأسرعوا جميعاً إلى ترك الصبية، وقصدوا محل مدينة الكويت وسكنوها بعد أن استأذنوا من أمير بني خالد، واستحصلوا على موافقته فطابت لهم بها الدار... وأخذت تتوافد عليهم الناس من البلاد الأخرى من عرب وفرس.

اسم الكويت مشتق من الكوت وهو الحصن

يقول بيللي الذي زار الكويت في سنة ١٨٦٥م: أما مدينة الكويت الحالية: والاسم المشتق من (الكوت) وتعني الحصن فلها من العمر مئة عام تقريباً، وفي بادئ الأمر احتل شيوخ الكويت حصناً يسمى أم قصر Mongassar على خور الزبير على مسافة يسيرة إلى جهة الشمال. وكانوا آنذاك قراصنة مدخل شط العرب، ولكن بعد أن أغار عليهم الأتراك أبحروا إلى جهة الجنوب، واستقروا في مكانهم الحالي وقاموا بتحصينه من جهة البر تحسباً لغارات البدو.

ويقول بيللي عن انتقال آل الصباح من أم قصر: أقبل أول الشيوخ عبر خور بوبيان مع أتباعه، وحطّ الرحال على الخليج الذي سمي الآن الكويت أو القرين وبعد أن عبر الخليج استقر على الشاطئ الشمالي وأقام قلعة أو كوتاً ومن هنا اشتق اسم الكويت، أما كلمة القرين فتطلق على الخط الساحلي للخليج بأكمله حتى المنحنى المكون من قرنين ومنه جاء الاسم.

بداية التاريخ الحقيقي لتأسيس الكويت

ذكر الحاتم بأن الباحثة المحقق الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة يقول عن الكويت: إنها

(١) وفاة الوفا للسهمودي ت ٩١١ ص ٢١٦.

تأسست^(١) عام ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م)^(٢)، ويُذكر أن مسجد آل الخليفة أنشئ في الكويت عام ١٢٢٦ هـ الموافق ١٧١٤ م على يد الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة، ونقش عليه سنة بنائه، وأوقف عليه قطعة نخيل في منطقة المبرز في الإحساء، منحها بنو خالد للعتوب عند مساعدتهم لهم في فتح القطيف.

ويقول لوريمر عن بداية تأسيس الكويت: ((بناء على أحد التقارير في عام ١٧١٦ م^(٣) يمكننا أن نستنتج إلى حد ما من خلال الاسم أن الموقع كان في البدء مستوطنة عربية عادية، تحميها قلعة صغيرة. وبحسب التقليد حافظت عليه عائلة الصباح التي تحكم الكويت اليوم: كان السبب الذي حدا بأسلافها للمجيء إلى الكويت طرد الأتراك لهم من أم قصر على خور الزبير وهو موقع قديم درجوا على قطع

(١) على حد قول النبهاني يكون تأسيس مدينة الكويت بالاستناد إلى الروايات المحلية في سنة ١٠١٩ هـ، وعلى حسب رواية قاضي عتيقة صالح بن عثمان بن حمد (١٨٦٥-١٩٣٢) يقول في كتابه تاريخ نجد وحوادثها إن تأسيس الكويت كان في عام ١٠٢٢ هـ (١٦١٣ م)، ويظهر لي أن هذين الرجلين يستندان في قوليهما إلى قول الشيخ مبارك الصباح في بيان سلمه للسلطات العثمانية في البصرة سنة ١٩١٣ م بواسطة وكيله هناك عبدالعزيز السالم البدر القناعي وأرسل نسخة منه إلى السلطات البريطانية لحفظ حقوقه كون بلاده تحت الحماية البريطانية واستهل بيانه بعبارة: ((الكويت أرض قفراء نزلها جدنا صباح عام ١٠٢٢ هـ)). راجع (جريدة الوطن بقلم د. ميمونة الصباح العدد ١٠٧٠٣ - ١٧/١١/٢٠٠٥). وباعتقادي أن هذا التاريخ (١٠١٩ هـ ١٦١٠ م) غير دقيق.

وأما الرواية الثانية فتذكر أن تأسيس الكويت كان سنة ١٠٦٠ هـ ١٦٥٠ م، حيث يقول الوهي: هناك من أشار إلى أن الكويت أسست سنة ١٠٦٠ هـ على يد عقيل أحد شيوخ بني خالد من آل حميد. راجع: بنو خالد وعلاقتهم بنجد للوهي ص ٣٥٣.

وقال الوهي ص ٣٥٣: ((يعرف عقيل بأنه عقيل بن عريعر ومن المحتمل أنه عقيل بن غرير حيث ذكر الشملان ص ١٠٢ - الحاتم ص ٨) أنه أخ لبراك ثم نسب كل من عقيل وبراك إلى عريعر، مع أن عريعر المعروف في آل حميد أحد أحفاد محمد شقيق براك، ويبدو أن هذا الخطأ حدث بسبب شهرة عريعر)).

قلت: ربما تكون هذه الرواية صحيحة، ولكن لا يوجد للشيخ براك أخ بهذا الاسم حيث إن المؤرخ ابن بشر ذكر أولاد الشيخ غرير في حوادث سنة ١١١٨ هـ وهم: (براك، ومحمد، وعبيدالله، وعثمان، وهزاع، وشباط). وليس بينهم من اسمه عقيلاً.

إضافة إلى ذلك فإن الكويت كانت موجودة أصلاً باسم القرن وباسم كاظمة قبل هذه التواريخ وقد ذكرنا وفد مدينة القرن الذي ذهب إلى مسقط لتهنئتهم على انتصارهم على البرتغاليين.

ولكن: وجدنا في المصادر أن آل حميد في عهد براك آل غرير اتخذوا من موقع الكويت مقراً صيفياً لحكمهم. والرواية الثالثة تقول إن الكويت تأسست سنة ١١٠٠ هـ وهو قول القناعي: ((تأسست الكويت في هذا العام على يد براك بن غرير)).

وهذه الرواية خطأ لأن براك كان قد توفي قبل سبع سنين من التاريخ المذكور.

(٢) من هنا بدأت الكويت ل الحاتم ص ٩.

(٣) في كتاب «الكويت في الوثائق البريطانية» يرى أن وصول العتوب كان في سنة ١٧٠٠ م و١٧٠١ م. راجع كتاب الكويت تواجه الأطماع للدكتور يعقوب يوسف الغنيم ص ٢٢ وربما يقصد في هذه السنة (١٧٠٠ م) وصول العتوب إلى رأس منطقة الخليج العربي. وعلى الرغم من أن لوريمر يذكر أن بداية تأسيس الكويت كانت في سنة ١٧١٦ م ووافقه على ذلك بونداريفسكي، فإن دكسون يحدد تأسيس الكويت في سنة ١٧١٠ م.

الطريق فيه أمام قوافل البصرة والقرصنة في شط العرب، وعندما تكونت مستوطنة الكويت كان جابر على رأس الجلاهمة وخليفة بن محمد على رأس آل خليفة، فيما ترأس آل الصباح استناداً إلى إحدى الروايات شيخ يدعى سليمان بن أحمد، وقد تمتعوا بنوع من السيطرة السياسية على مختلف فروع القبيلة الأخرى، وقد جاء في مصدر آخر: أن شيخ آل صباح في زمن التأسيس كان يدعى رحيم^(١).

ويذكر لوريمر أن أول ظهور العتوب في الخليج ربما كان (في الكويت التي يبدو أنهم استقروا فيها حوالي عام ١٧١٦م)^(٢).

الشيخ سليمان بن أحمد أول رئيس لآل صباح

قال أبو حاكم: ذكر المستر وarden في مقالته عن العتوب التي دونها في سنة ١٨١٧م أن أول رئيس لآل صباح هو الشيخ سليمان بن أحمد الذي كان يتولى الحكم حوالي سنة ١٧١٦م، ولما كنا لا نجد أي ذكر للشيخ سليمان هذا في الروايات المحلية أو أي مصدر آخر، سوى ما ذكره المستر وarden، كأول حاكم للعتوب من آل صباح، جاز لنا أن نشك في قوله ونميل إلى رواية آل خليفة أو أن نذهب إلى القول بأن حاكم الكويت إنما كان من بني خالد^(٣).

فيما يلي ترجمة نص عبارة المستر وarden كما جاءت في (مختارات بومباي ٢٤ : ٣٦٢): ((حوالي عام ١٧١٦ استولت ثلاث جماعات من قبائل العرب يسمون بني صباح وآل جلاهمة وبني خليفة على موضع في شمال غربي الخليج الفارسي يقال له الكويت. وكانت هذه القبائل مدفوعة إلى عملها ذلك بدافع الطموح الشخصي التي وحدتها لتستولي على ذلك المكان، أما بنو صباح فكانوا يخضعون للشيخ سليمان بن أحمد وبني الجلاهمة لجابر بن عتوبي وبني خليفة لخليفة بن محمد)).

ويقول الأستاذ سعود الجمران: ((صحة نسب خليفة هو خليفة بن محمد بن فيصل آل فاضل حسب الوثائق الموجودة لدي))^(٤).

ويقول أ.د. عبدالله الغنيم أن السيد وarden لم يكن الوحيد الذي أشار إلى عام ١٧١٦م كبداية لحكم آل صباح بل يشاركه عدد من موظفي حكومة بومباي الإنجليز في ص ٢٥ من كتابه تاريخ الكويت الحديث^(٥).

(١) السجل التاريخي للخليج ق. التاريخي م ٤ - لوريمر ص ١٨٢.

(٢) المصدر السابق ق. الجغرافي م ٧ ص ٢٥٤.

(٣) تاريخ الكويت الحديث لأحمد مصطفى أبو حاكم، ذات السلاسل ط ١ / ١٩٨٤م ص ٢٦.

(٤) رحلة عبر الجزيرة العربية للكاتبين سادير تحقيق سعود الجمران ص ٢٠٧.

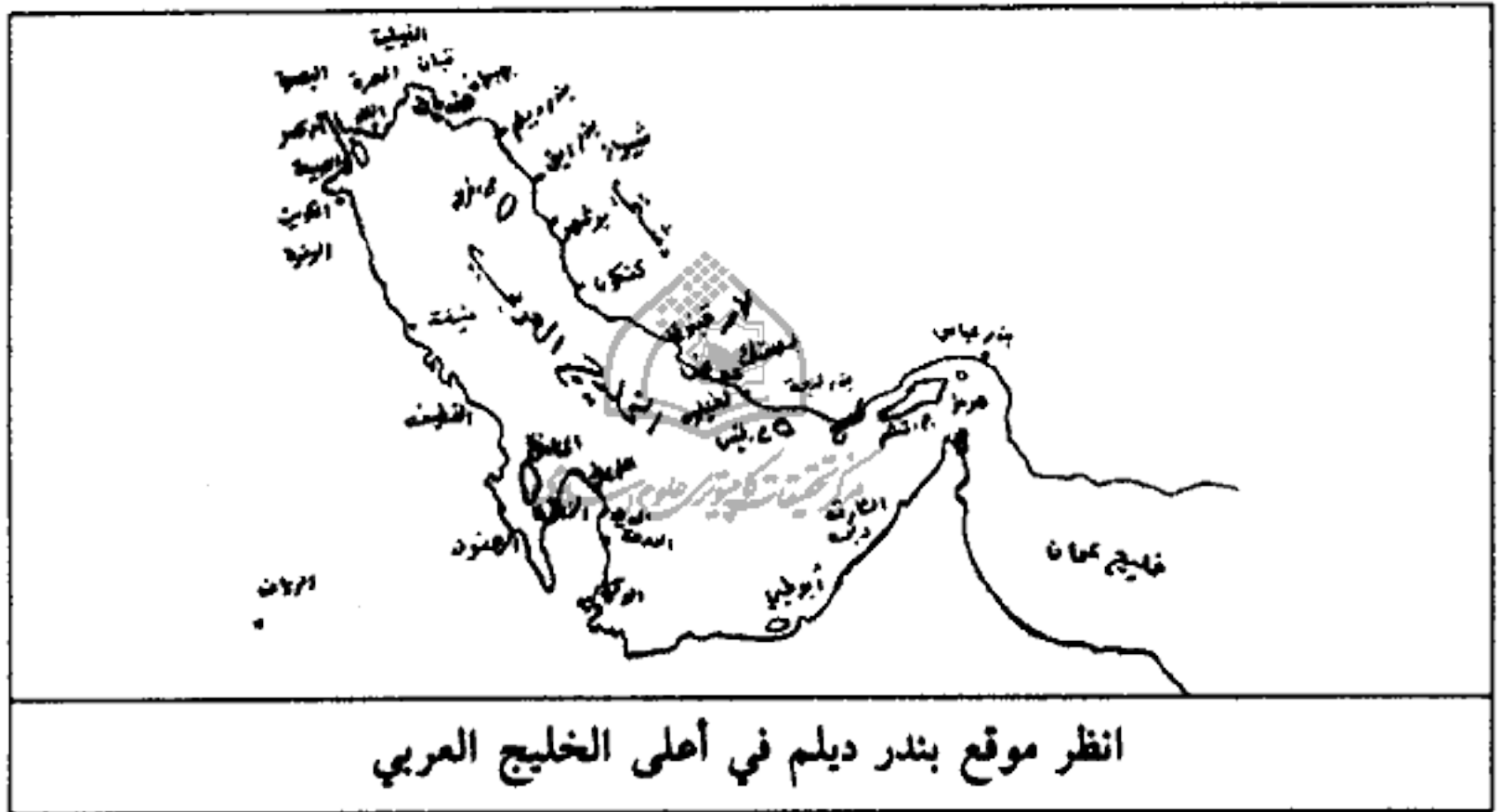
(٥) الكويت.. قراءة في الخرائط التاريخية ل.أ.د. عبدالله يوسف الغنيم ط ٤ / ٢٠٠٦م مركز البحوث والدراسات الكويتية ص ٨.

الشيخ صباح شقيق أول حاكم للكويت

وفي كتاب شؤون الكويت ١٨٩٦-١٩٠٤م الذي ألفه ج. ج. سلدانها قال: ((يتمي شيوخ الكويت إلى أسرة صباح وهم من عرب العتوب، ويبدو أن (رحيم) كان أول من استقر من هذه الأسرة في الكويت، وكان ذلك على الأرجح في أواسط القرن السابع، إذا صدق الكولونيل بيللي في التاريخ الذي يحدده لبده الاستيطان. أما إذا استندنا إلى تقرير الماجور بروكس السابقة الإشارة إليه الفقرة ٤ فلا يبدو أن ذلك قد تحقق قبل عام ١٧١٦م، وكان شقيق أول شيخ يحمل اسم صباح، وهو الذي قام بتحسين المدينة وأرسى أساس الإمارة الحالية، وقد خلفه في حوالي عام ١٧٦٢م ابنه عبدالله الذي استمر في الحكم ما يزيد على ٥٠ سنة...))^(١).

التجمع الرئيسي في الكويت قبل ورود العتوب

قال الدكتور أحمد عبدالعزيز المزيني: ظل العوازم متواجدين في المنطقة حيث انقسموا إلى حاضرة وبادية، فلما هاجر العتوب إلى شمال الخليج واستقروا في القرين (الكويت) كان العوازم يمثلون التجمع الرئيسي في هذه المنطقة^(٢).



(١) التاريخ السياسي للكويت في عهد مبارك الكبير ج.ج. سلدانها د. فتوح عبدالمحسن الغنوش ط ١٩٩٠م ص ٢٧. بعض المصادر التاريخية تذكر أن أول رئيس لآل صباح هو سليمان بن أحمد، وتذكر مصادر أخرى أن أول شيخ للكويت هو رحيم، وتذكر أن الشيخ صباح هو شقيق أول حاكم للكويت، وبناءً على ما سبق يكون صباح شقيق لرحيم، ويمكننا الاستدلال على اسم والدهما من خلال بيت شعر يحفظه العتوب يشير إلى أن والد صباح اسمه جابر، وإن كانت المصادر قربتنا من ربط الشيخ صباح بن جابر بالشيخ ويقال أن رحيم مجرد لقب لرئيسهم لرحمته، إلا أن المصادر لم تبين علاقتهما بالشيخ سليمان بن أحمد أول رئيس لآل صباح.

(٢) الكويت والغزو العفلق ط ١٩٩١م د. أحمد المزيني ص ١٦٧.

(١) صباح الأول^(٥)

بدأ حكمه في سنة ١٧٥٦م وتوفي سنة ١٧٦٢م (ست سنوات تقريباً)

(٢) عبدالله

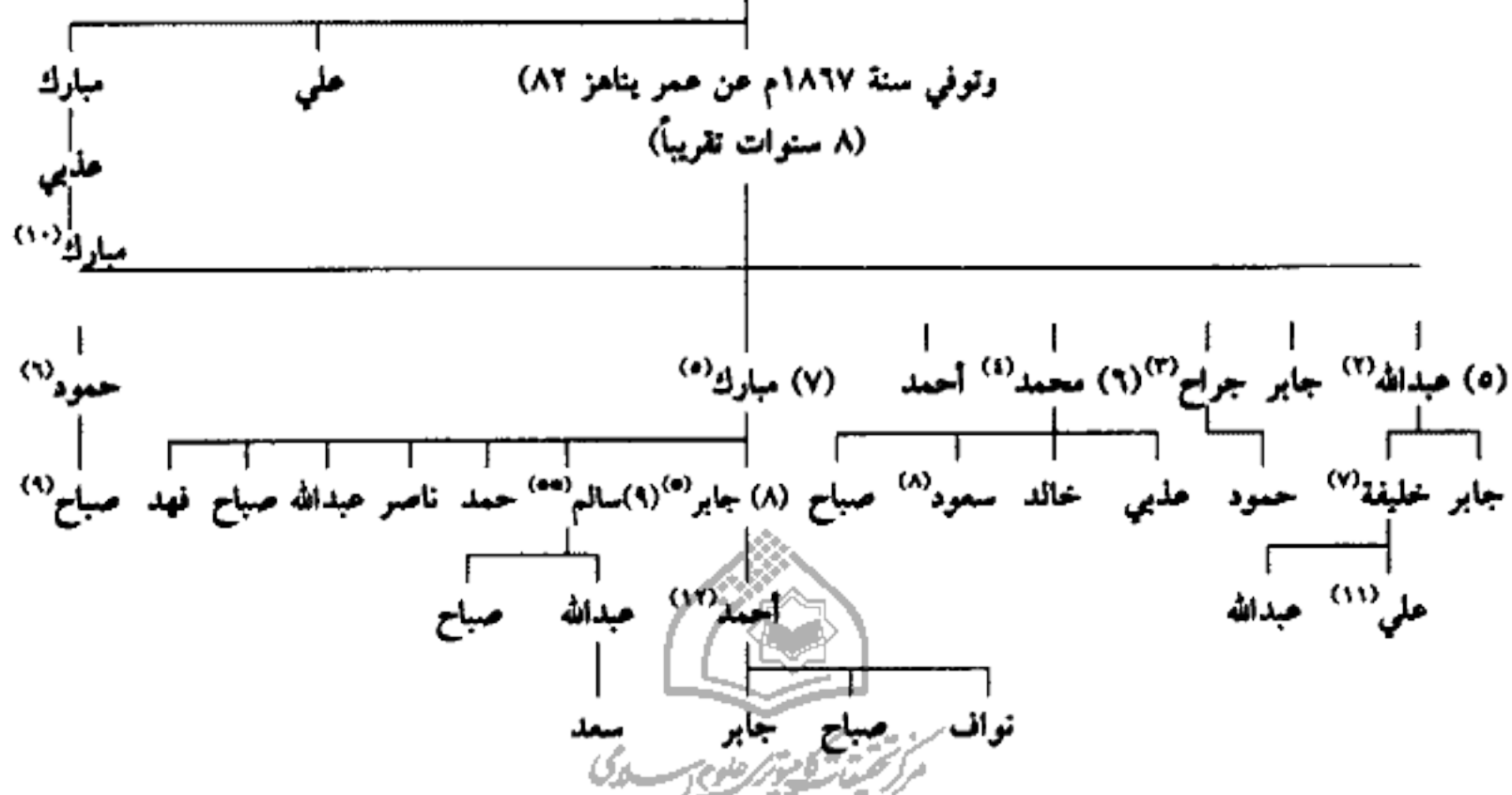
تولى الحكم سنة ١٧٦٢م، وكان هو أصغر إخوته، وتوفي ١٨١٤م (٥٢ عاماً تقريباً)

(٣) جابر العيش

ولد سنة ١٧٥٢م وحكم ١٨١٤م، وتوفي سنة ١٨٥٩م عن عمر يناهز (١٠٧) (٤٥ عاماً تقريباً)

(٤) صباح^(١)

ولد سنة ١٧٨٥م بدأ حكمه سنة ١٨٥٩م،



(*) هذه الشجرة لأسرة آل الصباح لا تشمل إلا من تولى الإمارة منهم أو دخل في تاريخ كتابنا.

(١) تزوج من لؤلؤة ابنة شيخ الزبير محمد الثاقب الذي تولى مشيخة الزبير لأول مرة بعد والده في سنة ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م، ثم استقر لفترة في الكويت، ثم قتل سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٩م وهو شيخاً للزبير، ولؤلؤة هي والدة كل من محمد ومبارك وجراح أبناء الشيخ صباح بن جابر.

(٢) ولد سنة ١٨١٤م، وحكم سنة ١٨٦٦م - وتوفي سنة ١٨٩١م (٢٥ سنة تقريباً).

(٣) ولد سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م. تزوج من منيرة بنت شيخة، وشيخة هي خالة الشيخ يوسف آل إبراهيم، وأم يوسف هي مريم بنت علي بن محمد آل إبراهيم، تزوجت مريم من عبدالله والد الشيخ يوسف، وتزوجت شيخة من الشيخ علي بن جابر بن عبدالله، وله منها ابنتان منيرة التي ذكرناها، وهما زوجة الشيخ محمد الصباح.

(٤) الحاكم السادس للكويت من أسرة آل صباح، تولى الحكم سنة ١٨٩١م وأشرك أخاه جراحاً معه في الحكم.

(٥) الحاكم السابع للكويت تولى الحكم سنة ١٨٩٦م، وفيما قيل هو من مواليد سنة ١٨٣٧م، ولكن الأصح أنه ولد في سنة ١٨٤٤م، وقد نشأ في أحضان جده الشيخ جابر الذي تولى تربيته ورعايته منذ الخامسة من عمره.

(٦) قتل في معركة الصريف.

قيام الكويت كدولة

(١١٣٠هـ) ١٧١٨م في بداية استيطان العتوب للكويت لم تكن الكويت دولة ولكن في هذه السنة تقريباً كما يذكر الدكتور مصطفى النجار: ((اندفع شيوخ الكويت لأن يطلبوا الولاء من الخليفة العثماني عن طريق الوالي العثماني في البصرة، وبذلك قررت الدولة العثمانية سيادة اسمية على الكويت، دون أي تدخل في جانبها في الشؤون المحلية، ويقول لوريمر إن الكويت كان ينظر لها في ذلك الوقت أنها تابعة للبصرة))^(١). ويدل هذا الخبر على أن العتوب أرادوا التخلص من التبعية الخالدية، والاستقلال بحكم الكويت عن طريق التنسيق مع الدولة العثمانية. وبداية تكون الدول يستدعي دائماً الانقلاب على السلطة المحلية.

ولأن النجار قد ذكر في قول سابق له أن الكويت قد ((اتخذها حكام الإحساء من آل غرير كمقر لحكمهم الصيفي)). وبذلك يتضح أن ارتباط الكويت يكون منسجماً مع إمارات الخليج ولواء نجد، أما إذا كان الخليفة العثماني ربطها إدارياً بالبصرة، فهذه الروابط الإدارية نراها دائماً في تغير مستمر وفي هذا الكتاب أمثلة كثيرة على ذلك.

غارة عمانية ناجحة على البحرين

١٧١٨م (١١٣١هـ تقريباً) في هذه السنة: ((قام عرب مسقط بغارة ناجحة على البحرين لكن إخلاء غالبية الجزر وضع نهاية للاحتلال العماني))^(٢)، كما أن عرب مسقط استولوا على بعض الجزر الإيرانية ومنها جزيرة قشم بتحريض من الدولة العثمانية^(٣).

(٧) قتل في معركة الصريف.

(٨) سعود بن محمد الابن الثاني للشيخ محمد بعد شقيقه الشيخ صباح بن محمد، ولد بالكويت سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م، وكان أشقاه معاداة لعمه الشيخ مبارك، وكان أول الخارجين من الكويت بعد مقتل أبيه، ولم يعد بشكل نهائي للكويت إلى أن مات في سنة ١٩٣٣م وسط أملاكه بكونت الزين جنوبي البصرة، ولكنه كان يتردد على الكويت، وقد زوجه الشيخ مبارك من إحدى بناته، ثم أعقبها بابتة الأخرى موزي وهي أم أبناءه عبدالعزيز ويوسف وناصر وفيصل.

(٩) جابر بن مبارك بن صباح ولد سنة ١٨٦٠م.

(١٠) سالم بن مبارك بن صباح ولد في سنة ١٨٧٧م الموافق ١٢٩٥هـ.

(١١) قتل في معركة الصريف مع والده حمود بن صباح.

(١٢) ولد عام ١٨٤٥م، تزوج من سبيكة بنت الشيخ صباح بن جابر بن عبدالله، ومنيرة بنت الشيخ علي بن جابر، أرملة الشيخ جراح، وتوفي سنة ١٩٤١م بالزبير.

(١٣) شارك في معركة حمض.

(١٤) ولد الشيخ أحمد في عام ١٨٨٥م وعندما تولى الإمارة كان عمره ٣٦ عاماً.

(١٥) مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق ٣١٩٨٠م: البصرة أول قاعدة بحرية للتوسع العثماني في الخليج العربي بقلم: د. مصطفى النجار ص ١٠١، عن دكسون في: الكويت وجاراتها وعن لوريمر.

(١٦) السجل التاريخي للخليج ق. التاريخي م. الأول ص ٨٤.

(١٧) إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي ٩٠٦هـ إلى ١١٤٨هـ.

شاه إيران يُعذّ لهجوم على مسقط

١٧١٩م في أوائل هذا العام: أبحر أسطول من جوا إلى كونج بإيعاز من شاه فارس بمعاونة البحرية البرتغالية وذلك للقيام بعملية حربية ضد عرب مسقط وعندما سمع الإمام سلطان بن سيف بذلك أعدّ العدة للمواجهة ولكن القدر لم يمهل حيث توفي في نفس العام^(١).

وفي هذه السنة (١١٣١هـ): وقع قتال آل ظفير وعنزة^(٢). وفيها قضى ابن صويط أرض السبلة^(٣).

ثورة سعود بن محمد على موسى بن ربيعة

١١٣٢هـ في هذه السنة ثار أهل الدرعية وعلى رأسهم سعود بن محمد بن مقرن على موسى بن ربيعة ابن وطبان بعد (٢٥) سنة من إمارته على الدرعية، وخلعوه ونفوه إلى العيينة حيث بقي لاجئاً لدى ابن معمر^(٤).

١١٣٣هـ في هذه السنة ولد عبدالعزيز بن محمد بن سعود^(٥)، وفيها أخذ شمر للجبل^(٦).

مرور حاج الإحساء على العارض

وفي هذه السنة (١١٣٣هـ): ((مر حاج الإحساء على العارض في صفر أميره جبر، ومات على أبي الجفان))^(٧). ويذكر ابن لعبون أن أمير حاج الإحساء الذي مر على العارض في شهر صفر من هذه السنة المذكورة ١١٣٣هـ (١٧٢١م) هو سيف بن جبر^(٨)، وأسأل: هل الاثنان واحد؟ أم أن الثاني ابن للأول وأكمل السير بعد وفاة والده على أبي الجفان؟

إجلاء آل عفالق من الإحساء

١١٣٤هـ (١٧٢١م تقريباً) في هذه السنة: ((أجلوا آل عفالق من الإحساء، وفي آخرها مات منيع بن محمد بن منيع العوسجي، وقضى سعدون في نجد، وصار برد شديد، وجراد كثير))^(٩).

(١) الخليج بلدانه وقبائله - س.ب. مايلز ط٨٣ ص٢١٤.

(٢) ابن ربيعة.

(٣) خزائن التواريخ النجدية ط١ ج١ تاريخ ابن لعبون ص١٤٨.

(٤) تاريخ اليمامة لابن خميس ج٦ ص٦٠.

(٥) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت١٣٤٣هـ ص٩٣.

(٦) تاريخ ابن ربيعة.

(٧) تاريخ الفاخري.

(٨) قوافل الحج المارة بالعارض لراشد بن عساكر ط٢٠٠٥/١ الرياض درة التاج ص٣٥ ابن لعبون، حمد ص١٤٩،

مجموعة التواريخ النجدية الفاخري ص١٢١.

(٩) تاريخ الفاخري.

سقوط الدولة الصفوية مؤقتاً على يد الأفغان

فيما بعد شهر أكتوبر ١٧٢٢م (بداية سنة ١١٣٥هـ تقريباً) انتقلت فارس لفترة حكم الأفغانين السنة^(١)، الذين انتهى تمردهم في قندهار البعيدة إلى نصر أوصل المتمردين إلى أبواب العاصمة أصفهان، وسلم الشاه سلطان حسين عاصمته وتاجه لقائد الأفغان المير محمود^(٢). وكان الأتراك قد زحفوا أيضاً على فارس لكي يتقاسموا الغنيمة مع الأفغان^(٣)، وسقطت بذلك الأسرة الفارسية، وقتل الشاه حسين الصفوي ومعظم أفراد أسرته، وأصبح الأفغان حكام البلاد حتى عام ١٧٣٠م^(٤).

ونعتقد أن هذا الوضع الجديد والتغير في الخارطة الجغرافية والسياسية في العالم ومنها اختفاء الدولة الفارسية الإيرانية تحت الظل الأفغاني سمح بقيام عدة إمارات عربية على سواحل الخليج العربي الشرقية والغربية.

في هذه السنة (١١٣٤هـ): تولى يحيى بن بركات في مكة^(٥)، وفي سنة ١١٣٥هـ تولى حكم مكة الشريف بركات بن يحيى بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن محمد.

وفاة الأمير سعدون بن محمد وصراع آل حميد على الحكم

وفي هذه السنة (١١٣٥هـ): مات الرئيس سعدون بن محمد آل غرير في الجندلية^(٦)، وبعد موته تناوخوا آل حميد للبيعة، فكان (علي وسليمان أشقاء سعدون) معهم بعض بني خالد، و(دجين ومنيع) معهم بعض، وأخذهم علي بن محمد وربط ابني أخيه سعدون (دجين ومنيع) وأخذ الفضول وتولى في بني خالد^(٧).

قال الشيخ العالم منيع بن محمد بن منيع العوسجي الدوسري (ت ١١٣٤هـ) قاضي نادق في مدح الشيخ سعدون:

حمى من ربي هجر إلى ضاحي اللوى إلى خشم رمان إلى النير مجنب
إلى العرض والوادي الحنيفي مشرق إلى الشام من دار آل عمرو حدودها
إلى ما الشعرأ وأقمانها من نجودها وما عن جنوب كل هذا يسودها

(١) السجل التاريخي للخليج القسم التاريخي المجلد الأول ص ٥٩.

(٢) البدو ج ٤ ط ٢ تأليف أوبنهايم ومساعدته تحقيق ماجد شبر ص ٢١.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ط ٢ تأليف فرنر كاسكل ومساعدته تحقيق ماجد شبر ص ٢٨١.

(٤) غزاة في الخليج العربي لهيفاء الربيعي ص ١٠٥.

(٥) خزانة التواريخ النجدية ط ١ ج ١ تاريخ ابن لعبون ص ١٤٩.

(٦) تاريخ الفاخري.

(٧) خزانة التواريخ النجدية ط ١ ج ١ تاريخ ابن لعبون ص ١٥٠.

وفاة قاضي الكويت ابن فيروز

وفيها (١١٣٥هـ - ١٧٢٣م) توفي محمد بن فيروز الذي تولى القضاء في الكويت، وذكرت الدكتورة الشیخة میمنة الصباح أن وفاته كانت في سنة ١٧٢٢م^(١).

حكم الشيخ جبارة الجبري لجزيرة البحرين

(في عام ١٧٢٤م (١١٣٦هـ تقريباً) احتل الشيخ جبارة بن یاسر بن منصور بن خالد بن مهنا الجبري جزيرة البحرين وسكن بها مع عائلته، إلا أن الحكومة المركزية احتلت الجزيرة في عام ١٧٣٧م، وقد أصبح آل جبارة بن یاسر عجماً وتكلموا الفارسية وتشيعوا^(٢)).

هجرة الكثير من بوادي نجد إلى الشمال والشرق

قال ابن عیسی عن أحداث هذه السنة (١١٣٦هـ - ١٧٢٤م): ((عمّ القحط والغلاء الشام واليمن ونجد وهلك جملة من البوادي وغارت الآبار، وجلوا أهل سدير للزبير والبصرة والكويت ولم يبق في العطار إلا ركتين فيهما ماء، وكذلك بلد العودة لم يبق فيها ماء، وجلا كثير من أهل نجد للعراق والحسا في هذه السنة والتي بعدها، وهلك كثير من بوادي حرب والعمارات من عنزة وبني خالد وغيرهم وقال بعض أدباء سدير قصيدة منها:

غدا الناس أثلاث/ فثلث (شريدة) يلاوي صليب البين عاري وجايع
وثلث إلى بطن الشرى دفن (ميت) وثلث إلى الأرياف (جال) وناجع^(٣)

ويذكر ابن ربيعة أن ابن سويط في هذه السنة قبض بين العراق والشام وذكر أن أنعام البادية نفقت، وأن أكثر الناس مات جوعاً، وأن أكثر أهل نجد قد جلا، وذهبوا حرب والعمارات أي هلكوا وهي ((سنة سحي)).

وذكر الفاخري في سنة ١١٣٧هـ أنه ((غلا الزاد في الحرمين حتى لا يوجد ما يباع وأكلت جيف الحمير ومات أكثر حرب وعرب القبلة واشتد المحل والقحط والغلا إلى الغاية ومات كثير من الناس. ثم قال: وفيها نزل الغيث وكثرت السيول والخصب والنبات في كل مكان ولم تزل الشدة والموت من الجوع. وفيها ماتت الزروع في كل بلد وغلا الزاد وأكل الجراد ثمار جميع البلدان إلا ما كم من النخيل.

(١) جريدة الوطن بقلم د. میمنة الصباح العدد ١٠٧٠٣ - ١٧/١١/٢٠٠٥م.

(٢) القوى السياسية في كوت الاحساء - يوسف جعفر ص ٧٦.

(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عیسی ت ١٣٤٣هـ ص ٩٦.

وفاة الأمير سعود بن محمد وإمارة زيد بن مرخان

١١٣٧هـ - ١٧٢٥م وفيها مات سعود بن محمد بن مقرن رئيس الدرعية وتولى فيها زيد بن مرخان^(١)، ولكن مقرن بن محمد أحد أشقاء الزعيم السابق استولى على السلطة من زيد بن مرخان مما اضطر الأخير للخروج من الدرعية^(٢).

وفيها: هزم آل كثير إبراهيم بن عبدالله بن معمر عند الأصيغ وقتلوا عشرين من أتباعه.

إمارة عبدالله بن سعيد ونزوح محسن بن عبدالله ومؤيديه

١١٣٨هـ - ١٧٢٧م في هذه السنة عين عبدالله بن سعيد حاكماً لمكة وبقي في السلطة حتى آخر أيام حياته^(٣)، وفيها: اضطر الشريف محسن بن عبدالله بن أبي نمي والأشراف المناصرون له للنزوح إلى نجد إثر خلافهم مع شريف مكة عبدالله بن سعيد بن زيد^(٤)، الذي استمر حكمه بنجاح نتيجة سيطرته على القبائل وقد قوي هو نفسه بهذه القبائل عندما حقق انتصاراته في اليمامة في وسط الجزيرة العربية حيث معقل قبيلة الظفير التي هزمها ولم ينبج منها أحد إلا بعض الأطفال والنساء^(٥).

وفاة أقوى زعماء نجد وولاية خرفاش

وفي هذه السنة توفي عبدالله بن محمد بن معمر صاحب العينة الذي تذكر المصادر التاريخية بأنه أقوى زعماء نجد على الإطلاق في تلك الفترة خاصة في العارض، وخلفه على السلطة حفيده محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر الملقب بخرفاش.

وذكر ابن بشر أنه في سنة ١١٣٩هـ انتقل عبدالوهاب أبو محمد إلى بلدة حريملاء بعدما مات عبدالله ابن معمر في الوباء المشهور الذي وقع في العينة وأفناها.

مقتل مقرن بن محمد وولاية ابن أخيه محمد بن سعود

١١٣٩هـ قال ابن بشر: قتل مقرن بن محمد بن مقرن صاحب الدرعية، قتله ابن أخيه محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، وذلك أن مقرن بن محمد لما صالح زيد بن مرخان طلب من زيد أن يأتيه لتمام الاستئناس به والثقة، فخاف وقال: لا آتيك حتى يكفل لي محمد بن سعود، ومقرن بن عبدالله بن مقرن، فكفلا له. فأتاه زيد في جماعة، فهم مقرن بقتله، وبانت منه شواهد الغدر، فوثب محمد بن سعود ومقرن

(١) تاريخ الفاخري.

(٢) بنو خالد للوهبي ٢٢٩ المراجع: ابن ربيعة والفاخري وابن بشر وابن عيسى وابن بسام.

(٣) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص ١٨٧.

(٤) ابن بسام، تحفة المشتاق - بنو خالد للوهبي.

(٥) حكام مكة لجيرالد دوغوري ط١/ ص ١٩١ انظر سنة ١١٤٠هـ معركة الساق.

ابن عبدالله على مقرن بن محمد وحملوا عليه فألقى نفسه من فرجة، واختفى في بيت الخلا، فأدركوه وقتلوه وردّوا زيدا إلى مكانه.

مقتل زيد بن مرخان أمير الدرعية وولاية محمد بن سعود عليها

سار زيد بن مرخان صاحب الدرعية بقوة كبيرة من أهل الدرعية إلى العيينة ومعه محمد بن سعود ودغيم بن فايز المليحي رئيس بوادي سبيع وسار معه آل كثير وغيرهم، تحدوهم الرغبة إلى الاستيلاء على ثرواتها بعد أن فقدت قوتها المعنوية بوفاة أميرها عبدالله بن معمر.

فبلغ خبرهم محمد بن حمد بن معمر، وعلم أنه لا ينجيه إلا الخديعة والمكر، فكتب كتاباً إلى زيد فوافاه وهو في عقربا قرب العيينة يقول فيه: (قد بلغ مسيرك وما عزمت عليه وعلمت أنه ما ساقك إلا الطمع وأنت تعلم أننا لسنا طعمة لأول آكل وفي استطاعتنا الدفاع عن أنفسنا وأوطاننا إلى آخر نسمة، ولكن بفضل السلم، وأعلم أنه لم يسوقك إلا الطمع فإذا كان الأمر كذلك فما هي الفائدة التي تعود عليك إن جعلتنا طعمة لتلك البوادي، ولكن أعرض عليك أمراً إن قبلته فهو في صالح الجميع وهو أن تترك البوادي والجنود بموضعهما وتقبل إلي مع بعض خواصك وتفاوض).

فانطلت هذه الحيلة على زيد الذي ذهب إلى ابن معمر، فتلقاهم ابن معمر عند باب القصر وأخذ بيد زيد حتى انتهى إلى الموضع المعد لجلوسه فما استقر فيه حتى استقرت في جوفه رصاصتان كان فيهما حتفه.

فوثب محمد بن سعود ومن معه ودخلوا في موضع من القصر فحاصروا فيه وحصل بينهم مجادلة قتل فيها موسى بن ربيعة أمير الدرعية السابق وكان جالياً عند ابن معمر بعد إخراجهم، ولم يقبلوا النزول من القصر إلا بأمان عمنه الجوهرة بنت عبدالله (١).

علاقة الأفغان بحكام إيران بالاوروبيين

الرئيس الأفغاني الذي حكم إيران بعد إسقاط الأسرة الصفوية حاولت القوى الأجنبية في المنطقة أن تتفاهم معه لتعيد العلاقات والاتفاقيات التجارية التي تربط بينها وبين بلاد فارس إلى حيّز العمل فرحّب الرئيس الأفغاني بالوفد الهولندي وأحسن استقباله، وفي نفس الوقت رفض استقبال رئيس الوكالة الإنجليزية.

وبعد مضي فترة من الوقت اكتشف أن الهولنديين استغلوا ظروف حربه مع الصفويين وأنهم باعوا في فترة الحصار بضائعهم بأعلى الأسعار، فأرسل فوراً مبعوثاً إلى شركة الهند الشرقية الهولندية مطالباً بمبلغ ضخم من المال، وهدد أنه سيقطع رأس مدير الوكالة الهولندية وكافة الموظفين في حالة الرفض، فردّ عليه رئيس الوكالة الهولندية بأن الشركة قوية لدرجة تستطيع الانتقام لموته وأن التهديد لن يخيفهم، فأصر المبعوث الأفغاني على تقديم ٤٠ ألف تومان خلال يومين وهددهم قائلاً: ((إذا لم تدفع فسوف

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٦ ص ٥٣.

ترون كيف أن رؤوسكم مستدلى على ظهوركم))، وأمام هذه القسوة الأفغانية التي عامل بها الأفغانيون الهولنديين اضطر الآخرون أن يدفعوا المبلغ المذكور في موعده بعد أن حطّم الأفغان مبنى الوكالة الهولندية عام ١٧٢٦م / ١١٣٩هـ^(١).

حرب الشريف محسن مع آل حبشي وابن صويط مع دجيني والمتفق

وفي هذه السنة (١١٣٩هـ): ((أخذ الشريف محسن بن عبدالله آل حبشي عند المجمع، ثم تصالحوا وغدر به هو وابن حلاف. وفي آخرها حذر ابن صويط ومعه دجيني ومعه المتفق، وحصروا علي ابن محمد آل غرير في الحسا وقتل بينهم رجال كثيرون، ونهب ابن صويط القرايا، وقتلهم، ثم إنهم صالحوه ورجعوا))^(٢).

وقعة الساقى

١١٤٠هـ في هذه السنة كان مسير الشريف محسن بن عبدالله بن أبي نميّ ومعه تحالف قبلي يضم عدوان وعنزة والحجاز وغيرهم لقتال الظفير والعوازم وبني حسين، فناوخ حمود، وكتعان أخوه، وابن حبشي، وابن حلاف والذين معه من آل سعيد، وآل ظفير على ساقى الخرج المعروف، وأقاموا عليه شهراً متناوخين.

نوخ ابن صويط القرايا ونوخ الشريف ابن حلاف وابن حبشي أقاموا ثلاثين يوماً، وبعد شهر من القتال لم يستطع أحد من الطرفين حسم الأمر لصالحه، عندئذ استنجد الشريف محسن بحاكم الإحساء علي بن محمد آل حميد الخالدي وظهر عليهم علي آل محمد من الحسا بجرود وعسكر كثير وأخذهم جميعهم وانهزم لآل ظفير سبعين فرساً وركاب ودبش، وأخذهم محمد بن فارس راعي منفوحة ثم أخذهم الطيار في العرمة ولا لهم شريدة، وهذه وقعة الساقى المشهورة على صقر بن حلاف والذين معه^(٣).

يقول الوهبي: حين تحدث الرضي (الدولة الحسينية) عن تلك الحادثة لقب الشريف محسن بصاحب نجد وأسهب في وصف شجاعته وقلة عدد قواته بالرغم من قوة خصومه الظفير وبني حسين ومن معهم من القبائل ثم ذكر انتصار الشريف بعد خمسة أسابيع من القتال الضاري، وبالف في وصف ما حل بخصومه من الخسائر، ولم يشر إلى استعانة الشريف بزعيم بني خالد على الإطلاق، بينما لقب ابن بشر الشريف محسن بن عبدالله عند ذكر تلك الحادثة برئيس مكة^(٤).

مطاردة الطيار شيخ عنزة للظفير من العرمة إلى الرياض

بعد الهزيمة التي حلت بالظفير في معركة الساقى تعرضت أيضاً وهي في العارض لهجوم الطيار

(١) غزاة في الخليج العربي لهيفاء الربيعي ص ١٠٦.

(٢) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ١ تاريخ ابن لعبون ص ١٥٣.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٣، وانظر: تاريخ الفاخري، وتاريخ ابن عباد، وبنو خالد للوهبي نقلاً عن ابن بسم.

(٤) بنو خالد للوهبي.

زعيم قبائل عنزة الذي استطاع أن يلحق بها العديد من الخسائر، ولجأت بعض فلولها المنهزمة إلى الرياض، حيث تحصنت فيها، وبالمقابل اتجهت عنزة إلى بلدة منفوحة حيث استمرت المناوشات ويبدو أن الرياض التي كانت في حالة صداقة مع الدرعية ليست على علاقة حسنة ببني خالد، أو على الأقل حلفائهم عنزة إذ ناصرت الظفير عكس منفوحة.

لم تسفر مناوشات منفوحة - الرياض عن نتيجة بل حدث التذمر بين أهالي منفوحة من رجال عنزة فانسحبت عنزة إلى الأحساء حيث تزودت باحتياجاتها من الأطعمة ثم غادرت بصحبة علي بن محمد آل حميد حليفها التقليدي إلى الشمال. ويبدو أن الزعيم الخالدي لم يزل على موقفه من قبيلة الظفير^(١).

نزول أفراد من قبيلة العوازم في منطقة القرىات

بدون تاريخ: يبدو أنه بعد الأحداث التي ألمت بقبيلة العوازم في معركة الساقى جراء وقوفهم إلى جانب قبيلة الظفير في محاربتها لقطبي الحكم في الجزيرة العربية الشرقي والغربي، نزح أفراد منهم بعامل الضغط العسكري باتجاه الشمال حيث نزل بعضهم في جماجم والقرىات، وكان من بينهم عودة العازمي^(٢)، الذي يذكر أحفاده بأنه جاء إلى النبك (القرىات حالياً) قريباً من هذه السنين قادماً من نجد، وذكروا أن قبره رحمه الله معروف بها إلى الآن.

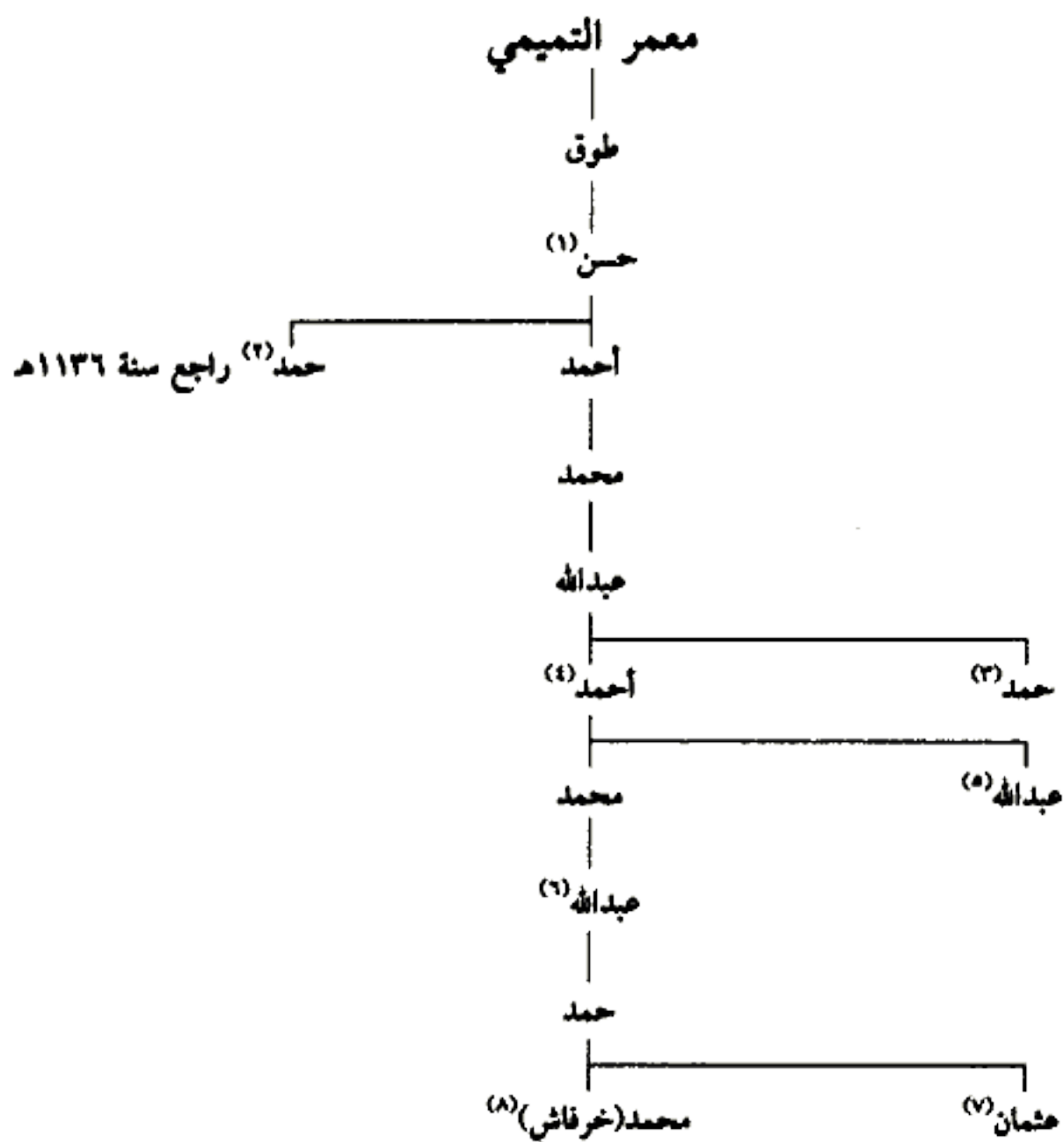
ولاية محمد بن عبدالله بن سعيد على مكة المكرمة

١٧٣٠هـ في هذه السنة توفي حاكم مكة الشريف عبدالله بن سعيد، فتولى الحكم بعده ابنه محمد الذي يبلغ من العمر عشرين عاماً وكان في اليمن حيث يقيم هناك، ولكن عمه وأخاه حاولا ونجحا في محاولتهما في إقناع القاضي كي يعلن محمد خليفة بعد أبيه. ثم تقدم عمه متطوعاً أن يكون وزيراً للحاكم واسمه مسعود بن سعيد^(٣).

(١) بنو خالد وعلاقتهم بنجد لعبدالكريم الوهي.

(٢) عودة هو الجد السابع للشيخ ولما كان العازمي كفيل قبيلة العوازم بمنطقة القرىات، الذي حظي بمقابلة جلالة المغفور له بإذن الله الملك عبدالعزيز السعود في عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) وكان له الفضل بعد الله في أن تكون هجرة جماجم لقبيلة العوازم خاصة، والشيخ ولما كان هو ابن عقلة بن مطلق بن عبدالله بن حمدي بن فريح بن عودة بن عاقل الهدلاني العازمي.

(٣) أحكام مكة ط١/ ص١٩٢.



مركز بحوث التاريخ والعلوم الإسلامية

- (١) ٨٥٠ هـ أجلى العطيان من ملهم، في تحفة المشتاق: توفي سنة ٨٦٥ هـ.
- (٢) لجأ إليه ربيعة بن مانع فاراً من ولده موسى الذي زمنه ٩١٥ تقريباً.
- (٣) ١٠٤٥ هـ باع حريملاء لآل أبي رباح.
- (٤) في سنة ١٠٥٢ هـ أخرج رميزان من أم حمار فذهب رميزان قريباً من القصب بجوار خاله جبر وبدأ بمكاتبة الشريف زيد.
- (٥) ١٠٧٠ - ١٠٩٦ هـ.
- (٦) في سنة ١٠٩٦ هـ تولى العينة. وقد هجاه الشوير. وفي سنة ١١٣٩ هـ هاجمه آل كثير.
- (٧) قتل ١١٦٣-١٧٥٠ ويذكر أنه وقف مع ابن عبدالوهاب.
- (٨) تولى الحكم بعد جده، وفي سنة ١١٤٢ قتل آل نبهان.

مقتل خرفاش شيخ العيينة

وفي هذه السنة (١١٤٢هـ - ١٧٣٠م) قتل خرفاش شيخ العيينة واسمه محمد بن حمد بن عبد الله، قتله آل نبهان من آل كثير، وتولى بعده أخوه عثمان بن حمد^(١).

هجوم امير جلاجل وابن سويط على بلد التويم

١١٤٢هـ في هذه السنة: ((سار راعي جلاجل وشهيل بن صويط والظفير على التويم وأخذوه، وفعلوا به ما فعلوا، والذي قادهم عليه عبدالله بن حمد بن فواز، لأنه جلوي وشيخ التويم يومئذ ابن عمه مفيز بن حسين بن مفيز بن زامل فهرب وتولى عبدالله المذكور))^(٢).

مقتل امير الإحساء ووفاة والي مكة المكرمة

١١٤٣هـ يبدو أن قبيلة الظفير لم تغفر لقبيلة عنزة ذلك الهجوم الذي تعرضت له في العام الفائت في العارض، فقد ((تواقع ابن سويط هو وعنزة على قبة وأخذهم ابن سويط. وفيها قتل سليمان آل محمد ابن أخيه دجين بن سعدون. وفيها: مات عبدالله والي مكة وتولى ابنه محمد))^(٣).

مقتل شيخ الظفير شهيل بن سويط

١١٤٤هـ - ١٧٣١م وفي هذه السنة ثارت عنزة لنفسها من الظفير، وقتلت شهيل بن سلامة بن صويط بعد معركة بينهم^(٤)، ويذكر ابن ربيعة أخذ ابن سويط للسبعان في سنة ١١٤٥هـ، ومناوخته لعنزة وقتله على أيديهم.

مقتل امير الرياض زيد ابي زرعة على يد قبيلة عنزة

١١٤٦هـ قتل زيد أبي زرعة رئيس بلد الرياض على يد قبيلة عنزة في وقعة بينهم هم وأهل الرياض، وتولى في بلد الرياض عبد آل زرعة خميس^(٥)، وفيما مضى علمنا أن الرياض كانت تقف دائماً بصف الظفير ضد عنزة، والظاهر أن قتل أبا زرعة على يد عنزة جاء ثاراً من موقفه المنحاز ضدهم.

(١) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ١ تاريخ ابن لعبون ص ١٥٤.

(٢) تاريخ الفاخري.

(٣) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ١ تاريخ ابن لعبون ص ١٥٥.

(٤) بنو خالد للوهبي ص ٢٢٨.

(٥) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت ١٣٤٣هـ ص ١٠٣.

اتفاق عدة قبائل على الاشتراك في بعض الأراضي

١١٤٦هـ قال الفاخري: ((حصل خطبته من بيان إلى الوشم إلى الدجاني واجتمعوا فيها البوادي بني خالد وعنزة ومطير وعتيبة وسبيع وزعب وبني حسين وذلك أنه قلّ الحياء وصار ما سواها محل)).

التوالي على منصب الإمارة في بني كعب ودخولهم تحت النفوذ الفارسي

في سنة ١١٤٦هـ ١٧٣٣م ثار محمد خان بلوچ وتحت لوائه أعراب تستر والأحواز ونهض الكعبيون بوجهه واتجهوا إلى الدورق، فهبط نادر شاه الأحواز من أجل ذلك وبعث (محمد خان القاجاري) لإخضاع آل كثير وبني كعب فحاصر جيش كعب وأعادها من جديد لحكمه بعد أن ظلت تحت حكم ولاية البصرة ١٤٠ عاماً.

وفي هذه السنة قتل الشيخ فرج الله بن عبدالله (١١٣٥-١١٤٦هـ) الذي كان متولياً إمارة بني كعب، حيث وقع في زمانه حصار (أميان) وكان محاصرههم محمد حسين خان القاجاري وعدد عسكره ثلاثون ألفاً من العجم والأكراد، وذبحوهم كعب وهم يومئذ كانوا في القبان، وقتل فرج الله بنهر عمر، وقد كان فاعز لنمش باشا متسلم البصرة على محمد المانع شيخ المتفج وقلوه، ثم قتل محمد المانع وصارت وقعة كبيرة من الطرفين في سنة ١١٤٧هـ.

ظل الكعبيون ضمن الدولة القاجارية يتظاهرون بالولاء لها إلا أنهم كانوا يساعدون حكام البصرة باسم الجوار.

وبعد أن قتل الشيخ فرج الله، استغل العثمانيون الفرصة لتعيين خليفة له، فحكم طهماز بن خنفر بن ناصر (١١٤٦-١١٥٠هـ) لمدة سنة واحدة، وفي السنة الثانية تشارك مع سلمان وعثمان وقتل طهماز في سنة ١١٥٠هـ وحكم بندر بن طهماز شهرين وقتل، وقتله سلمان وعثمان ووقع في زمانهم حصار البصرة الأولى وهم فزاعة للعجم والسرдал قوجا خان وسلمان أخذ كوت قردلان من أمر العجم في شهر رجب ١١٥٥هـ^(١).

مقتل محمد بن مانع الشيببي وتروؤس ابنه سعدون

في عام ١١٤٧هـ ((قتل الروم (الأتراك) محمد المانع الشيببي^(٢)، وفي عام ١٧٣٧م (١١٤٩-١١٥٠)) أعلن سعدون بن محمد بن مانع رئاسته على المتفق دون أن يستأذن وزير بغداد^(٣).

وقد كانت قبائل المتفق هادئة نوعاً ما منذ عام ١٧٢٩م (١١٤١هـ تقريباً) إلى أن ظهر زعيمهم

(١) تاريخ إمارة كعب، كتاب يعود تاريخه إلى سنة ١٢٧٠هـ حققه علي نعمة الحلو ١٩٦٨م النجف الأشرف ص ١٣، ٣٣.

(٢) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ٣ تاريخ الفاخري ص ٩٥.

(٣) راجع: إمارة المتفق للدكتور حميد السعدون ص ٩٧.

العظيم سعدون، ((وقد عثرنا على اسمه في التواريخ أول مرة في ١٧٣٨م - ٣٩ عند حضوره اجتماعاً للشيخ عقد بدعوة من الكهبة في الحسكة، فسلم كل الشيخ هدية ولطفوا بالحديث، عدا سعدون الذي أوقف وأخذ مخفوراً إلى قلعة بغداد جزاء لطموحه العدائي الذي كان يرمي لسلطنة العرب وعين أحد أقربائه المدعو منيخر. ثم سرح سعدون بعد ذلك ورجع لمشيخته بعد أن أخذت منه التعهدات الشديدة))^(١).

الحملة الإيرانية لاحتلال البحرين بمساعدة المطاريش

ذكرنا أن البحرين في سنة ١٧٢٤م قد خضعت لحكم جبارة الجبري، إلا أنها في سنة ١٧٣٦م تعرضت لحملة إيرانية وجهها إليها نادر شاه مدعومة بالقوات العربية البحرية النازلة على الساحل الفارسي وهم عرب بوشهر من المطاريش^(٢)، ثم عرب الهولة.

ويبدو أن نادر شاه قد أدرك أن حكم البحرين لا يمكن أن يستتب إلا بتولية حاكم عربي عليها وليس فارسي الأصل، ومن هنا جاء تعيين الشيخ (غيث) ثم الشيخ (ناصر آل مذكور) من عرب المطاريش على البحرين.

وقد استمرت سلطة المطاريش على البحرين قائمة منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٧٨٢م حين انتزع العتوب السيادة على البحرين من الإيرانيين، أو بلغة أدق من الذين كانوا يحكمونها باسم شاه إيران وهم عرب المطاريش الذين كانت لهم السيطرة على بوشهر أيضاً والمناطق المجاورة لها^(٣).

((وخلال عام ١٧٣٨م تحالف بنو خالد مع الهولة (وهو تحالف غير مألوف لأعداء تقليديين) للهجوم على البحرين وفشل الهجوم، ولكن الأعمال العدوانية استمرت بين بني خالد والفرس ولم يستطع نادر شاه أن يبعث روح الولاء في رجال قبائل الهولة الذين تولوا أمر أسطولهم))^(٤).

اتفاق محمد بن عبد الوهاب مع ابن معمر

١١٥٠هـ في آخر هذه السنة التجأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عثمان بن معمر التميمي بالعينة، فاتفقا على إقامة الدين وقد تزوج محمد بن عبد الوهاب الجوهرة بنت عبدالله بن معمر أيام عثمان ابن حمد بن معمر.

- (١) أربعة قرون من تاريخ العراق: لونكريك ص ١٥٤.
- (٢) جاء حكم عرب المطاريش للبحرين بعد ثلاثة عشر عاماً من حكم الشيخ الجبري لها. ثم إنه بعد خمس سنين من الاحتلال الفارسي أي في سنة ١٧٤١م هاجر عرب الهولة من البحرين. راجع: (أبو حاكم: محاضرات في شرقي الجزيرة العربية.. ص ١٦٣).
- (٣) أبو حاكم محاضرات في شرقي الجزيرة العربية ص ٤٣.
- (٤) نشأة الكويت تأليف ب.ج. سلوت ص ١١٨.

استيلاء دهام بن دواس على الرياض

كان آل دواس يحكمون بلدة منفوحة، ولكن بحدود سنة ١١٤٣هـ تقريباً توفي دواس بن عبدالله بن شعلان(*) بعد حكم دام خمسين سنة، فتولى الحكم بعده ابنه محمد، الذي ما لبث أن خرج عليه ابن عمه زامل بن فارس بن عبدالله ومعه أهل البلد فقتلوه، وقاموا بنفس الوقت بإجلاء بقية ذرية آل دواس لسوء أثرهم وأعمالهم في أهل البلد وهم دهام بن دواس وإخوانه عبدالله ومشلب وتركي وفهد وسعدون وشعلان، فنزلوا الرياض واستوطنوها وكانوا أصهاراً لأميرها زيد بن موسى آل زرعة^(١).

وكما ذكرنا فإنه في سنة ١١٤٦هـ قتل أمير الرياض زيد بن موسى أبا زرعة، ليتولى الحكم في بلد الرياض خميس مملوك آل أبي زرعة، وكان آل دواس موجودين في الرياض.

ولكن في سنة ١١٥١هـ قام أهل الرياض ومعهم دهام بن دواس في الرياض ضد المملوك خميس بعد أن بدت منه أمور غير مرضية، وتمكنوا من إخراجه من البلد، ثم قال دهام لأهل الرياض: أنا الذي أقوم في الولاية حتى يكبر ابن أختي، فإذا كبر عزلت نفسي، فلما استوثق في الولاية وكثرت أعوانه أخرج ولد زيد بن أبي زرعة من الرياض واستولى عليها^(٢).

خروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من نجد إلى البصرة

١١٥٣هـ: قال في لمع الشهاب ((خرج محمد بن عبدالوهاب من أرض نجد قاصداً البصرة فحين دخلها أخفى أمره مما هو فيه من العلم وتلبس بثياب العبادلة وجلس في مسجد محلة المجموعة مع أبناء السبيل يترزق من الناس شيئاً يمونه وقيل إن بعض من أهل نجد صادفه فعرفوه فأنكرهم لما سألوه عن حاله ومنزله وكانوا يتحدثون فيه في مجالس أهل البصرة فرفعوا خبره إلى الحاكم عمر آغا فأخذ يتحدث معه ويبيدي له محبة وإكراماً فرآه رجلاً فهيماً عاقلاً فهبأ له مكاناً ومؤنة ورغب كثيراً من أهل البصرة بصحبته حتى قيل إنه من شدة ازدحام الناس عليه كان يتصب له كرسي فوق الجماعة تحديق به)).

ثورة المنتفق ومقتل الأمير سعدون الشبيب

١٧٣٩م (١١٥٣هـ تقريباً) قاد الأمير سعدون قبيلة المنتفق في ثورة عارمة خلخلت نظام الدولة مجدداً وطرحت فكرة الاستقلال بعد أن التفت حول المنتفق العديد من العشائر والقبائل من خارج اتحادها

(*) يذكر المصدر الذي نقلنا عنه هذا الخبر وهو تاريخ اليمامة لابن خميس أن دواس بن عبدالله قتل سنة ١١٥٣هـ، وأن بقية ذريته بعد ذلك ذهبوا إلى الرياض لاجئين عند أميرها زيد بن موسى أبا زرعة، والمعروف أن زيد هذا قتل سنة ١١٤٦هـ، كما أن المصادر تذكر استيلاء دهام بن دواس على حكم الرياض في سنة ١١٥١هـ، لذا أظن أن حادثة مقتل دواس ولجوء بقية ذريته إلى الرياض كان في سنة ١١٤٣هـ وليس في سنة ١١٥٣هـ والله أعلم.

(١) تاريخ اليمامة لابن خميس ج ٦ ص ٥٥ نقله عن تاريخ مقبل الذكير.

(٢) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ص ١٠٤.

القبائلي فغدت ثورة واسعة لم تقتصر آثارها عند حدود ديرة المتفق^(١)، وفي السنة التالية ١١٥٤هـ تمكن الأتراك من المتفق وقتلوا رئيسهم سعدون بن محمد المانع الشيب^(٢).

في عام ١٧٣٨م غزا نادر شاه بقواته البحرية عمان مستغلاً الطلب الذي قدّمه إمام عمان (سيف بن سلطان) ضد منافسيه، ولم يتردد الهولنديون في تقديم المساعدة عندما طلبها منهم نادر شاه عام ١٧٣٩م - ١٧٤٠م في القضاء على ثورة البحارة العرب الذين منعهم شعورهم القومي وانتمائهم العربي من محاربة أبناء جلدتهم رغم خضوعهم للسيطرة الفارسية وعملهم تحت راية أسطول نادر شاه^(٣).

بداية دولة البوسعيد في عمان

بدأ الحكم البوسعيدي الذي يعود إلى أحمد بن سعيد^(*) في مسقط وعمان في عام ١١٥٤هـ - ١٧٤١م خلفاً لحكم اليعاربة^(٤).

ومع بداية دولته ظهرت قوتان سياسيتان جديدتان على ساحل عمان استقلتا عن الدولة، الأولى قوة بحرية تتألف من حلف قبائل يتزعمهم القواسم، وكان مقرهم رأس الخيمة ويمتد نفوذهم على الساحل حتى الشارقة.

والثانية قوة برية تتألف من قبيلة بني ياس وحلفائها من القبائل ويتزعمهم آل نهيان ومقرهم الظفرة ومدينة أبو ظبي ويمتد نفوذهم على طول ساحل عمان من دبي حتى حدود قطر^(٥).

وقد اختلف كثيراً في المقر الأول الذي هاجرت منه قبيلة القواسم إلى ساحل عمان، وهذا بعض ما قيل في نسب قبيلة القواسم^(٦):

قالت تقارير حكومة بومباي إنهم عرب من نجد عاشوا في الصير كقبيلة مستقلة.

وذكر مايلز أن القواسم من عرب ساحل إيران وأن مقرهم من جمبرون (بندر عباس) حتى رأس بردستان مطر.

ويتفق رأي مايلز إلى حد ما مع رأي الطبيب الإيطالي موريزي الذي عمل في خدمة حاكم مسقط أوائل القرن التاسع عشر إذ قال إن القواسم عرب رحل يعيش بعضهم على ساحل إيران.

(١) راجع: إمارة المتفق للدكتور حميد السعدون ص ١٠١.

(٢) خزائن التواريخ النجدية ط ١ ج ٣ تاريخ الفاخري ص ٩٦.

(٣) غزاة في الخليج العربي لهيفاء الربيعي ص ١١٠.

(٤) أبوحاكمة: محاضرات في شرقي الجزيرة العربية.

(٥) إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى د. محمد مرسي عبدالله القاهرة ١٩٧٨ المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٩٠.

(٦) راجع: (إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى د. محمد مرسي عبدالله القاهرة ١٩٧٨ المكتب المصري الحديث ج ١ ص ٩٠).

أما لوريمر فقد ذكر ان القواسم ينسبون أنفسهم للأشراف في الحجاز.

قال المؤرخ العماني ابن رزيق كاتب سيرة البوسعيد أثناء عدائهم مع القواسم، وهو يسرد الصراع بين محمد بن ناصر الغافري وخلف بن مبارك الهنائي: «ووصل رحمة بن مطر الهولي بقوة خمسة آلاف من بدو وحضر، وفيهم من لا يعرف العربية ولا يعرف صديقاً من عدو».

بينما يرجعهم الشيخ سالم بن حمود السيابي إلى القائد العربي قاسم بن شعوة المزني الذي أرسله الحجاج عامل بني أمية إلى عمان لإخضاعها: «القواسم في عمان هم من نسل القاسم بن شعوة المذكور وانتشروا في عمان خصوصاً في سواحلها ولعلمهم اتخذوا الجصة متفائلين بها في ذلك العهد ومنهم زعماء الشارقة ورأس الخيمة وتوابعها».

رحيل محمد بن عبد الوهاب من البصرة إلى بغداد

١١٥٥هـ وفيها سار محمد بن عبد الوهاب من البصرة إلى بغداد متخفياً لم يعلم به أحد، وتزوج منهم امرأة ذات مال وجمال، فلبث عندهم (٣ سنوات)، وقد ماتت زوجته، فقبل إنه ورث منها مقدار (٢٠٠٠ دينار)، (يقول مؤلف كتاب لمع الشهاب) إنه من عجب أمره أنه كان يغير اسمه في كل بلد ويتخذ التورية والإبهام.

حصار طهماز شاه للبصرة وبغداد ونهبه للكويت

١١٥٥هـ وفيها سار طهماز شاه إلى البصرة وحاصرها الحصار المشهور، وحاصر بغداد ونهب الكويت^(١)، وشارك زعيم كعب الشيخ سلمان البوتاسر في الحصار الذي فرضه الفرس على البصرة^(٢)، وابن عباد يجعل هذا الخبر في حوادث سنة ١١٥٦هـ.

وفي هذه السنة كان أول ذكر غربي للعتوب وهي سنة ١٧٤٢م (١١٥٥هـ) حيث أشار القنصل الفرنسي في البصرة جا أوتر إلى اسمهم دون ذكر لموقعهم في نصه التالي:

«قام العرب الهولة وبنو العتوب بثورة ضد تاماس خان (نادر شاه)، فبناء على أوامر منه أخذت قواربهم لمهمة سرية وجهزت سبع سفن لهذا الغرض، وقد عامل مير علي خان الذي تولى قيادة الأسطول العرب بغلظة فقتلوه واستولوا على بعض سفنه وهربوا».

وفي موضع آخر من كتاب أوتر ترد إشارة قصيرة إلى أن العتوب بالاشتراك مع رجال قبائل الهولة في منطقة الخليج ذهبوا إلى البصرة لبيع اللؤلؤ هناك^(٣).

(١) تاريخ الفخري، وابن عباد.

(٢) البدو ج ٤ ط ٢ تأليف أوبنهايم ومساعدية ص ٨٥.

(٣) نشأة الكويت تأليف ب.ج، سلوت ص ١١٩.

اكتيال الظفير من البصرة وإقامتهم في ناحية العراق

في سنة ١١٥٦هـ ارتحل الظفير من نجد واكتالوا من البصرة، وأقاموا في ناحية العراق، وفي السنة التي تلتها أخذوا قوافل عنزة على رماح وقتل عدة رجال.

خروج الشيخ من العيينة إلى الدرعية

بعد أن اكتسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعارف والعلوم وبدأ بنشر أفكاره وتطبيقها على أرض الواقع واختار العيينة لتكون نقطة الانطلاقة لحركته التصحيحية، جاءت النذر من أمير الإحساء الذي أمر بإخراجه، فيقول المؤرخ حسن الشيخ خزعل: وما كاد يتشر الخبر عما طلبه أمير الإحساء حتى سمع به سليمان بن شامس العنيزي رئيس القبائل البدوية القاطنة في أطراف العيينة فاغتنم هذه الفرصة وأرسل إلى كبار أهل العيينة من تميم وغيرهم يحذرهم من متابعة الشيخ وينصحهم بإخراجه من مدينتهم ويتهددهم بغزو المدينة إذا لم ينصاعوا لنصحه ومما جاء بتهديده (إن هذا الأمر حدث عندكم وقد أخرجه العالم منكم فإياكم ومتابعته ولا تجعلوا له مسكناً ولا مأوى في بلدكم فإن بلغني عنكم إيواؤه وإكرامه لأركبن عليكم بفرسان ورجال ولأجولن عليكم بعنزة كلها)، وقال بقية أهل العيينة لبعض: (يجب علينا الامتثال لوصية سليمان بن شامس فإن عنزة قوم ذو حرب وصولة ونحن لا نبلغ معاشرهم لا رجالاً ولا مالا وإن ما دعانا إليه سليمان حق). فخرج الشيخ وكان ذلك عام ١١٥٨هـ - ١٧٤٥م^(١).

طلب الأمير عثمان بن معمر من الشيخ محمد بن عبد الوهاب مغادرة العيينة بعد أن تعرض لضغوط داخلية وخارجية، فأركبه مع الفارس الفريد الظفيري وخيالة مقدمهم طوالة الحمراني وأمرهم بإيصاله إلى ما يريد^(٢)، فاختار الشيخ الدرعية وتوجه إليها حيث فيها أعوان وأنصار. ونزل هنالك ضيفاً على تلميذه أحمد بن سويلم العريني، وسرعان ما وصل خبره إلى أمير الدرعية^(*) محمد بن سعود عن طريق أخويه

مركز تحقيق التراث

(١) تاريخ الجزيرة العربية لحسن خلف الشيخ خزعل.

(٢) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت ١٣٤٣هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج ٣ ص ٦٤٩.

(*) عن ملخص مسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بدايته الدراسية إلى أن استقر عند ابن سعود تأتي على ما قاله سليمان فائق بك في مرآة الزوراء: ((هبط على (دمشق) رجل يسمى عبد الوهاب، وأخذ يدرس العلوم الدينية على المذهب الحنبلي، وبسبب بعض اعتراضاته الغريبة على شيخه، مفتي الحنابلة، فقد نفر منه الشيخ المذكور، ومنعه من الحضور لمجلسه، أو تلقي الدرس عنده. وعندئذ توجه نحو (نابلس) وهناك أيضاً تعرض لكراهية العلماء، ونفروا منه لتطرفه، فولى وجهه تلقاه (بغداد)، ومنها سافر إلى قرية (الشفافية) التابعة لقائمقامية الديوانية. وبما أن سكان هذه من الذين يقلدون علماء الشيعة ويتعصبون لهذا المذهب، وأن سلوكه وتصرفاته ونظرياته تختلف تماماً عن تعاليم هذه الطائفة، فقد أجمعوا على قتله والتخلص من البدع التي حاول بثها بينهم ولكنه فر من بين أيديهم وسافر إلى (البصرة)، ولما أعياه الاستقرار هناك أيضاً، اتخذ طريقه إلى (نجد).

وفي نجد بالنظر للجهل الضارب أطنابه على سكانها، فقد آووه والتمسوا من أحد أمرائهم أن يكون في عونهم، إلا أن الأمير المذكور لم يوافق على بقاءه بينهم، فالتجأ إلى شيخ إحدى قرى الدرعية المسماة (جزعة) وهي تتكون من =

مشاري وثنيان وزوجته موزي بنت أبي رهطان التي طلبت من الأمير محمد بن سعود أن يقدر هذا الكنز الذي ساقته إليه العناية الإلهية^(١)، فقام بعض أهل الدرعية بزيارته خفية فقرأ لهم التوحيد فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود فهابوا وأبوا فتم تبليغه عن طريق زوجته وأخيه^(٢).

قال صاحب كتاب لمع الشهاب: أتوا الوادي وهي قرية لمحمد بن سعود وكان جملة من فيه من السكنى (٧٠ بيتاً) وهو الموضع الذي يسمى الآن الدرعية فجاء إليه محمد بن سعود فصافحه وقال هذه القرية قريرتك فقال له: أريد منك عهداً على أنك تجاهد في هذا الدين والرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك والمشيمة والخلافة في الدين في وفي آلي من بعدي أبداً، بحيث لا ينقض أمر ولا يقع صلح إلا ما نراه كذلك.

أول الغزوات السعودية

أورد ابن بشر ذكر أول غزوة قام بها رجال الدرعية على إثر قيام الدعوة فيها فقال ((فأول جيش غزا سبع ركائب فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها سقطوا من أوكارها لأنهم لم يعتادوا ركوبها))^(٣).

ابن سويط يأخذ بريدة وآل شماس يغدرون بالهميلي

١١٥٨ هـ فيها: أخذ ابن سويط بريدة، وغدروا آل شماس في الهميلي^(٤)، والهميلي بن سابق من آل شماس، وآل شماس من الوداعين من الدواسر^(٥).

مقتل دباس أبي محمد

وفي هذه السنة (١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م) قتل دباس وحمد بن سرحان قتلهم علي بن علي^(٦). ويذكر ابن

= أربعين بيتاً تقريباً، وهذا الشيخ هو الشيخ محمد السعود، فقد أجاره وسمح له بالإقامة في قريته على شرط أن يعلم سكان نجد أمور دينهم ومذهبهم)). راجع: مرآة الزوراء في تاريخ بغداد لسليمان فاتق بك ألفه ١٢٧٧ هـ تعريب موسى كاظم نورس ص ١٥٢.

(١) إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى د. محمد مرسي عبدالله القاهرة ١٩٧٨ المكتب المصري الحديث ج ١ ص ١١٣.

(٢) تاريخ ابن عيسى للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ت ١٣٤٣ هـ دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عبدالعزيز البسام ج ٣ ص ٦٤٩.

(٣) انظر عنوان المجد ج ١ ص ٤٥ - ٤٦.

(٤) تاريخ الفاخري.

(٥) د. عبدالله الشبل محقق كتاب الأخبار النجدية تأليف الفاخري في هامش ص ١٠٥.

(٦) تاريخ الفاخري.

لعبون مقتله في حوادث سنة ١١٦٠هـ: ويسميه ((دباس الدوسري رئيس بلد العودة في سدير))^(١)، وذكر هذا الخبر أيضاً في مصدر ثالث في حوادث سنة ١١٦٣هـ.

ويرجح أن دباس هذا هو صاحب القصة والقصيدة المشهورة، الذي توضح القصيدة أنه غادر عائلته لكسب الرزق وهو في الثانية عشرة من عمره، وظل يعمل في البصرة فداوياً لبعض أمرائها، وبعد عدة سنوات من غيابه، شعر والده الكبير في السن بالعجز أمام تحرشات بعض أقاربه به وكثرة اعتداءاتهم عليه ولم يكن له سند على الدنيا وشذائدها فيما يتذكر إلا الله سبحانه ثم ابنه دباس الذي غادره منذ ثمانية أعوام ويبلغ الآن من العمر عشرين عاماً فكتب له هذه القصيدة وأرسلها إليه في البصرة:

يا وثئ ونيتها من خوى الرأس	من لا هب بالكبد مثل السعيره
ونين من رجله غدت تقل مقواس	يون تالي الليل يشكي الجبيرة
ويأمل قلب مل بن بمحماس	ويا هشم حالي هشمها بالنجيرة
ويا وجد حالي يا ملا وجد غراس	يوم أثمرت وأشفا صفا عنه بيره
على ثمر قلبي سري هجمعه الناس	متنحر درب عسى فيه خيره
الله يفكه من بلا سو الإتعاس	ومن شر عبثات الليالي يجيره
في ديرة تقطعت عنه الأرماس	سبعين ^(٢) يوم للركايب مسيره
لا والله إلا حال مسن دونه اليأس	حط البحر والبر دون الجزيره
يا الله ياللي رد من عقب ماياس	يوسف على يعقوب وأبصر نظيره
ترد على دباس يا محصي الناس	يا عالم ما بالخفا والسريه
يا دباس أنا باوصيك عن درب الأدناس	تري الذي مثلك يناظر مسيره
عليك بالتقوى ترى العز يا دباس	في طاعة اللي ما ينجيك غيره
هاذي ثمان سنين من رحت يا دباس	لا إرماله جتني ولا من بريه
يا دباس من عقبك ترا البال منحاس	وعليك دمع العين حرق نظيره
عليك كنى في دجا الليل حراس	أصبح على حيلي وعيني سهيره
أصبح أنا ما بين طارئ وهو جاس	وطواري تطرى علينا كثيره
مثل الوحش قلبي على كف حباس	يكفخ كما طير أسبوقه قصيره
متحير من عيلة البيت يا دباس	أرجى ثواب الله وأخشى المعيره
أخاف من حكي العدا ثم الأنجاس	أهل الحكايا الطايلة والقصيره

(١) خزانة التواريخ النجدية ط ١ ج ١ تاريخ ابن لعبون ص ١٥٧.

(٢) مسافة سبعين يوم مبالغ فيها ونظن أن دخيلة على النص الأصلي وأن المسافة التي ذكرها أقصر مما ذكر بكثير، فلو فرضنا أن المركوبة تقطع في اليوم مرحلة، والمرحلة ٨٣ كيلو متر فإن ذلك يعني أن مسير السبعين يوماً هو ٥٨١٠ كيلو متر.

يقال خلا عيلته وعنز الرأس
والا فانا يا أبوك قطاع الأرماس
أصلك لو دونك نبا حمر الأطعاس
مهالك مدارك ما بها أوناس
لو كنت في نزوا وديرة بني ياس
عبادة الأصنام شرابة الكاس
لا ركب على وجنا من الهجن عرماس
مشرومة الفخذين مزبورة الرأس
أو شبه ربد أتخفق للأوناس
أنشر من العودة على نور للأنفاس
والعصر بالصمان تسمع لها أهراس
نهار ثالث بين حما والأوراس
ثم على ساجية تقلب الرأس
إلى مسقط الفيحاء بها الخير محتاس
عز الله أنها ديرة ما لها أجناس
لولا بها يشرك علي وعباس
فيها الطبيع وراهي الخبز يا دباس
هي ديرة اللي باغي كيفية الرأس
هيس ولد هيس للأصحاف لحاس
وذا ما قفك يا أدباس ما فيه نوماس
تري الفذاوي دون وأنشد الناس
ما له سوى طق الحنك منه والياس
طلب المعيشة بالحرارة والأغراس
قم انهض العيرت مع كل فراس
جذك وعمانك هل العزم والبأس
يا دباس ما يصبر على البق والحاس
واليوم يا مروى شبا كل عباس
عشرين عام كلها أرجيك يا دباس

أقفا وخلا عيلة له صفبيره
ما نيب مثبور ورجلي كسبيره
الصلب والصمان ما هي عسيره
إلا الثعل واليوم تسمع صفبيره
أهل الموازي والوجوه الغبيره
الخمر والتنباك فيها وغبيره
فجا النحر يا أدباس حمرا ظهيره
كن الخلاص أعيونها يوم أديره
رفعت جناحاتها مستذيره
عند الفجر والليل مقفى مريره
حبل الرسن خطر تبتتر جريره
واره يمينك جعلها لك سفيره
تمشي بأهلها في البحور الغزيره
لولا الكفر والشرك واوي ديره
لولا بها يعبد مع الله غيره
وأيضاً بها الفاروق سبه بريره
يقعد خوى الرأس خنة خميره
ولاله أحد همه من الناس غيره
يفرح ليا نيدى لذبح النحيره
يصلح لفان مهنته طق زيره
راعيه ما يذكر بمدح وغيره
والي انقطع خرجة فلا له ذخيره
المشتري والبيع يوصف وغيره
يا أدباس دور خير تستشيره
أهل المواجه مكملين القصيره
إلا الذي ما له بنجد عشيره
أنت الرجا يا أكمام وجه المغيره
مثل الغرير اللي تولع بطيره

عدل المناكب هيلعي فرخ قرناس
عائق خلوج روجت عقب مرواس
والليل جاء وحال من دونه البأس
يا دباس أنا يا بوك ما نيب بلاس
جنبت عرض السوق وأمشي مع الساس
يا دباس لو جمعت من ذهب الأكياس
مالي بها يا جعلها بألف قباس
يا دباس قلبي كل ماهب نسناس
والحال يا فرز الوغى مسها البأس
واغصون قلبي يا فتى الجود يباس
من شافني يقول ذا فيه لساس
لا وعلى من قبل غوال الأنفاس
عسى يطق الباب والناس غطاس
وصلاة ربي عد ما هب نسناس

يمناه في لطم الحبارى شطيره
عند العصير لبيضها مستذيره
وروحه على فرقاه فرت فريره
مير إن عيلات الرفاقه كثيره
وأخذ شوى الحق وأترك كثيره
مختلفة ما بيسن زر ونيره
أو جعلها تذهب ولو هي كثيره
شرقية هبت بقلبي سميره
عليك يا نطاح وجه المغيره
غاد أنا يا أبوك كني هشيره
واللي برا حالي إلهي خبيره
وامفارق الدنيا يجينا بشيره
يا والي القدرة عليك اتعبيره
على النبي عدة حقوق المطيره

وبعد وصول هذه القصيدة إلى ابنه دباس وإطلاعه عليها أسف على تفريطه وتهاونه في حق والده
فأجابه بهذه القصيدة حيث أخبره فيها بعزمه على التوجه إليه .

حي الجواب إلي لفنا من الرأس
أهلا هلابه عد ما حبك قرطاس
جواب منهو لسي مود من الناس
فرز الوغي كنه على الوكر قرناس
دليل عيرات إلى هب نسناس
مهفي الغم الأهل الركاب والأفراس
راعي معاميل بها العبد جلاس
هذي بمركاها وهذي بمحماس
وأخلاف ذا يا راكب فوق عرماس
حمرا وهي في سننها وقم الأسداس
ما هي لحوج راكبة بالمعضا قاس
والخرج هو وابيوت قيل بقرطاس

جابه غلام ما تونا مسيره
وما كتب فوقه من بيوت شطيره
أبوي ما يوصف حلى لغيره
أقروم ربعه كلها تستشيره
ثم أدلهم السجو وما به ذخيره
لا روحوا له لا عليهم قصيره
للبن بشرى بالسنيين العسيره
وهذا يصبه للوجيه السفيره
مأمونه من نقوت الهجن عيره
متوسط لا فاطر ولا هي صفيره
حرم عليها غير شيل النجيره
مع مزهب الأيام ما هي كثيره

وفوقه أغلام منوته قطع الأرماس
والي لفيت الدار فاجهر بالإحساس
واختص أبوي إلي نفل جملة الناس
لا يانجي المعرض يا بوي لابس
ومن سايلك عني تراني بنوماس
المدح لو يشرى شريناه بأكياس
مطرق إفرنج مضاريبه الرأس
من صنع نصراني مشروبه الكأس
أبغيه للي حادينك على الساس
ربع نووا فيك الردا والتخساس
على دين لودع الجمع بنحاس
يا أبوي أنا ما رحت لكيفت الرأس
أن ماسكنا الدار من غير هوجاس
كله العيننا كلمة قلت يا دباس
خذلك يمين الشرع قطاع الأنفاس
لا نيب جاني منك حبر بقرطاس
إن كان تشكي الضيم يا بوي لا بأس
ولا فنا يا بوي قطاع الأرماس
يا مسندي يا بوي شوف أوكد الناس
إن كان ما يفرح صديقك ابنوماس
مدلول مجهول زها زين الألباس
طار يقول اظهر وطار بجلاس
أبغى عسى الله يبرد القلب يا ناس

لو هو بليل ما تغير نظيره
وبلغ سلامي كل ذيك العشيره
وخصه بعلم وقل تراني بشيره
إن كان تشكي الضيم فأنا أسيره
وأنا أحمد اللي ما توصلت غيره
بأموالنا نرخص ندور الستيره
ومصلبخ جبتة عساني ذخيره
تذكر وراء جاوه بعيد مسيره
أهل النمايم والحكايا الكثيره
مهبول يا من قال غايب عشيره
لين العشير أيقوم يلعن عشيره
مع ذا ولاني في سفاه أو غيره
ولا نعا ف الدار ونودور غيره
تشكي وأنا دوني ابحور غزيره
إنه فلا جتني اعلوم بصيره
أبغى ولا جتني اعلوم سفيره
جاك الفرج يا أبوي هو والبريره
اصبر على الشدة ولو هي عسيره
ثم أنشده قل ويش هو في مسيره
تحرم علينا اللي نهوده صغيره
بنت الذي يثني اليا جت كسيره
قمت أشرب التنباك وأثره نكيره
من لاهب شبت بقلبي سعيره

هجوم دهم بن دواس على منفوحة

وفيها (١١٥٩هـ): ((سطا دهم بن دواس في منفوحة ومعه الصمدة من الظفير، وحصل بينه وبين أهل منفوحة قتال، قتل فيه عدة رجال من الفريقين ورجع إلى الرياض))^(١)، ومن المعروف أن منفوحة

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لإبراهيم بن عيسى ت ١٣٤٣ هـ ص ١٠٧.

كانت في السابق تحت حكم دواس والد دهام، إلى أن تمكن ابن عمهم زامل بن فارس بن عبدالله من إخراجهم والاستيلاء على منفوحة.

المحاربة بين محمد بن سعود ودهام بن دواس

وفيها (١١٥٩هـ - ١٧٤٦م): وقعت المحاربة بين محمد بن سعود ودهام بن دواس وكان مع دهام الصمدة، وذكر كتاب لمع الشهاب أن الحرب قامت واستمرت بينهما (٢٨ سنة)، ولم يقع في هذه المدة صلح إلا ثلاث مرات، كل مرة سنة ودهام بن دواس شيخ اليمامة المسمى بحجر اليمامة سابق الأيام كره استقامة الأمر لمحمد بن سعود بواسطة بدعة محمد بن عبدالوهاب حيث كان قبل هذا يكره محمد بن سعود ويريد ذله لأن أهل الدرعية برأيه أشر أهل نجد في طرق الحيل والخداعات.

وقعة دقلة

في ربيع أول من سنة ١١٦٠هـ سار محمد بن سعود بأهل العينة وأهل حريملاء وأهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة وتوجهوا إلى الرياض...، فصباحهم سعود فإذا هم مستعدون، والتقوا في جوف البلد، ((والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس - وكان فاتكاً - فتقاتلا راجلين، فضرب حمد ابن محمد دهاماً ضربات بالسيف في جسده ورأسه، حتى أتى موسى بن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه فقتله، فنجى بذلك دهام بعد أن أشرف على الموت. ومع ذلك فلم يكن جزاء موسى من دهام إلا المعاقبة والتنكيل، لأن موسى بعد ذلك اهتدى وأراد الهجرة إلى الدرعية، فذكر ذلك لدهام، فأمر بقطع يده ورجله، فقطعنا، ونفاه إلى الدرعية فلم يبرح إلا ثلاثة أيام ثم مات))^(١).

١١٦٠هـ فيه هذه السنة تمكن دهام بن دواس من قتل فيصل وسعود ابني محمد بن سعود فاشتدت الحرب بينهم، ومنها وقعة دقلة ووقعة الشراك^(٢).

اغتيال الزعيم الإيراني نادر شاه

١٧٤٧م في هذه السنة اغتيل نادر شاه الصفوي على يد قومه، وكان نادر أفشاري من خراسان قد تمكن من طرد الأفغان من فارس ووسع حدود الدولة حتى القوقاز وأمورية والهندوس ونهب دلهي عاصمة قيصر المغول، ونتيجة إصابته بجنون العظمة بدأ بالتخريف والتعسف في بلاده نفسها التي استهلكتها الحروب المتواصلة، إلى أن اغتيل في هذا العام^(٣).

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ط ١٩٦٢م القاهرة ص ٩٢.

(٢) تاريخ الفاخري.

(٣) البدر ج ٤ ط ٢ تأليف أوبنهايم ومساعدته تحقيق ماجد شبر ص ٢١.

فهرس المحتويات

٧	الإهداء
٩	تقديم أ. د. محمد عيسى صالحية
١١	مقدمة المؤلف
١٥	أحداث القرن الأول الهجري
١٧	السنة الأولى للهجرة
١٨	السنة الثانية
١٨	السنة الثالثة
١٩	السنة الرابعة
١٩	إجلاء بني النضير عن المدينة
٢٠	السنة الخامسة
٢٠	فتح قريظة
٢١	السنة السادسة
٢٢	السنة السابعة
٢٢	قصة سحر النبي ﷺ
٢٢	السنة الثامنة
٢٣	السنة التاسعة
٢٤	غزوة تبوك
٢٥	السنة العاشرة
٢٦	وفاة رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ

٢٦	صفة النبي ﷺ
٢٦	مبايعة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ
٢٧	وفاة أبي بكر ﷺ
٢٨	خلافة عمر بن الخطاب ﷺ
٢٩	وقعة القادسية
٣٠	بناء البصرة والكوفة
٣١	نبذة عن عتبة بن غزوان ﷺ
٣١	فتح دمشق
٣٢	دخول المسلمين بيت المقدس
٣٢	فتح مصر
٣٣	عزل المغيرة بن شعبة عن البصرة وولاية أبي موسى الأشعري
٣٣	القحط الشديد واستسقاء عمر بالعباس ﷺ
٣٣	وفاة أبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ في طاعون حمواس
٣٤	ولاية معاوية بن أبي سفيان ﷺ على الشام
٣٤	وفاة خالد بن الوليد ﷺ بخص
٣٤	استشهاد عمر بن الخطاب ﷺ
٣٥	مبايعة عثمان بن عفان ﷺ
٣٦	وفاة أبي ذر الغفاري ﷺ في بلدة الرينة
٣٦	وفاة عدد من أجلة الصحابة ﷺ
٣٦	وفاة العباس ﷺ
٣٧	ولادة علي زين العابدين ﷺ
٣٧	الفتنة العظمى في الإسلام
٣٨	مبايعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
٣٨	يوم الجمل ويوم صفين
٣٩	المؤامرة الكبرى، مقتل علي ومبايعة الحسين ﷺ
٤٠	عام الجماعة ومبايعة معاوية ﷺ

٤٠	وفاة عمرو بن العاص ؓ
٤١	ولاية زياد بن أبي سفيان على البصرة وغيرها
٤١	وفاة الحسن ؓ بالمدينة المنورة
٤١	وفاة زياد
٤٢	ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة
٤٢	وفاة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر
٤٢	وفاة معاوية بن أبي سفيان ؓ
٤٢	خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
٤٣	استشهاد الحسين بن علي ؓ
٤٣	قلوب الناس مع من تحب وسيوفهم مع من تهاب
٤٤	رغبة الحسين بالعودة ورفض ابن زياد
٤٥	بدء أمر التوابين
٤٥	ثورة المدينة المنورة
٤٥	وقعة الحرة
٤٦	توجه الجيش الأموي من المدينة المنورة إلى مكة المشرفة
٤٦	ولاية حصين بن نمير على الجيش الأموي
٤٧	وفاة يزيد بن معاوية
٤٧	خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية (٤٠ يوماً)
٤٨	ثلاثة رجال يطلبون الخلافة
٤٨	دعوة كلب لخلد بن يزيد
٤٨	دعوة قيس عيلان لابن الزبير
٤٩	مبايعة الضحاك أمير دمشق لابن الزبير سرًا
٤٩	خروج الضحاك عن صمته وإعلانه البيعة لابن الزبير
٤٩	مبايعة الأمويين وكتب لمروان فقال خالد: أمر دُبُر بليل
٥٠	وقعة مرج راهط الحاسمة
٥١	الصراع المرير بين قيس عيلان وكتب

٥٣	وقعة اللهاية بين كعب بن العنبر وبني فقيم
٥٣	يوم الثرثار الأول بين قيس وتغلب
٥٥	زعم المختار للشيعنة بقدمه من المهدي (ابن الحنفية)
٥٥	التنادي بالكوفة بثارات الحسين
٥٥	يوم المنبجس ويوم الربذة
٥٦	وقعة شبكة الدوم أو وادي القرى
٥٧	خلافة عبد الملك بن مروان
٥٧	خروج نجدة الخارجي الحنفي في اليمامة على الخلافة
٥٧	وفاة عبدالله بن عباس ؓ
٥٨	هزيمة الجيش الزبيري على يد نجدة الحنفي قرب القطيف
٥٨	قتال أصحاب نجدة لبني تميم بكازمة
٥٨	وقوع الطاهون في البصرة وافتراق الناس إلى زيرية وأموية
٥٩	مبايعة الخوارج لقطري بن الفجاءة
٥٩	إيقاع مصعب بأصحاب المختار وإهانة ابن الزبير لوجوه العراق
٥٩	مقتل مصعب في العراق ومحاصرة عبدالله بن الزبير في مكة
٦٠	الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ
٦٠	موقف عبدالله بن عمر من ابن الزبير
٦٠	مبايعة ابن الحنفية لعبد الملك لاجتماع الأمة عليه
٦١	خضوع اليمامة والبحرين للأمويين بعد مقتل أبي فديك
٦٢	مقتل صالح بن مسرّح زعيم الخوارج ومبايعة شبيب بن يزيد
٦٢	مسير شبيب بن يزيد الشيباني لقتال عنزة
٦٣	خروج المحاربين بالبحرين وهزيمته على يد والي اليمامة
٦٣	فتنة ريان النكري وميمون الخارجي في بلاد البحرين
٦٤	فتنة داود بن محرز العبقي في البحرين
٦٥	وفاة محمد بن الحنفية ؓ
٦٥	تشدد الحجاج في أمر الخراج ومبايعة الناس لابن الأشعث

٦٥	وقعة دبر الجماجم بين ابن الأشعث الكندي وبين الحجاج
٦٦	موقف سعيد بن المسيب من مبايعة ابني عبدالملك
٦٦	وفاة عبدالملك وخلافة ابنه الوليد
٦٧	خروج مسعود المحاربي بالبحرين
٦٧	خروج داود العبدي بالبصرة
٦٧	عزل عمر بن عبدالعزيز عن إمارة المدينة بإشارة الحجاج
٦٧	وفاة زين العابدين وابن المسيب وعروة بن الزبير رحمهم الله
٦٨	مقتل سعيد بن جبير على يد الحجاج
٦٨	وفاة الوليد بن عبدالملك
٦٨	خلافة سليمان بن عبدالملك بن مروان
٦٨	سخط سليمان على الحجاج الثقفي وقتية الباهلي
٦٩	دعوة قتيبة الناس إلى خلع سليمان ثم مقتله
٦٩	العداوة القديمة بين وكيع وقتية
٧٠	وفاة الحجاج وولاية ابنه على العراق
٧٠	نصفية سليمان بن عبدالملك لقوم الحجاج
٧٠	انتقال الإمامة إلى بني العباس سراً
٧٠	وفاة سليمان بن عبدالملك وخلافة عمر بن عبدالعزيز
٧٣	أحداث القرن الثاني الهجري
٧٥	موقف عمر بن عبدالعزيز ؓ من أصحاب الجمل
٧٥	عمر الخليفة وجريير الشاعر
٧٦	وفاة عمر بن عبدالعزيز ؓ وخلافة يزيد
٧٦	عشق الخليفة يزيد لحبابة
٧٧	ولاية عمر بن هبيرة على العراق
٧٧	دخول ابن هبيرة من خلال قلب حبابة إلى قلب يزيد
٧٨	خروج مسعود بن أبي زينب المحاربي
٧٨	قيام هلال بن مدلاج بأمر الخوارج بعد مقتل مسعود فقتل أيضاً

٧٨	انقسام الخوارج بين هجر والقطيف
٧٩	وفاة يزيد بن عبد الملك بن مروان
٧٩	خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان
٧٩	اهتمام هشام بنفائس الخيل
٨٠	حدوث خلاف بين بني عيس وبني زبيد التميميين
٨١	رحيل بني زبيد التميميين إلى الجزيرة الفراتية
٨١	خروج خارجي من يذكر من عنزة في الموصل
٨١	ولاية المهاجر الكلابي على اليمامة
٨١	منازعة ابن بيض وأبي الحويرث على بئر في اليمامة
٨٢	ولاية خالد القسري على العراق والقبض على ابن هبيرة
٨٢	هروب ابن هبيرة واستجارته بمسلمة بن عبد الملك
٨٣	ولاية خالد القسري على البصرة
٨٣	نظرة خالد القسري لأهل البادية
٨٣	وفاة الفرزدق وجريز وابن سيرين والحسن البصري
٨٣	وقعة بين بني عقيل وبني الحارث بن كعب في ساجل
٨٤	وفاة الشاعر ذو الرمة غيلان وذكر موقع فلجة
٨٥	وفاة علي بن عبد الله بن العباس بالحُميمة
٨٥	ولاية يوسف الثقفي على العراق وعزل خالد القسري
٨٥	ولاية علي بن المهاجر الكلابي على اليمامة
٨٥	مطاردة الإمام زيد
٨٧	بداية خروج الإمام زيد بن علي في الكوفة
٨٧	مقتل يحيى بن زيد بخراسان
٨٧	وفاة هشام وخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٨٨	وفاة محمد بن علي العباسي الذي أوصى إليه ابن الحنفية بالإمامة
٨٨	انقلاب الأمويين على الوليد بن يزيد
٨٩	خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك مدة خمسة أشهر

٨٩	تولية أبي لطيفة المُقيلي إمارة العقيق
٨٩	ثورة المهير الحنفي على ابن المهاجر في اليمامة
٩٠	يوم الفلج الثاني
٩٠	يوم معدن الصحراء
٩١	يوم النشاش
٩٢	قدوم المثنى الفزاري والياً على اليمامة
٩٢	مقتل المثنى بعد قتل أبيه يزيد
٩٣	خلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك أربعة أشهر
٩٣	خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم
٩٤	حرب أسد وطىء مع فزارة
٩٦	انتقال قبيلة حرب من صعدة في اليمن إلى الحجاز
٩٦	بداية دولة الخلفاء العباسيين
٩٦	خروج السفيناني
٩٧	مقتل آخر خليفة أموي
٩٧	الوضع في البصرة
٩٧	ضربة بين بني جعفر بن كلاب وبني جعفر العباسيين
٩٨	وفاة أبي العباس السفاح وخلافة أبي جعفر المنصور
٩٩	من أخطاء المنصور الفادحة
٩٩	ظهور جماع بالكوفة
٩٩	بناء بغداد
٩٩	ثورة النفس الزكية في المدينة
١٠٣	ثورة إبراهيم أخي محمد النفس الزكية ؑ
١٠٣	ولاية جعفر بن سليمان على المدينة ثم مكة والطائف
١٠٤	ولاية عقبة بن سلم الباهلي على البصرة
١٠٤	وفاة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ؑ
١٠٤	نشأة بعض المذاهب الشيعية مثل الإسماعيلية والجعفرية

١٠٤	ظهور مذهب الإثني عشرية
١٠٥	قمع ثورة العبدى في البحرين على يد والى البصرة
١٠٥	اختصاص الغنويين والمثمانيين على عين نفاء
١٠٥	تنازع بين بنى جعفر وبنى أبى بكر في ضربة على قنيح
١٠٦	خلافة المهدي محمد بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي
١٠٧	قدوم أبى زياد الكلابي إلى بغداد في أيام المهدي
١٠٧	ولاية بشر البجلي على اليمامة
١٠٧	ولاية زفر بن عاصم الهلالي على المدينة المنورة
١٠٨	ثورة الأهراب بين البصرة والبحرين ومجومهم على البصرة
١٠٩	خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي
١٠٩	وقعة فنج
١٠٩	هروب الشريف إدريس مؤسس حكم أسرة الأدارسة إلى طنجة
١١٠	هروب الشريف يحيى بن عبدالله المحض إلى الديلم
١١٠	خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدي
١١٠	حج هارون الرشيد ﷺ مشياً على الأقدام
١١٠	البصرة والبحرين واليمامة وعمان والأهواز وفارس في ولاية رجل واحد
١١١	غزو الحبشة لجدنة ورغبة الرشيد بفتح قناة السويس
١١١	خروج يحيى بن عبدالله بالديلم
١١١	اضطرابات وثورة في بلاد البصرة واليمامة والبحرين
١١٢	تهديد ملك الروم للرشيد بخطاب شديد اللهجة
١١٢	نكبة البرامكة
١١٣	ثورة ابن بكير واستيلاؤه على البحرين
١١٣	إمارة محمد الفقعسي على الحليين أسد وطيء
١١٣	وفاة أمير المؤمنين هارون الرشيد وخلافة ابنه الأمين
١١٤	اقتال بين بنى جعفر والضباب على طخفة
١١٤	مطالبة حفيد معاوية بن أبي سفيان بالخلافة بدمشق

١١٥	استيلاء طاهر بن الحسين على الأهواز واليمامة والبحرين وعمان
١١٥	وفاة العالم وكيع بن الجراح
١١٥	محاصرة مؤيدي المأمون لبغداد
١١٦	خلافة عبدالله المأمون بن هارون الرشيد
١١٦	خروج محمد بن إسماعيل ثم مبايعة محمد بن محمد بن زيد
١١٧	أحداث القرن الثالث الهجري
١١٩	مبايعة محمد الديباج بن جعفر الصادق بالخلافة ثم طلبه الأمان
١١٩	الخليفة العباسي يجعل علي الرضا بن موسى الكاظم ولياً لعهد
١٢٠	احتلال إبراهيم بن موسى الكاظم لمكة
١٢٠	انقلاب مؤقت على الخليفة قام به عمه المبارك
١٢٠	خروج الخليفة المأمون عن الاحتجاب ودخوله بغداد
١٢٠	ولاية داود بن ماسحور على البصرة واليمامة والبحرين
١٢١	وفاة المأمون وضم اليمامة لإسحاق القيسي
١٢١	خلافة المعتصم بن هارون الرشيد
١٢١	وامعتصماه
١٢٢	وفاة الأصمعي
١٢٢	وفاة المعتصم ومصادفات الرقم ٨
١٢٢	خلافة هارون الواثق بن المعتصم بن هارون الرشيد
١٢٢	وفاة محمد العتبي البصري
١٢٢	غزوة بغا الكبير لبلاد العرب ما بين مكة والمدينة ونجد
١٢٤	ولاية إسحاق بن أبي حفصة على اليمامة والبحرين وطريق مكة
١٢٤	وقعة بين بغا الكبير وبني نمير قرب اليمامة
١٢٥	ولاية عمير بن عمار للبصرة
١٢٥	خلافة جعفر المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد
١٢٦	ولاية محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن أبي حفصة القيسي
١٢٦	وفاة الإمام ابن حنبل

١٢٦	مقتل الخليفة المتوكل
١٢٧	خلافة محمد المعتصم بن جعفر المتوكل بن المعتصم مدة ستة أشهر
١٢٧	ردُّ فذك لآل الحسن والحسين عليهم السلام
١٢٧	خلافة أحمد المستعين بن محمد بن المعتصم
١٢٧	شكل لباس رجال البادية في زمن المستعين
١٢٧	أول ظهور صاحب الزنج أو (علوي البصرة) وخروجه إلى البادية
١٢٨	أقوال في نسب صاحب الزنج أو علوي البصرة
١٣١	ثلاث حركات قام بها الشيعة في وجه العباسيين
١٣٢	قطع بني عقيل لطريق جدة
١٣٢	تزعم إسماعيل بن يوسف الأخيضر لبني عقيل ومهاجمته مكة
١٣٢	ثورة علوية أخرى بالكوفة
١٣٣	مقتل المستعين و خلافة المعتز
١٣٣	استنقاذ بني فزارة وغيرهم لإدريس بن موسى ابن عم الأخيضر
١٣٣	ولاية ابن أبي عوف للبصرة واليمامة والبحرين ومسير الأخيضر إليه
١٣٥	نبذة عن الأمراء الأخيضرين
١٣٦	وفاة إسماعيل بن يوسف الأخيضر
١٣٦	انتقال صاحب الزنج من البادية إلى البصرة
١٣٧	ذهاب صاحب الزنج إلى بغداد
١٣٧	خلع الخليفة المعتز والمشهد الحقيق
١٣٨	خلافة محمد المهدي بن هارون الواثق بن المعتصم
١٣٨	ولاية الأحوص الباهلي على البصرة
١٣٨	خروج صاحب الزنج ثانية في البصرة وخروج الزنج معه
١٣٩	ولاية سعيد الحاجب على البصرة ودجلة واليمامة والبحرين
١٣٩	مقتل المهدي بالله و خلافة المعتمد على الله
١٤٠	انضمام الكثير من الأعراب إلى حركة صاحب الزنج
١٤٠	ولاية يارجوخ على البصرة ودجلة واليمامة والبحرين

- رياح وزلازل وظلمة تنال أهل البادية حول المدينة ١٤٠
- بداية الدعوة الإسماعيلية في الكوفة ١٤١
- مسير ابن الأشعث الربيعي إلى صاحب الزنج ومفاوضته ١٤١
- قبيلة فزارة تقطع الطريق ١٤١
- وقعة بين العلويين والجعفرين في الحجاز ١٤١
- محاولة حاكم مصر الاستيلاء على مكة المشرفة ١٤٢
- ثورة ابني الشريف الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم بالمدينة ١٤٢
- مقتل صاحب الزنج علوي البصرة ١٤٢
- نبذة عن أحوال صاحب الزنج السياسية ١٤٣
- غزوة عامل البحرين محمد بن نور السامي القرشي لعمان ١٤٤
- القرامطة يقيمون قلعة حصينة بالقرب من الكوفة ١٤٤
- اختفاء حسين الأهوازي ١٤٤
- نجاح مؤقت لتحالف قبائلي من مضر وحدان وبني الحارث باحتلال صحار ١٤٥
- وفاة الموفق ومبايعة المعتضد أحمد ولياً للمهد و وفاة المعتمد ١٤٥
- وفاة عدة من علماء الأحاديث المشهورين ١٤٥
- خلافة أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن المعتصم ١٤٥
- ابتداء أمر القرامطة بالقطف بالبحرين ١٤٦
- محمد بن نور يعتقل يحيى فيفر أبو سعيد إلى البادية ١٤٧
- إجابة بني الأضبط الكلابيين لأبي سعيد ودخول بني عقيل في طاعته ١٤٧
- إجراءات تأسيس الدولة القرمطية ١٤٨
- ولاية عباس الغنوي على اليمامة والبحرين وتوجهه للقاء القرمطي ١٤٨
- أول رسالة من قرامطة البحرين إلى ديوان الخلافة العباسية ١٤٩
- رواية ابن الأثير عن مبتدأ أمر القرامطة في إقليم البحرين ١٤٩
- ظهور أبي عبدالله الشيعي بإفريقيا يدعو لعبيدالله المهدي ١٥٠
- اعتراض قبيلة طيء لركب الحاج ١٥٠
- اعتراض جموع من الأعراب بقيادة طيء لركب العراق بالمعدن ١٥٠

١٥٠	إغارة القرمطي على هجر واستيلاؤه على القطيف
١٥٢	استيلاء القرامطة على صحار واليمامة
١٥٢	اختفاء زكرويه وانتقال نشاطه الثوري إلى الشام
١٥٢	حروب محمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل في الشام
١٥٣	تغلّب سبعمائة على سبعة آلاف قرب القطيف!!
١٥٣	وفاة المعتضد وخلافة المكتفي
١٥٣	مقتل مقدم القرامطة يحيى وقيام أخيه الحسين صاحب الشامة
١٥٤	القبض على صاحب الشامة
١٥٤	انطلاق زكرويه القرمطي من القطيف وقطعه لطريق الحج
١٥٤	مداومة الجيوش العباسية للقرامطة
١٥٥	المكتفي يكافئ الحسين بن حمدان بإقطاعه حلب
١٥٥	بنو سعد يخرجون بني هذيل من جبل غزوان
١٥٦	خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل
١٥٦	ابتداء الخلافة الفاطمية بإفريقية
١٥٨	هجوم أبي سعيد الجنابي على البصرة
١٥٩	أحداث القرن الرابع الهجري
١٦١	رسالة من ديوان الخلافة إلى قرامطة البحرين وصلت بعد موت أبي سعيد
١٦١	رسالة سعيد بن أبي سعيد لديوان الخلافة
١٦٢	مقتل كبير القرامطة مؤسس الدولة
١٦٣	تلقّب أولاد آل أبي سعيد بالسادة لادعائهم النسب العلوي
١٦٣	حال قرامطة البحرين بعد وفاة كبيرهم
١٦٤	تعيين أحمد بن هلال على عمان
١٦٤	رئاسة أبي طاهر سليمان بن الحسن على القرامطة
١٦٥	انتقال أهل قران إلى البصرة بسبب ابن الأخيضر
١٦٥	هجوم القرامطة على البصرة
١٦٦	وقعة الهبير

١٦٦	روايات أخرى لوقعة الهبير
١٦٦	وقوع الأزهر في عالم اللُغة في أسر البدو
١٦٧	القرمطي يطلب من الخليفة البصرة والأهواز
١٦٧	رسالة لأبي طاهر يرد بها على تهديد الخليفة المقتدر بالله
١٦٨	اعتراض القرامطة للمحتاج بزبالة
١٦٨	احتلال القرامطة للكوفة وتولية الأخيضر عليها
١٦٩	بناء حصن الأخيضر في صحراء العراق
١٧٠	بناء مدينة الإحساء (المؤمنية) على يد أبي طاهر
١٧٠	استيلاء القرامطة على حُمان
١٧٠	وقعة أبي طاهر مع ابن أبي الساج
١٧١	مسير أبي طاهر إلى زيارا على بعد يوم من بغداد
١٧١	لقاء أبي طاهر بيلق غلام مؤنس
١٧١	مسير أبي طاهر إلى هيت
١٧٢	استيلاء القرامطة على الرحبة وقرقيسيا وبث السرايا
١٧٢	توجيه سرية إلى الرقة بقيادة ابن سنبر الثقفي ومعاذ الكلابي
١٧٢	بناء دار الهجرة والدعوة إلى المهدي
١٧٣	تحركاته حول هيت والكوفة والقادسية والبصرة والبحرين
١٧٣	قصيدة أبي طاهر عند عودته إلى هجر
١٧٤	فرض الإتاوة على أهراب الجزيرة قبل العودة إلى هجر
١٧٤	ظهور القرامطة النفلية بسواد الفرات
١٧٤	خلع المقتدر بالله ومبايعة القاهر بالله
١٧٥	تعلق القاهر بآبن حمدان لإنجاده وعودة المقتدر للخلافة
١٧٥	هجوم القرامطة على مكة المشرفة والدعوة للمهدي
١٧٧	وقعة هذيل مع القرامطة أثناء رجوعهم
١٧٧	نهاية دولة الأخيضرين في اليمامة
١٧٧	ادعاء أبي طاهر سلمان بن الحسن النسب العلوي

١٧٨	استيلاء القرامطة على الربذة وتخريبها
١٧٨	تخريب الكوفة أيضاً على يد القرامطة
١٧٨	استشهاد المقتدر بن المعتضد وخلافة القاهر بن المعتضد
١٧٩	خلع القاهر وخلافة أحمد الرازي بن المقتدر
١٨٠	اعتراض القرامطة للحاج على الجابرية في ثاج
١٨٠	حكام الأقاليم في هذه السنين
١٨١	رحيل بني كلاب من نجد إلى الشام
١٨٢	اختلال أمر القرامطة
١٨٢	أول سنة يمكس الحاج في الإسلام
١٨٢	وفاة الرازي وخلافة المتقي بن المقتدر
١٨٣	لجوء رئيس البصرة البريدي إلى هجر مستجيراً
١٨٣	وفاة أبي طاهر سليمان والنزاع على الحكم
١٨٤	انقسام القرامطة إلى فريقين بعد وفاة أبي طاهر
١٨٤	هجوم فاشل للقرامطة على عُمان
١٨٥	خلافة عبدالله المستكفي بن علي
١٨٥	سقوط بغداد في أيدي البويهيين وخلع الخليفة المستكفي بالله، ومبايعة المطيع لله
١٨٦	تلاشي أمر العرب ودولتهم أثناء الدولة البويهية والسلجوقية
١٨٦	وفاة القائم بأمر الله الفاطمي ووفاة الإخشيد
١٨٦	إعادة الحجر الأسود
١٨٧	أول تمكن الأشراف من الاستقلال بحكم مكة
١٨٧	وفاة المنصور إسماعيل بن محمد بن عبيدالله وولاية المعز
١٨٩	قصيدة المتنبي المشهورة في سيف الدولة وسيبها
١٨٩	وقعة بين العلويين والجعفرين في الحجاز
١٩٠	إسلام الترك
١٩٠	مقتل الشاعر المشهور المتنبي
١٩٠	أخذ سليم لحجاج مصر والشام

١٩٠	فك أسر أبي فراس الحمداني
١٩٠	وفاة كافور الإخشيدي
١٩١	حكم الأشراف لمكة
١٩١	وفاة معز الدولة الديلمي
١٩١	وفاة سيف الدولة الحمداني
١٩٢	مقتل الأمير الفارس الشاعر أبي فراس الحمداني
١٩٢	رئاسة الأعصم على القرامطة
١٩٣	حال القرامطة بعد مقتل سابور
١٩٣	استيلاء جوهر قائد العبيديين على حكم مصر
١٩٤	معاربة ثم صلح بين الأعصم وابن طنج
١٩٤	تعيين وشاح السلمي أميراً على الرملة
١٩٤	استيلاء جعفر بن فلاح على الرملة ودمشق
١٩٥	إزاحة مرة وفزارة لبني عقيل من حوران والبتية
١٩٥	لحاق محمد بن عسودا بالقرامطة في الإحساء
١٩٦	ذهاب الحسن الأعصم إلى الحج
١٩٦	الخلافة المطيع العباسي يجمع كلمة القرامطة ويؤلف بينهم
١٩٦	مسير الحسن الأعصم للشام بدعم عباسي
١٩٧	استيلاء الأعصم على دمشق وعودته لهجر
١٩٧	هجوم القرامطة على مدينة القلزم
١٩٧	وصول القرامطة إلى أبواب القاهرة
١٩٨	تعارب بين أشراف المدينة وأشراف مكة
١٩٨	اعتراض بني سليم وبني هلال لركب العراق
١٩٨	مسير المعز الفاطمي من إفريقية يريد مصر
١٩٨	دخول المعز إلى القاهرة
١٩٩	رسالة وجواب بين المعز الفاطمي والأعصم القرمطي
١٩٩	الأعصم يسأل الخلافة الإمداد وولاية الشام ومصر

٢٠٠	قرامطة البحرين يشتون هجوماً ضخماً على مصر والشام
٢٠٠	استيلاء القرامطة على دمشق والرملة بفلسطين
٢٠٠	وصول فلول القرامطة إلى أسبوط وإخميم
٢٠١	نشوب المعارك بين القرامطة والفاطميين في مصر
٢٠١	المعز يقدم الرشوة لابن الجراح لإضعاف عسكر الأعصم
٢٠١	هزيمة القرامطة في مصر
٢٠٢	استيلاء ظالم العقيلي على دمشق
٢٠٢	تحريض المعز العبيدي لبني هلال وغيرهم على قطع طريق الحج
٢٠٢	خلافة الطائع لله بن المطيع لله بن المقتدر
٢٠٣	محاولة عضد الدولة الاستيلاء على الإحساء ومحاولة المعز إعادة العلاقات
٢٠٣	مكاتبة أمير مكة للمعز
٢٠٤	وفاة المعز العبيدي الفاطمي وتولي ابنه العزيز
٢٠٤	محاصرة قوات العزيز بن المعز لمكة المشرفة
٢٠٤	محاربة القائد الفاطمي جوهر الصقلي لأهل الشام
٢٠٤	استجابة الأعصم لنجدة أهل الشام بجيش فيه أبناء عمه
٢٠٥	مسير الأعصم إلى الشام ووفاته في الرملة
٢٠٥	جوهر يغري العزيز بالمسير
٢٠٦	حرب ألبتكين مع العزيز الفاطمي ووقوعه في قبضة العزيز
٢٠٦	وفاة الأعصم الحسن بن أحمد وما حل بالقرامطة من بعده
٢٠٨	وفاة أمراء من القرامطة
٢٠٨	قيام النزاع والشقاق بين القرامطة لمدة ٣٠ سنة
٢٠٩	إرسال حاكم علوي إلى مكة من قبل العباسيين
٢٠٩	تأسيس إمارة الأشراف الحسينيين في المدينة المنورة
٢١٠	نقل هلال وسليم وربيعة إلى مصر
٢١٠	مسيرات المساكر المصرية إلى ابن الجراح بفلسطين والشام
٢١٠	استيلاء الجيوش المصرية على فلسطين والشام

٢١١	وفاة عضد الدولة بن ركن الدولة الديلمي فخلفه ابنه صمصام الدولة
٢١١	قيام دولة بني خفاجة قرب الكوفة
٢١١	دخول القرامطة للبصرة واقترابهم من بغداد
٢١١	استيلاء القرامطة على الكوفة ثم اندحارهم
٢١٢	بداية النهاية لدولة القرامطة
٢١٣	استيلاء بني مكرم على عمان
٢١٣	الأصغر بن أبي الحسن الثعلبي زعيم المتفق ينهي حكم القرامطة في الإحساء
٢١٥	هجرة بني سليم إلى إفريقيا وتغرية بني هلال
٢١٥	من شعر الشريف شكر في فراق الجازية أم محمد
٢١٧	مشاهير بني هلال عند تغريبتهم
٢١٧	توجه بني عقيل إلى العراق
٢١٨	اعتراض ابن الجراح الطائي لحجاج العراق
٢١٨	اعتراض الأصغر لحجاج العراق
٢١٨	قيام الإمارة العقيلية في الموصل ونهاية دولة بني حمدان
٢١٩	خلافة القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر
٢١٩	الأخضر
٢٢٠	اعتراضات الأصغر لطريق الحج
٢٢١	وفاة العزيز بالله العبيدي ومبايعة ابنه الحاكم بأمر الله
٢٢٢	هجوم أشراف مكة على أشراف المدينة
٢٢٢	حال اللغة العربية في نهاية القرن الرابع
٢٢٢	دور بني زغب الهلالين وابن الجراح والأصغر في طريق حج العراق
٢٢٣	تملك الأصغر الثعلبي المتفقي الأعرابي الشيعي للجزيرة
٢٢٥	أحداث القرن الخامس الهجري
٢٢٧	خروج أبي الفتوح من الحجاز إلى الشام طلباً للخلافة
٢٢٩	بدء الخلاف بين ابن الجراح والخليفة الفاطمي
٢٢٩	تمرض بني خفاجة لطريق الحج

٢٢٩	اعتراض الثائر الخويلدي لحجاج العراق
٢٣٠	قيام دول وسقوط دول
٢٣١	موت الأصمغر المتفقي
٢٣١	مقتل حماد بن عدي
٢٣٢	وفاة القادر بالله أحمد وخلافة عبدالله القائم بأمر الله
٢٣٢	وفاة الظاهر لإعزاز دين الله وتولي ابنه المستنصر بالله بعده
٢٣٣	انقراض الدولة البويهية الديلمية وقيام دولة السلاجقة
٢٣٣	وفاة حاكم مكة الشريف أبي الفتوح
٢٣٣	آخر أخبار الأصمغر ودولته
٢٣٤	رجوع العرب إلى الحجاز مسلوقة من الملك
٢٣٤	من مشاهدات ناصر خسرو في الجزيرة العربية في سنة ٤٤٢هـ
٢٣٤	[جدة]
٢٣٤	[مكة]
٢٣٥	[نجران وبيشة وغيرها من ناحية الشرق]
٢٣٥	[إلى الحسا عن طريق الطائف ومطار والثريا وجزع وسربا وفلج واليمامة]
٢٣٧	الأخضر يرون يحكمون اليمامة وهم على مذهب الزيدية
٢٣٧	[اليمامة]
٢٣٨	سلطان الإحساء أبو سعيد شريفاً ردهم عن الإسلام
٢٣٨	[الإحساء]
٢٣٩	أمير عربي يربط على أبواب الحسا مدة سنة ويشن الغارات عليها
٢٣٩	[القطيف]
٢٣٩	[البصرة]
٢٤٠	الوحشة بين الخليفة والبساسيري
٢٤٠	نهب خفاجة للجامعين وقمعها
٢٤١	تغلب بني عقيل على بني الأصغر الثعلبي في بلاد البحرين واستقلال ابن الزجاج
٢٤١	بجزيرة البحرين
٢٤٢	فتنة البساسيري في بغداد

٢٤٣	انتهاء فتنة البساسيري
٢٤٣	إرسال القرامطة جيشاً من ربيعة بن نزار للقضاء على ابن العياش
٢٤٤	وفاة حاكم مكة الشريف شكر بن أبي الفتوح
٢٤٥	استقلال ابن عياش بحكم القطيف
٢٤٥	اتحاد القرامطة بعتيك وحدان
٢٤٥	أول ظهور تاريخي للأمير عبدالله الميوني
٢٤٥	خلافة المقتدي بالله بعد وفاة جده القائم بأمر الله
٢٤٦	استعانة يحيى بن عياش بالسلاجقة لانتزاع الإحساء
٢٤٧	تجميع القوات العباسية للمسير إلى الإحساء
٢٤٧	وصول القوات العباسية والمحلية إلى جبل سنام
٢٤٧	وقعة القوات العباسية مع قيس وقبات
٢٤٨	وقوع القوات العباسية في ورطة مع ابن عياش
٢٤٩	وقعة كجكينيا مع ابن عياش ونهب قيس وقبات لأحماله
٢٤٩	قدوم شبانة بن قديمة بن نباتة والتحاقه بكجكينيا
٢٤٩	وفاة يحيى بن عياش ونجاح ابنه زكريا باحتلال أوائل
٢٤٩	نجاح عبدالله الميوني في طلب استقدام القوات العباسية
٢٥٠	خسف القوات العباسية بالبصرة وهي في طريقها للإحساء
٢٥٠	فرار ابن عياش من وجه القوات العباسية
٢٥٠	محاصرة القرامطة في الإحساء ثم عودة جيش المعجم
٢٥١	الميوني يخطب للمستنصر الفاطمي على المنابر
٢٥٢	زكريا بن يحيى بن عياش يوجه نظره تجاه الإحساء
٢٥٢	معركة نافرة واستيلاء الميوني على بلاد ابن عياش
٢٥٣	وقوع معركة حاسمة بين الميونيين والقرامطة
٢٥٤	استئصال بني عوف بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
٢٥٥	نفي بقية القرامطة واليمن إلى عمان
٢٥٦	البقوش الشركسي يعلن التمرد والمصيان

٢٥٦	محاصرة القوات العباسية لعبدالله العيوني
٢٥٧	هلاك الأعاجم في الصحراء
٢٥٨	استمرار وجود نسل أبي سعيد الجنابي في البحرين
٢٥٨	مسير بني عامر من الإحساء للهجوم على البصرة
٢٥٨	تعيين محمد بن الفضل أميراً على القطيف والبحرين من قبل جده
٢٥٩	هجوم قوة عباسية من التركمان على مكة المشرفة
٢٥٩	مهاجمة بني صخر للحجاج
٢٦٠	اضمحلال دول العرب في الموصل والشام
٢٦٠	وفاة أمير مكة أبي هاشم وولاية ابنه قاسم
٢٦١	خلافة المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بن القائم بن القادر
٢٦١	مهاجمة ربيعة والمتفق وغيرهم للبصرة
٢٦١	وفاة مؤسس الدولة العيونية الأمير عبدالله بن علي
٢٦١	تجدد أطماع بني عامر وقياث في البحرين
٢٦٣	أحداث القرن السادس الهجري
٢٦٥	أول ظهور تاريخي للأمير فضل بن ربيعة المشهور
٢٦٥	خلافة المسترشد بالله الفضل بن المستظهر بن المقتدي
٢٦٦	هجوم المتفق وديس بن صدقة على البصرة ونهبتها
٢٦٦	وفاة شريف مكة المكرمة
٢٦٦	القرامطة يقطعون الطريق بين اليمن والبصرة والكوفة
٢٦٧	مقتل الخليفة المسترشد
٢٦٧	مقتل ديس الأسدي أمير العرب على يد السلطان مسعود
٢٦٧	خلافة المقتضي محمد بن المستظهر بن المقتدي
٢٦٨	ولاية الشيخ معروف على البصرة
٢٦٨	تقليد حديثة بن عقبة إمرة العرب بشكل رسمي
٢٦٨	تأسيس دولة الزنجيين بفارس بعد نهاية السلجوقية فيها
٢٦٨	مقتل أبي سنان محمد في معركة بينه وبين غفيلة بن شبانة

- ٢٦٩ مقتل الأمير علي بن عبدالله الميوني على يد حرير
- ٢٧١ اعتراض زعب للمحتاج بين مكة والمدينة
- ٢٧٢ ولاية شكر أبي مقدم على الأحساء وذكر حربه مع حماد النائي
- ٢٧٢ تعيين الشريف قتادة شيخاً على قبيلة جهينة
- ٢٧٣ مهاجمة حاكم جزيرة قيس لأوال والاستيلاء عليها ثم انسحب
- ٢٧٣ وفاة الحسن بن عبدالله وولاية حرير بن مقلد
- ٢٧٣ خلافة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتضي
- ٢٧٤ اضطراب موسم الحج في مكة بسبب شغب أمير الحج العراقي
- ٢٧٤ ولاية هجرس بن محمد بن فضل على أوال والقطيف
- ٢٧٤ ولاية محمد بن منصور على الأحساء
- ٢٧٥ ولاية الشريف عيسى بن فليته على مكة
- ٢٧٥ محاولة الوصول إلى الحجرة النبوية الشريفة
- ٢٧٦ بناء سور جديد لحماية المدينة المنورة من تسلط البادية
- ٢٧٧ تسلط الفرنج على مصر وطلب الفاطميين المساعدة من الأيوبيين
- ٢٧٧ ثبات قدم صلاح الدين الأيوبي في مصر وضعف أمر العاضد
- ٢٧٨ خلافة المستضيء بنور الله بن المستنجد
- ٢٧٨ نهاية الدولة الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية
- ٢٧٩ تنافس بني كعب وبني حزن من خفاجة على تولي حماية سواد العراق
- ٢٨٠ فتح تورانشاه لليمن
- ٢٨٠ وفاة الملك العادل نور الدين محمود
- ٢٨٠ ولاية مكث بن عيسى بن فليته على مكة المكرمة
- ٢٨١ خلافة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء الحسن
- ٢٨١ يوم صفاء
- ٢٨٤ انقراض دولة آل سبكتكين
- ٢٨٤ ذكر صاحب البحرين سيف الدين سنقر الترنجلي
- ٢٨٤ ولاية شكر بن منصور على الأحساء واستيلائه على القطيف وأوال

٢٨٤	صناعة البندقية لأول مرة
٢٨٥	استيلاء محمد بن أحمد بن محمد بن فضل على القطيف والإحساء
٢٨٥	ولاية سالم بن قاسم بن جماز على المدينة المنورة
٢٨٥	توحيد جميع اليمن تحت سلطة الدولة الأيوبية
٢٨٥	توقع هجرة قبائل وعوائل من القطر اليمني
٢٨٦	مهاجمة بني عامر وأميرهم عميرة للبصرة
٢٨٦	مهاجمة أمير مكة لأوضاع
٢٨٦	تعرض المدينة المنورة لهجوم زعب وعدة قبائل
٢٨٧	ازدياد نفوذ الخليفة الناصر
٢٨٧	إمارة الأشراف القتاديين على مكة المكرمة
٢٨٨	هلاك بني هنزة بين الحجاز واليمن بوباء عظيم
٢٨٨	وقعة بين ربيعة بن حارثة وطىء ضد عقيل بظاهر الكوفة وقيل في لينة
٢٩٠	وقعة سعيد بن فضل مع عائد
٢٩١	عائد [بني سعيد]
٢٩٢	وجود بني الأخيضر مع عائد نجد
٢٩٢	ذكر بني يوسف الأخيضرين مع عائد
٢٩٣	طاعون الطائف
٢٩٥	أحداث القرن السابع الهجري
٢٩٧	إيقاع محمد بن أبي الحسين ببني مالك علي الدجاني
٢٩٧	أحفاد أبي سعيد ما زالوا موجودين ويسمون السادة
٢٩٨	وقعة المصارع بيدر بين الشريف قتادة والشريف قاسم
٢٩٨	حرب بني عامر على الأمير محمد بن أحمد
٢٩٨	مقتل محمد بن أحمد بمؤامرة غريز بن حسن وراشد بن عميرة
٢٩٩	محمد بن ماجد في الإحساء وغريز بن الحسن في القطيف
٢٩٩	حرب الشريف قتادة لهوازن وثقيف
٢٩٩	كرم الخليفة الناصر واحتفاؤه بالضيوف والفقراء

- ٢٩٩..... عودة الشاعر ابن المقرب من العراق
- ٣٠٠..... وقعة بين العقيلات والأمير مسعود بن محمد ملك الإحساء
- ٣٠١..... انتزاع الفضل بن محمد القطيف بدعم الخليفة وبعض القبائل
- ٣٠١..... الأمير فضل يعقد صلحاً مع صاحب جزيرة قيس
- ٣٠٢..... شدائد جرت على الحجاج في مكة المكرمة
- ٣٠٣..... طلب الخليفة الناصر حضور الشريف قتادة ثم إرساله جيشاً لمكة
- ٣٠٣..... مسير الشريف قتادة إلى المدينة المنورة وانهزامه
- ٣٠٤..... إيقاع الشريف قتادة بقبيلة ثقيف بالطائف
- ٣٠٤..... رحيل المتفق من بلاد العراق إلى الإحساء والقطيف وعودته
- ٣٠٥..... وقعة ربيعة بن نزار مع المتفق
- ٣٠٥..... الإطاحة بالأمير فضل بن محمد وتنامي قوة بني عامر
- ٣٠٦..... وفاة الشريف قتادة واستيلاء ابنه حسن على الإمارة
- ٣٠٦..... تنصيب مقدم بن غرير أميراً بعد هروب علي بن ماجد
- ٣٠٧..... إمارة ابني معن بن شبيب على القطيف وأوال
- ٣٠٧..... وفاة الخليفة الناصر العباسي وخلافة ابنه الظاهر بأمر الله
- ٣٠٨..... اتهام الناصر في أنه هو الذي أطمع التتر في البلاد
- ٣١٠..... وفاة الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله وخلافة ابنه المستنصر بالله
- ٣١٠..... ولاية محمد بن مسعود بن أحمد ومقتل محمد بن ماجد بن محمد بن أحمد
- ٣١١..... إغارة غزية البطين على بلد حمص
- ٣١١..... استيلاء ملك هرمز على جزيرة قيس
- ٣١١..... استيلاء الأمير منصور على القطيف وأوال بعد الأمير محمد بن مسعود
- ٣١٢..... دخول الأمير محمد بن محمد بن ماجد للقطيف والنداء به ملكاً
- ٣١٢..... لجوء اثنين من رؤساء آل معروف إلى عامر بالبحرين
- ٣١٣..... خضوع جزيرة قيس لأتابك فارس أبي بكر الزنجي
- ٣١٣..... وفاة الشاعر المؤرخ ابن المقرب
- ٣١٣..... النزاع بين الشريف حسن بن علي وعمه الشريف راجح بن قتادة

٣١٤	صدّ الأمير محمد بن محمد لحملة السلفري على أوّال
٣١٤	سقوط الدولة العيونية في بلاد البحرين
٣١٤	تنافس المصريين واليمنيين على مكة المشرفة
٣١٥	وفاة الخليفة المستنصر بن الناصر
٣١٥	خلافة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين في بغداد
	سقوط القطيف بيد السلفريين بعد استيلائهم على البحرين وسقوط الحكومة
٣١٦	المصفورية الجديدة
٣١٦	وزارة العلقمي المشؤوم
٣١٧	عساكر بغداد تهزم التتر شر هزيمة
٣١٧	استيلاء أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة على مكة المكرمة
٣١٧	نهاية الدولة الأيوبية في مصر وبداية دولة المماليك الأتراك
٣١٨	انقلاب إخوة عيسى بن شيعة عليه في المدينة المنورة
٣١٨	انتزاع آل عصفور بن راشد حكم اليمامة من بني كلاب
٣١٩	إمارة مكة واقتال بين الأشراف
٣١٩	استيلاء غانم على ولاية مكة ووفاة والده الشريف راجع (أبي ذراع)
٣٢٠	عودة أبي نمي إلى حكم مكة المكرمة
٣٢٠	استيلاء ابن برطاس حامل ابن رسول على مكة
٣٢١	مقتل المعز أيبك على يد شجرة الدر
٣٢١	مكاتبة الوزير ابن العلقمي للتتار وتحريضهم على قصد بغداد
٣٢١	الزحف المغولي على بغداد والدور الذي لعبه ابن العلقمي
٣٢٢	مصير ابن العلقمي
٣٢٢	مصير العباسيين المتبقين
٣٢٢	وفاة الملك الشاهر
٣٢٢	سيف الدين قطز سلطان مصر الملك المظفر
٣٢٢	سقوط حلب في يد التتار
٣٢٣	سقوط دمشق
٣٢٣	موقف نصارى دمشق ومسير المصريين للقاء التتار

- معركة عين جالوت المشهورة ٣٢٣
- اغتيال قطز بانقلاب على يد الظاهر بيبرس ٣٢٤
- وفد الدولة المصفورية إلى الظاهر بيبرس في مصر ٣٢٤
- المستنصر بالله أول الخلفاء العباسيين في مصر ٣٢٥
- خروج المستنصر بالله العباسي من مصر لقتال التتار وقتله في العراق ٣٢٥
- وفود خفاجة وعبادة إلى الظاهر بيبرس في مصر ٣٢٥
- الحاكم بأمر الله الخليفة العباسي الثاني في مصر ٣٢٦
- حب بركة خان المغولي للإسلام وكرمه لهولاكو ٣٢٦
- هزيمة هولاكو على يد بركة خان ٣٢٦
- هزيمة أمير نجد والإحساء على يد والي عمان ٣٢٧
- علاقة أمراء العرب آل الجراح مع ملوك مصر ٣٢٧
- جماز بن شيعة يتنزع مكة المشرفة من أبي نمي بن حسن ٣٢٨
- وفاة هولاكو وذكر الأقاليم التي خلفها لولده أبغا ٣٢٨
- وفاة السلطان بركة خان ٣٢٨
- تأدية حنزة زكاة أموالها إلى السلطات المصرية ٣٢٨
- أول ركب للحجاج من العراق منذ الغزو المغولي لبغداد ٣٢٩
- ثورة أشراف مكة على الأمير جماز في مكة المشرفة ٣٢٩
- صراع جماز بن شيعة وغانم بن إدريس لأبي نمي ٣٢٩
- مهاجمة الشريف جماز بن شيعة لمكة المشرفة وفيها أبو نمي ٣٢٩
- انتصار الشريف أبي نمي على الشريف شيعة ٣٢٩
- مكاتبة الظاهر بيبرس للشريف أبي نمي يعاتبه ويهدده ٣٣٠
- وفاة أحمد البدوي صاحب الشهرة في الديار المصرية ٣٣٠
- وفاة ملك مصر الظاهر بيبرس وتولي ابنه بركة الملك السعيد ٣٣١
- تسلطن سيف الدين قلاوون الألفي بمصر ٣٣١
- وقوع الاقتتال في كل الممالك ٣٣١
- وفاة أبي ريشة عيسى بن مهنا أمير العرب ٣٣٢

٣٣٢	المصالحة بين سلطان العراق وسلطان مصر
٣٣٢	تحليف أبي نمي على الإخلاص
٣٣٢	وفاة أحمد بن حجي أمير آل مرا
٣٣٣	وفاة عيسى بن مهنا أمير آل فضل
٣٣٣	سكان ذي الحليفة وينع
٣٣٣	صولة بني لام وبني نهبان بين المدينة والعراق
٣٣٣	اضطرابات في مكة بسبب أمير الحج الشامي أمير بني عقبة
٣٣٤	وفاة سلطان المغول وحكم عائلة الطيبي لجزيرة قيس وما حولها
٣٣٥	انتشار الإسلام في التار بإسلام ملكهم
٣٣٥	مقتل عساف بن أحمد بن حجي
٣٣٥	سبب الفتن بين آل جماز والشريف أبي نمي
٣٣٦	أول سلاطين بني عثمان
٣٣٧	أحداث القرن الثامن الهجري
٣٣٩	حكم ابن مغاس القرمطي على الإحساء
٣٤٠	استمرار الوجود المصفوري العامري رغم ذهاب دولتهم
٣٤٠	وفاة الشريف أبي نمي وتنافس أولاده على الحكم
٣٤١	من البدع التي كانت متفشية في مكة المشرفة
٣٤١	مقتل ابن مغاس على يد العمائر
٣٤٢	جروان يتزعزع الحكم في القطيف من ابن مغاس
٣٤٣	انتزاع مقل بن جماز إمارة المدينة من منصور بن جماز
٣٤٤	ولاية أمير المدينة المنورة على نصف نجد
٣٤٤	مقتل مقل بن جماز
٣٤٤	مقتل الشريف جماز بن منصور
٣٤٤	بعض بني لام يقطعون الطريق فيما بين مكة وتبوك
٣٤٤	طريق الحج المصري في عهد العمري
٣٤٥	فرار الشريف حميضة إلى العراق وتجهيزه إلى مكة

- ٣٤٦..... وصول حميضة إلى مكة على فرس واحد
- ٣٤٦..... استيلاء الشريف حميضة على مكة المكرمة
- ٣٤٧..... التتار يقومون بإعطاء البصرة لفضل بن عيسى
- ٣٤٧..... حلف عقيل مع غيرهم لطرد فضل بن عيسى من البصرة
- ٣٤٨..... شيخ آل حرب يقبض على الشريف رميثة
- ٣٤٨..... ولاية عطيفة مكة ونزوح حميضة إلى اليمن
- ٣٤٨..... مهاجمة حميضة مكة مرة أخرى
- ٣٤٨..... زوجة أمير المدينة تحذره من فتك الناصر وبني خالد وبني لام
- ٣٤٩..... شراء كشب ومران والحفر من قبيلة زعب
- ٣٥٠..... عناية ملك العراق بالحج العراقي ومجوم قبائل البحرين عليه
- ٣٥٠..... نموذج شعري لغانم بن عبيد الصخري
- ٣٥٠..... حصن فيد وذكر ابني مهنا بن عيسى
- ٣٥١..... دور خفاجة في طريق البصرة
- ٣٥١..... حكم بني نبهان الأزديين لعمان وتبعيتهم لهرمز
- ٣٥٢..... مرور ابن بطوطة بالقطيف والإحساء
- ٣٥٢..... اليمامة سكانها بنو حنيفة وأميرها طفيل بن غانم
- ٣٥٢..... ذكر أمير المدينة كبش الحسيني ومسير الأمير حمزة العقيلي إليه
- ٣٥٥..... وفاة أحمد بن تيمية
- ٣٥٥..... دخول قوات هرمز إلى البحرين
- ٣٥٦..... وفادة عدد من أمراء بني عقيل إلى مصر
- ٣٥٦..... نموذج شعري لـ كليبي بن ماجد من أمراء البحرين
- ٣٥٦..... وللأمير هلال بن أبي الحسين العامري
- ٣٥٦..... انتقال قبيلة مالك بن عقيل إلى جهات البصرة
- ٣٥٦..... الدولة الجلائرية (٧٣٧-٨٣٥هـ) في العراق
- ٣٥٧..... ما جرى للشريف أحمد بن رميثة في العراق
- ٣٥٨..... نفي العباسيين إلى قوص ونفي العبيديين إلى الفيوم

٣٥٨	نموذج شعري لأحد بني لام من بادية الحجاز
٣٥٩	بنو جعفر الطيار
٣٦٠	ولاية الشريف عجلان بن رميثة على مكة المكرمة
٣٦٠	علاقة البحرين والقطيف بسلطين هرمز
٣٦١	إكمال خندق المدينة لحمايتها من هجمات أعراب البادية
٣٦١	أخذ حرب البحرين للبصرة والاستعانة بأمير طي لردهم
٣٦٢	ولاية الشريف مانع بن علي على المدينة المنورة
٣٦٣	استيلاء العرب على البصرة
٣٦٣	بداية عهد المماليك الشراكسة في مصر
٣٦٣	نهب حاج شيراز والبصرة في الحسا على يد قرش النووي
٣٦٥	مهاجمة ثامر بن قشعم لأملاك آل فضل في البصرة
٣٦٥	إرسال جيش تيموري لمهاجمة صاحب البصرة والبحرين
٣٦٦	انتزاع مانع العقيلي البصرة من أحمد بن أويس
٣٦٦	قصة الشريف ناهش الحسيني وولده مناع
٣٦٧	عودة الجلائري بعد عام من خضوع العراق لتيمورلنك
٣٦٨	عودة تيمورلنك نحو العراق ولجوء رؤسائها للعثمانيين
٣٦٩	أحداث القرن التاسع الهجري
٣٧١	هجوم الشريف حسن بن عجلان على البقوم وعلى الحملة
٣٧٢	وفاة السلطان بايزيد في حبس تيمور
٣٧٢	وفاة تيمورلنك المغولي
٣٧٢	رجوع الجلائريين والتركمان إلى هروشهم
٣٧٢	إطلاق سراح الشريف حسن بن عجلان وتوليته على مكة
٣٧٢	إخماد ثورة الشريف جماز في المدينة المنورة
٣٧٣	المقامات الأربعة في الحرم الشريف
٣٧٤	انتزاع دوندي بنت السلطان حسين البصرة من مانع العقيلي
٣٧٥	تنازل ملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف عن الحكم لابنه

٣٧٥	انتفاض البدو ما بين البحرين والحجاز
٣٧٥	استقلال الإحساء عن حكم سيف الدين مهار وبقاء البحرين والقطيف وعمان وقلهات
٣٧٥	وهرمز تحت نفوذه
٣٧٥	خروج السيد زهير الحسيني على حاج عقيل
٣٧٦	وفاة الشريف حسن بن عجلان
٣٧٧	وفاة ملك هرمز والبحرين والحسا والقطيف
٣٧٧	معاربة الشريف بركات لبطن بشر من قبيلة حرب
٣٧٨	خروج بلي على الحجاج
٣٧٨	انتصار تورانشاه حاكم قلهاة على أخيه سيف الدين ملك هرمز
٣٧٨	استيلاء البدو على القطيف
٣٧٩	سقوط الدولة الجروانية وقيام الجبرية
٣٧٩	اختلاف حاكم الجزائر مع إخوته وقيام الدولة المشعشعية
٣٨٠	أخذ الشريف بركات لبني سعد ثم أخذه لمطير
٣٨١	خروج مطير على محمل الحج العراقي عند ركة
٣٨١	قدوم مانع المريدي من القطيف إلى الدرعية
٣٨١	نسب المردة
٣٨٣	تعرض بني سعد لهجوم الأتراك وملاحقة الشريف
٣٨٣	غزو زامل بن جبر الجبري للدواسر وعائذ على الخرج
٣٨٤	غزو زامل بن جبر للدواسر
٣٨٤	تدخل الشريف بركات في حادثة تعرض حاج عقيل لنهب العرب
٣٨٤	تناوخ عنزة والظفير على (نفي)
٣٨٤	تناوخ عنزة والظفير على (الضلفعة)
٣٨٥	مهاجمة الفضول على (حفر العتق) ثم آل مغيرة على (الغزير)
٣٨٥	فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ
٣٨٥	عدة وقعات بين عنزة والفضول
٣٨٥	مهاجمة زامل بن جبر لبوادي زغب والعوازم
٣٨٦	وفاة الشريف بركات وتفويض الأمر لابنه محمد أبي نمي

- ٣٨٦ مقتل شيخ عدوان
- ٣٨٧ أخذ الدواسر قافلة لأهل الإحساء قرب حرص
- ٣٨٧ وقعة بين عنزة والظفير في السر
- ٣٨٧ غزوة للشريف محمد بن بركات على البقوم
- ٣٨٨ وفاة حسن بن طوق رئيس العينة
- ٣٨٨ زامل بن جبر يغزو آل مغيرة وسبيع في حابر سبيع
- ٣٨٩ وفاة السيد محمد بن فلاح المشعشع وإمارة ابنه محسن
- ٣٨٩ انتشار الأمراض والأوبئة والقحط
- ٣٨٩ غزو الشريف أبي نمي لزبيد وللبقوم ولبعض عتية ومصالحته لبني سعد
- ٣٩٠ ذكر أجود بن زامل بلقب رئيس البحرين والحسا والقطيف
- ٣٩٠ خضوع سواحل الخليج لثلاثة حكام من آل جبر
- ٣٩١ أخذ آل كثير والموازم وزغب قافلة لأهل نجد على اللصافة
- ٣٩١ دعم الجبور لسلفور بقوات في صراعه مع إخوته في جزيرة هرمز
- ٣٩٢ استيلاء محسن المشعشي على البصرة بعد قتل يحيى بن محمد بن مانع
- ٣٩٢ وفاة السلطان محمد خان الثاني وتولي ابنه السلطان بايزيد خان الثاني
- ٣٩٢ غزوة أجود بن زامل للفضول على تبراك
- ٣٩٢ توجه الشريف بركات لغزو مطير
- ٣٩٤ تعمير يوسف بن أحمد أبي ريشة الطائي لموقع حريملاء
- ٣٩٥ استحواذ ابن عطا أمير ملهم على حريملاء
- ٣٩٥ نسب العطيان إلى وائل وعامر
- ٣٩٥ مسير الشريف محمد بن بركات إلى بني لام
- ٣٩٥ عجل بن غدفا وكليب بن مانع
- ٣٩٦ أجود بن زامل يهاجم الدواسر على الحرملية
- ٣٩٦ استيلاء سيف بن أجود على عُمَان
- ٣٩٦ وقعة لينة بين كليب بن مانع شيخ المتفق وأجود بن زامل
- ٤٠٠ حرب مكة مع آل جميل

٤٠١	غزو الشريف بركات للروقة
٤٠٣	أحداث القرن العاشر الهجري
٤٠٥	غزوة السلطان أجود لزغب والعوازم وهتيم ثم الدواسر
٤٠٥	بنو لام يقطعون طريق الحاج
٤٠٥	أخبار بني لام وشيخهم عجلان وأخبار بني حسين وعدوان
٤٠٦	قتل الشامانيين ابن عجل بن غدفا اللامي وغيره
٤٠٦	من أخبار المدينة المنورة وأمرائها
٤٠٧	وفاة الشريف محمد بن بركات وولاية ابنه بركات
٤٠٧	تأسيس الدولة الفارسية الصفوية
٤٠٧	غزوة مطير على زيد بموافقة الشريف بركات
٤٠٨	غزوة الشريف بركات لمطير ولبنى لام
٤٠٨	تنافس الشريف بركات مع الشريف هزاع على ولاية مكة
٤٠٨	وفاة الشريف هزاع وولاية الشريف جازان
٤٠٨	عمارة سور جدة
٤٠٩	مقتل السيد جازان صاحب مكة وولاية الشريف حميدة
٤٠٩	فرار الشريف بركات من مصر
٤١٠	مهاجم الشريف بركات على مكة
٤١٠	مهاجم بني خالد على الشريف إبراهيم والقبض على شيخ لهم
٤١٠	غزوة الشريف بركات لعتية وبلاغه بفعله بني خالد
٤١١	جمع عدد من الأشراف لجمع من بني إبراهيم وزيد للهجوم على مكة
٤١١	خبر غريب عن عرب ابن جبر
٤١٢	الحجة الأخيرة لأجود بن زامل
٤١٣	وصول جماعة ابن (جبر) وفيهم اثنان من أولاد مقرن بن أجود
٤١٣	مهاجمة الشريف إبراهيم بن بركات لبني خالد
٤١٣	أخذ عتية لإبل هريب الدار قريش ومن خزاعة ولحيان
٤١٣	إغارة شيخ عتية علي بن سالم على إبل قريش قرب حرفة

٤١٤	انتصار العساكر على يحيى بن سبع
٤١٤	إشارة إلى وجود حلف كبير باسم بني لام
٤١٧	استنجاد الشريف بركات بمحمد بن أجود
٤١٧	دخول البرتغاليين إلى الخليج العربي وتصدى آل جبر لهم
٤١٨	حديث المصادر البرتغالية عن سعة نفوذ آل جبر
٤١٨	إعداد حملة هرمزية تستهدف الجبريين تأخرت أربع سنين
٤١٨	مقتل مالك بن رومي الزبيدي وأولاده الثلاثة وبعض قومه
٤١٩	استيلاء الشاه إسماعيل على البصرة ورجوعها لحكم آل مغامس
٤١٩	حروب المماليك والملك إياس ضد البرتغاليين
٤٢٠	التعاون الإيراني البرتغالي ضد العثمانيين والعرب
٤٢١	ضرب الاقتصاد الجبري في مياه الخليج
٤٢١	الدعم العثماني لمماليك مصر
٤٢١	انتهاء الاحتلال الهرمزي المؤقت لجزر البحرين
٤٢٢	انتصار الشريف بركات على بني عقبة والمفارقة
٤٢٢	مقتل السمرقندي على يد قبيلة عنزة
٤٢٣	مكافأة الشريف بركات للقبائل التي ناصرت في حملته على ينبع
٤٢٣	الشريف قيتبای يغزو ربيعة من قبائل الشرق
٤٢٣	وفاة سلطان مكة الشريف قيتبای
٤٢٣	وفاة السلطان بايزيد وحكم السلطان سليم الأول
٤٢٣	لجوء بني السفر إلى بني جابر من مطارديهم الحربيين
٤٢٤	سرور سلطان مصر من الصراع الدائر بين العثمانيين والصفويين
٤٢٤	الشاه الإيراني يحذر السلطان المملوكي من العثمانيين
٤٢٤	الانتصار الساحق لتركيا على إيران في معركة جالديران
٤٢٥	القيادة البرتغالية في الخليج ترى سهولة مهاجمة مكة
٤٢٥	إعداد حملة بحرية مصرية لمهاجمة البرتغاليين
٤٢٥	سعي الجبريين لإقامة علاقات ودية مع البرتغاليين والهرمزيين

٤٢٥	معركة مرج دابق وسقوط دولة المماليك
٤٢٦	السلطان سليم أقر الأمير مدلج آل أبي ريشة على إمرة العرب
٤٢٦	استقبال السلطان سليم بعد عودته من مصر لشيخ القبائل العربية
٤٢٧	تنازل الخليفة عن الخلافة ونقله إلى استانبول
٤٢٧	مقرن بن أجود ينتزع الإمارة من صالح بن سيف
٤٢٨	خوف شريف مكة من البرتغاليين
٤٢٨	استقبال السلطان سليم لأبي نعي بالتبجيل والإكرام
٤٢٨	تعرض جفيمان بالمفارقة وهنزة للركب الشامي أثناء عودته في العلا
٤٢٩	قتال بين السلطان مقرن بن زامل وأحد أقربائه
٤٢٩	تعرض شيخ المفارقة (جفيمان) للطريق
٤٢٩	وفاة السلطان سليم
٤٢٩	هجوم برتغالي هرمزي على جزر البحرين
٤٣٠	الاحتلال البرتغالي للبحرين الذي استمر مدة طويلة
٤٣١	رواية مختلفة عن كيفية استشهاد السلطان مقرن
٤٣١	وفاة السلطان صالح بن سيف الجبري
٤٣٢	إمارة الجبور بعد استشهاد السلطان مقرن
٤٣٢	احتلال آل جبر لصحار بمساعدة البرتغاليين
٤٣٢	شراء قطن بن علي بن هلال الإمارة من ناصر بن محمد بن أجود
٤٣٢	وفاة الشاه إسماعيل الصفوي
٤٣٣	الذعر الإيراني من شائعة الاستعدادات العثمانية
٤٣٣	دخول هنغاريا تحت الدولة العثمانية
٤٣٤	انتزاع راشد بن مغاس للبصرة من يد الفرس
٤٣٤	نهاية دولة آل جبر باستيلاء راشد بن مغاس على بلادهم
٤٣٥	وصول سلطان الشرق الجديد راشد بن مغاس إلى مكة المكرمة
٤٣٧	انتصار الشريف أبي نعي على عرب سبيع في جهة الشرق
٤٣٨	التهديد البرتغالي والتهدئة المغاسية

٤٣٨	إجلاء البرتغاليين من الأحساء بقيادة أحد شيوخ آل جبر
٤٣٨	تنصل راشد بن مغاس من دعوة حاكم جزيرة هرمز
٤٣٨	البرتغاليون يوجهون ضربة عسكرية لحليفهم
٤٣٩	قيام البرتغاليين بهجوم ثانٍ على البحرين
٤٣٩	خضوع القطيف للسيادة الهرمزية الخاضعة للسيادة البرتغالية
٤٣٩	سيطرة العثمانيين على كل العراق
٤٣٩	وصول حاج كبير من الشرق فيهم ابن سلطانهم
٤٤٠	وصول سلطان البصرة راشد بن مغاس المتفقي لمكة
٤٤٠	مسير الشريف أبي نمي لمحاربة عرب سبيع وشيخهم الرويبي
٤٤٠	جنيمان شيخ مطير وسعي شيخ بني حرب بن علي
٤٤٠	إعلان حاكم البصرة الولاء للعثمانيين
٤٤٢	سيطرة العثمانيين على قطر والقطيف والأحساء
٤٤٢	انسحاب راشد من أمام أمير بادية القطيف
٤٤٢	بداية حكم السلطان مانع بن راشد بن مغاس
٤٤٣	الشريف أبو نمي يعلن الجهاد على البرتغاليين في جدة
٤٤٣	توجه مانع للقطيف لمحاربة البحرين
٤٤٣	تمرض مانع لهجوم في أطراف البصرة وعودته للأحساء
٤٤٣	وفاة الشيخ عثمان بن محمد وتنصيب ابنه الصبي محمد
٤٤٤	استيلاء الشيخ مانع بن راشد على البصرة
٤٤٤	تواطؤ خصوم الإمارة المغاسية مع حاكم البحرين الهرمزي
٤٤٤	المساعدة في استرجاع البصرة مقابل تسليم القطيف
٤٤٥	سقوط القطيف أمام حملة برتغالية هرمزية
٤٤٦	اختفاء اسم السلطان مانع بن راشد من ساحة الأحداث
٤٤٦	سقوط آخر أمراء آل مغاس في البصرة يحيى بن محمد
٤٤٧	دخول العثمانيين للأحساء ويرافقهم عبدالله بن مانع بن راشد
٤٤٧	قرار العثمانيين تسليم القطيف لعبدالله آل مغاس

- ٤٤٧ عودة القوات العثمانية إلى البصرة
- ٤٤٨ أخذ قوافل عنزة على اللصافة
- ٤٤٨ عنزة تغزو الموازم وزغب على ثاج
- ٤٤٨ وقوع القطيف والإحساء تحت الحكم العثماني المباشر
- ٤٤٩ محمد باشا (فاتح باشا) أول حاكم عثماني على الإحساء
- ٤٥٠ نزوح بعض أهل القطيف إلى أوال بسبب النمرة الطائفية التركية
- ٤٥٠ تقسيم البصرة إلى ثمانية سناجق وثلاث نواح
- ٤٥٠ الغارات البرتغالية تدمر القطيف وتصل البصرة
- ٤٥١ الحملة العثمانية الثانية على الإحساء
- ٤٥١ تعيين مسعود بن حميد أميراً على بعض بلاد العارض ونجد
- ٤٥٢ بدء حكم الشريف حسن الذي صارت البلاد النجدية تحت ولايته
- ٤٥٢ قطع آل حميد وآل غزي طريق حجاج العراق
- ٤٥٣ استعادة الجبريين الحكم على يد مقرن بن غصيب
- ٤٥٣ قصيدة الكلبي في الأمير مقرن بن قضيب بن زامل بن هلال
- ٤٥٥ حرب أمير المدينة مع أبناء صموته وعدد من القبائل وهجوم الشريف نحو شمر
- ٤٥٦ غزوة الشريف أبو نعي لمي والظفير
- ٤٥٦ معركة بين عنزة والظفير على المستوي
- ٤٥٦ فشل حملة عثمانية في تحرير البحرين بسبب الدعم الإيراني والبرتغالي
- ٤٥٧ ثورة بني خالد بزعامة الشيخ سعدون وادعائه بملكية الإحساء
- ٤٥٧ الأمر بالقضاء على كل من يؤيد أو يتعاون مع سعدون
- ٤٥٨ ولاية مانع على المدينة بعد عزل جماز
- ٤٥٨ غيابة الشريف أبي نعي في الشرق لمحاربة بني خالد
- ٤٥٨ هوشة بين عقيل من عربان البصرة وقبيلة عدوان في مكة
- ٤٥٨ ذكر محمد بن علي بن حدجة صاحب الرس
- ٤٥٨ الأوضاع السياسية في إيالة البصرة
- ٤٥٩ ولاية مظفر بن سلطان على حُمان

٤٥٩	احتلال المنتفق للجزائر بقيادة ابن عليان
٤٥٩	معارك بين الدواسر والفضول
٤٥٩	نشأة بلدة الزبير
٤٦٠	ذكر أمراء العارض الذين يسّرون الحجاج إلى الديار المقدسة
٤٦٠	تعيين سعدون حاكماً على المنطقة بشرط إقامة عشيرته بالإحساء
٤٦١	توغل بني لام إلى عربستان
٤٦٢	تصدي ابن حميد لمحمد بن عثمان الذي أعلن أحقيته بحكم المنطقة
٤٦٢	سقوط معكال واعتقال زعمائها ثم تأمير محمد بن عثمان عليهم
٤٦٣	غزوة الشريف لسوق الخميس بهذيل وغطقان وعدوان وبني سعد وغيرهم
٤٦٣	حرب الشريف أحمد النقيب مع بني سليمان بنواحي ينبع
٤٦٤	دخول إنجلترا تحت الحماية العثمانية
٤٦٤	خضوع البرتغال للاحتلال الأسباني
٤٦٤	غزوة الشريف للمرة الثانية على البديع والخرج والسلمية والإمامية
٤٦٥	مسير الخوالد لمساندة أهل الرياض
٤٦٥	انقراض دولة آل أجود بالإحساء
٤٦٥	الاستعانة بشريف مكة وبأي ريشة لرد هجمات البدو عن الإحساء
٤٦٦	استمرار ثورة سعدون
٤٦٦	وفاة الشريف حسن وولاية الشريف أبي طالب وحرب أحمد النقيب وميزان النعيري مع الجلاس من عنزة
٤٦٨	بداية حكم الشاعر بُرُكات المشعشي أمير الحويزة
٤٦٩	خطاب السلطان العثماني إلى الشيخ سعدون آل حميد
٤٦٩	خطاب السلطان العثماني إلى حاكم البصرة
٤٦٩	تعبية بولندا ولتوانيا للدولة العثمانية
٤٧١	أحداث القرن الحادي عشر الهجري
٤٧٣	تكرار القول بانقراض دولة آل أجود في الإحساء
٤٧٣	عصر منيع والخلاوي
٤٧٦	سقوط دولة منيع السيار بن سالم المنيعي على يد زيد

- ٤٧٨ وقوع ألوية الإحصاء في يد الخوالة ما عدا صفوى والقطيف
- ٤٧٨ القبض على حسين بن هريش لقيامه بالقرصنة البحرية
- ٤٧٨ مقتل عبد الباقي باشا وتعيين أحمد باشا مكانه على الإحصاء
- ٤٧٨ وفاة الخليفة العثماني مراد خان وحلافة ابنه محمد خان
- ٤٧٨ بداية حكم أفراسياب على البصرة
- ٤٧٩ إنزال بني كعب بالقبان
- ٤٧٩ ذكر هجمات مبارك بن مطلب على أنحاء البصرة وقرى البصرة والإحصاء
- ٤٨٠ خلاص البحرين من أيدي البرتغاليين على يد شاه فارس
- ٤٨٠ تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية
- ٤٨١ حكم الشيخ الجبري لجزيرة البحرين وانقراض دولته
- ٤٨٢ وفاة الشريف أبي طالب صاحب الحادثة المشهورة مع قبيلة زعب قرب بيشة
- ٤٨٢ ولاية الشريف إدريس بن الحسن وشركاه على مكة المكرمة
- ٤٨٢ ابن معمر يتنزع حريملاء وملهم من العطيان
- ٤٨٣ ذكر حكم الشيخ عبدالله بن راشد على كويبة
- ٤٨٣ ولاية علي باشا الملقب بالبغدادي على الإحصاء
- ٤٨٣ الصلح بين الأتراك والإيرانيين
- ٤٨٤ مبارك المشعشي وهجماته المتصلة على البصرة والإحصاء
- ٤٨٤ القتال بين الأمراء الجبريين ونبهان بن فلاح بعمان
- ٤٨٤ قصيدة العليمي في الأمير قطن بن قطن الجبري
- ٤٨٦ بداية ضعف الدولة العثمانية
- ٤٨٦ سقوط جزيرتي هرمز والبحرين في يد الشاه عباس
- ٤٨٧ الاحتلال الإيراني لبغداد والبلاد العراقية
- ٤٨٨ الاتفاقية الهولندية الإيرانية
- ٤٩٠ إقامة وكالة تجارية برتغالية في البصرة
- ٤٩٠ سلامة البصرة من الاجتياح الإيراني
- ٤٩٠ من مشاهدات ديلالافاليه في جنوب البصرة

- ٤٩٢ توغل شريف مكة إلى قرب الإحساء واجتماعه ببعض أقربائه
- ٤٩٢ استيلاء ناصر بن مرشد على خورفكان
- ٤٩٢ جدول لأمرء عُمان وإماراتها
- ٤٩٣ مقتل أولاد صاحب بلدة مقرن
- ٤٩٣ اتساع حكم علي باشا البغدادي إلى هرمز
- ٤٩٣ وفاة الشريف إدريس في جبل شمر
- ٤٩٣ ولاية حسين أفراسياب على البصرة
- ٤٩٤ ولاية الشريف أحمد بن عبدالمطلب على مكة المكرمة
- ٤٩٤ ولاية الشريف مسعود بن إدريس ثم الشريف عبدالله بن الحسن
- ٤٩٤ دفاع بني كعب عن البصرة ضد الفرس
- ٤٩٤ انهيار أجزاء من جدران بيت الله الحرام
- ٤٩٥ من الأخبار الأولى للمردة أسلاف آل سعود وآل ثاقب
- ٤٩٥ اشتراك محمد بن عبدالله وزيد بن محسن في ولاية مكة المكرمة
- ٤٩٦ اشتراك نامي بن عبدالمطلب وعبدالعزیز بن إدريس بولاية مكة
- ٤٩٦ فرار الشريف نامي وشريكه وولاية الشريف زيد
- ٤٩٦ غزوة الشريف زيد على آل صبح من حرب
- ٤٩٦ وباء الخيل
- ٤٩٦ إعادة تعيين سوندك سلطان على البحرين
- ٤٩٧ تحركات الإمام ناصر العسكرية في الأراضي العمانية
- ٤٩٧ لجوء ابن قطن إلى الظفرة وتمصب بني ياس له
- ٤٩٨ اتفاق الجبري والخالدي على غزو بني خالد وبني لام في الباطنة
- ٤٩٨ اعتقال ابن حميد الخالدي بحصن الغبي
- ٤٩٨ ولاية محمد بن علي على الإحساء بعد والده علي باشا
- ٤٩٨ نزول آل رباع حريملاء
- ٤٩٨ ولاية راضي بن فنخة على المدينة المنورة
- ٤٩٩ وقعة مران

٤٩٩	إعادة بغداد إلى السيادة العثمانية
٥٠٠	استقلال البرتغال من إسبانيا
٥٠٠	وصول قبيلة شمر إلى الجهات العراقية ومزاحمة قبائلها
٥٠٠	تحرير الساحل العماني
٥٠٠	ولاية حسين باشا على البصرة من بعد والده علي باشا
٥٠٢	مقتل مرخان بن مقرن علي يد وطبان بن ربيعة
٥٠٢	وفاة أمير العيينة حمد بن معمر وولاية أخيه بعده
٥٠٢	ولاية رميزان بن غشام على روضة سدير
٥٠٣	مقتل دواس بن معمر رئيس العيينة وإمارة محمد بن حمد
٥٠٣	المصالح البرتغالية في كوثك
٥٠٣	ذهاب وفد من مدينة القرين لتتهتة سلطان عُمان
٥٠٣	الصراع الهولندي الإنجليزي في مياه الخليج العربي
٥٠٤	دخول الجيش العثماني للبصرة ثم عودة حسين باشا مرة أخرى
٥٠٤	رغبة قبائل من بلاد الجميلي الدخول في طاعته إمام اليمن
٥٠٤	احتمال هجرة الجميلات من البديع
٥٠٦	عودة حسين باشا لحكم البصرة
٥٠٦	خروج الشريف زيد إلى بلدان نجد
٥٠٦	الفتنة بين أمير مكة وأحمد بن الحارث أمير نجد
٥٠٦	توفير مقر جديد لشركة الهند البريطانية في البصرة
٥٠٦	نهب المحمل الشامي على يد عنزة وبني لام
٥٠٧	إخضاع القطيف والإحساء لحاكم البصرة حسين أفراسياب
٥٠٧	استيلاء براك على الحكم وإرسال يحيى باشا للقضاء على براك
٥٠٧	تعزيز قوات يحيى باشا بقبيلة القشعم
٥٠٩	استعانة والي الأحساء المخلوع بشريف مكة للتوسط له لدى الخليفة
٥١١	حسين باشا يطرد محمد باشا للمرة الثانية من الأحساء
٥١١	ولاية عمر الحلبي ومحاصرة براك للإحساء

- ٥١١..... إخراج براك بن خريز لوالي الأحساء عيسى بن علي دون قتال
- ٥١٢..... صدور الأوامر إلى والي بغداد بنزع البصرة من يد حسين باشا
- ٥١٢..... ثورة أهل البصرة على حسين باشا أثناء غيابه في القرنة
- ٥١٣..... مساندة الموالي لوالي بغداد ومساندة المتفق لوالي البصرة
- ٥١٣..... توقيع الصلح بين إبراهيم باشا وحسين باشا
- ٥١٣..... ذهاب الكواويزة إلى الخليفة احتجاجاً على حسين باشا
- ٥١٣..... عزل سوندك عامل الصفويين على البحرين وتلاه تعيين عدة عمال
- ٥١٤..... مقتل أمير المدينة المنورة محمد بن مسعود
- ٥١٤..... وفاة الشريف زيد بن محسن وولاية ابنه الشريف سعد
- ٥١٤..... سعة نفوذ الشريف زيد ومعتقده المذهبي
- ٥١٤..... عودة النزاع بين رميزان بن غشام وخصومه
- ٥١٥..... قصيدة رثاء لرميزان في محمد سلطان عامر
- ٥١٥..... فتنة الشريف حمود بن عبدالله ومطالبته بالحكم
- ٥١٦..... إيقاع الشريف حمود بالتجريدة المصرية ((وقعة ينبع))
- ٥١٦..... أحمد بن رحمة بن مضيان شيخ حرب
- ٥١٧..... اختيار يحيى آغا على ولاية البصرة
- ٥١٩..... تنصيب يحيى باشا على البصرة باسم السلطان  
- ٥١٩..... فرار حسين باشا إلى إيران ثم الاستقرار النهائي في الهند
- ٥٢٠..... تغير أحوال بني كعب وتفرقهم وضعف قوتهم
- ٥٢٠..... مشيخة عثمان ابن أخي محمد بن راشد على المتفق
- ٥٢٢..... مقتل راشد بن مغامس واستيلاء براك آل حميد على الأحساء
- ٥٢٣..... ذكر المقر الصيفي لحكم آل حميد
- ٥٢٣..... مسير صاحب الأحساء محمد بن خريز لغزو بلاد العارض
- ٥٢٣..... انضمام الشريف محمد بن زيد إلى ثورة الشريف حمود ضد أخيه
- ٥٢٤..... زحف الجيش العثماني على البصرة وهروب صاحبها إلى الهند
- ٥٢٤..... توجه محمد بن زيد إلى بني سعد لخروجهم عن الطاعة

٥٢٤	وقعة الشريف حمود مع الظفير في نجد
٥٢٤	سبب انتقام الشريف حمود مع قبيلة الظفير
٥٢٥	قطع ابن رشيد لطريق الحجاج في منطقة العلا
٥٢٦	هجوم براك بن خريز على الظفير وعلى آل نبهان
٥٢٦	تولية الشريف بركات بن محمد على مكة
٥٢٦	تحالف قبلي بين البصرة وبندر ريق ضد الهولة
٥٢٧	وقعة القاع
٥٢٧	انتصار الشريف بركات على قبيلة حرب
٥٢٧	إخضاع أهل وادي الفرع بعد عصيانهم
٥٢٧	وفاة حمود بن عبدالله وأحمد بن محمد الحارث
٥٢٨	محدار معظم بوادي الفضول إلى جهة الحويزة والعمارة
٥٢٨	سنة غيبية
٥٣١	وقعة هدية
٥٣١	مناخ الضلفعة
٥٣١	بنو لام يقطعون الطريق قرب الحويزة
٥٣١	الصرر الممنوحة للقبائل الواقعة على طريق الحج الشامي
٥٣٢	وقعة دقلة وهي سنة حجرة الدهيرات
٥٣٢	انتقال عشيرة آل حميدي من قطر إلى البر الإيراني
٥٣٢	وفاة الشيخ براك بن خريز
٥٣٣	تدهور العلاقات الإيرانية الهولندية
٥٣٣	وفاة الشريف بركات
٥٣٣	حالة الفوضى في الحجاز
٥٣٤	دخول ابن سويط في طاعة الشريف
٥٣٤	من الأخبار النجدية المتفرقة
٥٣٤	اتفاق ابن معمر وابن سعود على مهاجمة حريملاء
٥٣٤	الغارة على حريملاء مرة أخرى

٥٣٥	مسير أهل حريملاء ومعهم محمد بن مقرن إلى سدوس
٥٣٥	الاعتقال بين آل مغيرة وآل عساف
٥٣٥	وقعة بين آل مغيرة وبني عامر بن صعصعة
٥٣٦	نبذة عن الأمير حجل بن حنيتم
٥٣٧	مقتل وديد بن عروج على يد شمر
٥٣٩	لمن كانت القوة في عالية نجد
٥٣٩	وقعة مرزم بين الشريف وبني خالد غربي نجد
٥٣٩	وفاة الشريف أحمد بن زيد وولاية الشريف أحمد بن غالب
٥٤٠	هجوم محمد بن غرير على آل عثمان العائدين في الخرج
٥٤٠	وفاة الشيخ محمد بن بدران بن زايد الدوسري
٥٤٠	نسخ الموطن في فيلكا بيد علي بن مسعيد
٥٤١	أحداث القرن الثاني عشر الهجري
٥٤٣	مقتل مرخان بن وطبان وولاية أخيه إبراهيم
٥٤٣	ذكر عدة حوادث
٥٤٣	وقوع الطاعون بالبصرة ونواحيها وحكم بني كعب للقبان
٥٤٤	بداية مشيخة آل شبيب الأشراف في قبائل المنتفق
٥٤٦	تعيين أحمد بن عثمان باشا على البصرة وذكر الطاعون
٥٤٦	احتلال الشيخ مانع زعيم المنتفق للبصرة
٥٤٦	إصدار الأوامر لوالي بغداد للقضاء على حركة شيخ المنتفق
٥٤٧	مشاركة بني خالد للعثمانيين ضد المنتفق بقيادة ثنيان
٥٤٧	وفاة الشيخ محمد آل غرير وشيخة سعدون بن محمد
٥٤٧	عودة البصرة إلى حكم الشيخ مانع وطرد خليل باشا منها
٥٤٨	بداية حكم سلطان حسين الصفوي
٥٤٨	وفاة محمد بن مقرن
٥٤٨	استيلاء سلطان بن حمد القيسي على الدرعية
٥٤٨	تأجيل حملة الولاة العثمانيين ومعهم شريف مكة لاستنقاذ البصرة

٥٤٩	مكافحة والي بغداد للقبائل المتمردة على السلطة
٥٤٩	بحث الهولنديين عن اللؤلؤ في البحرين
٥٤٩	انتقاض الأشراف العبادلة على الشريف سعد بن زيد
٥٥٠	تعيين الشريف عبدالعزيز على ولاية نجد
٥٥٠	وقعة بين الظفير والفضول وإلقاء القبض على الشيخ سلامة بن سويط
٥٥٠	إخراج حاكم الحويزة لشيخ المتفق واستيلائه على البصرة
٥٥٠	العلاقات الإيرانية الهولندية العمانية الإنجليزية
٥٥١	طاعون البصرة ونواحيها
٥٥١	حدوث تبدلات كبرى في مسميات القبائل وديارها
٥٥١	جبر بن سيار يتنقد عصره ويذكر استغلال رجال الدين لمناصبهم
٥٥٢	عثمان بن نحيط يدعو أخاه إلى أخذ العبرة من مصير الملوك السابقين
٥٥٤	عدة أخبار نجدية متفرقة
٥٥٤	ولادة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونسبه
٥٥٤	حدوث منافرة بين الأشراف ذوي عبدالله والشريف سعد بن زيد
٥٥٤	حصار ابن سويط لآل غزي على سدير
٥٥٥	فشل التحالفات ضد الظفير
٥٥٥	انهزام ابن سويط إلى الغوطة غربي جبل أحيات كميناً لبيبرس بن سويط
٥٥٥	عدة حوادث
٥٥٥	عزل مهدي قلي خان عن البحرين وتنصيب قزاق سلطان
٥٥٦	تجارة العتوب والخليفات والهولة في البحرين التابعة لفارس
٥٥٧	إيقاع الفتنة بين العتوب والخليفات والهولة
٥٥٧	هجوم الخليفات والعتوب على البحرين في أول رجب
٥٥٧	نزوح العتوب والخليفات إلى البصرة
٥٥٨	نزوح المهاجرين من البصرة ونزولهم منطقة أم قصر
٥٥٩	محاولة الإصلاح بين المهاجرين والهولة
٥٥٩	إبعاد المهاجرين من منطقة أم قصر وتوجههم إلى الصبية

٥٥٩	ثورة الأشراف ذوي عبدالله على الشريف سعد
٥٦٠	سنة سمدان
٥٦٠	النزاع بين فوزان آل معمر وبين جبور بني خالد أمراء الجناح في عنيزة
٥٦٠	أمير العوازم يقدم الدعم المادي لعنيزة
٥٦٢	غرة السليمي في عنيزة
٥٦٢	مقتل هنيديس شيخ الروقة على يد قبيلة هذيل
٥٦٢	احتلال الشريف عبدالكريم البركاتي لمكة المكرمة ومعه عتية وحرب
٥٦٢	مسير الأشراف البركاتية للشريف سعيد
٥٦٣	محاولة الشريف سعد دخول الطائف
٥٦٣	ولاية الشريف عبدالكريم على مكة المكرمة
٥٦٣	الهجمات العمانية على الأراضي الفارسية
٥٦٤	إمارة نجم آل غرير على الحاج العقيلي
٥٦٤	استيلاء أمير المتفق مغامس بن مانع على البصرة
٥٦٥	خروج عشائر شمر عن طاعة الدولة في العراق وتمرد عشيرة غزيرة
٥٦٥	وقعة الخضار
٥٦٦	نزول الحاج العقيلي في نادق
٥٦٦	وقت شيخة بداح بن بشر العنقري على نزمدا
٥٦٦	إرسال الحملات لإخضاع الشيخ مغامس بن مانع
٥٦٧	ذكر القبائل التي كانت تناصر الشيخ مغامس بن مانع
٥٦٨	نزول الحج الأحساني العينية بقيادة نجم آل غرير
٥٦٨	انتهاء فترة حكم بني خالد للدرعية
٥٦٨	وقعة الساقة بين بني خالد والظفير عند الحجر
٥٦٨	ثورة الأمير مغامس رئيس المتفق مرة أخرى
٥٦٨	حرب داخلية بين شيوخ آل شبيب أدت إلى انقسام المتفقيين
٥٦٩	مرور ابن علوان على الكويت ووصفه لها
٥٦٩	وصف مرتضى بن علوان للإحساء

٥٧٠	ووصفه للحج العقيلي في مكة المكرمة
٥٧٠	وقوع خلاف بين شريف مكة وأمير حج الإحساء
٥٧٠	مرافقة ابن علوان الدمشقي لقافلة الحج العقيلي الاحسائي
٥٧١	هجوم صوف على الحجاج
٥٧١	معركة بين سعدون آل فريز والظفير
٥٧١	مواجهة بين شريف مكة المكرمة وبين الشريف عبدالكريم
٥٧١	هجوم سعدون آل فريز ومعه عبدالله آل معمر على اليمامة
٥٧٢	نزول حاج الإحساء بقيادة ابن عفالق على العارض
٥٧٢	فترة الاضطرابات في الخليج العربي
٥٧٢	نزوح العتوب من أم قصر إلى الصبية
٥٧٢	ومن الصبية إلى الكويت
٥٧٤	اسم الكويت مشتق من الكوت وهو الحصن
٥٧٤	بداية التاريخ الحقيقي لتأسيس الكويت
٥٧٦	الشيخ سليمان بن أحمد أول رئيس لآل صباح
٥٧٧	الشيخ صباح شقيق أول حاكم للكويت
٥٧٧	التجمع الرئيسي في الكويت قبل ورود العتوب
٥٧٩	قيام الكويت كدولة
٥٧٩	غارة عمانية ناجحة على البحرين
٥٨٠	شاه إيران يُعدّ لهجوم على مسقط
٥٨٠	ثورة سعود بن محمد على موسى بن ربيعة
٥٨٠	مرور حاج الإحساء على العارض
٥٨٠	إجلاء آل عفالق من الإحساء
٥٨١	سقوط الدولة الصفوية مؤقتاً على يد الأفغان
٥٨١	وفاة الأمير سعدون بن محمد وصراع آل حميد على الحكم
٥٨٢	وفاة قاضي الكويت ابن فيروز
٥٨٢	حكم الشيخ جبارة الجبري لجزيرة البحرين

٥٨٢	هجرة الكثير من بوادي نجد إلى الشمال والشرق
٥٨٣	وفاة الأمير سعود بن محمد وإمارة زيد بن مرخان
٥٨٣	إمارة عبدالله بن سعيد ونزوح محسن بن عبدالله ومؤيديه
٥٨٣	وفاة أقوى زعماء نجد وولاية خرفاش
٥٨٣	مقتل مقرن بن محمد وولاية ابن أخيه محمد بن سعود
٥٨٤	مقتل زيد بن مرخان أمير الدرعية وولاية محمد بن سعود عليها
٥٨٤	حلاقة الأفغان حكام إيران بالأوروبيين
٥٨٥	حرب الشريف محسن مع آل حبشي وابن سويط مع دجيني والمتفق
٥٨٥	وقعة الساقى
٥٨٥	دمطردة الطيار شيخ عنزة للظفير من العرمة إلى الرياض
٥٨٦	نزول أفراد من قبيلة العوازم في منطقة القريات
٥٨٨	مقتل خرفاش شيخ العيينة
٥٨٨	هجوم أمير جلاجل وابن سويط على بلد التويم
٥٨٨	مقتل أمير الإحساء ووفاة والي مكة المكرمة
٥٨٨	مقتل شيخ الظفير شهيل بن سويط
٥٨٨	مقتل أمير الرياض زيد أبي زرعة على يد قبيلة عنزة
٥٨٩	اتفاق حدة قبائل على الاشتراك في بعض الأراضي
٥٨٩	تغيرات الحكام في إمارة بني كعب
٥٨٩	مقتل محمد بن مانع الشيبى وترؤس ابنه سعدون
٥٩٠	الحملة الإيرانية لاحتلال البحرين بمساعدة المطاريش
٥٩٠	اتفاق محمد بن عبدالوهاب مع ابن معمر
٥٩١	استيلاء دهام بن دواس على الرياض
٥٩١	خروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من نجد إلى البصرة
٥٩١	ثورة المتفق ومقتل الأمير سعدون الشيبى
٥٩٢	بداية دولة ابو سعيد في عمان
٥٩٣	رحيل محمد بن عبد الوهاب من البصرة إلى بغداد

٥٩٣	حصار طهماز شاه للبصرة وبغداد ونهبه للكويت
٥٩٤	اكتيال الظفير من البصرة وإقامتهم في ناحية العراق
٥٩٤	خروج الشيخ من العيينة إلى الدرعية
٥٩٥	أول الغزوات السعودية
٥٩٥	ابن سويط يأخذ بريدة وآل شماس يغدرون في الهليلي
٥٩٥	مقتل دباس أبي محمد
٥٩٩	هجوم دهام بن دواس على منفوحة
٦٠٠	المحاربة بين محمد بن سعود ودهام بن دواس
٦٠٠	وقعة دقلة
٦٠٠	اغتيال الزعيم الإيراني نادر شاه



مركز تحقيقات کلمه پوز علم و رسولي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی